بهج الصباغة

في شرح

نهج البلاغة

تأليف

العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري

المجلد الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

بهج الصباغة

في شرح نهج البلاغة

العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري قدس سره

المجلد الخامس

دار امير كبير للنشر
تهران: ١٣٧٦

بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة (المجلد الخامس)
المصنف : الشيخ محمد تقي التستري (قدس سره)
اعداد و ترتيب : مؤسسة نهج البلاغة
الناشر : دار اميركبير للنشر
الطبعة الاولى : (١٣٧٦ هـ ش) (١٤١٨ هـ ق) (١٩٩٧ م)
المطبعة : سبهر
عدد النسخ المطبوعة : ٢٠٠٠ نسخة

شابك ١ ـ ٠٢٦٣ ـ ٠٠ ـ ٩٦٤ ISBN 964-00-0263-1

الجمهورية الاسلامية في ايران ـ طهران ـ ص. ب ٤١٩١ ـ ١١٣٦٥

٣١
الخطبة (٣)

ومن خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالشقشقية:

«أَمَا وَٱللّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلان، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ ٱلْقُطْبِ مِنَ الرَّحَا. يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ. فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً، وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فيهَا الكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فيهَا مُؤْمِنٌ حَتى يَلْقَى رَبَّه. فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وَفِي ٱلْعَيْنِ قَذىً، وَفي ٱلْحَلْقِ شَجاً. أَرَى تُرَاثي نَهْباً. حَتَّى مَضَى ٱلْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلانٍ بَعْدَهُ.

ثمَّ تمثَّلَ بقولِ الاعشى:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

فَيَاعَجَبا بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ. إِذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ. لَشَدَّ

مَاتَشَطَّرا ضَرْعَيْهَا فصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ. يَغْلُظُ كَلْمُهَا، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، وَيَكْثُرُ ٱلعِثَارُ فِيهَا، والاعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ، فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ ٱللَّهِ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ، وَتَلَوُّنٍ وَٱعْتِرَاضٍ؛ فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ ٱلْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ ٱلْمِحْنَةِ.

حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَماعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ. فَيَاللَّهِ وَلِلشُّورَى، مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ ٱلْأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظائِرِ، لكنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا، وَطِرْتُ إِذْ طارُوا؛ فَصَغا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ، وَمالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ مَعَ هَنٍ وَهَنٍ إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ ٱلْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ، بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ ٱللَّهِ خِضْمَةَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ، إِلَى أَنِ ٱنْتَكَثَ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ. فَما رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ، يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ ٱلْحَسَنانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ ٱلْغَنَمِ. فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وقَسَطَ آخَرُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ ٱللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ ٱلآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسادًا وَٱلعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ بَلَى وَٱللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُها! أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْلَا حُضُورُ ٱلحَاضِرِ، وَقِيَامُ ٱلْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، ومَا أَخَذَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ» .

قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتاباً، فأقبل ينظر فيه. قال له ابن عباس رضي الله عنه يا أمير المؤمنين! لو اطَّرَدَتْ خُطْبَتُكَ مِنْ حَيْثُ أفضيتَ. فَقالَ: هَيْهاتَ يا ابْنَ عَبّاسٍ. تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ. قال ابن عباس: فوالله ما أسفت على كلام قطّ كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد.

قوله: «كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحم»: يريد أنّه إذا شدّد عليها في جذب الزمام، وهي تنازعه رأسها خرم أنفها، وإن أرخى لها شيئاً مع صعوبتها. تقحّمَتْ به فلم يملكها. يُقال «أشنق الناقة» إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه «وشنقها» أيضاً ذكر ذلك ابن السكّيت في «إصلاح المنطق» وإنّما قال «أشنق لها» ولم يقل «أشنقها» لأنّه جعل في مقابل قوله: «أسلس لها» فكأنّه عليه السلام قال: إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها.

أقول: ورواها الصدوق في (علل شرائعه)، و (معاني أخباره)، والمفيد في كتاب (إرشاده) وكتاب (جمله)، والشيخ الطوسي في (أماليه)، والراوندي في (شرحه) والطبرسي في (احتجاجه)، وسبط ابن الجوزي في (تذكرته)، وجمع آخر من العامّة والخاصّة من المتقدّمين والمتأخرين كابن قبة وأبي القاسم البلخي، وأبي عمرو الزاهد غلام ثعلب، وأبي أحمد العسكري وغيرهم[1].

أما الصدوق. فروى في (علله) عن محمّد بن علي ماجيلويه، عن محمّد

---

(١) رواها الصدوق في علل الشرائع ١: ١٥٠ و١٥٣ ح ١٢ و١٣، وفي معاني الأخبار: ٣٦٠ ح ١، والمفيد في الارشاد: ١٥٢، وفي الجمل: ٦٢، وابو علي الطوسي في أماليه ١: ٣٨٢، جزء ١٣، والراوندي في شرحه ١: ١٣١ والطبرسي في الاحتجاج ١: ١٩١ و السبط في التذكرة: ١٢٤، ورواها عن ابن قبة ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٠٦، وغيره وعن البلخي ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٠٥، وعن أبي عمرو الزاهد الكيندري في شرحه ١: ١٩٣، وغيره، وعن العسكري الصدوق في علل الشرائع ١: ١٥٢، ومعاني الاخبار: ٣٦٢، وغيرهم.

بن أبي القسم، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان عن أبان بن تغلب، عن عكرمة عن ابن عباس.

ورواه في (معانيه) مثله وزاد إسناداً آخر محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، عن عبد العزيز بن يحيى الجلودي، عن أحمد بن عمّار بن خالد، عن يحيى بن عبد الحميد الحماني، عن عيسى بن راشد، عن علي بن خزيمة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «والله لقد تقمّصها أخو تيم، وانّه ليعلم أنّ محلي منها محلّ القطب من الرحى، ينحدر عنه السيل، ولا يرتقي إليه الطير. فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخيّة عمياء. يشيب فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى الله. فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى. فصبرت وفي العين قذىً، وفي الحلق شجاً. أرى تراثي نهباً، حتّى إذا مضى الأوّل لسبيله. عقدها لأخي عدي بعده. فيا عجباً! بينا هو يستقيلها في حياته. إذ عقدها لآخر بعد وفاته، فصيّرها والله في حوزة خشناء يخشن مسّها، ويغلظ كلمها، ويكثر العثار والاعتذار. فصاحبها كراكب الصعبة ان عنف بها حرن، وإن سلس بها غسق. فمني الناس بتلوّن وأعتراض، وبلواً مع هن، وهنيّ. فصبرت على طول المدّة وشدّة المحنة. حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي منهم، فيا لله لهم وللشورى، متى أعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتّى صرت أُقرن بهذه النظائر. فمال رجل بضبعه، وأصغى آخر لصهره، وقام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومتعلفه، وقام معه بنو أبيه يهضمون مال الله هضم الإبل نبتة الربيع. حتّى أجهز عليه عمله. فما راعني إلّا والناس إليّ كعرف الضبع، قد أنثالوا عليّ من كلّ جانب حتّى لقد وطئ الحسنان، وشُقّ عطافي، حتّى إذا نهضت بالأمر نكثت

طائفة، وفسقت أُخرى ومرق آخرون كأنّهم لم يسمعوا قول الله تعالى: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون عُلُوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين﴾(١) بلى والله لقد سمعوا، ولكن أحلولت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها. والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة! لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله تعالى على العلماء أن لا يقرّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها، ولألفيت دنياكم أزهد عندي من عفطة عنز ـ قال وناوله رجل من أهل السواد كتاباً. فقطع كلامه وتناول الكتاب. فقلت: لو اطردت مقالتك إلى حيث بلغت. فقال: هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرّت...».

ورواها (العلل) أخيراً بالسند الثاني في متنه مثل المتن: «إن أشنق لها خرم وأن أسلس لها تقحم».

وأمّا المفيد فقال في (إرشاده): روى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن ابن عباس قال: كنت عند أمير المؤمنين عليه السلام بالرحبة. فذكرت الخلافة وتقدُّم من تقدّم عليه. فتنفّس الصعداء ثم قال: «أم والله! لقد تقمّصها ابن أبي قحافة...». وفيه بدل «حتّى مضى الأول ـ إلى ـ بعده» «إلى أن حضره أجله فأدلى بها إلى عمر» وفيه بعد «ضرعيها» الشعر ثم «فصيرها والله في ناحية خشناء يجفو مسّها ويغلظ كلمها، صاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها عسف، يكثر فيها العثار ويقل منها الإعتذار».

وقال في جملة: فأمّا خطبته عليه السلام الّتي رواها عبد الله بن عباس فهي أشهر من أن تدلّ عليها لشهرتها، وهي الّتي يقول عليه السلام في أوّلها: «والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة...».

(١) القصص: ٨٣.

وأما الشيخ؛ فروى في (أماليه): عن الحفّار، عن أبي القاسم الدعبلي، عن أبيه، عن أخيه دعبل، عن محمّد بن سلامة الشامي، عن زرارة، عن أبي جعفر محمّد بن علي، عن آبن عباس، وعن محمّد، عن أبيه، عن جدّه قال: ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «والله لقد تقمّصها آبن أبي قحافة...». وفيه: «يضيع فيها الصغير ويدبّ فيها الكبير» وفيه: «أرى تراث محمّد صلى الله عليه وآله وسلم نهباً إلى أن حضرته الوفاة فأدلى بها إلى عمر».

وأما الراوندي؛ فروى في (شرحه) عن أبي نصر الحسن بن محمّد بن إبراهيم، عن الحاجب أبي الوفاء محمّد بن بديع، وأحمد بن عبد الرحمن، عن الحافظ أبي بكر بن مردويه، عن الطبراني، عن أحمد بن علي الأبّار، عن إسحق بن سعيد أبي سلمة الدمشقي، عن خليد بن دعلج، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال: كنّا مع عليّ عليه السلام بالرحبة. فجرى ذكر الخلافة، ومن تقدّم عليه. فقال: ... إلى آخر الخطبة.

وأما الطبرسي؛ فقال: روى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن آبن عباس قال: كنت عند أمير المؤمنين عليه السلام بالرحبة فذكرت الخلافة، وتقدّم من تقدّم عليه فتنفّس الصعداء ثم قال: «أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة...».

وأما سبط ابن الجوزي؛ فقال: أخبرنا بها شيخنا أبو القاسم النفيس الأنباري بإسناده عن ابن عبّاس. قال: لمّا بويع أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة ناداه رجل من الصف، وهو على المنبر ما الّذي أبطأ بك إلى الآن؟! فقال بديهاً: «والله لقد تقمّصها أخو تيم ـ أو ابن أبي قحافة أو فلان ـ وهو يعلم انّ محلّي منها محل القطب من الرحى. ينحدر عنّي السيل، ولا يرقى إليّ الطير، ولكنّي سدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت امثّل بين أن أصول بيد جذاء ماضية، أو أصبر على ظلمة طخياء يوضع منها الكبير، ويدبّ فيها الصغير

ـ(وفي رواية) طفقت أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير ـ ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه. فرأيت الصبر أجدر، فصبرت وفي العين قذىً، وفي الحق شجاً إلى أن حضرت الأوّل الوفاة (وفي رواية) فصبرت إلى أن مضى الأوّل لسبيله ـ فأدلى بها إلى فلان بعده ـ وفي رواية (فأدلى بها إلى الثاني) ـ فيا لله العجب بينا هو يستقيلها في حال حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته فعقدها في ناحية خشناء. يصعب مسّها، ويغلظ كلمها، ويكثر فيها العثار، ويقلّ منها الاعتذار. فمني الناس بمن عقدها له حتّى مضى لسبيله ـ وفي رواية «بينا هو يقتال منها في حياته إذ عقدها لآخر بعد مماته لشدّ ما تشطّر أضرعها في حوزة خشناء. فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم ـ وفي رواية ـ فمنى الناس بخبط وشماس وتكوّر واعتراض، فصبرت حتّى إذا مضى لسبيله؛ جعلها شورى بين ستّة زعم أنّي أحدهم، فيا لله وللشورى، فيم وممّ وبم ولم يعرض عنّي، ولكنّي أسففت معهم حين أسفّوا، وطرت معهم حيث طاروا، وصبرت لطول المحنة وانقضاء المدّة إلى أن قام الثالث ـ وفي رواية ـ «فيا لله والشورى متى اعترض الريب فيّ حتّى صرتُ أُقرن إلى هذه النظائر، فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره. مع هن وهن إلى أن قام الثالث نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وبنو أُمية يخضمون مال الله خضم الإبل نبت الربيع، حتّى إذا أجهز عليه عمله، وأسلمه إلى الهلاك أجله، وكبت به مطيته فما راعني إلّا والناس أرسالاً إليّ كعرف الفرس، ويسألوني البيعة، وانثالوا عليّ انثيالاً، حتّى لقد وطئ الحسنان وهما عطفاي ـ وفي رواية «وشقّ عطفاي» ـ وهم مجتمعون حولي كربيضة الغنم، فلمّا نهضت بالأمر، نكثت طائفة، وفسقت شرذمة، ومرقت أُخرى، وقسط قوم، كأنّهم لم يسمعوا قول الله تعالى: ﴿تلك

الدار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين﴾[١] بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكن راقتهم دنياهم، وأعجبهم رونقها، أما والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لولا ما أخذ الله على الأولياء لألقيت حبلها على غاربها،ولسقيت آخرها بكأس أوّلها وأنشد:

شتان ما يومي على كورها   ويوم حيّان أخي جابر

ـ وفي رواية ـ والّذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظّة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها ـ وفي رواية ـ ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز.

هذا الّذي وقفت عليه من أسانيد العنوان، وأمّا ما عن رابع عشر (البحار) عن بعض مؤلّفات القدماء، عن القاضي الطبري، عن سعيد المقدّسي، عن المبارك، عن خالص بن أبي سعيد، عن وهب الجمّال، عن عبد المنعم بن سلمة عن وهب الأسدي عن يونس بن ميسرة، عن الشيخ المعتمر الرقي رفعه إلى ميثم قال: كنت بين يدي مولاي أمير المؤمنين عليه السلام ـ إلى أن قال ـ ركب السحابة، وقال لعمّار اركب معي ـ إلى أن قال في رجوعه بعد ساعة في مسجد الكوفة ـ صعد المنبر، وأخذ بالخطبة المعروفة بالشقشقية ـ الخ[٢] ـ فهي رواية تخليطية من الغلاة والحشوية، وإن تبجّح بها الخوئي[٣] وسرّ بها.

قول المصنّف: «ومن خطبة له عليه السلام» ظاهر خبر (العلل) و (الإرشاد) و(الأمالي) و(الراوندي) كونه كلاماً في غير خطبة لتضمنها أنّه ذكر الخلافة

---

(١) القصص: ٨٣.

(٢) رواه المجلسي في بحار الانوار ٥٧: ٣٤٤ ح ٣٦.

(٣) شرح الخوئي ١: ٢٨٥.

عنده عليه السلام. فقال هذا الكلام، لكن الصواب كونه خطبة كما صرّح به في (المعاني) و(الجمل) كالمصنّف ويشهد له رواية ابن الجوزي من كون ذكر الخلافة عنده عبارة عن أنّه قيل له عليه السلام: ما الّذي أبطأ بك عن تصدّي الأمر؟ وكان على المنبر فقال بديهاً ما قال.

«وهي»: هكذا في (المصرية)، والكلمة زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[1].

«المعروفة بالشقشقية»: وفي ابن أبي الحديد: «تعرف بالشقشقية»، وفي ابن ميثم مثل المتن لكن زاد: «وتعرف بالمقمصة»[2] ونسخته بخطّ المصنّف فإن صحّت النسبة فوجهه اشتمال الخطبة على قوله عليه السلام: «لقد تقمّصها» ويأتي وجه معروفيتها بالشقشقية في آخر الخطبة.

ولبعض خطبه عليه السلام اسم غير هذا أيضاً مثل الخطب المعروفة بالأشباح، والتوحيد، والهداية، والملاحم، واللؤلؤ، والغرّاء، والقاصعة، والافتخار، والدرّة اليتيمة، والزهراء، والأقاليم، والوسيلة، والطالوتية، والقصبية، والنخيلة والسليمانية، والناطقة، والدامغة، والفاضحة، والبالغة، والمونقة، وهي الخالية عن الألف، وبعضها مذكور في الكتاب وبعضها في غيره.

قوله عليه السلام: **«أما والله لقد تقمّصها»** قال ابن أبي الحديد: الضمير للخلافة، ولم يذكرها للعلم بها كقوله سبحانه ﴿حتى توارت بالحجاب﴾[3].

قلت: لم يراجع أسانيد الخطبة، وإلاّ فقد عرفت أنّ كلّها اشتمل على أنّه ذكر عنده عليه السلام الخلافة، وتقدّم من تقدّم عليه فيها. فقال ما قال.

ثم تشبيه الخلافة والسلطنة بقميص يلبس؛ أمر معروف. خطب

(١ و ٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٥٠، وشرح ابن ميثم ١: ٢٤٩، مثل المصرية أيضاً.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٥٠.

المنصور بعد قتله لأبي مسلم، فقال: من نازعنا هذا القميص أجززناه خبيَّ هذا الغمد ـ وأشار إلى غمد سيفه ـ.

وكما شبّهها عليه السلام بقميص؛ أثبت بعض الشعراء لها سربالاً. فقال في المعتز ابن المتوكل:

خلافة كنت حقيقاً بها   فـضّلك الله بسـربالها

«فلان» وبدّله ابن أبي الحديد: بقوله «إبن أبي قحافة»[١] والصواب: كون النهج بلفظ «فلان» وإن كان أكثر أسانيد الخطبة بلفظ «ابن أبي قحافة» لتصديق ابن ميثم[٢] الّذي نسخته بخطّ المصنّف، وقد عرفت أنّ الصدوق بدّله في كتابيه بقوله «أخو تيم»[٣] كما عرفت أنّ سبط ابن الجوزي قال في نقله: «فلان أو ابن أبي قحافة أو أخو تيم»[٤].

ولنتكلّم على كلّ من الثلاثة: أمّا فلان. فقالوا: فلان وفلانة يكنّى بهما عن الآدميّين قال تعالى: ﴿ويوم يعضّ الظالم على يديه ـ إلى ـ يا ويلتى ليتني لم أتّخذ فلاناً خليلاً﴾[٥] والفلان والفلانة يكنّى بهما عن غير الآدميّين. صرّح بذلك ابن السكّيت وغيره[٦].

وأمّا «إبن أبي قحافة» فكان أبو قحافة في قريش خاملاً من حيث الشخص ومن حيث العشيرة. ففي أنساب البلاذري لمّا غزا النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم الطائف رأى قبر أبي أُحيحة مشرفاً. فقال أبو بكر: لعن الله صاحب هذا القبر،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٥٠.

(٢) شرح ابن ميثم ١: ٢٤٩.

(٣) العلل ١: ١٥٠، والمعاني: ٣٦١.

(٤) التذكرة: ١٢٤.

(٥) الفرقان: ٢٧.

(٦) نقله عنه وعن غيره ابن منظور في لسان العرب ١٣: ٣٢٤، مادة (ظن).

فإنّه كان ممّن يحادّ الله ورسوله. فقال إبناه عمر وأبان (وكانا من أصحاب النبيّ ﷺ): لعن الله أبا قحافة. فإنّه لا يقري الضيف، ولا يدفع الضيم[١].

وفي (طرائف ابن طاووس) عن (مثالب ابن الكلبي): كان أبو قحافة، وسفيان بن عبد العزيز يناديان على طعام عبد الله بن جدعان.قال أُمية بن أبي الصلت في رثاء ابن جدعان:

له داع بمكّة مشمعلٌّ   وآخر فوق دارته ينادي

قال: المراد بالمشمعلّ سفيان ذاك وبقوله «وآخر» أبو قحافة[٢].

وقال الإسكافي في (نقض عثمانيته): كان أبو قحافة أجيراً لابن جدعان على مائدته يطرد عنها الذبان[٣].

وفي (معارف ابن قتيبة): أسلم أبو قحافة يوم فتح مكّة وأتى به إلى النبيّ ﷺ، وكأنّ رأسه ثغامة (أي نبت جبلي يبيض إذا يبس يُقال له بالفارسية درمنه اسبيد) فأمرهم أن يغيّروه وبايعه[٤].

ورواه الإسكافي في نقض عثمانيته ـ وزاد ـ إنّ النبيّ ﷺ لمّا رآه نفر منه وقال: غيّروا هذا فخضبوه ثم جاءوا به مرّة أُخرى فأسلم[٥].

ومن الغريب أنّ الجاحظ الصليب الوجه في (الجعل) قال: أقبل أبو بكر في الفتح بأبيه، وهو يومئذٍ شيخٌ مكفوف له غديرتان حتّى هجم به على النبيّ ﷺ وقال له: أتيتك بأبي. فقال له النبيّ ﷺ: «هلّا تركت الشيخ في

---

(١) أنساب الاشراف ١: ١٤٢.

(٢) الطرائف ٢: ٤٠٦، والنقل بتلخيص.

(٣) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٢٧٨، شرح الخطبة ١٩٠.

(٤) المعارف: ١٦٧، والنقل بتصرف يسير.

(٥) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٢٧٧، شرح الخطبة ١٩٠.

رحله حتّى آتيه، ثم مسح يده على صدره، ودعاه إلى الإسلام...»[١].

هب أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان كالأمراء الدنيوية؛ هل كان أبو قحافة ذا شرف دنيوي حتّى يأتيه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما كونه أخا تيم. ففي (المروج) قال المدائني: رئي بالبصرة رجل مصطلم الأذن، فسئل عن قصّته. فذكر أنّه خرج يوم الجمل ينظر إلى القتلى. فنظر إلى رجل منهم يخفض رأسه ويرفعه وهو يقول:

لقد أوردتنا حومة الموت أُمّنا	فلم ننصرف إلّا ونحن رواء
أطعنا بني تيم لشقوة جدّنا	وما تيم إلّا أعبدٌ وإماء

فقلت: سبحان الله! أتقول هذا عند الموت. قل: لا إله إلّا الله. فقال: يا ابن اللخناء! إيّاي تأمر بالجزع عند الموت. فولّيت عنه متعجّباً. فصاح بي أدنُ منّي لقّنّي الشهادة. فصرت إليه. فلمّا قربت منه استدناني ثم التقم أُذني فذهب بها، فجعلت ألعنه وأدعو عليه. فقال: إذا صرت إلى أُمّك فقالت: من فعل بك هذا. فقل: عمير بن الأهلب الضبي مخدوع المرأة الّتي أرادت أن تكون أمير المؤمنين[٢].

وفي (دلائل الإعجاز): وروي أنّ سودة أنشدت «عدي وتيم تبتغي من تحالف» وجرى بينهنّ كلام في هذا المعنى. فأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فدخل عليهنّ، وقال: «يا ويلكنّ ليس في عديكنّ، ولا تيمكنّ قيل هذا، وإنّما قيل هذا في عديّ تميم وتيم تميم»[٣].

قلت: الظاهر أنّ سودة عرّضت بهما تمثّلا بالبيت، وهما أيضاً علمتا أنّها

---

(١) أخرج الحديث أحمد في مسنده ٣: ١٦٠، والحاكم في المستدرك ٣: ٢٤٤ و٢٤٥، وابن حبّان في صحيحه، وعنه الاصابة ٢: ٤٦١، وابن هشام في السيرة ٤: ٣٥، وأبو عوانة في مسنده وابن النجار في تاريخه وعبدالرزاق في جامعه، وعنهم منتخب كنز العمال ٥: ٢٣٩.

(٢) مروج الذهب ٢: ٣٧٠، والنقل بتصرف يسير.

(٣) دلائل الاعجاز: ١٧.

تمثّلت به تعريضاً، وإنّما أراد النبيّ ﷺ قطع نزاعهن.

وفي (أمثال الكرماني): قال المفضل: أوّل من قال «البلاء موكّل بالمنطق» أبو بكر قال ابن عباس: قال عليّ عليه السلام: لمّا أمر النبي ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر، فدفعنا إلى مجلس. فتقدّم أبو بكر، وكان نسّابة. فقال: ممّن القوم؟ قالوا: من ربيعة. فقال: أمن هامتها أم لهازمها؟ قالوا: من هامتها العظمى. قال: فأيُّها أنتم؟ قالوا: ذهل الأكبر. قال: أفمنكم عوف الّذي يُقال له «الاحرّ بوادي عوف»؟ قالوا: لا. قال: أفمنكم بسطام ذو اللواء ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا. قال: أفمنكم جسّاس بن مرّة حامي الذمار ومانع الجار؟ قالوا: لا. قال: أفمنكم الحوفزان قاتل الملوك، وسالبها أنفسها؟ قالوا: لا. قال: أفمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة؟ قالوا: لا. قال: أفأنتم أخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا. قال: فلستم ذهل الأكبر أنتم ذهل الأصغر. فقام إليه غلام قد بقل وجهه يُقال له دغفل فقال:

إنّ على سائلنا أن نسأله والعبء لا تعرفه أو تحمله

يا هذا! إنّك سألتنا فلم نكتمك شيئاً. فمن الرجل؟ قال: من قريش، قال: بخٍ بخٍ أهل الشرف والرياسة. فمن أيّ قريش؟ قال: من تيم بن مرّة، قال: أمكنت والله الرامي من صفاء الثغرة. أفمنكم قصيّ الّذي جمع القبائل من فهر وكان يدعى مجمّعاً؟ قال: لا. قال: أفمنكم هاشم الّذي هشم الثريد لقومه، ورجال مكّة مسنتون عجاف؟ قال: لا. قال: أفمنكم شيبة الحمد مطعم طير السماء الّذي كان وجهه قمراً مضيئاً يضيء ليل الظلام الداجي؟ قال: لا. قال: أفمن المفيضين بالناس أنت؟ قال: لا. قال: أفمن أهل الندوة أنت؟ قال: لا. قال: أفمن أهل السقاية أنت ؟ قال: لا ـ واجتذب أبو بكر زمام ناقته، ورجع. فقال: دغفل «صادف درء السيل درء يصدعه» أما والله

لو ثَبَتَّ لأخبرتك أنك من زمعات قريش.

قلت: وما قاله المفضل من أن أبا بكر أوّل من قال ذاك المثل؛ ليس كذلك. فروي أن الأصل فيه عبيد بن شربة الجرهمي في الجاهلية، وانما تمثّل به أبو بكر لمّا أراد إظهار اطّلاعه بالأنساب عند دغفل فأخزاه.

ولم يكن في تيم شريف إلّا ابن جدعان الّذي مرّ انّ أبا قحافة كان ينادي على طعامه، ويطرد الذباب عن مائدته، ومع ذلك كان كسب ابن جدعان من بعث جواريه للزنا، وبيع أولادهن كما صرّح به ابن قتيبة في (معارفه)[١].

وفي (أمثال الكرماني) أيضاً: ارتدّ الأشعث بن قيس الكندي في جملة أهل الردّة. فأُتي به أبا بكر أسيراً. فأطلقه، وزوّجه أُخته فروة رغبة منه في شرفه فخرج من عند أبي بكر، ودخل السوق، فاخترط سيفه. ثم لم تلقه ذات أربع إلّا عرقبها من بعير وفرس وبقر، ومضى فدخل داراً من دور الأنصار. فصار الناس حشّد إلى أبي بكر. فقالوا: هذا الأشعث قد ارتدّ ثانية. فبعث أبو بكر إليه فأشرف إلى السطح، وقال: يا أهل المدينة! إنّي غريب في بلدكم. وقد أولمت بما عرقبت. فليأكل كلّ انسان ما وجد وليغد عليّ كلّ من كان له قبلي حقّ، فلم يبق دار من دور المدينة إلّا دخلها من ذلك اللحم، ولا رئي أشبه بيوم الأضحى من ذاك اليوم؛ فضرب أهل المدينة به المثل فقالوا: أولم من الأشعث[٢]. وقال الأصبغ بن حرملة الليثي متسخّطاً لهذه المصاهرة مخاطباً أبا بكر:

أتيت بكندي قد ٱرتدّ وٱنتهى   إلى غاية من نكث ميثاقه كفرا
فكان ثواب ٱلنكث إحياء نفسه   وكان ثواب الكفر تزويجه البكرا

---

(١) المعارف: ٥٧٦.

(٢) أنظر أيضاً: الاصابة لابن حجر ١: ٥١.

ولو أنّه يأبى عليك نكاحها وتزويجها منه لأمهرته مهرا
ولو أنّه رام الزيادة مثلها لأنكحته عشراً وأتبعته عشرا
فقل لأبي بكر لقد شِنت بعدها قريشاً وأخملت النباهة والذكرا
أما كان في تيم بن مرّة واحد تزوّجه لولا أردت به الفخرا
ولو كان لمّا أن أتاك قتلته لأحرزتها ذِكراً وقدّمتها ذُخرا
فأضحى يرى ما قد فعلت فريضة عليك فلا حمداً حويت ولا أجرا

وفي (موفقيات الزبير بن بكار) - وقد نقله ابن أبي الحديد في شرح قوله: «واعتبروا بحال ولد إسماعيل» - أنّ أبا بكر قال في الجاهلية لقيس بن عاصم المنقري: ما حملك على أن وأدت؟ قال: مخافة أن يُخَلِّفَ عليهنّ مثلك[1].

وفي (نقض عثمانية الاسكافي): روى الواقدي وغيره: أنّ عائشة رأت رجلاً من العرب خفيف العارضين، معروق الخدّين. غائر العينين. أجنى لا يمسك إزاره فقالت: ما رأيت أشبه بأبي بكر من هذا! قال الاسكافي بعد نقل الرواية ردّاً لقول الجاحظ: «كان لأبي بكر وجه عتيق» «فلا تراها دلّت على شيء من الجمال في صفته»[2].

وحيث انّ البكر الفتيّ من الإبل - وبه كني أبو بكر - قال أبو سفيان لمّا بويع أبو بكر: يا بني عبد مناف! أرضيتم أن يلي عليكم أبو فصيل الرذل ابن الرذل؟![3].

وكانت هوازن تسمّيه ذا الجلال. فلمّا أتاهم بيعته قالوا: لا نبايع ذا

(١) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٢٤٣، شرح الخطبة ١٩٠.

(٢) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٢٧٦، شرح الخطبة ١٩٠.

(٣) روى هذا المعنى عن أبي سفيان: الجوهري في السقيفة: ٣٨، والطبري في تاريخه ٢: ٤٤٩، سنة ١١، وغيرهما.

الجلال وإنّما سمّوهُ بذلك لأنّه كان له كساء فدكي يحله عنه إذا ركب ويلبسه إذا نزل.

ولكسائه ذاك سمّاه أهل نجد ذا العباءة. ففي (سيرة ابن هشام): لمّا أتاهم بيعة أبي بكر قالوا: أنحن نبايع ذا العباءة؟ قال: كان أبو بكر في غزوة ذات السلاسل -الّتي أمّر عليه وعلى صاحبه عمرو بن العاص- عليه عباءة له فدكية يبسطها إذا نزل ويلبسها إذا ركب، ثمّ يشكّها عليه بخلال له[١]. وفي (شعراء ابن قتيبة): قال الحطيئة:

أطعنا رسول الله إذ كان حاضراً ... فيالهفتي ما بال دين أبي بكر

أيورثها بكراً إذا مات بعده ... وتلك وبيت الله قاصمة الظهر[٢]

وفي (أُدباء الحموي) قال الناشي: قال لي الراضي: أنشدني من شعرك في بني هاشم فأنشدته:

بني العباس إنّ لكم دماءً ... أراقتها أُميّة بالذحول

فليس بهاشميٍّ من يوالي ... أُميّة واللعين أبا زبيل

فقال: ما بينك وبين أبي زبيل، فقلت: أمير المؤمنين أعلم. فابتسم[٣].

وفي (بلدانه) في عنوان حضرموت قال حارثة بن سراقة:

أطعنا رسول الله مادام بيننا ... فيا قوم ما شأني وشأن أبي بكر

أيورثها بكراً إذا مات بعده ... فتلك لعمر الله قاصمة الظهر[٤]

وروى محمّد بن محمّد بن النعمان في (أماليه) أنّ أبا قحافة لما سمع أنّ ابنه ولي الأمر قال: أرضيت بذلك بنو المغيرة وبنو عبد شمس؟ قالوا: نعم.

---

(١) سيرة ابن هشام ٤: ٢٠٠، والنقل بالمعنى.

(٢) الشعر والشعراء: ١١٠.

(٣) معجم الادباء ١٣: ٢٨٤.

(٤) معجم البلدان ٢: ٢٧١.

قال: أينكرون النبوّة ويقرّون بالخلافة إن هذا لشيءٌ يراد[١]؟!

وفي خطبة أمير المؤمنين عليه السلام الطالوتية المروية في روضة الكافي قال عليه السلام: لو أنّ لي رجالاً ينصحون لله ولرسوله (وكان عليه السلام مرّ على ثلاثين شاة) بعدد هذه الشياه لأزلت ابن آكلة الذبّاب عن ملكه[٢].

وفي كتاب سليم بن قيس قال أمير المؤمنين عليه السلام لعمر: يا ابن صهاك! أليس لنا فيها حق، وهي لك، ولابن آكلة الذباب؟ فقال عمر: إنّ العامّة رضوا بصاحبي ولم يرضوا بك فما ذنبي؟ فقال عليه السلام: ولكنّ الله ورسوله لم يرضيا إلّا بي[٣].

قال ابن أبي الحديد: اسم أبي بكر القديم عبد الكعبة. فسمّاه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله واختلفوا في عتيق. فقيل: كان اسمه في الجاهلية، وقيل: بل سمّاه به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم[٤].

قلت: أهلُ بيته أعرف به. سئل عبد الرحمن بن القاسم بن محمّد بن أبي بكر عن اسمه. فقال: إسمه عتيق. كان بنو أبي قحافة معتق وعتق وعتيق.

«وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها» أي: من الخلافة بعد مشاهدته مقاماته وسماعه من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم استخلافه.

«محلّ القطب من الرحى» قال الجوهري: «يجوز في قطب الرحى ضمّ القاف وفتحها وكسرها»[٥]، وقال ابن دريد: «قطب الرحى: الحديدة

(١) أمالي المفيد: ٦٠ ح ٧، المجلس ١٠، والنقل بالمعنى.

(٢) الكافي ٨: ٣٣ ح ٥.

(٣) كتاب سليم: ٩١، والنقل بتلخيص.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٥٢.

(٥) صحاح اللغة ١: ٢٠٤، مادة (قطب).

التّي تدور فيها»[١].

وروي عنه عليه السلام هذا المعنى بلفظ آخر هكذا: «وإنّه والله ليعلم أنّي أولى بها منّي بقميصي»[٢].

قال دعبل:

حللت محلّاً يقصر الطرف دونه ويعجز عنه الطيف أن يتجشّما

ولقد أجاد الناشئ فقال فيه عليه السلام:

وصارمه كبيعته بخمٍّ مقاصدها من الخلق الرقاب

ولقد أجاد وفائي التستري فيه عليه السلام بالفارسية:

جز بتوآراستن سرير خلافت نسبت افسر بمستحق فساراست

وروى الكنجي الشافعي في (مناقبه) عن سعيد بن المسيب قال: قلت لسعد ابن أبي وقاص: إنّي أُريد أن أسألك عن شيء وإنّي أتّقيك. قال: سلْ عمّا بدا لك. فإنّما أنا ابن عمّك. قلت: مقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيكم يوم الغدير. قال: نعم قام فينا بالظهيرة فأخذ بيد علي بن أبي طالب. فقال: «مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه. اللهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره» فقال أبو بكر وعمر: أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كلّ مؤمن ومؤمنة[٣].

وروى الجزري في (أُسده) في وهب بن حمزة مسنداً عنه قال: صحبت علياً عليه السلام من المدينة إلى مكّة. فرأيت منه بعض ما أكره. فقلت: لئن رجعت إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأشكونك إليه. فلمّا قدمت لقيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: رأيت من عليّ

(١) جمهرة اللغة ١: ٣٠٨، مادة (بطق).

(٢) رواه المفيد في اماليه: ١٥٣ ح ٥، المجلس ١٩، ولفظه: «قد علم والله انى اولي الناس بهم مني بقميصي» ورواه غيره أيضاً.

(٣) كفاية الطالب: ١٦.

كذا وكذا. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لا تقل هذا فهو أولى الناس بعدي[1].

وفي (مروج المسعودي): لمّا صرف عليّ عليه السلام قيس بن سعد بن عبادة عن مصر وجّه مكانه محمّد بن أبي بكر. فلمّا وصل إليها كتب إلى معاوية «من محمّد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر ـ إلى أن قال ـ فكان أوّل من أجاب نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم وأناب، وآمن وصدّق، وأسلم وسلّم أخوه وابن عمّه عليّ بن أبي طالب صدّقه بالغيب المكتوم، وآثره على كلّ حميم، ووقاه بنفسه كلّ هول، وحارب حربه وسالم سلمه، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الليل والنهار، والخوف والجزع حتّى برز سابقاً لا نظير له في من اتّبعه، ولا مقارب له في فعله، وقد رأيتك تساميه، وأنت أنت، وهو هو أصدق الناس نيّة، وأفضل الناس ذرّية، وخير الناس زوجة، وأفضل الناس ابن عم، وأخوه الشاري بنفسه يوم موته، وعمّه سيد الشهداء يوم أُحد، وأبوه الذابّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن حوزته، وأنت اللعين ابن اللعين، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغوائل، وتجهدان في إطفاء نور الله. تجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتؤلّبان عليه القبائل. على ذلك مات أبوك وعليه خَلفته، والشهيد عليك من تدني، ويلجأ إليك من بقيّة الأحزاب، ورؤساء النفاق، والشاهد لعلي مع فضله المبين القديم أنصاره الّذين معه الّذين ذكرهم الله وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار، وهم كتائب، وعصائب يرون الحق في اتّباعه، والشقاء في خلافه. فكيف يا ويلك تعدل نفسك بعليّ عليه السلام، وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيّه، وأبو ولده أوّل الناس له اتّباعاً، وأقربهم به عهداً يخبره بسره، ويطلعه على أمره، وأنت عدوّه وابن عدوّه. فتمتّع في دنياك بباطلك، وليمددك ابن العاص في غوايتك ـ إلى أن قال ـ

(١) أُسد الغابة ٥: ٩٤.

فكتب إليه معاوية: «من معاوية بن صخر إلى الزاري على أبيه محمّد بن أبي بكر. أمّا بعد! فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في عظمته وقدرته. وما اصطفى به رسوله، مع كلام كثير لك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف، ذكرت فيه فضل آبن أبي طالب، وقديم سوابقه، وقرابته إلى الرسول، ومواساته إيّاه في كلّ هول وخوف فكان احتجاجك عليّ وعيبك بفضل غيرك لا بفضلك. فاحمد ربّاً صرف هذا الفضل عنك، وجعله لغيرك. فقد كنّا وأبوك فينا نعرف فضل آبن أبي طالب وحقّه، لازماً لنا مبروماً علينا. فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده، وأتمّ له ما وعده، وأظهر دعوته وأفلج حجّته، وقبضه إليه؛ كان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزه حقّه، وخالفه على أمره. على ذلك آتفقا وآتّسقا. ثم إنّهما دعواه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما، وتلكّأ عليهما، فهمّا به الهموم، وأرادا به العظيم ثمّ انّه بايع لهما، وسلّم لهما، وأقاما لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرّهما حتّى قبضهما إليه. ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما، وسار بسيرهما. فعبته أنت، وصاحبك. حتّى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي، فطلبتما له الغوائل، وأظهرتما عداوتكما حتى بلغتما فيه مُناكما. فخذ حذرك يا ابن أبي بكر، وقس شبرك بفترك. تقصر أن توازي أو تساوي من يزن الجبال بحلمه. لا يلين لمن قسر قناته، ولا يدرك ذو مقال أناته، مهّد أبوك مهاده وبنى ملكه وشاده، فإن يك ما نحن فيه صواباً؛ فأبوك أسّسه ونحن شركاؤه، ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب، ولسلّمنا إليه، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا. فأخذنا بمثله. فعب أباك بما بدا لك أو دع ذلك»[١].

ورواه نصر بن مزاحم في (صفّينه)، وفيه: «فإن يكن ما نحن فيه صواباً؛ فأبوك أوّله، وإن يك جوراً؛ فأبوك اسّسه، ونحن شركاؤه، وبهديه

(١) مروج الذهب ٣: ١١، والنقل بتصرف يسير.

أخذنا، وبفعله اقتدينا ولولا ما سبقنا إليه أبوك، ما خالفنا ابن أبي طالب وأسلمنا له، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك. فاحتذينا بمثاله، واقتدينا بفعاله. فعب أباك ما بدا لك أو دع»[1].

ومن العجب أن الطبري قال: لم أجز نقل هذا الكتاب لعدم احتمال العامّة له[2]. فيقال له: لا يحتمله إلّا من انسلخ عن الإنسانية، وجوّز التناقض والتضاد، وإنكار المتواترات، وعدم بطلان الملزوم مع بطلان اللازم في دين الإسلام، ولازم صحّة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان كون معاوية على الحق وهو هو وعليّ عليه السلام على الباطل وهو هو. أُفٍّ لهم ولما يعبدون من دون الله.

ونقل (طرائف ابن طاووس) عن (أنساب البلاذري): انّ الحسين عليه السلام لما قتل كتب عبد الله بن عمر إلى يزيد بن معاوية: أما بعد! فقد عظمت الرزيّة، وجلّت المصيبة، وحدث في الإسلام حدثٌ عظيم، ولا يوم كيوم الحسين. فكتب إليه يزيد: يا أحمق! فانّا جئنا إلى بيوت متخذة، وفرش ممهّدة، ووسائد منضّدة. فقاتلنا عليها، فان يكن الحقّ لنا فعن حقّنا قاتلنا، وان يكن الحق لغيرنا فأبوك أوّل من سنّ هذا وآثر واستأثر بالحق على أهله[3].

ولازم صحّة خلافة أبي بكر كون قتل يزيد السكّير القمّير للحسين سيّد شباب أهل الجنّة بالتواتر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وابن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله جلّ وعلا ﴿وأبناءنا وأبناءكم﴾[4] ومن أهل بيت العصمة بنصّ القرآن ﴿انّما يريد

---

(1) وقعة صفين: ١٢٠.

(2) تاريخ الطبري ٣: ٥٥٧، سنة ٣٦.

(3) رواه ابن طاووس في الطرائف ١: ٢٤٨ ح ٣٤٨، لكن لم يوجد في ترجمة الامام الحسين عليه السلام ولا يزيد بن معاوية من انساب الاشراف.

(4) آل عمران: ٦١.

الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[١] حقّاً، وكفاهم بذلك خزياً.

وفي (الطبري): لما كتب عبيد الله بن زياد مع مالك بن النسير البدّي الكندي إلى الحرّ «جعجع بالحسين حين يبلغك كتابي» نظر إليه أبو الشعثاء الكندي من أصحاب الحسين عليه السلام وقال له: ثكلتك أُمّك! ماذا جئت فيه؟ قال: أطعت إمامي ووفيت ببيعتي. قال له أبو الشعثاء: كسبت العار والنار، قال الله عزّوجلّ: ﴿وجعلناهم أئمّة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون﴾[٢].

وفي (الطبري): أن الشيعة الّذين كانوا أصحاب جعفر بن محمّد قالوا لزيد بن عليّ لمّا أراد الخروج: ما قولك في أبي بكر وعمر؟ قال: إنّ أشدّ ما أقول إنّا كنّا أحقّ بسلطان رسول الله صلى الله عليه وآله من الناس أجمعين، وانّ القوم استأثروا علينا، ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً قالوا: فلم يظلمك هؤلاء إذا كان أُولئك لم يظلموك فلم تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين؟[٣]

وقولهم عين الحق. فإنّ المؤسس لبني أُميّة هم الثلاثة أليس الثاني أحدث شورى لاختيار الثالث؟ أليست خلافة الثالث عين سلطنة بني أُميّة؟

ثم الظاهر انّ زيداً اتّقى باقي أصحابه، فروى عنه أيضاً انّه سأله رجل عن الرجلين، فلم يجبه. فلمّا وقع السهم في جبينه دعا الرجل، وقال: لم يرمني بهذا السهم إلّا الرجلان[٤].

وروى محمّد بن الحسن الصفار في (بصائره) عن الباقر عليه السلام في قوله جلّ وعلا: ﴿انّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن

---

(١) الاحزاب: ٣٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٨، سنة ٦١، والنقل بتلخيص. والآية ٤١ من سورة القصص.

(٣) تاريخ الطبري ١٥: ٤٩٨، سنة ١٢٢، والنقل بتلخيص.

(٤) روى هذا المعنى الهمداني في الالفاظ الكتابية: ١٤٣.

يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان انّه كان ظلوماً جهولاً﴾(١): الأمانة: الولاية حملها أبو فلان، وأبت السماوات والأرض والجبال حملها(٢).

وقال الزبير بن بكار: روى محمّد بن اسحق انّ أبا بكر لمّا بويع افتخرت تيم بن مرّة، وكان عامّة المهاجرين، وجلّ الأنصار لا يشكّون أن علياً عليه السلام هو صاحب الأمر بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. فقال الفضل بن العباس: يا معشر قريش، وخصوصاً يا بني تيم إنكم إنّما أخذتم الخلافة بالنبوّة، ونحن أهلها دونكم ـ إلى أن قال ـ وانّا لنعلم انّ عند صاحبنا عهداً هو ينتهي إليه(٣).

وروى الواقدي في (شوراه) ـ كما نقله ابن أبي الحديد عند قوله عليه السلام: «ومن كلام له عليه السلام وقد وقع بينه وبين عثمان مشاجرة» ـ عن ابن عباس قال: شهدت عتاب عثمان لعليّ عليه السلام ـ إلى أن قال ـ قال عثمان لعلي عليه السلام: فإن كنت تزعم انّ هذا الأمر جعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لك، فقد رأيناك حين توفي نازعت ثم أقررت ـ إلى أن قال ـ فقال له عليّ عليه السلام: وامّا عتيق وابن الخطاب. فإن كانا أخذا ما جعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لي. فأنت أعلم بذلك والمسلمون(٤).

وروى الزبير بن بكار في (موفقياته) و(الطبري في تاريخه) في سيرة عمر، عن عبدالله بن عمر قال: كنت عند أبي يوماً، وعنده نفر من الناس. فجرى ذكر الشعر فقال: من أشعر العرب؟ فقالوا: فلان وفلان. فطلع ابن عباس. فقال عمر: جاء الخبير. من أشعر الناس يا عبدالله؟ قال: زهير ابن أبي سلمى. قال: فأنشدني مما تستجيده له. فقال: انّه مدح قوماً من غطفان يُقال لهم بنو سنان. فقال فيهم:

---

(١) الاحزاب: ٧٢.

(٢) بصائر الدرجات: ٩٦ ح ٣، والنقل بالمعنى.

(٣) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٨، شرح الخطبة ٦٥.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٧٧، شرح الخطبة ١٣٣.

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قوم بأوّلهم أو مجدهم قعدوا
قوم سنان ابوهم حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
انس اذا آمنوا جنّ اذا فزعو ... مرزؤن بها ليل إذا جهدوا
محسّدون على ما كان من نعم ... لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا

فقال عمر: قاتله الله لقد أحسن، ولا أرى هذا المدح يصلح إلّا لهذا البيت من هاشم لقرابتهم من رسول الله. فقال له ابن عباس: وفّقك الله. فلم تزل موفّقاً. قال: يا ابن عباس! أتدري ما منع الناس منكم؟ قال: لا. قال: لكنّي أدري. قال: ماهو؟ قال: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوّة والخلافة فتجحفوا الناس جحفاً، فنظرت قريش لأنفسها فاختارت، ووفّقت فأصابت. فقال ابن عباس: أتميط عنّي غضبك فأقول؟ قال: قل ما تشاء. قال: أمّا قولك إن قريشاً كرهت فإن الله تعالى قال لقوم ﴿ذلك بأنّهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾[1]، واما قولك إنّا كنّا نجحف بالخلافة فلو جحفنا بالخلافة جحفنا بالقرابة، ولكنّا قوم أخلاقنا مشتقّة من خُلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الّذي قال تعالى له: ﴿وانّك لعلى خلق عظيم﴾[2] وقال تعالى له صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿واخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين﴾[3] واما قولك: انّ قريشاً اختارت فإن الله تعالى يقول: ﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾[4]، وقد علمت انّ الله تعالى اختار من خلقه لذلك من اختار. فلو نظرت قريش لنفسها من حيث نظر الله لها لوفّقت وأصابت. فقال عمر: «على رسلك يا ابن عباس. أبت قلوبكم يا بني هاشم إلّا غشّاً في أمر قريش لا يزول وحقداً عليها لا يحول».

---

(١) محمد: ٩.

(٢) القلم: ٤.

(٣) الشعراء: ٢١٥.

(٤) القصص: ٦٨.

فقال ابن عباس: «مهلاً، لا تنسب قلوب بني هاشم إلى الغشّ. فإنّ قلوبهم من قلب رسول الله ﷺ الّذي طهّره الله، وزكّاه، وهم أهل البيت الّذين قال تعالى فيهم ﴿إنّما يُريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾(١) وأما قولك: حقداً؛ فكيف لا يحقد من غصب شيئه، ويراه في يد غيره. فقال عمر: «أما أنت يا ابن عباس فقد بلغني عنك كلام أكره أن أخبرك به فتزول منزلتك عندي» قال: وما هو؟ اخبرني. فإن يك باطلاً فمثلي يميط الباطل عن نفسه، وإن يك حقّاً فإنّ منزلتي عندك لا تزول به. قال عمر: بلغني أنّك لا تزال تقول أُخذ هذا الأمر منّا حسداً وظلماً. قال: أمّا قولك حسداً فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنّة. فنحن بنو آدم المحسود، وامّا قولك ظلماً فأنت تعلم صاحب الحقّ مَن هو. ثم قال: ألم تحتجّ العرب على العجم بحقّ رسول الله، واحتجّت قريش على سائر العرب بحقّ رسول الله ﷺ؟ فنحن أحقّ برسول الله من سائر قريش. فقال عمر: قم الآن فارجع إلى منزلك. فقام، فلمّا ولى هتف به عمر أيّها المنصرف! إنّي على ما كان منك لراعٍ حقّك. فالتفت ابن عباس فقال: انّ لي عليك، وعلى كلّ المسلمين حقّاً برسول الله ﷺ فمن حفظه فحقّ نفسه حفظ، ومن أضاعه فحقّ نفسه أضاع. ثم مضى. فقال عمر لجلسائه: واهاً لابن عباس! ما رأيته لاحى أحداً قط إلّا خصمه(٢).

وأقول: لله در ابن عباس! أدّى حقّ الكلام، وهل ما قاله لعمر إلّا عين ما تقوله الإمامية للسنّة من أنّ قريشاً، وفي رأسهم صدّيقهم وفاروقهم، كرهوا ما أنزل الله تعالى من استخلاف أمير المؤمنين عليه السلام فأحبط الله أعمالهم، وأنّهم

---

(١) الاحزاب: ٣٣.

(٢) رواه الزبير بن بكار في الموفقيات، وعنه شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٠٦، شرح الخطبة ٢٢٦، والطبري في تاريخه ٣: ٢٨٨، سنة ٢٣، والنقل بتصرف يسير.

علموا من اختاره الله تعالى فتركوه عمداً، وأنه ما كان لهم اختيار الإمام بل لله تعالى كاختيار النبيّ، وأن أمير المؤمنين، وأهل بيته عليهم السلام هم الّذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيرا، وأن أخلاقهم كأخلاق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقلوبهم كقلبه وأنهم حسدوهم، وظلموهم.

وأقول لعمر، زيادة على ما قال ابن عباس: لِمَ لا تقول: «أصابت قريش ووفّقت في اختيارها» ولو لم يكن فعلها لما كنت أنت وصاحبك تؤمّران على العالم.

ويالله من عرّ عمر. تارة ينسب إلى بني هاشم ـ ومغزى كلامه ومرماه أمير المؤمنين عليه السلام ـ الغشّ، وقد أخذه عنه معاوية، وأُخرى العجب والجحف، وقد أخذ ذلك عنه ابن الزبير، فكان لا يصلّي على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في صلاته وخطبته ويقول: لئلا يشمخ أهله بآنافهم. وثالثة الحرص وأخذه عنه ابن عوف يوم الشورى، ورابعة الدعابة أخذه ابن النابغة. فكان يزعم ذلك لأهل الشام.

وروى الجوهري في (سقيفته) عن ابن عباس قال: تفرّق الناس ليلة الجابية عن عمر. فسار كلّ واحد مع إلفه. ثم صادفت عمر تلك الليلة في مسيرنا فحادثته فشكا إليّ تخلّف عليّ عليه السلام عنه ـ إلى أن قال ـ قال عمر: يا ابن عباس! أوّل من ريّثكم عن هذا الأمر أبو بكر أنّ قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوّة، قلت: لم ذاك ألم تنلهم خيراً؟ قال: بلى، ولكنّهم لو فعلوا لكنتم عليهم جحفاً[1].

قلت: سبحان الله! إعتقد عمر أنّ خلافة الإسلام بيد جمع أنكروا نبوّة نبي الإسلام حتّى قهرهم بالسيف؛ فأسرّوا كفرهم به وأظهروه بعد وفاته.

وروى الزبير بن بكار في (موفقياته) عن ابن عباس قال: إنّي لأُماشي

(١) السقيفة: ٥٢، والنقل بتلخيص.

عمر بن الخطاب في سكّة من سكك المدينة إذ قال لي: يا آبن عباس! ما أرى صاحبك إلّا مظلوماً. فقلت في نفسي: والله لا يسبقني بها. فقلت: فاردد إليه ظلامته. فانتزع يده من يدي، ومضى يهمهم ساعة. ثم وقف فلحقته. فقال: يا آبن عباس! ما أظنّ منعهم عنه إلّا انّه استصغره قومه. فقلت في نفسي: هذه شرّ من الأولى. فقلت: والله ما استصغره الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ براءة من صاحبك. فأعرض عنّي وأسرع. فرجعت عنه(١).

وفي (فهرست ابن النديم): قال هشام بن الحكم: ما رأيت مثل مخالفينا عمدوا إلى من ولّاه الله من سمائه فعزلوه، وإلى من عزله من سمائه فولّوه(٢).

وروى الزبير بن بكار أيضاً في (الموفّقيات): عن ابن عباس قال: كنت عند عمر. فتنفّس نفساً ظننت أنّ أضلاعه قد آنفرجت. فقلت له: ما أخرج هذا النفس منك إلّا همٌّ شديد. فقال أي: والله يا ابن عباس إنّي آفتكرت فلم أدر في من أجعل هذا الأمر من بعدي. ثم قال: لعلّك ترى صاحبك لها أهلاً! قلت: وما يمنعه من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه، قال: صدقت ولكنّه امرؤ فيه دعابة ـ إلى أن قال ـ قال عمر: من إن وليها يحملهم على كتاب ربّهم وسنّة نبيّهم لصاحبك أما ان وَلِيَ أمرهم حملهم على المحجّة البيضاء والصراط المستقيم(٣).

قلت: سبحان الله مع اعترافه بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام لو ولي الأمر يحملهم على كتاب ربّهم وسنّة نبيّهم، وعلى المحجّة البيضاء والصراط المستقيم كيف دبّر الأمر لعثمان الّذي كان يعرف أنّه لو ولّي يردّهم إلى

(١) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٠٥، شرح الخطبة ٢٢٦.

(٢) تكملة الفهرس: ٢٢٤.

(٣) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٠٦، شرح الخطبة ٢٢٦، لكن لا عن الزبير بن بكار بل روى حديثاً آخر قبل هذا عن موفقيات الزبير بن بكار والنقل بتصرف يسير.

الجاهلية الأُولى؟! وكيف لا وساعة جلوسه في الخلافة جاهر أبو سفيان في محضره: يا بني أُميّة تداولوها تداول الكرة فلا جنّة ولا نار.

وأمّا رميه له عليه السلام بالدعابة؛ فإنّما كان لأنّه عليه السلام لم يكن مثله عبوساً بصفة الجبّارين، بل كان بشره في وجهه الّذي هو صفة المؤمنين.

وروى ابو عمر في (آستيعابه) عن ابن عمر. قال: قال عمر لأهل الشورى: لله درّهم إن ولّوها الأصيلع كيف يحملهم على الحقّ، ولو كان السيف على عنقه. فقلت: أتعلم ذلك منه ولا تولّيه. قال: إن لم أستخلف فأتركهم؛ فقد تركهم من هو خير منّي[1].

قلت: يالله للجواب، ولحمق أتباعه، لكن لا غرو. قال تعالى في فرعون: ﴿فاستخفّ قومه فأطاعوه﴾[2]، ولو كان الأمر كما ذكروا من عدم لزوم تعيين النبي لخليفته وتكون بيعة الناس تجعل انساناً إماماً يكون من خالفه خارجياً مباح الدم يلزم أن يصير ولي الله عدوّاً لله، وبالعكس لو بايع الناس مخالف الأول مع كون عملهما مع الله تعالى بعد ذلك عملهما معه جلّ وعلا قبل بلا تغيير ولا تبديل، ولا زيادة ولا نقصان.

ولمّا حارب المهلب مع الخوارج بسولاف من قبل مصعب بن الزبير ثمانية أشهر ثم قتل مصعب بلغ ذلك الخوارج، ولم يبلغ المهلّب وأصحابه فناداهم الخوارج ألا تخبروننا ما قولكم في مصعب؟ قالوا: إمام هدى. قالوا: فهو وليّكم في الدنيا والآخرة. قالوا: نعم. قالوا: فما قولكم في عبد الملك بن مروان؟ قالوا: ذاك اللعين آبن اللعين نحن إلى الله منه بُراء، وهو عندنا أحلّ دماً منكم. قالوا: فأنتم منه بُراء في الدنيا والآخرة، قالوا: نعم. كبراءتنا منكم. قالوا:

(١) الاستيعاب ٣: ٦٤.

(٢) الزخرف: ٥٤.

وأنتم له أعداء أحياءً وأمواتاً. قالوا: نعم. نحن له أعداء كعداوتنا لكم. قالوا: فإنّ إمامكم مصعباً قد قتله عبد الملك، ونراكم ستجعلون غداً عبد الملك إمامكم وأنتم لا تتبرّؤون منه وتلعنون أباه. قالوا: كذبتم يا أعداء الله. فلمّا كان من الغد تبيّن لهم قتل مصعب. فبايع المهلّب الناس لعبد الملك. فأتتهم الخوارج فقالوا: ما تقولون في مصعب؟ قالوا: يا أعداء الله لا نخبركم ما قولنا فيه، وكرهوا أن يكذّبوا أنفسهم عندهم قالوا: فقد أخبرتمونا أمس أنّه وليّكم في الدنيا والآخرة، وأنّكم أولياؤه أحياءً وأمواتاً؛ فأخبرونا ما قولكم في عبد الملك؟ قالوا: ذاك إمامنا وخليفتنا ولم يجدوا إذ بايعوه بدّاً من أن يقولوا هذا القول. فقالت لهم الأزارقة: يا أعداء الله! أنتم أمس تتبرؤون منه في الدنيا والآخرة، وتزعمون أنّكم له أعداءً أحياءً وأمواتاً. وهو اليوم إمامكم وخليفتكم، وقد قتل إمامكم الّذي كنتم تتولّونه؛ فأيُّهما المُحقُّ وأيُّهما المبطل؟ وأيّهما المهتدي، وأيّهما الضالّ؟ قالوا لهم: يا أعداء الله! رضينا بذلك إذ كان وليّ أُمورنا، ونرضى بهذا كما رضينا بذاك. قالوا لهم: لا والله، ولكنكم إخوان الشياطين، وأولياء الظالمين، وعبيد الدنيا.

وأقول للخوارج: إنّ ذلك يلزم عليكم بعد إقراركم بإمامة صدّيقكم وفاروقكم، وخروجكم عن الإلتزام بلازمه لكونه واضح البطلان التزام بالتضاد والتناقض، و خلاف المعقول. فمن أقرّ بملزوم لابد أن يقرّ بلازمه.

وأقول لفاروقهم قولك: «إن لم أستخلفهم فأتركهم فقد تركهم من هو خيرٌ منّي» مضحك للثكلى. فكيف تركهم فقد أراد كتابة وصيّة وتعيين وصيّه كتابة حتّى لا يمكنك إنكاره، وكنت تعرف ذلك كما أقررت به في اعتذارك عن منعه. فقلت: ان الرجل ليهجر حسبنا كتاب الله، مع عدم معرفتك بشيء منه حتّى سخط وأخرجك من عنده.

ثم كيف تركتهم، وقد استخلفت بني أمية الشجرة الملعونة في القرآن[١].

وفي (إيضاح الفضل بن شاذان): روى يزيد بن هارون، عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي قال: قال ابن عباس: لقي رجل من أهل الشام أبي بالجابية فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: لست للمؤمنين بأمير وهو ذاك -وأشار إلى عمر وكان بالقرب- وانا والله أحقّ بها منه، فسمعها عمر. فقال له: أحقّ بها منّي ومنك رجل خلّفناه في المدينة -يعني علياً عليه السلام[٢].

قلت: نقلنا قصصاً عن عمر في قوله عليه السلام: «وإنّه ليعلم أنّ محلي منها محلّ القطب من الرحى» مع كون المراد به أبا بكر لأنّهما كانا كنفس واحدة، ولأنّه إنّما كان هو الناصب لأبي بكر كما اعترف به النظام، نصبه ليردّ الأمر إليه كما صرّح به أمير المؤمنين عليه السلام مع انّه كان أيّام خلافة أبي بكر شريكه في الخلافة أيضاً كما لا يخفى عند من كان له إلمام بالتاريخ.

ثم إنّه كما علم أبو بكر أوّل من تقمّص بها بكونه عليه السلام أولى بها من كلّ أحد كذلك كلّ من تصدّى لها إلى الآخر إلّا أنّهم تبعوا الأوّل وتظاهروا به لكونه أسّس لهم رياسة ودنيا عظيمة. فخطب داود بن علي لمّا بويع السفّاح، وقال: «لم يصعد هذا المنبر بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حقّاً إلّا عليّ بن أبي طالب والسفّاح».

وروى الطبري في أحوال المهدي: أنّ أبا عون عبد الملك بن يزيد مرض فعاده المهدي وسأله حاجته. فقال: حاجتي أن ترضى عن عبدالله بن أبي عون وتدعو به. فقد طالت موجدتك عليه. فقال: يا أبا عون! إنّه على غير الطريق وعلى خلاف رأينا ورأيك، إنّه يقع في الشيخين أبي بكر وعمر ويسيئ القول

---

(١) بالنظر الى قوله تعالى في الاسراء: ٦٠.

(٢) الايضاح: ٩٠، والنقل بتصرف يسير.

فيهما. فقال أبو عون: هو والله على الأمر الّذي خرجنا عليه، ودعونا إليه. فإن كان قد بدا لكم فمروا بما أحببتم حتى نطيعكم(١).

وفي (الأغاني) عن أبي سليمان الناجي قال: جلس المهدي يوماً يعطي قريشاً صلات أمر لهم بها وهو وليُّ عهد. فبدأ ببني هاشم ثم بسائر قريش. فجاء السيّد الحميري، ودفع إلى الربيع رقعة مختومة وإذا فيها:

قل لابن عباس سميّ محمّد ... لا تعطينّ بني عَدِيٍّ درهما
واحرم بني تيم بن مرّة إنّهم ... شرّ البرية آخراً ومقدما
إن تعطهم لا يشكروا لك نعمة ... ويكافئوك بأن تذمّ وتشتما
ولئن منعتهم لقد بدؤوكم ... بالمنع إذ ملكوا فكانوا أظلما
منعوا تراث محمّد أعمامه ... وبنيه وابنته عديلة مريما
وتأمّروا من غير أن يستخلفوا ... وكفى بما فعلوا هنالك مأثما
لم يشكروا لمحمّد إنعامه ... أفيشكرون لغيره ان أنعما
والله منَّ عليهم بمحمّد ... وكسا الجنوب وأطعما
ثم انبروا لوصيّه ووليّه ... بالمنكرات فجرّعوه العلقما

فرمى بها إلى عبيد الله الوزير ثم أمر بقطع العطاء فانصرف الناس وأدخل السيّد عليه. فلمّا رآه ضحك، وقال: قد قبلنا نصيحتك يا إسماعيل... ويأتي كلام الناصر العباسي(٢).

وأمّا قول أبي بكر في إظهاره الشكّ في احتضاره. فقد قال كما في (خلفاء ابن قتيبة): «ليتني سألته (أي النبيّ ﷺ) لمن هذا الأمر من بعده فلا ينازعه فيه أحد»(٣) فيقال له في قوله «ليتني سألته لمن هذا الأمر من بعده» ليت

---

(١) تاريخ الطبري ٦: ٤٠٠، سنة ١٦٩، والنقل بتلخيص.

(٢) الأغاني ٧: ٢٤٣، والنقل بتلخيص.

(٣) رواه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١: ١٩، والطبري في تاريخه ٢: ٦٢٠، سنة ١٣، وغيرهما.

صاحبك خلّاه يقول ذلك، لكن الرزية كلّ الرزية كما قال ابن عباس وكان كلّما ذكر ذلك قال ذلك ويبكي بكاء الثكلى منع صاحبك له عن ذلك مع انّه يكفي في خزي اتباعه شكّ متبوعهم في أمر نفسه.

وروى محمّد بن يعقوب الكليني عن الأصبغ قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما بال أقوام غيّروا سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعدلوا عن وصيّه لا يتخوّفون أن ينزل بهم العذاب؟!! ثم تلا هذه الآية: ﴿ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار جهنّم﴾[1] ثم قال: نحن النعمة الّتي أنعم الله بها على عباده، وبنا يفوز من فاز يوم القيامة[2].

هذا. وفي (روضة المناظر): اتّفق الملك العادل أبو بكر أخو السلطان صلاح الدين، والملك العزيز عثمان بن صلاح الدين على أخذ دمشق من الملك الأفضل عليّ بن صلاح الدين، وحاصراه. فدخل أبو بكر من باب توما، وعثمان من باب العرج، فسار عليّ إلى صرخد، وكتب إلى الخليفة الناصر العباسي يشكو من عمّه وأخيه:

مولاي إنّ أبا بكر وصاحبه ... عثمان قد أخذا بالجور حقّ علي
فانظر إلى حظّ هذا الأسم كيف لقي ... من الأواخر ما لقى من الاوّل

فأجابه الخليفة الناصر العباسي:

غصبوا عليّاً حقّه إذ لم يكن ... بعد النبي له بيثرب ناصر
فاصبر فإنّ غداً عليه حسابهم ... وآبشر فناصرك الإمام الناصر[3]

«ينحدر» أي: ينهبط.

---

(١) إبراهيم: ٢٨ و٢٩.

(٢) الكافي ١: ٢١٧ ح ١.

(٣) روضة المناظر ٢: ١٠٦، والنقل بتصرف في اللفظ.

«**عنّي السيل**» من سال الماء.

«**ولا يرقى**» أي: لا يصعد.

«**إليّ الطير**» شبّه عليه السلام علوه المعنوي بجبل عال لا يقدر الطير من كثرة علوه أن يصعد إليه، وقال الشاعر «عال يقصّر دونه اليعقوب» واليعقوب ذكر الحجل، وقال الأعشى:

في مجدل شيّد بنيانه يزلّ عنه ظفر الطائر

وقال امرؤ القيس:

نيافا تزلّ الطير عن قذفاته

هذا، وقال كعب الأشقري في فتح يزيد بن المهلّب قلعة نيزك ببادغيس وكانت في غاية الإرتفاع، وكان نيزك يعظّمها حتّى إذا رآها سجد لها:

نفى نيزكا عن بادغيس ونيزك بمنزلة أعيى الملوك اغتصابها

محلّقة دون السماء كأنّها غمامة صيف زلّ عنها سحابها

ولا يبلغ الأروى شماريخها العلى ولا الطير إلّا نسرها وعقابها

وما خوّفت بالذئب ولدان أهلها ولا نبحت إلّا النجوم كلابها

نقل الصدوق في (معاني أخباره) عن أبي أحمد العسكري قال: معنى قوله عليه السلام «ينحدر عنّي السيل ولا يرقى إليّ الطير» أنّ الخلافة ممتنعة على غيري، ولا يتمكّن منها، ولا تصلح له[1].

قلت: ما قاله إنّما هو معنى قوله عليه السلام قبل ذلك: «انّ محلي منها محلّ القطب من الرحى» وامّا هذا الكلام فمعناه علوّ مقامه بحيث لا يمكن لأحد أن يناله.

وعلو مقامه هو أحد أسباب إعراض الناس عنه عليه السلام، قال أبو زيد

---

(١) معاني الاخبار: ٣٦٢، وعلل الشرائع ١: ١٥٢.

النحوي: قلت للخليل العروضي: لِمَ هجر الناس علياً عليه السلام وقرباه، من النبيّ صلى الله عليه وآله قرباه، وموضعه من الإسلام موضعه؟ فقال: «والله بهر نوره أنوارهم، وغلبهم على صفو كلّ منهل، والناس إلى أشكالهم أميل. أما سمعت قول الأوّل:

وكلّ شكل لشكله ألف   أما ترى الفيل يألف الفيلا؟[١]

وقال يونس النحوي أيضاً قلت للخليل: ما بال أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله كأنّهم بنو أُمّ واحدة، وعليٌّ كأنّه ابن علّة؟ قال: تقدّمهم إسلاماً، وبذّهم شرفاً وفاقهم علماً، ورجحهم حلماً وكثرهم هدىً فحسدوه، والناس إلى أمثالهم وأشكالهم أميل[٢].

وفي (عيون المفيد): اتفق الناس على النقل عن أمير المؤمنين عليه السلام رجزه في صفّين:

أنا عليٌّ صاحب الصمصامة   وصاحب الحوض لدى القيامة
أخو نبي الله ذي العلامة   قد قال إذ عمّمني العمامة
أنت أخي ومعدن الكرامة   ومن له من بعدي الإمامة[٣]

وكيف لا يكون مقامه عليه السلام بذاك الشموخ، وكتاب الله تعالى في تنزيله جعله نفس النبيّ صلى الله عليه وآله، والنبيّ صلى الله عليه وآله جعل في المتواتر عنه يوم أُحد لمّا قال جبرئيل عليه السلام له صلى الله عليه وآله تعجباً من حمايته عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله نفسه منه عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله لجبرئيل: «كيف لا يواسيني عليٌّ، وهو منّي وأنا منه» كما جعل جبرئيل نفسه منه عليه السلام كما جعلها منه صلى الله عليه وآله فقال للنبي صلى الله عليه وآله بعد

(١) رواه الصدوق في علل الشرائع ١: ١٤٥ ح ١، والنقل بتصرف يسير.

(٢) رواه السروي في مناقبه ٣: ٢١٣، والسائل هنا ايضاً ابو زيد.

(٣) رواه عنه الشريف المرتضى في الفصول المختاره ٢: ٢٣٤ .

كلامه ذاك «وأنا منكما»[١].

«فسدلت» أي: أرخيت.

«دونها» أي: دون الخلافة.

«ثوباً» والكلام كناية عن إعراضه عنها، كمن يضرب الحجاب بينه وبين من يعرض عنه.

وفي (إيضاح الفضل): قال المأمون لفقهاء العامة: قال عليّ عليه السلام: قبض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وأنا أولى بمجلسه مني بقميصي، ولكنّي أشفقت أن يرجع الناس كفّاراً[٢].

«وطويت عنها كشحاً» قال ابن أبي الحديد: أي: حرمتها قالوا: لأنّ من كان إلى جانبك الأيمن مثلاً فطويت كشحك الأيسر فقد ملت عنه والكشح ما بين الخاصرة والجنب. وعندي انّهم أرادوا غير ذلك، وهو أنّ من أجاع نفسه. فقد طوى كشحه كما أنّ من أكل وشبع فقد ملأ كشحه، فكأنّه أراد انّي اجعت نفسي عنها ولم ألتهمها[٣].

قلت: إنّما يجيء «طوى بطنه» بمعنى الجوع كما في الخبر «واترك أهل الصفّة تطوى بطونهم»[٤] وأما «طوى كشحه» فلا يجيء إلّا بمعنى الإعراض إذا عُدِّيَ بعن كما في كلامه عليه السلام، أو بتقديرها كما في قول الشاعر:

أخ قد طوى كشحاً وأبّ ليذهبا

وقال آخر:

وصاحب لي طوى كشحاً فقلت له إنّ انطواءك هذا عنك يطويني

---

(١) رواه جمع كثير منهم ابن هشام في السيرة ٣: ٤٣، والكليني في الكافي ٨: ١١٠ ح ٩٠، غيرهما.

(٢) لم يوجد في الايضاح، بل رواه الصدوق في عيون الاخبار ٢: ١٨٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٥٠.

(٤) النهاية ٣: ١٤٦، مادة (طوي).

وأمّا إذا عُدّيَ بعلى فبمعنى الإخفاء كما قال زهير في حصين بن ضمضم في حرب داحس والغبراء.

وكان طوى كشحاً على مستكنّة فلا هو أبداها ولم يتجمجم

وفي (اللسان): أراد «بالمستكنّة» عداوة أكنّها في ضميره[١].

وبالجملة قوله عليه السلام: «وطويت عنها كشحاً» كقوله عليه السلام: «وسدلت دونها ثوباً»، كناية عن إعراضه عليه السلام عن الخلافة وتصدّي الأمر، وابن أبي الحديد خلط بين طيّ البطن وطيّ الكشح.

ثم طيّ الكشح لا يختصّ بمن كان على أيمنك فطويت أيسرك عنه كما قال ابن أبي الحديد بل يجيء للعكس أيضاً بل قوله: فطويت أيسرك عنه غير صحيح. فمن كان على أيمنك تطوى أيمنك أولاً عنه إذا أعرضت عنه، وبطيّ الأيمن يحصل طيّ الأيسر.

ثم انّه عليه السلام أعرض عن الخلافة، وسدل دونها ثوباً، وطوى عنها كشحاً لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أخبره بكيفيّة معاملة الناس معه عليه السلام بعده فقال له «انّ الأمّة ستغدر بك بعدي»[٢].

وروي انّ الأشعث بن قيس قاله له: ما منعك يا ابن أبي طالب حين بويع أخو بني تيم، وأخو بني عدي، وأخو بني أُميّة أن تقاتل وتضرب بسيفك، وأنت لم تخطبنا خطبة مذ كنت قدمت العراق إلّا قلت فيها قبل أن تنزل عن المنبر «والله إنّي لأولى الناس، ومازلت مظلوماً مذ قبض رسول الله» فما يمنعك أن تضرب بسيفك دون مظلمتك ؟

قال: يا ابن قيس إسمع الجواب. لم يمنعني من ذلك الجبن، ولا كراهة

---

(١) لسان العرب ١٥: ١٩، مادة (طوي).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣: ١٤٠ و١٤٢، والثقفي، وعنه تلخيص الشافي ٣: ٥٠ ـ ٥١، وجمع آخر غيرهما.

للقاء ربّي، ولكن منعني من ذلك أمر النبيّ ﷺ وعهده إليّ. أخبرني بما الأمّة صانعة بعده. فلم أكُ بما صنعوا حين عاينته بأعلم به، ولا أشدّ استيقاناً منّي به قبل ذلك. فقلت: يا رسول الله، فما تعهد إليّ إذا كان ذلك؟ قال: إن وجدت أعواناً فانبذ إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً. فكفّ يدك، وأحقن دمك حتى تجد على إقامة الدين وكتاب الله وسنّتي أعواناً، وأخبرني أنّ الأُمة ستخذلني وتبايع غيري، وأخبرني أنّي منه بمنزلة هارون من موسى، وأنّ الأمّة سيصيرون بعده بمنزلة هارون، ومن تبعه، والعجل ومن تبعه إذ قال له موسى: ﴿يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا ألّا تتّبعن أفعصيت أمري قال يا ابن أُم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إنّي خشيت أن تقول فرّقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي﴾[١] ـ الخبر[٢].

ولم يحضر عليه السلام السقيفة كما حضروا لأمرين:

أحدهما: انّه كان مشتغلاً بدفن النبيّ ﷺ فكانوا يقولون له عليه السلام بعد سماع احتجاجه عليهم: «لو سمعت الأنصار كلامك قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلفت عليك» فكان عليه السلام يقول: «أفكنت أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه، وأخرج أُنازع الناس بسلطانه»[٣].

والثاني: أنّ الإمام بمنزلة الكعبة يجب على الناس أن يأتوها لا أن تأتيهم هي.

«وطفقت» طفق: من أفعال الشروع قال تعالى: ﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة﴾[٤].

---

(١) طه: ٩٢.

(٢) رواه سليم بن قيس في كتابه: ١٢٦ و١٢٧.

(٣) رواه الجوهري في السقيفة: ٦١، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١: ١٢، والنقل بالمعنى.

(٤) الاعراف: ٢٢.

«ارتئي بين أن أصول»: من الصولة بمعنى الحملة.

«بيد جذاء» أي: مقطوعة قال تعالى: ﴿فجعلهم جذاذاً إلّا كبيراً لهم﴾[(١)].

وقال جل وعلا: ﴿عطاءً غير مجذوذ﴾[(٢)].

ويحتمل أن يكون «بيد جدّاء» بالمهملة أيضاً بذاك المعنى كقولهم: «أرض جدّاء» أي: لا ماء بها «وشاة جداء» لا لبن لها، وكقول الشاعر:

أبى حبّي سليمى أن يبيدا ... وأمسى حبلها خلقاً جديدا[(٣)]

وأمّا كونه: «بيد حذّاء» بالحاء كما احتمله ابن أبي الحديد[(٤)] وجعله بذاك المعنى فلا وجه له. فإنّه بمعنى السريع الخفيف يقال: «سيف أحذّ» أي: سريع القطع «وناقة حذّاء»: سريعة السير، «وقطاة حذّاء»: سريعة الطيران، «وحاجة حذّاء»: سريعة النفاذ والنجح، «وعزيمة حذّاء»: ماضية لا يلوي صاحبها على شيء. قال الراعي:

وطوى الفؤاد على قضاء عزيمة ... حذّاء واتّخذ الزماع خليلا

وأمر أحذُّ ينفلت من كلّ أحد لا يقدر على تداركه. قال الطرمّاح:

يقري الأمور الحذّ ذا أربة ... في ليّها شزراً وأمرارها

ورجل أحذّ أي: خفيف اليد. قال الفرزدق:

بعثت على العراق ورافديه ... فزاريا أحذّ يد القميص

وقلب أحذّ: سريع الإدراك. قال طرفة:

وأروع نبّاض أحذّ ململم ... كمرداة صخر في صفيح منضّد[(٥)]

---

(١) الانبياء: ٥٨.

(٢) هود: ١٠٨.

(٣) أورده لسان العرب ٣: ١١١، مادة (جديد).

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٥١.

(٥) أورد الشواهد الأربعة في الأساس: ٧٧، مادة (حذّ).

وفي كلامه عليه السلام: «انّ الدنيا قد ولّت حذّاء»[١] أي: سريعة خفيفة، وحينئذٍ فلو جعل هنا قوله عليه السلام: «بيد حذّاء» بالحاء يصير المعنى عكس المراد كما لا يخفى.

قال ابن قتيبة في (خلفائه): خرج عليّ ـ كرّم الله وجهه ـ يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على دابّة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة. فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله! قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به. فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم[٢].

وفي خطبته عليه السلام الطالوتية: أما والله لو كان لي عدّة أصحاب طالوت، أو عدّة أهل بدر، وهم أعداؤكم لضربتكم بالسيف حتّى تؤولوا إلى الحق، وتنيبوا للصدق ـ إلى أن قال ـ والله لو أنّ لي رجالاً ينصحون لله ولرسوله بعدد هذه الشياه ـ وأشار إلى ثلاثين شاة ـ لأزلت ابن آكلة الذباب عن ملكه ـ الخبر[٣].

«أو اصبر على طخية عمياء» قال أبو أحمد العسكري في تفسير الخطبة: للطخية موضعان: أحدهما: الظلمة، والآخر: الغمّ والحزن، وهو هاهنا يجمع الظلمة والغمّ والحزن[٤].

قلت: الظاهر أنّه إنّما قال هاهنا يجمعهما لوصفها بعمياء فكأنّه قال طخية بجميع معانيها.

قال ابن أبي الحديد: انّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، وتقديره: ولا يرقى إليّ الطير فطفقت ارتئي بين كذا وكذا فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى فسدلت

---

(١) نهج البلاغة ١: ٩٣، الخطبة ٤٢.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٢.

(٣) رواه الكليني في الكافي ٨: ٣٢ و٣٣.

(٤) العلل ١: ١٥٢، والمعاني: ٣٦٢، والنقل بتلخيص.

دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً ثم وصبرت وفي العين قذى إلى آخر القصة لأنّه لا يجوز أن يسدل دونها ثوباً ويطوي عنها كشحاً ثم يطفق يرتئي بين أن ينابذهم أو يصبر -إلى أن قال- والتقديم والتأخير طريق لاحب وسبيل مهيع في لغة العرب قال تعالى: ﴿الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً﴾ أي أنزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً"(١).

قلت: بل لا تقديم ولا تأخير، وانما الكلام من باب الاجمال والتفصيل فأجمل عليه السلام أوّلاً إعراضه بقوله: «فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً» وفصّل ثانياً بقوله: «وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء أو اصبر على طخية عمياء».

فشرع عليه السلام يفكّر فرأى أمره دائراً بين محذورين صولة غير منتجة، وغمضة مؤلمة، والمحذور الثاني أقرب إلى العقل فاختاره.

ولولاه لما كان لإعراضه وجه، ولذا لم يعرض عليه السلام بعد عثمان وقام وقاتل وقال في قتاله مخالفيه «لم يسعني إلّا القتال أو الكفر بما نزل على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم»(٢).

والتقديم والتأخير في لغة العرب وإن كان كثيراً حتّى عقد له الثعالبي في (سرّ عربيّته)(٣) بابين لكنّه طريق آخر ليس مثل ما قال في كلامه، ولا آختصاص له بلغة العرب بل سائر في جميع اللغات، وأمّا ما لفّقه في بيان ترتيب كلامه عليه السلام فهو خارج عن طريق المحاورة عند الكلّ.

«**يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير**» قال ابن أبي الحديد: يمكن أن

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٥١.

(٢) رواه المفيد في اماليه: ١٥٤ ح ٥، المجلس ١٩، ولفظ: «ثم لم اجد إلا قتالهم او الكفر بالله» رواه غيره ايضاً.

(٣) أنظر كتاب الثعالبي: «فقه اللغة وسر العربية».

يكون من باب الحقائق يعني به طول ولاية المتقدّمين عليه، ومن باب المجازات يعني به صعوبة تلك الأيام حتّى أن الكبير يكاد يهرم والصغير يشيب من أهوالها[١].

قلت: قوله عليه السلام «يهرم...»: صفة لقوله عليه السلام «طخية عمياء» وحينئذٍ فالمراد شرح حاله عليه السلام في أوّل الأمر يوم تصدّي أبي بكر للأمر فيتعيّن أنّ كلامه عليه السلام من باب الاستعارة.

قال عليه السلام ذلك لأن أبا بكر فعل أفعالاً شنيعة حتى ان بعضها لم يرضها عمر منها قتل خالد بن الوليد واليه لمالك بن نويرة بتهمة الإرتداد، وزناه بامرأته ليلة قتله. فترك أبو بكر الحدّ والقود عليه. قال الجزري في (كامله): لمّا قدم خالد البطاح بعث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام، وأن يأتوه بكلّ من لم يجب، وإن آمتنع ان يقتلوه ـ إلى أن قال بعد ذكر قتله مالكاً ووطيه آمرأته، وبلوغ خبره إلى المدينة ـ قال عمر لأبي بكر: إنّ سيف خالد فيه رهق، وأكثر عليه في ذلك فقال: يا عمر! تأوّل خالد فأخطأ. فارفع لسانك عنه. فإنّي لا أشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين، وودى مالكاً، وكتب إلى خالد أن يقدم عليه ففعل ودخل المسجد وعليه قباء، وقد غرز في عمامته سهماً. فقام إليه عمر. فنزعها وحطّمها وقال له: «قتلت آمرأً مسلماً ثم نزوت على آمرأته، والله لأرجمنّك بأحجارك» وخالد لا يكلّمه يظنّ أنّ رأي أبي بكر مثله، ودخل على أبي بكر. فأخبره الخبر، وآعتذر إليه فعذره وتجاوز عنه، وعنّفه في التزويج الّذي كانت عليه العرب من كراهة أيّام الحرب. فخرج خالد وعمر جالس. فقال له خالد: «هلّم إليّ يا آبن أُمّ شملة» فعرف عمر أنّ أبا بكر رضي عنه. فلم يكلّمه، وقيل: إن المسلمين لمّا غشوا مالكاً وأصحابه ليلاً أخذوا السلاح، فقالوا: نحن

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٥١، والنقل بتلخيص.

المسلمون. فقال أصحاب مالك: ونحن المسلمون. قالوا لهم: ضعوا السلاح. فوضعوه ثم صلّوا. وكان خالد يعتذر في قتله لمالك أنّه قال: ما أخال صاحبكم إلّا قال كذا وكذا فقال له: أو ما تعدّه لك صاحباً ثم ضرب عنقه، وقدم أخوه متمم بن نويرة على أبي بكر يطلب بدم أخيه، ويسأله أن يردّ عليه سبيهم، فأمر أبو بكر بردّ السبي، وودى مالكاً من بيت المال[1].

وقال الجزري أيضاً في (كامله): كان أوّل كتاب كتبه عمر ـ لمّا ولي ـ بتولية أبي عبيدة جند خالد، وبعزل خالد لأنّه كان ساخطاً عليه في خلافة أبي بكر كلّها لوقعته بمالك بن نويرة، وما كان يعمل في حربه، وأوّل ما تكلّم به عزل خالد، وقال: لا يلي لي عملاً أبداً. وكتب إلى أبي عبيدة إنْ أكذبَ خالد نفسه فهو الأمير على ما كان عليه، وإن لم يَكذب نفسه؛ فأنت الأمير على ما هو عليه، إنزع عمامته عن رأسه، وقاسمه ماله. فذكر أبو عبيدة ذلك لخالد، فاستشار خالد أُخته، وكانت عند الحرث بن هشام. فقالت: والله لا يحبّك عمر أبداً، وما يريد إلّا أن تُكذب نفسك ثم ينزعك. فقبّل رأسها، وقال: صدقت. فأبى أن يكذب نفسه. فأمر أبو عبيدة بنزع عمامة خالد ـ الخ[2].

وروى أنّ عمر قال يوماً في خلافته لخالد: أنت الذي قتلت مالكاً. فقال ان كنت قتلت خالداً لهنات كانت بيني وبينه؛ فقد قتلت لكم سعد بن عبادة لهنات كانت بينكم وبينه[3].

وفي (كامل المبرد): لمّا صلّى أبو بكر، قام متمّم بن نويرة أخو مالك الّذي قتله خالد بحذاء أبي بكر، واتّكأ على سية قوسه، وأومى إلى أبي بكر، وقال:

(١) رواه ابن الاثير في الكامل ٢: ٣٥٨، سنة ١١، وروى بعضه الطبري في تاريخه ٢: ٥٠٢ سنة ١١.

(٢) رواه ابن الاثير في الكامل ٢: ٤٢٧، سنة ١١، والطبري في تاريخه ٢: ٦٢٤، سنه ١١.

(٣) رواه ابوالقاسم الكوفي في الاستغاثة: ١٠، والمجلسي في فتن البحار: ٢٥٧.

أدعوته بالله ثم غررته   لو هو دعاك بذمّة لم يغدر

فقال أبو بكر: والله ما دعوته ولا غررته (وأقول: لعمر الله صدق متمم، وكذب أبو بكر. فهل فعل عامله إلّا فعله مع رضائه به وإمضائه له، ولو كان صدق لتبرأ من فعل خالد ولأقاد متمّما من خالد. نعم هنا لم يكن عمر شريكه حيث أنكره غاية الإنكار الّذي سمعته) إلى أن قال ـ ثم بكى متممّ وآنحطّ على سية قوسه، وكان أعور. فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء. فقام إليه عمر. فقال: لوددت أنّي رثيت أخي زيداً بمثل ما رثيت به أخاك مالكاً[١].

وأقول لأبي بكر في قوله لعمر: «لم أكن لأشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين». بل لم تكن لتشيم سيفاً سللته على المسلمين لتتظاهر بذلك على أمير المؤمنين عليه السلام.

ويالله لإخواننا في تبجّحهم بهذا الرجل بكونه صاحب الغار، ويقتل عامله برضاه جمعاً من المسلمين غدراً، ويقطع هو وجنده رؤوسهم، ويجعلونها أثافيّ قدورهم.

قال الطبري: كان مالك بن نويرة من أكثر الناس شَعراً، وانّ أهل العسكر أثفوا برؤوسهم القدور. فما منهم رأس إلّا وصلت النار إلى بشرته ما خلا مالكاً. فإن القدر نضجت وما نضج رأسه من كثرة شعره[٢].

فهل ينبغي أن يُقال له في عمله ذاك إلّا صاحب العار مع أنّ كونه صاحب الغار أيضاً كان عاراً حيث صار سبباً لاضطراب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتى أنزل الله سكينته على رسوله وأبقاه في عواره، وسمّوه الصدّيق، وهل ذاك

---

(١) رواه المبرد في الكامل ٨: ٢٣١ و٢٣٢، والنقل بتلخيص.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٥٠٣، سنة ١١.

العمل عمل صدّيق أم زنديق.

ومن الغريب أنّ من مسلّماتهم كون خالد سيف الله، ولعمر الله إن كان الاّ سيف أبي بكر. فإن كان أبو بكر إلَهَهُمْ فهو سيف إلَهِهِم لا سيف الله.

ومن المضحك أنّهم وضعوا له أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وصفه بذلك إلّا أنّ الله تعالى الذي يخزي الكاذب فضحهم بأن قالوا لقّبه النبي بذلك لمّا كان بمؤتة وجعلوا الراوي لذلك أبا قتادة. فقال الطبري: قال أبو قتادة: بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم جيش الأُمراء. فقال: عليكم زيد بن حارثة. فإن أُصيب فجعفر، فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة. فوثب جعفر فقال: يا رسول الله ما كنت أذهب إن تستعمل زيداً عليّ، قال: إمض فإنّك لا تدري أيّ ذلك خير. فانطلقوا -إلى أن قال -فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أخبركم عن جيشكم -إلى أن قال بعد ذكر الأخبار عن شهادة عبد الله بن رواحة -قال النبيّ: ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد، ولم يكن من الأُمراء هو أمَّرَ نفسه. ثم قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهمّ انّه سيف من سيوفك فأنت تنصره» فمنذ يومئذ سمّي خالد سيف الله[1].

مع انّ خالداً لمّا رجع من مؤتة مع الجيش جعل الناس يحثون التراب على خالد وجيشه، ويقولون: «يا فرّار في سبيل الله» فهل يقولون لسيف الله فرّار في سبيل الله؟

وان أبا قتادة كان من منكري خالد، وعاهد الله تعالى ان لا يشهد معه حرباً فكيف يمكن أن يكون سمع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سمّاه سيف الله كما وضعوا على لسانه ويعاهد الله تعالى ألا يشهد مع خالد حرباً.

اما انّ خالداً وجيشه لمّا رجعوا كان الناس يقولون لهم: يا فرّار. فقال الطبري قال عروة بن الزبير حين انصرف خالد بن الوليد بالناس قافلاً: لمّا

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٣٢٢، سنة ٨.

دنوا من دخول المدينة تلقّاهم النبيّ ﷺ والمسلمون، وجعل الناس يحثون على الجيش التراب، ويقولون: يا فرّار في سبيل الله ـ وقالت ام سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة: مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع النبيّ ﷺ قالت: والله ما يستطيع أن يخرج، كلّما خرج صاح الناس أفررتم في سبيل الله[١].

واما أنّ أبا قتادة عاهد الله تعالى ان لا يشهد حرباً مع خالد. ففي (الطبري): أنّ أبا قتادة ممّن شهد لمالك بن نويرة بالإسلام، وخاصم خالداً وتركه، وجاء إلى المدينة، وأخبر الناس بغدر خالد بمالك، وعاهد الله تعالى أن لايشهد مع خالد حرباً»[٢].

لكن تلقيب صدّيقهم له بسيف الله محقّق. فقد عرفت انّه قال لعمر: «لم أكن لأشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين» إلّا أنّ فاروقهم حكم بضدّه، وقال له: انّ خالداً سيف فيه رهق، وسيف الله لا يمكن أن يكون فيه رهق.

ومن الغريب أنّهم تارة يقولون إن النبيّ جعل خالداً سيف الله، وأُخرى لما أرادوا أن يضعوا لعبد الرحمن بن عوف وأمثاله فضائل، يروون ما يدلّ على انّ النبيّ ﷺ لم يكن يحسب خالداً من المسلمين حيث لم يجعله من أصحابه، وكلّ أصحابه مسلمون. فروى الطبري ـ في قصّة غدر خالد في زمن النبيّ ﷺ ببني جذيمة الّذين قتلوا عمّه في الجاهلية كما قتلوا عوفاً والد عبد الرحمن بن عوف ـ عن آبن أبي سلمة قال: كان بين خالد وعبد الرحمن بن عوف فيما بلغني كلام في ذلك. فقال له (عبد الرحمن): عملت بأمر الجاهلية في الإسلام. فقال: خالد إنّما ثأرت بأبيك. فقال عبد الرحمن:

(١) تاريخ الطبري ٢: ٣٢٣، سنة ٨، والنقل بتلخيص.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٥٠٢، سنة ١١، والنقل بالمعنى.

كذبت قد قتلت قاتل أبي،ولكنك إنّما ثأرت بعمّك الفاكه حتى كان بينهما شيء. فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فقال: مهلاً يا خالد دع عنك أصحابي. فوالله لو كان لك أحد ذهباً ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته[1].

ثمّ من العجب أنّهم لم يعنونوا مالكا في كتبهم في الصحابة مع أنّهم يعنونون المنافقين فلم يذكره ابن مندة في كتابه، ولا أبو نعيم في كتابه، ولا أبو عمر في استيعابه ولا غيرهم ممّن كتب في الصحابة.

وقد تعجّب ابن الأثير الذي جمع أقوال أُولئك الثلاثة في كتابه (أُسد الغابة) مع شدّة نصبه من ذلك. فعنونه من نفسه، ونقل ترجمته من (تاريخ الطبري)، وقال: «هذا يدلّ على انّ مالكاً لم يرتدّ، وقد ذكروا في الصحابة أبعد من هذا فتركهم هذا عجب، وعمر يقول لخالد: «قتلت امرأ مسلماً».

وأبو قتادة يشهد أنّهم أذّنوا وصلّوا، وأبو بكر يردُّ السبي ويعطي ديّة مالك من بيت المال. فهذا جميعه يدلّ على أنّه مسلم، ووصف متمّم أخاه مالكاً. فقال «كان يركب الفرس الحرون، ويقود الجمل الثقال وهو بين المزادتين النضوحتين في الليلة القرّة، وعليه شملة فلوت معتقلاً رمحاً خطيّاً. فيسري ليلته ثم يصبح وجهه ضاحكاً كأنّه فلقة قمر»[2].

وأقول للجزري: لا تلم أصحابك في ذلك. فإنّهم أرادوا إخفاء عار صاحب غارهم، وهل كان جوابه لأخيه في قوله: «أدعوته بالله ثم غررته» «والله ما دعوته ولا غررته» جواباً؟ هل قال له: أنت بشخصك فعلت كذا حتى يجيبه بما أجاب؟ وهل جوابه إلّا جواب مكابر؟

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٣٤٢، سنة ٨.

(٢) اسد الغابة ٤: ٢٩٦.

كما أنّهم وضعوا له أنّ النبيّ ﷺ سمّاه صدّيقاً لكونه صدّق خبر إسرائه إلى بيت المقدس. فإن كان كذلك. فالمسلمون كلّهم صدّقوا ذلك. فيلزم أن يكونوا كلّهم صدّيقين.

ثم لازم ذلك عدم تصديق فاروقهم، وذي نوريهم لإسرائه إلى بيت المقدس وكان إسراؤه قبل هجرته بسنة، وقد نطق بإسرائه القرآن[١] فيلزم ان يكونا كافرين.

مع ان في خبرهم: أن النبيّ ﷺ قال لجبرئيل عليه السلام: إنّ قومي لا يصدّقوني فقال جبرئيل «يصدّقك أبو بكر وهو الصدّيق»[٢] ولا ربط للجواب. فإنّ مراد النبيّ ﷺ بقومه قريش الكفّار فأيّ فائدة لتصديق أبي بكر له، وهو أحد أصحابه.

والدليل على ان المراد بقومه قريش الكفّار قوله تعالى: ﴿وقال الرسول يا ربّ إنّ قومي اتّخذوا هذا القرآن مهجورا﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وكذّب به قومك وهو الحقّ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ولمّا ضُرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون﴾[٥].

فإن كانت الألقاب جزافاً كألقاب العباسيّة المتوكل على الله، والمعتصم بالله، وغير ذلك فلا مشاحّة، فكم اسم ليس تحته مسمّى، بل كم اسم مسمّاه بالضدّ كما قيل بالفارسية:

بر عكس نهند نام زنگى كافور

---

(١) أنظر الآية الأُولى من الاسراء.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣ ق ١: ١٢٠.

(٣) الفرقان: ٣٠.

(٤) الانعام: ٦٦.

(٥) الزخرف: ٥٧.

وان كانت عن حقيقة، فلابد ان يعاين في الملقّب علائم المعنى كما قال الذي نجا من صاحبي يوسف عليه السلام له عليه السلام لمّا كان شاهد في السجن صدقه في أعماله وأقواله ﴿يوسف ايُّها الصدّيق أفتنا في سبع بقرات﴾ الآية[1].

والرجل لم يكن صادقاً فضلاً عن كونه صدّيقاً. فللصادق أوصاف ذكرها الله تعالى في قوله ﴿ولكنّ البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيّين وآتى المال على حبّه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أُولئك الذين صدقوا﴾[2].

أثبتوا وجود واحد من هذه الأوصاف فيه بالبرهان لا بما بذل معاوية الأموال في الوضع والجعل له ولصاحبه؛ تضعيفاً لأمر حجّة الله.

وكيف وفقدانه لكثير منها بالعيان. فلم يصبر في البأساء والضرّاء إذ كان في الغار حتى نهاه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن الجزع، وبقي مضطرباً لتخصيص الله تعالى إنزال السكينة بنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم.

ولم يصبر حين البأس. فأخذ هو كصاحبه الراية في خيبر ورجع منهزماً يجبّن أصحابه ويجبنّه أصحابه حتّى قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله» فأعطاها أمير المؤمنين عليه السلام[3].

وفي كلام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هذا إشارة لمن ألقى السمع وهو شهيد انّ الرجل

---

(١) يوسف: ٤٦.

(٢) البقرة: ١٧٧.

(٣) حديث الراية أخرجه جمع كثير منهم مسلم في صحيحه ٤: ١٨٧١ ح ٣٢، والترمذي في سننه ٥: ٦٣٨ ح ٣٧٢٤، وابن ماجه في سننه ١: ٤٥ ح ١٢١.

وصاحبه كانا لا يحبّان الله ورسوله، ولا يحبّهما الله ورسوله.

ويوم حنين قال: «اليوم لن نغلب عن قلّة» ثم انهزم في من آنهزم. فأنزل تعالى فيه: ﴿ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم ولّيتم مدبرين * ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها﴾[(١)].

وأخرجه تعالى هنا أيضاً كآية الغار ممّن أنزل عليه السكينة حيث غيّر الخطاب، وقال: ﴿على المؤمنين﴾ ولم يقل: «وعليكم» فيفهم اخراجه عن المؤمنين أيضاً.

ومن العجب انّهم لم يصفوا أمير المؤمنين عليه السلام بالصدّيق مع كونه أوّل من صدّق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالعيان. قال الإسكافي في (نقض سفيانية الجاحظ): قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لقد صلّت الملائكة عليَّ وعلى عليٍّ سبع سنين، وذلك أنّه لم يصلّ معي رجل فيها غيره.

وقال عبّاد بن عبد الله الأسدي أيضاً: سمعت علياً عليه السلام يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصدّيق الأكبر، لا يقولها غيري إلّا كذّاب. ولقد صلّيت قبل الناس سبع سنين[(٢)].

وفي (الطبري) عن أمير المؤمنين قال: لمّا نزلت على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾[(٣)] دعاني النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ان الله تعالى أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أنّي متى أُباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتّ عليه حتى جاءني جبرئيل وقال: ﴿إن لا تفعل

(١) رواه الواقدي في المغازي ٢: ٨٩٠، وغيره. والآيات ٢٥ ـ ٢٦ من سورة التوبة.

(٢) رواهما عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٢٦١ ـ ٢٦٢، شرح الخطبة ١٩٠.

(٣) الشعراء: ٢١٤.

ما تؤمر به يعذّبك ربّك﴾ فاصنع يا عليُّ لنا صاعاً من طعام، وآجعل عليه رجل شاة، وآملأ لنا عسّاً من لبن، ثم آجمع لي بني عبد المطلب حتّى أُكلّمهم وأُبلّغهم ما أُمرت به. ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له، وهم يومئذٍ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب، وحمزة والعباس وأبو لهب، فلمّا آجتمعوا إليه دعاني بالطعام الّذي صنعت لهم؛ فجئت به. فلمّا وضعته تناول النبيّ ﷺ حذية من اللحم فشقّها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصفحة ثم قال: خذوا بسم الله. فأكل القوم حتّى مالهم بشيء حاجة، وما أرى إلّا موضع أيديهم، وأيم الله الّذي نفس عليّ بيده وان كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمت لجميعهم. ثم قال: إسق القوم. فجئتهم بذلك العسّ. فشربوا حتى رووا منه جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله. فلمّا أراد النبيّ ﷺ أن يتكلّم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: «لقد سحركم صاحبكم» فتفرّق القوم. ولم يكلّمهم النبيّ ﷺ فقال في الغد: ياعلي! انّ هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول. فتفرّق القوم قبل أن أكلّمهم. فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت. ثم آجمعهم إليّ. ففعلت ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطعام، فقرّبته لهم. ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتّى مالهم بشيء حاجة. ثم قال: إسقهم. فجئتهم بذلك العسّ. فشربوا حتّى رووا جميعاً. ثم تكلّم النبيّ ﷺ. فقال: يا بني عبد المطلب! إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به. إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه. فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم. فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت وأنا لأحدثهم سنّاً وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي ثم قال: إنّ هذا أخي ووصيِّي، وخليفتي

فيكم. فاسمعوا له وأطيعوا. فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع. وروي خبر آخر بمضمونه[١].

ومن العجب أنّهم ينقلون استخلاف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له في أوّل أمره فضلاً عن باقي أيّامه ثم ينكرونه. فهل كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مثل الأُمراء الدنيوية يعدون من يؤازرهم مقاماً فإذا استقرّ أمرهم لم يفوا لهم؟

ولو لم يكن نصّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على أمير المؤمنين عليه السلام إلّا هذا لكفاه بعد صراحته. فقد عرفت أنّ القوم قاموا يستهزئون بأبي طالب بأنّ ابن أخيك أوجب عليك طاعة ابنك.

مع انّ النصوص عليه عليه السلام لا تحصى. فان لم يثبت استخلافه بها كما زعمه إخواننا لم يثبت شيءٌ في العالم.

كما أنّهم نقلوا أنّ بعض من قال للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أُوازرك على أمرك على أن أكون خليفتك بعدك أنكر عليهم ذلك. وقال لهم: انّ هذا أمر بيد الله لا بيدي. فكيف جعلوا استخلاف أبي بكر بيد الناس. ففي (تفسير الثعلبي) في قوله تعالى: ﴿له معقّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾[٢] انّ عامر بن الطفيل جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: مالي إن أسلمت؟ قال: لك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم. فقال: تجعل لي الأمر من بعدك. فقال: «ليس ذلك إليّ إنّما ذلك إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ يجعله حيث يشاء»[٣].

وفي (الطبري): لمّا كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يعرض نفسه على القبائل جاء إلى بني كلاب. فقالوا: نبايعك على أن يكون لنا الأمر بعدك. فقال: «الأمر لله فإن شاء

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٦٢، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الرعد: ١١.

(٣) رواه عنه ابن طاووس في الطرائف ٢: ٣٩٥.

كان فيكم أو في غيركم» فمضوا، ولم يبايعوه، وقالوا: لا نضرب لحربك بأسيافنا ثم تحكّم علينا غيرنا[١].

وفي (الطبري) أيضاً قال الزهري: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم اتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه. فقال رجل منهم يُقال له بيحرة بن فراس: والله لو أنّي أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب. ثم قال له: «أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟» قال: «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء» فقال له: «أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا ظهرت كان الأمر لغيرنا؟!»[٢].

وقد قال تعالى: ﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾[٣] وخليفة النبيّ لابدَّ أن يكون من سنخ النبيّ للفرق بين النبوّة والملك: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[٤].

«ويكدح» أي: يكدّ «فيها مؤمن».

«حتى يلقى ربّه»: عرف عليه السلام «الصغير» و «الكبير» ونكّر «مؤمن» إمّا لإرادة التكثير بالصغير والكبير، والتقليل بالمؤمن. فإنّ المؤمن إنّما كان هو عليه السلام وأصحابه، والمستفاد من الأخبار أنّ أصحابه عليه السلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم انّما كانوا ثلاثة: سلمان وأبو ذر والمقداد. ثم صاروا إلى حين وفاة الصدّيقة سبعة، ولم يبلغوا إلى يوم صفّين أربعين، وإمّا لأنّ المراد بالصغير والكبير الجنس، وبمؤمن الشخص أي: نفسه عليه السلام.

---

(١) لم أجده كذلك في تاريخ الطبري، نعم روى حديث دعاء النبي صلى الله عليه وآله بني عامر بن صعصعة بهذا السياق الطبري في تاريخه ٢: ٨٣، وابن هشام في السيرة ٢: ٥١.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٨٤، وسيرة ابن هشام ٢: ٥١.

(٣) القصص: ٦٨.

(٤) الانعام: ١٢٤.

«فرأيت أنّ الصبر على هاتا» أي: هذه الأخيرة وهي الصبر على طخية عمياء يشيب فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه.

«أحجى» أي: أجدر وأخلق بالعقل والشرع من الأولى، وهي الصولة بيد جذّاء لأنّه القاء للنفس إلى التهلكة باليد، وقد نهى الله تعالى عنه ولأنّه يؤدّي إلى رجوع الناس إلى الكفر. فروى الكلبي وقد نقله ابن أبي الحديد: انّه عليه السلام لمّا أراد المسير إلى البصرة خطب فقال: انّ الله لما قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعتنا عن حق نحن أحقّ به من الناس كافّة؛ فرأيت انّ الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين، وسفك دمائهم، والناس حديثو عهدٍ بالإسلام، والدين يمخض مخض الوطب يفسده أدنى وهن، ويعكسه أقلّ خلق[١].

«فصبرت وفي العين قذىً» والقذى: ما يقع في العين من الأذى.

روى (سنن أبي داود) عن حذيفة قال: قلت للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: هل بعد هذا الخير شرّ. قال: فتنة وشر. قلت: هل بعد هذا الشرّ خير. قال: «ياحذيفة! تعلّم كتاب الله واتّبع ما فيه» ـ ثلاث مرار ـ قلت: يا رسول الله! هل بعد هذا الشرّ خير؟ قال: هدنة على دخن، وجماعة على أقذاء فيها أو فيهم. قلت: يا رسول الله! الهدنة على الدخن ما هي؟ قال: لا ترجع قلوب أقوام على الّذي كانت عليه ـ الخبر[٢].

وبمضمون قوله «وفي العين قذى» قول الشاعر:

يكلّفني إغضاء عيني على القذى ... زمان غبيّ جائر الحكم جابره

وقال الهذلي في بنيه:

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ١٠٢، شرح الخطبة ٢٢.

(٢) أخرجه ابو داود في سننه ٤: ٩٦ ح ٤٢٤٦.

فـالعين بـعدهم كأنّ حـداقـها كحلت بشوك فهي عورى تدمع

وقال أيضاً:

كأنّ عيني فيها الصاب مدبوج

والصاب: عصارة شجر مرٌّ.

وقال آخر:

وكان العين خالطها قذاهـا بعوّار فـلم تـقض كـراهـا

وقالت الأُدباء المتأخّرون في الكناية عن الثقيل: «هو بين الجفن والعين قذاة، وبين الأخمص والنعل حصاة».

«وفي الحلق شجا» الشجا: ما ينشب في الحلق من عظم وغيره قال:

ويراني كالشجا في حـلقه عسراً مخرجه ما يـنتزع[1]

صبر عليه السلام أيّام أبي بكر صبر من في عينه قذىً وفي حلقه شجاً لما يرى من أمر آختلاط أُمور الشريعة غير غصب خلافته. فكان من بدعه أخذه الناس بحمل زكواتهم إليه، وترك فقرائهم محتاجين، وتسمية مـن خـالفه فـي ذلك مرتدّاً. مع انّ النـبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمـر بـصرف زكـاة كـلّ مـوضـع إلى مـحتاجيه. وقد عمل بذلك عمر بن عبد العزيز، فـقالوا فـي سـيرته انّـه كـتب إلى عـدي بن أرطاة: «إنّي كنت كتبت إلى عمرو بن عبد الله أن يـقسّم مـا وجـد بـعمّان من عشور التمر، والحبّ في فقراء أهلها، ومن سقط إليـها مـن أهـل البـادية، ومـن اضـافته إليـها الحـاجة والمسكـنة، وانـقطاع السـبيل. فكـتب إليّ انّـه سأل عاملك قبله عن ذلك الطعام والتمر. فذكر انّه بـاعه، وحـمل إليك ثـمنه. فاردد إلى عمرو ما كان حمل إليك عاملك على عمّان من ثـمن التـمر والحبّ

(١) أورده لسان العرب ١٤: ٤٢٣، مادة (شجا)، وأساس البلاغة: ٢٣٠ مادة (شجو).

ليضعه في المواضع التي أمرته بها»(١).

ونقل ابن أبي الحديد في موضع آخر عن شيخه أبي جعفر النقيب أنّ أبا بكر كان يقضي بقضاء، فينقضه عليه أصاغر الصحابه كبلال وصهيب ونحوهما، وقد روى في ذلك عدّة قضايا(٢).

وروى محمد بن يعقوب الكليني في (كافيه) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لقد قضى أمير المؤمنين عليه السلام بقضية ما قضى بها أحد قبله، وكان أوّل قضية قضى بها بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فلمّا قضى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأفضى الأمر إلى أبي بكر أُتيَ برجل قد شرب الخمر، فقال له: أشربت الخمر؟ قال: نعم. قال: ولِمَ وهي محرّمة؟ قال: إنّي أسلمت بين ظهراني قوم يستحلّون الخمر، ولو علمت أنّها حرام لاجتنبتها. فالتفت أبو بكر إلى عمر فقال له: ما تقول في أمره؟ قال: عمر معضلة وأبو الحسن لها. فقال أبو بكر: يا غلام! أُدع لنا عليّاً. فقال عمر: يؤتى الحكم في منزله فأتوه وعنده سلمان الفارسي. فأخبروه بقصّة الرجل. فقال عليه السلام لأبي بكر: «ابعث معه من يدور به على مجالس المهاجرين والأنصار. فمن كان تلا عليه آية التحريم. فليشهد عليه. فإن لم تكن تليت عليه فلا شيء عليه» ففعل أبو بكر بالرجل ما قال عليه السلام. فلم يشهد عليه أحد فخلّى سبيله. فقال سلمان له عليه السلام: لقد أرشدتهم. فقال عليه السلام: إنّما أردت أن أُجدّد تأكيد هذه الآية فيّ وفيهم ﴿أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يُتّبع أمّن لا يهدّي إلاّ أن يهدى فمالكم كيف تحكمون﴾(٣).

وروى محمّد بن الحسن الطوسي في (تهذيبه)، عن القاسم بن محمّد بن

(١) رواه البلاذري في فتوح البلدان: ٨٨.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٤٥٩، شرح الحكمة ٤٠٥، بعد تمام كلام النقيب.

(٣) الكافي ٧: ٢٤٩ ح ٤، والآية ٣٥ من سورة يونس.

أبي بكر: أنّ رجلاً توفّي على عهد أبي بكر، وترك جدّتين: أمّ أُمّه، وامّ أبيه فورّث أبو بكر امّ امّه، وترك الأُخرى، فاعترض عليه أنصاري. فورّثها.

وروى فيه عن قبيصة بن ذؤيب قال: جاءت الجدّة إلى أبي بكر. فقالت: انّ ابن ابني مات. فاعطني حقّي. فقال: ما أعلم لك في كتاب الله شيئاً وسأسأل الناس. فشهد لها المغيرة بن شعبة، فقال: انّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أعطاها السدس. فقال: من سمع معك. فقال: محمّد بن مسلمة. فأعطاها السدس. قال: فجاءت أُمّ الأُمّ. فقالت: إنّ ابن ابنتي مات. فأعطني حقّي. فقال: ما أنتِ التي شهد لها أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أعطاها السدس. فان اقتسمتموه بينكما. فأنتم أعلم[1].

وقال محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد في (إرشاده): رووا أنّ أبا بكر سئل عن قوله تعالى: ﴿وفاكهةً وأبّا﴾[2] فلم يعرف معنى الأبّ من القرآن. فقال: أيّ سماء تظلّني أم أيّ أرض تقلّني أم كيف أصنع إن قلت في كتاب الله بما لا أعلم؟!! أمّا الفاكهة فنعرفها، وأمّا الأبّ فالله أعلم به، فبلغ أمير المؤمنين عليه السلام مقاله ذلك في ذلك فقال: يا سبحان الله! أما علم أنّ الابّ هو الكلاء والمرعى[3] فقال تعالى بعده: ﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾[4].

وسئل أبو بكر عن الكلالة. فقال: أقول فيها برأيي. فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان. فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام. فقال: ما أغناه عن الرأي في هذا المكان! أما علم أنّ الكلالة هم الأُخوة والأخوات من قبل الأب والأُم، ومن قبل الأب على انفرداه، ومن قبل الأم أيضاً على حدتها قال الله تعالى: ﴿يستفتونك قل الله يُفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد

---

(١) رواهما الطوسي في التهذيب ٩: ٣١٤ح ٤٨، وفي الاستبصار ٤: ١٦٣ ح ١٤.

(٢) عبس: ٣١.

(٣) الارشاد: ١٠٧.

(٤) عبس: ٣٢.

وله أُخت فلها نصف ما ترك﴾(١) وقال تعالى ﴿وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أُخت فلكلّ واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث﴾(٢).

وقال: وجاءت الرواية انّ بعض أحبار اليهود جاء إلى أبي بكر فقال: أنت خليفة نبيّ هذه الأُمّة؟ قال: نعم. قال: فإنّا نجد في التوراة أنّ خلفاء الأنبياء أعلم أُممهم. فاخبرني عن الله أين هو أفي السماء أم في الأرض. فقال أبو بكر: هو في السماء على العرش. فقال اليهودي: فأرى الأرض خالية منه، وأراه على هذا القول في مكان دون مكان. فقال له أبو بكر: هذا كلام الزنادقة أعزب عنّي وإلاّ قتلتك. فولّى الحبر متعجباً يستهزئ بالإسلام. فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا يهودي عرفت ما سألت عنه، وما أجبت به. انّا نقول: إنّ الله عزّوجلّ أيّن الأين. فلا أين له، وجلّ عن أن يحويه مكان، وهو في كلّ مكان بغير مماسّة ولا مجاورة، يحيط علماً بما فيها، ولا يخلو شيء منها من تدبيره، وانّي مخبرك بما جاء في كتاب من كتبكم يصدّق ما ذكرته لك. فإن عرفته أتؤمن؟ قال: نعم. قال عليه السلام: ألستم تجدون في بعض كتبكم انّ موسى بن عمران عليه السلام كان ذات يوم جالساً إذ جاءه ملك من المشرق. فقال له موسى عليه السلام: من أين أقبلت. قال: من عند الله عزّوجلّ، ثم جاءه ملك من المغرب. فقال له من أين جئت فقال: من عند الله عزّوجلّ، ثم جاءه ملك. فقال له: جئتك من السماء السابعة من عند الله عزّوجلّ، وجاءه ملك آخر. فقال له: قد جئتك من الأرض السفلى السابعة من عند الله عزّوجلّ، فقال موسى عليه السلام: سبحان من لا يخلو منه مكان،

(١) النساء: ١٧٦.

(٢) الإرشاد: ١٠٧، والآية ١٢ من سورة النساء.

ولا يكون له إلى مكان أقرب من مكان.

فقال اليهودي: أشهد أنّ هذا هو الحقّ، وأنّك أحقّ بمقام نبيّك ممّن استولى عليه[١].

هذا، وفي (ألفاظ كتابيّة الهمداني): «يُقال في التصبّر والاحتمال تجرّع الغصّة وغصّ بالجرعة، وشرق بالريق، وأطرق على المضض، وأغضى على القذى، وأساغ الشجا[٢].

هذا وقالوا: يُقال لحصين بن يزيد الحارثي الّذي رأس مئة سنة بني الحارث بن كعب: ذو الغصّة لأنّه كان في حلقه شبه الحوصلة. لا يبين بها الكلام ومن قبله صارت الغصّة في ولد يحيى بن سعيد بن العاص.

«أرى تراثي» أي: ميراثي من النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

«نهباً» بين تيم وعدي وأُميّة.

قال المغيرة بن شعبة ـ لمّا مات النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لأبي بكر وعمر: وسّعوها في قريش تتّسع. وفي (سنن أبي داود): عن جبير بن مطعم قال: إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يقسم لبني عبد شمس، ولا لبني نوفل من الخمس شيئاً كما قسم لبني هاشم وبني المطلب، وكان أبو بكر يقسم الخمس نحو قسم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم غير أنّه لم يكن يعطي قربى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كما كان يعطيهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم[٣].

وعن الزهري أنّ نجدة الحروري لمّا حجّ في فتنة ابن الزبير أرسل إلى ابن عباس يسأله عن سهم ذي القربى، ويقول: لمن تراه؟ قال ابن عباس: لقربى

---

(١) الارشاد: ١٠٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الالفاظ الكتابية: ٢٧٢، والنقل بتقطيع.

(٣) سنن أبي داود ٣: ١٤٥ ح ٢٩٧٩.

النبيّ ﷺ قسّمه لهم النبيّ ﷺ وقد كان عمر عرض علينا من ذلك عرضاً رأيناه دون حقّنا فرددناه عليه وأبينا أن نقبله[١].

وقال الكميت مشيراً إلى النبيّ ﷺ وأهل بيته كما في (شعراء ابن قتيبة):

يقولون لم يورث ولولا تراثه لما شاركت فيه بكيل وارحب
ولا انتشلت عضوين منها يحابر وكان لعبد القيس عضو مؤرب[٢]

ومن قول الحميري في قصيدته للمهدي:

منعوا تراث محمّد أعمامه وبنيه وابنته عديلة مريما

وفي (طبقات كاتب الواقدي): أنّ الحسين عليه السلام جاء يوماً إلى عمر وهو يخطب على منبر النبيّ ﷺ فقال له: انزل عن منبر أبي. فأخذه فأقعده إلى جنبه، وقال: وهل أنبت الشعر على رؤوسنا إلّا أبوك[٣].

ورواه الخطيب هكذا قال له: انزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك. فقال: لم يكن لأبي منبر، ولمّا نزل قال له: من علّمك. قال: ما علّمني أحد[٤].

وفي (الطبقات) أيضاً: قال علي بن الحسين عليه السلام: أصبحنا في قومنا بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون ان كانوا يذبّحون ابناءنا، ويلعنون سيّدنا وشيخنا على المنابر ويمنعونا حقّنا[٥].

وقال الباقر عليه السلام كما رواه ابن أبي الحديد في عنوان اختلاف الخبر: إنّ النبيّ ﷺ قبض، وقد أخبر أنّا أولى الناس بالناس. فما لات علينا قريش حتّى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجّت على الأنصار بحقّنا وحجّتنا ثم

---

(١) سنن أبي داود ٣: ١٤٦ ح ٢٩٨٢.

(٢) الشعر والشعراء: ٢٢٧.

(٣) رواه عن الطبقات السبط في تذكرة الخواص: ٢٣٤.

(٤) تاريخ بغداد ١: ١٤١، والنقل بتلخيص.

(٥) طبقات ابن سعد ٥: ١٦٢، والنقل بتلخيص.

تداولتها قريش واحداً بعد واحد[١].

وروى الطبري وغيره عن ربيعة بن ناجد أنّ رجلاً قال لعليّ عليه السلام: بم ورثت ابن عمك دون عمّك. فقال عليه السلام هاؤم ـ ثلاث مرّات ـ حتّى اشرأبّ الناس، ونشروا آذانهم ثم قال عليه السلام: دعا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بني عبد المطلب منهم رهطه كلّهم يأكل الجذعة، ويشرب الفرق. فصنع لهم مدّاً من طعام. فأكلوا حتّى شبعوا وبقي الطعام كما هو كأنّه لم يمسّ. ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا، وبقي الشراب كأنّه لم يمسّ ولم يشربوا. ثم قال: «يا بني عبد المطلب! إنّي بعثت إليكم بخاصّة، وإلى الناس بعامّة، وقد رأيتم من هذا الأمر ما قد رأيتم. فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي» فلم يقم إليه أحد. فقمت إليه وكنت أصغر القوم. فقال: إجلس. ثم قال (ما قال أوّلاً) ثلاث مرّات كلّ ذلك أقوم إليه فيقول لي: إجلس حتّى كان في الثالثة. فضرب بيده على يدي. فبذلك ورثت ابن عمّي دون عمّي[٢].

وسأل السلطان سنجر بن ملكشاه، سنائي الشاعر عن مذهبه. فقال قصيدة بالفارسية في جوابه، ومن أبياتها:

از پى سلطان ملكشاه چون نميدارى روا
تاج و تخت پادشاهى جز كه سنجر داشتن
از پى سلطان دين چون هميدارى روا
جز على و عترتش محراب و منبر داشتن

هذا، وفي (الاستيعاب لابن عبد البر): قدم الحتات بن يزيد التميمي على

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٥، شرح الخطبة ٢٠٨.

(٢) رواه الطبري في تاريخه ٢: ٦٣، والنسائي في الخصائص: ٨٦، وابن عساكر في ترجمة علي عليه السلام ١: ٩٧ ح ١٣٤، وغيرهم.

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في وفد بني تميم فأسلموا، وآخى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بين حتات ومعاوية، ولمّا صار معاوية خليفة قدم عليه الحتات وجارية بن قدامة، والأحنف بن قيس، وهما أيضاً من تميم، وهما من أصحاب عليّ عليه السلام، وكان حتات عثمانياً فأعطاهما معاوية أكثر ممّا أعطى الحتات. فرجع إليه، وقال: فضّلتهما عليّ. قال: إشتريت منهما دينهما، ووكلتك إلى هواك في عثمان. قال: وأنا أيضاً إشتر مني ديني. فأتمّها له، وألحقه بهما. فلم يأت عليه اسبوع حتّى مات عنده فورثه معاوية بتلك الأُخوة، فقال الفرزدق: قلت وكان أيضاً من تميم:

أبوك وعمّي يا معاوي أورثا ... تراثاً فيختار التراث أقاربه

فما بال ميراث الحتات أكلته ... وميراث صخر جامد لك ذائبه[1]

قلت: وكان المناسب أن يقول معاوية لحتات في قوله «وأنا أيضاً اشتر مني ديني» بأن الشراء منك دينك إمّا تحصيل للحاصل، وإما شراء معدوم، وكلاهما محال لكنّه سامحه لقلّة شعوره.

هذا، ومما يناسب قوله عليه السلام «أرى تراثي نهباً» قول نهيك بن اساف الأنصاري:

تقسّم جيراني حَلوبي كأنّما ... تقسّمها ذؤبان زور ومنور

و «زور» و «منور» جبلان ذوا ذؤبان شديدة لا حيّان من أعداء نهيك كما توهّمه اللسان في «حلب»[2].

«حتّى مضى الأوّل لسبيله» قال ابن قتيبة: اختلفوا في مرض أبي بكر الّذي مات فيه، وفي اليوم الّذي مات فيه. قال ابو اليقظان عن سلام بن أبي مطيع: إنّه

---

(١) الاستيعاب ١: ٣٩٦ و٣٩٧، والنقل بتلخيص.

(٢) لسان العرب ١: ٣٢٨، مادة (حلب).

سمّ فمات يوم الإثنين في آخره، وقال غيره: إنّه كان سبب موته أنّه اْعتلّ في يوم بارد فحمّ ومرض خمسة عشر يوماً، وقال ابن إسحاق: توفّي يوم الجمعة لتسع ليالٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة. فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وتسع ليال، وأوصى ان تغسله أسماء بنت عميس اْمرأته[١].

وفي (المسترشد): كان يقول في احتضاره: ليتني كنت لبنة أو تبنة[٢].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): قال أبو بكر في مرض موته: ليتني تركت بيت عليّ وإن كان أعلن علي الحرب[٣].

«فأدلى بها» أي: دفع الخلافة، وأرسلها من «أدلى دلوه» أرسلها.

«إلى فلان بعده» هكذا في (المصرية)، ويصدّقها ابن ميثم الّذي نسخته كانت بخطّ المصنّف ونقله ابن أبي الحديد «إلى ابن الخطاب بعده» ورواية المعاني بدّلت الفقرة بقوله: «عقدها لأخي عدي بعده»[٤].

أما «فلان» كما في (ابن ميثم) ففي تفاسير الإمامية في قوله تعالى: ﴿ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتّخذت مع الرسول سبيلا * يا ويلتي ليتني لم اتّخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلّني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾[٥] ما كنّى الله في كتابه إلّا في قوله فلاناً و الظالم الأوّل و فلاناً الثاني[٦].

وعن (الإستدراك) للمتوكّل: أنّ أبا الحسن ـ يعني الهادي عليه السلام يفسّر

---

(١) قاله ابن قتيبة في المعارف: ١٧٠، والنقل بتصرف يسير.

(٢) جاء في المسترشد: ٧٧، بلفظ «ليتني تبنة في لبنة».

(٣) الإمامة والسياسة ١: ١٨.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٥٤، وشرح ابن ميثم ١: ٢٥٧، ومعاني الاخبار: ٣٦١.

(٥) الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩.

(٦) رواه القمي في تفسيره ٢: ١١٣.

قوله تعالى ﴿يوم يعضّ الظالم﴾[١] إلى آخر الآية في الأوّل والثاني. قال: فكيف الوجه في أمره؟ قالوا: تجمع له الناس وتسأله بحضرتهم. فإن فسّرها بهذا كفاك الحاضرون أمره، وان فسّرها بخلاف ذلك افتضح عند أصحابه. فوجّه إلى القضاة وبني هاشم والأولياء، وسئل عليه السلام فقال: هذان رجلان كنّى الله عنهما، ومنّ بالستر عليهما أفيحبّ الخليفة كشف ما ستره الله؟ فقال: لا أحب[٢].

وفي (الأغاني): قال إبراهيم بن المهدي: رأيت علياً في النوم. فقلت له: انّ الناس قد أكثروا فيك، وفي أبي بكر وعمر. فما عندك في ذلك. فقال لي: إخسأ ولم يزدني على ذلك[٣].

وفي (المروج) أن إبراهيم بن المهدي كان قال:

فصلّ على النبيّ وصاحبيه ... وزيريه وجاريه برمسه

في قبال قول المأمون:

فجدّد عنده ذكرى عليٍّ ... وصلّ على النبيّ وآل بيته[٤]

وروى ابن المغازلي في قوله تعالى: ﴿واتّقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة﴾[٥] أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: من ظلم علياً مقعدي هذا بعد وفاتي، فكأنّما جحد نبوّتي ونبوّة الأنبياء قبلي[٦].

---

(١) الفرقان: ٢٧.

(٢) رواه عنه المجلسي في فتن البحار: ٢١٤.

(٣) الاغاني ١٠: ١٢٦.

(٤) مروج الذهب ٣: ٤١٧.

(٥) الانفال: ٢٥.

(٦) أخرجه الحسكاني في شواهد التنزيل ١: ٢٠٦ ح ٢٦٩، ولم يروه ابن المغازلي في مناقبه والخلط حصل للشارح من كيفية رواية ابن طاووس عن الحسكاني في الطرائف ١: ٣٥.

وروى أبو الفرج في (أغانيه) عن محمّد بن سهل صاحب الكميت قال: دخلت مع الكميت على أبي عبدالله جعفر بن محمد عليهما السلام. فقال له: جعلت فداك ألا أُنشدك؟ قال: إنّها أيّام عظام. قال: إنّها فيكم. قال: هات، وبعث إلى بعض أهله فقرب فأنشده فكثر البكاء بهذا البيت:

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيا آخراً أسدى له الغيّ أوّل

فرفع يديه، وقال: اللهمّ اغفر للكميت ما قدّم وما أخّر، وما أعلن وما أسرّ(١).

وفي (خلفاء ابن قتيبة) في عنوان «كيفية بيعة عليّ»: تفقد أبو بكر قوماً تخلّفوا عن بيعته عند علي، فبعث إليهم عمر. فجاء فناداهم، وهم في دار علي. فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب، وقال: والّذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها. فقيل له: انّ فيها فاطمة. قال: وإن. فخرجوا فبايعوا إلّا عليّاً فإنّه زعم أنّه قال: «حلفت أن لا أخرج، ولا أضع ثوبي على عاتقي حتّى أجمع القرآن». فوقفت فاطمة على بابها. فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا، ولم تردّوا لنا حقّاً. فأتى عمر أبا بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة. فقال أبو بكر لقنفذ مولى له: اُدعُ لي عليّاً، فذهب إليه، وقال: يدعوك خليفة رسول الله. فقال: لسريع ما كذبتم على رسول الله. فرجع. فأبلغ الرسالة. فبكى أبو بكر طويلاً فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة. فقال أبو بكر لقنفذ: عُد إليه فقل له: أمير المؤمنين يدعوك لتبايع فجاءه قنفذ. فأدّى ما أمر به. فرفع علي صوته. فقال: سبحان الله لقد ادّعى ما ليس له. فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً. ثم قام عمر. فمشى

---

(١) الأغاني ١٧: ٢٤، والنقل بتصرف يسير.

معه جماعة حتّى أتوا بيت فاطمة. فدقُّوا الباب. فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها يا أبه يا رسول الله! ماذا لقينا بعدك من آبن الخطاب، وآبن أبي قحافة، فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تتصدّع، وأكبادهم تتفطّر، وبقي عمر ومعه قوم. فأخرجوا عليّاً. فمضوا به إلى أبي بكر. فقالوا له: بايع فقال: إن أنا لم أفعل فمه، قالوا: إذن والله الّذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك، قال: إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله. قال عمر: أمّا عبد الله فنعم، وأمّا أخو رسول الله فلا. وأبو بكر ساكت لا يتكلّم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك، فقال: لا أُكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه. فلحق علي بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصيح وينادي: «يا آبن أُمّ إنّ القوم آستضعفوني وكادوا يقتلونني».

فقال عمر لأبي بكر: إنطلق بنا إلى فاطمة، فإنّا قد أغضبناها. فانطلقا جميعاً. فاستأذنا على فاطمة. فلم تأذن لهما. فأتيا عليّاً. فكلّماه. فأدخلهما. فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط. فسلّما عليها. فلم تردّ عليهما السلام فتكلّم أبو بكر. فقال: يا حبيبة رسول الله! والله إنَّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي أفتراني أعرفك. وأعرف فضلك وأمنعك حقّك وميراثك من رسول الله إلّا أنّي سمعت أباك يقول: لا نورّث ما تركنا فهو صدقة. فقالت: أرأيتكما ان حدّثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرفانه تقولان به؟ قالا: نعم. فقالت: نشدتكما بالله ألم تسمعا رسول الله يقول: «رضى فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي فمن أرضى فاطمة ابنتي فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني»؟ فقالا: نعم. سمعناه من رسول الله. فقالت: «فإنّي أُشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأشكونّكما إليه» فقال أبو بكر: «أنا عائذ بالله تعالى من سخطه، وسخطك يا

فاطمة» ثم انتحب يبكي حتّى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: «والله لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاة أُصلّيها»(١).

وقال النظام ـ كما في (ملل الشهرستاني) ـ وهو أحد شيوخ المعتزلة، واستاذ الجاحظ ـ إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نصّ على عليّ ـ كرّم الله وجهه في مواضع، وأظهره إظهاراً لم يشتبه على الجماعة إلّا أنّ عمر كتم ذلك، وهو الّذي تولّى بيعة أبي بكر يوم السقيفة، وهو الّذي ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتّى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح «أحرقوها بمن كان فيها» وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين(٢).

وقال ابن أبي الحديد: وعمر هو الّذي شيّد بيعة أبي بكر، ووقم المخالفين فيها، فكسر سيف الزبير لمّا جرّده، ودفع في صدر المقداد، ووطأ في السقيفة سعد بن عبادة، وقال: أُقتلوا سعداً قتل الله سعداً، وحطّم أنف الحبّاب بن المنذر الّذي قال يوم السقيفة: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجّب، وتوعّد من لجأ إلى دار فاطمة عليها السلام من الهاشميين، وأخرجهم منها، ولولاه لم يثبت لأبي بكر أمر، ولا قامت له قائمة(٣).

وقال: وروى أبو مخنف عن الكلبي وأبي صالح، وعن رجاله عن زائدة بن قدامة، قال: كان جماعة من الأعراب قد دخلوا المدينة ليمتاروا منها. فشغل الناس عنهم بموت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فشهدوا البيعة وحضروا الأمر. فانفذ إليهم عمر واستدعاهم، وقال لهم: خذوا بالحظ من المعونة على بيعة خليفة رسول الله، واخرجوا إلى الناس، واحشروهم ليبايعوا. فمن امتنع فاضربوا رأسه

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٢، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الملل والنحل ١: ٥٩، والنقل بالمعنى.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٥٨، شرح الخطبة ٣.

وجنبيه. والله لقد رأيت الأعراب قد تحزّموا واتشحوا بالازر الصنعانية، وأخذوا بأيديهم الخشب، وخرجوا حتّى خبطوا الناس خبطاً، وجاءوا بهم مكرهين إلى البيعة(١).

وقال البراء بن عازب، ورواه ابن أبي الحديد في موضع آخر: لم أزل لبني هاشم محبّاً، فلمّا قبض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول مع مافي نفسي من الحزن لوفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فكنت أتردّد إلى بني هاشم وهم عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الحجرة، وافقد وجوه قريش. فانّي كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر وإذا قائل يقول: القوم في سقيفة بني ساعدة، وإذا قائل آخر يقول: قد بويع أبو بكر فلم ألبث، وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة، وجماعة من أصحاب السقيفة، وهم محتجزون بالازر الصنعانية، لا يمرّون بأحدٍ إلّا خبطوه وقدّموه، ومدّوا يده. فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه شاء ذلك أو أبى. فأنكرت عقلي وخرجت اشتدّ حتى أنتهيت إلى بني هاشم، والباب مغلق، فضربت عليهم الباب ضرباً عنيفاً، وقلت: قد بايع الناس لأبي بكر بن أبي قحافة.

فقال العباس: تربت أيديهم إلى آخر الدهر فمكثت اكابد ما في نفسي ورأيت في الليل المقداد وسلمان وأبا ذر، وعبادة بن الصامت، وأبا الهيثم بن التيهان وحذيفة وعماراً، وهم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين، وبلغ ذلك إلى أبي بكر وعمر، فأرسلا إلى أبي عبيدة، والمغيرة بن شعبة فسألاهما عن الرأي. فقال المغيرة: الرأي أن تلقوا العباس، فتجعلوا له ولولده في هذا الأمر نصيباً لتقطعوا بذلك ناحية علي بن أبي طالب. فانطلقوا

---

(١) رواه عن أبي مخنف المفيد في الجمل: ٥٩، ولم أجده في شرح ابن أبي الحديد.

حتّى دخلوا على العباس وذلك في الليلة الثانية من وفاة النبيّ ﷺ -إلى أن قال-

فقال أبو بكر للعباس: قد خلّى النبيّ على الناس أُمورهم ليختاروا لأنفسهم متّفقين غير مختلفين. فاختاروني عليهم والياً -إلى أن قال-

قال أبو بكر: وما أنفكّ يبلغني عن طاعن يقول بخلاف قول عامّة المسلمين يتّخذكم لجأً فتكونوا حصنه المنيع، فإمّا دخلتم في ما دخل فيه الناس أو صرفتموهم عمّا مالوا إليه. فقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً، ولمن بعدك من عقبك إذ كنت عمّ النبيّ، وان كان المسلمون قد رأوا مكانك منه، ومكان أهلك ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم، وعلى رسلكم بني هاشم. فإن النبي منّا ومنكم، فاعترض كلامه عمر وقال أي: والله، وأُخرى أنّا لم نأتكم حاجة إليكم، ولكن كرهنا أن يكون الطعن في ما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم، فانظروا لأنفسكم ولعامّتهم -إلى أن قال-

فقال العباس لأبي بكر: فإن كنت برسول الله ﷺ طلبت؛ فحقّنا أخذت، وان كنت أخذت بالمؤمنين فنحن منهم ما تقدّمنا في أمركم فرطاً، ولا حللنا وسطاً، ولا نزحنا شحطاً. فإن كان هذا الأمر يجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنّا كارهين، وما أبعد قولك إنّهم طعنوا عليك من قولك إنّهم مالوا إليك، وأمّا ما بذلت لنا؛ فإن يكن حقّك أعطيتناه فأمسكه عليك، وإن يكن حقّ المؤمنين فليس لك أن تحكم فيه، وإن يكن حقّنا لم نرض منك ببعض دون بعض، وما أقول هذا أروم صرفك عمّا دخلت فيه، ولكن للحجّة نصيبُها من البيان، وأما قولك يا عمر: إنّك تخاف الناس علينا؛ فهذا الّذي قدّمتموه أوّل ذلك[1].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٧٣، شرح الخطبة ٥، والنقل بتصرف يسير.

وقلنا: إن ابن أبي الحديد نقل كلامه عليه السلام «فأدلى بها إلى ابن الخطاب» وفي السير: إنّ عمر لمّا بعث محمّد بن مسلمة إلى عمرو بن العاص بمصر لتشطير ماله لمّا كان واليه عليها قال عمرو بن العاص: لعن الله زماناً صرت فيه عاملاً لعمر. والله لقد رأيته وأباه على كلّ واحد منهما عباءة قطوانية لا يجاوز مأبض ركبتيه، وعلى عنقه حزمة حطب، والعاص بن وائل في مزرّرات الديباج[1].

وقال ابن أبي الحديد: قدم عمرو بن العاص على عمر من مصر. فقال له: في كم سرت قال: في عشرين. قال عمر: لقد سرت سير عاشق. فقال عمرو: إنّي والله ما تأبّطتني الإماء، ولا حملتني النساء في غبرات المآلي ـ أراد خرق الحيض ـ قال ابن أبي الحديد: وسألت النقيب عن الخبر فقال: فخر عمرو على عمر لأنّ أم الخطاب كانت زنجيّة تعرف بباطحلى تسمّى بصهاك[2].

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام في غريب حديثه أنّ رجلاً أتى عمر يسأله ـ إلى أن قال ـ ثم أنشأ عمر يحدّث عن نفسه. فقال: لقد رأيتني واختاً لي نرعى على أبوينا ناضحاً لنا. قد ألبستنا أُمّنا نقبتها وزودتنا يمنيتها هبيداً، فنخرج بناضحنا فإذا طلعت الشمس ألقيت النقبة إلى أُختي، وخرجت أسعى عرياناً فنرجع إلى أُمّنا وقد جعلت لنا لفتية من ذلك فأحصيناه[3]. الهبيد و«الهبيد»: حبّ الحنظل، و «اللفتية» ضرب من البطيخ كالحساء[4].

قال: حجّ عمر. فلمّا كان بضجنان قال: أذكر وأنا أرعى إبل الخطاب بهذا

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٥٨، شرح الخطبة ٣، والنقل بتصرف يسير.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٠٢، شرح الخطبة ٢٢٦، والنقل بتصرف يسير.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٩٧، شرح الخطبة ٢٢٦.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١١٠، شرح الخطبة ٢٢٦، والنقل بتلخيص.

الوادي في مدرعة صوف، وكان فظّاً يتعبني إذا عملت، ويضربني إذا قصّرت[١].

وفي (الطرائف): قال مؤلّف كتاب (نهاية الطلب): الحنبلي كان عمر قبل الإسلام نخّاس الحمير، وقال هشام الكلبي في (مثالبه): كانت صهاك أمّة حبشية لهاشم بن عبد مناف. فوقع نضلة بن هاشم عليها. ثم وقع عليها عبد العزّى بن رباح فجاءت بنفيل جدّ عمر.

وكان أبو سفيان يكنّي عمراً أبا حجر لبخله كما كان يكنّي أبا بكر أبا فصيل. فقال لعثمان لمّا ولي: «بأبي أنت، أنفق ولا تكن كأبي حجر»[٢].

وروى القمي في تفسير قوله تعالى: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾[٣] أنّ صفيّة بنت عبد المطلّب مات آبنٌ لها فأقبلت. فقال لها عمر: غطّي قرطك. فإنّ قرابتك من النبيّ لا تنفعك شيئاً. فقالت: وهل رأيت لي قرطاً يا ابن اللخناء. ثم دخلت على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته بذلك، وبكت فخرج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ونادى: الصلاة جامعة. فاجتمع الناس فقال: لا يسألني اليوم أحد من أبوه إلّا أخبرته. فقام رجل فقال من أبي؟ فقال: غير الّذي تدعى إليه، أبوك فلان بن فلان، فقام آخر فقال. من أبي؟ قال: الّذي تدعى إليه. ثم قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. ما بال الّذي يزعم أنّ قرابتي لا تنفع لا يسألني عن أبيه. فقام إليه عمر وقال: أعوذ بالله من غضب رسوله. اُعفُ عنّي. الخبر[٤].

وقال ابن أبي الحديد في موضع آخر: ان هذا الخبر (أي خبر قول عمر على المنبر إيّاكم وذكر العيوب والبحث عن الأُصول، فلو قلت لا يخرج اليوم

---

(١) الطرائف ٢: ٤٦٨ و٤٦٩، والنقل بتصرف.

(٢) المائدة: ١٠١.

(٣) تفسير القمي ١: ١٨٨، والنقل بتصرف.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٤، شرح الخطبة ٢١٢.

من هذه الأبواب إلّا من لا وصمة فيه لم يخرج منكم أحد) رواه المدائني في كتاب (أُمّهات الخلفاء) وقال: إنّ ذاك الخبر روي عند جعفر بن محمد عليه السلام بالمدينة فقال: لا تلمه يا ابن أخي إنّه أشفق أن يخدج بقصّة نفيل بن عبد العزى، وصهاك أمّة الزبير بن عبد المطلب(١).

قلت: والأصل في قول المدائني مارواه الكليني في (روضته): أنّ رجلاً من ولد عمر تعرّض لجارية رجل من ولد عقيل. فقالت الجارية لمولاها: إنّ هذا العمري قد آذاني. فقال لها: عِدِيهِ وأدخليه الدهليز. فأدخلته. فشدّ مولاها عليه فقتله وألقاه في الطريق. فاجتمع البكريون والعمريون والعثمانيون وقالوا: ما لصاحبنا كفو يقتل به إلّا جعفر بن محمّد، وما قتل صاحبنا غيره، وكان عليه السلام قد مضى نحو قبا. فلقيه سماعة بما اجتمعوا عليه. فقال: دعهم فلمّا جاءوا وثبوا عليه، وقالوا: ما قتل صاحبنا أحد غيرك، وما نقتل به غيرك. فقال: ليكلّمني منكم جماعة، فاعتزل قوم منهم. فأخذ بأيديهم، وأدخلهم المسجد. فخرجوا وهم يقولون: شيخنا أبو عبدالله جعفر بن محمّد معاذ الله أن يكون مثله يفعل هذا أو يأمر به. فانصرفوا.

فقال له سماعة: جعلت فداك، ما أقرب رضاهم من سخطهم. قال: قلت لهم: أمسكوا وإلاّ أخرجت الصحيفة. إنّ أُمّ الخطاب كانت أمة للزبير بن عبد المطلب، فشطر بها نفيل فأحبلها. فطلبه الزبير. فخرج هارباً إلى الطائف. فخرج الزبير خلفه فبصرت به ثقيف. فقالوا: ما تفعل هاهنا. قال: جاريتي شطر بها نفيلكم. فهرب منها إلى الشام، وخرج الزبير في تجارة إلى الشام. فدخل على ملك الدومة فقال له: الملك لي إليك حاجة. قال وماهي؟ قال: رجل من أهلك أخذت ولده، فأحبّ أن تردّه عليه. قال: ليظهر لي لأعرفه. فلما كان الغد دخل

(١) الكافي ٨: ٢٥٨ ح ٣٧٢، والنقل بتصرف يسير.

على الملك. فلمّا رآه الملك ضحك، وقال له: ما أظنّ هذا الرجل ولدته عربية. فلمّا رآك قد دخلت لم يملك أُسته. فقال للملك: إذا دخلت مكّة قضيت حاجتك. فلمّا قدم تحمّل عليه نفيل ببطون قريش كلّها أن يدفع إليه ابنه فأبى -إلى أن قال-

فقال لهم الزبير: إنّ الشيطان له دولة، وإن ابن هذا ابن الشيطان، ولست آمن من أن يترأّس علينا، ولكن أدخلوه من باب المسجد على أن أحمي له حديدة وأَخطّ في وجهه خطوطاً، وأكتب عليه وعلى ابنه ألّا يتصدّر في مجلس، ولا يتأمّر في أولادنا، ولا يضرب هنا بسهم. ففعلوا وخطّ وجهه بالحديدة، وكتب عليه الكتاب، وذلك الكتاب عندنا، فقلت لهم إن امسكتم، وإلّا أخرجت الكتاب وفيه فضيحتكم -الخبر[1].

هذا وذكر (أنساب قريش مصعب الزبيري)، و(العقد الفريد)، و(استيعاب) ابي عمر نسب الخطاب «ابن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي» وذكره ابن قتيبة والمسعودي «ابن عبد العزى بن قرط بن رياح بن عبد الله بن رزاح بن عدي»[2].

وأُم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وقال المسعودي وابن قتيبة: بنت هشام بن المغيرة، وهو خطأ فقالوا أُمّه كانت بنت عمّ أبي جهل بن هشام وعلى قولهما تصير أُخته[3].

ولعلهما رأيا أنّهم قالوا: إنّ عمر قتل ببدر خاله العاص بن هشام أخا أبي جهل الّذي عدوّه في الحمقى، وكان أبو لهب اتّخذه عبداً. ففي (عيون ابن قتيبة):

---

(١) ذكره مصعب الزبيري في نسب قريش: ٣٤٦ ـ ٣٤٧، ابن عبد ربه في العقد الفريد ٥: ٢٠، وابن عبد البر في الاستيعاب ٢: ٤٥٨، والثاني ذكره ابن قتيبة في المعارف: ١٧٩، والمسعودي في مروج الذهب ٢: ٣٠٥.

(٢) ذكره المؤلفون في المصادر المذكورة.

(٣) عيون الاخبار ٢: ٤١.

«من حمقى قريش؛ العاص بن هاشم أخو أبي جهل، وكان أبو لهب قامره فقمره ماله ثم داره ثم قليله ثم كثيره، وأهله ونفسه. فاتّخذه عبداً وأسلمه قيناً. فلمّا كان يوم بدر بعث به عن نفسه، فقتل ببدر كافراً، قتله عمر وكان خاله»[١].

إلّا أن التعبير بكونه خاله على قاعدة العرب من التعبير عن رجل كان من قبيلة أنّه أخوهم، وعن مرأة كانت من قبيلة أنّها أُختهم، ولذا قالوا: ان بني زهرة أخوال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لكون امّه منهم، وسمّى شمر بني أمير المؤمنين عليه السلام من أُم البنين بني أُخته، وانّما كانت من قبيلته لا أُخته.

هذا وقال ابن عبد البر: هاشم أبو حنتمة هو ذو الرمحين وتبعه (القاموس)[٢]، وهو أيضاً وهم، فصرّح الزبيري في (أنسابه): أنّ ذا الرمحين هو أبو ربيعة جدّ عمر بن أبي ربيعة، وهو عمر بن بحير بن أبي ربيعة أشتهر بالنسبة إلى جدّه، وقال: مدح ابن الزبعري أباه بحيرا. فقال:

بحير بن ذي الرمحين قرّب مجلسي يروح علينا فضله غير عاتم

وقال: قاتل ذو الرمحين يوم شرب برمحين فسمّى ذا الرمحين واسمه عمرو[٣].

مع انّ القاموس ناقض. فقال في «حنتم» ذو الرمحين أبو أُم عمر بن الخطاب[٤]، وقال في «رمح»: «ذو الرمحين عمر بن المغيرة سمّي لطول رجليه»[٥] وقد عرفت أنّ وجه تسمية عمر والد عمر بن أبي ربيعة به هو قتاله برمحين.

---

(١) الاستيعاب ٢: ٤٥٩، والقاموس ٤: ١٠٢، ماده حنتم.

(٢) جاء ذكره في نسب قريش: ٣٠٠ و٣١٧، بفرق.

(٣) القاموس المحيط ٤: ١٠٢، مادة (حنتم).

(٤) القاموس المحيط ١: ٢٢٣، مادة رمح، والنقل بتصرف يسير.

(٥) القاموس المحيط ٤: ١٠٢، مادة (حنتم).

كما أنّه أراد استقصاء المسمّيات بحنتمة، ولم يستقص. فقال «حنتمة اسم أم عمر بن الخطاب، واسم بنت عبد الرحمن بن الحارث»[١] مع انّ منهنّ حنتمة بنت شيطان أم عمارة بن الوليد بن المغيرة الّذي بعثته قريش مع عمرو بن العاص إلى النجاشي لردّ جعفر بن أبي طالب.

وأما كونه «أخا عدي» كما في رواية (معاني الأخبار) للخطبة. ففي (عين العبرة) أنّ أبا بكر حضّ الناس على الجهاد. فتثاقلوا. قال عمر «لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتّبعوك» فقال له خالد بن سعيد بن العاص: يا ابن أم عمر! ألنا تضرب أمثال المنافقين والله لقد أسلمت وان لبني عدي صنماً إذا جاعوا أكلوه، وإذا شبعوا استأنفوه[٢].

وفي ديوان حسّان بن ثابت: «وقال يهجو بني عديّ بن كعب»:

قوم لئام أقلّ الله خيرهم ... كما تناثر خلف الراكب البعر
كأنّ ريحهم في الناس إذ خرجوا ... ريح الحشاش إذا ما بلّها المطر[٣]

وفي (نسب قريش) مصعب الزبيري: كان آل عبد مناف قد كثروا، وآل عبد الدار بن قصي قد قلّوا. فأراد آل عبد مناف انتزاع الحجابة من بني عبد الدار. فاختلفت في ذلك قريش. فكانت طائفة مع هؤلاء، وأخرى مع أولئك. فأخرجت أم حكيم بنت عبد المطلب توأمة أبي النبي ﷺ جفنة فيها طيب. فوضعتها في الحجر، وقالت من كان منّا فليدخل يده في هذا الطيب. فادخلت بنو عبد مناف، وبنو أسد بن عبد العزى، وبنو زهرة، وبنو تيم، وبنو الحارث بن فهر أيديهم فيها فسمّوا المطيبين، فعمدت بنو سهم بن عمرو فنحرت

(١) التوبة: ٤٢.

(٢) عين العبرة: ١٨.

(٣) ديوان حسان ١: ٣٥١.

جزوراً وقالوا. من كان منّا فليدخل يده في هذه الجزور، فأدخلت عبد الدار، وسهم، وجمح، ومخزوم، وعديّ أيديهم فيها فسمّوا الأحلاف، ثم قام الأسود بن حارثة العدوي. فأدخل يده في الدم ثم لعقها. فلعقت بنو عديّ كلّها بأيديها فسمّوا لعقة الدم[١].

وعن (ربيع أبرار الزمخشري): أنزل تعالى في الخمر: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير﴾[٢] ـ إلى آخر الآية ـ فكان المسلمون بين شارب وتارك إلى أن شربها رجل ودخل في صلاته فهجر، فنزل: ﴿يا أيها الّذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾[٣] فشربها من شربها من المسلمين حتّى شربها عمر. فأخذ لحى بعير فشجّ رأس عبد الرحمن بن عوف. ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الأسود بن يعفر:

وكاين بالقليب قليب بدر — من القينات والشرب الكرام
أيوعدنا آبن كبشة إن تنحّى — وكيف حياة أصداء وهام
أيعجز أن يردّ الموت عنّي — وينشرني إذا بليت عظامي
ألا من مبلغ الرحمن عنّي — بأنّي تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعني شرابي — وقل لله يمنعني طعامي

بلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فخرج مغضباً يجرّ رداءه. فرفع شيئاً كان في يده ليضربه. فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله. فأنزل الله تعالى ﴿انّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر﴾ ـ إلى آخر الآية[٤].

---

(١) نسب قريش: ٣٨٢.

(٢) البقرة: ٢١٩.

(٣) النساء: ٤٣.

(٤) رواه عنه البحراني في البرهان ١: ٣٧٠ ح ٧، والآية ٩١ من سورة المائدة.

هذا وقال ابن أبي الحديد: إن قوله عليه السلام «فأدلى بها إلى آبن الخطاب» من قوله تعالى: ﴿وتدلوا بها إلى الحكّام﴾(١) أي تدفعوها إليهم رشوة وأصله من أدليت الدلو في البئر أرسلتها. فإن قلت فإنّ أبا بكر إنّما دفعها إلى عمر حين مات، ولا معنى للرشوة عند الموت؟ قلت: لمّا كان عليه السلام يرى أن العدول بها عنه إلى غيره إخراج لها إلى غير جهة الاستحقاق شبّه ذلك بإدلاء الإنسان بماله إلى الحاكم. فإنّه اخراج للمال على غير وجهه فكان ذلك من باب الإستعارة(٢).

قلت: كلامه كلّه خبط وخلط فإنّ الإدلاء إنّما هو بمعنى مطلق الدفع، وإنّما صار المراد بتدلوا في الآية الرشوة بالقرينة، وهي إضافة إلى الحكّام، ومعلوم أنّ من يدفع ماله إلى الحكّام يدفعها رشوة، وقبله: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ وبعده: ﴿لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم﴾(٣) فهذه تجعل الكلام صريحاً في إرادة الرشوة.

كما أنّ مجرّد الإخراج إلى غير جهة الإستحقاق لا يصحّح الإستعارة كما لا يخفى، وكيف يصحّ أن يُقال: إنّ أبا بكر رشا عمر بالخلافة، وإنما عمر رشا أبا بكر بالخلافة أي: بتمهيدها له بشرح مرّ؛ ليردّ عليه بعده. ففي (خلفاء ابن قتيبة) ـ بعد ذكر احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام عليهم لمّا جاءوا به للبيعة ـ قال عليٌّ: «فأنصفونا إن كنتم مؤمنين وإلّا فبؤوا بالظلم وأنتم تعلمون». فقال له عمر: إنّك لست متروكاً حتّى تبايع. فقال له علي: «إحلب حلباً لك شطره، وآشدد له اليوم يردده عليك غداً»(٤).

وفي (الخلفاء) أيضاً: لمّا كتب أبو بكر عهده قال لعمر: خذ هذا الكتاب،

---

(١) البقرة: ١٨٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٥٤.

(٣) البقرة: ١٨٨.

(٤) الامامة والسياسة ١: ١١.

وأخرج به الى الناس، وأخبرهم أنّه عهدي، وسلهم عن سمعهم وطاعتهم. فخرج عمر بالكتاب، وأعلمهم، فقالوا: سمعاً وطاعة. فقال له رجل: مافي الكتاب يا أبا حفص؟ قال: لا أدري، ولكنّي أول من سمع وأطاع. قال: لكنّي والله أدري مافيه أمّرته عام أوّل وأمّرك العام[١].

وإنما رشا عثمان عمر بأن كتب في غشوة أبي بكر إسم عمر في عهده ليردّه إليه بعده. فقال ابن أبي الحديد: أحضر أبو بكر عثمان وهو يجود بنفسه، فأمره أن يكتب عهداً وقال: أُكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد عبد الله بن عثمان إلى المسلمين أما بعد ثم أغمي عليه وكتب عثمان: قد آستخلفت عليكم عمر آبن الخطاب، وأفاق أبو بكر فقال: إقرأ، فقرأ فكبّر أبو بكر وسرّ وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن متّ في غشيتي. قال: نعم. قال جزاك الله خيراً عن الإسلام[٢].

وأقول: لو كان أبو بكر قال لعثمان «جزاك عمر عن عملك بتوليتك وان كان فيه هدم الإسلام» حيث انّ سلطانه سلطان بني اُميّة أعداء الإسلام لكان قد قال مطلباً حقّاً.

ولقد جزاه عمر بتدبير الشورى، وجعل عبد الرحمن حكماً، ولما بايع عبد الرحمن عثمان قال أمير المؤمنين عليه السلام لعبد الرحمن: والله ما املت منه إلّا ما أمّل صاحبك من صاحبه، دقّ الله بينكما عطر منشم[٣].

«ثم تمثّل بقول الأعشى» والأعشى: هذا هو ميمون بن قيس من قيس بن ثعلبة، ويكنّى أبا بصير، وكان يُقال لأبيه قتيل الجوع لأنّه دخل غاراً يستظلّ

(١) الامامة والسياسة ١: ٢٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٥٥.

(٣) رواه المفيد في الارشاد: ١٥٢، والجوهري في السقيفة: ١٨٧ وغيرهما.

فيه من الحرّ. فوقعت صخرة عظيمة من الجبل. فسدّت فم الغار فمات فيه جوعاً.

وقال يونس النحوي: أشعر الناس آمرؤ القيس إذا غضب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب[١].

وفي (الأغاني): أراد الأعشى الوفود على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال قصيدة في مدحه منها:

نبي يرى ما لاترون وذكره ... أغار لعمري في البلاد وأنجدا

فرصدته قريش على طريقه، وقالوا: هذا صنّاجة العرب. فقالوا له: أين أردت؟ قال: صاحبكم هذا لأسلم. قالوا: انّه ينهاك عن خلال كلّها لك موافق قال: وما هنّ؟ قال أبو سفيان: الزنا قال الأعشى: لقد تركني الزنا وما تركته. ثم ماذا؟ قال: القمار. قال لعلّي إن لقيته أن أصيب منه عوضاً من القمار. ثم ماذا؟ قالوا: الربا. قال: ما دنت، ولا أدنت. ثم ماذا؟ قالوا: الخمر. قال: اوّه! أرجع إلى صبابة قد بقيت لي في المهراس فأشربها. فقال له أبو سفيان: هل لك في خير مما هممت به؟ قال: وما هو؟ قال: نحن وهو الآن في هدنة. فتأخذ مئة من الإبل، وترجع إلى بلدك سنتك هذه، وتنتظر ما يصير إليه أمرنا. فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفاً، وان ظهر علينا أتيته. فقال: ما أكره ذلك. فقال أبو سفيان: يا معشر قريش هذا الأعشى والله لئن أتى محمّداً أو اتّبعه ليضرمنّ عليكم نيران العرب بشعره، فاجمعوا له مئة من الإبل. ففعلوا. فأخذها وانطلق إلى بلده. فلمّا كان بقاع منفوحة رمى به بعيره فقتله[٢].

هذا وفي (الصحاح): الأعشى؛ من يبصر بالنهار، ولا يبصر بالليل[٣].

---

(١) رواه ابو الفرج في الاغاني ٩: ١٠٨.

(٢) الأغاني ٩: ١٢٥، والنقل بتلخيص.

(٣) صحاح اللغة ٦: ٢٤٢٧، مادة (عشي).

هذا وكان غير هذا جمعاً آخر عدّهم القاموس. فقال أعشى باهلة؛ عامر، وأعشى بني نهشل؛ أسود بن يعفر، وأعشى همدان؛ عبد الرحمن، وبني أبي ربيعة؛ وطرود، وبني الحرماز، وبني أسد، وعكل؛ كهمس، وابن معروف خيثمة، وبني عقيل وبني مالك، وبني عوف ضابئ، وبني ضوزة عبد الله، وبني جلاّن سلمة بني قيس؛ أبو بصير، والأعشى التغلبي؛ النعمان: شعراء[1].

«شتان ما يومي على كورها ... ويوم حيان أخي جابر»

قال ابن أبي الحديد: قاله الأعشى في معاقرة علقمة بن علاثة، وعامر بن الطفيل وأوّلها:

علقم ما أنت إلى عامر ... الناقض الأوتار والواتر

وقبل البيت:

وقد أُسلّي الهم إذ يعتري ... بحسرة دوسرة عاقر

زيّافة بالرحل خطّارة ... تلوي بشرخي ميسة فاتر

وبعد البيت:

أرمي بها البيداء إذ هجّرت ... وأنت بين القرو والعاصر

في مجدل شيد بنيانه ... يزلُّ عنه ظفر الطائر

وكان حيّان صاحب شراب ومعاقرة خمر، وكان نديم الأعشى، وكان أخوه جابر أصغر سناً منه. فيقال: إنّ حيان قال للأعشى: نسبتني إلى أخي وهو أصغر سناً منّي. فقال: إنَّ الرويّ اضطرنّي إلى ذلك. فقال: والله لأنازعنك كأساً أبداً ما عشت، وحيان ابن السمين الحنفي[2].

---

(١) القاموس المحيط ٤: ٣٦٣، مادة (عشي).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٥٥.

قلت: وروى (الأغاني) و(ديوان المعاني) معاقرتهما مفصّلة وقال الأوّل

قال الأعشى:

عـــلقم مـــا أنت إلى عـــامر ... النـــاقض الأوتـــار والواتـــر
ان تسد الحوص فلم تـعدهم ... وعـــامر ســـاد بـني عـــامر
عهدي بها في الحيّ قد درّعت ... صفراء مثل المـهرة الضـامر
قد حجم الثدي عـلى نـحرها ... في مشرق ذي بـهجة نـاضر
لو أســـندت مـيتاً إلى نـحرها ... عـــاش ولم يــنقل إلى قــابر
حـتى يـقول النـاس مـمّا رأوا ... يـــا عـــجباً للـميّت النـاصر(١)

وروي انّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ربّما حدّث أصحابه، وربما تركهم يـتحدّثون، ويصغي إليهم، ويتبسّم. فبينا هم يوماً على ذلك يـتذاكـرون الشـعر وأيّـام العرب إذ سمع حسّان بن ثابت ينشد هـجاء أعشى قيس لعلقمة، ومدحه عامر بن الطفيل:

عـــلقم مـــا أنت إلى عـــامر ... النـــاقض الأوتـــار والواتـــر
ان تسد الحوص ولم تعدهم ... فـــعامر ســـاد بـــني عـامر
ســـاد وألفـى قـومه سـادة ... وكـابراً ســادوك عـن كـابر

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كفّ عن ذكره يا حسّان. فإنّ أبا سفيان لمّا شعث مني عند هرقل ردّ عليه علقمة. فقال حسّان: من نالتك يده، وجب علينا شكره(٢).

ومثله في (كنايات الثعالبي) إلّا أنّه قال: أنشد حسّان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من هجاء حسّان لعلقمة:

(١) الاغاني ١٦: ٢٨١.

(٢) هذا المعنى أخرجه ابونعيم والخطيب وابن عساكر، عنهم شواهد المغني ٢: ٩٠٧، وابن أبي الدنيا وابوعوانة، عنهما الاصابة ٢: ٥٠٣.

كــلا أبــويكم كـان فـرعا دعـامة ولكــنهم زادوا وأصـبحت نـاقصاً
تبيتون في المشتى مـلاءً بـطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خـمائصا[١]

وقال الثاني: قال الأعشى:

حكّمتموه فـقضى بـينكم أبــلج مــثل القـمر الزاهـر
لا يأخذ الرشوة في حكمه ولا يــبالي غـبن الخـاسر
عــلقم مــا أنت إلى عـامر النـاقض الأوتـار والواتـر
واللامس الخيل بـخيل إذا ثــار عـجاج الكـبة الثـائر
ساد وألفـى رهـطه سـادة وكابراً سادوك عن كابر[٢]

وممّا نسب إليه في تلك القصيدة:

ما يجعل الجد الظنون الّذي جنّب صوب اللـجب المـاطر
مــثل الفـراتـي إذا مـا طـما يـقذف بـالبوصي والمـاهر

ومن القصيدة:

قد قلت شعري فمضى فـيكما واعــترف المــنفور للــنافر

قالوا: ونذر علقمة دمه. فخرج الأعشى يريد وجـهاً فأخـطأ بـه الدليـل فأخذوه وأتوه به. فقال الأعشى:

عــلقم قــد صــيّرتني إليك الأُ مــور ومــا أنت لي مــنقص
فــهب لي ذنــبي فــدتك النــفـ ـوس ولا تزال تنمو ولا تـنقص

فعفا عنه. فقال الأعشى:

عــلقم يـا خـير بـني عـامر للضيف والصاحب والزائـر
والضاحك السنّ عـلى هـمّه والغــافر العــثرة للــعاثر

---

(١) رواه الثعالبي في كتاب النهاية في الكناية، منتخبه: ٢٠٩.

(٢) ديوان المعاني ١: ١٧٢.

قال ابن ميثم في قوله: «ويوم حيان» كان حيّان صاحب الحصن باليمامة وكان سيّداً مطاعاً يصله كسرى في كلّ سنة،وكان في نعمة ورفاهية مصوناً من وعثاء السفر[١].

قلت: وفي (أمثال العسكري): من أمثالهم «انعم من حيّان» كان حيّان رجلاً منعماً، وفيه قال الأعشى: «شتان ما يومي» ـ البيت[٢].

واما قوله: «أخي جابر» ففي (فتوح البلاذري): قال أبو مسعود: حمّام أعين في الكوفة نسب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص، وسمعت انّ الحمّام قبله كان لرجل من العباد يُقال له: جابر أخو حيان الّذي ذكره الأعشى، وهو صاحب مسنّاة جابر بالحيرة[٣].

هذا وقالوا في الأعشى:

فلا تلوماني ولوما جابرا فجابر كلّفني الهواجرا

ان المراد بجابر فيه الخبز. قال ابن السكيت: يُقال للخبز جابر بن حبّة وكنّوه أيضاً أبا جابر[٤].

قال ابن أبي الحديد: يُقال «شتان ماهما» و «شتّان هما» ولا يجوز «شتّان ما بينهما»[٥].

قلت: الأصل في كلامه قول الأصمعي، ففي (الصحاح) قال الأصمعي: لا يُقال شتّان ما بينهما، وقول الشاعر:

---

(١) شرح ابن ميثم ١: ٢٥٧.

(٢) جمهرة الامثال: ٢٠٠.

(٣) فتوح البلدان: ٢٨٠، والنقل بتصرف.

(٤) نقله الجوهري في صحاح اللغة ٢: ٦٠٨، مادة (جبر)، والفيروزآبادي في القاموس ١: ٣٨٥، مادة (جبر)، بلا تصريح باسم ابن السكيت.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١: ٥٦.

لشتّان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأغرّ ابن حاتم

(يعني يزيد بن أسيد السلمي، ويزيد بن حاتم المهلبي) ليس بحجّة إنّما هو مولّد، والحجّة قول الأعشى شتان ما يومي البيت[1].

إلّا أنّ قول الاصمعي هنا غلط ككثير من أقواله في مواضع أُخر، ومنها إنكاره «أرعد وأبرق» كما يأتي عند قوله عليه السلام في أصحاب الجمل «وقد أرعدوا وأبرقوا»[2].

ففي (الأغاني): قيل لأبي زيد النحوي: إنّ الأصمعي قال: لا يقال (شتّان ما بينهما) وإنّما يُقال: (شتّان ما هما) كقول الأعشى. فقال: كذب الأصمعي، يُقال (شتّان ما هما) و (شتّان ما بينهما) وأنشد لربيعة الرقي، واحتجّ به (لشتّان ما بين اليزيدين) ـ البيت[3].

وأقول: الأشعار والكلام المنثور ممّن قوله حجّة في العربية كثيرة، ومنها قول أبي الأسود في جار يؤذيه على ما في (الأغاني):

وشتّان ما بيني وبينك أنّني على كلّ حال أستقيم وتضلع[4]

ومنها قول ابن عباس لما بلغه وفاة أخيه قثم بسمرقند على ما في (فتوح البلاذري): «شتان ما بين مولده ومقبره»[5].

وفي خطبة أبي حمزة الخارجي الّذي خرج بالمدينة سنة (١٣١): «فشتّان لعمر الله ما بين الغي والرشد»، وقال البعيث وهو الّذي يهاجي جريراً:

لشتّان ما بيني وبين ابن خالد امية في الرزق الّذي الله قاسم

---

(١) نقله الجوهري في الصحاح ١: ٢٥٥، مادة (شتت)، عن أبي عمرو والنقل بتصرف يسير.

(٢) يأتي في عنوان ١٣، من الفصل الحادي والثلاثون.

(٣) لم اجده في مظانه من الاغاني لكن جاء هذا المعنى في الكتب اللغوية.

(٤) الأغاني ١٢: ٣١٩.

(٥) فتوح البلدان: ٤٠٢.

وفي (النهج): «شتان، بين عملين عمل تذهب لذته، وتبقى تبعته، وعمل تذهب مؤونته، ويبقى أجره»[١].

وفي (دعاء الصباح) المروي في (المصباح) عن الهادي عليه السلام: «انّك أنت الربّ الجليل وأنا العبد الذليل، وشتّان ما بيننا يا حنّان يا منّان»[٢].

وفي (السير): أنّ الحجّاج اتّخذ ابن جعدة الشيباني وكان يرى رأي الخوارج سميراً لأدبه. فكتب إليه قطري أيام حربه مع المهلّب:

لشتّان ما بين ابن جعد وبيننا ... إذا نحن رحنا في الحديد المظاهر
نجاهد فرسان المهلّب كلّنا ... صبور على وقع السيوف البواتر
وراح يجرّ الخزّ عند أميره ... أمير بتقوى الله غير آمر

فلمّا قرأ الكتاب لحق بقطري، وطلبه الحجاج فلم يقدر عليه.

وفي (وزراء الجهشياري): صحب المختم الراسبي الشاعر محمّد بن منصور الّذي كان الرشيد لقّبه فتى العسكر وكان كريماً فأفاد معه مئة ألف درهم. فمات محمّد بن منصور. فاتّصل بمحمّد بن يحيى البرمكي، وكان بخيلاً فانفقها معه. فقال:

شتّان بين محمّد ومحمّد ... حيّ أمات وميّت أحياني
فصحبت حيّاً في عطايا ميّت ... وبقيت مشتملاً على الخسران[٣]

وبالجملة فإنّ بيت الأعشى غاية ما يدلّ عليه عدم لزوم الإتيان بكلمة بين، وأمّا لزوم تركها فلا، ويفهم من موارد استعمال «شتان» جواز استعماله مع ما بدون «بين» كبيت الأعشى المتقدّم، وكما في بيت نصر بن قدامة

(١) نهج البلاغة ٤: ٢٨، الحكمة ١٢١.

(٢) مصباح المتهجد: ٢٠٥.

(٣) الوزراء للجهشياري: ٢٤١، والنقل بتلخيص.

التميمي لمّا هاجر أخوه صفوان مع ابنيه إلى النبيّ ﷺ وأبى قومه وبنو أخيه أن يهاجروا:

تحمّل صفوان فأصبح غادياً بأبنائه عمداً وخلّى المواليا
طلاب الذي يبقى وآثرت غيره فشتّان ما يفنى وما كان باقيا

وكقول شاعر:

شتّان ما قبلة التلاق وقبلة ساعة الفراق

ومع بين؛ كبيت أبي الأسود، وبيت قطري، وبيت البعيث، وبيت ربيعة الرقي، وكلام ابن عباس، وكلام أبي حمزة الخارجي، وفقرة دعاء الصباح وقد تقدّم كلها، وبدون «ما» مع «بين» كما في كلامه عليه السلام في القصار، وكما في كلام المختم الراسبي، وبدون «ما» و «بين» كما في قول لقيط بن زرارة يوم شعب جبلة:

شتّان هذا والعناق والنوم والمضجع البارد في ظلّ الدوم

وقول كعب بن مالك في قتلى بدر وأُحد من المسلمين والمشركين.

شتّان من هو في جهنّم ثاو أبدا ومن هو في الجنان مخلّد

وقول شاعر آخر ذكره (أساس الزمخشري):

شتّان خلوٌ نائمٌ وهوٍ على سهر مكبٌّ[1]

وقول شاعر لما عزل يزيد بن المهلّب عن خراسان وكان لأبيه المهلّب بن أبي صفرة سوابق وآثار في حروبه مع الخوارج ووليها قتيبة بن مسلم وكان أبو قتيبة؛ مسلم بن عمرو الباهلي نديماً ليزيد بن معاوية يشرب معه ويُغنّيه ـ كما في (أنساب البلاذري):

(١) أساس البلاغة: ٢٢٩، مادة (شتت).

شـتّان مـن بـالصبح أدرك والّـذي بالسيف أدرك والحروب تَسَـعَّرُ[١]

هذا، ولبعض المتأخّرين في طبيب غير حاذق مسمى بعيسى:

شتّان ما بين عيسى وعيسى المسيح
فذاك محيي موات وذا مميت الصحيح

هذا وقد عرفت انّ الصدوق في كتابيه لم ينقل التمثل بـالبيت، واتّـفق غيره على نقله إلّا أن المفيد والشيخ، والطبرسي نقلوه بعد قوله عليه السلام: «لشدّ ما تشطرا ضرعيها» وسبط ابن الجوزي بعد قوله عليه السلام: «ولسقيت آخرها بكأس أوّلها» والظاهر أصحية نقل الشيخين له، وهو المفهوم من المرتضى حيث قال في بيان مراده عليه السلام من التمثيل كما نقل ابن ميثم عنه انّ القوم لمّا فازوا بمقاصدهم وظفروا بمطالبهم وهو عليه السلام في أثناء ذلك كلّه محقق في حقه مكذّب في نصيبه كما أشار إليه بقوله «وفي العين قذىً وفي الحق شجا» كان بين حالهم وحاله بعد بعيد، وافتراق شديد[٢].

وأمّا على نقل المصنّف البيت هنا، فلابدّ أن يكون المراد به انّه عليه السلام قال: شتّان بين يومي مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ويومي مع الرجلين، وقد عرفت أنّ معاوية كتب في جواب محمّد بن أبي بكر: «فقد كنّا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب، وحقّه لازماً لنا مبروراً علينا. فلما قبضه الله إليه كان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه حقّه وخالفه على ذلك اتّفقا واتسقا»[٣].

وفي المثل: «العنوق بعد النوق»[٤] يضرب للشدّة بعد السعة.

---

(١) أنساب الأشراف ٤ ق ٢: ١١، لكن الشاعر ليس مسلم الباهلي.

(٢) كذا في العلل ١: ١٥١، والمعاني: ٣٦٢، والارشاد: ١٥٣، وأمالي الطوسي ١: ٣٨٣، والاحتجاج ١: ١٩٢، والتذكرة: ١٢٥، ونقلاً عن المرتضى في شرح ابن ميثم ١: ٢٥٧.

(٣) رواه المسعودي في مروج الذهب ٣: ١٢، وغيره والنقل بتصرف يسير.

(٤) أورده الميداني في مجمع الأمثال ٢: ١٢.

ولمّا ملك الذر مملوك شهاب الدين الغوري غزنة في سنة (٦٠٢) بعد سيده شهاب الدين ألزم وزيره مؤيد الملك أن يكون وزيره. فأجابه على كره فهنّاه صديق له. فقال له: بماذا تهنئني بركوب الحمار بعد الجواد بينا يأتي الذرالف مرّة على بابي حتى آذن له في الدخول أُصبح على بابه.

قال ابن أبي الحديد: وقريب من تمثّله عليه السلام تمثّل الفضل بن الربيع بأبيات البعيث في حرب الأمين والمأمون، ورخاوة الأوّل وشدّة الثاني.

لشتّان ما بيني وبين ابن خالد   اميّة في الرزق الّذي الله يقسم
يقارع أتراك بن خاقان ليلة   إلى أن يرى الاصباح لا يتلعثم
وآخذها حمراء كالمسك ريحها   لها أرج من دنّها يتنسّم
فيصبح من طول الطراد وجسمه   نحيل وأضحى في النعيم أصمم[١]

قلت: البيت الثالث لا ربط له بما قبله وما بعده، وقد نقل الطبري الأبيات ولم ينقله فيها[٢].

وتمثّل الرشيد بقول ربيعة الرقي: «شتان ما بين اليزيدين في الندى» البيت المتقدّم لمّا حجّ ولقيه قبل دخول مكّة رجلان من قريش فتكلّم أحدهما فأحسن، وتكلّم الآخر فلم يأت بشيء.

وعرض نخّاس جاريتين على ابن يزيد سليم الّذي هجا أبوه بالبيت. فقال له: أيّهما أحسن. فقال له: بينهما كما قال الشاعر، وأنشد البيت. فأمر بجرّ رجله وإخراجه معهما.

«فياعجباً بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته» أمّا آستقالة أبي بكر بعد تصدّيه. فتواتر عنه أنّه قال: «اقيلوني فلستُ بخيّركم»[٣].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٥٦.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ٢٧، سنة ١٩٦.

(٣) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٥٦، وبعض آخر لكن كونه متواتراً من الغريب.

ومعنى كلامه عليه السلام: أنَّ أبا بكر رأى عدم صلاحية نفسه للخلافة فكيف عقدها لعمر بعده. ثم كيف خالف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في زعمه تركه الناس بلا تعيين خليفة.

وقال سبط ابن الجوزي في (تذكرته): قال صاحب (بيت العلوم)، وصاحب (عقلاء المجانين): قال أبو الهذيل العلّاف: سافرت مع المأمون إلى الرقّة، فبينا أنا أسير في الفرات إذ مررنا بدير فُوصِفَ لي مجنون يتكلّم بالحكمة، فدخلت الدير وإذا برجل وسيم نظيف فصيح وهو مقيّد. فسلّمت عليه. فردّ السلام. ثم قال: قلبي يحدّثني أنّك لست من أهل هذه المدينة القليل عقول أهلها يعني الرقة قلت: نعم. أنا من أهل العراق. فقال: إنّي أسألك فافهم ما أقول، فقلت: سل، فقال أخبرني عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هل أوصى؟ قلت: لا. قال: فكيف وَلِيَ أبو بكر مجلسه من غير وصيّة؟ فقلت: إختاره المهاجرون والأنصار ورضي به الناس. فقال: كيف أجازه المهاجرون، وقد قال الزبير بن العوام: لا أُبايع إلّا علي بن أبي طالب، وكذا العباس، وكيف اختاره الأنصار، وقد قالت: منّا أمير ومنكم أمير، وولّوا سعد بن عبادة يوم السقيفة، وقال عمر: أُقتلوا سعداً قتله الله؟ وكيف تقول: رضي به الناس وقد قال سلمان الفارسي: «كرديد و نكرديد» أي فعلتموها. فوجئت عنقه، وقال أبو سفيان بن حرب لعليّ: «مدّ يدك لأُبايعك وان شئت ملأتها خيلاً ورجلا» ثم قعد بنو هاشم عن بيعة أبي بكر ستّة أشهر. ثم لمّا وَلِيَ أبو بكر الخلافة قال: «وليتكم ولستُ بخيّركم»؟ وكيف يتقدّم المفضول على الفاضل؟ ولمّا وَلِيَ عمر قال: «وددتُ أنّي شعرة في صدر أبي بكر»، ثم قال بعد ذلك: «كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله الأُمّة شرّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه» ثم إنّ عمر ردّ السبي الّذي سباه خالد بن الوليد في أيام أبي بكر. فانّ خالداً تزوّج امرأة مالك بن نويرة فردّها

عمر بعدما ولدت منه. ثمّ ولّى عمر صهيباً على أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو عبد لبني نمر بن قاسط وكلّ هذا تناقض؟

وأخبرني عن عبد الرحمن بن عوف حين ولّى عثمان الخلافة واختاره؛ هل ولّاه إلّا وهو يعرفه؟ قلت: نعم. قال: فقد قال عبد الرحمن بعد ذلك ما كنتُ أحبّ أن أعيش حتّى يقول لي عثمان: يا منافق! فمعرفة عثمان حين نسبه إلى النفاق كمعرفة عثمان إيّاه إذ ولّاه الخلافة.

وأخبرني عن عائشة لمّا كانت تحرّض الناس على عثمان يوم الدار وتقول: «اُقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر» فلمّا وَلِيَ عليّ عليه السلام الخلافة قالت: وددت أن هذه سقطت على هذه. تعني السماء على الأرض ثم خرجت من بيتها تقاتل عليّاً عليه السلام مع طلحة والزبير على دم عثمان والله تعالى يقول: ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأُولى﴾[1] وهذه مخالفة لله تعالى، ولمّا قتل عثمان جاء المسلمون والصحابة أرسالا إلى عليّ عليه السلام ليبايعوه. فلم يفعل حتّى قالوا له: والله لئن لم تفعل لنلحقنّك بعثمان، فأخبرني أيّما آكد؛ من ضرب سعداً ووجا عنق سلمان كمن جاء الناس يكرهونه على البيعة؟ قال أبو الهذيل فلم أحر جواباً وسقط في يدي.

ثم قال: في كم يجب القطع في السرقة؟ قلت: في ربع دينار. فقال: كم أعطاك الّذي جئت معه إلى هاهنا؟ ـ يعني المأمون ـ قلت: خمسمئة دينار، فقال: يجب أن تقطّع أعضاؤك بحساب ما أخذت. قلت: ولِمَ؟ قال: لأنّك سرقت مال المسلمين. فقلت: الخليفة أعطاني من ماله. فقال: وأين ماله؟ المال لله تعالى ولعامّة المسلمين، ووالله إنّك لأحقّ بهذا السعوط الّذي به كلّ يوم أسعط، وأحقّ بالقيد منّي. قال: أبو الهذيل فخرجت من عنده وأنا خجل. فحدّثت

---

(١) الاحزاب: ٣٣.

المأمون حديثه فاستطرفه وبقي زماناً يستعيده منّي[١].

ومن تناقضاته كاستقالته لنفسه وعقده لغيره أنّه قال للعباس: إنَّ الناس اختاروني عليهم والياً، وما أنفكّ يبلغني عن طاعن يقول الخلاف على عامّة المسلمين، يتّخذكم لجأً. فقال: له العباس: ما أبعد قولك إنّهم طعنوا عليك من قولك إنّهم اختاروك ومالوا إليك، وما أبعد تسميتك خليفة رسوله تعالى من قوله خلّى رسوله على الناس أُمورهم ليختاروا فاختاروك[٢].

ويا عجباً بينا هو وصاحبه يطعنان على النبيّ ﷺ في تأمير أُسامة عليهما ويتخلّفان عن جيشه مع حثّ النبيّ ﷺ على تجهيزه، ولعنه المتخلّف عنه ينفذه من قبله باسم إجراء أمر النبيّ. قال الجزري: بعث النبيّ ﷺ في محرم سنة (١١) بعثاً إلى الشام، وأمّرهم أُسامة بن زيد مولاه، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين. فتكلّم المنافقون في إمارته، وقالوا: أمّر غلاماً على جلّة المهاجرين والأنصار. فقال النبيّ ﷺ: إن تطعنوا في إمارته. فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل، وإنّه لخليق للإمارة، وكان أبوه خليقاً لها، وأوعب مع اسامة المهاجرون الأولون منهم أبو بكر وعمر فبينما الناس على ذلك ابتدأ بالنبيّ ﷺ مرضه ـ الخ[٣].

وهو وإن أجمل الطاعن إلاّ أن المراد معلوم. فالمنافقون لم يكن لهم آعتقاد بالله ورسوله. فكيف يكون لهم آعتقاد بالمهاجرين والأنصار، وإنّ الرجلين إذا كانا في مقام التسليم لله ورسوله كيف يغضب لهما غيرهما.

وقال الجزري أيضاً ـ بعد ذكر بيعة أبي بكر وارتداد جمع، وإرادته إنفاذ

---

(١) تذكرة الخواص: ٦٠، والنقل بتصرف يسير.

(٢) رواه اليعقوبي في تاريخه ٢: ١٢٥، والجوهري في السقيفة: ٤٧ ـ ٤٨، وغيرهما والنقل بتصرف يسير.

(٣) رواه ابن الاثير في الكامل ٢: ٣١٧، سنة ١١، وايضاً الطبري في تاريخه ٢: ٤٢٩، سنة ١١، والنقل بتصرف يسير.

جيش أُسامة قال الناس لأبي بكر: ان هؤلاء ـ يعنون جيش أُسامة ـ جند المسلمين، والعرب على ما ترى قد أنتقضت بك، فلا ينبغي أن تفرّق جماعة المسلمين عنك. فقال: والّذي نفسي بيده لو ظننت أنّ السباع تختطفني لأنفذت جيش أُسامة كما أمر النبيّ ﷺ. فخاطب الناس وأمرهم بالتجهز للغزو، وأن يخرج كلّ من هو من جيش أُسامة إلى معسكره بالجرف. فخرجوا كما أمرهم، وجيش أبو بكر من بقي من تلك القبائل الّتي كانت لهم الهجرة في ديارهم. فصاروا مسالح حول قبائلهم وهم قليل. فلمّا خرج الجيش إلى معسكرهم بالجرف، وتكاملوا أرسل أُسامة عمر، وكان معه في جيشه إلى أبي بكر يستأذنه أن يرجع بالناس، وقال: إنّ معي وجوه الناس وجلّتهم، ولا آمن على خليفة رسول الله وحرم رسول الله والمسلمين أن يتخطفهم المشركون، وقال من مع اسامة من الأنصار لعمر: أبلغ الخليفة عنّا وأطلب إليه أن يولّي أمرنا أقدم سنّاً من أُسامة. فخرج عمر بأمر اسامة إلى أبي بكر. فأخبره بما قال أُسامة. فقال: لو خطفتني الكلاب والذئاب لأنفذته كما أمر به النبيّ، ولا أردّ قضاءً قضى به النبي، ولو لم يبق في القرى غيري. فقال عمر: إن الأنصار تطلب رجلاً أقدم سنّاً من أُسامة. فوثب أبو بكر، وكان جالساً وأخذ بلحية عمر، وقال: ثكلتك أُمّك يا أبن الخطاب! إستعمله النبي، وتأمرني أن أعزله، ثم خرج أبو بكر حتّى أتاهم وأشخصهم، وشيّعهم. وهو ماش وأُسامة راكب ـ إلى أن قال ـ فلمّا أراد أن يرجع، قال لأُسامة: أرأيت أن تعينني بعمر. فاذن له ـ الخ[١].

ولعمر الله هل هذه إلّا صفات أهل النفاق!! وأين كان هذا التصلّب منه في

---

(١) رواه ابن الأثير في الكامل ٢: ٣٣٤، سنة ١١، وأيضاً الطبري في تاريخه ٢: ٤٦١ ـ ٤٦٢، سنة ١١، والنقل بتصرف يسير.

اجراء حكم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في وقت حكمه صلى الله عليه وآله وسلم فإنّه صلى الله عليه وآله وسلم انّما حكم بتجهيز جيش أُسامة في حياته، وهو وصاحبه كانا من جيشه، والإنسان قد يأمر بشيءٍ لغرض في وقت، وبعد ذاك الوقت لا يريده لعدم حصول غرض منه، ومن أين انّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن غرضه من بعث أُسامة في شدّه مرضه، وحثّه عليه كلّما أفاق، ولعنه من تخلّف عنه؛ خروج الرجل وخروج صاحبه حين وفاته حتى لا يبقى حين وفاته في المدينة مخالف لأمير المؤمنين عليه السلام ؟

ومن العجب أنّ ابن أبي الحديد قال: وتزعم الشيعة انّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم موته وانّه سيّر أبا بكر وعمر في بعث أُسامة لتخلو دار الهجرة منهما. فيصفو الأمر لعليّ عليه السلام ويبايعه من تخلّف من المسلمين بالمدينة على سكون وطمأنينة. فإذا جاءهما الخبر بموت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبيعة الناس لعليّ عليه السلام بعده كانا عن المنازعة والخلاف أبعد لأنّ العرب كانت تلتزم باتمام تلك البيعة، ويحتاج في نقضها إلى حروب شديدة. فلم يتمّ له ما قدّر، وتثاقل أُسامة بالجيش أيّاماً مع شدّة حثّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على نفوذه وخروجه بالجيش حتى مات صلى الله عليه وآله وسلم وهما بالمدينة فسبقا علياً عليه السلام إلى البيعة وجرى ما جرى.

قال ابن أبي الحديد: وهذا عندي غير منقدح لأنّه إن كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يعلم موته فهو أيضاً يعلم انّ أبا بكر سيلي الخلافة، وما يعلمه لا يحترس منه، وإنّما يتمّ هذا ويصحّ إذا فرضنا انه عليه السلام كان يظنّ موته، ولا يعلمه حقيقة، ويظنّ انّ أبا بكر وعمر يتمالآن على ابن عمّه، ويخاف وقوع ذلك منهما ولا يعلمه حقيقة، فيجوز ان كانت الحال هكذا ان ينقدح هذا التوهم، ويتطرّق هذا الظنّ[١].

فانّ جوابه ممّا يضحك الثكلى. فان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فعل ما كان عليه لإتمام

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٥٤.

الحجّة من الأمر بخروجهما، كما إنّه فعل ما كان واجباً عليه من الأمر بإتيانه بقلم وصحيفة ليكتب لهم كتاب وصيّة لئلّا يضلّوا بعده. فإن منعه الثاني عن الكتابة وتخلّف هو وصاحبه عن الخروج في جيش أُسامة أي شيء يرد على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم لو أراد أبو بكر إنفاذ أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعده لِمَ لم يخرج بنفسه، وكان في جملتهم كما صرّح به ابن سعد كاتب الواقدي مع نصبه وجهده في ستر ما يرد به عار على صدّيقه حتى إنه اقتصر في ذكر بعث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له للحج ولم يذكر بعثه لتبليغ البراءة ليخفي عزله عن الله تعالى.

وكان من أهمية المطلب أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مع مرضه عقد اللواء بيده كما صرّح به ابن سعد أيضاً[1]، ولِمَ لم يخلّ عمر، وكان مأموراً من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالحركة في ذاك الجيش بالإتفاق لا من اسامة، وإذا كان بيد أُسامة حيث طلب منه ترك عمر له فاسامة أراد ترك ذاك الأمر كلّه فلم أنكر عليه.

وانّما أراد أبو بكر بإنفاذ جيش أُسامة أمرين: التباس الأمر على العامة بكلماته التي لفّقها من قوله: «لو ظننت ان السباع تختطفني لأنفذت جيش أُسامة كما أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم»[2] والثاني: ان يتجلّد للعرب. قال الجزري: وكان إنفاذ جيش أُسامة أعظم الأُمور نفعاً للمسلمين، فان العرب قالوا: لو لم تكن بهم قوّة لما أرسلوا هذا الجيش. فكفّوا عن كثير ممّا كانوا يريدون أن يفعلوه[3].

ثم لِمَ لم يستخلف أبو بكر أُسامة وقد امّره النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وانّما خدعه هو

---

(١) طبقات ابن سعد ٢ ق ١: ١٢١ و١٣٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٤٦١، سنة ١١.

(٣) الكامل ٢: ٣٣٦، سنة ١١.

وصاحبه بان كانا يخاطبانه بأيُّها الأمير مادام حياتهما.

ثم واعجباً من ابن قتيبة في (خلفائه) يقول في عنوان: كيف كانت بيعة علي «قام عمر مع جماعة فمشوا حتى أتوا بيت فاطمة فدقّوا الباب فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: يا أبه يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن ابي قحافة ـ إلى أن قال ـ فلحق عليٌّ بقبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يصيح ويبكي وينادي: «يا ابن أُمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»[(١)].

وهل معنى ذلك إلّا جعل أمير المؤمنين عليه السلام لأبي بكر وعمر كالعجل والسامري، ومبايعي أبي بكر كعابدي العجل، وان الرجلين واتباعهما أرادوا قتل أمير المؤمنين عليه السلام لإنكاره أمرهم وبيعتهم لأبي بكر. ثم يقول ابن قتيبة في آخر كلامه: «فلمّا تمّت البيعة لأبي بكر أقام ثلاثة أيام يقيل الناس ويستقيلهم يقول قد أقلتكم في بيعتي هل من كاره هل من مبغض فيقوم عليّ في أول الناس فيقول والله لا نقيلك ولا نستقيلك أبداً قد قدّمك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتوحيد ديننا من ذا الّذي يؤخرك لتوجيه دنيانا»[(٢)]

فهل كان أمير المؤمنين عليه السلام شطّاراً يقول الأمس ما مر ويقول اليوم ما قال أنا أستحي لهذا الرجل من هذا التناقض أوّلاً وأخيراً، وإنَّ ما نسبه إليه عليه السلام هو كلام عمر لأبي بكر. فلمّا أراد عقد البيعة له قال له «قدّمك النبي لديننا ـ يعني في صلاته بالناس ـ أفلا نرضاك لدنيانا ـ يعني خلافة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم »[(٣)].

ومن العجب أنّ ابن أبي الحديد قال: ومن الناس من أنكر استقالة أبي بكر، وقال إنّما قال أبو بكر «ولّيتكم ولستُ بخيركم»[(٤)] هب جحدوا وأنكروا

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٣، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٦ .

(٣) رواه عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ١: ١٢٣، شرح الخطبة ٢٦، والنقل بالمعنى.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٥٦ .

النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام كيف يجحدون ما قاله صدّيقهم في الملأ، وعلى رؤوس الأشهاد. فيالله لهؤلاء تارة ينكرون أصل ما تواتر عن أوّلهم، وأخرى يضعون انّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يقبل منه استقالته.

وكيف يقول ابن أبي الحديد ما قال وقد روى ابن قتيبة مع نصبه استقالة أبي بكر مرّتين ثانيتهما ـ بعد ذكر عيادته مع صاحبه عمر لسيّدة نساء العالمين وذكر أخذها عليها السلام إقرارهما بقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيها: «سخط فاطمة من سخطي وسخطي سخط الله» وذكر قولها عليها السلام لأبي بكر: «لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاة أُصليها ـ قال: فخرج أبو بكر باكياً وقال: لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي»[1].

«لشدّ ما تشطرا ضرعيها» الضرع للحيوان كالثدي للمرأة، والشطر النصف قال فضالة بن شريك في أعور من بني شطير:

لنصف امرئٍ من نصف حيٍّ يسبّني لعمري لقد لاقيت خطباً من الخطب

جعله نصف امرئٍ لكونه أعور، ومن نصف حيّ لكونه من بني شطير.
ويُقال «ولد فلان شطره» أي: نصف ذكور ونصف إناث، ويُقال «شعر شطران» أي: نصفه أسود ونصفه أبيض. ومعنى كلامه عليه السلام ان كلاًّ من الأوّل والثاني أخذ بالشدّة ضرعاً من ضرعي الخلافة.

ثم الظاهر أن «ما» في «شد ما» للتعجب فيكون «شدّ ما» في معنى «ما أشدّ». وقال ابن أبي الحديد «شدّ ما» أي صار شديداً كما انّ حبّذا معناه صار حبيباً[2].

وهو كما ترى فانّ معنى «شدّ ما» ان الشيء كان في غاية الشدّة يشهد

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٤، والنقل بتلخيص.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٥٧، والنقل بالمعنى.

له موارد استعماله من كلامه عليه السلام وكلام آخرين. فقالوا في قصّة بهرا مجور وجاريته التي اقترحت عليه أشياء صعبة انّه أخذها وضرب بها الأرض وقال لها «لشدّ ما اشتطت عليّ لإظهار عجزي».

وفي (الأغاني): أعطى عبد الله بن الحشرج لمّا كان أمير خراسان الناس كلّ شيء له حتّى منشفة عليه وفراشه ولحافه، فقالت له امرأته: لشدّ ما يتلاعب بك الشيطان[1].

وفي (الطبري): بعث المنصور باقياد لتقييد بني الحسن، وفيها قيد ثقيل كلّما قرب من واحد منهم استعفى. فقال علي بن الحسن المثنى «لشدّ ما جزعتم» ومد رجليه فقيّد به[2].

وفي (أنساب البلاذري): كان مسلم بن عمرو الباهلي أبو قتيبة بن مسلم نديماً ليزيد بن معاوية يشرب معه ويغنّيه. فقال الشاعر حين عزل يزيد بن المهلب (وكان أبوه ذا سابقة في الحروب مع الخوارج) عن خراسان ووليها قتيبة:

شتّان من بالصبح أدرك والّذي بالسيف أدرك والحروب تسعّر[3]

ولما أوفد سعد بن أبي وقاص عمرو بن معد يكرب بعد فتح القادسية إلى عمر، وأثنى عليه في كتابه. فسأله عمر عن سعد، فأثنى عمرو عليه فقال له عمر لشدّ ما تقارضتما الثناء.

وقال الأشعث بن قيس لشريح القاضي في كلام دار بينهما: لشدّ ما ارتفعت.

---

(١) الاغاني ١٢: ٣٦، والنقل بتصرف يسير.

(٢) تاريخ الطبري ٦: ١٧٤، سنة ١٤٤، والنقل بالمعنى.

(٣) انساب الاشراف ٤ ق ٢: ١١.

ولمّا قرأ يزيد كتاباً للحسين عليه السلام في معنى حجر وعمرو بن الحمق إلى معاوية قال لأبيه: لشدّ ما فخر عليك الحسين. وقال الشاعر:

لشدّ ما نال منّي الدهر واعتلقت يد الزمان وأوهت من قوى مرري

وقال اعرابي:

فلما كتمت الحبّ قالت لشدّ ما صبرت وماهذا بفعل شجي القلب

وقال الفضل بن سهل لطاهر بن الحسين لشدّ ما سموت.

هذا وقريب من قوله عليه السلام: «لشدّ ما تشطّرا ضرعيها» قول رجل من ولد ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس لمروان الحمار:

مريت يا مروان أطباءها حتى استمرّت بدم حائل

وقول السلولي:

وذمّوا لنا الدنيا وهم يرضعونها أفاويق حتّى ما يدرّ لها ثعل

والثعل بالضم: خِلف زائد لا يدرّ، وانما ذكره مبالغة والخِلف حلمة الضرع.

روى المفيد في (أماليه) عن الربيع بن المنذر قال: سمعت الحسن بن عليّ عليه السلام يقول: إنّ أبا بكر و عمر عمدا إلى هذا الأمر وهو لنا كلّه فأخذاه دوننا، وجعلا لنا فيه سهماً كسهم الجدّة. أما والله لتهمنّهما أنفسهما يوم يطلب الناس فيه شفاعتنا[1].

والظاهر انّ المراد بقوله عليه السلام: «كسهم الجدّة» أنّهما جعلا لهم من الخلافة وباقي حقوقهم مجرّد طعمة كالجدّة مع الوالدين.

«فصيّرها في حوزة خشناء» قال الزبير بن بكار: كان عمر إذا غضب على

(١) أمالي المفيد: ٤٨ ح ٨، المجلس ٦.

بعض أهله لم يسكن غضبه حتى يعضّ يده عضّاً شديداً ويدميها[١].

وقالوا: كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاج[٢]، وكان الحجاج يتشبه بزياد، وكان زياد يتشبّه بعمر.

ولمّا أراد عمر منع زياد عن إقامة الشهادة على المغيرة، ورآه أقبل صاح به صيحة حكاها المشاهد للراوي ـ كما رواه أبو الفرج الاصبهاني ـ فكاد أن يغشى عليه[٣].

وجعله أبو بكر قاضياً في خلافته. فمكث سنة لم يخاصم إليه أحد.

وجاءت إليه سريّة لابنه عبيد الله. فقالت له: ألا تعذرني من أبي عيسى قال: ومَن أبو عيسى . قال: ابنك عبيد الله، قال: ويحك وقد تكنى بأبي عيسى، ودعاه وقال: ويحك! إكتنيت بأبي عيسى. فحذر وفزع. فأخذ يده. فعضّها حتّى صاح ثم ضربه، وقال: ويلك هل لعيسى أب؟ أما تدري ما كنّى العرب؟ أبو سلمة، أبو حنظلة، أو عرفطة، أبو مرّة[٤].

وفي (الخلفاء): قال عمرو بن ميمون: شهدت عمر بن الخطاب يوم طعن فمامنعني أن أكون في الصفّ الأوّل إلّا هيبته. فكنت في الصفّ الذي يليه وكان عمر لا يكبّر حتى يستقبل الصفّ المتقدّم بوجهه. فإن رأى رجلاً متقدّماً من الصفّ أو متأخّراً ضربه بالدرّة. فذلك الذي منعني من التقدّم. فأقبل لصلاة الصبح وكان يغلّس بها. فعرض له أبو لؤلؤة غلام المغيرة فطعنه. الخ[٥].

وعدّ (معارف ابن قتيبة) في «عنوان من كان على دين قبل مبعث

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٠٤، شرح الخطبة ٢٢٦، لكن لم أجده في موفقيات الزبير بن بكار.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١١٣، شرح الخطبة ٢٢٦.

(٣) رواه ابوالفرج في الاغاني ١٦: ٩٨.

(٤) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٠٤، شرح الخطبة ٢٢٦.

(٥) الإمامة والسياسة ١: ١٢.

النبيّ ﷺ » زيد بن عمرو بن نفيل. قال: كان رغب عن عبادة الأوثان وطلب الدين (فأولع به عمر، وكان ابن عمّه، وسلّط عليه سفهاء مكّة. فآذوه فخرج إلى الشام) فقتله النصارى بالشام[1].

وفي (سيرة ابن هشام) ـ في حديث أُم عبد الله عن اسلام عمر ـ قال لها زوجها: اطمعت في إسلام عمر؟ قالت: نعم، قال: فلا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب ـ قالت: قال ذلك يأساً منه عن الإسلام لما كان يرى من غلظته وقسوته[2].

وفي (أُسد الغابة): روى مجاهد عن ابن عباس قال: سألت عمر عن إسلامه فقال: خرجت بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام فإذا فلان المخزومي، وكان قد أسلم. فقلت: تركت دين آبائك واتّبعت دين محمّد؟ قال: إن فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقّاً منّي. قلت: من هو؟ قال: أُختك وختنك. قال: فانطلقت. فوجدت الباب مغلقاً، وسمعت همهمة. ففتح الباب. فدخلت فقلت: ما هذا الذي أسمع؟ قالت: ما سمعت شيئاً. فما زال الكلام بيننا حتى أخذت برأس ختني فضربته فأدميته. الخ[3].

وفي (سيرة ابن هشام): مرّ أبو بكر بجارية بني مؤمل ـ حيّ من بني عدي بن كعب ـ وكانت مسلمة، وعمر يعذّبها لتترك الإسلام، وهو يومئذٍ مشرك وهو يضربها حتّى إذا ملّ قال إني أعتذر إليك أنّي لم أتركك إلّا ملالة. فتقول: كذلك فعل الله بك[4].

وفيه مسنداً عن عمر قال: مررت بهشام بن حكيم بن حزام، وهو يقرأ

---

(١) المعارف: ٥٩، وما بين القوسين ليس في نسختنا.

(٢) سيرة ابن هشام ١: ٢٩٥.

(٣) أُسد الغابة ٥: ٥١٩.

(٤) سيرة ابن هشام ١: ٢٧٨.

الفرقان في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فإذا هو يقرأ على حروف لم يقرئنيها النبيّ، فكدت أُساوره في الصلاة. فنظرت حتّى سلّم. فلبّبته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة. قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: فقلت له، كذبت إنّه أقرأني هذه السورة. فانطلقت أقوده إلى النبيّ. فقلت: إنّي سمعت هذا يقرأ السورة على حروف لم تقرئنيها. فقال النبيّ: أرسله يا عمر. إقرأ يا هشام. فقرأ. فقال النبي: هكذا أُنزلت. الخ[1].

وفي (الاستيعاب): لمّا مات سعد بن معاذ جعلت امّه تبكي. فقال لها عمر: أُنظري ما تقولين. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: دعها يا عمر! كلّ باكية مكثرة إلّا أُمّ سعد ما قالت من خير فلن تكذب[2].

وفي (العقد الفريد): مرّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بنسوة من الأنصار يبكين ميّتاً فزجرهن عمر. فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: دعهن يا عمر. فإن النفس مصابة والعين دامعة، والعهد قريب[3].

ورووا أيضاً: أنّ عمر سمع صوت بكاء في بيت فدخل وبيده الدرّة. فمال عليهم ضرباً حتّى بلغ النائحة فضربها حتّى سقط خمارها. ثم قال لغلامه: إضرب النائحة، ويلك أضربها. فإنّها نائحة لا حرمة لها، إنّها لا تبكي بشجوكم، إنّها تهريق دموعها على أخذ دراهمكم. إنّها تؤذي أمواتكم في قبوركم، وأحياءكم في دورهم، إنّها تنهى عن الصبر، وقد أمر الله به، وتأمر بالجزع، وقد نهى الله عنه[4].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢: ٦١ و٣: ٢٢٦ و٢٣٤، و٤: ١٩٨ و٣٠٨، ومسلم في صحيحه ١: ٥٦٠ ـ ٥٦١ ح ٢٧٠ ـ ٢٧١، وجمع آخر لكن لم يوجد في سيرة ابن هشام.

(٢) الاستيعاب ٤: ٣٩٦، والنقل بتصرف يسير.

(٣) العقد الفريد ٣: ١٦٨.

(٤) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١١١، شرح الخطبة ٢٢٦.

قلت: لم ينته الرجل بنهي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فآذى المصابات المرحومات، وقوله «تؤذي أمواتكم» خلاف قوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أُخرى﴾[١] وكيف وقد أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالبكاء على عمّه حمزة، وبكى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نفسه على إبراهيم ابنه وقال «يحرق القلب، وتدمع العين، ولا نقول ما يسخط الربّ»[٢] وكسب النائحة إذا لم يكن من النوح الباطل حلال.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: لما مات عبد الله بن أبيّ بن سلول حضر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جنازته فقال له عمر: ألم ينهك الله أن تقوم على قبره؟! فسكت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فقال عمر ثانية: ألم ينهك الله أن تقوم على قبره؟! فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ويلك، وما يدريك ما قلت؟ إنّي قلت: «اللهمّ احشُ جوفه ناراً واملأ قبره ناراً» فأبدى عمر من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يكره ابداءه[٣].

قلت: ومن الغريب أنّ العامّة نقلوا هذه القصّة هكذا: «إنّ عبدالله بن أبيّ لما توفّي جاء ابنه وأهله إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وسألوه أن يصلّي عليه. فقام بين يدي الصفّ يريد ذلك فجاء عمر. فجذبه من خلفه، وقال له: ألم ينهك الله أن تصلّي علي المنافقين. فقال: إنّي خيّرت فاخترت فقيل لي: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تسغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم﴾[٤] ولو أعلم اني إذ أزدت على السبعين غفر له لزدت. ثمّ صلّى عليه ومشى معه، وقام على قبره، فعجب الناس من جرأة عمر على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فلم يلبث الناس أن نزل قوله تعالى: ﴿ولا تصلّ على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾[٥] فلم يصلِّ

---

(١) فاطر: ١٨.

(٢) اخرجه مسلم في صحيحه ٣: ١٨٠٧ ح ٦٢، وابو داود في سننه ٣: ١٩٣ ح ٣١٢٦، وغيرهما.

(٣) أخرجه القمي في تفسيره ١: ٣٠٢، والنقل بتصرف يسير.

(٤) التوبة: ٨٠.

(٥) التوبة: ٨٤.

النبيّ ﷺ على أحد من المنافقين[1].

فأرادوا تبديل قدحه بمدح إلّا أنّهم لم يتفطنوا لتناقض صدر كلامهم وذيله فيقولون أوّلاً: انّ عمر جذب النبيّ من خلفه في صلاته على الرجل، وقال له: ألم ينهك الله عن ذلك في قوله: ﴿ولا تصلِّ على أحدٍ منهم﴾ ويقولون أخيراً: انّه نزل قوله ﴿ولا تصلّ على أحدٍ منهم﴾ تصديقاً لعمر.

ونظيره ما رووا له أنّه لمّا أسر النبيُّ ﷺ في بدر سبعين من المشركين استشار جمعاً من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر في أمرهم. فقال أبو بكر: هؤلاء بنو العمّ والعشيرة والإخوان؛ أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوّة لنا على المشركين، وعسى الله أن يهديهم بعد اليوم. فيكونوا لنا عضداً. فقال النبي لعمر ما تقول أنت؟ قال: أرى أن تمكّنني من فلان ـ قريب لعمر ـ فأضرب عنقه، وتمكّن عليّاً من عقيل. فيضرب عنقه، وتمكّن حمزة من أخيه العباس. فيضرب عنقه حتى يعلم الله انّه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين اقتلهم فانّهم صناديدهم وقادتهم، فلم يهو النبيّ ما قاله عمر وهوى ما قاله أبو بكر. فأخذ منهم الفدية، وخلّى سبيلهم فأنزل عليه ما أنزل. قال عمر: فجئت إلى النبي. فوجدته قاعداً وأبو بكر يبكيان. فقلت: ما يبكيكما حدّثاني. فإن وجدت بكاء بكيت وإلّا تباكيت. فقال النبي: أبكي لأخذ الفداء. لقد عرض عليّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة. لشجرة قريبة قال ابن عمر: قال النبي: كدنا أن يصيبنا شرّ في مخالفة عمر[2].

فإنّه إذا كان عمر هو الّذي وافق مراده مراد الله، والنبيّ ﷺ خالفه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤: ٢١٤١ ح ٣ و٤، واورد بعض طرقه السيوطي في الدر المنثور ٣: ٢٦٤ و٢٦٦، والنقل بتصرف يسير.

(٢) رواه الطبري في تاريخه ٢: ١٦٩، سنة ٢.

كان عمر أولى بالنبوّة، ولم يكن قوله تعالى: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[(١)] بحق، وأيضاً لِمَ يقول النبيّ ﷺ لعمر عرض عليّ عذابكم وكان الواجب عليه أن يقول له عذابي وعذاب أُمّتي غيرك.

وكذا ما رووا أنّ أبا هريرة قال: كنّا قعوداً حول النبيّ فقام من بين أظهرنا. فأبطأ علينا. فخشينا أن يقتطع دوننا فـفزعنا، وكنت أوّل من فزع فخرجت ابتغيه حتى أتيت حائطاً لقوم من بني النجار فلم أجد للحائط باباً إلّا ربيعاً أي جدولاً، فدخلت في جوف الحائط بعد أن احتفرته. فإذا النبي. فقال: ما شأنك قلت: كنت بين أظهرنا. فقمت وأبطأت فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا، وكنت أوّل من فزع فأتيت هذا الحائط. فاحتفرت كما يحتفر الثعلب، والناس ورائي فقال: اذهب بنعليّ هاتين فمن لقيته وراء هذا الحائط يشهد ألا إله إلّا الله مستيقناً بها قلبه بشّرته بالجنّة ـ إلى أن قال ـ قال أبو هريرة فضرب عمر في صدري فخررت لأستي، وقال: إرجع إلى النبيّ. فأجهشتُ بالبكاء راجعاً ـ إلى أن قال فخرج النبيّ ﷺ وإذا عمر، فقال: ما حملك يا عمر على ما فعلت؟ فقال عمر: أنت بعثت أبا هريرة بكذا؟ قال: نعم. قال: فلا تفعل فإني أخشى أن يتّكل الناس عليها فيتركوا العمل. خلِّهم يعملون فقال النبيّ: خلهم يعملون[(٢)].

فلم يتفطنوا أنّ ما وضعوه للرجل يكذب الله تعالى في قوله جلّ وعلا: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى﴾[(٣)] ويستلزم أن يكون عمر أعرف بمصالح الناس ومفاسدهم من الله تعالى ورسوله.

هب ذلك كلّه، لِمَ ضرب أبا هريرة ضرباً خرَّ لأسته وأجهش بالبكاء؟ هل

---

(١) الانفال: ١٢٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١: ٥٩ ح ٥٢، وغيره والنقل بتصرف يسير.

(٣) النجم: ٣ ـ ٤.

فعل أبو هريرة ما فعل إلّا بأمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على نقلهم؟ ولِمَ لم يطلب منه الكفّ بلا أذية حتى يراجع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وكذا روى الغزالي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان جالساً وعنده جوارٍ يتغنين ويلعبن فجاء عمر فاستأذن. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أسكتن فسكتن، فدخل عمر فقضى حاجته ثم خرج فقال لهنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عدن إلى الغناء. فقلن: يا رسول الله مَن هذا الذي لمّا جاء قلت: أُسكتن، ولمّا خرج قلت: عُدن إلى الغناء قال: هذا رجل لا يؤثر سماع الباطل[1].

فيالله من هذه الأحاديث الخبيثة التي غرستها الشجرة الأُمويّة الملعونة في القرآن في قلوب هؤلاء. فيجعلون عمر أورع وأعرف وأفضل من رسول ربّ العالمين.

ثم الغريب انّهم تارة يروون كونه أفضل من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأُخرى يروون كفره وارتداده. فقالوا: لمّا كتب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الحديبية كتاب الصلح بينه وبين سهيل بن عمرو على ان من خرج من المسلمين إلى قريش لا يرد ومن خرج من المشركين إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يردّ اليهم؛ غضب عمر، وقال لأبي بكر: ما هذا أيرد المسلمون إلى المشركين ثم جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فجلس بين يديه، وقال: ألست رسول الله حقّاً؟ قال: نعم. قال: ونحن المسلمون حقّاً؟ قال: نعم. قال: وهم الكافرون؟ قال: نعم. قال فعلام نعطي الدنيّة في ديننا؟ فقال النبيّ: أنا رسول الله أفعل ما يأمرني الله به، ولن يضيّعني. فقام عمر مغضباً، وقال: والله لو أجد أعواناً ما أعطيت الدنيّة أبداً، وجاء إلى أبي بكر. فقال له: أوما وعدنا انّه سيدخل مكّة. فأين ما وعدنا به. فقال له أبو بكر: أقال لك: إنّه العام يدخلها. قال: لا. قال: فسيدخلها. قال: فما هذه الصحيفة التي كُتبت، وكيف

(١) يوجد قريب من بهذا المضمون في احياء العلوم ٢: ٢٤٥.

نعطي الدنية من أنفسنا. فقال أبو بكر: يا هذا إلزم غزره. فوالله انّه لرسوله ان الله لا يضيعه. فلمّا كان يوم الفتح، وأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مفاتيح الكعبة. قال: أُدعوا لي عمر. فجاء. فقال: هذا الذي كنت وعدتكم[١].

إلّا أنّ الأولى روايات مفتعلة يكذّبها العقل، والأخيرة روايات صحيحة يشهد لها الدراية، ولذا قال النظام كما نقله ملل الشهرستاني أنَّ قول عمر ذاك شكّ في الدين، ووجدان خرج في النفس مما قضى وحكم. بل هو نفسه أقرّ بشكّه في ذاك اليوم كما رووا[٢].

وفي (الطبري): إنّ عمر خطب أُم أبان بنت عتبة بن ربيعة فكرهته، وقالت: يغلق بابه، ويمنع خيره، يدخل عابساً ويخرج عابساً[٣].

وفيه: خطب عمر إلى عائشة أُم كلثوم بنت أبي بكر. فقالت أُم كلثوم: لا حاجة لي فيه. فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فأخبرته. فقال: أنا أكفيك. فأتى عمر. فقال: بلغني خبر اُعيذك بالله منه. قال: وما هو؟ قال: خطبت أُم كلثوم بنت أبي بكر. قال: نعم أفرغبت بي عنها أم رغبت بها عنّي؟ قال: ولا واحدة، ولكنها حدثة نشأت تحت كنف عائشة في لين ورفق، وفيك غلظة، ونحن نهابك، وما نقدر أن نردّك عن خُلق من أخلاقك، فكيف بها إن خالفتك في شيء فسطوت بها كنت قد خلّفت أبا بكر في ولده بغير ما يحقّ عليك ـ الخ[٤].

وفي (صحيح البخاري) عن عائشة قالت: إنّ أزواج النبيّ كنّ يخرجن بالليل إذا تبرّزن إلى المناصع ـ وهو صعيد أفيح ـ فكان عمر يقول

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٢: ٢٠٥، ومسلم في صحيحه ٣: ١٤١١ ح ٩٤، وغيرهما والنقل بتصرف في اللفظ.

(٢) قول النظام في الملل والنحل ١: ٥٩، واعتراف عمر بشكه رواه الواقدي في المغازي ١: ٦٠٧، والثعلبي في تفسيره، عنه الطرائف ٢: ٤٤١.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٢٧٠، سنة ٢٣، والنقل بتصرف يسير.

(٤) المصدر نفسه.

للنبيّ ﷺ: أُحجب نساءك. فلم يكن النبيّ ﷺ يفعل. فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبيّ ﷺ ليلة من الليالي عشاء وكانت طويلة، فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سودة حرصاً على أن ينزل الحجاب فأنزل الله آية الحجاب[1].

قلت: على ما اصلحوا له الخبر بكون عمله ذاك حرصاً على نزول الحجاب كان عمر أعلم بالحكم من الله تعالى فضلاً عن رسوله.

وفي (خلفاء ابن قتيبة): ان المهاجرين والأنصار دخلوا على أبي بكر حين بلغهم انّه استخلف عمر. فقالوا: نراك استخلفت علينا عمر، وقد عرفته، وعلمت بوائقه فينا وأنت بين أظهرنا. فكيف إذا ولّيت عنّا وأنت لاقي الله عزّوجلّ فسائلك. فما أنت قائل. فقال أبو بكر: لئن سألني الله لأقولن له استخلفت عليهم خيرهم في نفسي[2].

قلت: جواب أبي بكر للمهاجرين والأنصار كجواب معاوية لعائشة لمّا قالت له: ما تقول لله إذا سألك عن قتل حجر بن عدي مع مقامه في العبادة؟ قال لها: دعيني وحجراً حتى نلقى ربنا، إنّي رأيت قتله صلاحاً للأمّة.

وفي (عيونه): تقدّمت امرأة الىٰ عمر، فقالت «يا أبا عمر حفص الله لك» (أرادت أن تقول « يا أبا حفص عمرك الله») فقال عمر: مالك أعقرت أي: دهشت؟ قالت: «صلعت فرقتك» (أرادت أن تقول «فرقت صلعتك»)[3].

وفي (الطبري): لمّا أتى كتاب أبي بكر إلى خالد بن الوليد بالحيرة أن يمدّ أهل الشام، قال: هذا عمل الاعيسر ابن أُم شملة ـ يعني عمر ـ حسدني أن يكون فتح العراق على يدي[4].

---

(١) صحيح البخاري ١: ٤٠.

(٢) الامامة والسياسة ١: ١٩.

(٣) عيون الاخبار ١: ١٢.

(٤) تاريخ الطبري ٢: ٦٠٨، سنة ١٣.

وفي (الطبري): قال الفضل بن العباس: قال النبيّ ﷺ في مرضه: أيّها الناس من خشي من نفسه شيئاً فليقم أدعُ له. فقام رجل فقال: يا رسول الله! إن من شيء إلّا وقد جئته، فقام عمر فقال: أيّها الرجل فضحت نفسك. فقال النبيّ ﷺ: يا ابن الخطاب فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة. اللهم صيّر أمره إلى خير[1].

وفي (أدب كاتب الصولي): أقطع أبوبكر طلحة ارضاً، وكتب له كتاباً، وأشهد له ناساً فيهم عمر. فأتى طلحة عمر بالكتاب ليختمه، فقال: هذا كلّه لك دون الناس لا أختم هذا فرجع طلحة مغضباً إلى أبي بكر. فقال: أنت الخليفة أم عمر[2]؟

وفيه، وأقطع أبوبكر لعيينة بن حصن الفزاري قطيعة، وكتب له بها كتاباً فأتى عيينة عمر فاعطاه الكتاب فبصق فيه ومحاه[3].

«يغلظ كلمها» قال الجوهري: الكلم: الجراحة، وقرأ بعضهم ﴿دابة من الأرض تكلمهم﴾ أي: تجرحهم[4].

ولأبي سعيد الخوارزمي في وصف رجل «جعل لسانه سنانه، وأشفار عينيه الصلبة شفاره. فإذا تكلّم كلم بلسانه أكثر مما يكلم بسنانه، وإذا لمح ببصره جرح القلوب بلحظه أشدّ ممّا جرح الآذان بلفظه، يظهر للناس في زي مظلوم وانّه لظالم، ويشكوا إليهم وجع السليم وهو سالم».

وفي (لسان العرب): يروى انّ عمر رأى جارية متكمكمة. فسأل عنها فقالوا: أمة آل فلان، فضربها بالدّرة. وقال: يالكعاء أتتشبّهين بالحرائر قال:

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٣٤، سنة ١١، والنقل بتصرف يسير.

(٢) أدب الكاتب: ٢١١.

(٣) أدب الكاتب: ٢١١.

(٤) صحاح اللغة ٥: ٢٠٢٣، مادة (كلم).

ارادوا متكمّمة فضاعفوا، واصله من الكمة، وهي القلنسوة فشبّه قناعها بها[١].

وفي (كامل الجزري): إرتد أبو شجرة السلمي، وهو ابن الخنساء في من أرتدّ من سليم وقال ابياتاً منها.

فروّيت رمحي من كتيبة خالد وإنّي لأرجو بعدها أن أُعمّرا

ثم إنه اسلم. فلمّا كان زمن عمر قدم المدينة فرآه يقسم في المساكين. فقال: أعطني فإنّي ذو حاجة فقال: ومن أنت؟ قال: أنا أبو شجرة. قال: أي عدوّ الله لا والله ألست القائل «فروّيت رمحي» ـ البيت؟ وجعل يعلو رأسه بالدرة، فسبقه عدواً إلى ناقته. فركبها ولحق بقومه، وقال:

ضنّ علينا أبو حفص بنائله وكلّ مختبط يوماً له ورق[٢]

وفي (استيعاب) أبي عمر: كان سواد بن قارب يتكهنّ في الجاهلية. فقال له عمر يوماً: ما فعلت كهانتك يا سواد؟ فغضب سواد، وقال: ما كنّا عليه نحن وأنت يا عمر من جاهليتنا وكفرنا شرٌّ من الكهانة. فمالك تعيّرني بشيء تبت منه[٣]؟!

وفي (الطبري) في غزوة هوازن: «ولمّا سمع بهم النبيّ ﷺ بعث إليهم عبدالله بن أبي حدرد الأسلمي وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتّى يأتيه بخبر منهم ويعلم من علمهم. فانطلق ابن أبي حدرد فدخل فيهم فأقام معهم حتّى سمع وعلم ماقد أجمعوا له من حرب النبيّ ﷺ وعلم أمر مالك وأمر هوازن وما هم عليه ثم أتى النبيّ ﷺ فأخبره الخبر. فدعا النبيّ ﷺ عمر، فأخبره خبر ابن أبي حدرد. فقال عمر: كذب. فقال ابن

(١) لسان العرب ١٢: ٥٢٧، مادة (كمم).

(٢) رواه ابن الأثير في الكامل ٢: ٣٥١، سنة ١١، وأيضاً الطبري في تاريخه ٢: ٤٩٣، سنة ١١، والنقل بتلخيص.

(٣) الاستيعاب ٢: ١٢٣.

أبي‌حدرد: ان تكذّبني فطال ما كذّبت بالحق يا عمر(١).

«ويخشن مسّها» في (عيون ابن قتيبة) عن عمّ الأصمعي قال: كلّم الناس عبدالرحمن بن عوف أن يكلّم عمر في أن يلين لهم. فإنّه قد أخافهم حتّى إنّه قد أخاف الابكار في خدورهن. فقال عمر: إنّي لا أجد لهم إلّا ذلك، إنّهم لو يعلمون ما لهم عندي لأخذوا ثوبي عن عاتقي(٢).

وفي (خلفائه): خطب عثمان فقال: لقد عبتم عليّ أشياء، ونقمتم أُموراً قد أقررتم لابن الخطاب، مثلها، ولكنّه وقمكم وقمعكم، ولم يجترئ أحد يملأ بصره منه، ولا يشير بطرفه إليه»(٣).

«ويكثر العثار فيها» قال النظام ـ وهو أحد شيوخ المعتزلة ـ: إبداع عمر التروايح ونهيه عن متعة الحج، ومصادرته العمّال، وتغريبه نصر بن الحجاج من المدينة إلى البصرة كلّ ذلك إحداث(٤).

وفي (حلية أبي نعيم): قدم سلمان الفارسي من سفر فتلقّاه عمر فقال له: أرضاك لله عبداً. قال: فبرّ حاجتي. فسكت عنه. فقال له سلمان: أترضاني لله عبداً، ولا ترضاني لنفسك(٥)؟

وفي (استيعاب أبي‌عمر): أنّ النبيّ ﷺ اشترى سلمان من قوم يهود بكذا وكذا درهماً، وعلى أن يغرس لهم كذا وكذا من النخيل يعمل فيها سلمان حتّى تدرك. فغرس النبيّ ﷺ النخل كلّه إلّا نخلة واحدة غرسها عمر. فأطعم النخل كلّه إلّا تلك النخلة. فقال النبيّ ﷺ: من غرسها؟ فقالوا: عمر.

(١) تاريخ الطبري ٢: ٣٤٦، سنة ٨.
(٢) عيون الاخبار ١: ١٢.
(٣) الامامة والسياسة ١: ٢٨.
(٤) رواه عنه الملل والنحل ١: ٥٩، والنقل بتصرف.
(٥) حلية الاولياء ١: ١٨٦، والنقل بتصرف في اللفظ.

فقلعها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وغرسها بيده فأطعمت من عامها[١].

وروى العياشي عن أبي بكر بن حزم: أنّ رجلاً توضّأ فمسح على خفيّه فصلّى. فجاء عليّ عليه السلام فوطأ على رقبته. فقال: ويلك تصلّي على غير وضوء فقال أمرني عمر. فأخذ بيده فانتهى به إليه فقال: اُنظر ما يروي هذا عليك ـ ورفع صوته ـ فقال: نعم أنا أمرته أنّ النبيّ مسح قال: قبل المائدة أو بعدها؟ قال: لا أدري. قال: فَلِمَ تفتي، وأنت لا تدري؟ سبق الكتاب الخفين[٢].

وروى الخطيب في (تاريخ بغداد): أنّ عمر خطب الناس بالجابية فقال: «إنّ الله يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء» فقال قسّ من تلك القسوس: ما يقول أميركم هذا؟ قالوا: يقول: ﴿ان الله يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء﴾ فقال القسّ برقست، الله أعدل من أن يضلّ أحداً. فبلغ ذلك عمر. فبعث إليه. فقال: بل الله أضلّك، ولولا عهدك لضربت عنقك[٣].

قلت: اللفظ وإن ورد في القرآن؛ إلّا انّه من الآيات المتشابهة التي لا يجوز الأخذ بظاهرها، ويجب تأويلها بدلالة العقل، وقد دلّ الله تعالى على المراد بعده بقوله: ﴿وما يضلّ به إلّا الفاسقين * الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض اُولئك هم الخاسرون﴾[٤].

وفي (أخبار حكماء القفطي): كان يحيى النحوي دخل على عمرو بن العاص لمّا فتح مصر والاسكندرية، وسمع منه عمرو كلامه في إبطال التثليث الّذي يعتقده يعقوبية النصارى أعجبه فلازمه. فقال له يحيى يوماً: إنك أحطت

---

(١) الاستيعاب ٢: ٥٧.

(٢) تفسير العياشي ١: ٢٩٧ ح ٤٦.

(٣) تاريخ بغداد ١١: ٢٩٠.

(٤) البقرة: ٢٦ ـ ٢٧.

بحواصل الاسكندرية. فما كان لك به انتفاع لا اعارضك، وأما ما لا نفع لكم به فنحن أولى به. فقال له عمرو: وما الّذي تحتاج إليه قال: كتب الحكمة في الخزائن الملوكية. ثم ذكر له قصّة جمعها فعجب منه عمرو، وقال له: لا يمكنني أن آمر فيها بأمر إلّا بعد استيذان عمر. فكتب إلى عمر، وعرّفه قول يحيى. فكتب إليه عمر: «أمّا الكتب التي ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله. ففي كتاب الله عنه غنىً، وإن كان فيها ما يخالفه فلا حاجة إليها فتقدم بإعدامها» فشرع عمرو في تفريقها على حمّامات الاسكندرية وإحراقها في مواقدها، وذكروا أنها استنفدت في مدة ستة أشهر. فاسمع ما جرى وأعجب[1].

قلت: كتب الطب، وكثير من الفنون ليست مخالفة القرآن ولا موافقته لاختلاف موضوعها، إلّا أنّ الرجل لم يكن له علم بكتاب الله ولا بكتاب آخر.

وروى الخطيب في (عنوان الهياج) عن الخدري قال: خطبنا عمر فقال: إنّي لعلّي أنهاكم عن أشياء تصلح لكم، وآمركم بأشياء لا تصلح لكم، وإنّ من آخر القرآن نزولاً آية الربا إنّه قد مات النبيّ ﷺ ولم يبيّنها لنا[2] ـ قلت: قوله هذا يكذّب قوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾[3].

وفي (أذكياء ابن الجوزي) قال عمر: لا تزيدوا في مهر النساء على أربعين اُوقية وإن كانت بنت ذي الغصة، يعني يزيد بن الحصين (الّذي رأس بني الحارث مئة سنة) فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال. فقالت امرأة من صفّ النساء طويلة في أنفها فطس: ما ذاك لك؟ قال: ولِمَ؟ قالت: لأنّ الله عزّ

---

(١) أخبار العلماء بأخبار الحكماء: ٢٣٢ و ٢٣٣، والنقل بتصرف.

(٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٤: ٨١، والمراد بآية الربا الآيتان ٢٧٥ ـ ٢٧٦ من سورة البقرة.

(٣) المائدة: ٣.

وجلّ قال: ﴿وآتيتم إحداهنّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبينا﴾[١] قال عمر: إمرأة أصابت، ورجل أخطأ[٢].

ورواه ابن أبي الحديد وفي روايته. فقال عمر: كل الناس أفقه من عمر، حتّى ربّات الحجال. ألا تعجبون من إمام أخطأ، وآمرأة أصابت؛ فاضلت إمامكم ففضلته[٣].

وقال ابن أبي الحديد: إنّ عمر مرّ يوماً بشاب من فتيان الأنصار، وهو ظمآن فاستسقاه فجدح له ماءً بعسل فلم يشربه، وقال: إنّ الله تعالى يقول: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾[٤] فقال له الفتى: إنها ليست لك ولا لأحد من أهل هذه القبلة. إقرأ ما قبلها ﴿ويوم يعرض الّذينَ كفروا على النار أذهبتم طيّباتكم في حياتكم الدنيا﴾[٥] فقال عمر: كلّ الناس أفقه من عمر[٦].

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: وقيل: إنّ عمر كان يعسّ بالليل. فسمع صوت رجل وآمرأة في بيت فارتاب فتسوّر الحائط؛ فوجد امرأة ورجلاً وعندهما زق خمر. فقال: يا عدوّ الله! أكنت ترى أنّ الله يسترك وأنت على معصيته؟ قال: إن كنت أخطأت في واحدة؛ فقد أخطأت في ثلاث: قال الله تعالى: ﴿ولا تجسّسوا﴾[٧] وقد تجسست، وقال: ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾[٨] وقد تسوّرت، وقال: ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلّموا﴾[٩]

---

(١) النساء: ٢٠.

(٢) الاذكياء: ٢٠٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٣.

(٤ و ٥) الاحقاف: ٢٠.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٣.

(٧) الحجرات: ١٢.

(٨) البقرة: ١٨٩.

(٩) النور: ٦١.

وما سلّمت[١].

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: كان الناس بعد وفاة النبيّ ﷺ يأتون الشجرة التي كانت بيعة الرضوان تحتها فيصلّون عندها. فقال عمر: أراكم أيّها الناس رجعتم إلى العزّى، ألا لا أُوتى منذ اليوم بأحد عاد لمثلها إلّا قتلته بالسيف كما يقتل المرتد. ثم أمر بها فقطعت[٢].

قلت: وعلى ما رأى تكون الصلاة في مقام إبراهيم عليه السلام رجوعاً إلى اللات ومناة.

وروى الواحدي في (تفسيره الوسيط) وأبو نعيم في (حليته) عن أبي عسيب مولى النبيّ ﷺ قال: خرج النبيّ ﷺ ليلاً فدعاني فخرجت إليه. ثم مرّ بأبي بكر فدعاه فخرج إليه. ثم مرَّ بعمر فدعاه فخرج إليه. ثم انطلق يمشي، ونحن معه حتّى دخل حائطاً لبعض الأنصار. فقال لصاحب الحائط أطعمنا بُسراً. فجاء بعذق فوضعه. فأكل النبيّ ﷺ وأصحابه ثم دعا بماء فشرب. ثم قال: إنّكم لمسؤولون عن هذا يوم القيامة، فأخذ عمر العذق فضرب به الأرض حتّى تناثر البسر بين يدي رسول الله ثم قال: إنّا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة قال: نعم إلّا عن ثلاث: خرقة يواري الرجل بها عورته، أو كسرة يسدّ بها جوعته، أو جحر يدخل فيه من الحرّ والبرد[٣].

وعن جمع (صحيحي الحميدي) من (مسند عائشة) قالت: إعتم النبيّ ﷺ بالعشاء حتّى ناداه عمر للصلاة فقال: نام الصبيان والنساء ـ وفي رواية ابن شهاب ـ أن النبيّ ﷺ قال: «وما كان لكم أن تقرروا رسول

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٥٩.

(٣) أخرجه الواحدي في الوسيط، وعنه عين العبرة: ٢٣، وأبو نعيم في حلية الاولياء ٢: ٢٧، وأحمد في مسنده ٥: ٨١، ورواه عن عدة طرق أُخَر السيوطي في الدر المنثور ٦: ٣٨٩.

الله على الصلاة» وذلك حين صاح عمر بن الخطاب[١].

وروى الخطيب في محمد بن علي السجستاني عن فاطمة بنت قيس الفهرية قالت: طلّقني زوجي ثلاثاً. فلم يجعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لي سكنى ولا نفقة، فرفع ذلك إلى عمر فقال: لا ندع كتاب الله لقول امرأة لعلّها نسيت[٢].

وأقول: الكتاب إنّما جعل السكنى والنفقة للرجعية تكون عنده لعل الله يحدث بعد ذلك امراً. فيراجعها وترجع إليه لا التي لا تحل له حتّى تنكح زوجاً غيره، ولكن الرجل لم يكن من أهل فهم الكتاب فَلِمَ ردّ السنّة؟

وأُم مؤمنيهم أيضاً كذّبتها كفاروقهم، وكذّبها مروان تبعاً لهما فاحتجّت بالآية. فكانت أفقه من إمامهم ومن صديقتهم. روى ذلك (سنن أبي داود)[٣].

وروى (الكافي): أنّ موضع مقام إبراهيم عليه السلام كان عند جدار البيت، فحوّله أهل الجاهليّة إلى المكان الّذي هو فيه اليوم. فلمّا فتح النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مكّة ردّه إلى الموضع الّذي وضعه فيه إبراهيم عليه السلام، فلمّا ولي عمر ردّه إلى مكان أهل الجاهلية[٤].

وقال أبو موسى كما في (أُسد الغابة): روى ابن شاهين باسناده، عن ابن إسحاق، عن ابن شهاب قال: حدّثت عن المغيرة. قال: قدمت على عمر. فوجدته، لا يورّث الجدّتين أُم الأم ولا أم الأب قال: فقلت له: يا أميرالمؤمنين! قد عرفت خصماء أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعني في الجدّة فورثها قال ووجدته لا

---

(١) رواه عن الحميدي ابن طاووس في الطرائف ٢: ٤٤٢، والحديث في صحيح مسلم ١: ٤٤١ ح ٢١٨.

(٢) تاريخ بغداد ٣: ٧١، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٣) أخرجه أبو داود بطرق في سننه ٢: ٢٨٥ ـ ٢٨٩، وأيضاً البخاري في صحيحه ٣: ٢٨٢، ومسلم في صحيحه ٢: ١١١٦ ـ ١١٢١، وغيرهم.

(٤) الكافي ٤: ٢٢٣ ح ٢، والنقل بالمعنى.

يورّث الورثة من الدية شيئاً. فقلت يا أميرالمؤمنين! كان حمل بن مالك الهذلي تحته امرأتان إحداهما حبلى، وإنّ امرأته الأُخرى قتلت الحبلى. فرفع أمرهما إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقضى أن يعقل عن القاتلة عصبتها، وان يرث المقتولة ورثتها ـ وذكر الحديث ـ فأقبل رجل من هذيل يقال له شريك بن وائلة إلى عمر فقصّ عليه حديث امرأتي حمل[١].

وفي (لسان العرب): كان عمر جعل الثلث للإخوة للأُم، ولم يجعل للإخوة للأب والأُم شيئاً. فراجعه الإخوة للأب والأُم، وقالوا له: هب أنّ أبانا كان حماراً فأشركنا بقرابة أُمّنا فأشرك بينهم. فسمّيت الفريضة مشركة[٢].

وفي (الطبري): انّ وفد مصر أتوا عثمان. فقالوا له: ادع بالمصحف. فدعابه. فقالوا له: افتح السابعة ـ وكانوا يسمّون سورة يونس السابعة ـ فقرأها إلى ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل الله اذن لكم أم على الله تفترون﴾[٣] فقالوا له: قف أرايت ما حميت من الحمى الله إذن لك أم على الله تفترى. قال: انّ عمر حمى قبلي لابل الصدقة. فلمّا وليت زادت ابل الصدقة فزدت في الحمي لما زادت ابل الصدقة[٤].

قلت: فعل عمر لم يكن حجّة لعثمان، والآية تتوجّه بعمومها عليهما والزيادة والنقصان لا مدخليّة لهما في المشروعية وعدمها.

«**والاعتذار منها**» قال ابن أبي الحديد: لمّا مات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وشاع بين الناس موته طاف عمر على الناس قائلاً: «إنّه لم يمت، ولكنّه غاب عنّا كما غاب موسى عن قومه، وليرجعنّ فليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنّه مات»

---

(١) أُسد الغابة ٢: ٣٩٨.

(٢) لسان العرب ١٠: ٤٤٩، مادة (شرك).

(٣) يونس: ٥٩.

(٤) تاريخ الطبري ٣: ٣٩٠، سنة ٣٥، والنقل بتصرف يسير.

فجعل لا يمرّ بأحد يقول إنه مات إلّا ويخبطه، ويتوعدّه حتّى جاء أبوبكر. فقال: أيّها الناس من كان يعبد محمداً فإنّ محمّداً قد مات، ومن كان يعبد ربّ محمّد؛ فإنه حيّ لم يمت. ثم تلا قوله تعالى: ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾[1] قالوا فو الله لكأن الناس ما سمعوا هذه الآية حتّى تلاها أبوبكر. وقال عمر: لمّا سمعته يتلوها هويت إلى الأرض وعلمت أنّ النبيّ ﷺ قدمات[2].

قلت: ولهم اعتذارات عن هذا كالعذرات منها لعمر نفسه. فروى محمد بن اسحق عن الزهري عن أنس قال: لمّا بويع أبوبكر في السقيفة، وكان الغد جلس أبوبكر على المنبر. فقام عمر فتكلّم قبل أبي‌بكر. فقال: أيّها الناس! إنّي كنت قلت لكم مقالة بالأمس ما كانت إلّا عن رأي وما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت بعهد من النبيّ. ولكنّي كنت أرى أنّ الرسول مستدبر أمرنا حتّى يكون آخرنا موتاً، وفي خبر آخر قال عمر لابن عباس: إنه أوّل آية ﴿وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾[3] على أنّ النبي سيبقى بعد امّته حتّى يشهد عليها بآخر أعمالها[4].

قلت: كيف ظنّ ذلك وقد منعه من الوصيّة؟ وهل الوصيّة إلّا لما بعد الموت؟

ومنها للشارح ابن أبي الحديد فقال: لم ينكر عمر ذلك على وجه الاعتقاد، بل على الاستصلاح وللخوف من ثوران الفتنة قبل مجيء أبي‌بكر فلمّا جاء أبو بكر قويَ به جأشه فسكت عن هذه الدعوىٰ لأنّه قد أمن

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٠.

(٣) البقرة: ١٤٣.

(٤) نقله عنه ابن هشام في السيرة ٤: ٢٢٨، والنقل بتصرف في اللفظ.

بحضوره من خطبٍ بحدث أو فساد، فقد روىٰ جميع أرباب السير أن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لما توفّي كان أبوبكر في منزله بالسنح[١].

قلت: الامر كما قال؛ إلّا أنه دال على أنّ عمله كان عملاً نفاقياً وسياسة دنيوية منقطعة عن الدين، أراد بذلك إحكام الأمر له ولصاحبه. فلِمَ سمّاه استصلاحاً؟ ﴿واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنّما نحن مصلحون﴾[٢] ولِمَ قال: للخوف من ثوران الفتنة، وعمله كان أوّل الفتن وسبباً لآخرها ﴿ألا في الفتنة سقطوا﴾[٣].

ومنها لبعضهم أنّه غلب على عمر شدّة حال المصيبة فخرج عن حال العلم والمعرفة. قلت: ولعلّ لشدّة مصيبة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عليه بتلك الدرجة أراد إحراق أهل بيته فاطمة والحسنين وعليٍّ عليهم صلوات الله.

وقال ابن أبي الحديد: قال عمر: «متعتان كانتا على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأنا محرّمهما ومعاقب عليهما؛ متعة النساء ومتعة الحج» قال: وهذا الكلام وإن كان ظاهره منكراً فله عندنا مخرج وتأويل[٤].

قلت: تأويلهم له كتأويل يحيى بن أكثم قوله تعالى: ﴿أويزوّجهم ذكراناً وإناثاً﴾[٥] بأنّ المراد تحليل اللواط.

وفي (تاريخ بغداد): أنّ المأمون أمر في طريق الشام بتحليل المتعة، وكان يقول مغتاظاً على قول عمر: «متعتان كانتا على عهد رسول الله وعلى عهد أبيبكر وأنا أنهىٰ عنهما»: «من أنت يا أحول حتّى

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٢٩، شرح الخطبة ٢٦، والنقل بالمعنى.

(٢) البقرة: ١١.

(٣) التوبة: ٤٩.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦١.

(٥) الشورى: ٥٠.

تنهى عمّا فعله النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم»[١].

وروى (سنن أبي‌داود): أنّ المغيرة تكنّى بأبي عيسى. فقال له عمر: أما يكفيك أن تكنّى بأبى عبدالله؟ فقال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كنّاني. فقال عمر: «إنّ النبي قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وانّا في جلجتنا»[٢]: أي ضيق كضيق الحباب على ما في النهاية[٣].

قلت: أي ربط لقوله: إنّ النبيّ قد غفر له، إلّا أنّه اخطأ في فعله، وانّ ذلك كان ذنباً منه، وان وعده تعالى بالغفران، مع أنّ كلّ أحد يعلم انّ فعل النبي صلى الله عليه وآله حجّة.

وروىٰ أيضاً عن أبي‌موسى الأشعري أنّه أتى عمر فاستأذن ثلاثاً. فقال: يستأذن أبوموسى، يستأذن الأشعري، يستأذن عبدالله بن قيس. فلم يؤذن له. فرجع. فبعث إليه عمر ما ردّك؟ قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: يستأذن أحدكم ثلاثاً فإن أذن له وإلّا فليرجع. قال: إيتني ببينة على هذا. فذهب ثم رجع. فقال: هذا أُبيّ فقال أُبيّ: يا عمر! لا تكن عذاباً على أصحاب رسول الله.

وروى في خبر آخر. فانطلق بأبي سعيد الخدري فشهد له. فقال عمر: أخفِيَ عليّ هذا من أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؟ ألهاني الصفق بالأسواق[٤].

ورووا أنّ عمر أوّل من زاد في الأذان «الصلاة خير من النوم» مع كون العبادات توقيفية[٥].

وقال ابن أبي الحديد: وكان في أخلاق عمر وألفاظه جفاء وعنجهية

(١) تاريخ بغداد ١٤: ١٩٩.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٤: ٢٩١ ح ٤٩٦٣، والحاكم في المستدرك ٣: ٤٥٠، وغيرهما.

(٣) النهاية ١: ٢٨٣، مادة (جلج).

(٤) الحديثان أخرجهما أبو داود في سننه ٤: ٣٤٦ ح ٥١٨١ و٥١٨٢.

(٥) رواه مالك في الموطأ: ٥٧.

ظاهرة يحسبه السامع لها انّه أراد بها ما لم يكن قد أراد، ويتوهّم من تحكي له أنّه قصد بها ظاهراً ما لم يقصده، فمنها الكلمة التي قالها في مرض النبيّ ﷺ ومعاذ الله أن يقصد بها ظاهرها ، ولكنّه أرسلها على مقتضى خشونة غريزته، ولم يتحفّظ منها، وكان الأحسن أن يقول مغمور أو مغلوب بالمرض، وحاشاه أن يعني بها غير ذلك، ولجفاة الأعراب من هذا الفن كثير. سمع سليمان بن عبدالملك أعرابياً يقول في سنة قحط.

ربّ العباد ما لنا ومالكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا

انزل علينا القطر لا أباً لكا

فقال سليمان: «أشهد أنّه لا أب له ولا صاحبة ولا ولد» فأخرجه أحسن مخرج[١].

قلت: كان سليمان بن عبدالملك مع كفر بني أُميّة قاطبة الشجرة الملعونة في القرآن آدب من عمر.

ثم إنه وإن أوّل قول عمر مشيراً إلى النبيّ ﷺ «إنّ الرجل ليهجر» تأويلاً هجراً كتوصية الجاحظ لصديق أبيالعيناء وشكره على توصيته. فما يقول في منعه النبيّ ﷺ عن الوصيّة، وضلال الأمة بسببه؟ وما يفعل في إغضابه النبيّ ﷺ حتّى أخرجه من عنده؟ فعقد ابن سعد مع نصبه في (طبقاته) باباً لذلك.

وروى في إسناد عن سعيد بن جبير قال: جعل ابن عباس يبكي، ويقول: يوم الخميس وما يوم الخميس! إشتدّ بالنبيّ ﷺ وجعه. فقال: إيتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده ابداً فقال بعض من كان عنده: إنّ نبيّ الله ليهجر فقيل له: ألا نأتيك بما طلبت؟ قال: أو بعد ماذا؟ فلم يدع به.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦١.

وفي إسناد آخر قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس! إشتدّ بالنبي صلى الله عليه وآله وجعه في ذلك اليوم. فقال: إيتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبدا، فسارعوا ولا ينبغي عندي تنازع. فقالوا: ما شأنه اهجر استفهموه؟ فذهبوا يعيدون عليه. فقال: دعوني. فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه. الخبر.

وروى عن جابر الأنصاري قال: لمّا كان في مرض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الّذي توفّي فيه دعا بصحيفة ليكتب فيها لأُمّته كتاباً لا يَضلّون ولا يُضلّون. فكان في البيت لغط وكلام، وتكلّم عمر بن الخطاب فرفضه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وعن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة قال: قال آبن عباس: لما حضر النبي صلى الله عليه وآله الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده. فقال عمر: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت، وآختصموا فمنهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ومنهم من يقول ما قال عمر. فلمّا كثر اللغط، والاختلاف وغمّوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: قوموا عنّي. قال عبيدالله: فكان ابن عباس يقول: إنّ الرزيّة كلّ الرزية ما حال بين النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من آختلافهم ولغطهم.

وروى عن عمر قال: كنّا عند النبيّ، وبيننا وبين النساء حجاب. فقال: إيتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبدا. فقال النسوة: إيتوا النبيّ بحاجته. فقلت: أسكتن. فإنكنّ صواحبه إذا مرض عصرتن اعينكن، واذا صحّ أخذتن بعنقه. فقال النبيّ: هنّ خير منكم.

وروى عن ابن عباس؛ قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الّذي مات فيه: إيتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً. فقال عمر: من

لفلانة وفلانة ـ مدائن الروم ـ إنّ النبي ليس بميّت حتّى نفتتحها، ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنواسرائيل موسى. فقالت زينب زوج النبي: ألا تسمعون النبيّ ﷺ يعهد اليكم. فلغطوا. فقال: قوموا عنّي فلمّا قاموا قبض مكانه[١].

وروى الطبري أنّ عمران بن سودة قال لعمر: عابت امّتك اربعاً. فوضع رأس درّته في ذقنه، واسفلها على فخذه. ثم قال: هات قال: ذكروا أنك حرّمت العمرة في أشهر الحج، ولم يفعل ذلك النبيّ ﷺ ولا أبوبكر وهي حلال. فقال: لو أنّهم اعتمروا في أشهر الحج رأوها مجزية عن حجّهم، فكانت قائبة قوب عامها فقرع حجهم وهو بهاء من بهاء الله وقد أصبت. قال: وذكروا أنّك حرّمت متعة النساء، وقد كانت رخصة من الله يستمتع بقبضة، ويفارق عن ثلاث. قال: إنّ النبيّ أحلّها في زمان ضرورة. ثم رجع الناس إلى سعة. ثم لم أعلم أحداً من المسلمين عمل بها ولا عاد إليها. فالآن من شاء نكح بقبضه، وفارق عن ثلاث، وقد أصبت. قال: وأعتقت الامة إن وضعت ذا بطنها بغير عتاقة سيدها. قال: ألحقت حرمة بحرمة، وما أردت إلّا الخير. قال: وتشكو منك نهر الرعية وعنف السياق. قال: فشرع الدرّة ثم مسحها[٢].

«**فصاحبها كراكب الصعبة**» أي: فمصاحب تلك الحوزة الخشناء الغليظ كلمها، الخشن مسها، الكثير العثار فيها والاعتذار منها، كراكب دابة صعبة والمصعب جمل لم يركب ولم يمسسه حبل. قال الشاعر:

كأنّ راكبها غصن بمروحة ... إذا تدلّت به أو شارب ثمل

---

(١) هذا الحديث أخرجه جمع كثير عن ابن عباس منهم ابن سعد في الطبقات ٢ ق ٢: ٣٦ و٣٧، والبخاري في صحيحه ١: ٣٢، و٢: ١٧٨ و٢٠٢، و٣: ٩١، و٤: ٢٧١، ومسلم في صحيحه ٣: ١٢٥٧ و١٢٥٩ ح ٢٠ ـ ٢٢، وأخرجه عن جابر ابن سعد في الطبقات ٢ ق ٢: ٣٦ و٣٧، وأحمد في مسنده ٣: ٣٤٦، وعن عمر ابن سعد في الطبقات ٢ ق ٢: ٣٧.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٢٩٠، سنة ٢٣، والنقل بتصرف يسير.

ومروحة موضع تخترق فيه الريح.

قال ابن قتيبة في (خلفائه): لمّا قعد عمر في الخلافة أتاه رجل فقال: أدنو منك. فإنّ لي حاجة. قال: لا. قال الرجل: إذن أذهب. فيغنيني الله عنك. فولّى ذاهباً. فاتبعه عمر ببصره ثم قام فأخذ بثوبه وقال له: ما حاجتك قال: بغضك الناس وكرهك الناس. قال: ولِمَ ويحك! فقال: للسانك وعصاك[١].

وقال ابن قتيبة أيضاً: كان أهل الشام قد بلغهم مرض أبيبكر، واستبطؤوا الخبر. فقالوا: إنّا نخاف أن يكون الخليفة قد مات، وولي بعده عمر فان كان عمر هو الوالي فليس لنا بصاحب، وإنّا نرى خلعه. فقال بعضهم: فابعثوا رجلاً ترضون عقله. فانتخبوا لذلك. فقدم على عمر، وكان عمر قد استبطأ خبر الشام. فقال له: كيف الناس؟ قال: صالحون، وهم لولايتك كارهون، ومن شرك مشفقون فأرسلوني أحلوٌ أنت أم مر ـ الخ[٢]؟

ومن المضحك أنّ ابن قتيبة قال بعد نقل القضيتين: إنّ عمر دعا لحبّ الناس له فاستجيب له[٣].

قلت: واستجابة دعائه في ذلك كاستجابة دعائه حين موته بعد تعيينه ستّة الشورى. فقال في دعائه: «اللهمّ ألّفهم ولا تردّهم على أعقابهم، وولّ أمر اُمّة محمّد خيرهم» فاستجيب دعاؤه فصار الأمر إلى بني اُمية الذين لا يعتقدون ثواباً ولا عقاباً، وكانوا يلعبون بالدين لعب الأطفال بالكرات.

هذا، وفي (تاريخ بغداد): قال إسماعيل حماد بن أبيحنيفة: كان لنا جار طحّان رافضي وكان له بغلان سمّى أحدهما أبابكر، والآخر عمر فرمحه ذات ليلة أحدهما فقتله فأخبر أبوحنيفة فقال: اُنظروا البغل الّذي رمحه الّذي سمّاه

(١ و ٢ و ٣) الامامة والسياسة ١: ٢٠، والنقل بتصرف يسير.

عمر. فنظروا فكان كذلك[١].

قلت: ولا غرو ونظيره نقل عن الحجاج ففي (العقد): أقبل رجل إلى يزيد بن أبي مسلم ـ وكان كاتب الحجاج، وولّاه الوليد بعد موته مكانه ـ فقال له: إني كنت رأيت الحجاج في المنام فقلت: ما صنع الله بك؟ فقال «قتلني بكل قتيل قتلته قتلة» ثم رأيته بعد حول فقلت: ما صنع الله بك؟ فقال يا عاض بظر أُمّه أما سألتني عن هذا عام أوّل؟ فقال: يزيد أشهد أنّك رأيته حقاً[٢].

«إن أشنق لها خرم» قد عرفت انّ المصنّف فسّره بمعنى إذا شدّد على الصعبة في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها: أي: خرقه، وفي (النهاية): يقال «شنق لها وشنق لها»[٣].

هذا، وفي (المقاتل): إنّ محمّداً وإبراهيم ابني عبدالله بن الحسن المثنى كانا عند أبيهما فوردت إبل لمحمّد فيها ناقة شرود لا يردّ رأسها شيء. فجعل ابراهيم يحدّ النظر إليها. فقال له محمد: كأنّ نفسك تحدّثك أنّك رادّها. قال: نعم، قال: فإن فعلت فهي لك. فوثب إبراهيم فجعل يتغيّر لها ويتستّر بالإبل حتّى إذا أمكنته جاءها وأخذ بذنبها. فاحتملته وأدبرت تمخض بذنبها حتّى غاب عن عين أبيه. فأقبل على محمد وقال له: قد عرّضت أخاك للهلكة. فمكث هويّاً. ثم أقبل مشتملاً بإزاره حتّى وقف عليهما. فقال له محمد: كيف رأيت؟ زعمت انّك رادّها، وحابسها، فألقى ذنبها وقد انقطع في يده. فقال: ما أعذر من جاء بهذا[٤].

«وإن أسلس لها تقحم» قد عرفت أنّ المصنّف قال: معناه أنّه إن أرخىٰ لها

(١) تاريخ بغداد ١٣: ٣٦٤.

(٢) العقد الفريد ٥: ٢٨٨.

(٣) النهاية ١: ٥٠٦، مادة (شنق).

(٤) مقاتل الطالبيين: ٢١١.

شيئاً مع صعوبتها تقحّمت به: أي: أدخلته في المهالك.

وتقول العرب: الجمل النادّ إذا سمّي أبوه يسكن، والناقة النادّة إذا سمّيت أمُّها تسكن. أنشد ابن الأعرابي:

أقول والناقة بي تقحم وأنا منها مكلئزٌ مُعصِمُ
ويحك ما اسم أمّها يا علكم[١]

وممّا قيل في التشبيه بمركوب سوء قول شاعر:

وصاحب السوء كالداء العياء إذا ما ارفضّ في الخوف يجري متهاونا
كمهر سوء إذا رفعت سرته رام الجماح وإن خفضته حرنا

وقال عمرو بن سعيد الأشدق في وصف يزيد بن معاوية «فهو ان عضّ نهش، وان سطا فرس».

لقيت خولة بنت حكيم التي نزلّت فيها ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾[٢] عمر حين خرج ويده على المعلى بن جارود فقالت: كنّا نعرفك مدّة عميرا. ثم صرت من عمير عمر ثم صرت من بعد عمر أميرالمؤمنين. فاتّق الله يا ابن الخطاب، وانظر في أمور الناس[٣].

وفي (معارف ابن قتيبة) عن سماك بن حرب: كان عمر أروح[٤]، والأروح الّذي إذا مشى تتباعد صدور قدميه وتتدانى عقباه وكان خالد بن الوليد يسمّيه الأعيسر، والأعسر الّذي يعمل بيساره.

«فمني الناس» أي: ابتلوا.

«لعمرُ الله» قال الجوهري: إذا جئت باللام مع عمر بالفتح رفع لأنّ التقدير

---

(١) أورده لسان العرب ١٢: ٤٦٤، مادة (قحم)، وأساس البلاغة: ٣٥٦، مادة (قحم).

(٢) المجادلة: ١.

(٣) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ٤: ٢٩١، وابن حجر في الاصابة ٤: ٢٩٠، والنقل بتصرف يسير.

(٤) المعارف: ١٨١.

«لعمرُ الله قسمي» وبدونها نصبت نصب المصادر تقول: «عمرَ الله ما فعلت» ومعناهما أحلف ببقاء الله ودوامه(١).

قلت: والصواب أن يقال: إنّ الثاني منصوب بنزع الخافض لأنّ الأصل في عمرَ الله بعمرِ الله. قال عمر بن أبي ربيعة:

قالت لتربيها بعمركما   هل تطمعان بأن نرى عمرا(٢)

نعم إذا قيل «عمرَك الله» ينصب بالمصدر قال عمر بن أبي ربيعة:

أيها المنكح الثريا سهيلا   عمرَكَ الله كيف يجتمعان(٣)

لأنّه حينئذ للدعاء والأصل عمرك الله عمراً.

«بخبط» يقال: خبط عشواء للناقة التي في بصرها ضعف فتضرب بيدها الأرض إذا مشت لا تتوقى شيئاً.

ويقال لمن لا شيء له: «ما له خابط ولا ناطح» أي: بعير ولا ثور، والخبط ضرب الشجر لتناثر ورقه.

والرجل كان مختبطاً في الجاهلية، وخابطاً في الاسلام أما اختباطه في الجاهلية. ففي (نهاية الجزري): قال عمر: «لقد رأيتني بهذا الجبل أحتطب مرّة، وأختبط أُخرى» أي: أضرب الشجر لينتثر الخبط منه(٤).

وأمّا خبطه في الاسلام. فقال عبيدة السلماني على نقل الجاحظ عن النظام عنه: إنّي لأحفظ من عمر مئة قضيّة في الحدّ كلها ينقض بعضها بعضاً، مع أنّه قال: أجرأكم على الحدّ أجرأكم على النار(٥).

---

(١) صحاح اللغة ٢: ٧٥٦، مادة (عمر)، والنقل بالمعنى.

(٢) أورده أساس البلاغة: ٣١٣، مادة (عمر).

(٣) اورده لسان العرب ٤: ٦٠١، مادة (عمر).

(٤) النهاية ٢: ٨، مادة (خبط).

(٥) رواه عنه الشريف المرتضى في الفصول المختارة ١: ١٦٠، والنقل بتصرف يسير.

وفي (خلفاء ابن قتيبة): أنّ عمر قال لابنه لمّا قال له الطبيب بعد ضربه: لا أرى أن تمسي: ناولني الكتف. فلو أراد الله أن يمضي ما فيه أمضاه، فمحاها بيده وكان فيها فريضة الجد[١].

وقال النظام: وليس يشبه رأي عمر صنيعه حين خالف أُبيّ بن كعب وابن مسعود في الصلاة في ثوب واحد لأنّه حين بلغه ذلك خرج مغضباً حتّى أسند ظهره إلى حجرة عائشة وقال: إختلف رجلان من أصحاب النبي ممّن يؤخذ عنه لا أسمع أحداً يختلف في الحكم بعد مقامي هذا إلّا فعلت به وصنعت. أفترى أنّ عمر نسي اختلاف قوله في الأحكام حتّى أنكر ما أظهر من الاختلاف بين الرجلين؟! كلّا، ولكنّه كان يناقض ويخبط خبط عشواء[٢].

ومن خبطاته مشاطرته عمّاله، وعدّها النظام من أحداثه[٣]، وفي (تاريخ اليعقوبي): شاطر عمر جماعة من عمّاله، سعد بن أبي‌وقاص عامله على الكوفة، وعمرو بن العاص عامله على مصر، وأبا هريرة عامله على البحرين -إلى أن قال- ويعلى بن منية عامله على اليمن، وامتنع أبوبكرة من المشاطرة، وقال لعمر: والله لئن كان هذا المال لله؛ فلا يحلّ لك أن تأخذ بعضاً وتترك بعضاً، وإن كان لنا؛ فمالك أخذه -إلى أن قال- ولم يكن يموت لمعاوية عامل إلّا شاطر ورثته ماله. فكان يكلّم في ذلك فيقول هذه سنّة سنّها عمر[٤].

ومن خبطه ما قالوا: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم بدر في أوّل الوقعة: «لا يقتل أحد من بني هاشم فإنهم أُخرجوا كرهاً، ومن لقي العباس بن عبدالمطلب عمّي لا يقتله إنّما أُخرج مكرهاً» فقال أبو حذيفة بن عتبة: «أيقتل آباؤنا

---

(١) الامامة والسياسة ١: ٢١.

(٢) رواه عنه الشريف المرتضى في الفصول المختارة ١: ١٦٠، والنقل بتصرف يسير.

(٣) رواه عنه الشهرستاني في الملل والنحل ١: ٥٩.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٥٧ و٢٢٢.

وأبناؤنا وإخواننا وعشائرنا، ونترك العباس، والله لئن لقيته لأُلحمنه السيف» فقال النبيّ ﷺ لعمر: «أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف»؟ فقال عمر: «دعني أضرب عنق أبي‌حذيفة بالسيف فوالله لقد نافق»[١].

مع أنّه بعد ختم بدر جاء عمر نفسه إلى النبيّ ﷺ وقال له: «أطعني في ما أُشير به عليك فإنّي لا آلوك نصحاً. قدّم عمك العباس فاضرب عنقه بيدك. وقدّم عقيلاً إلى عليٍّ أخيه يضرب عنقه» فكره النبيّ ﷺ قوله ـ الخ ـ[٢] فنسي قول النبيّ ﷺ في أوّل الوقعة. فأراد ضرب عنق أبي‌حذيفة لأنّه لم يكترث بقول النبيّ ﷺ: «لا تقتلوا عمّي فإنّه كان مكرهاً على الخروج» ثم يقول للنبيّ ﷺ: إضرب عنقه.

ويحلف أنّ أبا حذيفة نافق مع أنه كان مسلماً، وإنما قال ما قال عن العاطفة البشرية بلا قصد، فكان النبيّ ﷺ قتل أباه وأخاه وعمه في تلك الغزوة. فقال ما قال، وكان في عمره يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة، ولا أزال خائفاً أبدا.

وكان قول أبي‌حذيفة ذاك نظير قول سودة زوج النبيّ ﷺ لمّا رأت أُسارى قومها: «أعطيتم بأيديكم؟! ألا متّم كراماً؟!» فقال لها النبيّ ﷺ: يا سودة «أعلى الله ورسوله؟» فقالت: والذي بعثك بالحق. ما ملكت نفسي حين رأيتهم[٣].

ومن خبطه وخبط صاحبه أنّهما لم يقبلا قول فاطمة عليها السلام إنّ النبيّ ﷺ أعطاها فدك مع شهادة الله تعالى لها بالعصمة في قوله جلّ وعلا:

---

(١) رواه ابن اسحاق في المغازي وعنه شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٥٦، شرح الكتاب ٩، والنقل بتصرف يسير.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) رواه الواقدي في المغازي ١: ١١٨، وابن هشام في السيرة ٢: ٢٠٩.

﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾[1] وكونها أقرب الخلق إليه تعالى من النساء في قوله عزّ اسمه: ﴿ونساءنا ونساءكم﴾ وشهادة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بجلالها وكونها سيّدة نساء العالمين، وأنّ رضاها رضاه وسخطها سخطه، وكانا يقبلان قول كل من ادّعىٰ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعده وعداً.

ففي (فتوح البلاذري): أمر المأمون في سنة (٢١٠) بردّ فدك إلى ولد فاطمة عليها السلام، وكتب إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة: «أمّا بعد! فإنّي بمكاني من دين الله، وخلافة رسوله والقرابة به أولى من استنّ سنّته، ونفذ أمره، وسلّم لمن منحه منحة، وتصدّق عليه بصدقة، منحته وصدقته، وبالله توفيقي وعصمتي، وإليه في العمل بما يقرّبني إليه رغبتي، وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أعطى فاطمة بنته فدك وتصدّق بها عليها، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا اختلاف فيه بين آل الرسول صلى الله عليه وآله فرأيت أن اردّها إلى ورثتها، وأسلّمها إليهم؛ تقرّباً إلى الله تعالى بإقامة حقّه وعدله وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بتنفيذ أمره وصدقته. فأمرتُ بإثبات ذلك في دواويني، والكتاب به إلى عمّالي فلأن كان ينادىٰ في كلّ موسم بعد أن قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم أن يذكر كلّ من كانت له صدقة أو هبة أو عدة ذلك فيقبل قوله وينفذ عدته إنّ فاطمة لأولى أن يصدّق قولها في ما جعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لها، وقد كتبت إلى المبارك الطبري مولاي أمرته بردّ فدك على ورثتها. الخ[2].

وأقول للمأمون: لا تعجب من عملهما في قبول كلّ من ادّعىٰ على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم صدقة أو هبة أو عدة وعدم قبول قول بنته مع ذاك المقام. فأرادا

(١) الاحزاب: ٣٣.

(٢) فتوح البلدان: ٤٦، والنقل بتصرف يسير.

بما عملا مع الناس بأن يقولا نحن ننجز عدات النبي ونقضي ديونه في مقابل أميرالمؤمنين عليه السلام الّذي كان مأموراً بذلك من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وأرادا بما عملا معها آستيصال أهل البيت عليهم السلام كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام في شكايته «بلى كانت في أيدينا فدك ـ إلى قوله ـ ونعم الحكم الله»[١].

ومن خبطه أنّه يقول للزبير بعد جعله في الشورى وذكر عيوبه: «أنت يوماً انسان ويوماً شيطان، فمن يكون إمام الناس يوم تكون شيطاناً؟»[٢] مع أنّ أبابكر الّذي نصبه هو أقرّ بأنّ له شيطاناً يعتريه، ورأى ذلك منه عياناً في قصّة مالك بن نويره وغدر خالد بن الوليد عامله به، وقتله له مع اسلامه وزناه بامرأته ومداهنة أبي بكر في ذلك.

ومن خبطه أنه يقول لطلحة بعد تعيينه في الشورى: «أما إنّي أعرفك منذ أُصيبت اصبعك بالبأو الّذي أحدث لك، ولقد مات النبيُّ ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها يوم أُنزلت آية الحجاب»[٣] قال الجاحظ: يعني عمر أنّ آية الحجاب لمّا نزلت قال طلحة: «ما الذي يغنيه حجابهن اليوم، وسيموت غدا فننكحهن» فنقل ذلك عنه للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .

قال الجاحظ: «لو قال قائل لعمر» أنت قلت أوّلاً: «إنّ النبي مات وهو راض عن هؤلاء طلحة وغيره» وتقول ثانياً: «مات النبي ساخطاً على طلحة لتلك الكلمة» لكان رماه بمشاقصه، ولكن من كان يجسر أن يقول لعمر مادون هذا فكيف هذا[٤]؟

ومن خبطه عدم تسويته في العطاء مع كونه خلاف الكتاب والسنة. قال

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٧١، الكتاب ٤٥.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٦٢، شرح الخطبة ٣، والنقل بالمعنى.

(٣) رواه الجاحظ في السفيانية،وعنه شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٢.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٢.

الإسكافي في (نقض عثمانيته): قال عليّ عليه السلام لطلحة والزبير: ألا تخبرانني أدفعتكما عن حق وجب لكما ظلمتكما إيّاه؟ قالا: معاذ الله -إلى أن قال- فقال لهما: فما الّذي كرهتما من أمري حتّى رأيتما خلافي؟ قالا: لخلافك على عمر ابن الخطاب في القسم. إنّك جعلت حقّنا في القسم كحقّ غيرنا -إلى أن قال- فقال عليه السلام لهما: وأما القسم والأُسوة: فإنّ ذلك لم أحكم فيه بادئ بدء، فقد وجدت أنا وأنتما الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يحكم بذلك، وكتاب الله ناطق به وهو الكتاب الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد[١].

ومن خبطه مخالفته النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الصوم في السفر، وفي بقائه على حجّ الإفراد في حجّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مع أمره الناس بالعدول إلى حجّ التمتع.

ومن خبطه ردّه شهادة المملوكين. فقد روي عن الصادق عليه السلام أنّه أوّل من فعل ذلك[٢]، وجمعه الناس على أربع تكبيرات في صلاة الجنائز، ففي (أوائل العسكري) أنّه أوّل من فعل ذلك[٣].

وفي (الطبري) في غزوة حنين: قال ابن إسحاق: لمّا سمع بهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعث إليهم عبدالله بن أبيحدرد الأسلمي وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتّى يأتيه بخبر منهم ويعلم من علمهم. فانطلق ابن أبيحدرد فدخل فيهم فأقام معهم حتّى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وعلم أمر مالك وأمر هوازن وما هم عليه، ثم أتى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره الخبر. فدعا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عمر فأخبره خبر ابن أبيحدرد. فقال عمر: كذب فقال ابن أبي حدرد: ان تكذّبني فطالما كذبت بالحق يا عمر[٤].

---

(١) لم يوجد في النسخة المطبوعة من النقض على العثمانية.

(٢) أخرجه الكليني في الكافي ٧: ٣٨٩ ح ٢ والطوسي في التهذيب ٦: ٢٤٨ ح ٣٨، وفي الاستبصار ٣: ١٥ ح ١.

(٣) الأوائل: ١٣٣.

(٤) تاريخ الطبري ٢: ٣٤٦، سنة ٨.

وفي (استيعاب أبي عمر): «كان أبو خراش الهذلي ممن يعدو على قدميه. فيسبق الخيل. فأتاه نفر من أهل اليمن قدموا حجّاباً، والماء منهم غير بعيد. فقال: يا بني عم! ما أمسى عندنا ماء ولكن هذه برمة وشاة. فردوا الماء وكلوا شاتكم ثم دعوا برمتنا، وقربتنا على الماء حتّى نأخذها فقالوا: لا والله ما نحن بسائرين في ليلتنا هذه. فلمّا رأى ذلك أبو خراش أخذ قربة وسعى نحو الماء تحت الليل حتّى استقى. ثم استقبل صادراً. فنهشته حيّة قبل أن يصل إليهم. فأقبل مسرعاً حتّى أعطاهم الماء، وقال اطبخوا شاتكم وكلوا، ولم يُعلمهم ما أصابه. فباتوا على شاتهم يأكلون حتّى أصبحوا، وأصبح أبو خراش في الموتى. فلم يبرحوا حتّى دفنوه. فبلغ خبره عمر؛ فغضب غضباً شديداً، وقال: لولا أن تكون سنّة لأمرت ألّا يضاف يمان أبدا، ولكتبت بذلك إلى الآفاق. ثم كتب إلى عامله باليمن بأن يأخذ النفر الذين نزلوا على أبي خراش الهذلي فيلزمهم ديته، ويؤذيهم بعد ذلك بعقوبة يمسّهم بها جزاءً لفعلهم»[١] فهل ما فعله إلّا خبط خبيط؟ فلم يلزمون الدية ولِمَ يعاقبون.

وفي (كامل الجزري): «قال الواقدي: أوّل من جمع الناس على إمام يصلّي بهم التراويح في شهر رمضان، وكتب به إلى البلدان وأمرهم به، عمر»[٢]، وقال اليعقوبي: «فقيل له: إنّ النبيّ ﷺ لم يفعله، وإنّ أبابكر لم يفعله فقال: إن تكن بدعة؛ فما أحسنها من بدعة»[٣].

«وشماس» من قولهم: «بالفرس شماس» قال الجوهري: يقال: «شمس الفرس شموساً وشماساً: أي: منع ظهره، وهو فرس شموس وبه شماس»[٤]،

---

(١) الاستيعاب ٤: ٥٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) رواه ابن الأثير في الكامل ٣: ٥٩، سنة ٢٣، وأيضاً الطبري في تاريخه ٣: ٢٧٧، سنة ٢٣، ولم يروه عن الواقدي.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٤٠.

(٤) صحاح اللغة ٢: ٩٣٧، مادة (شمس).

وقال ابن دريد: «وبه سمّي الرجل شمّاساً»[١].

في (الطبري): قال الشعبي: لم يمت عمر حتّى ملّته قريش، وقد كان حصرهم بالمدينة فامتنع عليهم، وقال: «إنّ أخوف ما أخاف على هذه الأمّة انتشاركم في البلاد» فإن كان الرجل ليستأذنه في الغزو، وهو ممّن حبس بالمدينة من المهاجرين، ولم يكن فعل ذلك بغيرهم من أهل مكّة فيقول: قد كان في غزوك مع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ما يبلغك ـ الخبر[٢].

وقال الحسن البصري: كان عمر قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان إلّا بإذن وأجل. فشكوه فبلغه. فقام فقال: «ألا إنّي قد سننت الاسلام سنّ البعير يبدأ فيكون جذعاً ثم ثنياً ثم رباعياً ثم سديساً ثم بازلاً، ألا فهل ينتظر بالبازل إلّا النقصان؟ ألا فإنّ الاسلام قد بزل. ألا وإنّ قريشاً يريدون أن يتّخذوا مال الله معونات دون عباده. ألا فأمّا وابن الخطاب حيّ فلا. إنّي قائم دون شعب الحَرّة، آخذ بحلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا في النار[٣].

قلت: إنّما منع المهاجرين من الجهاد المفروض في الاسلام في حياته لئلاّ يخلّوا بسلطنته، لكنّه جعل الأمر بعده بين ستّة حتّى لا يصفو الأمر لأمير المؤمنين عليه السلام يوم يصير إليه كما دبّر لتأخيره.

وبشّر قريشاً في قوله: «أما وابن الخطاب حيٌّ فلا» أنَّ من يستخلفه لهم يفعل لهم ما يريدون من اتخاذهم مال الله دون عباده.

وإنما شكت قريش منه لأنهم إنما حوّلوا الأمر عن معدنه إليه وإلى صاحبه ليكون ذلك وسيلة لهم إلى غرضهم في اتّخاذهم مال الله دون عباده

(١) جمهرة اللغة ٣: ٢٣، مادة (شمس).

(٢ و ٣) تاريخ الطبري ٣: ٤٢٦، سنة ٣٥.

وقد مرَّ أنّ عمر قال لابن عباس: «نظرت قريش في آختيارهم لهما فاختاروهما».

وفي (تاريخ اليعقوبي): قال عبدالرحمن بن عوف لعمر: لِمَ تمنعنا من الجهاد؟ فقال له: «لأن أسكت عنك فلا أُجيبك خيرٌ لك من أن أُجيبك»، ثم اندفع يحدّث عن أبي بكر حتّى قال: «كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرّها، فمن عاد لمثلها فاقتلوه»[1].

ويقال له: الأصل في خلافتك آستخلاف أبي بكر لك، والأصل في خلافة ذاك بيعته. فإذا كانت فلتة وآستحق من عاد لمثلها القتل. فبأيّ سبب تصدّيت للخلافة.

هذا، ومعنى قول عمر: «كانت بيعة أبي بكر فلتة» أنّ الدعوة إلى إنسان بالاتفاق عليه أمر غير ممكن عادة، وإنما حصلت صدفة لأبي بكر بعدم حضور بني هاشم الذين كانوا أصحاب الأمر باشتغالهم بتجهيز النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فلمّا حضر أميرالمؤمنين عليه السلام بعد ذلك، وادّعى حقّه قال له بشيربن سعد: لو كنت حضرت أوّلاً ما تخلّف عنك أحد من الأنصار.

وبحسد بشير بن سعد لشخص آبن عمّه سعد بن عبادة، وبحسد الأوس للخزرج طائفة سعد بن عبادة، وعدم وجود سابقة لقريش حتّى يمكنهم ادعاء الأمر لأنفسهم، ولم يكن لهم بدّ إلّا مساعدة أبي بكر حتّى يكون واسطة لهم في الأمر كما آعترف به عمر في قوله لابن عباس كما مرّ، ووجود جِدٍّ مثل جِدِّ عمر في قبال من خالف حتّى بإعمال ضرب الأعناق والإحراق بالنار، حتّى أنّ النظام قال: إنّما نصب أبابكر عمرٌ فقط[2].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٥٨.

(٢) نقله عنه الشهرستاني في الملل والنحل ١: ٥٩.

وروى (سنن أبي‌داود) عن عبدالله بن كعب بن مالك الأنصاري أنّ جيشاً من الأنصار كانوا بأرض فارس مع أميرهم، وكان عمر يعقب الجيوش في كلّ عام فشغل عنهم، فلمّا مرّ الأجل قفل أهل ذلك الثغر. فاشتدّ عليهم وتوعّدهم، وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: يا عمر! إنّك غفلت عنّا، وتركت فينا الّذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من إعقاب بعض الغزية بعضاً.

وروى أيضاً عن عبدالرحمن بن أبزي قال: كنت عند عمر فجاءه رجل. فقال: إنّا نكون بالمكان الشهر والشهرين. فقال عمر: أمّا أنا فلم أكن أصلّي حتّى أجد الماء. فقال له عمّار: أما تذكر إذ كنت أنا وأنت في الإبل فأصابتنا جنابة؟

فأمّا أنا فتمعّكت. فأتينا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له فقال: إنّما يكفيك ـ الخبر ـ ورواه بإسناد آخر وفيه «أفلم تر عمر لم يقنع بقول عمّار»[1].

«وتلوّن» فكان في كل وقت بلون، فكان لم يأخذ القصاص من الزبير مع عدم خوف الكفر عليه، واقتصّ من جبلة بن الأيهم من صنائع ملوك الروم مع قرب عهده بالاسلام وانتظار الارتداد منه.

فروى زيد بن أسلم عن أبيه قال: خلا عمر لبعض شأنه، وقال: أمسك عليّ الباب. فطلع الزبير فكرهته حين رأيته. فأراد أن يدخل. فقلت: هو على حاجة، فلم يلتفت إليّ، وأهوىٰ ليدخل. فوضعت يدي في صدره فضرب أنفي فأدماه. ثم رجع فدخلت على عمر. فقال: من فعل بك هذا؟ قلت: الزبير. فأرسل إلى الزبير، فلمّا دخل جئت، فقمت لأنظر ما يقول له، فقال له: «ما حملك على ما صنعت أدميتني للناس» فقال الزبير: يحكيه ويمطط في كلامه «ادميتني للناس» أتحتجب عنّا يا ابن الخطّاب. فوالله ما احتجب عنّي النبي ولا أبوبكر.

---

(١) أخرج الاحاديث أبو داود في سننه ١: ٨٧ ـ ٨٩ ح ٣٢١ ـ ٣٢٦، و٣: ١٣٨ ح ٢٩٦٠، والنقل بتلخيص.

فقال عمر كالمعتذر: «إنّي كنت في بعض شأني» قال أسلم: فلمّا سمعته يعتذر إليه يئست من أن يأخذ لي بحقّي منه، وخرج الزبير. فقال عمر: إنّه الزبير وآثاره ما تعلم[1].

قلت: هل من كان له آثار يسقط التكليف عنه، وله أن يعمل ما شاء؟ وإنّما خاف عمر إذا اقتصّ منه تزلزل سلطنته وخروجه عليه.

وقصّة جبلة في لطمه رجلاً من السوقة في المطاف وأمر عمر باقتصاص الرجل منه، وارتداد جبلة لذلك ولحوقه بملوك الروم ثانياً معروفة، مع أنّ النبيّ ﷺ كان أعطى من غنائم حنين أباسفيان ومعاوية وعيينة والأقرع ونظراءهم من المؤلفة مئة بعير، ولم يعط الأنصار مع سوابقهم في الاسلام شيئاً، واعتذر إليهم بأنّي تألّفت بما فعلت أولئك، ووكلتكم إلى إيمانكم.

ومن تلوّنه أنه ضرب ابنه الحدّ ثانياً حتّى انجرّ إلى هلاكه مع إجراء عمرو بن العاص الحدّ عليه، وأبطل حدّ الزنا في المغيرة، وحدّ شرب الخمر في قدامة بن مظعون.

أمّا ضربه ابنه أي: عبدالرحمن بن عمر، فرووا أنّه شرب فضربه عمرو بن العاص الحد في بيته. فأتاه كتاب عمر: «ويحك تضرب عبدالرحمن بن عمر في داخل بيتك، وتحلق رأسه في داخل بيتك؟ فإذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عباءة على قتب حتّى يعرف سوء ما صنع» فكتب إليه عمرو بن العاص: «إنّي ضربته في صحن الدار وبالله الّذي لا يحلف بأعظم منه إنّه الموضع الّذي أُقيم فيه الحدود على المسلمين ـ إلى أن قالوا ـ فأُدخل عليه في عباءة، وهو لا يقدر على المشي، من مركبه فقال: يا عبدالرحمن! فعلت وفعلت. السياط

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٠٥، شرح الخطبة ٢٢٦.

السياط. فكلّمه عبدالرحمن بن عوف، وقال له: قد أُقيم عليه الحدّ مرّة فلم يلتفت إليه وزبره، فأخذ في الصياح؛ أنا مريض، وأنت والله قاتلي. فلم يرقّ له حتّى استوفى الحدّ وحبسه. ثم مرض شهراً ومات[1].

وأمّا تعطيله حدّ الزنا على المغيرة. ففي (الأغاني): انّ المغيرة كان يخرج من دار الامارة في البصرة لمّا كان والياً عليها من قبل عمر، وكان أبوبكرة يلقاه فيقول: أين يذهب الأمير، فيقول: إلى حاجة. فيقول له: إنّ الأمير يزار ولا يزور. وكانت المرأة التي يأتيها المغيرة جارة لأبي بكرة. فبينا أبوبكرة في غرفة له مع أخويه نافع وزياد، ورجل آخر يقال له شبل بن معبد، وكانت غرفة تلك المرأة بحذاء غرفة أبي بكرة. فضربت الريح باب غرفة المرأة ففتحته. فنظر القوم، فإذا هم بالمغيرة ينكحها، فقال أبوبكرة: هذه بلية ابتليتم بها، فانظروا. فنظروا حتّى أثبتوا، فنزل أبوبكرة حتّى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة فقال له: إنّه كان من أمرك ما قد علمت، فاعتزلنا -إلى أن قال-

فجلس عمر ودعا بالمغيرة والشهود. فتقدّم أبوبكرة فقال له: أرأيته بين فخذيها قال: نعم والله لكأنّي أنظر تشريم جدري بفخذيها. فقال له المغيرة: لقد ألطفت النظر. فقال له: ألم أك قد أثبتُّ ما يخزيك الله به. فقال له عمر: حتّى تشهد لقد رأيته يلج فيه كما يلج المرود في المكحلة. فقال: نعم. أشهد على ذلك فقال له: إذهب مغيرة ذهب ربعك. ثم دعا نافعاً فقال له: علام تشهد؟ قال: على مثل شهادة أبي بكرة قال: لا. حتّى تشهد أنّه يلج فيه ولوج المرود في المكحلة فقال: نعم. حتّى بلغ قذذه. فقال: إذهب مغيرة ذهب نصفك. ثم دعا الثالث فقال: علام تشهد؟ قال: على مثل شهادة صاحبيّ. فقال: عليّ عليه السلام إذهب مغيرة ذهب ثلاثة أرباعك -إلى أن قال-

---

(١) رواه ابن أبي الحديد ٣: ١٢٣، شرح الخطبة ٢٢٦، وابن عبد البر في الاستيعاب ٢: ٤٠٣، وغيرهما.

فلمّا رأى عمر زياداً مقبلاً قال: إنّي لأرى رجلاً لن يخزي الله على لسانه رجلا من المهاجرين -إلى أن قال- قال عبدالكريم بن رشيد قال أبوعثمان الهندي: لمّا شهد عند عمر الشاهد الأوّل على المغيرة تغيّر لذلك لون عمر. ثم جاء آخر. فشهد فانكسر أنكساراً شديداً. ثم جاء رجل شاب يخطر بين يديه فرفع عمر رأسه إليه وقال له: ما عندك يا سلح العقاب؟ قال ابن رشيد: وصاح أبوعثمان صيحة تحكي صيحة عمر لقد كدت ان يغشىٰ عليّ، وقال آخرون قال المغيرة: فقمت فقلت: يا زياد! والله لو كنت بين بطني وبطنها ما رأيت أين سلك ذكرى منها. فبرقت عينا زياد وأحمرّ وجهه، وقال لعمر: أما إنّ احقّ ما حقّ اليوم فليس ذلك عندي، ولكنّي رأيت مجلساً قبيحاً، وسمعت أمراً حثيثاً وأنبهارا ورأيته متبطنها. فقال له: أرأيته يدخله كالميل في المكحلة؟ فقال: لا. وقال غير هؤلاء: إنّ زياداً قال له: رأيته رافعاً برجليها، ورأيت خصيتيه تتردان بين فخذيها، ورأيت خفراً شديداً، وسمعت نفسا عاليا. فقال له عمر: أرأيته يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة؟ فقال: لا فقال عمر «الله اكبر. قم يا مغيرة إليهم فاضربهم» -إلى أن قال- فقال أبوبكرة بعد أن ضرب. فإنّي أشهد أنّ المغيرة فعل كذا وكذا. فهمّ عمر بضربه. فقال له عليّ عليه السلام إن ضربته رجمت صاحبك -إلى أن قال-

فلمّا ضربوا الحد قال المغيرة: «الله أكبر، الحمد لله الّذي أخزاكم» فقال له عمر: «أسكت. أخزى الله مكاناً واراك» -إلى أن قال-

ووافقت أُم جميل التي رمي بها المغيرة عمر بالموسم والمغيرة هناك فقال عمر للمغيرة: أتعرف هذه قال: نعم. هذه أُم كلثوم بنت علي فقال له عمر «أتتجاهل عليَّ، والله ما أظنّ أبابكرة كذب عليك وما رأيتك إلّا خفت أن أُرمى بحجارة من السماء» -إلى أن قال-

قال أبو جعفر: قال عليّ عليه السلام: «لئن لم ينته المغيرة لأتبعنه أحجاره» وقال غيره: «وقال عليّ عليه السلام: لئن أخذت المغيرة لأتبعنه أحجاره» ـ إلى أن قال ـ

ولمّا شخص المغيرة إلى عمر رأى في طريقه جارية فأعجبته فتزوجها. فلمّا قدم بها على عمر قال له: «إنك لفارغ القلب طويل الشبق»[1].

وإنما أبطل عمر حدّ المغيرة لاحتياجه إليه لدهائه، وإلّا فغير شهادة الشهود، وان منع زياداً من تكميل شهادته بتلك الكلمة كان المغيرة نفسه يقرّ، فلمّا قال أبوبكرة: لكأنّي أنظر إلى تشريم جدري بفخذ تلك المرأة قال له المغيرة: «لقد الطفت النظر» كما مرّ.

وقال لزياد: «والله لو كنت بين بطني وبطنها ما رأيت أين سلك ذكري منها» فأيُّ إقرار أصرح من هذا؟! ومن العجب أنّ إقراريه ذينك كانا بمحضر عمر.

ثم ليس مكالمة عمر والمغيرة لما قال له: أتعرف هذه ـ وأشار إلى المرأة التي زنا بها ـ فقال: «نعم هذه أُم كلثوم بنت علي» إلّا مكالمة المنافقين في الاستهزاء بالدين، ولو كانت امرأة عمر بدوية ما اجترأ المغيرة مع اطمينان خاطره من قبل عمر أن يقول له هذه امرأتك إلّا أنّه لمّا كان يعرف معاداته لأمير المؤمنين عليه السلام لم يخف من ذاك القول.

ولقد صرّح بإبطال عمر الحدّ عمداً سيّد شباب أهل الجنة، ومن شهد له القرآن بعصمته، وكونه أقرب الخلق إليه جلّ وعلا كباقي الخمسة أهل الكساء الحسن بن عليّ عليه السلام فقال للمغيرة في مجلس معاوية ـ كما رواه الزبير بن

---

(١) الأغاني ١٦: ٩٥، والنقل بتصرف في اللفظ.

بكّار في (مفاخراته): «لقد درأ عمر عنك حقّاً الله سائله عنه»(١).

وقد عرفت قول أميرالمؤمنين عليه السلام لعمر: «إن ضربت أبابكرة رجمت صاحبك» وقوله عليه السلام: «لئن لم ينته المغيرة أو لئن أخذت المغيرة لاتبعنه أحجاره» وفي تعبيره عليه السلام عن المغيرة بصاحبك دليل أيضاً على أنّ عمر أبطل الحدّ عنه.

ثم لو لم يكن عمر عطّل حدّه عمداً لم يقل له: «ما رأيتك إلّا خفت أن أرمىٰ بحجارة من السماء» فإنّ الامام إذا لم يثبت عنده حدّ على حدّه ليس عليه في تركه مؤاخذة عند الله تعالى، بل المؤاخذة عليه في إجرائه ولو مع علمه.

ومما يشهد أنّه عطّل الحدّ رعاية لجانب المغيرة أنّه بعد صدور هذا العمل عنه في البصرة، وآشتهاره بين أهلها، وخوضهم في ذلك؛ غضب عليه في الظاهر فعزله عنها، لكن رفع درجته في الباطن فجعله أمير الكوفة. فصار ذلك مثلاً بين الناس. قال ابن قتيبة في (عيونه): قال ابن سيرين: كان الرجل يقول غضب الله عليك كما غضب الخليفة على المغيرة، عزله عن البصرة، وآستعمله على الكوفة(٢).

ويقال لعمر في قوله للمغيرة: «إنك لفارغ القلب» في تزوجه بجارية في طريق الإتيان به لإقامة الحدّ عليه إنّ فراغ قلبه إنّما كان من قبلك، وكيف لا وتاسّف عمر في كون مكان زناه مكشوفاً، فقال له: «أخزى الله مكاناً واراك».

وأمّا تعطيله حدّ الشرب على قدامة بن مظعون ـ وكانت أُخت عمر تحته وأُخت قدامة تحت عمر ـ ففي (الاستيعاب لأبي عمر): إستعمل عمر قدامة بن مظعون على البحرين، فقدم الجارود سيّد عبدالقيس على عمر من البحرين،

---

(١) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ١٠٤، شرح الخطبة ٨٢.

(٢) عيون الاخبار ١: ٢١٦.

وقال له: إنّ قدامة شرب فسكر، وإنّي رأيت حدّاً من حدود الله حقّاً عليَّ أن أرفعه إليك. فقال عمر: من يشهد معك؟ قال: أبو هريرة. فدعي وقال له: بم تشهد؟ فقال: لم أره يشرب، ولكنّي رأيته سكران يقيء. فقال عمر: لقد تنطعت في الشهادة ثم كتب إلى قدامة أن يقدم عليه من البحرين. فقدم. فقال الجارود لعمر: أقم على هذا كتاب الله. فقال عمر: أخصيم أنت أم شهيد؟ فقال: شهيد فقال: قد أدّيت شهادتك. فصمت الجارود. ثم غدا على عمر. فقال: أقم على هذا حدّ الله. فقال عمر: ما أراك إلّا خصيماً، وما شهد معك إلّا رجل واحد. فقال الجارود: إنّي انشدك الله. قال عمر: لتمسكّن لسانك أو لأسوءنّك. فقال: يا عمر! أما والله ما ذلك بالحقّ أن يشرب الخمر ابن عمك، وتسوؤني. فقال أبوهريرة: فإن كنت تشكّ في شهادتنا. فأرسل إلى ابنة الوليد فسلها وهي امرأة قدامة. فأرسل عمر إلى هند بنت الوليد ينشدها. فأقامت الشهادة على زوجها. فقال عمر: لقدامة إنّي حادّك. فقال: لو شربت كما يقولون ما كان لكم ان تحدّوني فقال عمر: لِمَ؟ قال قدامة: قال تعالىٰ: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح في ما طعموا﴾[1] ـ الآية[2].

والخبر إن تضمن حدّه له أخيراً إلّا أنّه اضطرّ إلى حدّه بعد شهادة امرأته ولِمَ لَم يحدّه أوّلاً بعد شهادة رجلين بشربه. ولم يقل أحد إنّه يشترط في حدّ الشرب رجلان وامرأة.

قلت: وقول الجارود لعمر: «يا عمر! أما والله ما ذلك بالحق. أن يشرب الخمر ابن عمك، وتسوؤني» نظير قول المسور بن مخرمة لمّا بلغ يزيد بن

---

(١) المائدة: ٩٣.

(٢) الاستيعاب ٣: ٢٥٩.

معاوية أنه قال: إنّ يزيد يشرب الخمر. فكتب إلى أمير المدينة أن يجلده الحدّ فجلده:

أيشربها صرفاً بفكّ ختامها أبو خالد ويجلد الحدّ مسور

وإن شئت قلت قول المسوّر نظير قول الجارود لأنّه كان قبلُ والأساس لما بعدُ.

ثم خبره وإن تضمّن أنّ عمر قال لقدامة بعد آستناده إلى الآية في سقوط الحدّ عنه: «لقد أخطأت في التأويل» إلّا أنّه كان ذلك منه بعد ارشاد أميرالمؤمنين عليه السلام له. فروى محمّد بن يعقوب في (كافيه): أنّ قدامة لمّا قال لعمر لا يجب عليّ حدّ بالآية؛ بلغ ذلك أميرالمؤمنين عليه السلام. فمشى إلى عمر فقال له: لِمَ تركت الحدّ على قدامة، وقد شرب؟ فقال: إنّه تلا عليّ هذه الآية. فقال عليه السلام: قدامة ليس من أهل هذه الآية، ولا من سلك سبيله في ارتكاب ما حرّم الله. إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يستحلّون حراماً؛ فاردد قدامة وآستتبه ممّا قال: فإن تاب فأقم عليه الحدّ، وإن لم يتب فاقتله. فقد خرج عن الملّة. فاستيقظ عمر لذلك، وعرف قدامة الخبر، فأظهر التوبة[1].

ومن تلوّنه أنّه قال بعد جعله الخلافة شورى: «لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً ما جعلته شورى»[2] مع أنّه ردّ على الأنصار في آدّعائهم الأمر لسعد بن عبادة بأنّ النبي قال: «الأئمة من قريش» فكيف أراد أن يجعله في غير قريش. ثم يجعله في مولى لا في عربي مع انّهم كانوا يعاملون الموالي معاملة العبيد. قال ابن عبدالبر في (استيعابه) بعد نقل قول عمر في سالم كما مر:

---

(١) أخرج حديث قدامة الكليني في موضعين من الكافي ٧: ٢١٥ ح ١٠ و: ٤٠١ ح ٢، بمتنين غير هذا والأم متن لما نقله الشارح ما أخرجه المفيد في الإرشاد: ١٠٨.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ٢: ٧١، والطبري في تاريخه ٣: ٢٩٢، سنة ٢٣، وغيرهما.

«وهذا عندي على أنّ عمر كان يصدر في الخلافة عن رأيه»[١].

قلت: ومنشأ رأي عمرو وداعيه إلى ذاك الرأى في سالم أنّ سالما وإن كان مولى إلّا أنّه كان له أثر جليل عنده، وعند صاحبه يوم السقيفة وقبله وبعده.

ومن تلوّنه أنه قال لاهل الشورى كما في (الاستيعاب): «لله درهم ان ولّوها الأُصيلع كيف يحملهم على الحقّ ولو كان السيف على عنقه» فقلت: أتعلم ذلك منه ولا تولّيه؟! قال: «إن لم أستخلف فأتركهم فقد تركهم من هو خير منّي»[٢].

قلت: يا لله للجواب من الرجل فهو الّذي أجبر النبيّ ﷺ على ترك الوصية، ويالله لحمق أصحابه لكن لا غرو فقد قال تعالى في فرعون وقومه: ﴿فاستخفّ قومه فأطاعوه﴾[٣].

ومن تلوّنه جعله قول الرجل لامرأته «أنت طالق ثلاثاً» كتطليقها ثلاث مرّات خلافاً للكتاب والسنّة: أما الكتاب. فقال تعالى: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان -إلى- فإن طلّقها فلا تحلّ له من بعدُ حتّى تنكح زوجاً غيره﴾[٤].

وأما السنَّة ففي (سنن أبي‌داود) مسنداً عن طاووس: أنّ رجلاً يقال له أبو الصهباء كان كثير السؤال لابن عباس قال: أما علمت أنّ الرجل كان إذا طلّق آمرأته ثلاثاً قبل أن يدخل بها جعلوها واحدة على عهد النبيّ ﷺ وأبي‌بكر وصدراً من إمارة عمر قال آبن عباس: ولما رأىٰ عمر الناس تتابعوا

---

(١) الاستيعاب ٢: ٧١، والنقل بالمعنى.

(٢) الاستيعاب ٣: ٦٤.

(٣) الزخرف: ٥٤.

(٤) البقرة: ٢٢٩ و٢٣٠.

فيها قال: «اجيزهنّ عليهم». وروى أيضاً خبراً آخر عنه قريباً منه، وفيه: «وثلاثاً من امارة عمر»(١).

«واعتراض» في (النهاية): «الاعتراض، الدخول في الباطل والامتناع من الحق»(٢).

ومع ابتلاء الناس به باعتراض أيضاً كما قال عليه السلام، كان هو يفتخر بأنه يصدّ الناس عن ذلك. فكان يقول: «وأضرب العروض»(٣): أي: من كان كالابل الّذي يأخذ يميناً وشمالاً، ولا يلزم المحجّة.

روى (سنن أبي‌داود): أنّ عمر لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتّى شهد عبدالرحمن بن عوف أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أخذها من مجوس هجر(٤).

وروى عن سعيد بن المسيب: أنّ أخوين من الأنصار كان بينهما ميراث فسأل أحدهما صاحبه القسمة فقال: لئن عدت سألتني القسمة لا أُكلمك أبداً، وكل مالي في رتاج الكعبة. فقال عمر «انّ الكعبة لغنيّة عن مالك. كفّر عن يمينك وكلّم أخاك فإنّي سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا يمين عليك، ولا نذر في معصية الرب وفي قطيعة الرحم ولا في ما لا تملك»(٥).

فإذا كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال ما نقل؛ فلِمَ أمره بالتكفير، وقد رووا أنّ من حلف على شيء تركه خير منه؛ فتركه كفارته(٦).

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ٢: ٢٦١ ح ٢١٩٩ و ٢٢٠٠، ومسلم في صحيحه ٢: ١٩٩ ح ١٦ و١٧، وغيرهما والنقل بتلخيص.

(٢) النهاية ٣: ٢١٦، مادة (عرض).

(٣) رواه ابن الأثير في النهاية ٣: ٢١٣، مادة (عرض).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ٣: ١٦٨ ح ٣٠٤٣، والبخاري في صحيحه ٢: ٢٠٠، وغيرهما والنقل بتلخيص.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤: ٣٠٠.

(٦) أخرجه ابن ماجة في سننه ١: ٦٨٢ ح ٢١١١، والنقل بالمعنى.

وقال محيي الدين في الحديث (٥٥٨) منه روى سعيد بن المسيب أنّ عمر كان يجعل في الإبهام خمس عشرة، وفي السبابة عشراً وفي الوسطى عشراً، وفي البنصر تسعاً، وفي الخنصر ستّاً حتّى وجد كتاباً عند آل عمرو بن حزم عن النبيّ ﷺ أنّ الأصابع كلّها سواء. فأخذ به، وكان يجعل في ما أقبل من الأسنان خمسة أبعرة، وفي الأضراس بعيراً بعيراً -إلى أن قال- وأجمع أهل العلم على أنّه لا تفضيل في الأصابع والأسنان عملاً بالحديث[1].

وفي (بلاغات نساء أحمد بن أبي طاهر البغدادي) عن عايشة بنت عثمان بعد قتل أبيها: «فهلّا علنت كلمتكم، وظهرت حسكتكم إذ ابن الخطاب قائم على رؤوسكم. ماثل في عرصاتكم يرعد ويبرق بإرعابكم يقمعكم غير حذر من تراجعكم الاماني بينكم، وهلّا نقمتم عليه عوداً وبدءاً إذ ملك -إلى أن قالت- يحكم في رقابكم وأموالكم. كأنكم عجائز ضلع. واماء قصع. فبدأ معلنا لابن أبي قحافة. بإرث نبيّكم على بعد رحمه، وضيق بلده، وقلّة عدده، فوقى الله شرّها زعم -إلى أن قالت- أو لم يخصم الأنصار بقريش ثم حكم بالطاعة لمولى أبي حذيفة؟ يتمايل بكم يميناً وشمالاً. قد خطب عقولكم، واستمهر وجلكم ممتحناً لكم، ومعترفاً اخطاركم، وهل تسمو هممكم إلى منازعته ولولا تيك لكان قسمه خسيساً، وسعيه تعيساً. لكن بدر الرأي. وثنّى بالقضاء، وثلّث بالشورىٰ ثم غدا سامراً. مسلطاً درته على عاتقه. فتطأطأتم له تطأطأ الحقّة، وولّيتموه أدباركم حتّى علا أكتافكم. فلم يزل ينعق بكم في كلّ مرتع، ويشدّ منكم على كلّ محنق، لا ينبعث لكم هتاف، ولا يأتلف لكم شهاب. يهجم

(١) اصل الحديث أخرجه أبو داود في سننه ٤: ١٨٨ ح ٤٥٥٨، وغيره عن النبي ﷺ: «هذه وهذه سواء يعني الإبهام والخنصر» وشرح الحديث أخرجه الشافعي وعبد الرزاق وابن راهويه والبيهقي عن سعيد بن المسيب، عنهم منتخب كنز العمال ٦: ١٥٧.

عليكم بالسّراء ويتورط بالحوباء. عرفتم أو نكرتم لا تألمون، ولا تستنطقون حتّى إذا عاد الأمر فيكم ـ الخ[١].

وفي (عيون ابن قتيبة): تنازع آثنان أحدهما سلطاني، والآخر سوقي فضربه السلطاني. فصاح واعمراه. ورفع خبره إلى المأمون. فأمر بإدخاله عليه. وقال له: من أين أنت؟ قال: من أهل فامية. قال: «إنّ عمر بن الخطاب كان يقول من كان جاره نبطياً. وآحتاج إلى ثمنه فليبعه. فإن كنت تطلب سيرة عمر فهذا حكمه فيكم» وأمر له بألف درهم[٢].

وفي (عقد ابن عبد ربه): كان عمر قاعداً، والدرّة معه، والناس حوله إذ أقبل الجارود العامري. فقال رجل: هذا سيّد ربيعة. فسمعها عمر ومن حوله. وسمعها الجارود. فلمّا دنامنه خفقه بالدرّة فقال: مالي ولك لقد سمعتها. قال: وسمعتها فمه، قال: خشيت أن تخالط القوم، ويقال: هذا أمير. فاحببت أن اطأطىء منك[٣].

وفيه أيضاً رأى عمر ناساً يتّبعون أُبيّ بن كعب فرفع إليه الدرّة. فقال له أُبيّ: إتّق الله. قال: فما هذه الجموع خلفك[٤]؟

وفي (صحيح مسلم) و(البخاري): أنّ عمر لمّا طعن أغمي عليه فصيح عليه. فلمّا أفاق قال: أما علمتم أنّ النبى قال: إنّ الميّت ليعذّب ببكاء الحيّ[٥]؟!

وفي (سنن أبي‌داود): ذكر قول ابن عمر عن أبيه أنّ الميّت ليعذّب ببكاء أهله عليه عند عائشة. فقالت ذهل: إنّما مرّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم على قبر يهودي فقال: إنّ صاحب هذا ليعذّب وأهله يبكون عليه. ثم قرأت عائشة:

---

(١) بلاغات النساء: ١٠٠، والنقل بتصرف يسير.

(٢) عيون الاخبار ١: ٣٠٣.

(٣ و ٤) رواهما ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١١١ و١١٢، شرح الخطبة ٢٢٦، ولم يوجدا في العقد الفريد.

(٥) أخرجه بطرق مسلم في صحيحه ٢: ٦٣٨ ـ ٦٤٢، والبخاري في صحيحه ١: ٢٢٣ و٢٢٤.

﴿ولا تزر وازرة وزر أُخرى﴾[١].

وفي (حياة حيوان الدميري): قال قبيصة بن جابر الأسدي: كنت محرماً فرأيت ظبياً فرميته. فأصبته. فمات. فوقع في نفسي من ذلك شيءٌ. فأتيت عمر أسأله. فوجدت إلى جنبه رجلا أبيض رقيق الوجه. وإذا هو عبدالرحمن بن عوف. فسألت عمر. فالتفت إلى بدالرحمن فقال: ترى شاة تكفيه. قال: نعم. فأمرني أن أذبح شاة فلمّا قمنا من عنده قال صاحب لي: إنّ الخليفة لم يحسن أن يفتيك حتّى سأل الرجل. فسمع عمر بعض كلامه. فعلاه بالدرّة ضرباً. ثم أقبل عليّ ليضربني فقلت له: إنّي لم أقل شيئاً إنّما هو قاله فتركني[٢].

وفي (حيوان الجاحظ): تقامر رجلان على عهد عمر بديكين. فأمر عمر بالديكة أن تقتل. فأتاه رجل من الأنصار فقال: أمرت بقتل أُمَّة من الأُمم تسبّح الله تعالى. فأمر بتركها[٣].

ورووا أنّ رجلا جاء إلى عمر، وقال له: إنّ ضبيعاً التميمي لقينا فجعل يسألنا عن تفسير حروف من القرآن فقال: اللهمّ أمكنّي منه. فبينا عمر كان يوماً جالساً يغدّي الناس إذ جاءه الضبيع، وعليه ثياب وعمامة فتقدّم فأكل حتّى إذا فرغ قال لعمر ما معنى قوله تعالى: ﴿والذاريات ذرواً * فالحاملات وقرا﴾[٤] فقال عمر: ويحك أنت هو؟ فقام إليه فحسر عن ذراعيه. فلم يزل يجلده حتّى سقطت عمامته فإذا له ضفيرتان. فقال له:

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ٣: ١٩٤ ح ٣١٢٩، والبخاري في صحيحه ١: ٢٢٣، ومسلم في صحيحه ٢: ٦٤٠ ـ ٦٤٣ ح ٢٢ ـ ٢٧، والآية ١٦٤ من سورة الأنعام.

(٢) رواه الدميري في حياة الحيوان ٢: ١٠٤، عن المستدرك،والحديث أخرجه الحاكم في المصدر ٣: ٣١٠، والنقل بتصرف يسير.

(٣) الحيوان ١: ٢٩٥.

(٤) الذاريات: ١ و٢.

والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك. ثم أمر به فجعل في بيت. ثم يخرجه كلّ يوم فيضربه مئة. فاذا برأ أخرجه فضربه مئة أُخرى. ثم حمله على قتب، وسيّره إلى البصرة، وكتب إلى أبي‌موسى أن يحرّم على الناس مجالسته، ويقوم في الناس خطيباً ثم يقول: «إنّ ضبيعاً قد آبتغى العلم فأخطأه» فلم يزل وضيعاً في قومه وعند الناس حتّى هلك، وكان قبلُ سيّد قومه(١).

وفي (الأغاني): قال أبو عمرو الشيباني: بعث عمر رجلاً من قريش يقال له: أبوسفيان يستقرئ أهل البادية. فمن لم يقرأ شيئاً من القرآن عاقبه. فأقبل حتّى نزل بمحلّة بني نبهان فاستقرأ ابن عم لزيد الخيل. يقال له: أوس بن خالد. فلم يقرأ شيئاً. فضربه فمات. فأقامت بنته المكنّاة أُم أوس ماتماً تندبه، وأقبل حريث بن زيد الخيل. فأخبرته. فأخذ الرمح فشدّ على أبي‌سفيان فطعنه فقتله، وقتل ناساً من أصحابه، ثم هرب إلى الشام، وقال:

ألا بكّر الناعي بأوس بن خالد
أخي الشتوة الغبراء في الزمن المحل
فلا تجزعي يا أُم أوس فإنّه
يلاقي المنايا كلّ حاف وذي نعل
فان يقتلوا أوساً عزيزاً فإنّني
تركت أبا سفيان ملتزم الرحل
ولولا الأسى ما عشت في الناس بعده
ولكن إذا ماشئت جاوبني مثلي

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ١٢٢، شرح الخطبة ٢٢٦، والفريابي، عنه الدر المنثور ٦: ١١١، وغيرهما.

أصـــبنا بـه مـن خـيرة القـوم سـبعة

كراماً ولم نأكـل بـه حشـف النـخل[١]

ولعمر الله كان فاروقاً بين الحقّ والباطل لكن باختياره الباطل أيَّ باطل وتركه الحقّ أيّ حقّ.

«فصبرت على طول المدّة وشدّة المحنة» في (معارف ابن قتيبة): كانت ولاية عمر عشر سنين وستّة أشهر وخمس ليال[٢].

«حتّى إذا مضى لسبيله» فيه أيضاً: توفي عمر لأربع بقين من ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين، وقد كان طعن لسبع بقين منه[٣].

في (فصول المرتضى): سئل هشام بن الحكم عما يرويه العامة من قول أميرالمؤمنين عليه السلام لما قبض عمر، وقد دخل عليه مسبحي: «لو ددت أن ألقى الله بصحيفة هذا المسبحي» فقال: هذا حديث غير ثابت ولا معروف الاسناد، وإنّما حصل من جهة القُصّاص، وأصحاب الطرقات، ولو ثبت كان المعنى فيه معروفاً، وذلك انّ عمر، واطأ أبابكر والمغيرة، وسالماً مولى أبي حذيفة، وأباعبيدة على كتب صحيفة بينهم يتعاقدون فيها على أنّه اذا مات النبي. لم يورّثوا أحداً من أهل بيته، ولم يولّوهم مقامه. فكانت الصحيفة لعمر اذ كان عماد القوم، والصحيفة التي ودّ أميرالمؤمنين عليه السلام ورجا أن يلقى الله بها هي هذه الصحيفة فيخاصمه بها ويحتجّ عليه بمتضمنها ـ والدليل على ذلك ما روته العامة عن أُبيّ بن كعب أنّه كان يقول في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن أفضى الأمر إلى أبي‌بكر بصوت يسمعه أهل المسجد: «ألا هلك أهل العقدة، والله ما آسي عليهم إنّما آسي على من يُضلّون من الناس. فقيل له: يا صاحب

---

(١) الأغاني ١٧: ٢٦٩، والنقل بتصرف يسير.

(٢ و ٣) المعارف: ١٨٣.

رسول الله! من هؤلاء أهل العقدة؟ وما عقدتهم؟ فقال: «قوم تعاقدوا بينهم إن مات النبى لم يورّثوا أحداً من أهل بيته، ولا ولّوهم مقامه. أما والله لئن عشت إلى يوم الجمعة لأقومن فيهم مقاماً أبيّن به للناس أمرهمَ قال فما أتت عليه الجمعة[١].

«جعلها» إنّما الجعل لله تعالى. فكما أنّ جعل الرسالة منه عزّ وجلّ: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[٢]، كذلك جعل الامامة والخلافة من نبيه التي وظيفتها وظيفة النبوّة، فلم يكن للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً جعل لها من قبل نفسه فضلاً عن غيره. قال جلّ وعلا ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾[٣] فكيف كان لعمر جعل الامامة؟! وفي أسد الغابة في عنوان معاوية روى عبدالرحمن بن أبزي عن عمر أنّه قال: هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد. ثم في أُحد بقي منهم احدثم في كذا وكذا، وليس فيها لطليق، ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء[٤].

مع أنّه وإن قال بلسانه: «ليس للطلقاء منه شيء» إلّا أنّه بعمله عمل عملاً وهبه بحذافيره للطلقاء وجعلها خالصة لهم.

وفي (أنساب البلاذري) عن حارثة بن مضرب قال: حججت مع عمر فسمعت الحادي يقول: «إنّ الأمير بعده ابن عفان»[٥].

«في جماعة» أوّلهم عثمان، وثانيهم طلحة، وثالثهم الزبير، ورابعهم عبدالرحمن بن عوف، وخامسهم سعد بن أبيوقاص، وسادسهم هو عليه السلام

(١) الفصول المختارة ١: ٥٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الانعام: ١٢٤.

(٣) القصص: ٦٨.

(٤) اسد الغابة ٤: ٣٨٧.

(٥) انساب الاشراف ٥: ١١.

على ما في اثبات المسعودي[1].

«زعم أنّي أحدهم» تعبيره عليه السلام بزعم دالّ على أنّه جعله في أُولئك الجماعة ظاهراً وأخرجه منهم باطناً. فقالوا «زعم مطية الكذب».

وكان حجير مؤذّن مسيلمة يقول في أذانه: «أشهد أنّ مسيلمة يزعم أنّه رسول» فيقول له مسيلمة: «أفصح حجير».

وفي (جمل المفيد): روى الحرث بن الفضل، عن أبي عبدالله الأغرّ أنّ الزبير قال لابنه يوم الجمل لمّا أراد تركهم، وقال له ابنه: أحسست برايات ابن أبي طالب: «ويلك لا تدعنا على حال أنت والله قطعت بيننا وقرفت الفتنة بما بليت به من هذا المسير -إلى أن قال- فقال له ابنه، أفتدع علياً يستولي على الأمر، وأنت تعلم أنّه كان أخسّ أهل الشورى عند عمر؟ ولقد أشار عمر، وهو مطعون. وقال لأصحابه أهل الشورى: «ويلكم أطمعوا ابن أبي طالب فيها لا يفتق في الاسلام فتقاً عظيماً، ومنّوه حتّى تجمعوا على رجل سواه»[2].

وفيه: أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام أرسل ابن عباس إلى الزبير ليكلّمه إذا لم يكن ابنه بحاضر -إلى أن قال- فقال ابن الزبير لابن عباس: سئل عبدالرحمن بن عوف عن أصحاب الشورى فكان صاحبكم أخيبهم عنده، وما أدخله عمر في الشورى إلّا وهو يقرفه، ولكن خاف فتقه في الاسلام[3].

قلت: الاسلام الّذي خاف عمر فتقه من أميرالمؤمنين عليه السلام إنّما كان خلافته وخلافة صاحبه، والأساس الّذي أسّساه لمن بعدهما، وإلّا فأمير المؤمنين عليه السلام كان أُسس الاسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وبسيفه قام

---

(١) اثبات الوصية: ١٢٥.

(٢) الجمل: ١٥٥، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٣) الجمل: ١٦٩ و١٧٠، والنقل بتلخيص.

الاسلام، وبتركه التعرض لهم بعد النبيّ ﷺ لئلاّ يرتدّ الناس جميعاً بقي الاسلام كما صرّح هو عليه السلام وأهل بيته كراراً، وهم كانوا لا يبالون أن يمحى الاسلام إذا بقي لهم سلطانهم، ومع أنّهم نالوا السلطنة وأكلوا الدنيا بواسطة النبيّ ﷺ كانوا يتلهفون على عدم قدرتهم على محو اسمه وخمول ذكره كما فعلوه بأهل بيته مدّة، إلّا أنّ الله تعالى يأبى إلّا أن يتمّ نوره ولوكره المشركون.

وعن كتاب (شورى عوانة)، وكتاب (سقيفة الجوهري): قال الشعبي: حدّثني من لا أتّهمه من الأنصار. قال: مشيت وراء علي بن أبيطالب حيث انصرف من عند عمر والعباس بن عبدالمطلب يمشي في جانبه. فسمعته يقول للعباس: ذهبت منّا والله. فقال: كيف علمت؟ قال: ألا تسمعه يقول: كونوا في الجانب الّذي فيه عبدالرحمن، وإنّه ابن عم سعد، وعثمان صهره. فإذا اجتمع هؤلاء. فلو أنّ الرجلين الباقيين كانا معي لم يغنيا عني شيئاً مع أنّي لست أرجو إلّا لأحدهما ومع ذلك فقد أحبّ عمر أن يعلمنا أنّ لعبدالرحمن عنده فضلا علينا. لا. لعمر الله ما جعل الله ذلك لهم علينا. كما لم يجعل لأولاهم على أولانا. أما والله لئن عمر لم يمت لأذكّرنّه ما أتى إلينا قديماً، ولأعلمنّه سوء رأيه فينا، وما أتى إلينا حديثاً، ولئن مات وليموتن ليجتمعن هؤلاء القوم على أن يصرفوا هذا الأمر عنّا وليفعلن ليروني حيث يكرهون، والله ما بي رغبة في السلطان، ولاحبّ الدنيا، ولكن لاظهار العدل، والقيام بالكتاب والسنّة. ثم التفت فرآني وراءه فعرفت أنّه قد ساءه ذلك. فقلت: لا ترع أبا حسن. لا والله لا يسمع أحد الّذي سمعت منك ما اصطحبنا في الدنيا. فوالله ما سمعه منّي مخلوق

حتّى قبض الله عليّاً إلى رحمته[١].

قلت: الظاهر أنّ من قال عنه الشعبي حدّثني من لا اتّهمه من الأنصار هو أبو طلحة الأنصاري.

وفي (ارشاد) محمّد بن محمّد بن النعمان، روى يحيى الحمّاني، عن يحيى بن سلمة بن كهيل، عن أبيه عن أبي صادق قال: لمّا جعلها عمر شورى في ستّة وقال: إن بايع اثنان لواحد، واثنان لواحد. فكونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبدالرحمن، واقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبدالرحمن؛ خرج عليّ عليه السلام من الدار، وهو معتمد على يد عبدالله بن عباس وقال: يا ابن عباس! إنّ القوم عادوكم بعد نبيّكم كمعاداتهم لنبيّكم في حياته، والله لا ينيب بهم إلى الحقّ إلّا السيف. فقال له ابن عباس: وكيف ذاك؟ قال: أما سمعت قول عمر؟ قال: بلى. قال: أو لم تعلم أنّ عبدالرحمن ابن عم سعد، وأنّ عثمان صهر عبدالرحمن؟ قال: بلى. قال: فإنّ عمر قد علم أنّ سعداً وعبدالرحمن وعثمان لا يختلفون في الرأي، وانّه من بويع منهم كان اثنان معه، وأمر بقتل من خالفهم، ولم يبال أن يقتل طلحة اذا قتلني وقتل الزبير. أمَ والله لئن عاش عمر لأعرّفنّهُ سوء رأيه فينا قديما وحديثاً، ولئن مات يجمعني وإيّاه يوم يكون فيه فصل الخطاب[٢].

وفي (العقد الفريد) ـ بعد ذكر الشورى ـ فقال عليّ عليه السلام لقوم معه من بني هاشم: إن أُطيع فيكم قومكم فلن يؤمّروكم أبداً. وتلقّاه العباس فقال له: عُدِلَتْ عنّا. قال: وما أعلمك؟ قال: قرن بي عثمان. ثم قال: إن رضي ثلاثة رجلاً وثلاثة رجلاً، فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن. فسعد لا يخالف ابن عمه

(١) رواه عوانة في الشورى، عنه شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٨٩، شرح الخطبة ١٣٧، والجوهري في السقيفة: ٨٢، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الإرشاد: ١٥١، والنقل بتصرف يسير.

عبدالرحمن، وعبدالرحمن صهر عثمان لا يختلفون. فلو كان الآخران معي ما نفعاني[١].

وبالجملة إنّما دبّر لعثمان لأنّه كان معهم من يوم أوّل. قال ابن أبي الحديد: روى كثير من الناس أنّ أبابكر لمّا نزل به الموت دعا عبدالرحمن بن عوف، فقال: أخبرني عن عمر. فقال: إنّه أفضل من رأيك إلّا أنّ فيه غلظة. ثم دعا عثمان. فقال: أخبرني عن عمر. فقال: سريرته خير من علانيته، وليس فينا مثله. فقال لهما أبو بكر: لا تذكرا ممّا قلت لكما شيئاً. ولو تركت عمر لما عدوتك يا عثمان[٢].

ومرّ أنّ حداء حادي عمر في حجّه كان «إن الأمير بعده ابن عفان».

وانّما لم يستخلفه صريحاً كما استخلفه أبوبكر صريحاً لأمرين: أحدهما أنّ حماية عثمان لبني أُميّة أعداء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كانت معلومة من أيّام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فكان يجير منهم من أباح النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دمه، ويلجئه إلى عفوه عنهم فلو كان عيّنه إسماً كان ذلك عاراً عليه.

والثاني: أنّه إذا كان عيّنه شخصاً ثم يقتله الناس بأعماله آضطراراً يصفو الأمر لأميرالمؤمنين عليه السلام بخلاف ما إذا جعل الأمر لستّة فبعد عثمان كان الثلاثة الباقون طلحة والزبير وسعد مزعزعين لأمره عليه السلام، ولا سيما الأوّلان فإنّ الثالث وان لم يكن بايعه إلّا أنّه لم يقاتله، وهما قاتلاه، وسبّبا تضعيف أمره حتّى قام معاوية في قباله.

وممّا يشهد لأنّ عمر كان يعرف أنّ عثمان الّذي دبّر الأمر له يفعل ما يلجئ الناس إلى قتله ما قاله الجاحظ في (سفيانيته) ـبعد ذكر الشورى،

---

(١) العقد الفريد ٥: ٢٧.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٥٥، والنقل بتلخيص.

واقبال عمر على كلّ من الستة ـ ثم أقبل عمر على عثمان. فقال: «كأنّي بك قد قلّدتك قريش هذا الأمر لحبّها إيّاك فحملت بنى أُميّة وبنى أبي معيط على رقاب الناس وآثرتهم بالفيء. فسارت اليك عصابة من ذؤبان العرب فذبحوك على فراشك ذبحاً. والله لئن فعلوا لتفعلن ولئن فعلت ليفعلُن» ثم أخذ بناصيته فقال: فإذا كان ذلك فاذكر قولي[1].

ولعمر الله إنّ سليمان بن عبدالملك مع كفر بني أُمية قاطبة كان أطيب نفساً من فاروقهم، وأقرب إلى طلب الحقّ. فإنّه دبّر لأن يصير الخلافة بعده لعمر بن عبدالعزيز لصلاحه من بينهم بجعل يزيد أخيه بعده. ففي الطبري قال سليمان آبن عبدالملك لرجاء بن حيوة: كيف ترى في عمر بن عبدالعزيز فقال: اعلمه والله خيراً. فاضلاً مسلماً. فقال: هو والله على ذلك، ولكن والله لئن ولّيته، ولم أوّل أحداً سواه لتكوننّ فتنة، ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلّا أن يجعل أحدهم بعده. فاجعل يزيد بن عبدالملك بعده. فإنّ ذلك ممّا يسكّنهم ويرضون به. فقال له رجاء: رأيك. فكتب «هذا كتاب من سليمان لعمر بن عبدالعزيز إنّي قد ولّيتُك الخلافة من بعدي ومن بعدك يزيد بن عبدالملك فاسمعوا له وأطيعوا»[2].

ولعمر الله! أنّ عمر بتدبير الأمر لعثمان ولّى معاوية بن أبيسفيان اللعين ابن اللعين على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وباقي بنى أُمية الشجرة الملعونة في القرآن الوليد بن يزيد وغيره.

ولم يكره ذاك الفاروق تحمّل أوزار أُولئك، وانّما كره ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ميتا كما كرهها حيّاً كبنت صاحبه التي لم تستطع أن تذكر

---

(١) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٦٢.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٣٠٧، سنة ٩٩، والنقل بتصرف يسير.

اسمه، وكان إطباق السماء على الأرض عندها أحب من ولايته عليه السلام.

وفي (العقد الفريد) ـ بعد ذكر طلب الناس كراراً من عمر استخلافه، وقوله لو كان أبوعبيدة أو سالم مولى أبي حذيفة حيّين استخلفتهما ـ قال عمر: قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن اولّي رجلاً أمركم أرجو أن يحملكم على الحقّ ـ وأشار إلى علي ـ ثم رأيت أن لا أتحمّلها حيّاً وميتاً[1].

«فيالله» بفتح اللام.

«وللشورى» بكسر اللام وضم الشين. قال الجوهري في قول الشاعر: «يا للرجال ليوم الأربعاء»: أمّا اللامان جميعاً للجر ولكنّهم فتحوا الأولى وكسروا الثانية ليفرّقوا بين المستغاث به والمستغاث له[2].

روى أبومخنف ـ ونقله ابن أبي الحديد في موضع آخر ـ انّ عماراً قال يوم الشورى:

يا ناعي الاسلام قم فانعه قد مات عرف وأتي منكر

اما والله لو أنّ لي أعواناً لقاتلتهم[3].

وقال عمّار أيضاً لأميرالمؤمنين عليه السلام والله لئن قاتلتهم بواحد لأكونن ثانياً فقال عليه السلام: والله ما أجد عليهم أعواناً، ولا أحبّ أن أعرّضكم لما لا تطيقون[4].

وفي (العقد الفريد): ذكروا أنّ زياداً أوفد ابن حصين على معاوية. فأقام عنده ما أقام. ثم إنّ معاوية بعث إليه ليلاً فخلابه. فقال له: يا ابن حصين بلغني أنّ عندك ذهنا وعقلاً. فأخبرني عن شيء أسألك عنه. قال: سلني عمّا بدا لك.

---

(١) العقد الفريد ٥: ٢٥.

(٢) صحاح اللغة ٥: ٢٠٣٥، مادة (لوم).

(٣ و ٤) رواه عن أبي مخنف ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٧٢، شرح الخطبة ٢٢٦، والطوسي في تلخيص الشافي ٤: ٤٥.

قال: أخبرني ما الّذي شتّت أمر المسلمين، وخالف بينهم؟ قال: قتل الناس عثمان. قال: ما صنعت شيئاً. قال: فمسير طلحة والزبير، وعائشة، وقتال على إيّاهم. قال: ما صنعت شيئاً. قال: ما عندي غير هذا. قال: فأنا أُخبرك به. إنّه لم يشتّت بين المسلمين ولا فرّق أهواءهم إلّا الشورى التي جعلها عمر الى ستّة نفر، وذلك إذ قدّم النبي أبابكر للصلاة فرضوه لأمر دنياهم إذ رضيه لأمر دينهم وآستخلف عمر ثم جعلها عمر وشورى بين ستّة نفر فلم يكن رجل منهم إلّا رجاها لنفسه ورجاها له قومه وتطلعت إلى ذلك نفسه، ولو أنّ عمر آستخلف عليهم كما استخلف أبوبكر ما كان في ذلك آختلاف[١].

وأقول: معاويه نفسه ما صنع شيئاً في ماهو الأصل من فعل عمر أوجب التشتّت بين المسلمين وتفريق أهوائهم. فإنّما الأصل إنّما هو منعه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن كتابة وصية لأمته لا يَضلون ولا يُضلّون.

ففي (طبقات كاتب الواقدي): لمّا كان في مرض وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الّذي توفي فيه دعا بصحيفة ليكتب فيها لأمّته كتاباً لايَضلّون ولايُضلّون قال: فكان في البيت لغط وكلام، وتكلّم عمر بن الخطاب قال فرفضه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

وفيه: وقال عبدالله بن العباس: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده. فقال عمر: إن رسول الله قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت فمنهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم رسول الله، ومنهم من يقول ما قال عمر. فلمّا كثر اللغط والاختلاف وغمّوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: قوموا عنّي[٣].

---

(١) العقد الفريد ٥: ٣١، والنقل بتصرف يسير.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢: ٣٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢: ٣٧.

وإنّما كان معاوية متألّماً من شوراه مع نيله السلطنة بواسطة شوراه بتدبير الأمر لعثمان كما مرّ، وبإنهاض طلحة والزبير للحرب معه، وكتابه إليهما أنّكما ممّن رضيكما عمر، وأنا أدعو أهل الشام إلى خلا فتكما ليزلزلا أمر أميرالمؤمنين عليه السلام فيتمكّن مما يريد من قيامه في قباله عليه السلام لأنّه أراد آستخلاف آبنه يزيد، وسعد بن أبيوقاص أحد ستّة شورى عمر كان حيّاً، وكان لا يمكنه مع وجوده ذلك. فاضطر إلى قتله كما أنّه لمعاهدته الحسن عليه السلام بردّ الأمر إليه بعده آضطر إلى قتله بالسم، وإنما آنتظر معاوية أن يكون عمر يستخلف عثمان بالشخص كما استخلفه أبوبكر بالشخص، وعثمان هو كان يستخلفه بلا ريب، وكان عثمان يقول في أيّام قيام الناس عليه: إنّ معاوية وليّ دمي لكن يقال لمعاويّة: إنّ صاحبك لو كان عمر استخلفه بالشخص ما كان يفيدك شيئاً بعد كون سيرته تلك السيرة فكان الناس يقتلونه وتكون أبعد من مرامك، ولم يكن لطلحة والزبير عنوان حتّى تنهضهما في قباله عليه السلام فيضعّفان أمره، وتتمكن أنت مما تمكنت. فعمر في دهائه عمل عملين: تأخيره عليه السلام عن الخلافة، وتزلزل أمره في خلافته التي تحصل له قهراً من هجوم الناس عليه بعد قتل عثمان.

وفي ابن أبي الحديد في موضع آخر قال جعفر بن مكي الحاجب: قلت لمحمّد بن سليمان حاجب الحجّاب: ما تقول في هذا الاختلاف الواقع في أمر الإمامة من مبدأ الحال؟ فقال: لا أعلم له أصلاً إلّا أمرين أحدهما أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أهمل أمر الأمّة فلم يصرّح فيه بأحد بعينه، وإنما كان هناك رمز وإيماء، وكناية وتعريض ـ إلى أن قال ـ وعادة الملوك إذا تمهّد ملكهم، وأرادوا العقد لولد من أولادهم أو ثقة من ثقاتهم أن يصرّحوا بذكره ويخطبوا باسمه على أعنان المنابر وبين فواصل الخطب، ويكتبوا بذلك إلى الآفاق البعيدة

عنهم، ومن كان منهم ذا سرير ضرب آسمه على صفحات الدنانير والدراهم بحيث تزول الشبهة، وليس أمر الخلافة بهيّن ليترك في مظنّة الاشتباه، ولعله كان للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك عذر إمّا خشية من إرجاف المنافقين بأنّها ليس بنبوّة، وإنّما هي ملك أوصىٰ بها لسلالته أو لغيره، ولعلّه لم يعلم أنّه يموت يدلّ عليه. انّه لمّا نوزع في إحضار الدواة والكتف ليكتب لهم ما لا يضلّون بعده غضب، وقال أُخرجوا عنّي، ولم يجمعهم بعد، بل أرجى الأمر إرجاء من يرتقب آلإفاقة. فبتلك الكنايات المحتملة مثل حديث «خاصف النعل» و«منزلة هارون من موسى» و«من كنت مولاه» و«هذا يعسوب الدين» و«لا فتى إلّا علي» و«أحبّ خلقك اليك» وما جرى هذا المجرى مما لا يسكت الخصم -إلى أن قال- والسبب الثاني جعل عمر الأمر شورى في الستّة. فبقي في نفس كلّ واحد انّه رشّح للخلافة -إلى أن قال-

ولم يكن رجاء طلحة والزبير بدون رجاء عليّ عليه السلام، بل كان أقوى لأنّ علياً عليه السلام دحضه الأولان وأسقطاه وكسرا ناموسه بين الناس فصار نسياً منسياً ولم يبق له مما يمتّ به إلّا انّه ابن عم الرسول، وزوج بنته، وأبو سبطيه، ونسي ما وراء ذلك، واتّفق له من بغض قريش ما لم يتّفق لأحد -إلى أن قال-

وهما: أي: طلحة والزبير، عند أنفسهما وعند الناس في أواخر أيّام عثمان خليفتان بالقوة لأنّ عمر نصّ عليهما وعمر نافذ الحكم في حياته وبعد وفاته. فلمّا فاتتهما فتقا ذلك الفتق العظيم من حرب الجمل. ثم كانت الجمل تمهيداً لصفّين. فإنّه لولا الجمل لم تكن صفّين. فأوهم معاوية أهل الشام أنّ علياً فسق بمحاربة أُم المؤمنين، وانّه قتل طلحة والزبير، وهما من أهل الجنة فهو من أهل النار. ثم نشأ من فساد صفّين، وضلال معاوية كلّ ما جرى من الفساد، والقبيح في أيّام بني أُمية، ونشأت فتنة ابن الزبير، فرعاً من فروع يوم

الدار لأنّه كان يقول: إنّ عثمان لمّا أيقن بالموت نصّ عليّ ولي شهود منهم مروان. أفلا ترى كيف تسلسلت هذه الأمور فرعاً على أصل، وغصناً من شجرة، وجذوةً من ضرام؟ هكذا يدور بعضه على بعض وكلّه من الشورى في الستّة[١].

قلت: ويقال للرجل إذا لم تكن تلك الأمور من النبيّ ﷺ في أميرالمؤمنين عليه السلام كافية لا سيما قوله: «من كنت أولى به من نفسه وماله فعليٌّ أولى به من نفسه وماله» لأنّه ليس بعد قوله عليه السلام للناس: «ألست أولى بكم من أنفسكم وأموالكم» معنى قوله ﷺ بعده «فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه» إلّا ذلك، وإلّا لكان قوله عليه السلام أوّلاً بلا ربط مع كلامه آخرا، ويكون قول ذلك كفراً لأنّه من نسب إلى النبيّ ﷺ التكلّم بلا ربط، وعن هجر يكفر لم تكن ادلّة وجود الصانع كافية لأنّها مما لم تسكت الخصم الدهرية والطبيعية كما لم تسكت تلك الأمور الخصم العامة وأهل السنّة.

ويقال له: الملوك أهل الدنيا يهيئون أسباب مقاصدهم بأيٍّ وسيلة، ولو بقتل نفوس وهتك أعراض، والأنبياء إنّما يكتفون بإتمام الحجّة ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيى من حيّ عن بيّنة.

وكيف يقول «لم يجمعهم بعد وأرجى الأمر ارجاء من يرتقب الإفاقة» مع انّ في (طبقات ابن سعد): انّه قيل له ﷺ بعد: ألا نأتيك بما طلبت؟ قال: أو بعد قول الرجل أنّي لأهجر[٢].

مع أنّه لو كان أراد ثانياً لمنعوه. فكان عبيدالله بن عبدالله بن عتبة يقول: كان ابن عباس يقول: «إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين النبيّ ﷺ وكتابة

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٨١ ـ ٣٨٣، شرح الخطبة ١٣٣، والنقل بتلخيص.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢: ٣٦، والنقل بتصرف يسير.

وصيته» وقال سعيد بن جبير: «كان ابن عباس يذكر ذلك ويبكي، وكأنّي أنظر إلى دموعه على خدّه كأنّها نظام اللؤلؤ»[1].

وأقول: إنّ الرزية كلّ الرزية ان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن متمكّناً في حياته من كتابة وصية لأُمّته لئلاّ يضلّوا، وعمر كان نافذ الحكم بعد مماته بأن يضربوا عنق أميرالمؤمنين عليه السلام لو خالف دستوره في جعل الأمر لبني أُميّة اللاعبين بالدين والمنكرين لوجود رب العالمين.

ولمّا كانت تلك الشورى تدبيراً لانتقال الأمر إلى الشجرة الملعونة، وموجباً قتله لو خالف، وقيام طلحة والزبير في قباله في أيّامه وما ترتب عليها من المفاسد من حدوث صفّين والنهروان، وحدوث الخوارج وقتله عليه السلام قال عليه السلام «فيالله وللشورى».

ولا يكاد ينقضي العجب من دستور عمر في ضرب عنق من خالف دستوره أيّ دستور كان، كما لا يكاد ينقضي العجب من الناس كيف كانوا حاضرين لاجرائه.

وروى (الكافي): أنّ عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء وناساً من رؤساء المعتزلة دخلوا حدثان قتل الوليد بن يزيد، واختلاف أهل الشام بينهم على الصادق عليه السلام فتكلّموا وأكثروا. فقال لهم: قد أكثرتم عليّ فأسندوا أمركم إلى رجل منكم يتكلّم بحججكم. فأسندوا إلى عمرو بن عبيد فتكلّم، وقال «قد قتل أهل الشام خليفتهم، وشتّت الله أمرهم. فنظرنا رجلا له دين وعقل ومروة وموضع للخلافة، وهو محمّد بن عبدالله بن الحسن فأردنا أن نبايعه. فمن بايعه فهو منّا، ومن اعتزلنا كففنا عنه، ومن نصب لنا جاهدناه على بغيه، وقد

---

(١) هذا الحديث أخرجه جماعة منهم البخاري في صحيحه ١: ٣٢، و٤: ٧ و٢٧١، ومسلم في صحيحه ٣: ١٢٥٩ ح ٢٢، وغيرهما.

أحببنا أن تدخل معنا. فإنّه لاغنىً بنا عن مثلك لموضعك، وكثرة شيعتك. فلما فرغ قال عليه السلام: أكلّكم على مثل ما قال؟ قالوا: نعم. فقال عليه السلام له: لو أنّ هذه الأُمّة قلّدتك أمرها بغير قتال وقيل لك: ولّها من شئت، من كنت تولّيها؟ قال: اجعلها شورى بين المسلمين قال: بين المسلمين كلّهم؟ قال: نعم قال عليه السلام: قريش وغيرهم والعرب والعجم؟ قال: نعم، قال له: أخبرني أتتولى أبابكر وعمر أو تتبرأ منهما؟ قال: بل أتولاّ هما قال: فقد خالفتهما. قد عمد عمر إلى أبي بكر فبايعه ولم يشاور فيه أحداً. ثم ردّها أبوبكر عليه، ولم يشاور فيه احداً. ثم جعلها عمر شورى بين ستّة وأخرج منها جميع المهاجرين والأنصار غير أُولئك الستّة من قريش، وأوصى فيهم شيئاً لا أراك ترضى به أنت وأصحابك اذ جعلتها شورى بين جميع المسلمين قال: وما صنع عمر؟ قال: أمر صهيباً أن يصلّي بالناس ثلاثه أيّام، وأن يشاور أُولئك الستّة ليس معهم أحد إلّا ابن عمر يشاورونه وليس له من الأمر شيء، وأوصى من بحضرته من المهاجرين والأنصار إن مضت ثلاثه أيّام قبل أن يفرغوا أو يبايعوا رجلاً أن يضربوا أعناق أُولئك الستّة جميعاً. فإن آجتمع أربعة قبل أن تمضي ثلاثة أيّام وخالف آثنان أن يضربوا أعناق الإثنين. أفترضون بهذا أنتم في ما تجعلون من الشورى في جماعة المسلمين قالوا: لا ـ الخبر[1].

وفي (مقاتل أبي الفرج الاصبهاني) بأسانيد: أنّ المأمون وجّه إلى جماعة من آل أبي طالب. فحملهم إليه من المدينة، وفيهم عليّ بن موسى الرضا. فأخذ بهم على طريق البصرة حتّى جاءوه بهم، وكان المتولّي لاشخاصهم المعروف بالجلودي من أهل خراسان. فقدّم بهم على المأمون. فأنزلهم داراً، وأنزل على بن موسى الرضا داراً، ووجّه إلى الفضل بن سهل.

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي ٥: ٢٣ ح ١، والطبرسي في الاحتجاج ٢: ٣٦٢، والنقل بتصرف يسير.

فأعلمه أنّه يريده أن يعقد له بعده، وأمره بالاجتماع مع أخيه الحسن بن سهل على ذلك. فاجتمعا بحضرته، وجعل الحسن يعظّم ذلك عليه، ويعرّفه ما في إخراج الأمر من أهل بيته إليه. فقال: إنّي عاهدت الله أن أُخرجها إلى أفضل آل أبي طالب إن ظفرت بالمخلوع، وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل. فاجتمعا معه على ما أراد. فأرسلهما إليه فعرضا ذلك عليه فأبى. فلم يزالا به، وهو يأبى ذلك، ويمتنع منه -إلى أن قال له أحدهما-: إن فعلت، وإلّا فعلنا كذا وكذا وتهدّداه ثم قال له أحدهما: والله أمرني بضرب عنقك إذا خالفت ما يريد. ثم دعا به المأمون فخاطبه في ذلك فامتنع. فقال له قولاً شبيهاً بالتهديد ثم قال له: إنّ عمر جعل الشورى في ستّة أحدهم جدّك وقال: من خالف فاضربوا عنقه، ولا بدّ من قبول ذلك. فأجابه[1].

هذا، ولمّا تخلّف ابن الزبير عن بيعة يزيد، واستجار بالكعبة جعل الامر شورى بينه، وبين المسوربن مخرمة، ومصعب بن عبدالرحمن بن عوف، وفي (أنساب البلاذري): أصابت المسور شظية من حجر في وجنته فتوفي منها يوم جاء نعي يزيد في آخر النهار ومات مصعب أو قتل في حصار ابن نمير فلمّا شخص ابن نمير. بويع ابن الزبير. قال نافع: كنت تحت منبر ابن الزبير يوم دعا إلى نفسه بعد يزيد وكان قبل يدعو إلى الشورى[2].

وفيه قال أبو حرّة مولى خزاعة مخاطباً لابن الزبير:

اخوانكم ان بلاء حلّ ساحتكم ولا ترون لنا في غيره نسبا
نعاهد الله عهداً لا نخيس به ان نقبل الدهر شورى بعد من ذهبا[3]

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٧٥، والنقل بتصرف يسير.
(٢) أنساب الأشراف ٤ ق ٢: ٥٦ و٥٨، والنقل بتصرف وتقطيع.
(٣) أنساب الأشراف ٥: ١٨٨، والنقل بتلخيص.

«متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتّى صرت اقرن إلى هذه النظائر»
فإنّ الأول، وهو صدّيقهم إنّما كانت منقبته منحصرة في كونه صاحب الغار، وأنّه أمره النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة في مرضه ولو كان له شيء آخر لذكره له الثاني لمّا كان يحرّض الناس على بيعته.

مع أنّ كلاً منهما إلى المثلبة أقرب. أما الأولى فتضمّن القرآن إيذاء صاحب الغار لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، وأخرجه من وصف الإيمان حيث خصّ إنزال السكينة بنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم مع أنّه في آيات أُخر شرّك المؤمنين معه صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك، وأمّا الثانية فإنّما كانت من قبل بنته، وخرج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مع شدّة مرضه متكئاً على نفرين لمنعه.

وأما هو عليه السلام فمقاماته أكثر من أن تحصى، وروى أحمد بن الحسن القطان من رجالهم باسناده عن جعفر بن محمّد، عن آبائه أنّه لما كان من أمر أبي بكر ما كان لم يزل أبوبكر يظهر الانبساط لعلي، ويرى منه أنقباضا ـ إلى أن قال ـ فقال له عليّ عليه السلام: أخبرني عن الّذي يستحق هذا الأمر بما يستحقّه قال: بالنصيحة والوفاء، ورفع المداهنة، والمحاباة، وحسن السيرة، وإظهار العدل والعلم بالكتاب والسنّة، وفصل الخطاب مع الزهد في الدنيا، وقلّة الرغبة فيها، وانصاف المظلوم من الظالم القريب والبعيد. فقال له علي: أُنشدك الله أفي نفسك تجد هذه الخصال أم فيّ؟ قال: بل فيك. قال: أُنشدك بالله أنا المجيب للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قبل ذكران المسلمين أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: أُنشدك بالله إنّ الأذان لأهل الموسم بسورة براءة أنا أم أنت؟ قال: بل أنت. قال فانشدك بالله أنا وقيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بنفسي يوم الغار أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: أُنشدك بالله إنّ الولاية من الله مع ولاية رسوله في آيه زكاة الخاتم لي أم لك؟ قال: بل لك. قال: أُنشدك بالله أنا المولى لكلّ مسلم بحديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم الغدير أم أنت؟ قال:

بل أنت. قال: أنشدك بالله أليَ الوزارة من رسول الله ﷺ والمثل من هارون من موسى أم لك؟ قال: بل لك. قال: فأُنشدك بالله أبي برز النبيّ ﷺ وبأهلي وولدي في مباهلة المشركين من النصارى أم بك وبأهلك وولدك؟ قال: بل بكم. قال: فأُنشدك بالله ألي ولأهلي وولدي آية التطهير من الرجس أو لك ولأهل بيتك؟ قال: بل لك، ولأهل بيتك. قال: فأُنشدك بالله أنا وولدي وأهلي صاحب دعوة الرسول يوم الكساء «اللّهمّ هؤلاء أهلي إليك لا إلى النار» أم أنت؟ قال: بل أنت وأهلك وولدك. قال: فأُنشدك بالله أنا صاحب الآية: ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرّه مستطيرا﴾[1] أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله أنا الفتى الّذي نودي من السماء «لا سيف إلّا ذوالفقار ولا فتى إلّا علي» أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله أنت الّذي حباه النبيّ ﷺ الراية يوم خيبر، وقال: «لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله» ففتح له أم أنا؟ قال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله أنت الّذي نفيت عن النبيّ ﷺ كربه، وعن المسلمين بقتل عمروبن عبد ود أم أنا؟ قال: بل أنت. قال: أُنشدك بالله أنت الّذي طهّره النبيّ ﷺ من السفاح من لدن آدم عليه السلام إلى أبيه بقوله: «أنا وأنت من نكاح لا سفاح من آدم إلى عبدالمطلب» أم أنا؟ قال: بل أنت قال: فأُنشدك بالله أنت الّذي اختاره النبيّ ﷺ وزوّجه ابنته فاطمة، وقال له «زوّجك الله» أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله أنا والد الحسن والحسين، ريحانتيه اللذين قال فيهما: «هذان سيّدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خير منهما» أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله أنت الّذي أخوه المزيّن بجناحين في الجنّة مع الملائكة أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله أنا ضمنت دين الرسول ﷺ وناديت في الموسم بإنجاز موعده أم أنت؟ قال:

---

(١) الانسان: ٧.

بل أنت. قال: فأُنشدك بالله أنا الّذي دعاه النبيّ ﷺ لطير عنده يريد أكله. فقال: «اللّهمّ إيتني باحبّ خلقك إليك بعدي» أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله انا الّذي بشّره النبيّ ﷺ: «بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين على تأويل القرآن» أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله أنا الّذي شهد آخر كلام رسوله ﷺ وولي غسله ودفنه أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله انا الّذي سبقت له القرابة من الرسول ﷺ أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله أنا الّذي دلّ عليه النبيّ ﷺ بعلم القضاء بقوله عليٌّ أقضاكم أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله أنت الّذي حباه الله تعالى بدينار عند حاجته، وباعه جبرئيل، وأضاف محمّداً ﷺ وولده أم أنت؟ فبكي أبوبكر وقال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله أنا الّذي حمله النبيّ ﷺ على كتفه في طرح صنم الكعبة وكسره حتّى لو شاء أن ينال أُفق السماء لنالها أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: أُنشدك بالله فأنا الّذي أمر النبيّ ﷺ بفتح بابه في مسجده حين أمر بسدّ أبواب جميع أصحابه وأهل بيته، وأحلّ له فيه ما أحلّه الله له أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله انا الّذي قدّم بين يدي نجواه للرسول ﷺ صدقة فناجاه اذ عاتب أقواماً فقال: ﴿أأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات﴾[1]. أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأُنشدك بالله أنا الّذي قال فيه النبيّ ﷺ لفاطمة «زوجك أوّل الناس إيماناً، وأرجحهم اسلاماً» في كلام له أم أنت؟ قال: بل أنت. فلم يزل عليّ عليه السلام يعدّ عليه مناقبه التي جعلها الله تعالى له دون غيره، ويقول له أبوبكر «بهذا وشبهه يستحق القيام بأُمور أمّة محمّد» ـ إلى أن قال ـ فقال له عمر: «دون ما تروم يا عليُّ خرط القتاد»[2].

(١) المجادلة: ١٣.

(٢) رواه عن القطان الصدوق في الخصال ٢: ٥٤٨ ح ٣٠، باب الاربعين.

قلت: وما تضمنه هذا الخبر مما عدّه عليه السلام من فضائله درايات لا ريب فيها وليست مثل روايات افتعلوها لأوّلهم ولباقيهم مزخرفات، ولما مرّ للأوّل من كونه صاحب الغار وصاحب الصلاة.

هذي المكارم لا قعبان من لبن شيبت بماء وعادت بعد أبوالا

وكيف يعترض الريب فيه عليه السلام مع أحد، وهو عليه السلام كنفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بشهادة آية ﴿وأنفسنا﴾[١] ودلالة مستفيضة اتحاد نوريهما[٢].

وعن (طبقات) حنابلة ابن أبي ليلىٰ قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: ما تقول في التفضيل. قال: في الخلافة أبوبكر وعمر وعثمان. فقلت: فعليٌّ. فقال: يا بُنَيّ! علي بن أبي‌طالب من أهل بيت لا يقاس بهم أحد[٣].

وعن (محاسن البيهقي): قام رجل في مجلس ابن عائشة. فقال: يا أبا عبدالرحمن! من أفضل أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أبوبكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبدالرحمن بن عوف وأبوعبيدة بن الجراح. فقال الرجل: فأين علي بن أبي‌طالب؟ فقال ابن عائشة: انّ الله تعالى يقول ﴿قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾[٤] فكيف يكون أصحابه مثل نفسه[٥].

ومنكر أفضليته عليه السلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على جميع العالمين كمنكر البديهيات. كيف لا، وقد قال جلّ وعلا: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) أنظر حديث النبي صلى الله عليه وآله: «كنت انا وعلي نوراً بين يدي الله» أخرجه أحمد في الفضائل، عنه التذكرة: ٤٦، وابن عساكر في ترجمة علي عليه السلام ١: ١٥١ ح ١٨٦، وغيرهما.

(٣) رواه القاضي أبو يعلى في طبقات الحنابلة ٢: ١٢٠، كما ذكره الشارح نفسه وقوله ابن أبي ليلى خطأ.

(٤) آل عمران: ٦١.

(٥) المحاسن والمساوي ١: ٢٩، والنقل بتلخيص.

يعلمون﴾[١] وقال عزّ من قائل: ﴿يرفع الله الّذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجات﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وفضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة﴾[٣] وكان عليه السلام في العلم والإيمان والجهاد في الأقصى. أمّا علمه عليه السلام فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، ومن أراد مدينة فليأتها من بابها»[٤]، وأما إيمانه: فقال صلوات عليه وآله له: «الإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي»[٥] وأمّا جهاده عليه السلام فيكفيه قول جبرئيل عليه السلام في أُحد للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لما فرّ عنه جميع أصحابه، وأراد المشركون قتله ويكرّ عليهم أميرالمؤمنين عليه السلام مرّة بعد مرّة ويفرّقهم: «إنّ هذه لهي المواساة» وقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «وما يمنعه من مواساتي وهو منّي وأنا منه»، وقول جبرئيل: «وأنا منكما» وقول جبرئيل ذاك اليوم «لا فتى إلّا عليّ ولا سيف إلّا ذوالفقار»[٦].

«حتّى صرت أقرن إلى هذه النظائر» عثمان وطلحة والزبير، وسعد، وعبدالرحمن.

روى (ميزان الذهبي)، عن أبي إسحاق قال: سألت ابن عمر، عن عثمان وعلي فقال: تسألني عن علي فقد رأيت مكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه سدّ أبواب المسجد إلّا باب عليّ[٧].

---

(١) الزمر: ٩.

(٢) المجادلة: ١١.

(٣) النساء: ٩٥.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣: ١٢٦ و١٢٧، والكلابي في مسنده، منتخبه: ٤٢٦ ح ٢، وغيرهما.

(٥) أخرجه الثقفي في المعرفة، عنه اعلام الورى: ١٨٦، والصدوق في أماليه: ٨٦ ح ١، المجلس ٢١، وغيرهما في ضمن حديث.

(٦) أخرجه ابن هشام في السيرة ٣: ٤٣، وابن المغازلي في مناقبة: ١٩٧ ح ٢٣٤، وغيرهما.

(٧) ميزان الاعتدال ٣: ٦٥.

ورووا عن الشعبي قال: دخل عليّ عليه السلام على عثمان، وعنده أهل الشورى وقد كان بلغه عنهم هنات، وقوارص. فقال لهم في جملة كلام: «لكنّي أخبركم عن أنفسكم أمّا أنت يا عثمان ففررت يوم حنين، وتولّيت يوم التقى الجمعان، وأمّا أنت يا طلحة. فقلت: إن مات محمّد لنركضن بين خلاخيل نسائه كما ركض بين خلاخيل نسائنا، وأما أنت يا عبدالرحمن فصاحب قراريط، وأمّا أنت يا سعد فتدقّ عن أن تذكر» ثم خرج فقال عثمان: أما فيكم أحد يردّ عليه؟ قالوا وما منعك من ذلك وأنت أميرالمؤمنين[1].

أراد عمر إقران أميرالمؤمنين عليه السلام بعثمان مع كون سوابق عثمان كلواحقه موادّة من حادّ الله ورسوله. فتارة كان يقول انّ علياً وعثمان من بني عبد مناف وعلى قياسه يجب أن يكون أبوسفيان مثل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لكون كل منهما من بني عبدمناف، وأُخرى كان يقول: «إنّ الناس لا يعدلون بهذين الرجلين اللذين كان الرسول نجيّاً بينهما وبين جبرئيل يتبلغ عنه ويملي عليهما».

وعلى قياسه كان عليه أن يزيد عليهما ابن أبيسرح الّذي نزل القرآن بكفره وأهدر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دمه، وإن حماه عثمان في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وولّاه بعده في أيّام خلافته. فإنّه أيضاً كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم واسطة بينه وبين جبرئيل.

ولم يزد معاوية الّذي كان يقول انّه كاتب الوحي بلا وساطة النبي. ففي (نقض عثمانية الاسكافي): «روى الواقدي أنّ معاوية بعد بيعة العراق له جمع أهل الشام، وكتب لهم كتاباً وقرأه عليهم «هذا كتاب كتبه معاوية صاحب وحي الله الّذي بعث محمّداً نبيّاً، وكان اميّا لا يقرأ ولا يكتب. فاصطفى له من أهله وزيراً كاتباً أميناً. فكان الوحي ينزل على محمّد، وأنا أكتبه، وهو لا يعلم

(١) رواه الجوهري في السقيفة: ٨٨.

ما أكتب. فلم يكن بيني وبين الله أحد من خلقه»[١].

وإذا كان عمر يقول ذاك، لم لا يقول معاوية هذا:

وعن «مفاخرات هاشم وامية» للجاحظ قالت هاشم لأُمية: قال شاعركم:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يصلب
وقستم بعثمان علياً سفاهة وعثمان خير من عليٍّ وأطيب

فقال بعض الصالحين من أهل البيت «اللهم ان كان كاذباً فسلّط عليه كلباً من كلابك» فخرج يوماً بسفر له فعرض له الأسد فافترسه[٢]. وقد ذكر تفصيل ما قاله الجاحظ؛ الحموي في (أُدبائه). فقال: جاء رجل إلى عبدالله بن جعفر فقال يا ابن عم الرسول هذا حكيم الكلبي ينشد الناس هجاءكم بالكوفة وأنشده البيت فرفع يديه، وهما ينتفضان رعدة. فقال: «اللهم ان كان كاذباً فسلّط عليه كلباً» فخرج حكيم من الكوفة فافترسه الأسد وأكله. فاتى البشير عبدالله وهو في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فخرَّ لله ساجداً، وقال: الحمد لله الّذي صدقنا وعده[٣].

وأقول لشاعرهم: هل تستوي الظلمات والنور حتّى نقيس علياً به، فإن كنّا نفعل ذلك كان ذلك سفاهة منّا كما قلت، وإنما قاسه به فاروقكم.

وفي (الطبري): قال الرشيد لعبدالله بن ثقيف الزهري: ما تقول في الذين طعنوا على عثمان؟ فقال: طعن عليه ناس، وكان معه ناس. فأما الذين طعنوا عليه فتفرّقوا عنه فهم أنواع الشيع وأهل البدع، أنواع الخوارج، وأما الذين كانوا

---

(١) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٣٦١، شرح الخطبة ٥٧، والنقل بتلخيص.

(٢) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٤٧٧، شرح الكتاب ٢٨.

(٣) معجم الادباء ١٠: ٢٤٨، والنقل بتلخيص.

معه. فهم أهل الجماعة إلى اليوم. فقال الرشيد: ما أحتاج أن اسأل بعد هذا اليوم عن هذا، ثم قال له: فما منزلة أبي بكر وعمر من النبي؟ فقال: كانت منزلتهما في حياته منه منزلتهما في مماته. فقال له الرشيد: كفيتني ما أحتاج إليه[1].

قلت: أما جوابه عن عثمان فمغالطة. فالطاعنون عليه جمهور المسلمين عموماً قبل أن يحمل معاوية الناس قهراً على تولّيه، وأصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام في الجمل وصفين والنهروان، وأصحاب الحسين عليه السلام يوم الطف خصوصاً، وأما الذين كانوا معه. فالناكثون والقاسطون، وقتلة عترة رسول رب العالمين، وسابي بناته أصحاب يزيد بن معاوية وعبيدالله بن زياد وبني مروان.

وأما جوابه عن أبي بكر وعمر. فبرهان من الغرائب فإذا كانت هكذا الدلائل ينحل كثير من المسائل ونحن نقول وشاهدنا الدراية: إنّه كما أنّ منزلتهما من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في مماته كانت غصباً وجوراً كانت منزلتهما منه في حياته كذباً ومينا.

وفي (تاريخ بغداد): قال القاسم بن سلام: فعلت بالبصرة فعلتين أرجو بهما الجنّة: اتيت يحيى القطان، وهو يقول أبوبكر وعمر وعلي. فقلت معي شاهدان من أهل بدر يشهدان أنّ عثمان أفضل من عليّ. قال: بمن، قلت: أنت حدّثتنا عن شعبة عن عبدالملك بن ميسرة عن النزال بن سبرة قال: خطبنا عبدالله بن مسعود. فقال «أميرنا خير من بقي ولم نأل» قال: ومن الآخر؟ قلت: «الزهري عن حميد بن عبدالرحمن عن المسوّر بن مخرمة قال: سمعت عبدالرحمن بن عوف يقول «شاورت المهاجرين الأوّلين وأمراء الأجناد، وأصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فلم أر أحداً يعدل بعثمان». قال: فترك قوله، وقال

---

(١) رواه الطبري في تاريخه ٦: ٥٣٤، سنة ١٩٣، والرجل عبدالله بن مصعب الزبيري لا عبدالله بن ثقيف.

أبوبكر وعمر وعثمان[١].

قلت: إنّ الرجل لم يدع للجلافة وقلّة الحياء حدّاً. أمّا ابن مسعود فكيف يقول ما قاله وقد كان عثمان ضربه حتّى كسر ضلعه، وقد أوصى أن لا يصلّي عليه عثمان، وكان يقول «ما يزن عثمان عندالله جناح ذباب»[٢].

وكان يقول: «ليتني وعثمان برمل عالج يحثو عليّ وأحثو عليه حتّى يموت الاعجز منّي ومنه»[٣].

وأمّا ابن عوف. فإنّما ولاّه لكونه صهره ثم ندم ولم يكلّمه حتّى مات وأوصى أن لا يصلّي عليه[٤].

والمشيرون عليه باستخلافه إنّما كانوا أعداء الله وأعداء رسوله، وأمّا المهاجرون الأوّلون كالمقداد وأبي‌ذر وعمّار ونظرائهم فإنّما أشاروا عليه باستخلاف أميرالمؤمنين عليه السلام. ففي (سقيفة الجوهري): عن معروف بن سويد قال: كنت بالمدينة أيّام بويع عثمان فرأيت رجلاً في المسجد جالساً وهو يصفق بإحدى يديه على الأخرى، والناس حوله، ويقول: «واعجباً من قريش واستيثارهم بهذا الأمر على أهل هذا البيت؛ معدن الفضل، ونجوم الأرض، ونور البلاد. والله إنّ فيهم لرجلاً ما رأيت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولى منه بالحقّ، ولا أقضى بالعدل، ولا آمر بالمعروف، ولا أنهى عن المنكر» قال: فسألت عنه فقيل: هذا المقداد فتقدّمت إليه وقلت: من الرجل الّذي تذكره؟ فقال: ابن عم نبيّك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّ بن أبي‌طالب. قال: فلبثت ما شاء الله. ثم لقيت أباذر فحدّثته بما قال المقداد فقال: صدق. قلت: فما يمنعكم أن تجعلوا

---

(١) تاريخ بغداد ١٢: ٤٠٩.

(٢ و ٣) رواه الثقفي في تاريخه، عنه فتن البحار: ٣١٨، والنقل بالمعنى.

(٤) نفس المصدر: ٣١٩، والنقل بالمعنى.

هذا الأمر فيهم. قال: أبى ذلك قومهم[١].

وفيه أيضاً عن الشعبي قال في خبر أهل الشورى: «فأقبل المقداد والناس مجتمعون. فقال: إسمعوا ما أقول: أنا المقداد بن عمر وإنكم إن بايعتم عليّاً سمعنا وأطعنا، وإن بايعتم عثمان سمعنا وعصينا. فقام عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي فنادىٰ: أيّها الناس! إن بايعتم عثمان سمعنا وأطعنا، وإن بايعتم عليّاً سمعنا وعصينا. فقال له المقداد: يا عدوّ الله وعدوّ رسوله، وعدوّ كتابه! ومتى كان مثلك يسمع له الصالحون؟! فقال له عبدالله: ومتى كان مثلك يجترئ على الدخول في أمر قريش؟ فقال عبدالله بن أبي‌سرح: أيّها الملأ! إن أردتم أن لا تختلف قريش في ما بينها عثمان. فقال عمّار: إن أردتم أن لا يختلف المسلمون في ما بينهم؛ فبايعوا عليّاً، وقال لابن أبي‌سرح: يا فاسق ابن الفاسق! أنت ممّن يستنصحه المسلمون أو يستشيرونه في أُمورهم؟!! الخبر[٢].

ومن المضحك أنّ الخطيب الناصبي تقيّد في (تاريخ بغداده) بتقديم ذكر من اسمه عثمان على من كان اسمه علي، وتقديم ذكر من كان اسم أبيه كذلك. فيقال له: إنّ إمامك أباح دمه المسلمون، ومنعوا دفنه مع المسلمين، وإنّما أجبر معاوية وباقي بني أُمية الناس بالسيف على القول به.

كما انه خلعه من نصبه وهو ابن عوف فعن (تاريخ الواقدي): قال عثمان بن السريد: دخلت على عبدالرحمن بن عوف في شكواه الذي مات فيه أعوده فذكر عنده عثمان. فقال «عاجلوا طاغيتكم هذا قبل أن يتمادى في ملكه» قالوا:

---

(١) السقيفة: ٨١.

(٢) السقيفة: ٨٤، والنقل بتلخيص.

فأنت وليّته! قال: لا عهد لناقض[١].

وفي (الطبري): قال عفيف بن زهير بن أبي‌الأخنس ـ وكان قد شهد مقتل الحسين عليه السلام ـ: وخرج يزيد بن معقل من بني عميرة بن ربيعة، وهو حليف لبني سليمة من عبدالقيس. فقال: «يا برير بن حضير! كيف ترى صنع الله بك؟» قال: «صنع الله والله بي خيراً، وصنع الله بك شرّاً». قال: «كذبت وقبل اليوم ما كنت كذّاباً. هل تذكر وأنا أماشيك في بني لوذان، وأنت تقول: إنّ عثمان بن عفان كان على نفسه مسرفاً، وإنّ معاوية ضالٌّ مضلّ، وإنّ إمام الهدى والحقّ علي بن أبي‌طالب؟ فقال له برير: «أشهد أنّ هذا رأيي وقولي». فقال له: يزيد «فإنّي أشهد أنّك من الضالّين». فقال له برير: «هل لك فلأباهلك ولندعُ الله أن يلعن الكاذب، وأن يقتل المبطل ثم اخرج فلأبارزك». قال: فخرجا فرفعا أيديهما إلى الله يدعوانه أن يلعن الكاذب وأن يقتل المحق المبطل. ثم برز كلّ واحد منهما لصاحبه فاختلفا ضربتين، فضرب يزيد بريراً ضربة خفيفة لم تضرّه شيئاً، وضربه برير ضربة قدّت المغفر، وبلغت الدماغ فخرّ كأنّما هوى من حالق، وأنّ سيف برير لثابت في رأسه. فكأنّي أنظر إليه ينضنضه من رأسه[٢].

«لكنّي أسففت إذ أسفّوا» من أسفّ الطائر إذا طار دانياً من الأرض حتّى كادت رجلاه تصيبانها.

«وطرت إذ طاروا» ونظير كلامه عليه السلام قول ابن عباس لكن بالعكس لمّا قيل له «ما منع علياً عليه السلام أن يبعثك مكان أبي‌موسى» «منعه من ذلك حائل القدر وقصر المدّة ومحنة الابتلاء أما والله لو بعثني مكانه لا عترضت مدارج نفسه

(١) رواه عنه المجلسي في فتن البحار: ٣١٩.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٨، سنة ٦١.

ناقضاً لما أبرم ومبرماً لمانقض؛ أسِفُّ إذا طار، وأطير إذا أسفّ، ولكن مضى قدر وبقي أسف» وقريب منه في المعنى قول أبي‌تمامة:

أُخـــاصمهم مـــرَّة قـــائماً   وأجثو إذا ما جثوا للـركب
إذا مــــنطق قـــاله صـــاحبي   تـــعقبت آخـــر ذا مـــعتقب

وقال الرضي رحمه الله في وصف الدهر:

أسفّ بمن يطير إلى المعالي   وطار بمن يُسفّ إلى الدنـايا

«فصغى» بكسر الغين: أي مال.

«رجل منهم لضغنه» أي: لحقده.

قال ابن أبي الحديد: يعني عليه السلام بالرجل طـلحة، وانّـما مـال طـلحة إلى عثمان لأنّه تيمي ابن عم أبي‌بكر، وقد كان حصل في نفوس بني هاشم من بني تيم حنق شديد لأجل الخلافة، وكذلك صار في صدور بـني تـيم عـلى بـني هاشم، وهذا أمر مركوز في طبيعة البشر، وخصوصاً العرب، وقال الراوندي: «يعني عليه السلام بالرجل سعد بن أبي وقاص؛ لأنّ علياً عليه السلام قتل أباه يوم بدر» وهو خطأ فإنّ أباه مات في الجاهلية. وإن صحّت الرواية التي تضمنت أنّ طلحة لم يكن حاضراً يوم الشورى كما اختاره الطبري؛ فذو الضغن سـعد، لأنّ أمّـه حمنة بنت سفيان بن أُميّة بن عبد شمس، والضغينة التي عنده على عليّ عليه السلام من قبل أخواله الذين قتل صناديدهم، ولم أعرف أنّ علياً عليه السلام قتل أحداً من بني زهرة لينسب الضغن إليه[١].

قلت: والرواية المتضمنة بأنّ طلحة لم يكن حاضراً لم ينحصر اختياره بالطبري. فقد اختاره الجوهري في (زيـادات سـقيفته) وعـوانـة فـي كـتاب

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٣، وشرح الراوندي ١: ١٢٧، والنقل بتلخيص ورواية الطبري في تاريخه ٣: ٢٩٥، سنة ٢٣.

(شوراه)، وابن عبد ربه في (عقده) وابن أعثم الكوفي في (تاريخه)، وابن قتيبة في (معارفه)[١].

ثم المراد بالرجل سعد معيّناً، ولو لم تكن تلك الرواية صحيحة لما مرّ عن كتاب (الشورى والسقيفة) عن الشعبي، وعن كتاب الحماني عن أبي‌صادق أنّه عليه السلام قال: «إنّ سعداً مع ابن عمه ابن عوف وابن عوف مع صهره عثمان فلو فرض كون طلحة والزبير معي ما نفعاني» وزاد في الأخير: «ولم يبال أن يقتل طلحة إذا قتلني وقتل الزبير»[٢].

وفي خبر الطبري؛ قال عليّ عليه السلام لعمه: عدلت عنّا فقال: وما علمك قال: قرن بي عثمان، وقال: «كونوا مع الأكثر فإن رضي رجلان رجلاً ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن» فسعد لا يخالف ابن عمه عبدالرحمن وعبدالرحمن صهر عثمان لا يختلفون، فيولّيها عبدالرحمن عثمان أو يولّيها عثمان عبدالرحمن فلو كان الآخران معي لم ينفعاني[٣].

وفي (العقد): قال المدائني قال عليّ عليه السلام لسعد: أسألك برحم ابنيّ هذين (الحسن والحسين) من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وبرحم عمّي حمزة منك أن لا تكون مع عبدالرحمن ظهيراً عليّ لعثمان[٤].

وبالجملة فكما كون المراد من قوله عليه السلام بعد «ومال الآخر لصهره» عبدالرحمن معيّن كذلك معيّن أنّ المراد بقوله عليه السلام: «فصغى رجل منهم...» هو

---

(١) رواه الجوهري في السقيفة: ٨٢، وعوانة في الشورى، عنه شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٩١، شرح الخطبة ١٣٧، وابن عبد ربه في العقد الفريد ٥: ٣٠، وابن أعثم في الفتوح ٢: ٩٩، وابن قتيبة في المعارف: ٢٢٨.

(٢) رواه عوانة في الشورى، عنه شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٨٩، شرح الخطبة ١٣٧، والجوهري في السقيفة: ٨٣، وعن الحماني المفيد في الإرشاد: ١٥١.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٢٩٤، سنة ٢٣.

(٤) العقد الفريد ٥: ٢٨.

سعد لا طلحة، ولو فرض كونه حاضراً كالزبير.

ثم إن كان طلحة ذا ضغن، وقد كان، فقد مرّ عن كتابي عوانة والجوهري عنه عليه السلام مشيراً إلى طلحة والزبير: «فلو أنّ الرجلين الباقيين كانا معي لم يغنيا عنّي شيئاً» ثم قال: «دع.إنّي لست أرجو إلّا أحدهما» والمراد الرجاء بالزبير دون طلحة فلأنّه عليه السلام قتل يوم بدر أخويه عثمان ومالكاً وعمّه عميرا.

مع أنّه قد يكون الضغن لتنافر الروح بدون سبب ظاهر. كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «الأرواح جنود مجنّده. فما تعارف منها آئتلف، وما تناكر منها آختلف»[1].

مع أنه عليه السلام قال: «لا يحبُّني إلّا مؤمن» وأيُّ إيمان لمن عمل تلك الأعمال الشنيعة في الجمل؟!

وأمّا قول ابن أبي الحديد في سبب ضغن طلحة بما مرّ فلا وجه له. فإنّ تيماً أخذت حق هاشم فلم يحصل في نفوسهم حنق شديد. فإنّ الحنق للمأخوذ حقه دون الآخذ حق غيره، ولمّا قال عمر لابن عباس في مكالمة له في الخلافة «أبت قلوبكم يا بني هاشم إلّا حقداً» قال له آبن عباس: «وكيف لا يحقد من غصب شيئه ويراه في يد غيره»[2].

ولما قال القاسم بن محمد بن يحيى بن طلحة لاسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن عليّ عليه السلام «لم يزل فضلنا وإحساننا سابغاً عليكم يا بني هاشم» قال له إسماعيل: «أيُّ فضل وإحسان أسديتموه إلى بني عبد مناف أغضب أبوك (يعني طلحة) جدّي (يعني النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله ليموتن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحة ٤: ٢٠٣١ ح ١٥٩ و ١٦٠، وأبو داود في سننه ٤: ٢٦٠ ح ٤٨٣٤، وغيرهما.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٠٧، شرح الخطبة ٢٢٦، والنقل بالمعنى.

محمد ولنجولنّ بين خلاخيل نسائه كما جال بين خلاخيل نسائنا، فأنزل الله تعالى مراغمة لأبيك: ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾[١]، ومنع آبن عمك (يعني أبابكر) أمّي (يعني فاطمة عليها السلام) حقّها من فدك، وغيرها من ميراث أبيها ـ إلى أن قال ـ ونكث (أبوك) بيعة عليّ عليه السلام وشام السيف في وجهه، وأفسد قلوب المسلمين عليه[٢].

كما أنّ قول ابن أبي الحديد: إنّه إن لم يكن طلحة حاضراً فذو الضغن سعد لانّ اُمه كانت من بني اُمية، وكان عليه السلام قتل أخواله[٣] ليس بصحيح، فالناس ولا سيّما العرب إنّما يتعصّبون لبني آبائهم دون بني آباء اُمّهاتهم.

وسعدٌ إنّما كان ميله إلى أميرالمؤمنين عليه السلام في نفسه أكثر منه إلى عثمان لكنه تبع هوى آبن عمه عبدالرحمن. ففي (العقد الفريد): روى المدائني أن عبدالرحمن قال لسعد: أنا وأنت كلالة فاجعل نصيبك لي فأختار. فقال له سعد: «أمّا إن آخترت نفسك فنعم، وأمّا إن آخترت عثمان فعليٌّ أحبّ إليّ منه»[٤].

كما أنّ سعداً وإن كان ممّن لم يبايع أميرالمؤمنين عليه السلام لكن لم يقاتل معه عليه السلام مثل طلحة، ولم يساعد في قباله عليه السلام معاوية، ولمّا كتب معاوية إليه ودعاه إلى نفسه أجابه بجوابات شديدة.

وفي (المروج): لما حجّ معاوية أجلس سعداً معه على السرير في دار الندوة ثم شرع في سبّ عليّ عليه السلام. فقال له سعد: والله لأن يكون فيَّ خصلة

---

(١) الاحزاب: ٥٣.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٨١، شرح الخطبة ١٧٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٣.

(٤) العقد الفريد ٥: ٢٨.

واحدة من خصالٍ كانت لعليّ أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، ثم ذكر كونه عليه السلام صهر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وله من الولد الحسنان عليهما السلام، وقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه يوم خيبر في إعطائه الراية ويوم تبوك من حديث المنزلة(١).

مع أنّ أصل رواية «لضغنه» كما في المتن غير معلوم صحتها.

فبدّله الصدوق في معانيه بقوله «بضبعه» وقال: وفي رواية «بضلعه»(٢).

بل معلوم عدم صحتها لما مرّ من روايات دالّة على عدم ضغن سعد معه عليه السلام وأنّه عليه السلام قال: إنّما سعد يميل إلى ابن عمه عبدالرحمن الّذي هواه في عثمان وحينئذٍ فالأصح رواية «بضلعه» وفي (الصحاح) في المثل «لا تنقش الشوكة بالشوكة فإنّ ضلعها معها» يُضرب للرجل يخاصم آخر فيقول: «إجعل بيني وبينك فلاناً» لرجُلٍ يهوىٰ هواه(٣).

ويمكن تصحيح «بضبعه» أيضاً ففي (الصحاح) أيضاً: «وكنّا في ضُبع فلان بالضم: أي: في كنفه وناحيته(٤)، وقد عرفت أنّ سعداً كان في كنف ابن عمه وفي ناحيته، وأبو أحمد العسكري لم يذكر غيرهما. وقال: هما قريبان معنىً(٥).

«ومال الآخر لصهره» والمراد بالآخر عبدالرحمن بن عوف كما مرّ، وبصهره عثمان. فإنّ أُخت عثمان لأُمّه أروى بنت كريز، وهي أُم كلثوم بنت

---

(١) مروج الذهب ٣: ١٤، والنقل بالمعنى.

(٢) معاني الأخبار: ٣٦١.

(٣) صحاح اللغة ٣: ١٢٥١، مادة (ضلع).

(٤) صحاح اللغة ٣: ١٢٤٧، مادة (ضبع).

(٥) العلل ١: ١٥٢، والمعاني: ٣٦٣.

عقبة بن أبي معيط كانت تحت عبدالرحمن.

فعن (سقيفة الجوهري) و(شورى عوانة) قال الشعبي: أُدخل أهل الشورى داراً فأقبلوا يتجادلون عليها وكلهم بها ظنين، وعليها حريص إمّا للدنيا وإمّا للآخرة. فلمّا طال ذلك قال عبدالرحمن: من رجل منكم يخرج نفسه من هذا الأمر، ويختار لهذه الأمّة رجلاً فإنّي طيّبة نفسي أن أُخرج منها وأختار لكم. قالوا: قد رضينا إلّا عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام فإنّه اتّهمه. فاقبل أبو طلحة عليه، وقال له: إرضَ برأي عبدالرحمن. فقال عليّ عليه السلام لعبدالرحمن: أعطني موثقاً من الله لتؤثرنّ الحقّ، ولا تتّبع الهوى، ولا تمل إلى صهر ولا إلى ذي قرابة، ولا تعمل إلّا لله، ولا تألو هذه الأُمة أن تختار لها خيرها ـ إلى أن قال ـ فخرج عبدالرحمن فمكث ثلاثة أيّام يشاور الناس. ثم رجع واجتمع الناس وكثروا على الباب لا يشكّون في أنّه يبايع عليّاً عليه السلام، وكان هوى قريش كافة ما عدا بني هاشم في عثمان، وهوى طائفة من الأنصار مع عليّ عليه السلام، وهي طائفة أُخرى هي أقل الطائفتين مع عثمان، وطائفة لا يبالون أيّهما بويع. فأقبل المقداد والناس مجتمعون. فقال: أيّها الناس اسمعوا ما أقول: أنا المقداد بن عمر، وإنّكم إن بايعتم عليّاً سمعنا وأطعنا، وإن بايعتم عثمان سمعنا وعصينا ـ إلى أن قال ـ

ثم أقبل عمّار على عبدالله بن سعد بن أبي سرح فقال: «يا فاسق وابن الفاسق أنت ممّن يستنصحه المسلمون أو يستشيرونه في أُمورهم»؟!! وارتفعت الأصوات، ونادى منادٍ لا يُدرى من هو ـ فقريش تزعم أنّه رجل من مخزوم، والأنصار تزعم أنّه رجل طوال آدم مشرفٌ على الناس لا يعرفه أحد. (وأقول: لابدّ أنه كان إبليس، وقد كان أوّل من بايع الأوّل على ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام) ـ «يا عبدالرحمن افرغ من أمرك، وامض على ما في نفسك. فانّه

الصواب» فأقبل عبدالرحمن على عليّ عليه السلام فقال: عليك عهد الله وميثاقه إن بايعتك لتعملنّ بكتاب الله وسنّة رسوله، وسيرة أبي بكر وعمر. فقال عليّ عليه السلام «على طاقتي ومبلغ علمي وجهد رأيي» والناس يسمعون. فأقبل على عثمان فقال. له: مثل ذلك. فقال عثمان: «نعم لا أزول عنه ولا أدع شيئاً منه»، ثم أقبل عبدالرحمن على عليّ عليه السلام ثلاث مرّات. فقال له: ذلك ثلاث مرات، ولعثمان ثلاث مرّات في كلّ ذلك يجيب عليّ عليه السلام مثل ما كان أجاب به، ويجيب عثمان بمثل ما كان أجاب به. فقال: «أبسط يدك يا عثمان» فبسط يده فبايعه، وقام القوم فخرجوا، وقد بايعوا إلّا علياً عليه السلام فإنّه لم يبايع. فخرج عثمان على الناس، ووجهه يتهلّل، وخرج عليّ عليه السلام ، وهو كاسف البال مظلم، وهو يقول: «يا ابن عوف! ليس هذا بأوّل يوم تظاهرتم علينا من دفعنا عن حقّنا والاستيثار علينا وطريقة تركتموها»[(١)].

وفي (أنساب البلاذري): لما بايع عبدالرحمن عثمان، وبايعه أصحاب الشورى كان عليّ عليه السلام قائماً فقعد. فقال له عبدالرحمن: «بايع! وإلّا ضربت عنقك» ولم يكن مع أحد يومئذ سيف غيره. فيقال: إنّ علياً خرج مغضباً فلحقه أصحاب الشورى وقالوا: بايع! وإلّا جاهدناك. فأقبل معهم يمشي حتّى بايع عثمان[(٢)].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): أخذ عبدالرحمن بيد عثمان، وقال له: «لئن بايعتك لتقيمنّ لنا كتاب الله وسنّة رسوله، وسنّة صاحبيك، وشرط عمر ألّا تجعل أحداً من بني أميّة على رقاب الناس» فقال عثمان: «نعم ثم أخذ بيد

(١) رواه الجوهري في السقيفة: ٨٣، وعوانة في الشورى، عنه شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٩٠، شرح الخطبة ١٣٧، والنقل بتصرف يسير وكون ابليس أوّل من بايع أبابكر رواه الكليني في الكافي ٨: ٣٤٣ ح ٥٤١، وسليم بن قيس في كتابه: ٨٠.

(٢) انساب الاشراف ٥: ٢٢.

عليّ عليه السلام فقال له: أبايعك على شرط عمر أن لا تحمل أحداً من بني هاشم على رقاب الناس» فقال: «مالك ولهذا. فإنّ عليّ الاجتهاد لأمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حيث علمت القوّة والأمانة» قال عبدالرحمن: «لا والله حتّى تعطيني هذا الشرط» قال عليه السلام: «لا والله لا أعطيكه أبداً» فتركه ـ إلى أن قال ـ قال عبدالرحمن: «لا تجعل يا عليُّ على نفسك سبيلاً فإنّه السيف لا غير»[1].

وقال ابن أبي الحديد ـ بعد ذكر بيعة عبدالرحمن لعثمان لمّا قبل العمل بسيرة الشيخين ـ فقال عليّ عليه السلام «ليس هذا بأوّل يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، والله ما ولّيته الأمر إلّا ليردّه إليك، والله كلّ يوم هو في شأن» فقال عبدالرحمن: «لا تجعلنّ على نفسك سبيلاً يا علي» يعني أمر عمر أبا طلحة أن يضرب عنق المخالف ـ فقام عليّ عليه السلام فخرج وقال: «سيبلغ الكتاب أجله» فقال عمّار: «يا عبدالرحمن! أمّا والله لقد تركته، وإنّه من الذين يقضون بالحقّ وبه يعدلون» وقال المقداد «تالله ما رأيت مثل ما أتي إلى أهل هذا البيت بعد نبيّهم، واعجباً لقريش لقد تركت رجلاً ما أقول، ولا أعلم أنّ أحداً أقضى بالعدل، ولا أعلم، ولا أتقى منه. أما لو أجد أعوانا». فقال عبدالرحمن: «إتق الله يا مقداد. فإني خائف عليك الفتنه»، وقال عليّ عليه السلام: «إني لأعلم ما في أنفسهم. إن الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر في صلاح شأنها فتقول: إنّ ولي الأمر بنو هاشم لم يخرج منهم أبدا، وما كان في غيرهم فهو متداول في بطون قريش» قال: وقدم طلحة في اليوم الّذي بويع فيه عثمان فتلكّأ ساعة ثم بايع[2].

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: قال أبوهلال العسكري في كتاب (الأوائل):

---

(١) الامامة والسياسة ١: ٢٦، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٥ .

أُستجيبت دعوة عليّ عليه السلام في عثمان وعبدالرحمن فما ماتا إلّا متهاجرين متعاديين[١].

قلت: ودعاؤه عليه السلام فيهما أنّه قال لهما: «دقّ الله بينكما عطر منشم» فروى عوانة عن الشعبي: أتى ابن عوف بعد بيعة عثمان علياً عليه السلام وأعتذر إليه. فقال: إنّ عثمان أعطانا يده ويمينه، ولم تفعل أنت. فأحببت أن اتوثق للمسلمين فجعلتها فيه فقال عليه السلام: إيهاً عنك! إنّما آثرته بها لتنالها بعد. دقّ الله بينكما عطر منشم[٢].

وروى أيضاً عنه قال: لمّا بنى عثمان قصره طمار الزوراء وصنع طعاماً كثيراً ودعا الناس إليه كان فيهم عبدالرحمن. فلمّا نظر إلى البناء والطعام قال: يا آبن عفّان! لقد صدّقنا عليك ما كنّا نكذّب فيك، وانّي أستعيذ بالله من بيعتك. فغضب عثمان وقال: أخرجه عنّي يا غلام. فأخرجوه، وأمر الناس أن لا يجالسوه[٣].

وفي (المعجم) الزَّوراء: دار عثمان بالمدينة[٤].

وفي (تاريخ اليعقوبي): روى أنّ عثمان آعتلّ علّة آشتدّت به. فدعا حمران بن أبان، وكتب عهداً لمن بعده، وترك موضع الاسم. ثم كتب بيده «عبدالرحمن بن عوف» وربطه وبعث به إلى أم حبيبة بنت أبي سفيان. فقرأه حمران في الطريق، فأتى عبدالرحمن فأخبره. فقال عبد الرحمن وغضب غضباً شديداً أستعمله علانية، ويستعملني سرّاً ونمى الخبر، وانتشر بذلك في المدينة، وغضب بنو أُميّة، وكان ذلك سبب

(١) رواه عن الاوائل ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٦٥، لكن لم اجده في مظانه.

(٢) رواه عن عوانة ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٣٩١، شرح الخطبة ١٣٧.

(٣) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٦٦، والحديث في الاوائل: ١٥٢.

(٤) معجم البلدان ٣: ١٥٦.

العداوة بين عثمان وعبدالرحمن[١].

وعن (تاريخ الثقفي): قال أبو إسحاق: صلّى الناس يوماً الفجر في خلافة عثمان فإذا بعبدالرحمن حوّل وجهه إليهم، وآستدبر القبلة. ثم خلع قميصه من جيبه فقال: «يا معشر أصحاب محمّد، ويا معشر المسلمين! أشهد الله وأُشهدكم أنّي خلعت عثمان من الخلافة كما خلعت سربالي هذا» فأجابه مجيب من الصفّ الأوّل ﴿آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾[٢] فنظروا من الرجل فإذا هو علي بن أبي طالب[٣].

ومن الغريب أنّ عمر قال: «سأستخلف النفر الذين توفّي النبيّ، وهو عنهم راضٍ» ثم ذكر عيب كلّ منهم، وقال لعبدالرحمن ـ كما في (خلفاء ابن قتيبة) «وأما أنت فما يمنعني منك إلّا أنّك فرعون هذا الأُمة»[٤].

قلت: وقد كان قارونها أيضاً فقال ابن قتيبة: قسّم ميراثه على ستّة عشر سهماً. فبلغ نصيب كلّ امرأة له ثمانين ألف درهم[٥].

وقال المسعودي في (مروجه): أتى عثمان بتركة عبدالرحمن. فنثرت البدر حتّى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم[٦].

وروى الواحدي في (أسباب نزوله): أنّ فيه وفي جمعٍ معه نزل قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفّوا أيديكم﴾[٧] الآية[٨].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٦٩، والنقل بتلخيص.

(٢) يونس: ٩١.

(٣) رواه عنه المجلسي في فتن البحار: ٣١٩، والنقل بتصرف يسير.

(٤ و ٥) الامامة والسياسة ١: ٢٤.

(٦) مروج الذهب ٢: ٣٤٠.

(٧) النساء: ٧٧.

(٨) أسباب النزول: ١١١.

هذا، وفي (معارف ابن قتيبة): كان عبدالرحمن أبرص[١]، وروى الصدوق في (فقيهه): انّ عبدالرحمن كان قملاً فرخّص له النبيّ ﷺ لبس الحرير[٢].

«مع هن وهن» الأصل في معنى هن الكناية عن العورة من الرجل والمرأة قال شاعر:

ألا ليت شعري هل ابيتنّ ليلة وهنّي جاذٍ بينَ لِهْزِمَتَيْ هَنِ[٣]

وزنت جارية فناداها أبوها فقالت انّي غضبى. قال: لِمَ؟ قالت: إنّي حبلى. فقال لها: «إن كنت غضبى فعلى هنك فاغضبي» فصار مثلاً[٤]، وقال شاعر:

رُحتِ وفي رِجليكِ ما فيهما وقد بَدا هَنْكِ من المئزر[٥]

ويكنّى بها عن الخصال القبيحة كقول امرئ القيس:

وقد رابني قولها يا هنا هُ وَيْحَكَ ألحقتَ شرّاً بشرّ[٦]

وقال لبيد:

أكرمت عرضي أن ينال بنجوة إنّ البريّ من الهنات سعيد[٧]

ثم الظاهر أنّ مراده عليه السلام من قوله «مع هن وهن» انّ الرجلين سعد وعبدالرحمن لم ينحصر صرف الأمر عنه عليه السلام بما مر من صغى الأول إلى الثاني لكونه ابن عمه، وميل الثاني إلى ابن عفان لكونه صهره؛ بل اجتمع ذلك

(١) المعارف: ٢٣٥، والنقل بالمعنى.

(٢) الفقيه ١: ١٦٤ ح ٢٥، والنقل بالمعنى.

(٣) أورده لسان العرب ١٥: ٣٦٧، مادة (هنا).

(٤) أورده الميداني في مجمع الأمثال ١: ٥٥.

(٥) أورده لسان العرب ١٥: ٣٦٧، مادة (هنا).

(٦) اورده لسان العرب ١٥: ٣٦٦، مادة (هنا).

(٧) أورده أساس البلاغة: ٤٨٨، مادة (هنو).

مع خصال قبيحة أُخرى من أهل هواهم. كقول ابن أبي سرح: «أيّها الملأ إن أردتم أن لا يختلف قريش في ما بينها فبايعوا عثمان» وقول ابن أبي ربيعة «إن بايعتم علياً قالوا سمعنا وعصينا»، واتفاق الباقين معهما. قال الشعبي: «واجتمع أهل الشورى على أن تكون كلمتهم واحدة على من لم يبايع. فقاموا إلى عليّ عليه السلام فقالوا: قم فبايع عثمان قال: فإن لم أفعل؟ قالوا: نجاهدك. فمشى إلى عثمان حتّى بايعه وهو يقول: صدق الله ورسوله»[١] ـ أي في غدرهم به أولاً وأخيراً في قوله صلى الله عليه وآله ـ «انّ الأُمّة ستغدر بك بعدي»[٢].

هذا (والإرشاد للمفيد) نقل فقرة: «مع هن وهن» هنا كالنهج، ونقلها الصدوق بعد قوله عليه السلام: «فمني الناس بخبط وشماس وتلوّن واعتراض» وقال أبوأحمد العسكري: يعني بالفقرة؛ الأدنياء من الناس تقول العرب: «فلان هُنَيّ» وهُنَيُّ تصغير هن. أي: دون من الناس. يريدون بذلك تصغير أمره[٣].

وأقول: لو كانت الفقرة هاهنا كما نقله المتن كان لتفسيرها بالأدنياء وجه وأما ثمة فلا، وإنّما المناسب ثمة أن تفسّر بأنّ المعنى: «مع خصلة سوء أُخرى وخصلة سوء أُخرى» كما لا يخفى.

هذا: وأكثر أهل اللغة قالوا: أصل هن هنو، وقال الفيّومي: «أصلها في لغةٍ هنو وفي أُخرى هنه، وفي أُخرى هنّ»[٤] قلت: الأصح الأول. قال الشاعر:

أرى ابن نزار قد جفاني وملّني　　　على هنوات شأنها متتابع

وأما قول الشاعر: «وهنّي جاذ» بتشديد النون فمن ضرورة الشعر ولعله مستند الأخير والتشديد فيه كالتسكين في قول آخر «هَنْكِ من

---

(١) رواه الجوهري في السقيفة: ٨٧.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣: ١٤٠ و١٤٢، والثقفي في تاريخه، عنه تلخيص الشافي ٣: ٥٠ و٥١، وغيرهما.
(٣) كذا في الإرشاد: ١٥٣، والعلل ١: ١٥١ و١٥٢، والمعاني: ٣٦١ و٣٦٣.
(٤) المصباح المنير ٢: ٣٥٦ و٣٥٧، مادة (هن)، والنقل بالمعنى.

المئزر»[١]، وأمّا قولهم «هنيهة» ولعله مستند الثاني. فقال الجوهري: أصلها هنيّة أُبدل من الياء الثاني هاء[٢].

هذا، وفي (مروج المسعودي): لمّا بلغ عليّاً عليه السلام ـ لمّا أراد الجمل ـ أنّ أبا موسى الأشعري يُنفِّرُ عنه أهل الكوفة؛ كتب إليه: «إعتزل عملنا يا ابن الحائك، مذموماً مدحوراً، فما هذا أوّل يومنا منك، وإنّ لك فينا لهنات وهنيات»[٣].

قلت: وأشار عليه السلام في قوله «وانّ لك فينا لهنات وهنيات»، إلى أنّ أهل العراق يجعلونه بعد في صفين حكماً ويجور ويخون ويحكم بخلعه عليه السلام.

«إلى أن قام ثالث القوم» عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أُميّة.

وممّا يدلّ على بطلان أمر الثلاثة الأوّل والثاني والثالث ما رواه أبو نعيم ـ وهو من حفّاظهم ـ في (حليته) عن أُبيّ بن كعب قال في قوله تعالى: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض﴾[٤] «هنَّ أربع وكلّهنّ عذاب، وكلّهنّ واقع لا محالة. فمضت أثنتان بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بخمس وعشرين سنة فألبسوا شيعاً وذاق بعضهم بأس بعض، وبقي ثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم»[٥].

ومراده بالخسف تفسير قوله تعالى: ﴿أو من تحت أرجلكم﴾[٦] وبالرجم: تفسير قوله جلّ وعلا: ﴿عذاباً من فوقكم﴾[٧] وانقضاء أمر الثلاثة

---

(١) الشواهد الثلاثة أوردها لسان العرب ١٥: ٣٦٦ و٣٦٧، مادة (هنا).

(٢) صحاح اللغة ٦: ٢٥٣٦، مادة (هنو).

(٣) مروج الذهب ٢: ٣٥٩.

(٤) الانعام: ٦٥.

(٥) حلية الاولياء ١: ٢٥٣.

(٦ و ٧) الانعام: ٦٥.

كان بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بخمس وعشرين سنة التي هي خمس وثلاثون من هجرته صلى الله عليه وآله فدلّت الآية على أنّ قيامهم في تلك المدة كان عذاباً بلبسهم شيعاً، وذوق بعضهم بأس بعض.

وفي قوله عليه السلام «ثالث القوم» إيماءٌ إلى أنّه كا معيّناً من قبل حسب معاهدتهم، وفي (الطبري): كان عثمان يدعى في أمارة عمر رديفاً، والرديف في لسان العرب الّذي بعد الرجل تقول العرب ذلك للرجل الّذي يرجونه بعد رئيسهم[1].

ومرّ أنّ جمّال عمر كان في حجّه يحدو به «إنّ الأمير بعده عثمان».

وأمّا أبوه عفّان ففي (أنساب أشراف البلاذري): قال المدائني: لم يكن لعفان نباهة.

فقال الشاعر:

عفّان أوّل حائك لثيابكم قدما وقد يدعى أخا الأشرار

ولكن جاء والله الاسلام فشرّف عفّان بعثمان[2].

قلت: شرّف عفّان في الاسلام بابنه عثمان لكن بدفاعه عن أعداء الاسلام وتفويضه سلطنة الاسلام إلى من كانوا يقولون:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحيٌ نزل

وفيه أيضا قال المدائني قال المطرف: وهو عبدالله بن عمرو بن عثمان «أنا ابن أبي العاص» فقال له محمد بن المنذر بن الزبير: «دون ذلك ما يرقّ عنقك» يعني عفّان كان موضّعاً[3].

---

(١) انظر أيضاً لسان العرب ٩: ١١٦، مادة (ردف).

(٢) انساب الاشراف ٤ ق ٢: ١٧٠.

(٣) انساب الاشراف ٥: ١١٢.

وفي (طرائف علي بن طاووس): قال هشام الكلبي في (مثالبه): وممّن يلعب به. ويتخنث عبيدالله أبوطلحة، وعفان أبوعثمان وكان عفّان يضرب بالدفّ أيضاً. فقال عبدالرحمن بن حنبل في ذلك:

زعم ابن عفّان وليس بهازل ... انّ الفرات وما حواه المشرق
خرجٌ له من شاء أعطى فضله ... ذهباً وتلك مقالة لا تصدق
أنّى لعفّان أبيك سبيكة ... صفراء فاطعم العتاق الأزرق
وورثته دفا وعوداً يراعة ... جوعاً يكاد بلبسها يستنطق
وبودّنا لو كنت تأتي مثله ... فيكون دفّ فتاتكم لا تفتق[1]

وفي (لطائف معارف الثعالبي): «من عرف بالأبنة (من قريش) أبوجهل بن هشام، عقبة بن أبي معيط، شيبة بن ربيعة، الحكم بن أبي‌العاص، أبو أمية بن المغيرة، عفان بن أبي‌العاص، -إلى أن قال- ولكلّ من هؤلاء قصّة ذكرها أبوعبيدة في ذكر (المثالب)[2].

هذا، وذكر (القاموس): «عفّان» في عفّ وفي عفن[3] لكن الظاهر عدم صحّة الأوّل فلم نقف على استعمال عفان في معنى العفيف.

وكيف كان فقال في كلّ منهما «ويصرف» وظاهره جواز الصرف وعدمه في كلّ منهما مع أنّه لا وجه له فانّه إن كان من «عفّ» فلا وجه لصرفه لاجتماع العلمية والألف والنون الزائدتين فيه، وإن كان من «عفن» فلا وجه لعدم صرفه لعدم وجود غير العلمية فيه. قال (الصحاح) في «حسّان» و«شيطان» إن كانا من الحسن والشطن فمنصرفان، وإن كانا من الحسّ

---

(١) الطرائف ٢: ٤٩٥ و٤٩٩.

(٢) لطائف المعارف: ٩٨.

(٣) القاموس المحيط ٣: ١٧٧، مادة (عف)، لكن لم يذكره في عفن ٤: ٢٤٩، بل فيه عفان بفتح العين.

والشيط فغير منصرفين[١].

وأما جدّه أبو العاص، وفيه يجتمع مع مروان بن الحكم فرووا وقد نقل خبره ابن أبي الحديد عند كلامه عليه السلام لأبي ذر: أنّ أباذر قال لعثمان بعد تسيير معاوية له من الشام إليه: «أشهد أنّي سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إذا بلغ بنوأبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً وعباده خولاً ودينه دخلاً» فقال عثمان لمن حضر: أسمعتموها من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؟ قالوا: لا. فقال لهم أبو ذر: أما تدرون أنّي صدقت؟ فقالوا: لا. فقال عثمان: ادعوا لي علياً. فلمّا جاء قال لأبي ذر: أقصص حديثك في بني أبي العاص. فأعاده. فقال عثمان لعلي عليه السلام: أسمعت هذا من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا. وصدق أبوذر. فقال: وكيف؟ قال: لأنّي سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبيذر» فقال من حضر: امّا هذا فسمعناه كلّنا من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فقال أبوذر: أحدّثكم أنّي سمعت هذا من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فتتّهموني؟! ما كنت أظنّ أنّي أعيش حتّى أسمع هذا من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

وقد اعترف بالحديث معاوية إلّا أنّه غيّره، وذكر بدل أبيالعاص جدّ عثمان لئلاّ يشمله الخبر لكون قيامه من قبله ابنه الحكم أبا مروان لكون غرضه خصام مروان ففي (نسب قريش مصعب الزبيري): «اشتكي عمروبن عثمان، وكانت تحته رملة بنت معاوية، وكان له منها أبنان: عثمان وخالد. فكان العوّاد يدخلون عليه فيخرجون، ويتخلّف عنده مروان. فأنكرت ذلك رملة فخرقت كوة. فاستمعت على مروان. فإذا هو يقول لعمرو بن عثمان «ما أخذ هؤلاء يعني بني حرب الخلافة إلّا باسم أبيك. فما

---

(١) صحاح اللغة ٥: ٢١٠٠ و٢١٤٥، مادة (حسن) و (شطن).

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٣٥٧، شرح الخطبة ١٢٨، والنقل بتلخيص.

يمنعك أن تنهض بحقّك. فلنحن أكثر منهم رجالاً ـ وعدّد فضول رجال أبي العاص على رجال بني حرب ـ ولمّا برأ عمرو بن عثمان تجهّز للحجّ فلمّا خرج خرجت رملة إلى أبيها بالشام. فأخبرته، وقالت له: «ما زال مروان يعدّ فضل رجال أبي العاص على بني حرب حتّى عدّ ابنيَّ فتمنّيت أنّهما ماتا»، فكتب معاوية إلى مروان: «اشهد يا مروان أنّي سمعت رسول الله يقول: «إذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً، ودين الله دخلاً وعباد الله خولا» فكتب إليه مروان: «أمّا بعد يا معاوية! فإنّي أبو عشرة، وأخو عشرة وعمّ عشرة»[1].

ولمّا كان قيام الثالث بتدبير ثانيهم كما عرفت في جعل ابن عوف زوج أُخته حكماً قال الفرزدق:

صلّى صهيب ثلاثاً ثم أسلمها   الى ابن عفان ملكاً غير مقصور
ولاية من أبي حفص لثالثهم   كانوا أخلاء مُهدي ومحبور

وروى السدّي في (تفسيره): أنّه لما توفى أبو سلمة وخنيس بن حذيفة وتزوج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بإمرأتيهما أُم سلمة وحفصة. قال عثمان وطلحة: أينكح محمّد نساءنا إذا متنا. ولا ننكح نساءه إذا مات، والله لو قد مات لقد أجلنا على نسائه بالسهام. وكان طلحة يريد عائشة، وكان عثمان يريد أُم سلمة. فأنزل الله تعالى: ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾[2] وأنزل تعالى: ﴿إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإنّ الله كان بكلّ شيء عليماً﴾[3] وأنزل عزّ وجلّ: ﴿إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا

---

(١) نسب قريش: ١٠٩، والنقل بتصرف.

(٢) الاحزاب: ٥٣.

(٣) الاحزاب: ٥٤.

والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً﴾[١][٢].

وروى السدي أيضا: أنّه لمّا أُصيب أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بأحد قال عثمان: «لألحقنّ بالشام فإنّ لي به صديقاً من اليهود يُقال له دهلك فلآخذن منه أماناً. فإنّي أخاف أن يدال علينا اليهود»، وقال طلحة: «لألحقنّ بالشام فإنّ لي به صديقاً من النصارى. فإنّي أخاف أن يدال علينا النصارى»، فأراد أحدهما أن يتهوّد، والآخر أن يتنصّر فأنزل تعالى: ﴿لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولّهم منكم فإنّه منهم والله لا يهدي القوم الظالمين﴾[٣].

وروى أيضاً: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا فتح بني النضير، فقسّم أموالهم. قال عثمان لعليّ عليه السلام: «إيتِ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأسأله أرض كذا وكذا، فإن أعطاكها فأنا شريكك فيها، وآتيه أنا فأسأله. فإن أعطانيها فأنت شريكي فيها» فسأله عثمان فأعطاه. فقال له عليّ عليه السلام: فأشركني. فأبى. فقال: بيني وبينك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فأبى أن يخاصمه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقيل له: ولِمَ؟ فقال: هو ابن عمه أخاف أن يقضي له فنزل: ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون * وان يكن لهم يأتوا إليه مذعنين * أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أُولئك هم الظالمون﴾[٤].

وفي (الطبري): كان الناس انهزموا عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم (في أُحد) حتّى انتهى بعضهم إلى المنقى دون الاعوص وفرّ عثمان وعقبة وسعد رجلان من

---

(١) الاحزاب: ٥٧.

(٢) رواه عنه ابن طاووس في الطرائف ٢: ٤٩٣، والنقل بتصرف يسير.

(٣) رواه عنه ابن طاووس في الطرائف ٢: ٤٩٤، والنقل بتصرف يسير. والآية ٥١ من سورة المائدة.

(٤) رواه عنه ابن طاووس في الطرائف ٢: ٤٩٣، والنقل بتصرف يسير. والآيات ٤٨ ـ ٥٠ من سورة النور.

الانصار حتّى بلغوا الجلعب جبلاً بناحية المدينة مما يلي الأعوص فأقاموا به ثلاثاً ثم رجعوا إلى النبيّ ﷺ فزعموا أنّ النبيّ ﷺ قال لهم لقد ذهبتم فيها عريضة(١).

وفي (عقد ابن عبد ربه) مسنداً عن أم سلمة. قالت: لمّا بنى النبيّ ﷺ مسجده بالمدينة أمر باللبن يضرب، وما يحتاج إليه، ثم قام النبيّ ﷺ فوضع رداءه. فلمّا رأى ذلك المهاجرون والأنصار وضعوا أرديتهم وأكسيتهم يعملون ويرتجزون ويقولون:

لئن قعدنا والنبيُّ يعمل ذاك إذن لعمل مضلّل

وكان عثمان رجلا نظيفاً متنظفاً فكان يحمل اللبنة ويجافي بها عن ثوبه. فإذا وضعها نفض كفّيه، ونظر إلى ثوبه. فإذا أصابه شيء من التراب نفضه فنظر إليه عليّ عليه السلام فأنشده:

لا يستوى من يعمر المساجدا يدأب فيها راكعاً وساجداً
وقائماً طوراً وطوراً قاعدا ومن يُرى عن التراب حائدا

فسمعها عمّار فجعل يرتجزها، وهو لا يدري من يعني، فسمعها عثمان. فقال: يا آبن سمية! ما أعرَفني بمن تعرِّض! ومعه جريدة. فقال: «لتكفنَّ أو لأعترضن بها وجهك». فسمعه النبيّ ﷺ وهو جالس في ظل حائط فقال: «عمّار جلدة ما بين عيني وأنفي فمن بلغ ذلك منه (فقد بلغ منّي)» وأشار بيده فوضعها بين عينيه. فكفّ الناس عن ذلك، وقالوا لعمّار: إنّ النبيّ ﷺ غضب فيك، ونخاف أن ينزل فينا قرآن(٢).

ورواه الكشّي في سند هكذا «كان النبيّ ﷺ وعليّ عليه السلام وعمار

(١) تاريخ الطبري ٢: ٢٠٣، سنة ٣.

(٢) العقد الفريد ٥: ٨٤.

يعملون مسجداً فمرّ عثمان في بزّة له يخطر، فقال عمار:

لا يستوي من يعمر المساجدا	يظل فيها راكعاً وساجدا
ومن تراه عاندا معا ندا	عن الغبار لا يزال حائدا

فأتىٰ عثمان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال له: ما أسلمنا لتشتم أعراضنا. فنزلت ﴿يمنّون عليك أن أسلموا...﴾، ونزلت: ﴿إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله...﴾[1].

وروى إبراهيم الثقفي في (غاراته) عن غير واحد من العلماء أنّ علياً عليه السلام قال على المنبر: «إنفروا إلى من يقاتل على دم حمّال الخطايا. فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة»[2].

وروى نصر بن مزاحم في (صفّينه): أنّ عمرو بن العاص قال لعمّار: ما ترى في قتل عثمان. قال: فتح لكم باب كلّ سوء. قال عمرو: فعليٌّ قتله. قال عمار: بل الله ربّ عليٍّ قتله وعليٌّ معه. قال عمرو: أكنت في من قتله. قال: كنت مع من قتله، وأنا اليوم أُقاتل معهم. قال عمرو فلِمَ قتلتموه؟ قال عمّار: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه. فقال عمرو: «ألا تسمعون! قد اعترف بقتل عثمان؛ قال عمّار، وقد قالها فرعون قبلك لقومه ﴿ألا تستمعون﴾[3].

وروى أبو مخنف عن ابن أبي ليلى. قال سمعت عمّاراً يقول: لمّا جاء إلى الكوفة لنفر الناس إلى البصرة: «ما تركت في نفسي حزّة أهمّ إليّ من أن لا نكون نبشنا عثمان ثم أحرقناه»[4].

---

(١) رواه الكشّي في معرفة الرجال، اختياره: ٣١ ح ٥٩، و: ٣١ ح ٦٠، بفرق يسير بين الألفاظ. والآية ١٥ من سورة الحجرات.

(٢) أخرجه الثقفي في الغارات ١: ٤٠.

(٣) وقعة صفين: ٣٣٨. والآية ٢٥ من سورة الشعراء.

(٤) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٢٩٦، شرح الكتاب ١.

وروى الشافي من طرق مختلفة: أنّ عمّاراً كان يقول: ثلاثة يشهدون على عثمان بالكفر، وأنا الرابع، وأنا شرّ الأربعة.

وروى أيضاً من طرق مختلفة: أنّ زيد بن أرقم قيل له: بأيّ شيء كفّرتم عثمان؟ فقال: بثلاث: جعل المال دولة بين الأغنياء، وجعل المهاجرين والأنصار من أصحاب النبيّ ﷺ بمنزلة من حارب الله ورسوله، وعمله بغير كتاب الله.

وروى عن حذيفة أنّه قال: ما في عثمان بحمد الله شكّ، لكنّي أشكّ في قاتله لا أدري أكافر قتل كافراً؟ أم مؤمن أفضل أهل الإيمان إيماناً[١]؟

قلت: قال حذيفة ذلك لأنّه كان في قتلته طلحة والزبير، كما كان عمّار ومحمّد بن أبي‌بكر، وعمرو بن الحمق ونظراؤهم.

وروى الثقفي في (تاريخه) عن القسم بن مصعب العبدي قال: قام عثمان ذات يوم خطيباً فحمّد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: (أي معرّضاً بعائشة): «نسوة يكتبن في الآفاق لتنكث بيعتي ويهراق دمي، والله لو شئت أن أملأ عليهن حجراتهن رجالاً سوداً وبيضاً لفعلت. ألست ختن النبي على ابنتيه؟ ألست جهّزت جيش العسرة؟ ألم أك رسول النبي إلى أهل مكة؟» إذ تكلّمت امرأة من وراء الحجاب فقالت: «كنت ختنه على ابنتيه فكان منك فيهما ما علمت، وجهّزت جيش العسرة. وقد قال تعالى: ﴿فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة﴾[٢]، وكنت رسوله إلى أهل مكّة قد غيّبك عن بيعة الرضوان لأنّك لم تكن لها أهلاً» فانتهرها عثمان فقالت: «أمّا أنا فأشهد أنّ النبي قال: «لكلّ أمّة

---

(١) لم يرو هذه الاحاديث المرتضى في الشافي بل رواها الحلبي في تقريب المعارف، عنه فتن البحار: ٢١٨ و ٣٢٢، والنقل بالمعنى.

(٢) الانفال: ٣٦.

فرعون وإنّك فرعون هذه الأمّة»(١).

وفي (أنساب البلاذري): كان معاوية بن المغيرة بن أبي العاص الّذي جدع أنف حمزة، ومثّل به في من مثّل، قد انهزم يوم أُحد. فمضى على وجهه. فبات قريباً من المدينة. فلمّا أصبح دخل المدينة فأتى منزل عثمان ـ إلى أن قال ـ قال لعثمان جئتك لتجيرني. فأدخله عثمان داره، وصيّره في ناحية منها. ثم خرج إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ليأخذ له منه أماناً. فسمع عثمان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول «إنّ معاوية بالمدينة وقد أصبح بها فاطلبوه. فقال بعضهم: ما كان ليعدو منزل عثمان فاطلبوه فيه. فدخلوا منزل عثمان فأشارت أم كلثوم إلى الموضع الّذي صيّره عثمان فيه. فاستخرجوه من تحت حمّارة لهم. فانطلقوا به إلى النبي صلّى الله عليه وآله. فقال عثمان حين رآه: «ما جئت إلّا لأطلب له الأمان منك فهبه لي» فوهبه له وأجّله ثلاثاً، وأقسم: «لئن وجد بعدها بشيء من أرض المدينة وما حولها ليقتلنّ» فخرج عثمان فجهّزه واشترى له بعيراً ثم قال له: ارتحل. وصار النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى حمراء الأسد، وأقام معاوية إلى اليوم الثالث ليتعرّف أخبار النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، ويأتي بها قريشاً. فلمّا كان في اليوم الرابع قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ معاوية أصبح قريباً لم ينفذ فاطلبوه واقتلوه» ـ إلى أن قال ـ ويقال قتله عليّ عليه السلام(٢).

وفي (أنساب البلاذري) أيضاً: نزل قوله تعالى: ﴿ولكن من شرح بالكفر صدراً﴾(٣) في عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وكان أخا عثمان من الرضاع، أسلم ويكتب بين يدي النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فيملي عليه «الكافرين» فيجعلها

(١) رواه عنه المجلسي في فتن البحار: ٣٢٠، والنقل بتصرف يسير.

(٢) أنساب الأشراف ١: ٣٣٧ و٣٣٨، والنقل بتصرف يسير.

(٣) النحل: ١٠٦.

«الظالمين» ويملي عليه «عـزيز حكـيم» فـيجعلها «عـليم حكـيم» وأشـباه ذا ويقول: «أنا أقول كما يقول محمّد وآتي بمثل ما يأتي به محمّد» فأنزل تعالى فيه: ﴿ومن أظلم ممّن آفترى على الله كذباً أو قال أوحي اليّ ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾[1] وهرب إلى مكّة مرتدّاً. فأمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بقتله. فطلب عثمان في أشدّ طلب حتّى كفّ عنه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «أما كان فيكم من يقوم إلى هذا الكلب قبل أن أُؤمّنه فيقتله؟» فقيل لو أومأتَ فقال: «إنّي ما أقتل بإشارة فالأنبياء لا تكون لهم خائنة الأعين».

قال البلاذري: وولاّه عثمان في خلافته مصر[2].

هذا، وكون بطلان اللازم دليلاً على بطلان الملزوم قاعدة عـقلية لكنّ إخواننا تركوها لمذهبهم المتناقض. ففي (نسب قريش مصعب الزبيري): قال عبدالله بن الزبير: لقيني ناس ممن كان يطعن على عـثمان. فـراجـعوني فـي رأيهم وحاجّوني بالقرآن. فوالله ما قمت معهم، ولا قعدت. فرجعت إلى الزبير منكسراً فذكرت ذلك له. فـقال: «إنّ القـرآن قـد تأوّله كـلّ قـوم عـلى رأيـهم، وحملوه عليه، ومن طعنوا عليه من الناس فإنّهم لا يطعنون في أبي‌بكر وعمر. فخذهم بسنّتهما وسيرتهما» قال: فكأنّما أيقظني بذلك. فلقيتهم فـحاججتهم بسنن أبي‌بكر. فلمّا أخذتهم بذلك قهرتهم، وضعفوا كأنّهم صبيان يمغثون[3].

فبطلان ثالث القوم ببداهة العقل والدين ومحكم الكتاب ومقطوع السنة يزيد بطلان الأوّل والثاني وضوحاً.

كما أنّ عمل معاوية ومن بعده من بني اُمية يزيد بطلان الثلاثة الذين

---

(١) الأنعام: ٩٣.

(٢) انساب الاشراف ١: ٣٥٨، والنقل بتصرف يسير.

(٣) نسب قريش: ١٠٣، والنقل بتلخيص.

كانوا هم سبباً لسلطانهم وضوحاً. فانّها ملزومات ولوازم كما اعترف معاوية في كتابه إلى محمّد بن أبي‌بكر.

«نافجاً» النفج: الرفع والتوسعة، قيل في قولهم «هنيئاً لك النافجة» أي: البنت لأنّ أباها يأخذ مهرها فينفج ما له: أي: يوسّعه.

«حضنيه» الحضن: ما دون الإبط إلى الكشح، ونفج حضنيه كناية عن صرف جميع قواه. فيقال: حضنا الشيء لكلّه قال شاعر:

قطعت إليك الليل حضنيه انّني لذاك إذا هاب الجبان فعول

وقال آخر:

وحضنين من ظلماء ليل طعنته بناجية قد ضمّها السير محنق[١]

«بين نثيله» أي: روثه.

«ومعتلفه» أي: موضع علفه؛ أي: كان الثالث بعد قيامه همّه مصروفاً بين تملّيه من الطعام وتخلّيه، قال شاعر:

قريب المراث من المرتع فنصف النهار لكرياسه
ونصف لمأكله أجمع

والكرياس: الكنيف.

قال ابن أبي الحديد: وكلامه عليه السلام من ممضّ الذمّ، وأشدّ من قول الحطيئة:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها وأقعد فإنّك أنت الطاعم الكاسي

الذي قيل إنّه أهجى بيت للعرب[٢].

قلت: قول الحطيئة لم يقل أحد إنّه أهجى بيت، وإنّما لمّا شكا الزبرقان

---

(١) أوردهما أساس البلاغة: ٨٧، مادة (حضن).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٦.

الّذي هجاه الحطيئة بالبيت إلى عمر. فقال عمر: لا أراه هجواً. فكلّ من الناس طاعم كاسٍ. قيل بل إنه هجو شديد، وأهجى من قول الحطيئة قول الطرماح:

تميم بطرق اللوم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلّت

وأهجى من قول الطرماح قول الأخطل:

قوم إذا آستنبح الأضياف كلبهم قالوا لأُمّهم بولي على النار

وكلامه عليه السلام أذم من الجميع فإنّما مفاد البيت الأوّل إنَّ همّ الرجل الأكل واللبس دون تحصيل مكرمة، ومفاد الثاني أنّهم مجبولون على اللؤم، ومفاد الثالث كونهم بالغين الغاية في اللئامة. فقالوا فيه: جعلهم بخلاء بالقرى، وجعل أمّهم خادمتهم يأمرونها بكشف فرجها، وجعلهم يبخلون بالماء أن يطفئوا به النار، وأنّ نارهم من قلّتها كانت تطفأ ببولها.

وإنّما كان كلامه عليه السلام ذمّاً حيث إنّ الأبيات الثلاثة في إنسان مذموم وهو عليه السلام جعله حيواناً همّه أكل العلف وطرح الروث.

وكما لم يتفطّن فاروقهم لكون بيت الحُطيئة في الزبرقان هجواً، كذلك لم يتفطن لكون بيت النجاشي في بني العجلان.

وما سمّي العجلان إلّا لقيلهم خذ القعب وآحلب أيّها العبد وآعجل

هجواً حتّى بعث إلى حسّان فسأله هل هجاهم فقال: ما هجاهم ولكن سلح عليهم.

هذا، وكان الأمين أوقاته مصروفة بين الخلوة بالخصيان وشرب الخمر. فقال بعضهم:

لهم من عمره شطر، وشطر يعاقر فيه شرب الخندريس

«وقام معه بنو أبيه» روى عوانة في (شوراه)، والجوهري في (سقيفته) بعد ذكر بيعة ابن عوف لعثمان: «إنّ عثمان لمّا دخل رحله دخل إليه بنو أُمية

حتّى امتلأت بهم الدار. ثم أغلقوها عليهم. فقال أبوسفيان بن حرب: أعندكم أحدٌ من غيركم؟ قالوا: لا. قال: يا بني أُمية! تلقفوها تلقف الكرة. فوالذي يحلف به أبو سفيان، ما من عذاب ولا حساب، ولا جنّة، ولا نار، ولا بعث ولا قيامة ـإلى أن قال ـ

فدخل عبدالرحمن على عثمان. فقال له «ما صنعت؟! فوالله ما وفّقت حيث تدخل رحلك قبل أن تصعد المنبر فتحمد الله وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعد الناس خيراً» قال: فخرج فصعد المنبر. فحمد الله ثم قال: «هذا مقامٌ لم نكن نقومه، ولم نعدَّله من الكلام الّذي يقام به في مثله»[١].

«يخضمون» الخضم: الأكل بأقصى الأضراس، وقالوا: سمّي العنبر بن عمرو بن تميم خضمّ لكثرة أكله، وفي (مجالس ثعلب): «اخضموا وإنّا نقضم» أي: كلوا الرطب وإنّا نأكل اليابس[٢].

«ما الله» هكذا في (المصرية) بدون زيادة، والصواب: زيادة «تعالى» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٣].

«خضمة الإبل» هكذا في (المصرية)، والصواب: «خضم الإبل» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٤].

«نبتة الربيع» ونظيره في التشبيه قول البصروي في القاضي التنوخي:

يقضم ما يجتبي إليه　　　قضم البراذين للشعير

وقول الضحاك الديلمي في ابن الزبير:

وأنت إذا ما نلت شيئاً قضمته　　　كما قضمت نار الغضا حطب السدر

---

(١) رواه عوانة في الشورى، عنه شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٩٠، شرح الخطبة ١٣٧، والجوهري في السقيفة: ٨٦، والنقل بتصرف يسير.

(٢) مجالس ثعلب ق ٢: ٤٩٨.

(٣ و ٤) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٦، وشرح ابن ميثم ١: ٢٥٠، أيضاً نحو المصرية.

وابن عوف الّذي فوّض الأمر إلى عثمان وجعله خليفة رأى رؤياه أنّه يأكل مال الله أكل الإبل نبت الربيع. ففي (العقد الفريد): قال سعد بن أبي وقاص لعبدالرحمن بن عوف: إنْ آخترت نفسك. فنعم. فقال له: إنّي خلعت نفسي على أن أختار إنّي رأيت في المنام كأنّي في روضة خضراء كثيرة العشب -إلى أن قال- ثم دخل بعير راتع فرتع في الروضة، ولا أكون والله البعير الراتع[١].

قلت: يقال له أيُّ فرق بين أن تكون بنفسك البعير الراتع أو سبباً للبعير الراتع، وإنّما صرت بما فعلت من خسر الدنيا والآخرة. فتدخل النار لغيرك.

وكذلك عمر الّذي دبّر الأمر لعثمان رأى رؤياه. ففي (الطبرى) قال عمر وقت وفاته: «كنت أجمعت أنّ أوَلِّيَ أمركم رجلاً هو أحراكم أن يحملكم على الحقّ -وأشار إلى عليّ عليه السلام- فرهقتني غشية، فرأيت رجلاً يدخل جنّة فجعل يقطف كلّ غضّة ويانعة فيضعها ويصيرها تحته، فخفت أن أتحمّلها حيّاً وميّتاً، وعلمت أنّ الله غالب على أمره»[٢].

قلت: كيف لم يتحمّلها ميّتاً، وقد دبّر الأمر لعثمان؟ وإنّما كان قوله صدقاً لو كان أبطل أمر الشورى، وقال: ما أراد الناس أن يفعلوا فعلوا.

وقوله: «والله غالب على أمره» مغالطة منه. فإنّما يقال في ما أراد الناس أمراً ولم يرده الله كإخوة يوسف عليه السلام أرادوا آستيصاله ولم يرده تعالى قال جلّ وعلا: ﴿وكذلك مكّنّا ليوسف -إلى- والله غالب على أمره﴾[٣] لا لمن أراد عمل باطل، ووكله الله إلى سوء آختياره، ولو صح آعتذاره

---

(١) العقد الفريد ٥: ٢٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٢٩٢، سنة ٢٣، والنقل بتصرف.

(٣) يوسف: ٢١.

لكان قتلة الأنبياء معذورين.

وفي (المروج): ولّىٰ عثمان سعيد بن العاص الكوفة بعد الوليد بن عقبة. فقال في بعض الأيّام ـ وكتب به إلى عثمان ـ «انّما هذا السواد قطين لقريش» فقال له الاشتر: أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا، ومراكز رماحنا بستاناً لك ولقومك[1].

وروى الثقفي ـ كما في (أمالي المفيد) ـ مسنداً عن أبي يحيى مولى معاذ الأنصاري أنّ عثمان بعث إلى الأرقم بن عبدالله وكان خازن بيت المال: أن أسلفني مئة ألف ألف درهم. فقال له الأرقم: أكتب عليك بها صكّاً للمسلمين قال: وما أنت وذاك لا أمّ لك! إنّما أنت خازن لنا. فخرج الأرقم مبادراً، وقال: أيّها الناس عليكم بما لكم. فإنّي ظننت أنّي خازنكم، ولا أعلم أنّي خازن عثمان بن عفان حتّى اليوم، ومضى فدخل بيته. فبلغ ذلك إلى عثمان. فخرج إلى الناس حتّى أتى المسجد. ثم رقىٰ المنبر وقال: «أيّها الناس! إنّ أبابكر كان يؤثر بني تيم على الناس، وانّ عمر كان يؤثر بني عدي على الناس، وإنّي والله أوثر بني أُميّة على من سواهم، ولو كنت جالساً بباب الجنّة ثم استطعت أن أدخل بني أُميّة جميعاً إلى الجنّة لفعلت، وإنّ هذا المال لنا. فإن آحتجنا إليه أخذناه، وإن رغم أنف أقوام».

فقال عمّار: «معاشر المسلمين! إشهدوا أنّ ذلك مرغم لي» فقال عثمان: «وأنت هاهنا» ثم نزل من المنبر ثم توطأه برجله حتّى غشي عليه، واحتمل وهو لايعقل إلى بيت أُم سلمة، فأعظم الناس ذلك، وبقي عمّار مغميً عليه لم يصلّ يومئذ الظهر والعصر والمغرب. فلمّا أفاق قال: «الحمد لله فقد أُوذيت في الله، وأنا احتسب ما أصابني في جنب الله، وبيني وبين عثمان العدل

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٣٦.

الكريم يوم القيامة» وبلغ عثمان أنّ عمّاراً عند أُمّ سلمة. فأرسل إليها. فقال: فما هذه الجماعة في بيتك مع هذا الفاجر؟ أُخرجيهم من عندك. فقالت: والله ما عندنا مع عمّار إلاّ بنتاه. فاُجتنِبنا يا عثمان، واُجعل سطوتك حيث شئت، وهذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجود بنفسه من فعالك.

قال: ثم إنّ عمّاراً صلح فخرج إلى المسجد فبينا هو كذلك إذ دخل ناعي أبي ذر على عثمان فقال: «إنّ أباذر مات بالربذة وحيداً، ودفنه قوم سفر» فاسترجع، وقال: رحمه الله. فقال عمار: «رحم الله أباذر من كل أنفسنا» فقال له عثمان: «وإنّك لهناك بعد أتراني ندمت على تسييري إيّاه؟» قال عمّار: «لا والله ما أظنّ ذلك» فقال له عثمان: وأنت أحق بالمكان الّذي كان منه أبوذر. فلا تبرحه ما حيينا. قال عمّار: «افعل. فوالله لمجاورة السباع أحبّ اليّ من مجاورتك». فتهيأ عمّار للخروج وجاءت بنو مخزوم إلى عليّ عليه السلام. فسألوه أن يقوم معهم إلى عثمان يستنزله عن ذلك[1].

وفي (أنساب البلاذري) لما بنىٰ مروان داره بالمدينة، دعا الناس إلى طعامه وقال: ما انفقت في داري هذه درهماً من مال المسلمين. فقال له المسوّر: لو أكلت طعامك وسكتّ لكان خيراً لك، لقد غزوت معنا إفريقية، وإنّك لأقلّنا مالاً ورقيقاً فأعطاك ابن عفان خمس أفريقية، وعملت على الصدقات فأخذت أموال المسلمين[2].

وروى عن أُم بكر عن أبيها قال: قدمت إبل الصدقة على عثمان فوهبها للحارث بن الحكم بن أبي العاص[3].

وفي (تاريخ اليعقوبي)، عن عبدالرحمن بن يسار قال: رأيت عامل صدقات

---

(١) أمالي المفيد: ٦٩ ح ٥، المجلس ٨، والنقل بتصرف.

(٢ و ٣) انساب الاشراف ٥: ٢٨، والنقل بتصرف يسير.

المسلمين على سوق المدينة إذا أمسى آتاها عثمان فقال له: ادفعها إلى الحكم ابن أبي العاص ـ إلى أن قال ـ وجاء بالمفتاح يوم الجمعة وعثمان يخطب فقال: أيّها الناس زعم عثمان انّي خازن له ولأهل بيته، هذه مفاتيح بيت ما لكم. ورمىٰ بها فأخذها عثمان ودفعها إلى زيد بن ثابت(١).

وقال ابن أبي الحديد: وصحّت في عثمان فراسة عمر. فإنّه أوطأ بني أُمية رقاب الناس، وولاّهم الولايات، وأقطعهم القطائع، وآفتتحت أرمينية في أيّامه. فوهب خمسها لمروان فقال: عبدالرحمن الجمحي: «وأعطيت مروان خمس البلاد» وطلب إليه عبدالله بن خالد بن أسيد صلة. فأعطاه أربعمئة ألف درهم. وأعاد الحكم بن أبي العاص بعد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد سيّره، وأعطاه مئة ألف درهم، وتصدّق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بموضع سوق بالمدينة يعرف بمهزور على المسلمين فأقطعه عثمان الحرث بن الحكم أخا مروان، وأقطع فدك مروان،، وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة أبيها. فدفعت عنها، وحمىٰ المراعي حول المدينة كلّها عن مواشي المسلمين إلّا عن بني أُميّة، وأعطى عبدالله بن أبي‌سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح أفريقية بالمغرب، وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين، وأعطى أباسفيان مئتي ألف في اليوم الّذي أمر فيه لمروان بمئة ألف من بيت المال، وقد كان زوّجه ابنته أم أبان. فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح، ووضعها بين يديه وبكى. فقال له عثمان: أتبكي أن وصلت رحمي ـ إلى أن قال ـ

فقال عثمان: ألق المفاتيح يا آبن أرقم فإنّا سنجد غيرك، وأتاه أبوموسى بأموال من العراق جليلة. فقسّمها كلّها في بني أُمية، وأنكح الحرث بن الحكم

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٦٨ و١٦٩، والنقل بتلخيص.

ابنته عائشة، وأعطاه مئة ألف من بيت المال[١].

قلت: لِمَ قال صحّت فيه فراسة عمر؟ فإنّ كون عثمان بتلك الصفة من اركابه بني أُمية رقاب الناس كان أمراً واضحاً يعرفه كلّ ذي شعور من أعماله في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من حمايته أقاربه أعداء الله وأعداء رسوله كمعاوية بن المغيرة بن الحكم، وعبدالله بن سعد بن أبي‌سرح كما عرفت، وكان عليه أن يقول انكشف بتدبره لعثمان سوء سريرته، وخبث نيّته بإرادته اضمحلال الاسلام، واستيصال أهل بيت نبيه، وحديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في بني أبي العاص، ورأسهم عثمان: «إذا بلغوا ثلاثين اتخذوا مال الله دولاً» من أعلام نبوّته، فقد عرفت اتخاذهم ذلك بتمكين عثمان لهم وبيده.

ثم ان بني أبيه كما قاموا معه «يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع» لعبوا بدين الله لعب الصبيان بالكرة كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «اتخذوا دين الله دخلاً»[٢] فمرّ أبوسفيان أيّام عثمان بقبر حمزة وضربه برجله، وقال: «يا أبا عمارة! إنّ الأمر الّذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا اليوم يتلعبون به»[٣].

وفي (مروج المسعودي): وقد كان عمار حين بويع عثمان بلغه قول أبي‌سفيان في دار عثمان عقيب الوقت الذين بويع فيه عثمان ودخل داره ومعه بنوأُمية فقال أبوسفيان: أفيكم أحد من غيركم؟ وقد كان عمي. قالوا: لا. قال: «يا بنى أُمية تلقفوها تلقف الكرة. فوالذي يحلف به أبوسفيان ما زلت

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٦، والنقل بتلخيص.

(٢) أخرج أبو يعلي في مسنده، عنه المطالب العالية ٤: ٢٣٢ ح ٤٥٣١، وغيره عن النبي صلى الله عليه وآله «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين كان دين الله دغلاً ومال الله دولاً وعباد الله خولا».

(٣) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٥١، شرح الكتاب ٣٢.

أرجوها لكم ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة...»[١].

وفي (استيعاب أبي عمر): قال الحسن البصري: دخل أبوسفيان على عثمان حين صارت الخلافة إليه. فقال: قد صارت اليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أُميّة. فإنّما هو الملك، ولا أدري ما جنة ولا نار[٢].

ولعمر الله كان ذلك عقيدة عثمان نفسه أيضاً، يشهد له تقريره له، وتشهد له أعماله، بل وعقيدة من أسّس لعثمان ذلك مع عرفانه له كما قالوا في فراسته، وقد قال الفرزدق في قصيدته في هجو ابن الأشعث، ومدح عبدالملك «لآل أبي العاص تراث مشورة».

وفي (مروج المسعودي): كان من عمّال عثمان على الكوفة الوليد بن عقبة، وهو ممّن أخبر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه من أهل النار، وكان شرب مع ندمائه ومغنّيه من أول الليل إلى الصباح. فلمّا آذنه المؤذّنون بالصلاة خرج منفصلاً في غلائله فتقدّم إلى المحراب في صلاة الصبح. فصلّى بهم أربعاً، وقال: تريدون أن أزيدكم، وقيل: قال في سجوده: «إشرب واسقني» فقال له بعض من كان خلفه في الصفّ الأوّل: ما تريد؟ لا زادك الله مزيد الخير. والله لا أعجب إلّا ممّن بعثك إلينا والياً! وقال الحطيئة:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربّه ... أنّ الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمّت صلاتهم ... أأزيدكم ثملاً وما يدري
ليزيدهم أُخرى ولو قبلوا ... لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك في الصلاة ولو ... خلّوا عنانك لم تزل تجري

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٤٢.

(٢) الاستيعاب ٤: ٨٧.

وأشاعوا بالكوفة فعله، وظهر فسقه ومداومته الخمر. فهجم عليه جماعة من المسجد منهم أبو زينب الأزدي، وأبو جندب الأزدي. فوجدوه سكران مضطجعاً على سريره لا يعقل. فأيقظوه من رقدته فلم يستيقظ. ثم تقيّأ عليهم ما شرب من الخمر. فانتزعوا خاتمه من يده، وخرجوا من فورهم إلى المدينة. فأتوا عثمان. فشهدوا عنده على الوليد أنّه شرب الخمر. فقال عثمان: وما يدريكما أنّه شرب خمراً. قالا: هي الخمر التي كنّا نشربها في الجاهلية، وأخرجا خاتمه فدفعاه إليه. فدفع في صدورهما، وقال: تنحّيا عنّي. فخرجا وأتيا علياً عليه السلام وأخبراه بالقصّة. فأتى عثمان وهو يقول: «دفعت الشهود وأبطلت الحدود» -إلى أن قال-

فلمّا نظر عليّ عليه السلام إلى امتناع الجماعة من إقامة الحدّ عليه توقّياً لغضب عثمان لقرابته منه أخذ عليّ عليه السلام السوط. فأقبل الوليد يروغ منه. فاجتذ به، وضرب به الأرض وعلاه بالسوط. فقال له عثمان: ليس لك أن تفعل به هذا قال: بلى، وشرّ من هذا إذا فسق، ومنع حقّ الله تعالى أن يؤخذ منه[1]. هذا، وكما قال عليه السلام هاهنا في عثمان «وقام معه بنو أُمية يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع قال له لمّا قال عثمان له عليه السلام «لست بدون عتيق وابن الخطاب» «لست كواحد منهما. إنّهما ظلفا أنفسهما وأهلهما عنه، وعمت فيه أنت وقومك عوم السابح في اللُّجّة»[2].

«الى أن انتكث» أي: انتقض.

«فتله» هكذا في (المصرية)، والصواب: «عليه فتله» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[3] ومعنى فتله حبله المفتول.

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٣٥.

(٢) رواه الواقدي في الشورى، عنه شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٧٨، شرح الخطبة ١٣٢. والنقل بتصرف يسير.

(٣) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٦، وشرح ابن ميثم ١: ٢٥٠، مثل المصرية أيضاً.

وفي (الطبري): عن عامر بن سعد كان أوّل من اجترأ على عثمان بالمنطق السيّئ جبلة بن عمرو الساعدي؛ مرّ به عثمان، وهو جالس في ندىّ قومه، وفى يد جبلة جامعة. فلما مرّ عثمان سلّم فردّ القوم. فقال جبلة: لِمَ تردّون على رجل فعل كذا وكذا. ثم أقبل على عثمان، فقال: والله لأطرحنّ هذه الجامعة في عنقك أو لتتركن بطانتك هذه. قال عثمان: أيّ بطانة. فوالله إنّي لأتخيّر الناس. فقال (جبلة): مروان تخيّرته، ومعاوية تخيّرته، وعبدالله بن عامر بن كريز تخيّرته، وعبدالله بن سعد تخيّرته. منهم من نزل القرآن بدمه، وأباح النبيّ ﷺ دمه فانصرف عثمان. فمازال الناس مجترئين عليه[١].

وفي كتاب (أصل موسى بن بكر الواسطي) عن الباقر عليه السلام: إنّ فلاناً وفلاناً ظلمانا حقّنا، وقسّماه بينهم فرضوا بذلك منهما، وإنّ عثمان لمّا منعهم وآستأثر عليهم غضبوا لأنفسهم[٢].

«وأجهز عليه عمله» قال الأصمعي: «أجهزت على الجريح: أسرعت قتله وتمّمت عليه»[٣].

في (الطبري): قال عبدالرحمن بن يسار: لمّا رأى الناس ما صنع عثمان كتب من بالمدينة من أصحاب النبيّ ﷺ إلى من بالآفاق منهم، وكانوا تفرّقوا في الثغور: «إنكم انّما خرجتم أن تجاهدوا في سبيله تعالى تطلبون دين محمّد ﷺ وإن دين محمد قد افسد من خلفكم، وترك فهلمّوا فأقيموا دين محمّد ﷺ. فأقبلوا من كلّ أُفق حتّى قتلوه. وكتب عثمان إلى

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٣٩٩، سنة ٣٥.

(٢) أخرجه موسى بن بكر في اصله، عنه السرائر: ٤٧٢.

(٣) رواه عنه ابن منظور في لسان العرب ٥: ٣٢٥، مادة (جهز).

عبدالله بن سعد بن أبي سرح عامله على مصر ـحين تراجع عنه الناس وزعم انّه تائب ـ بكتاب في الذين شخصوا من مصر، وكانوا أشدّ أهل الأمصار عليه: أما بعد! فانظر فلاناً وفلاناً فاضرب أعناقهم إذا قدموا عليك، وآنظر فلاناً وفلاناً فعاقبهم بكذا وكذا ـمنهم نفر من الصحابة، ومنهم قوم من التابعين ـ، وكان رسوله في ذلك أبو الأعور السلمي، حمله عثمان على جمل له. ثم أمره أن يعجل حتّى يدخل مصر قبل أن يدخلها القوم. فلحقهم أبو الأعور ببعض الطريق. فسألوه أين تريد؟ قال: أُريد مصر. ومعه رجل من أهل الشام من خولان. فلمّارأوه على جمل عثمان قالوا: هل معك كتاب؟ قال: لا. قالوا: ففيم أرسلت؟ قال: لا علم لي قالوا: ليس معك كتاب. ولا علم لك بما أرسلت! إنّ أمرك لمريب. ففتّشوه فوجدوا معه كتاباً في إداوة يابسة. فنظروا في الكتاب فإذا فيه قتل بعضهم وعقوبة بعضهم في أنفسهم وأموالهم. فلمّا رأوا ذلك رجعوا إلى المدينة، فبلغ الناس رجوعهم والذي كان من أمرهم. فتراجعوا من الآفاق كلّها. وثار أهل المدينة، وأرسل المصريون إلى عثمان! ألم نفارقك على أنّك زعمت أنّك تائب من أحداثك، وراجعٌ عمّا كرهنا منك، وأعطيتنا على ذلك عهد الله وميثاقه؟ قال: بلى. أنا على ذلك. قالوا: فما هذا الكتاب الّذي وجدناه مع رسولك، وكتبت به إلى عاملك؟ قال: ما فعلت، ولا علم لي بما تقولون. قالوا: بريدك على جملك، وكتاب كاتبك عليه خاتمك! قال: أما الجمل فمسروق وقد يشبه الخط الخط، وأما الخاتم فانتقش عليه. قالوا: فإنّا لا نعجل عليك، وإن كنّا قد آتّهمناك. إعزل عنّا عمّالك الفسّاق، وآستعمل علينا من لا يتّهم على دمائنا وأموالنا، وآردد علينا مظالمنا. قال عثمان: ما أراني إذن في شيء إن كنت أستعمل من هويتم، وأعزل من كرهتم. الأمر ـإذن ـ أمركم. قالوا: والله

لتفعلنّ أو لتعزلنّ أو لتقتلن. فانظر لنفسك أو دع فأبىٰ عليهم، وقال: لم أكن لأخلع سربالاً سربلنيه الله. فحصروه أربعين ليلة»[١].

قلت: لو كان قال: «لم أكن لأخلع سربالاً سربلينه فاروقكم» كان أصدق.

هذا وفي (الطبري): دخل عليه (أي على عثمان) رجل يقال له: «الموت الأسود» فخنقه ثم خنقه. ثم خرج فقال: والله ما رأيت شيئاً قطّ ألين من حلقه، والله لقد خنقته حتّى رأيت نفسه تتردد في جسده كنفس الجان[٢].

هذا، وفي (المعجم) هدم غمدان في أيّام عثمان. فقيل له: إنّ كهّان اليمن يزعمون أنّ الّذي يهدمه يقتل. فأمر بإعادة بنائه. فقيل له: لو أنفقت عليه خرج الأرض ما أعدته كما كان، فتركه، وقيل: وجد على خشبة لمّا خرّب وهدم مكتوب برصاص مصبوب «إسلم غمدان هادمك مقتول» فهدمه عثمان فقتل[٣].

«وكبت» من الكبوة: أي: ألقته على وجهه.

«به بطنته» أي: كظّته وامتلاؤه من الطعام شديداً.

روى الطبري أنّ محمد بن أبيبكر تسوّر على عثمان من دار عمرو بن حزم، ومعه كنانة بن بشر بن عتاب، وسودان بن حمران، وعمرو بن الحمق. فأخذ بلحية عثمان. وقال: قد أخزاك الله يا نعثل. ثم طعن جنبيه بمشقص في يده، ورفع كنانة مشاقص كانت في يده فوجأ بها في أصل أُذن عثمان. فمضت حتّى دخلت في حلقه. ثم علاه بالسيف حتّى قتله[٤].

وروى في خبر ضرب كنانة جبينه ومقدّم رأسه بعمود حديد فخرّ لجبينه

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٠٠ و٤٠٤، سنة ٣٥، والنقل بتصرف يسير.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤١٥، سنة ٣٥.

(٣) معجم البلدان ٤: ٢١١.

(٤) تاريخ الطبري ٣: ٤٢٣، سنة ٣٥.

فضربه سودان بعدما خرّ لجبينه فقتله[١].

وروى في آخر: وثب عمرو بن الحمق فجلس على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات وقال: فأمّا ثلاث منهن: فإنّي طعنتهن إيّاه لله، وأمّا ستّ: فإنّي طعنتنهن إيّاه لما كان في صدري عليه[٢].

وفي (الطبري): أنّ معاوية بن خديج لمّا أراد قتل محمد بن أبي بكر قال له: إنّما أقتلك بعثمان فقال له: وما أنت وعثمان! إنّ عثمان عمل بالجور، ونبذ حكم القرآن، وقد قال تعالى ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الفاسقون﴾[٣] فنقمنا ذلك عليه فقتلناه، وحسّنت انت له ذلك ونظراؤك فقد برّأنا الله إن شاء الله من ذنبه، وأنت شريكه في إثمه وعظم ذنبه، وجاعلك على مثاله. فغضب معاوية فقدّمه فقتله ثم ألقاه في جيفة حمار ثم أحرقه[٤].

وفي (صفّين نصر بن مزاحم): قام عمّار فقال: امضوا عباد الله إلى قوم يطلبون في ما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله. إنّما قتله الصالحون المنكِرون للعدوان، الآمرون بالإحسان. فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين لِمَ قتلتموه؟ فقلنا: لإحداثه. فقالوا: إنّه ما أحدث شيئاً، وذلك لأنه مكّنهم من الدنيا فهم يأكلونها ويرعونها، ولا يبالون لو انهدّت عليهم الجبال، والله ما أظنّهم يطلبون دمه، إنّهم ليعلمون انّه لظالم، ولكن القوم ذاقوا الدنيا. فاستحبوها واستمرؤها، وعلموا لو أنّ الحق لزمهم؛ لحال بينهم وبين ما يرعون فيه منها، ولم يكن للقوم سابقة في الاسلام يستحقّون بها الطاعة

(١ و ٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٢٣، سنة ٣٥، والنقل بتصرف يسير.

(٣) المائدة: ٤٧.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٧٩، سنة ٣٨.

والولاية، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قُتِلَ إمامُنا مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً. وتلك مكيدة[١].

وفيه أيضاً: قال أبو أمامة الباهلي، وأبوالدرداء لمعاوية: علام تقاتل هذا الرجل؟ قال: على دم عثمان وإيوائه قتلته فقولاله فليقدنا من قتلته. فأنا أوّل من بايعه من أهل الشام. فانطلقوا إلى عليّ عليه السلام. فأخبروه بقول معاوية فقال: هم الذين ترون.فخرج عشرون ألفا أو أكثر مسربلين في الحديد لا يرى منهم إلّا الحدق. فقالوا: كلّنا قتله[٢].

وبالجملة المسلمون كلّهم،الشيعة والسنّة،غير الأموية كانوا متّفقين على فسق عثمان، وإباحة قتله، وإنّما الأُموية حملوا الناس بالسيف على القول بإمامته.

وفي (العقد الفريد) قال عطاء بن سائب: كنت جالساً مع أبي البحتري والحجاج يخطب فقال في خطبته: إنّ مثل عثمان عندالله كمثل عيسى قال الله فيه: ﴿إنّي متوفّيك ورافعك اليّ ومطهّرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتّبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾[٣] فقال أبو البختري كفر وربّ الكعبة[٤].

وكان المسلمون سمّوه نعثلا باسم يهودي شبّهوه به قال محمّد بن أبي سبرة القرشي:

نحن قتلنا نعثلاً بالسيرة	إذ صدّ عن أعلامنا المنيرة
يحكم بالجور على العشيرة	نحن قتلنا قبله المغيرة

(١) وقعة صفين: ٣١٩.

(٢) وقعة صفين: ١٩٠، والنقل بتلخيص.

(٣) آل عمران: ٥٥.

(٤) العقد الفريد ٥: ٢٨٤.

المراد بالمغيرة ابن عمه المتقدم الّذي أهدر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دمه وأجاره عثمان فقتله المسلمون.

وفي أراجيز أهل العراق في صفّين:

كيف نردّ نعثلاً وقد قحل نحن ضربنا رأسه حتّى انجفل
لمّا حكم حكم الطواغيت الأول وجار في الحكم وجار في العمل

وفي (جمل المفيد): كانت عائشة ترفع قميص النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فتقول: هذا قميص النبيّ لم يبلُ وقد أبلىٰ عثمان أحكامه، ولمّا جاء الناعي الى مكّة فنعاه بكى لقتله قوم. فأمرت عائشة مناديا ينادي ما بكاؤكم على نعثل أراد أن يطفئ نور الله فأطفأه، وأراد أن يضيّع سنّة رسول فقتله[١].

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي) -بعد نقل قول الحسين عليه السلام لمروان: «يا ابن طريد الرسول» وبعد نقل قصّة الحكم، وطرد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له وبعد نقل طلب عثمان بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من أبي بكر وعمر ردّه وإبائهما ذلك- قال: فلمّا مات عمر وولي عثمان ردّه في اليوم الّذي ولي فيه، وقرّبه وأدناه، ودفع له مالا عظيما، ورفع منزلته. فقام المسلمون على عثمان، وأنكروا عليه، وهو أوّل ما أنكروا عليه، وقالوا: رددت عدوّالله ورسوله، وخالفت الله ورسوله. فقال: إنّ النبي وعدني بردّه. فامتنع جماعة من الصحابة عن الصلاة خلف عثمان لذلك ثم توفي الحكم في خلافته. فصلّى عليه، ومشى خلفه. فشقّ ذلك على المسلمين وقالوا: ما كفاك ما فعلت حتّى تصلّي على منافق ملعون لعنه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ونفاه! فخلعوه وقتلوه ولهذا السبب قالت عائشة: «اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر»[٢].

---

(١) الجمل: ٢٢٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) تذكرة الخواص: ٢٠٨، والنقل بتقطيع.

وفي (أنساب البلاذري): كان الحكم مؤذياً للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يشتمه ويسمعه، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يمشي ذات يوم وهو خلفه يخلج بأنفه وفمه. فالتفت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فرآه فقال له: كن كذلك. فبقي على ذلك، وأظهر الإسلام يوم فتح مكّة، وٱطّلع يوماً على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في حجر بعض نسائه. فخرج إليه بعنزه وقال: من عذيري من هذه الوزغة لو أدركته لفقأت عينه، ولعنه وما ولد وغرّبه عن المدينة. فلم يزل خارجاً حتّى ٱستخلف عثمان فردّه وولده ومات في خلافته، فضرب على قبره فسطاطاً[(١)].

وفي (الطبري): عن أبي كرب عامل عثمان على بيت ماله: أنّ عثمان دفن بين المغرب والعتمة، ولم يشهد جنازته إلّا مروان وثلاثة من مواليه، وٱبنته الخامسة فناحت ابنته، ورفعت صوتها تندبه، وأخذ الناس الحجارة، وقالوا: نعثل نعثل وكادت ترجم[(٢)].

وفيه عن أبي بشير العابدي قال: نبذ عثمان ثلاثة أيّام لا يدفن. ثم انّ حكيم ابن حزام وجبير بن مطعم كلّما علياً عليه السلام في دفنه، وطلبا إليه أن يأذن لأهله في ذلك. ففعل فلمّا سمع الناس بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة، وخرج به ناس يسير من أهله، وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يقال له: حشّ كوكب كانت اليهود تدفن موتاهم فيه. فلمّا خرج على الناس رجموا سريره، وهمّوا بطرحه. فأرسل إليهم عليّ عليه السلام يعزم عليهم ليكفُّنَّ عنه. فلمّا ظهر معاوية أمر بهدم ذلك الحائط حتّى أفضي به إلى البقيع وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حوله حتّى ٱتّصل بمقابر المسلمين[(٣)].

---

(١) أنساب الأشراف ٥: ٢٧، والنقل بتلخيص.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٣٩، سنة ٣٥.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٤٣٨، سنة ٣٥، والنقل بتصرف يسير.

وفي (الطبري) أيضاً: أرادوا حزّ رأسه فوقعت عليه نائلة وأُم البنين، ولم يغسّل وأرادوا أن يصلّوا عليه في موضع الجنائز فأبت الأنصار، وأقبل عمير ابن ضابئ وعثمان موضوع على باب فنزا عليه. فكسر ضلعاً من أضلاعه، وقال: سجنت ضابئاً حتّى مات في السجن، وقتل معه عبدان له يقال لهما: نجيح ومنجح. فجرّ بأرجلهما فرمى بهما على البلاط. فاكلتهما الكلاب[١].

وفي (استيعاب أبي عمر): لمّا قتل عثمان أُلقي على المزبلة ثلاثة أيام. فلمّا كان من الليل أتاه آثنا عشر رجلاً فيهم حويطب بن عبد العزّى، وحكيم بن حزام وعبدالله بن الزبير فاحتملوه، فلمّا صاروا به إلى المقبرة ليدفنوه ناداهم قوم من بني مازن، والله لئن دفنتموه هنا لنخبرنّ الناس غداً. فاحتملوه وكان على باب، وإن رأسه على الباب ليقول طق طق حتّى صاروا به إلى حشّ كوكب. فاحتفروا له، وكانت عائشة بنت عثمان معها مصباح في جرّة فلمّا أخرجوه ليدفنوه صاحت. فقال لها ابن الزبير: والله لئن لم تسكتي لأضربنّ الّذي فيه عيناك. فسكتت. وفيه: كان حكيم وزوجتاه يدلونه في القبر وغيّبوا قبره[٢].

وفي (بلاغات نساء البغدادي): قال معاوية لأُمّ الخير البارقية: ما تقولين في عثمان؟ قالت: وما عسيت أن أقول فيه. إستخلفه الناس وهم له كارهون، وقتلوه وهم راضون[٣].

وفي (كامل الجزري): قال معاوية لعبدالرحمن بن حسان الّذي كان من أصحاب حجر بن عدى: ما تقول في علي؟ قال: «أشهد أنه كان من الذاكرين

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٤٠ و٤٤١، سنة ٣٥، والنقل بتصرف.

(٢) الاستيعاب ٣: ٨٠ ـ ٨١.

(٣) بلاغات النساء: ٥٨.

الله تعالى كثيراً، ومن الآمرين بالحقّ، والقائمين بالقسط، والعافين عن الناس». قال: فما قولك في عثمان؟ قال: «هو أوّل من فتح أبواب الظلم، وأغلق أبواب الحق» فردّه معاوية إلى زياد فدفنه زيادٌ حيّاً[1].

وفي (عقد ابن عبد ربه): قال الزهري: قلت لسعيد بن المسيب: هل أنت مخبري كيف كان قتل عثمان؟ وما كان شأن الناس وشأنه؟ ولِمَ خذله أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: إنّ عثمان لمّا وَلِيَ كره ولايته نفر من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأنّ عثمان كان يحبّ قومه. فولي الناس اثنتي عشرة سنة، وكان كثيراً ما يولّي بني أُميّة ممّن لم يكن له صحبة من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وكان يجيء من أُمرائه ما يكره أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فكان يستعتب فيهم فلا يعزلهم. فلمّا كان في الحجيج الآخرة استأثر بني عمه فخرجوا وولاّهم، وولّى عبدالله بن أبيسرح مصر، فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه، ويتظلّمون منه ومن قبل ذلك كانت هنات من عثمان إلى عبدالله بن مسعود وأبيذر وعمّار. فكانت هذيل وبنوزهرة في قلوبهم ما فيها لابن مسعود، وكانت بنو غفار، وأحلافها، ومن غضب لأبي ذر في قلوبهم ما فيها، وكانت بنو مخزوم قد حنقت علىٰ عثمان لحال عمار، وجاء أهل مصر يشكون من ابن أبيسرح فكتب إليه عثمان ينهاه. فأبى أن يقبل، وضرب رجلاً ممّن أتى فقتله. فخرج من أهل مصر سبعمئة رجل إلى المدينة. فنزلوا المسجد، وشكوا إلى أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في مواقيت الصلاة ما صنع ابن أبيسرح. فقام طلحة فكلّم عثمان بكلام شديد، وأرسلت إليه عائشة: «قد تقدّم إليك أصحاب النبي، وسألوك عزل هذا الرجل. فأبَيْتَ، فهذا قد قتل رجلاً منهم. فأنصفهم من عاملك» ودخل عليه عليّ عليه السلام

(١) الكامل ٣: ٤٨٦، سنة ٥١.

وكان متكلّم القوم فقال: «إنّما سألوك رجلاً مكان رجل وقد آدّعوا قبله دماً فاعزله عنهم، وآقض بينهم، وإن وجب عليه حقّ فأنصفهم منه». فقال لهم: «اختاروا رجلاً مكانه أولّه عليكم» فأشار الناس عليهم بمحمّد بن أبي‌بكر فقالوا: «استعمله علينا» فكتب عهده، وولاّه، وأخرج معهم عدّة من المهاجرين والأنصار ينظرون في ما بين أهل مصر، وآبن أبي سرح، فخرج محمد بن أبي‌بكر ومن معه، فلمّا كان على مسيرة ثلاثة أيّام من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير يخبط الأرض خبطا كأنّه رجل يطلب أو يطلب. فقال له أصحاب محمد: ما قصّتك، وما شأنك كأنّك هارب أو طالب؟ فقال: أنا غلام عثمان، وجّهني إلى عامل مصر. فقالوا: هذا عامل مصر معنا. قال: ليس هذا أريد، وأخبر محمّد بن أبي‌بكر بأمره. فبعث في طلبه فأتي به. فقال: غلام من أنت؟ فأقبل مرّة يقول غلام عثمان، ومرة يقول: غلام مروان حتّى عرفه رجل منهم أنّه لعثمان. فقال له: إلى من أرسلت؟ قال: إلى عامل مصر. قال: بماذا؟ قال: برسالة قال: معك كتاب؟ قال: لا. ففتّشوه فلم يوجد معه شيء إلاّ إداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحرّكوه ليخرج. فلم يخرج فشقّوا الإداوة. فإذا فيها كتاب من عثمان إلى آبن أبي‌سرح. فجمع محمّد بن أبي‌بكر من كان معه من المهاجرين والأنصار، وغيرهم، ثم فكّ الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه: «إذا جاءك محمّد بن أبي‌بكر وفلان وفلان فاحتل لقتلهم وأبطل كتابهم، وقرّ على عملك حتّى يأتيك رأيي، وآحتبس من جاء يتظلم منك ليأتيك في ذلك رأيي» فلمّا قرأوا الكتاب فزعوا، وعزموا على الرجوع إلى آلمدينة، وختم محمّد بن أبي‌بكر الكتاب بخواتم القوم الذين أرسلوا معه، ودفعوا الكتاب إلى رجل منهم وقدموا المدينة. فجمعوا علياً عليه السلام وطلحه والزبير وسعدا، ومن كان من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثم فكّوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصّة الغلام،

وأقرؤوهم الكتاب. فلم يبق أحد في المدينة إلّا حنق على عثمان وآزداد من كان منهم غاضباً لابن مسعود، وأبي‌ذر وعمار غضباً وحنقاً، وقام أصحاب النبيّ ﷺ فلحقوا منازلهم ما منهم أحد إلّا وهو مغتمّ بما قرأوا في الكتاب، وحاصر الناس عثمان، وأجلب عليه محمّد بن أبي‌بكر بني تيم وغيرهم، وأعانه طلحة على ذلك، وكانت عائشة تحرّضه كثيراً. فلمّا رأى ذلك عليّ عليه السلام بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار، ونفر من أصحاب النبيّ ﷺ كلّهم بدري. ثم دخل علىٰ عثمان، ومعه الكتاب، والغلام والبعير، وقال له عليّ عليه السلام: هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم، قال: والبعير بعيرك؟ قال: نعم قال: والخاتم خاتمك؟ قال نعم، قال: فأنت كتبت الكتاب؟ قال: لا. وحلف «ما كتبت، ولا أمرت، ولا وجّهت الغلام». أما الخط فعرفوا أنّه خطّ مروان، وشكّوا في أمر عثمان، وسألوه أن يدفع إليهم مروان وكان عنده في الدار. فأبى فخرجوا من عنده غضاباً ـ إلى أن قال ـ

فتسوّر محمّد بن أبي‌بكر وصاحباه من دار رجل من الأنصار. فدخلوا عليه، وليس معه إلّا آمرأته نائلة بنت الفراضة، والمصحف في حجره، ولا يعلم أحد ممّن كان معه لأنهم كانوا على البيوت. فتقدّم إليه محمّد بن أبي‌بكر، وأخذ بلحيته فقال له عثمان: أرسل لحيتي يا ابن أخي. فلو رآك أبوك لساءه مكانك فتراخت يده من لحيته، وغمز الرجلين. فوجئاه بمشاقص معهما حتّى قتلاه، وخرجوا هاربين من حيث دخلوا[1].

وفي (العقد) أيضا: قال الأصمعي: كان القُوّاد الذين ساروا إلى المدينة في أمر عثمان أربعة: عبدالرحمن بن عديس البلوي، وحكيم بن جبلة العبدي، والأشتر النخعي، وعبدالله بن بديل الخزاعي. فقدموا المدينة فحاصروه

---

(١) العقد الفريد ٥: ٣٦ ـ ٤٠. والنقل بتلخيص.

وحاصره معهم قوم من المهاجرين والأنصار حتّى دخلوا عليه، فقتلوه والمصحف بين يديه، وهو يقرأ يوم الجمعة صبيحة النحر ـ الخ[١].

قلت: وكون نسخة من المصحف بين يديه أو قراءته منه أي شيء يفيده؟ وقد كان بدّل أحكامه مع أنّه كان دق مصحف ابن مسعود، وولّى الوليد بن عقبة أخاه لأمه الّذي نزل القرآن بفسقه، فشرب وصلّى الصبح بالناس أربعاً، وولّى عبدالله بن أبي سرح أخاه للرضاعة الّذي كان يحرّف القرآن، ونزل فيه: ﴿ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾[٢].

كما أنّ ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان الّذي جعل المصحف هدفاً ورماه بالسهم حتّى مزّقه لمّا كان فتح المصحف، ورأى قوله تعالى: ﴿واستفتحوا وخاب كلّ جبار عنيد﴾[٣] وقال:

أتوعدني بانّك جبّار عنيد فها أنا ذا جبّار عنيد
إذا ما جئت ربّك يوم حشر فقل يا رب مزّقني الوليد

لما حاصروه واحاطوا به لقتله أخذ المصحف أيضاً وقال: أُقتل كما قتل ابن عمّي عثمان.

وفي (العقد): أقبل أهل مصر عليهم عبدالرحمن بن عديس البلوي، وأهل البصرة عليهم حكيم بن جبلة العبدي، وأهل الكوفة عليهم الأشتر في أمر عثمان حتّى قدموا المدينة[٤].

قال ابن أبي الحديد: والذي نقول نحن انها وان كانت أحداثاً إلّا انها لم تبلغ المبلغ الّذي يستباح به دمه، وقد كان الواجب عليهم أن يخلعوه من الخلافة

---

(١) العقد الفريد ٥: ٣٦.
(٢) الأنعام: ٩٣.
(٣) ابراهيم: ١٥.
(٤) العقد الفريد ٥: ٤٢.

حيث لم يستصلحوه لها ولا يعجلوا بقتله[١].

قلت: في كلامه أوّلاً أنّه من كان عمله مثل عمل عثمان من ضرب الناس وقتلهم واخراجهم عن أوطانهم بلاحق، وحمل الظالمين على رقابهم ونهب أموالهم وحقوقهم يقتل قهراً لا سيما عمله الأخير في عامل مصره ابن أبي‌سرح العنيد يكتب تبديله للناس، ويكتب إليه أن يقتل بعضهم، ويحبس بعضهم ويبطل كتابه للعامل بدله ويكون باقياً في محلّه، ولكون مثل ذاك العمل سبباً لقتل صاحبه قهراً قال عليه السلام: «إلى أن آنتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته».

كما أنّ الوليد بن يزيد قتله عمله فإن باقي الأُموية وإن كانوا في غاية الظالمية والجبارية لكن أمرهم كان على نظام بخلاف عثمان والوليد لأنّهما كانا مفسدي الدين والدنيا للبرّ والفاجر.

وصاحبا عثمان الأوّل والثاني إنّما ظلما أهل البيت عليهم السلام دون باقي الناس ومرّ قول الباقر عليه السلام: «إنّ فلاناً وفلاناً ظلمانا حقّنا وقسّماه بين الناس فرضوا بذلك منهما، وإنّ عثمان آستأثر على الناس فغضبوا لأنفسهم»[٢] وكان عمله مع الناس بالاطّراح كلا حتّى مع ابن عوف الّذي ولاّه فهجره. ففي العقد انّه لمّا أنكر الناس على عثمان ما أنكروا من تأمير الأحداث من أهل بيته على الجلّة الأكابر من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله قالوا لابن عوف: «هذا عملك وآختيارك لأُمّة محمّد صلى الله عليه وآله؟! قال: لم أظنّ هذا به. ودخل عليه. فقال له: «إنّما قدّمتك على أن تسير فينا بسيرة أبي‌بكر وعمر وقد خالفتهما» فقال: «عمر كان يقطع قرابته في الله، وأنا أصل قرابتي في الله» فقال: «لله عليّ أن لا

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٧.

(٢) أخرجه موسى بن بكر في أصله، عنه السرائر: ٤٧٢.

أكلّمك أبداً» فمات عبدالرحمن وهو لا يكلّم عثمان[١].

وقول عثمان: «عمر يقطع قرابته في الله وأنا أصلهم في الله» كلام غلط بلا معنى. فقطع القرابة في الحقّ كما فعل عمر مع ابنه الّذي ضربه الحد منكر، وصلتها بغير الحقّ كأفعال عثمان منكر.

وثانياً: هل ابن أبي الحديد أعلم في استباحة دم عثمان أم أمير المؤمنين عليه السلام؟! فلمّا بعث معاوية ـكما في (صفّين نصر بن مزاحم)ـ حبيب الفهري، وشرحبيل بن السمط ومعن السلمي إليه عليه السلام برسالة، وحاجّهم عليه السلام قال له شرحبيل ومعن: «أتشهد أنّ عثمان قتل مظلوماً. فقال لهما: إنّي لا أقول ذلك» قالا: «فمن لم يشهد أنّ عثمان قتل مظلوماً فنحن برئاء منه» ثم قاما فانصرفا. فقال عليّ عليه السلام: ﴿إنّك لا تُسمع الموتى ولا تُسمع الصمَّ الدعاءَ إذا ولّوا مدبرين، وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلّا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾[٢].

ثم من قتلة عثمان عمّار المجمع على جلاله حتّى من مثل شبث بن ربعي، فلمّا قال معاوية لشبث لمّا جاءه برسالة من أميرالمؤمنين عليه السلام: «ألستم تعلمون أنّ قتلة صاحبنا أصحاب صاحبكم فليدفعهم إلينا فنقتلهم ونحن نجيبكم إلى الطاعة» فقال له شبث «أيسرّك بالله يا معاوية أنّك إن أمكنت من عمّار فقتلته».

ومعاوية وان قال لشبث: «والله لو أمكنني صاحبكم من ابن سميّة ما قتلته بعثمان بل بمولى عثمان» إلّا أنّ معاوية لو كان أمكن من قتل نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لكان يقتله، لأنّ أصل ثأره كان عنده من يوم بدر.

---

(١) العقد الفريد ٥: ٣١، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٢) وقعة صفين: ٢٠٢، والآيات ٨٠ و ٨١ من سورة النمل.

وقد عرفت أنّ عماراً يكفّره، وكذلك حذيفة وجلاله مجمع عليه وكذلك زيد بن أرقم، وقد عرفت أنّ عمّاراً تأسّف على عدم نبشه وإحراقه[١].

ولمّا قال سعد الّذي رذالته معلومة لخذلانه الحقّ باعترافه بمقامات أمير المؤمنين عليه السلام لعمار «لقد كنت عندنا من أفاضل أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حتّى لم يبق من عمرك إلّا ظمأ الحمار فعلت وفعلت ـ يعرّض له بقتل عثمان ـ قال له عمّار: أيّ شيء أحبّ اليك مودّة على دخل أو هجر جميل؟! قال: هجر جميل. قال له عمار «لله عليّ ألا أكلّمك» وبالجملة لو كان عثمان محقّاً كان معاوية أيضاً مُحِقّاً وكان أميرالمؤمنين عليه السلام مبطِلاً. فإن التزم إخواننا بذلك. فلا غرو منهم بل لابدّ لمن قال بإمامة عثمان ومن تقدّم عليه ذلك، وكفاهم بذلك خزيا.

وقول عمّار: «ثلاثة يشهدون على عثمان بالكفر وأنا الرابع وأنا شرُّهم»[٢] لابدّ بقوله «ثلاثه هو شرهم» أميرالمؤمنين عليه السلام وأبوذر والمقداد.

فإن أنكروا تبرّي أميرالمؤمنين عليه السلام من شيخيهم فتبرّيه عليه السلام من عثمان شيء لا يمكن إنكاره، كاختلاف معاوية مع أميرالمؤمنين عليه السلام. فما هذا التضاد الّذي التزموهُ من الجمع بين علي وعثمان في الإمامة.

ولما قال نافع بن هلال من أصحاب الحسين عليه السلام يوم الطف «أنا على دين علي» قال له مزاحم بن حريث من أصحاب ابن سعد: «أنا على دين عثمان» فقال له نافع: «أنت على دين شيطان»[٣].

---

(١) تكفير هؤلاء عثمان رواه عن الثقفي والواقدي المجلسي في فتن البحار: ٣١٨، والطوسي في تلخيص الشافي ٤: ١١٣، وتأسّف عمّار رواه عن الثقفي المجلسي في المصدر: ٣١٨.

(٢) رواه الثقفي في تاريخه، عنه فتن البحار: ٣١٨، والعياشي في تفسيره ١: ٣٢٢ ح ١٢٣.

(٣) رواه الطبري في تاريخه ٤: ٣٣١، سنة ٦١.

ثم إذا كان الواجب على الناس خلعه دون قتله كما قال ابن أبي الحديد[1] فلِمَ قال بإمامة من كان واجب الخلع؟!

ولمّا رجع الناس إلى عثمان لمّا وجدوا كتاباً مع غلامه على جمله بقتل محمّد بن أبي بكر ومن معه وقال «أنا ما كتبته خرج غلامي بغير إذني وأخذ جملي بغير علمي» قال الناس له: «ما أنت إلّا صادق أو كاذب فإن: كنت كاذباً فقد آستحققت الخلع لما أمرت به من سفك دمائنا بغير حقّها، وإن كنت صادقاً فقد آستحققت، أن تُخلع لضعفك، وخبث بطانتك، ولا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يقتطع مثل هذا الأمر دونه لضعفه، وغفلته».

وقال أبو القاسم الوزير المغربي في الثلاثة:

من عاجز ضَرِعٍ ومن ذي غلظةٍ جافٍ ومن ذي لوثة خوّارِ

«فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إليّ» هكذا في (المصرية)، والصواب: «فما راعني إلّا والناس اليّ كعرف الضبع» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2] وكذلك باقي من روى الخطبة كما عرفت، وعرف يقال له بالفارسية: «يال».

هذا ونظير كلامه عليه السلام في عثمان إلى هنا في هذه الخطبة كلامه عليه السلام في أُخرى ليست في النهج وهو: «ثم آستخلفوا ثالثاً لم يكن يملك من أمر نفسه شيئاً، غلب عليه أهله. فقادوه إلى أهوائهم كما تقود الوليدة البعير المخطوم. فلم يزل الأمر بينه وبين الناس يبعد تارة، ويقرب أُخرى حتّى نزوا عليه فقتلوه. ثم جاءوني مدبّ الدبأ يريدون بيعتي»[3].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٧.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٧، وشرح ابن ميثم ١: ٢٥٠، مثل المصرية أيضاً.

(٣) روى قريباً منه أبو مخنف في الجمل، عنه شرح ابن أبي الحديد ١: ١٠٢، شرح الخطبة ٢٢، وغيره.

وفي كتاب مروان إلى معاوية في شرح إقبال الناس إلى أمير المؤمنين عليه السلام بعد قتل عثمان: «فسفكوا دمه وانقشعوا عنه انقشاع سحابة قد أفرغت ماءها منكفئين قِبَلَ ابن أبي طالب انكفاء الجراد أبصر المرعى».

ونظير تشبيهه عليه السلام بعرف الحيوان قول شاعر:

خضمّ ترى الأمواج فيه كأنّها إذا التطمت أعراف خيل جوامح

ولعلّ الأصل في التشبيه بالعرف القرآن فقيل في قوله تعالى: ﴿والمرسلات عرفا﴾[1]. انه مستعار من عرف الفرس أي: يتتابعون كعرف الفرس.

ثم إنّ أبا أحمد العسكري قال: «العرف: الشعر الذي يكون على عنق الفرس وقوله عليه السلام كعرف الضبع استعارة»[2]، لكن يمكن أن يقال: حيث إنّ المشاهد للناس عرف الفرس دون الضبع فالإطلاق ينصرف إليه دون أن يكون مختصاً به، حتّى يكون في الضبع استعارة كما قال، كيف ويقولون للضبع «عرفاء» لكثرة شعرها.

هذا، وفي رواية السبط «والناس أرسالاً إليّ كعرف الفرس»[3] والصواب ما هنا بشهادة غيره.

قال ابن ميثم: الفاعل لقوله عليه السلام «فما راعني» إمّا جملة «إلّا والناس إليّ كعرف الضبع» أو ما دلّت عليه من المصدر. أي: إقبال الناس إليّ[4].

قلت: قال ابن هشام: اختلفوا في أنّ الفاعل ونائبه هل يكونان جملة أم لا فالمشهور المنع مطلقا، وأجازه هشام وثعلب مطلقا، وفصّل الفرّاء ونسب إلى

(١) المرسلات: ١.

(٢) العلل ١: ١٥٣، والمعاني: ٣٦٤، والنقل بتصرف يسير.

(٣) التذكرة: ١٢٥.

(٤) شرح ابن ميثم ١: ٢٦٤، والنقل بالمعنى.

سيبويه بأنّه إن كان الفعل قلبياً، ووجد معلّق عن العمل نحو ظهر لي أقام زيد جاز. ومنه «ثم بدا لهم من بعدما رأوا الآيات ليسجننّه حتّى حين»[١] وإلّا فلا واحتجّ الأوّلان بقول الشاعر:

وما راعني إلّا يسير بشرطة | وعهدي به قيناً يفشّ بكير[٢]

وأقول: الصواب اختصاص الجواز بكلمة راعني ومستقبله منفيين بشهادة استعمالاتهما، بل لا يجوز في فاعلهما غير الجملة. فورد كذلك في موضعين آخرين من كلامه عليه السلام. ففي (النهج): «فما راعني إلّا انثيال الناس على فلان يبايعونه»[٣]، وقال الكراجكي: كتب عليه السلام إلى معاوية: «فما راعني إلّا والأنصار قد اجتمعت»[٤].

وورد كذلك في أخبار وأشعار. أما الأخبار فعن (فضائل أحمد بن حنبل): عن أنس قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «لينتهين بنو وليعة أو لأبعثنّ إليهم رجلاً كنفسي يُمضي فيهم أمري، ويقتل المقاتلة، ويسبي الذرّية». قال أبو ذر: فما راعني إلّا برد كفّ عمر من خلفي. فقال: من تراه يعني؟ فقلت: ما يعنيك، وإنّما يعني خاصف النعل علياً عليه السلام[٥].

وفي خبر عبدالرحمن بن جابر عن أبيه في غزوة حنين: «فوالله ما راعنا ونحن منحطّون إلّا الكتائب قد شدّت علينا شدّة رجل واحد»[٦].

---

(١) يوسف: ٣٥.

(٢) قاله في مغني اللبيب: ٥٥٩، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٣) نهج البلاغة ٣: ١١٩، الكتاب ٦٢.

(٤) روى الكراجكي في كنز الفوائد: ٢٠٠ و٢٠١، وعنه المجلسي في فتن البحار: ٥٠٩، و٥١٠، كتابان له عليه السلام الى معاوية لكن ليس فيهما هذه العبارة.

(٥) تذكرة الخواص: ٣٩.

(٦) رواه الطبري في تاريخه ٢: ٣٤٧، سنة ٨.

وفي خبر الأحنف بعد ذكر أنّه آستأمر طلحة والزبير في من يبايع إن قتل عثمان وإشارتهما إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، «فما راعنا إلّا قدوم عائشة وطلحة والزبير قد نزلوا جناب الخريبة»(١).

وفي خبر ابن عباس كما في (نهاية الجزري): «فلم يرعني إلّا رجل أخذ بمنكبي»(٢)، وفي خبر (عقد ابن عبد ربه): «فما راعني إلّا سوابق عبرتي تقنعت منها».

وفي (الطبري) في أحوال المهدي العباسي عن حفص مولى مزينة عن ابيه قال: «كان هشام الكلبي صديقاً لي. فكنّا نتلاقى فنتحدّث ونتناشد. فكنت أراه في حال رثة وفي أخلاق على بغلة هزيل والضرّ فيه بيّن وعلى بغلته، فما راعني إلّا وقد لقيني يوماً على بغلة شقراء من بغال الخلافة، وسرج ولجام من سروج الخلافة»(٣).

وفي (العقد): قال بكر بن حمّاد الباهلي: لمّا انتهى إليّ خبر عنان وأنّها ذكرت لهارون وقيل: إنّها من أشعر الناس؛ خرجت معترضاً لها، فما راعني إلّا الناطفي مولاها قد ضرب على عضدي(٤).

وأمّا الأشعار فمنها ما مرّ «فما راعني» ـ البيت ـ، ومنها قول القطامي في عجوز من محارب لم تقره:

فما راعها إلّا بغام مطيتي ... تريح بمحصور من الصدر لاغب

ومنها قول عمر بن أبي ربيعة في أبيات متعددة، وقول الراجز:

فما راعني إلّا منادٍ برحلة ... وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر

---

(١) حديث الأحنف رواه الطبري في تاريخه ٣: ٥١١، سنة ٣٦، بفرق يسير.

(٢) النهاية ٢: ٢٧٨، مادة (روع).

(٣) تاريخ الطبري ٦: ٣٩٥، سنة ١٦٩.

(٤) العقد الفريد ٧: ٥٤.

فلم يرعها وقد نضّت مجاسدها إلّا سواد وراء البيت يستتر
لم يرعها الا الفتاة وإلّا دمعها في الرداء سحّا سنينا
ما راعني إلّا حياك هابطا على البيوت قوطة العلابطا

«حياك»: اسم راع ومعنى «قوطة العلابط» قطيعة الغنم.

ولا استبعاد في اختصاص كلمات من لغة العرب باحكام، فقد عثرنا على عدّة كلمات كذلك، منها هذه، ومنها «لشدّما» كما مرّ في هذه الخطبة أيضاً، ولم يتفطن لها اللغويون.

ولا وجه لتأويل الجميع بالإرجاع إلى المصدر مع سلاسة المعنى مع بقاء الجملة على حالها.

وأمّا الآية فلا بأس بتأويلهم بجعل الفاعل ضمير المصدر.

«ينثالون عليّ» لم أقف على من ذكر الأصل في «ينثالون» من الشرّاح وإنّما نقله الصدوق في كتابيه المتقدّمين بلفظ: «قد آنثالوا عليّ» ونقل في تفسيره عن شيخه أبي أحمد العسكري قال: إنّ معناه آنصبّوا عليّ وكثروا. يقال: إنثلت ما في كنانتي من السهام إذا صببته[١].

ولازم كلامه كون انثال على آنفعل، ومثله (القاموس) حيث قال في «ثيل»: «إنثال: إنصبّ»[٢] وأمّا (الصحاح) فلم يذكر في «ثيل» إنثال بل قال في «نثل»: «تناثل الناس إليه: أي: إنصبُّوا»[٣]، وكذلك (لسان العرب) لم يذكر في «ثيل» إنثال[٤]، وكذلك (الجمهرة) لم يذكر في «ثيل» إنثال[٥] لكن الصواب ما

---

(١) العلل ١: ١٥١ و١٥٣، والمعاني: ٣٦١ و٣٦٢.

(٢) القاموس المحيط ٣: ٣٤٤، مادة (ثول).

(٣) صحاح اللغة ٥: ١٨٢٥، مادة (نثل).

(٤) لسان العرب ١١: ٩٥، مادة (ثيل).

(٥) جمهرة اللغة ٢: ٥١، و٣: ٢١٩ و٢٧٧.

قاله العسكري و(القاموس) من كون «ينثالون» أو «آنثالوا» من الانثيال[١]، ويشهد له قوله عليه السلام أيضاً: «فاراعني إلّا آنثيال الناس على فلان»[٢].

وأما قول (الصحاح) في «نثل»: «تنائل الناس إليه أي: آنصبّوا» فبلا شاهد وان تبعه (القاموس) أيضاً، واما قول الجزري في (نهايته): «وفي حديث طلحة أنّه كان ينثل درعه إذ جاءه سهم فوقع في نحره: أي: يصبّها عليه»[٣] فبلا شاهد. فمن أين أنّه ليس بمعنى ينزعه؟ فقال قبله: «في الحديث: أيحب أحدكم أن تؤتى مشربته فينتثل ما فيها أي: يُستخرج ويؤخذ، ومنه حديث الشعبي: أما ترى حفرتك تنثل: أي: يُستخرج ترابها. يريد القبر، ومنه حديث صهيب وآنتثل ما في كنانته: أي: استخرج ما فيها من السهام، وفي حديث أبي‌هريرة: ذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنتم تنتثلونها. يعني الأموال، وما فتح عليهم من زهرة الدنيا»[٤].

ففي الكل بمعنى الاستخراج. فكيف صار في هذا بمعنى الصبّ، مع أنّ في (الأساس): «ومن المجاز نثل عليه درعه: مثل نثرها إذا صبّها، ونثلها عنه نزعها كما يقال: خلع عليه الثوب وخلعه عنه»[٥]، وليس في خبره حرف جرّ حتّى يعلم المعنى، مع أن ما ذكره (الأساس) من المجاز لم يعلم صحّة أصله، لعدم كونه من كلام العرب.

ثم إن العسكري وإن أصاب في تفسيره ينثالون كما في النهج، وآنثالوا كما في روايته ورواية الشيخين، ورواية السبط كما مرّ الانصباب، لكن أخطأ

---

(١) هذا قول الفيروزآبادي في القاموس ٣: ٣٤٤، مادة (ثول). وما نقله عن العسكري فهو استنباط الشارح من كلامه، العلل ١: ١٥٣، والمعاني: ٣٦٤.

(٢) نهج البلاغة ٣: ١١٩، الكتاب ٦٢.

(٣ و ٤) النهاية ٥: ١٦، مادة (نثل).

(٥) أساس البلاغة: ٤٤٦، مادة (نثل).

في ما استند إليه من قوله: «يقال: انثلت ما في كنانتي من السهام إذا صببته» فإنّه لا يقال انثلت من الثيل بل انتثل على أفتعل من النثل كما عرفته من حديث صهيب من (النهاية)، وفي (الجمهرة): «نثلت كنانتي نثلا إذا آستخرجت ما فيها من النبل، وكذلك نثلت البئر إذا آستخرجت ترابها»[١].

كما أن معناه أيضاً ليس الصب كما قال؛ بل الاستخراج كما عرفته من (الجمهرة) و(النهاية) وإن وهم (الأساس) أيضاً فقال «نثل كنانته: نثرها»[٢].

ثم يشهد لما قلنا من كون: ينثالون آنفعالاً من الثيل رواية السبط للخطبة، فمرّ أنّه نقل الفقرة «وآنثالوا عليّ انثيالاً»[٣].

«من كل جانب» هكذا في (المصرية)، وهو الصواب لتصديق ابن ميثم الّذي نسخته بخطّ مصنّفه له، ورواية الصدوق له كما مرّ دون ما في ابن أبي الحديد من تبديله بقوله: «من كل وجه»[٤].

«حتّى لقد وطئ الحسنان» قال ابن أبي الحديد: الحسنان الحسن والحسين عليهما السلام، وقال الراوندي: الحسنان إبهاما الرجلين وهذا لا أعرفه[٥].

قلت: نقل التفسير عن غلام ثعلب ففي ابن ميثم: حكى المرتضى أنه روى في قوله عليه السلام «وطيء الحسنان» أنهما آلإبهامان، وأنشد للشنفرى «مهضومة الكشحين خرماء الحسن» روى أنّه عليه السلام كان يومئذ محتبياً،

---

(١) جمهرة اللغة ٢: ٥٠، مادة (ثلن).

(٢) أساس البلاغة: ٤٤٦، مادة (نثل).

(٣) تذكرة الخواص: ١٢٥.

(٤) كذا في شرح ابن ميثم ١: ٢٦٤، والعلل ١: ١٥١، والمعاني: ٣٦١، لكن في شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٧، أيضاً «جانب».

(٥) قاله ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٦٧، وأما الراوندي فنقله في شرحه ١: ١٢٩، بلفظ: «وقيل ...» وهذا حكاية غلام ثعلب.

والاحتباء جمع الركبتين والذيل، فلمّا أجتمعوا لبيعته زاحموه حتّى وطؤوا إبهامه، وشقوا ذيله ولم يعن الحسنين عليهما السلام، وهما رجلان كسائر الناس، ونقل ذلك السروي أيضاً[١].

قلت: لو سلّم تفسير غلام ثعلب، فقال عبيدالله بن أبي الفتح «لو طار طائر في الجو لقال غلام ثعلب حدّثنا ثعلب عن ابن الاعرأبي، ويذكر في معنى ذلك شيئاً، وقال الخواج الجوع، ولم يذكر ذلك في لغة» لما صح إرادة الابهامين فإنّه عليه السلام لو كان أرادهما لقال: «وطئ حسناي» كما قال: «وشقّ عطفاي» وإلّا فقيل: إنّ الحسنين يطلق على بطنين من طيء أيضاً وعلى جبلين قتل بسطام الشيباني عندهما قال شاعر:

ويوم شقيقة الحسنين لاقت ... بنو شيبان آجالاً قصارا

وقوله: «ولم يعن الحسنين عليهما السلام لأنهما رجلان كسائر الناس» غلط فإنّهما عليهما السلام كانا جالسين عنده عليه السلام، ولم يمهلوهما للنهوض فوطؤوهما كما شقوا عطفيه عليه السلام فقال عليه السلام في موضع آخر في وصف هجومهم عليه عليه السلام للبيعة «حتّى ظننت أنّهم قاتليّ أو بعضهم قاتل بعض لديّ»[٢].

«وشقّ عطفاي» قال ابن أبي الحديد: «أي: خدش جانباي لشدّة الاصطكاك منهم والزحام»[٣] قلت: بل المعنى شقّ جانبا لباسي، وهو تعبير عرفي، ولا وجه لإرادة خدش البدن من شقّه.

قال ابن أبي الحديد: «ويروىٰ عطافي. والعطاف: الرداء وهو أشبه

---

(١) رواه الكيندري في شرحه ١: ١٩٣، وابن ميثم في شرحه ١: ٢٦٥، عن المرتضى عن غلام ثعلب ورواه السروي في مناقبه ٣: ٣٩٨، عن غلام ثعلب، والنقل بتلخيص.

(٢) نهج البلاغة ١: ١٠٣، الخطبة ٥٤ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٧ .

بالحال»[١] قلت: هو رواية الصدوق كما مرّ، والمعنى واحدكما عرفت.

ورووا أنّ عبدالله بن خفاف الطائي. قال لمعاوية في وصف إقبال الناس على بيعته عليه السلام بعد قتل عثمان «ثم تهافت الناس على عليٍّ بالبيعة تهافت الفراش حتّى ضلّت النعل وسقط الرداء ووطئ الشيخ»[٢].

ومراده: أن الازدحام في بيعته عليه السلام كان بحيث ضلّت به نعال الناس وسقطت أرديتهم، ووطئت شيوخهم.

«مجتمعين حولي كربيضة الغنم» في (جمهرة ابن دريد): الربيض: الجماعة من الغنم، الضأن والمعز فيه واحد. وهذا ربيض بني فلان أي: جماعة غنمهم[٣].

وقد عبّر عليه السلام عن كيفية بيعة الناس له وابتهاجهم بهابتعبيرات مختلفة منها قوله عليه السلام هنا، ومنها قوله عليه السلام: «فتداكّوا عليّ تداكَّ الإبل الهيم يوم وردها قد أرسلها راعيها، وخلعت مثانيها حتّى ظننت أنهم قاتليَّ أو بعضهم قاتل بعض لديّ»[٤]، ومنها أيضاً: «فأقبلتم إليّ إقبال العوذ المطافيل على أولادها تقولون: البيعة البيعة. قبضت كفّي فبسطتموها، ونازعتكم يدي فجاذبتموها»[٥].

وروى (رسائل الكليني) الأول وزاد: «وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إيّاي أن حمل إليها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل إليها

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٧.

(٢) رواه ابن قتيبة في الامامة والسياسة ١: ٨٥، بلا تصريح باسم عبدالله بن خفاف.

(٣) جمهرة اللغة ١: ٢٦١، مادة (برض).

(٤) نهج البلاغة ١: ١٠٣، الخطبة ٥٤.

(٥) نهج البلاغة ٢: ٢٠، الخطبة ١٣٥.

العليل، وحسرت لها الكعاب»[١].

«فلما نهضت» أي: قمت.

«بالأمر» أي: حكومة الناس.

«نكثت» أي: نقضت بيعتها.

«طائفة» وهم: الناكثون أهل جمل عائشة والزبير وطلحة.

وفي (الإرشاد): لما نزل أميرالمؤمنين عليه السلام في خروجه إلى الجمل بذي قار أخذ البيعة على من حضر ثم قال بعد إكثار الحمد والثناء والصلاة: «قد جرت أمور صبرنا عليها، وفي أعيننا القذى تسليماً لأمر الله تعالى في ما أمتحننا به ورجاء الثواب على ذلك، وكان الصبر عليها أمثل من أن يتفرق المسلمون، وتسفك دماؤهم. نحن أهل بيت النبوّة، وعترة الرسول، وأحقُّ الخلق بسلطان الرسالة ومعدن الكرامة الّتي أبتدأ الله بها هذه الأُمة، وهذا طلحة والزبير ليسا من أهل بيت النبوّة، ولا من ذرية الرسول، حين رأيا أنّ الله قد ردّ علينا حقّنا بعد أعصر، فلم يصبرا حولا واحداً، ولا شهراً كاملاً حتّى وثبا عليّ دأب الماضين قبلهما ليذهبا بحقّي، ويفرّقا جماعة المسلمين عنّي»[٢].

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي): كان أحمد بن حنبل يقول: «والله ما زانت الخلافة علياً عليه السلام ولكن هو زانها» فأوّل من بايعه طلحة، وكان أشلّ فلما نظر إليه عليّ عليه السلام تطيّر منه، وقال: «يدٌ شلّاء. أمر لايتمّ. ما أخلقه أن ينكث بيعته» ـإلى أن قال ـ

فلم يلبثوا إلّا يسيراً حتّى دخل عليه طلحة والزبير فقالا: يا أمير المؤمنين عليه السلام انّ عيالنا كثير ـإلى أن قال ـ

---

(١) كشف المحجة: ١٨١ .

(٢) الإرشاد: ١٣٣ .

فقالا له عليه السلام: إيذن لنا في العمرة. فقال: «والله ما تريدان العمرة، وإنّما تريدان الغدرة والفتنة». فقالا: كلاّ والله. فقال: «قد أذنت لكما فافعلا ما شئتما»(١).

وقال ابن أبي الحديد: وقد كان عليه السلام يتلو وقت مبايعتهم له: ﴿فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه﴾(٢).

وروى (ميزان الذهبي): عن عثمان مؤذّن بني افصى قال: سمعت علياً يقول: «واّلله ما قوتل أهل هذه الآية بعدما نزلت ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون﴾(٣).

وفي (الطبري) عن قتادة: سار عليّ عليه السلام من الزاوية يريد طلحة والزبير وعائشة، وساروا من الفرضه يريدون علياً عليه السلام. فالتقوا عند موضع قصر عبيدالله بن زياد في النصف من جمادى الآخرة سنة (٣٦) يوم الخميس، خرج الزبير على فرس عليه سلاح. فقيل لعليّ عليه السلام هذا الزبير قال: «أما إنه أحرى الرجلين إن ذكّر بالله أن يذكر»، وخرج طلحة فخرج إليهما عليّ عليه السلام فدنا منهما حتّى آختلفت أعناق دوابّهم. فقال لهما عليّ عليه السلام: «لعمري لقد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً إن كنتما أعددتما عندالله عذراً فاتّقيا الله سبحانه، ولا تكونا كالّتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثا، ألم أكن أخا كما في دينكما تحرّمان دمي، واحرّم دماءكما؟ فهل من حدث أحلّ لكما دمي؟» قال طلحة: البيت الناس على عثمان. قال عليّ عليه السلام: ﴿يومئذ يوفّيهم الله دينهم الحق، ويعلمون ان الله

---

(١) تذكرة الخواص: ٥٧ و ٥٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٨، والآية ١٠ من سورة الفتح.

(٣) ميزان الاعتدال ٣: ٦٠، والآية ١٢ من سورة التوبة.

هو الحق المبين﴾ يا طلحة! تطلب بدم عثمان فلعن الله قتلة عثمان. أتذكر يا زبير يوم مررت مع النبيّ صلّى الله عليه وآله في بني غنم فنظر إليّ فضحك، وضحكت إليه. فقلت لا يدع ابن أبي‌طالب زهوه فقال: لك النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم صه انه ليس به زهو، ولتقاتلنّه وأنت له ظالم»؟ فقال: اللهم نعم، ولو ذكرت؛ ما سرت مسيري هذا، والله لا أُقاتلك أبداً. فانصرف عليّ عليه السلام إلى أصحابه فقال: «أما الزبير فقد أعطى الله عهداً أن لا يقاتلكم» ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها: «ما كنت في موطن منذ عقلت إلّا وأنا أعرف فيه أمري غير موطني هذا» قالت: «فما تريد أن تصنع»؟ قال: «أُريد أن أدعهم وأذهب» فقال له ابنه عبدالله: «جمعت بين هذين الغارين حتّى إذا حدّد بعضهم لبعض اردت ان تتركهم وتذهب. أحسست رايات ابن أبي‌طالب وعلمت أنّها تحملها فتية أنجاد» قال: «إنّي قد حلفت أن لا أُقاتله». وأحفظه ما قال له فقال له: «كفّر عن يمينك، وقاتله». فدعا بغلام يقال له مكحول فأعتقه. فقال عبدالرحمن التميمي:

لم أر كاليوم أخا إخوان   أعجب من مكفّر الايمان
بالعتق في معصية الرحمن

وقال رجل من شعرائهم:

يعتق مكحولاً لصون دينه   كفّارة لله عن يمينه
والنكث قد لاح على جبينه[1]

ورواه سبط ابن الجوزي، وقال: «وفي رواية: فقال الزبير لما ذكّره عليّ عليه السلام قول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فما الّذي أصنع، ورجوعي عار عليّ. فقال عليه السلام: «إرجع بالعار ولا ترجع بالعار والنار» فرجع وهو يقول:

نادى عليٌّ بأمر لست أجهله   عار لعمرك في الدنيا وفي الدين

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥١٣، سنة ٣٦، والنقل بتصرف يسير.

فقلت حسبك من لوم أبا حسن ... فبعض هذا الّذي قد قلتَ يكفيني[(١)]

«ومرقت أُخرى» وهم المارقون: أي: الخوارج الّذين أخبر بهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

ففي (كامل المبرد): أن علياً عليه السلام وجّه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بذهبة من اليمن فقسّمها أرباعاً فأعطى رُبعاً للأقرع بن حابس المجاشعي، ورُبعاً لزيد الخيل الطائي، ورُبعاً لعيينة بن حصن الفزاري، وربعا لعلقمة بن علاثة الكلابي. فقام رجل مضطرب الخلق غائر العينين ناتئ الجبهة إليه صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «رأيت قسمة ما أُريد بها وجه الله» فغضب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتّى تورّد خدّاه ثم قال: «يأمنني الله على أهل الأرض ولا تأمنوني» فقام إليه عمر. فقال: ألا أقتله؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّه سيكون من ضئضئي هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، تنظر في النصل فلا ترى شيئاً، وتنظر في الرصاف فلا ترى شيئاً وتتمارى في الفوق ـ الخبر»[(٢)].

وفي (تاريخ بغداد) عن نبيط بن شريط قال: لمّا فرغ عليّ عليه السلام من قتال أهل النهروان. قفل أبو قتادة الأنصاري، ومعه ستّون أو سبعون من الأنصار فبدأ بعائشة ـ إلى أن قال ـ فقالت عائشة ما يمنعني ما بيني وبين عليٍّ أن أقول الحق. سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «تفترق أُمّتي على فرقتين تمرق بينهما فرقه محلّقة رؤوسهم محفون شواربهم. أزرهم إلى أنصاف سوقهم يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقيهم. يقتلهم أحبّهم إليّ وأحبّهم إلى الله تعالى» قال (أبو قتادة): فقلت: يا أُمّ المؤمنين فأنت تعلمين هذا فلِمَ كان الّذي منك؟ قالت: يا أبا قتادة! وكان أمر الله قدراً مقدوراً[(٣)].

---

(١) تذكرة الخواص: ٧٠.

(٢) كامل المبرد ٧: ١١١، والنقل بتصرف يسير.

(٣) تاريخ بغداد ١: ١٥٩.

«وقسط» هكذا في (المصرية)، والصواب: «وفسق» كما في «حد وثم والخطية» وفي رواية (علل الصدوق): «وفسقت أُخرى» ولكن في (إرشاد المفيد): «وقسط» وبالجملة كلامه عليه السلام نقل مختلفاً لكن النهج بلفظ «وفسق»[1].

«آخرون» وهم: القاسطون معاوية وأصحابه.

قال ابن أبي الحديد: قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأميرالمؤمنين عليه السلام: «ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين» من دلائل نبوّته صلى الله عليه وآله وسلم[2].

قلت: وكان عليه أن يزيد على قوله دلائل نبوّته صلى الله عليه وآله وسلم «وشواهد إمامته عليه السلام» فقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿يا أيُّها النبيّ جاهد الكفّار والمنافقين﴾[3] ولم يجاهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم غير الكفار، وإنما جاهد المنافقين وهم أصحاب الجمل، وصفين والنهروان؛ أميرالمؤمنين عليه السلام فدلّت الآية على كونه عليه السلام بمنزلة نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم التزاماً كما دلّت آية: ﴿وأنفسنا﴾[4] على كونه عليه السلام بمنزلة نفسه صلى الله عليه وآله وسلم مطابقة.

وروى أحمد بن حنبل في (فضائله) كما نقل منه سبط ابن الجوزي عن أنس بن مالك قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي يمضي فيهم أمري ويقتل المقاتلة، ويسبي الذرّية -إلى أن قال-

فالتفت إلى عليّ عليه السلام فأخذ بيده، وقال: هذا هو هذا هو.

وروى الترمذي أيضاً كما فيه عن ربعي بن حراش قال: حدّثنا عليّ عليه السلام بالرحبة. فقال: لما كان يوم الحديبية خرج إلينا سهيل بن عمرو في جماعة من

---

(١) كذا في شرح ابن ميثم ١: ٢٦٥، والعلل ١: ١٥١، والإرشاد: ١٥٣، لكن في شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٧، «قسط».

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٧.

(٣) التوبة: ٧٣.

(٤) آل عمران: ٦١.

رؤساء الكفار. فقال: يا محمد! خرج اليك ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقّائنا وليس لهم فقه في الدين، وإنّما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا فارددهم إلينا. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: سنفقّههم في الدين إن لم يكن لهم فقه. ثم قال: يا معاشر قريش! لتنتهنّ أو ليبعثنّ الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين. فقالوا: ومن ذاك. فقال: من آمتحن الله قلبه للايمان وهو خاصف النعل. قال عليّ عليه السلام: وكنت جالساً أخصف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى أيضاً عن أبي سعيد الخدري. قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: يا عليُّ لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك.

وروى أيضاً عن عمران بن الحصين قال: بعث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جيشاً، وآستعمل عليهم علياً عليه السلام. فمشى في السرية. فأصاب جارية من السبي فتعاقد أربعة منهم إذا قدموا على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أخبروه. فلمّا قدموا عليه قام الأوّل فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «ألا ترى إلى عليٍّ فعل كذا وكذا» فأعرض عنه، ثم قام الثاني فقال كذلك فاعرض عنه، وقام الثالث والرابع فقالا كذلك فأعرض عنهما ثم أقبل عليهم، والغضب يعرف في وجهه وقال: «ما تريدون من عليّ؟! ـقالها ثلاثاً ـ عليٌّ منّي وأنا منه، و لا يؤدّي عنّي إلّا عليٌّ».

قال سبط ابن الجوزي، ومعنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ولا يؤدي عنّي إلّا عليّ» أنه بعث أبابكر سنة تسع، وقال له: إن المشركين يحضرون الموسم ويطوفون بالبيت عراة، ولا أحبّ أحجّ حتّى لا يكون ذلك، وأعطاه اربعين آية من صدر سورة براءة ليقرأها على أهل الموسم. فلمّا سار دعا علياً عليه السلام. فقال له: ادرك ابابكر فخذ منه الآيات، وآقرأها على الناس بالموسم، ودفع إليه ناقته العضباء. فأدرك أبابكر بذي الحليفة. فأخذ منه الآيات فرجع أبوبكر إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فقال: هل نزل في شيء؟ فقال: لا، ولكن لا يبلغ عنّي غيري أو

رجل منّي، وفي (فضائل أحمد بن حنبل) قال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إن جبرئيل جاءني. فقال: إبعث علياً.

وروى النسائي في (خصائصه): عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا جلوساً ننتظر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فخرج إلينا وقد انقطع شسع نعله. فرمى بها إلى عليّ عليه السلام فقال: إن منكم رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله. قال أبوبكر: أنا؟ قال: لا. قال عمر: أنا؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل[1].

وروى خبر الناكثين والقاسطين والمارقين قبل الوقوع جمعٌ. ففي (صفّين نصر بن مزاحم): أنّ عمرو بن العاص قال لعمّار: علام تقاتلنا؟ أولسنا نعبد إلّها واحداً، ونصلّي إلى قبلتكم، وندعو دعوتكم، ونقرأ كتابكم، ونؤمن برسولكم؟ قال عمّار: «الحمد لله الّذي أخرجها من فيك إنّها لي، و لأصحابي القبلة، والدين، وعبادة الرحمن والنبي والكتاب من دونك ودون أصحابك. الحمد لله الّذي قرّرك لنا بذلك دونك ودون أصحابك، وجعلك ضالاً مضلاًّ لا تعلم هادٍ أنت أم ضالٌّ، وجعلك أعمى، وسأُخبرك علام قاتلتك عليه أنت وأصحابك. أمرني النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن أُقاتل الناكثين. وقد فعلت، وأمرني أن أُقاتل القاسطين. فأنتم هم، وأمّا المارقون فما أدري أدركهم أم لا. أيُّها الأبتر! ألست تعلم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لعليّ عليه السلام: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه» وأنا مولى الله ورسوله، وعلي بعده، وليس لك مولى. فقال له عمرو بن العاص: لِمَ تشتمني يا أبا اليقظان، ولست أشتمك؟ قال عمّار: «وبِمَ تشتمني؟ أتستطيع أن تقول إنّي عصيت الله ورسوله يوماً قط»[2].

---

(١) هذه الأحاديث رواها السبط في التذكرة: ٣٦ ـ ٤٢، وما نقله عن سنن الترمذي فهو فيه ٥: ٦٣٢ ـ ٦٣٩ ح ٣٧١٢ و٣٧١٥ و٣٧٢٧، وما نقله عن خصائص النسائي فهو فيه: ١٣١.

(٢) وقعة صفين: ٣٣٨.

وروى الكشّي عن محمد بن سليمان قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصاري فنزل ضيعتنا يعلف خيلاً له. فقلنا: قاتلت المشركين. ثم جئت تقاتل المسلمين فقال: إن النبيّ ﷺ أمرني بقتال القاسطين. والمارقين، والناكثين. فقد قاتلت الناكثين، والقاسطين، وإنا نقاتل إن شاء الله بالنهروانات، وما أدري أنّىٰ هي؟[1]

وفي (تاريخ بغداد): كان أبو أيّوب على مقدّمة عليٍّ يوم النهروان ـ الخبر[2].

وروى ابن طلحة الشافعي عن ابن مسعود: أن النبيّ ﷺ أتى منزل أُمّ سلمة. فجاء عليّ عليه السلام فقال النبيّ ﷺ: «يا أُمّ سلمة! هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين بعدي»[3].

هذا والناكثون طلحة والزبير هم القاتلون لعثمان تصدّيا وإغراء، ولما أيس طلحة والزبير من الخلافة، وكانا يرجوانها بقتل عثمان لمّا جعلهما عمر من ستّة الشورى، وأيست عائشة، وكانت ترجوها بقتل عثمان لابن عم أبيها طلحة؛ رموا أميرالمؤمنين عليه السلام بقتله مع كونها مثلهما ممن له أثر عظيم في قتله.

كما أن القاسطين معاوية وعمرو بن العاص وأتباعهما أيضاً، كذلك خذل معاوية عثمان مع استغاثته به، ومطاوعة أهل الشام الّذين قاتل بهم أهل العراق والحجاز جميعاً له ليقتل ويصير قتله سبباً لادّعائه الأمر.

وعمرو كان يحرّض الناس على قتل عثمان تارة يأتي الزبير في ذلك،

(١) اختيار معرفة الرجال: ٣٧ ح ٧٦، والنقل بتلخيص.

(٢) تاريخ بغداد ١: ١٥٤.

(٣) مطالب السؤول: ٢٤.

واخرى طلحة، ويعترض الحاجّ فيخبرهم بما أحدث عثمان لما عزله. فطلّق أُخت عثمان لأُمّه الّتي كانت تحته، وخرج إلى السبع من فلسطين لما حوصر عثمان الحصر الأوّل، فلما أخبر بقتله قال: «أنا أبوعبدالله إذا حككت قرحة نكأتها إن كنت لأُحرّض عليه حتّى الراعي في غنمه على رأس الجبل»(١) أيضاً قاتلوه بدم عثمان.

وأمّا المارقون فأجبروه على التحكيم حتّى أرادوا قتله عليه السلام لو لم يقبل ثم كفّروه به، وقاتلوه عليه. فهل مظلومية في الدنيا أعظم من مظلوميته عليه السلام، وهل ظالمية في العالم فوق ظالمية مخالفيه، وكاذبية في الدهر فوق كاذبية مخاصميه بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى شهادته، وهل باطلية أوضح من باطليتهم.

هذا، وحكم جميع فرق الاسلام بكفر المارقين، واما الناكثون والقاسطون وإن لم يحكموا بكفرهم ظاهراً لكنّهم كافرون باطناً محقّقاً بشهادة القرآن.

روى نصر بن مزاحم في (صفّينه) مسنداً عن الأصبغ قال: جاء رجل إلى عليّ عليه السلام. فقال: هؤلاء القوم الّذين نقاتلهم الدعوة واحدة، والرسول واحد والصلاة واحدة والحج واحد. فبِمَ نسمّيهم؟ قال: تسمّيهم بما سمّاهم الله تعالى به في كتابه. فقال الرجل: ما كلُّ ما في الكتاب أعلمه. فقال عليه السلام: أما سمعت الله قال: ﴿تلك الرسل فضلّنا بعضهم على بعض ـإلى ـولو شاء الله ما اقتتل الّذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البيّنات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر﴾(٢) فلمّا وقع الاختلاف كنّا نحن أولى بالله وبالكتاب، وبالحق وبالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فنحن الّذين آمنوا وهم الّذين كفروا(٣).

---

(١) رواه الواقدي في تاريخه، عنه فتن البحار: ٣٢٠، والنقل بالمعنى.

(٢) البقرة: ٢٥٣.

(٣) وقعة صفين: ٣٢٢.

ومورد السؤال وان كان في القاسطين إلّا أن الجواب يعمُّ الناكثين كما يشمل يوم السقيفة، ويوم الشورى. كيف لا والأصل في مورد الآية يوم السقيفة الّذي هو الأصل لجميع ما بعده.

«كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول» هكذا في (المصرية)، والصواب ما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[1]: «كأنهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول» لأصحّيّة نسختيهما لا سيّما الثاني الّذي نسخته بخط مصنّفه.

مع انّ ما في (المصرية) ليس بصحيح معنىً. فكلام الله لا يقول بل الله تعالى يقول:

﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ هي الآية الثالثة والثمانون من سورة القصص.

وكان الصادق عليه السلام يتلو هذ الآية ويبكي ويقول: «ذهبت الأماني والله عند هذه الآية»[2].

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي) عن جرموز المرادي قال: رأيت علياً عليه السلام يخرج من هذا القصر يعني قصر الكوفة، وعليه إزار إلى أنصاف ساقيه ورداؤه مشمّر قريباً منه، ومعه الدرة يمشي بها في الأسواق، ويقول: «يا قوم! اتّقوا الله» ويأمرهم بحسن البيع ويقول: «أوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم» ويرشد الضالّة ويعين الحمّال على الحمولة، ويقرأ: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾[3] ويقول: هذه الآية نزلت

---

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٧، وشرح ابن ميثم ١: ٢٥٠، مثل المصرية أيضاً.

(٢) أخرجه القمي في تفسيره ٢: ١٤٦.

(٣) القصص: ٨٣.

في الولاة وذوي القدرة من الناس»[١].

وفي (حلية أبي‌نعيم): قال سفيان الثوري: ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في الرياسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب. فإذا نوزع في الرياسة حامى عليها وعادى[٢].

«بلى والله لقد سمعوها ووعوها» أي: دخل في وعاء أُذُنِهم.

«ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهم» في (جمهرة ابن دريد): «الحلاوة بالذوق وبالنظر وبالقلب، إلّا انهم فصّلوا فقالوا حلا الشيء يحلو في فمي وحلي يحلىٰ بعيني حلاوة وهو حلو في كلا المعنين، وقال قوم من أهل اللغة: ليس حلي من حلا في شيء. هذه لغة على حدتها كأنّها مشتقة من الحلي الملبوس لأنه حسن في عينك كحسن الحليّ»[٣] قلت: وعلى ما قال فقول الشاعر: «فلم يحل في العينين بعدك منظر»[٤] فتح اللام من حلى بكسرها لنسبته إلى العين كما في قول آخر «تحلى به العين إذا ما تجهره»[٥]، وان كان مقلوباً، والأصل يحلَىٰ بالعين: أي: فيها.

«وراقهم زبرجها» قال العسكري: أي أعجبهم حسنها. وأصل الزبرج النقش وهو هاهنا زهرة الدنيا وحسنها[٦].

قال الطبري: «ولما أراد المغيرة بن شعبة أن يعيّن رئيساً لحرب الخوارج. قام صعصعة بن صوحان. فقال: «أيّها الأمير! إبعثني إليهم. فأنا والله

(١) تذكرة الخواص: ١١٦، والنقل بتقطيع.

(٢) حلية الأولياء ٧: ٣٩.

(٣) جمهرة اللغة ٢: ١٩٢، مادة (حلو).

(٤) أورده أساس البلاغة: ٩٤، مادة (حلو).

(٥) أورده أساس البلاغة: ٦٧، مادة (جهر).

(٦) العلل ١: ١٥٣، والمعاني: ٣٦٤.

لدمائهم مستحلّ وبحملها مستقل» فقال: «اجلس فإنّما أنت خطيب» فأحفظه ذلك، وإنما قال المغيرة ذلك لأنّه بلغه أن صعصعة يعيب عثمان، ويكثر ذكر عليّ عليه السلام ويفضّله، وقد كان دعاه، وقال له: «إيّاك أن يبلغني عنك أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس، وإيّاك أن يبلغني عنك أنك تظهر من فضل عليٍّ شيئاً علانية فإنّك لست بذاكر من فضل عليٍّ شيئاً أجهله بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد أخذنا بإظهار عيبه للناس. فنحن ندع كثيراً ممّا أمرنا به، ونذكر الشيء الّذي لانجد بدّاً منه ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيّة، فان كنت ذاكراً فضله فاذكره بينك وبين أصحابك وفي منازلكم سرّاً، وأمّا علانية في المسجد، فإن هذا لا يحتمله الخليفة لنا ولا يعذرنا فيه» فكان صعصعة يقول له: «نعم. أفعل» ثم يبلغه أنه عاد إلى ما نهاه عنه[1].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أن رجلاً من همدان يقال له برد، قدم على معاوية فسمع عمروبن العاص يقع في عليّ عليه السلام. فقال له: يا عمرو! إن أشياخنا سمعوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» فحق ذلك أم باطل؟ فقال عمرو «حق. وأنا أُزيدك: ليس أحد من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له مناقب مثل مناقب عليٍّ» ففزع الفتى. فقال عمرو: «إنه أفسدها بأمره في عثمان» -إلى أن قال- فرجع الفتى إلى قومه. فقال: إنّا أتينا قوماً أخذنا الحجّة عليهم من أفواههم «على على الحق فاتّبعوه»[2].

وفي (خلفائه) أيضاً: وذكروا أن عبدالله بن أبي‌محجن الثقفي قدم إلى معاوية فقال له: «إنّي أتيتك من عند العييّ الجبان البخيل ابن أبي طالب» فقال له معاوية: «لله أنت اتدري ما قلت؟ امّا قولك: «إنه العييّ» فوالله لو أن ألسن

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٤٤، سنة ٤٣، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الامامة والسياسة ١: ١٠٩، والنقل بتصرف يسير.

الناس جمعت فجعلت لساناً واحداً لكفاها لسان عليٍّ، وأما قولك: «إنه جبان» فثكلتك أُمك هل رأيت أحداً قط بارزه إلّا قتله؟ وأما قولك: «إنه بخيل» فو الله لو كان له بيتان أحدهما من تبر والآخر من تبن لأنفد تبره قبل تبنه. فقال له: فعلام تقاتله إذن؟ قال: «على دم عثمان، وعلى هذا الخاتم الّذي من جعله في يده جازت طينته، وأطعم عياله، وآدّخر لأهله» فضحك الثقفي. ثم لحق بعليّ عليه السلام، وقال له: «هب لي يا أميرالمؤمنين عليه السلام جرمي لا دنياً أصبت ولا آخرة غنمت. فضحك عليّ عليه السلام[1].

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي) ـ بعد ذكر دعوة معاوية عمرو بن العاص إلى معاونته في حرب أميرالمؤمنين عليه السلام ـ «فكتب إليه عمرو بن العاص: أمّا ما دعوتني إليه من خلع ربقة الاسلام من عنقي والتهوّن معك في الضلالة وإعانتي إيّاك على الباطل، وآختراط السيف في وجه أميرالمؤمنين عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام، وهو أخو رسول الله صلى الله عليه وآله ووليّه ووصيُّه ووارثه وقاضي دينه، ومنجز وعده، وصهره على آبنته سيّدة نساء العالمين، وأبو السبطين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة. ويحك يا معاوية! أما علمت أن أبا الحسن بذل نفسه لله تعالى، وبات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وقال فيه: «من كنت مولاه فعلي مولاه» ـ إلى أن قال ـ

فقال عتبة لمعاوية: لمّا وصل كتاب عمرو إليه: «لا تيأس منه واكتب إليه، ورغّبه في الولاية، وشرّكه معك في سلطانك» ـ إلى أن قال ـ

إن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية ثانية:

معاويُ لا أُعطيك ديني ولم أنل   به منك دنياً فانظرن كيف تصنع؟

إلى أن قال ـ بعد ذكر قبول معاوية ما اقترح:

---

(١) الامامة والسياسة ١: ١١٤، والنقل بتصرف يسير.

وبات عمرو طول ليلته متفكراً فدعا غلاماً له يقال له وردان (وهو الّذي ينسب إليه في مصر سوق وردان) فقال: ما ترى ياوردان. فقال ان مع عليٍّ آخرة ولا دنيا، وإن مع معاوية دنيا ولا آخرة، والّتي مع علي تبقى، والّتي مع معاوية تفنى. فلما أصبح ركب فرسه ومعه ابنه عبدالله وهو يقول له: «لا تذهب إلى معاويه لا تبع آخرتك»[1].

وفي (المروج): لما ندب معاوية رجلين من لخم لقتل العباس بن ربيعة الهاشمي. فقتلهما أميرالمؤمنين عليه السلام لأنه كان لبس لباس العبّاس قال معاوية: «قبّح الله اللجاج ما ركبته قطّ إلّا خذلت» فقال له عمرو بن العاص: «المخذول والله اللخميان لا أنت». فقال له معاوية: «ذلك أخسر لصفقتك». قال: «قد علمت ذلك ولولا مصر لركبت المنجاة منها. فإني أعلم أن عليّ بن أبيطالب على الحق، وأنا على الضدّ» فقال له معاوية: «مصر هي أعمتك ولولا هي، لأُلفِيتَ بصيراً»[2].

وفيه أيضاً: طلب معاوية إلى عمرو بن العاص أن يسوّي صفوف أهل الشام. فقال له عمرو على أنّ لي حكمي إنْ قتل ابن أبيطالب، واستوسقت لك البلاد فقال: أليس حكمك في مصر؟ فقال: وهل مصر تكون عوضاً عن الجنّة، وقتل ابن أبيطالب يكون ثمناً لعذاب النار الّذي لا يفتَّرُ عنهم وهم فيه مبلسون[3].

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي): لما عسكر عليّ عليه السلام بالنخيلة، وبعث الأصبغ بن نباته بكتابه إلى معاوية. قال الأصبغ: فدخلت عليه، وعمرو بن

(١) تذكرة الخواص: ٨٦ و٨٧، والنقل بتقطيع.

(٢) مروج الذهب ٣: ٢٠، والنقل بتلخيص.

(٣) يوجد قريب من المضمون في مروج الذهب ٢: ٣٥٤ و٣٩٠، و٣: ٢٠، لكن لم يوجد بهذا اللفظ.

العاص عن يمينه، وذوالكلاع وحوشب عن يساره، وإلى جانبه أخوه عتبة وابن عامر والوليد بن عقبة، وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد، وشرحبيل بن السمط، وأبو هريرة بين يديه ـإلى أن قال ـ

فقلت: يا أبا هريرة! أنت صاحب رسول الله أُقسم عليك بالله الّذي لا إلٓه إلّا هو هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير خم في حق أميرالمؤمنين عليه السلام: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»؟ فقال: إي والله لقد سمعته يقول ذلك. فقلت: «فإذن أنت يا أبا هريرة واليت عدوّه، وعاديت وليّه» فتنفّس أبو هريرة وقال: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون» فتغيّر وجه معاوية، وقال: يا هذا! كفَّ عن كلامك. فلا تستطيع ان تخدع أهل الشام عن الطلب بدم عثمان[1].

وفي (مروج المسعودي): لام النعمان بن جبلة التنوخي صاحب رايات معاوية معاوية، وقال له: لقد نصحتك على نفسي، وآثرت ملكك على ديني، وتركت لهواك الرشد وأنا أعرفه، وحدت عن الحقّ وأنا أُبصره، وما وفّقت لرشد، حين أُقاتل عن ملكك ابن عمّ رسول الله، وأول مؤمن به ومهاجر معه، ولو أعطيناه ما أعطيناك لكان أرأف بالرعيّة، وأجزل في العطيّة، ولكن قد بذلنا لك الأمر، ولابدّ من إتمامه غيّاً كان أو رشداً، وحاشا أن يكون رشداً، وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها إذ حرمنا أثمار الجنة وأنهارها[2].

وفيه أيضاً: قال الشرقي: إنّ معاوية قال لعمرو بن العاص بعد صفّين: «هل غششتني منذ نصحتني؟ قال، لا قال: بلى والله يوم أشرت علي بمبارزة عليٍّ وأنت تعلم ما هو. قال: «دعاك إلى المبارزة. فكنت من مبارزته على إحدى

---

(١) تذكرة الخواص: ٨٥، والنقل بتصرف يسير.

(٢) مروج الذهب ٢: ٣٨٤.

الحسنين إمّا أن تقتله فتكون قد قتلت قاتل الأقران وتزداد شرفاً إلى شرفك، وإمّا أن يقتلك. فتكون قد آستعجلت مرافقة الشهداء والصالحين، وحسن أُولئك رفيقاً». فقال معاوية: «جوابك هذا أشدّ عليّ من إشارتك». قال: لِمَ؟ قال: «لأنّي إن قتلته كنت من أهل النار، وإن قتلني كنت من أهل النار»[١].

وروى (موفقيات الزبير بن بكار) عن المدائني عن قحذم مولى آل أبي بكرة، وكاتب يوسف بن عمر في خبر هشام مع خالد بن عبدالله القسري عامله على العراق لمّا أراد أن يوقع به لمّا بلغه عنه أشياء في كتابه إليه: «ولقد حشد جدّك يزيد بن أسد مع معاوية يوم صفّين، وعرض دينه، ودمه فيما آصطنع إليه، ولا ولّاه ما اصطنع اليك» ـ الخ[٢].

وفي (الطبري): جاء رجل إلى طلحة والزبير وهما في المسجد بالبصرة فقال: نشدتكما بالله في مسيركما أعَهِدَ إليكما فيه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً؟ فقام طلحة. ولم يجبه فناشد الزبير. فقال: لا، ولكن بلغنا أن عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها[٣].

و(فيه) وفي (المروج): لما بايع أهل البصرة الزبير وطلحة ـ إلى أن قال ـ فقال (الزبير) إنّ هذه لهي الفتنة الّتي كنا نحدّث عنها. فقال له مولاه: اتسمّيها فتنة وتقاتل فيها؟ قال: «ويحك» إنّا نبصر ولا نبصر. فاسترجع المولى ثم خرج في الليل فارّاً إلى عليّ عليه السلام ـ إلى أن قال ـ ولو ظفرا لافتتنا ما خلّى الزبير بين طلحة والأمر، ولا خلّى طلحة بين الزبير والأمر[٤].

وفي (الطبري): أقبل غلام من جهينة (من أصحاب الجمل) على محمّد

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٨٧، والنقل بتصرف يسير.

(٢) رواه الزبير بن بكار في الموفقيات: ٢٩١، والمبرد في الكامل ٨: ٢٨٨.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٤٩١، سنة ٣٦.

(٤) يوجد صدره فقط في تاريخ الطبري ٣: ٩١، سنة ٣٦، ولم يوجد أصلاً في مروج الذهب.

بن طلحة فقال: أُخبرني عن قتلة عثمان. فقال: نعم. دم عثمان ثلاثة أثلاث: ثلث على صاحبة الهودج يعني عائشة، وثلث على صاحب الجمل الأحمر؛ يعني طلحة، وثلث على عليٍّ وضحك الغلام، وقال: ألا أراني على ضلال! ولحق بعليّ عليه السلام، وقال في ذلك شعراً:

سألت آبن طلحة عن هالك ... بجوف المدينة لم يقبر
فقال ثلاثة رهط هم ... أماتوا آبن عفان واستعبر
فثلث على تلك في خدرها ... وثلث على راكب الأحمر
وثلث على آبن أبي طالب ... ونحن بدوية قرقر
فقلت صدقت على الاوّلين ... وأخطات في الثالث الأزهر[1]

ورواه ابن قتيبة وزاد «وبلغ طلحة قول ابنه محمّد فقال له: تزعم أنّي قاتل عثمان كذلك تشهد على أبيك، كن كعبدالله بن الزبير فما أنت بخير منه، ولا أبوك بدون أبيه، كفّ عن قولك، وإلّا فارجع فإنّ نصرتك نصرة رجل واحد، وفسادك فساد عامّة. فقال: ما قلت إلّا حقّاً ولا اعود[2]».

وفي (نقض الاسكافي) عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قال لي مروان: ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم قلت: فما بالكم تسبّونه على المنابر؟! قال: إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلّا بذلك.

وفيه أيضاً عن ابن أبي سيف؛ خطب مروان والحسن عليه السلام جالس فنال من عليّ عليه السلام. فقال الحسن: ويلك يا مروان أهذا الّذي تشتم شرّ الناس؟ قال: لا. ولكنّه خير الناس.

وفيه أيضاً: قال عمر بن عبدالعزيز: كان أبي يخطب. فلا يزال مستمراً

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٨٢، سنة ٣٦.

(٢) الامامة والسياسة ١: ٦٥، والنقل بتصرف يسير.

في خطبته حتّى إذا سار إلى ذكر عليّ عليه السلام وسبّه انقطع لسانه، واصفرّ وجهه، وتغيّرت حاله. فقلت له في ذلك. فقال: أو قد فطنت لذلك؟ انّ هؤلاء لو يعلمون من عليٍّ ما يعلمه أبوك ما تبعنا منهم رجل[1].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): كتب سعد إلى معاوية، وكان (عليّ عليه السلام) أحقّنا كلّنا بالخلافة، ولكن مقادير الله التي صرفتها عنه حيث شاء لعلمه وقدره، وقد علمنا انه أحقّ بها منّا[2].

وفي (المروج): لما حج معاوية طاف بالبيت، ومعه سعد فلمّا فرغ انصرف إلى دار الندوة فأجلسه معه على سريره، ووقع معاوية في عليّ عليه السلام وشرع في سبّه فزحف سعد. ثم قال: أجلستني معك على سريرك. ثم شرعت في سبّ عليٍّ، والله لأن يكون فيّ خصلة واحدة من خصال كانت لعليٍّ أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس -إلى أن قال- والله لأن يكون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لي: ما قال له في غزوة تبوك «ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبي بعدي»، والله لأن يكون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لي ما قال يوم خيبر لعلي: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّه الله ورسوله،ويحبّ الله ورسوله ليس بفرّار يفتح الله على يديه» أحبّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت. ونهض[3].

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي): ذكر أبو حامد الغزالي في كتاب (سر العالمين وكشف ما في الدارين) قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» فقال عمر بن الخطاب «بخ بخ يا أبا الحسن

(١) روى هذه الأحاديث عن الإسكافي ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٢٥٩، شرح الخطبة ١٩٠.

(٢) الامامة والسياسة ١: ١٠٠.

(٣) مروج الذهب ٣: ١٤، والنقل بتصرف يسير.

أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة» ـ وهذا تسليم ورضاء وتحكيم. ثم بعد هذا غلب الهوى حبّاً للرياسة وعقد البنود وخفقان الرايات، وازدحام الخيول في فتح الأمصار، وأمر الخلافة ونهيها. فحملهم على الخلاف، فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون(١).

وفي (سيرة ابن هشام) عن رافع بن أبي‌رافع الطائي قال: كنت امرأً نصرانياً. فلمّا أسلمت خرجت في الغزوة الّتي بعث فيها النبيّ ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل. فقلت: والله لأختارنّ لنفسي. فصحبت أبابكر. فكنت معه في رحله، وكانت عليه عباءة له فدكيّة. فكان إذا نزلنا بسطها وإذا ركبنا لبسها. ثم شكّها عليه بخلال له وذلك الّذي يقول له أهل نجد حين ارتدّوا: «أنحن نبايع ذا العباءة» فلمّا دنونا من المدينة قلت: يا أبابكر! إنّما صحبتك لينفعني الله بك فانصحني وعلّمني قال «آمرك أن توحّد الله ـ إلى أن قال ـ

ولا تتأمّر على رجل من المسلمين أبداً. قلت: يا أبا بكر! أمّا فوالله إنّي لأرجو أن لا أشرك بالله أحداً ـ إلى أن قال ـ

وأمّا الأمارة فإنّي رأيت الناس يا ابابكر لا يشرّفون عند النبيّ ﷺ وعند الناس إلّا بها فلِمَ تنهاني عنها؟ قال: «إنّك إنّما استجهدتني لأجهد لك. إنّ الله تعالى بعث محمّداً ﷺ بهذا الدّين فجاهد عليه حتّى دخل الناس فيه طوعاً وكرهاً. فلمّا دخلوا فيه كانوا عوّاذ الله وجيرانه وفي ذمته. فإياك لا تخفر الله في جيرانه فيتبعك الله خفرته» قال: ففارقته على ذلك. فلمّا قبض النبيّ ﷺ وأمّر أبوبكر قدمت عليه. فقلت له: ألم تك نهيتني عن أن أتأمّر على رجلين؟ قال: بلى. فقلت: فما حملك على أن تلي أمر الناس؟ قال: خشيت

(١) تذكرة الخواص: ٦٢.

على أمّة محمّد الفرقة[١].

قلت: هل الفرقة في الأمّة من ذاك اليوم إلى الأبد إلّا من تأمّره؟! فلو كان ترك من أمّره الله ورسوله يلي؛ لسلّم جميع الأمّة. ومرّ في أول الخطبة شعر الحطيئة ومرّ في هذه القصّة قول أهل نجد «نحن نبايع ذا العباءة» ولو كان ترك من أمّره الله كيف يصل الأمر إلى بني أُميّة الّذي يقول رئيسهم يوم ولّى أوّلهم جهرة «يابني أُميّة تلقفوها تلقف الكرة فوالّذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب، ولا جنّة ولا نار، ولا بعث ولا قيامة» «ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين»[٢].

وروى عاصم بن أبي عامر البجلي عن يحيى بن عروة قال: كان أبي إذا ذكر عليّاً عليه السلام نال منه، وقال لي مرة: «يا بني! والله ما أحجم الناس عنه إلّا طلباً للدنيا لقد بعث إليه أُسامة بن زيد أن ابعث إليّ بعطائي. فوالله إنّك لو كنت في فم أسد لدخلت معك. فكتب إليه: «إنّ هذا المال لمن جاهد عليه، ولكنّ لي مالاً بالمدينة فاصب منه ما شئت» قال يحيى: فكنت أعجب من وصفه إيّاه بما وصفه به ومن عيبه له وانحرافه عنه[٣].

وروى (حلية أبي نعيم) عن أبي المنهال قال: لما أُخرج ابن زياد، وثب مروان بالشام وابن الزبير بمكّة، والّذين يدعون القراء بالبصرة، غمّ أبي غمّاً شديداً فانطلق إلى أبي برزة، وأنشأ يستطعمه الحديث. فكان أوّل شيء تكلّم به أبو برزة أن قال: «إنّي أحتسب عند الله ـ عزّوجلّ ـ أنّي أصبحت ساخطاً على أحياء قريش، وأنكم معشر العرب كنتم على الحال الّذي قد علمتم، وأنّ الله

---

(١) سيرة ابن هشام ٤: ٢٠٠، والنقل بتصرف يسير.

(٢) التوبة: ٤٩.

(٣) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٣٧١.

تعالى قد نعشكم بالإسلام وبمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم خير الأنام حتّى بلغ بكم ما ترون، وأن هذه الدنيا هي التي أفسدت بينكم ـ إلى أن قال ـ فلما لم يدع أحداً قال له أبي: بم تأمر إذن؟ قال: لا أرى خير الناس اليوم إلّا عصابة ملبّدة خماص البطون من أموال الناس خفاف الظهور من دمائهم[١].

قلت: ومراد أبي برزة الاسلمي صاحب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من احتسابه عند الله تعالى بكونه ساخطاً على أحياء قريش تيمها وعديها كأُميّتها لتسبيبهم ذاك الاختلاف وفساد الدين كما أنّ مراده بعصابة هم خير الناس أهل؛ بيت نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى أبو جعفر الإسكافي وابن عقدة الحافظ أنّ علياً عليه السلام خطب في اليوم الثاني من بيعته ـ إلى أن قال في خطبته ـ وإنّي حاملكم على منهج نبيّكم صلى الله عليه وآله وسلم ومنفذ فيكم ما أُمرت به إن استقمتم لي، وبالله المستعان. ألا إنّ موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته كموضعي منه أيّام حياته فامضوا لما تؤمرون به وقفوا عندما تنهون عنه، ولا تعجلوا في أمر حتّى نبيّنه لكم. فإنّ لنا عن كلّ أمر تنكرونه عذراً ـ إلى أن قال ـ

ثم التفت عليه السلام يميناً وشمالاً فقال «ألا لا يقولنّ رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا فاتّخذوا العقار، وفجّروا الأنهار، وركبوا الخيول الفارهة، واتّخذوا الوصائف الرققة فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم إلى حقوقهم الّتي يعلمون. فينقمون ذلك، ويستنكرون، ويقولون حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا. ألا وأيُّما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرى أنّ له الفضل على من سواه لصحبته. فانّ الفضل النيّر غداً عند الله. وثوابه وأجره على الله، وأيُّما

(١) حلية الاولياء ٢: ٣٢.

رجل استجاب لله وللرسول صلى الله عليه وآله وسلم فصدّق ملّتنا، ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده فأنتم عباد الله، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد ـ الحديث.

قال الاسكافي: وكان هذه أوّل ما انكروا من كلامه عليه السلام وأورثهم الضغن عليه وكرهوا عطاءه وقسمه بالسوية(١).

قال ابن أبي الحديد: قرئ كتاب (الاستيعاب) على عبد الوهاب بن سكينة المحدّث وأنا حاضر فلما انتهى القارئ إلى هذا الخبر (يعني إلى خبر شهادة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لدافني أبي ذر بالإيمان) قال: قال استاذي عمر بن عبد الله الدبّاس وكنت أحضر معه سماع الحديث: «لتقل الشيعة بعد هذا ما شاءت فما قال المرتضى والمفيد إلّا بعض ما كان حجر والاشتر (وكانا من دافني أبي ذر) يعتقدانه في عثمان ومن تقدّمه» فأشار الشيخ إليه بالسكوت فسكت(٢).

وفي (منهاج كرامة العلّامة الحلّي): أنّ ذكر الخلفاء في الخطب لم يكن في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ولا في زمن أحد من الصحابة والتابعين، في صدر ولاية العباسيين، وإنّما هو شيء أحدثه المنصور لما وقع بينه وبين العلوية. فقال: والله لأرغمن أنفي وأنوفهم فارفع عليهم بني تيم وعدي.

وفيه: قد رأيت بعض أئمة الحنابلة يقول: إنّي على مذهب الإمامية فقلت: فلم تدرس على مذهب الحنابلة؟ فقال: ليس في مذهبكم البغلات والمشاهرات.

وفيه وكان أكبر مدرّس الشافعية في زماننا حيث توفّي أوصى بأن يتولّى أمره في غسله وتجهيزه بعض المؤمنين، وأن يدفن في مشهد الكاظم عليه السلام(٣).

---

(١) رواه الاسكافي في النقض، عنه شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧١، شرح الخطبة ٩٠. ولم اجد من نقله عن ابن عقدة.

(٢) قاله ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٤٢٤، شرح الكتاب ١٣. والحديث ففي الاستيعاب ١: ٢١٤.

(٣) منهاج الكرامة: ٢٣ و٢٤.

«أما والّذي فلق الحبّة» حبّة الشعير والحنطة.

«وبرأ النسمة» في (النهاية): وكلّ دابة فيها روح فهي نسمة، ومنه حديث عليّ عليه السلام «وبرأ النسمة»: أي: خلق ذات الروح، وكثيراً ما كان عليه السلام يقولها إذا اجتهد في يمينه[1].

«لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألاّ يقارّوا على كظة ظالم» يقال كظّة الشبع: إذا امتلأ حتّى ما يطيق النفس.

«ولا سغب مظلوم» أي: شدّة جوعه قال تعالى: ﴿في يوم ذي مسغبة﴾[2].

روى الثقفي مسنداً عنه عليه السلام قال في خطبة له: «ثم كان من أمر القوم بعد بيعتهم لي ما كان ثم لم أجد إلّا قتالهم أو الكفر بالله»[3].

وروى (الاستيعاب) عن عبد الواحد الدمشقي قال: نادى حوشب الحميري علياً عليه السلام يوم صفّين. فقال: إنصرف عنّا يا أبن أبي طالب. فإنّا ننشدك الله في دمائنا ودمك، ونخلّي بينك وبين عراقك وتخلّي بيننا وبين شامنا، وتحقن دماء المسلمين. فقال عليّ عليه السلام: هيهات يا أبن أُمّ ظليم. والله لو علمت أنَّ المداهنة تسعني في دين الله لفعلت، ولكان أهون عليّ في المؤونة، ولكنّ الله لم يرض من أهل القرآن بالسكوت والإدهان إذا كان الله عزّوجلّ يعصى وهم يطيقون الدفاع والجهاد حتّى يظهر أمر الله[4].

«لألقيت حبلها على غاربها» في (الصحاح): الغارب: ما بين السنام والعنق، ومنه قولهم «حبلك على غاربك»: أي: اذهبي حيث شئت، وأصله أنّ الناقة إذا

---

(١) هذا كلام ابن الأثير في النهاية ٥: ٤٩، مادة (نسم).

(٢) البلد: ١٤.

(٣) رواه عن الثقفي المفيد في أماليه: ١٥٣ ح ٥، المجلس ١٩.

(٤) الاستيعاب ١: ٣٩٥.

رعت وعليها الخطام أُلقي على غاربها: لأنها إذا رأت الخطام لم يهنئها شيء[١].

«ولسقيت آخرها بكأس أوّلها» أي: جعلهم محرومين من فيوضاته ذاك الوقت كما جعلهم محرومين منها أيّام تصدّي الثلاثة فالإمام كالكعبة يجب على الناس التوجّه إليها فلمّا تركوه تركهم.

وسقاية الآخر بكأس الأوّل كناية عن ذلك، وقال المنصور لأبي مسلم لمّا قتله:

إشرب بكأس كنت تسقى بها أمـرّ فـي الحلق مـن العلقم

وفي (خلفاء ابن قتيبة): قال عليّ عليه السلام بعد السقيفة: «والله يا معشر المهاجرين لنحن أحقّ الناس به لأنا أهل البيت، ونحن أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، المضطلع بأمر الرعية، الدافع عنهم الأمور السيّئة، القاسم بينهم بالسوية. والله انّه لفينا فلا تتّبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعداً» فقال بشير بن سعد الأنصاري ـ وهو أوّل من بايع أبا بكر حسداً لابن عمّه سعد بن عبادة ـ لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما أختلف عليك اثنان. فقال عليه السلام «أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته لم أدفنه وأخرج أُنازع الناس سلطانه»[٢].

واخراجه عليه السلام لسيّدة النساء عليها السلام إنّما كان لإتمام الحجّة. ففي (الخلفاء) أيضاً: «وخرج عليّ كرّم الله وجهه يحمل فاطمة على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله! قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به.

---

(١) صحاح اللغة ١: ١٩٣، مادة (غرب).

(٢) الامامة والسياسة ١: ١٢.

فتقول: «ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم»[١].

ولما قال يوم الشورى له عليه السلام ابن عوف أُبايعك على أن تعمل بسنّة أبي بكر وعمر لم يقبل، ورضي بترك الخلافة، وهو أوضح دليل على بطلان خلافة الرجلين، حيث إنّه تواتر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ علياً على الحق والحقّ معه يدور»[٢] فرضي بترك الخلافة حتّى يفهم الناس أنّ سنّتهما باطلة، وخلافتهما غير صحيحة.

كما أنّه عليه السلام دفن سيّدة نساء العالمين سرّاً حتّى يعلموا عدم رضاه منهما. قال ابن قريعة:

يا من يسائل دائماً عن كلّ معضلة سخيفة
لا تكشفنّ مغطّئاً فلربّما كشفت عن جيفة
ولربّ مستور بدا كالطبل من تحت القطيفة
إنّ الجواب لحاضر لكنني أُخفيه خيفة
لولا اعتداء رعية ألقى سياستها الخليفة
وسيوف أعداء بها هاماتنا أبداً نقيفة
لنشرت من أسرار آل محمّد جملاً لطيفة
تغنيك عمّا قد رواه مالك وأبو حنيفة
وأريتكم أنّ الحسين أُصيب من يوم السقيفة
ولأيّ حال لحّدت بالليل فاطمة الشريفة

---

(١) الامامة والسياسة ١: ١٢.

(٢) أخرجه البزار في مسنده، عنه مجمع الزاوئد ٧: ٢٣٦، وابن مردويه في مناقبه، عنه ذيل احقاق الحق ٥: ٦٣١، وغيرهما.

ولما حمت شيخيكم عن وطء حجرتها الشريفة

اوه لبـــنت مـــحمّد مـــاتت بـــغصّتها أسـيفة

وكذلك صرّح ببطلان سنّتهما لمّا بايعه أصحابه ثانية بعد مروق المارقة ففي الطبري، ولمّا خرجت الخوارج من الكوفة أتى علياً عليه السلام أصحابه وشيعته فبايعوه، وقالوا «نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت» فشرط لهم فيه سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي، وكان شهد معه الجمل وصفّين ومعه راية خثعم. فقال عليه السلام له: «بايع على كتاب الله وسنّة رسوله» فقال ربيعة (على سنّة أبي بكر وعمر) فقال له عليّ عليه السلام: «ويلك! لو أنّ أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنّة رسوله لم يكونا على شيءٍ من الحقّ» ونظر إليه، وقال له «أما والله لكأنّي بك، وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت، وكأنّي بك وقد وطأتك الخيل بحوافرها» فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة.

ورواه (خلفاء ابن قتيبة): وزاد قال قبيصة فرأيته يوم النهروان قتيلاً قد وطأت الخيل وجهه، وشدخت رأسه، ومثّلت به. فذكرت قول عليّ عليه السلام وقلت لله درّ أبي الحسن! ما حرّك شفتيه قطّ بشيء إلاّ كان كذلك[1].

ولمّا أكرهوه على جعل أبي موسى حكماً، وعلم انّه يخلعه لم يعبأ عليه السلام بذلك. فلمّا قال الأحنف له: «لا أرانا إلاّ بعثنا رجلاً لا ينكر خلعك» قال عليه السلام له: يا أحنف إنّ الله غالب على أمره[2].

وبالجملة: لولا قيام الحجّة بحضور جمع معدود لنصرته عليه السلام لسقى آخرهم من مرّ كأس ولاية الظالمين عليهم، وحرمهم من ذوق حلاوة

---

(١) رواه ابن قتيبة في الامامة والسياسة ١: ١٤٦، وبعضه الطبري في تاريخه ٤: ٤٦، سنة ٣٧، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٢) رواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ٥٣٧.

قيامه عليه السلام عليهم كما حرم أوّليهم الّذين كانوا في أيّام الثلاثة.

وعن (عيون أخبار بني هاشم الطبري) الّذي صنّفه للوزير علي بن عيسى بن جراح، وفي (أمالي محمّد بن محمّد بن النعمان): أنّ معاوية قال لابن عباس: إنكم تريدون أن تحرزوا الإمامة كما آختصصتم بالنبوّة، والله لا تجتمعان أبداً إنّ حجّتكم في الخلافة مشتبهة، إنكم تقولون نحن أهل بيت النبيّ فما بال خلافته في غيرنا، وهذه شبهة. إنّ الخلافة تتقلّب في أحياء قريش برضى العامة، وشورى الخاصّة، ولسنا نجد الناس يقولون: ليت بني هاشم وُلّونا، ولو وُلّونا كان خيراً لنا والله لو ملكتمونا يا بني هاشم لما كانت ريح عاد، وصاعقة ثمود بأهلك للناس منكم».

فقال له ابن عباس: «أمّا قولك إنّا نحتجّ بالنبوّة في آستحقاق الخلافة. فهو والله كذلك. فإن لم تستحقّ الخلافة بالنبوّة فبم تستحق» وأما قولك: «إنّ الخلافة والنبوّة لا تجتمعان» فأين قوله تعالىٰ ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾[1] فالكتاب هو النبوّة والحكمة هي السنّة، والملك هو الخلافة. فنحن آل إبراهيم، والملك جارٍ فينا إلى يوم القيامة، وأما دعواك على حجّتنا انّها مشتبهة فليس كذلك، وحجّتنا أضوأ من الشمس، وأنور من القمر كتاب الله معنا، وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم فينا، وانّك لتعلم ذلك، ولكن شيء عطفك. قتلنا أخاك وجدّك وخالك وعمّك، فلا تبكِ على أعظم حائلة، وأرواح في النار هالكة، وأما قولك «إنّا لو ملكنا كان ملكنا أهلك للناس من ريح عاد، وصاعقة ثمود. فقول الله تعالىٰ ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾[2] يكذّبك. فنحن أهل بيته

(١) النساء: ٥٤.

(٢) الأنبياء: ١٠٧.

الأدنون، ورحمة الله بنا لخلقه كرحمته بنبيّه لخلقه، وأما ترك تقديم الناس لنا في ما خلا، وعدولهم عن الإجماع علينا. فما حرموا منّا أعظم مما حرمنا منهم - الخبر[(١)].

وأقول: ابن عباس اتّقى معاوية وإلاّ لكان يقول أمّا قولك «نحن أهلك من ريح عاد، وصاعقة ثمود» فنحن كذلك على أمثالك من المنافقين، وأما على المؤمنين فأرأف، وأعطف من الأب والأُم على الولد كما قال تعالىٰ ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾[(٢)].

وفي (أُسد الغابة): قال المدائني: لمّا دخل عليّ عليه السلام الكوفة دخل عليه رجل من حكماء العرب فقال له «والله لقد زنت الخلافة، وما زانتك، ورفعتها، وما رفعتك، وهي كانت أحوج إليك منك إليها»[(٣)].

وروى (أُسد الغابة) أيضاً عنه عليه السلام قال: قال لي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أنت بمنزلة الكعبة تؤتىٰ ولا تأتي. فإن أتاك هؤلاء القوم فسلّموها إليك (يعني الخلافة) فاقبل منهم، وان لم يأتوك فلا تأتهم حتّى يأتوك[(٤)].

وفي خطبته عليه السلام الطالوتيه الّتي رواها محمّد بن يعقوب الكليني في (روضته) مسنداً، عن ابن التيّهان قال عليه السلام «أيّها الأُمّة الّتي خدعت فانخدعت، وعرفت خديعة من خدعها. فأصرّت على ما عرفت، فاتّبعت أهواءها، وضربت في عشواء غوايتها، وقد استبان لها الحقّ فصدّت عنه، والطريق الواضح فتنكّبته. أما والّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، لو اقتبستم العلم من معدنه،

(١) رواه الطبري في عيون أخبار بني هاشم، عنه الملاحم والفتن: ١١٦، والمفيد في أماليه: ١٤ ح ٤، المجلس ٢، والزبير بن بكار في الموفقيات، عنه كشف الغمة ٢: ٥٠، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٢) الفتح: ٢٩.

(٣) أُسد الغابة ٤: ٣٢.

(٤) أُسد الغابة ٤: ٣١.

وشربتم الماء بعذوبته، وآدّخرتم الخير من موضعه، وأخذتم الطريق من واضحه، وسلكتم من الحقّ نهجه لتنهجت بكم السبل، وبدت لكم الأعلام، وأضاء لكم الإسلام. فأكلتم رغداً وما عال فيكم عائل، ولا ظلم منكم مسلم ولا معاهد، ولكن سلكتم سبيل الظلام فأظلمت عليكم دنياكم برحبها، وسدّت عليكم أبواب العلم. فقلتم بأهوائكم، وآختلفتم في دينكم، فأفتيتم في دين الله بغير علم، واتّبعتم الغواة. فأغوتكم، وتركتم الأئمة فتركوكم ـ إلى أن قال ـ.

رويداً. عمّا قليل تحصدون جميع ما زرعتم، وتجدون وخيم ما اجترمتم وما اجتلبتم. والّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة لقد علمتم أنّي صاحبكم، والّذي به امرتم، وإنّي عالمكم، والّذي بعلمه نجاتكم، ووصيّ نبيّكم وخيرة ربّكم، ولسان نوركم، والعالم بما يصلحكم. فعن قليل رويداً ينزل بكم ما وعدتم، وما نزل بالأُمم قبلكم وسيسألكم الله عزّوجلّ عن أئمّتكم معهم تحشرون، وإلى الله عزّوجلّ غداً تصيرون أما والله لو كان لي عدّة أصحاب طالوت أو عدّة أهل بدر وهم أعداؤكم لضربتكم بالسيف حتّى تؤولوا إلى الحقّ، وتنيبوا للصدق. فكان أرتق للفتق وآخذ بالرفق. اللهمّ فأحكم بيننا بالحقّ وأنت خير الحاكمين.

قال ثم خرج عليه‌السلام من المسجد فمرّ بصيرة فيها نحو من ثلاثين شاة فقال «والله لو أنّ لي رجالاً ينصحون لله عزّوجلّ ولرسوله بعدد هذه الشياه لأزلت ابن آكلة الذبان عن ملكه»[١].

«ولألفيتم» أي: وجدتم.

«دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز» قال ابن أبي الحديد: أكثر ما يستعمل العفطة في النعجة. فأمّا العنز. فالمستعمل الأشهر فيها النفطة بالنون

(١) الكافي ٨: ٣٢ ح ٥.

ويقولون «ماله عافط ولا نافط» أي: نعجة ولا عنز[١].

قلت: إنّما قال ابن أبي الحديد ما قاله لأنّ (الصحاح) لم يذكر العفطة إلّا للضأن، ومثله (القاموس)[٢] لكنّهما وهما، والصواب كون العفطة للمعز، والنفطة للضأن عكس ما قاله ابن أبي الحديد ففي (جمهرة ابن دريد): «العافطة العنزة والنافطة الضأنة و من أمثالهم: أهون عليّ من عفطة عنز»[٣] وبه قال العسكري والزمخشري أيضاً[٤] ومن أمثالهم: «لأنت أهون عليّ من عفطة عتود»[٥] وعتود ولد المعز إذا رعى.

ثم كلامهم «ماله عافطة ولا نافطة» لا «عافط ونافط» كما قال ابن أبي الحديد[٦] وإنّما العافط الراعي.

قال ابن أبي الحديد: العفطة ما تنثره من الأنف، ويجوز أن يراد بالعفطة هنا الحبقة أي الضرطة لكنّ الأليق بكلامه عليه السلام التفسير الأوّل. فإن جلالته تقتضي أن يكون أراد ذاك. فإنّ صحّ أنّه لا يُقال في العطسة عفطة إلّا للنعجة قلنا إنّه عليه السلام استعمله في العنز مجازاً[٧].

قلت: قد عرفت عدم صحّة قوله أخيراً «فإن صح» ـ الخ ـ بما مرّ ونزيد أنّ في (اللسان) قال غير الأصمعي من الأعراب العافطة الماعزة إذا عطست[٨].

وأما قوله أوّلاً «ويجوز أن يراد بالعفطة هنا الحبقة» فأخذه من

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٨.

(٢) القاموس المحيط ٢: ٣٧٤، مادة (عفط)، وصحاح اللغة ٣: ١١٤٣، مادة (عفط).

(٣) جمهرة اللغة ٣: ١٠٤، مادة (عفط).

(٤) العلل ١: ١٥٣، والمعاني: ٣٦٤، واساس البلاغة: ٣٠٧، مادة عفط.

(٥) أورده الزمخشري في الأساس: ٣٠٧، مادة (عفط).

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٨.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٨، والنقل بالمعنى.

(٨) لسان العرب ٧: ٣٥٣، مادة (عفط).

(الصحاح)، أيضاً فقال: «العفط والعفيط نثير الضأن تنثر بأنوفها كما ينثر الحمار، وعفطت العنز تعفط عفطاً حبقت»[١] لكنّه كما ترى نسب العفط بمعنى الحبق إلى العنز وظاهره أنّ عفط العنز حبقها لا غير، وهو حيث يرى كلام (الصحاح) كالوحي المنزل لِمَ غيّر وقال ما قال.

مع أنّ المفهوم من العسكري نقل كلامه عليه السلام بلفظ «من حبقة عنز» بدل «من عفطة عنز» وقال في تفسيره: الحبقة: ما يخرج من دبر العنز من الريح، والعفطة ما يخرج من أنفها[٢].

وقول ابن أبي الحديد: جلاله عليه السلام يقتضي أن يكون أراد المعنى الأوّل[٣] خطأ فإنّ المثل كلّما كان أشدّ انطباقاً للممثل له كان أمثل، ولاجلال فوق جلاله تعالى وقد قال: ﴿إنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها﴾[٤] قال تعالى ذلك لأنّ بعض الجهّال أنكر ضربه تعالى لبعض الأمثال، وحيث إنّ غرضه عليه السلام كون الدنيا عنده في شدّة الهون، فالحبقة أقرب إلى الغرض من العفطة إذا كان معناها غير معناها. فقال عليه السلام في موضع آخر في بيان شدّة نفرته من الدنيا «دنياكم عندي أهون من عرق خنزير في يد مجذوم»[٥].

ورأى عارف من يسير في موكب جليل فسأل من هو فقالوا: هو يُضحك الملك بحبقاته. فقال: ما اشترى أحد الدنيا بثمنها إلّا هذا.

هذا، وقال ابن جرموز لما قتل الزبير:

فسيّان عندي قتل الزبير ... وضرطة عنز بذي الجحفة

---

(١) صحاح اللغة ٣: ١١٤٣، مادة (عفط)، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الملل ١: ١٥٣، والمعاني: ٣٦٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٨.

(٤) البقرة: ٢٦.

(٥) رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ٤: ٥٢، الحكمة ٢٣٦، والنقل بتصرف يسير.

وفي (العقد الفريد): فرّ عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث من الأزارقة، وكان في عشرة آلاف، وكان المهلّب بعث إليه «خندق على نفسك يا ابن أخي فإنّي عالم بأمر الخوارج» فبعث إليه «أنا أعلم بهم منك، وهم أهون عليّ من ضرطة الجمل» فبيّته قطري صاحب الأزارقة. فقتل من أصحابه خمسمئة، وفرّ هو لا يلوي على أحد. فقيل فيه:

تركت ولدانـنا تدمى نحورهم   وجئت منهزماً يا ضرطة الجمل[1]

هذا وفي (احتجاج الطبرسي): روى إسحاق بن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب بالكوفة خطبة فقال في آخر كلامه «ألا وإنّي لأولى الناس بالناس، وما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » ـ فقام إليه الأشعث بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين لم تخطبنا خطبة منذ قدمت العراق إلاّ وقلت «والله إنّي لأولى الناس بالناس فما زلت مظلوماً مذ قبض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم » ولمّا ولي تيم وعدي إلا ضربت بسيفك دون ظلامتك فقال عليه السلام: «يا ابن الخمّارة قد قلت فاسمع مني، والله ما منعني من ذلك إلاّ عهد أخي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرني وقال لي: «يا أبا الحسن! إنّ الأُمّة ستغدر بك وتنقض عهدي، وإنّك منّي بمنزلة هارون من موسى» فقلت: يا رسول الله فما تعهد إليّ إذا كان ذلك كذلك؟ فقال: «إن وجدت أعواناً فبادر إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فكفّ يدك، واحقن دمك حتّى تلحق بي مظلوماً» فلمّا توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إشتغلت بدفنه والفراغ من شأنه، ثم آليت يميناً أنّي لا أرتدي إلاّ للصلاة حتّى أجمع القرآن. ففعلت ثم أخذته وجئت به فاعترضته عليهم. قالوا لا حاجة لنا به، ثم أخذت بيد فاطمة، وابنيّ الحسن والحسين. ثم درت على أهل بدر، وأهل السابقة، فأنشدتهم حقّي، ودعوتهم إلى نصرتي. فما

---

(١) العقد الفريد ١: ١٠٠، والنقل بتصرف يسير.

أجابني منهم إلّا أربعة رهط: سلمان وعمّار والمقداد وأبو ذر، وذهب من كنت أعتضد بهم على دين الله من أهل بيتي، وبقيت بين خفيرين قريبي العهد بجاهلية عقيل والعباس».

فقال له الأشعث: كذلك كان عثمان لمّا لم يجد أعواناً كفّ يده حتّى قتل. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «يا ابن الخمّارة ليس كما قست. إنّ عثمان جلس في غير مجلسه، وارتدى بغير ردائه، صارع الحقّ فصرعه الحقّ، والّذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم بالحق لو وجدت يوم بويع أخو تيم أربعين رهطاً لجاهدتهم في الله إلى أن أبلي عذري. ثم قال عليه السلام: أيّها الناس! إنّ الأشعث لا يزن عند الله جناح بعوضة، وإنّه أقلّ في دين الله من عفطة عنز[1].

«قالوا: وقام اليه رجل من أهل السواد» أي: أهل القرى، والمراد قرى الكوفة لكونه عليه السلام بها.

وعن الأصمعي: سواد الكوفة كسكر إلى الزاب، وحلوان إلى القادسية، وسواد البصرة دستميسان والأهواز وفارس[2].

«عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته» أي: قوله عليه السلام «ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز».

«فناوله» أي: أعطاه.

«كتاباً، فأقبل ينظر فيه» يرى ما كتب.

قال ابن ميثم: قال أبو الحسن الكيذري: وجدت في الكتب القديمة أنّ الكتاب الّذي دفعه الرجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام كان فيه عدّة مسائل: أحدها: «ما الحيوان الّذي خرج من بطن حيوان آخر وليس بينهما نسب؟» فأجاب عليه السلام

(١) الاحتجاج ١: ١٩٠.

(٢) نقله عنه الحموي في معجم البلدان ٣: ٢٧٣.

بأنّه يونس بن متّى عليه السلام خرج من بطن الحوت.

الثانية: «ما الشيء الّذي قليله مباح وكثيره حرام؟» فقال عليه السلام: «هو نهر طالوت لقوله تعالى: ﴿إلّا من اغترف غرفة بيده﴾[1].

الثالثة: «ما العبادة الّتي لو فعلها أحد استحق العقوبة، وإن لم يفعلها استحق ايضاً العقوبة؟» فأجاب عليه السلام بأنّها صلاة السكارىٰ.

الرابعة: «ما الطائر الّذي لا فرخ له ولا فرع ولا أصل؟» فقال عليه السلام: «هو طائر عيسى عليه السلام في قوله: ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني﴾[2].

الخامسة: «رجل عليه من الدين ألف درهم، وله في كيسه ألف درهم فضمنه ضامن بألف درهم فحال عليه الحول فالزكاة على أيّ المالين تجب؟» فقال: «إن ضمن الضامن بإجازة من عليه الدين فلا يكون عليه، وإن ضمنه من غير إذنه، فالزكاة مفروضة في ماله».

السادسة: «حجّ جماعة ونزلوا في دار من دور مكّة، وأغلق واحد منهم باب الدار، وفيها حمام فمتن من العطش قبل عودهم إلى الدار، فالجزاء على أيّهم يجب؟». فقال عليه السلام: «على الّذي أغلق الباب، ولم يخرجهن ولم يضع لهن ماء».

السابعة: «شهد شهداء أربعة على محصن بالزنا فأمرهم الإمام برجمه فرجمه واحد منهم دون الثلاثة الباقين ووافقه قوم أجانب في الرجم. فرجع من رجمه عن شهادته، والمرجوم لم يمت ثم مات فرجع الآخرون عن شهادتهم عليه بعد موته. فعلى من يجب ديته؟». فقال: «يجب على من رجمه

(١) البقرة: ٢٤٩.

(٢) المائدة: ١١٠.

من الشهود، ومن وافقه».

الثامنة: «شهد شاهدان من اليهود على يهودي أنّه أسلم فهل تقبل شهادتهما أم لا؟». فقال: «لا تقبل شهادتهما لأنّهما يجوّزان تغيير كلام الله وشهادة الزور».

التاسعة: «شهد شاهدان من النصارى على نصرانيّ أو مجوسيّ أو يهوديّ أنّه أسلم» فقال: «تقبل شهادتهما لقوله سبحانه: ﴿ولتجدنّ أقربهم مودّة للّذين آمنوا الّذين قالوا إنّا نصارىٰ﴾[1] ـ الآية ومن لا يستكبر عن عبادته لا يشهد شهادة الزور».

العاشرة: «قطع إنسان يد آخر فحضر أربعة شهود عند الإمام، وشهدوا على من قطع يده أنّه زنا وهو محصن فأراد الإمام أن يرجمه. فمات قبل الرجم». فقال عليه السلام: «على من قطع يده دية يده حسب، ولو شهدوا أنّه سرق نصاباً لم يجب ديّة يده على قاطعها»[2].

قلت: الخامسة لا تخلو من تصحيف كما لا يخفى، كما أنّ قوله في السابعة «ثم مات فرجع الآخرون...» محمول على أنّ الشاهد، والأجانب لم يقلعوا عن الرجم بعد رجوع الشاهد مع سقوط الرجم حينئذٍ فيكونوا قاتليه، ولو كان مات، من أثر رميهم قبل الرجوع. فالديّة على الشهود كما لا يخفى.

«قال له ابن عباس رضي الله عنهما» هكذا في (المصرية)، وفيه سقط وتحريف والأصل ما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[3]: «فلمّا فرغ من قراءته قال له ابن عباس رحمه الله».

---

(١) المائدة ٨٢.

(٢) رواه ابن ميثم في شرحه ١: ٢٦٩، والكيندري في شرحه ١: ١٩٨.

(٣) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٨، وشرح ابن ميثم ١: ٢٥١، مثل المصرية أيضاً.

«يا أمير المؤمنين لو اطّردت» أي: تتابعت من «اطّرد الشيء» تبع بعضه بعضاً.

«خطبتك » هكذا في (المصرية)، والصواب: «مقالتك» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[1].

«من حيث أفضيت» أي: أصحرت وخرجت إلى الفضا.

«فقال: هيهات يا ابن عباس» أي: اطراد مقالتي مشكل وبعيد من حيث التقيّة من أصحابه الّذين كان أكثرهم غير بصيرين.

«تلك» المقالة.

«شقشقة» في (جمهرة ابن دريد)، الشقشقة: التي يخرجها البعير من فيه إذا هاج، وهي شبيهة بالجلدة الرقيقة، تحدث عند نفخ البعير إذا هاج يكون في العراب ولا يكون في البخت، ولا يعرف موضعها منه في غير تلك الحال قال الراجز الأغلب العجلي:

وهـو إذا جـرجـر بـعد الهبّ   جرجر في شقشقة كـالحبّ[2]

وفي (النهاية) بعد نقل مثله عن الهروي: «ومنه حديث عليّ عليه السلام في خطبة له «تلك شقشقة هدرت ثم قرّت» ويروىٰ له شعر فيه:

لسـاناً كشـقشقة الأرحـبي   أو كالحسام اليماني الذكـر[3]

«هدرت» أي: غلت.

«ثم قرّت» أي: سكنت، وفي المثل: «لابد للمصدور أن ينفث»[4]. وقال شاعر:

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٨، وشرح ابن ميثم ١: ٢٥١، مثل المصرية أيضاً.

(٢) جمهرة اللغة ١: ١٥٣، مادة (شقشق).

(٣) النهاية ٢: ٤٩٠، مادة (شقشق).

(٤) أورده الميداني في مجمع الامثال ٢: ٢٤١.

شكوت وما الشكوى لمثلي عادة ولكن تفيض الكأس عند امتلائها

ونظير كلامه عليه السلام هذا كلام سيّدة النساء صلوات الله عليها في فدك. ففي (بلاغات نساء أحمد بن أبي طاهر البغدادي): لمّا بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك لاثت خمارها ـ إلى أن قال ـ

لمّا فرغت من كلام أبي بكر والمهاجرين عدلت إلى مجلس الأنصار. فقالت: معشر البقية، وأعضاد الملّة، وحصون الإسلام! ما هذه الغميرة في حقي، والسِّنة عن ظلامتي؟! أما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «المرء يحفظ في ولده»؟ سرعان ما أجدبتم فأكديتم، وعجلان ذا اهانة تقولون: مات رسول الله. فخطب جليل استوسع وهيه واستنهر فتقه وبعد وقته وأظلمت الأرض لغيبته، واكتأبت خيرة الله لمصيبته، وخشعت الجبال، وأكدت الآمال، وأُضيع الحريم، وأُذيلت الحرمة عند مماته صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾ (١) إيهاً بني قيلة! أأهضم تراث أبي، وأنتم بمرأى ومسمع تلبسكم الدعوة وتمثلكم الحيرة وفيكم العدد والعدّة، ولكم الدار، وعندكم الجنن ـ إلى أن قالت ـ

فأنّى حرتم بعد البيان، ونكصتم بعد الإقدام، وأسررتم بعد الإعلان، لقوم نكثوا أيمانهم، أتخشونهم فالله أحقّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين. ألا قد أرى أن أخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة فمجتم عن الدين، وبحجتم الّذي وعيتم ودسعتم الّذي سوّغتم. فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً. فإنّ الله لغنيّ حميد. ألا وقد قلت الّذي قلته على معرفة منّي بالخذلان الّذي خامر صدوركم، واستشعرته قلوبكم، ولكن قلته فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وبثّة

(١) آل عمران: ١٤٤.

الصدر ومعذرة الحجّة فدونكموها. فاحتقبوها مدبرة الظهر، ناكبة الحق، باقية العار، موسومة بشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة الّتي تطلّع على الأفئدة فبعين الله ما تفعلون ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون﴾[1].

«قال ابن عباس: فوالله ما أسفت على كلام قطّ كأسفي على هذا الكلام»

هكذا في (المصرية)، والصواب: «على ذاك الكلام» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2].

«أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد» من بيان ضلالهم عن الحقّ، واتّباعهم الغيّ، وهلاكهم بتركه عليه السلام.

قال ابن أبي الحديد: «حدّثني شيخي أبو الخير مصدّق بن شبيب الواسطي في سنة (٦٠٣) قال: قرأت هذه الخطبة على الشيخ أبي محمّد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشّاب. فلمّا انتهيت إلى هذا الموضع قال لي: لو سمعت ابن عباس يقول هذا لقلت له: وهل بقي في نفس ابن عمك أمر لم يبلغه في هذه الخطبة لتتأسف ألا يكون بلغ من كلامه ما أراد؟ والله ما رجع عن الأولين ولا عن الآخرين، ولا بقي في نفسه أحد لم يذكره إلّا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال مصدّق: وكان ابن الخشّاب صاحب دعابة وهزل، قال فقلت له: أتقول إنّها منحولة. فقال: لا والله، وإنّي لأعلم أنّها كلامه كما أعلم أنّك مصدّق. فقلت له: إنّ كثيراً من الناس يقولون إنّها من كلام الرضي، فقال: أنّى للرضي ولغير الرضيّ هذا النفس، وهذا الاسلوب. قد وقفنا على رسائل الرضي، وعرفنا طريقته وفنّه في الكلام المنثور، ولا يقع مع هذا الكلام في خلّ ولا خمرة. قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنّفت قبل أن يخلق الرضيّ بمئتي

---

(١) بلاغات النساء: ٢٩، والآية ٢٢٧ من سورة الشعراء.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٨، وشرح ابن ميثم ١: ٢٥١، مثل المصرية أيضاً.

سنة، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي»[١].

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدّة طويلة، ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبة أحد متكلّمي الإمامية، وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب (الإنصاف)، وكان ابن قبة من تلامذة أبي القاسم البلخي، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي موجوداً[٢].

وقال ابن ميثم: وجدت الخطبة في نسخة عليها خط الوزير علي بن الفرات وزير المقتدر مات قبل مولد الرضي بنيّف وستّين سنة، والّذي يغلب على ظنّي كتابة تلك النسخة قبل وجود ابن الفرات بمدّة[٣].

قلت: وممّن ذكر الخطبة قبل مولد الرضي: أبو عمر الزاهد غلام ثعلب. فقد عرفت أنّ المرتضى نقل عنه أنّه قال مراده عليه السلام بقوله حتّى لقد وطئ الحسنان الإبهامان[٤]، وكان مولد الرضي سنة (٣٥٩) وكانت وفاة أبي عمر ذاك سنة (٣٤٥).

وقد وقع هنا أوهام لنهج الحق وشرحه الاحقاق وللبحار.

أما الأوّل. فلمّا كان الصدوق قال في كتاب (معاني أخباره) بعد نقل الخطبة بإسناده المتقدّم «سألت الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري عن

(١ و ٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٩.

(٣) شرح ابن ميثم ١: ٢٥٣، والنقل بالمعنى.

(٤) رواه الكيندري في شرحه ١: ١٩٣، وابن ميثم في شرحه ١: ٢٦٥، عن المرتضى عن غلام ثعلب ورواه السروي في مناقبه ٢: ٣٩٨، عن غلام ثعلب.

تفسير هذا الخبر ففسّره لي»[١] أشار إلى ذلك علي بن طاووس في (كتاب طرائفه) فقال: «ورأيت خطبة لعليّ عليه السلام قد فسّرها الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري صاحب كتاب (المواعظ والزواجر)، وهو من رؤساء مخالفي أهل البيت، والخطبة في كتاب اسمه كتاب (معاني الأخبار) تاريخ الفراغ من نسخه سنة إحدىٰ وثلاثين وثلاثمئة»[٢] وصاحب (نهج الحق) كان تلميذ علي بن طاووس يأخذ في كتابه المذكور أغلب ما كان في كتاب استاده (الطرائف)، فراجعه فتوهم من كلامه أنّ المعاني للعسكري مع أنّه للصدوق كما عرفت فقال: «ونقل الحسن بن عبد الله بن مسعود العسكري من أهل السنّة في كتاب (معاني الأخبار) ـ الخ»[٣].

كما أنّ المجلسي توهّم من كلام الطرائف أنّ العسكري ذكر الخطبة في (كتاب المواعظ)[٤] مع أنّه إنّما قال: إنّ العسكري الّذي هو صاحب كتاب (المواعظ) فسّر الخبر الّذي ذكره الصدوق في (معاني أخباره).

وأمّا الثاني فقال: «ذكر هذه الخطبة قبل مولد الرضي بل مولد أبيه جماعة من ثقات علماء الجمهور منهم من ذكره المصنّف وهو ابن عبد ربه في الجزء الرابع من كتاب (العقد) ومنهم أبو هلال العسكري في كتاب (الأوائل) ومنهم أبو علي الجبائي في كتابه وابن الخشاب في درسه»[٥].

فما نسبه إلى مصنّفه من أنّه قال انّ ابن عبد ربه ذكر هذه الخطبة في الجزء الرابع من (عقده) وهم، وإنّما نسب مصنّفه خطبة: «عفا الله عمّا سلف

(١) العلل ١: ١٥٢، والمعاني: ٣٦٢.
(٢) الطرائف ٢: ٤١٧.
(٣) نهج الحق ٣: ٤٦١.
(٤) فتن البحار: ١٥٥.
(٥) رواه عنه المحمودي في نهج السعادة ٢: ٥١٢.

سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همّه بطنه» إليه[١]، وأمّا هذه فنسبها إلى العسكري كما عرفت كلامه مع توهّم له أنّ العسكري فسّره في (معانيه) مع أنّ العسكري فسّره للصدوق في (معانيه).

مع أنّ ابن عبد ربه أدرك الرضي عصره. فقد عرفت أنّ مولد الرضي كان سنة (٣٥٩) وفي (عقد ابن عبد ربه): أنّ المطيع خلع نفسه سنة (٣٦٣)[٢].

وأما قول ابن خلكان مات ابن عبد ربه سنة (٣٢٨)[٣] وقول الحموي مات سنة (٣٤٨)[٤] فهوم بعدما عرفت من النقل من كتابه.

كما أنّ عدّه أبا هلال العسكري في من مات قبل تولد الرضي غلط فأبو هلال كان من معاصري الرضي، وقد نقل أبو هلال في (ديوان معانيه) أشعاراً عن الرضي. فقال في «فصل معاتباته» «ولبعض بني هاشم وهو الرضي»:

ولربّ مولى لا يغضّ جماحه طول العتاب ولا عناء العذّل
يطغى عليك وأنت تلأم شعبه والسيف يأخذ من بنان الصيقل[٥]

وكانت حايته إلى سنة (٣٩٥) معلومة فقال الحموي: لم يبلغني في وفاته شيء غير أنّي وجدت في آخر كتاب (الأوائل) له أنّه فرغ منه في شعبان سنة (٣٩٥)[٦].

مع أنّ أصل نسبته إلى أبي هلال العسكري ذكر الخطبة غير معلوم، وإنّما المعلوم تفسير أُستاذ أبي هلال العسكري، وهو أبو أحمد العسكري لها،

(١) كذا في نهج الحق ٣: ٤٦٠، والحديث في العقد الفريد ٤: ١٣٣.

(٢) العقد الفريد ٥: ٣٥٢.

(٣) وفيات الاعيان ١: ١١٢.

(٤) معجم الادباء ٤: ٢١٢.

(٥) ديوان المعاني ١: ١٦٥.

(٦) معجم الادباء ٨: ٢٦٤، والنقل بالمعنى.

وكلّ منهما وان يقال له الحسن بن عبد الله العسكري إلاّ انّهما يتميزان بجدهما ككنيتهما فجدّ أبي هلال سهل وجدّ أبي أحمد سعيد، وهذا (أوائل أبي هلال) نشر ليس فيه هذه الخطبة. فكتابه عشرة أبواب والمناسب لنقل الخطبة إنما هو بابه الرابع الّذي هو في «ما روي عن الصحابة والتابعين» وليس فيه إلّا خطبة «عفا الله عمّا سلف» ذكره في عنوان «أوّل من بايعه من أهل مصر»[١] والرضي أدرك أبا أحمد أيضاً فقالوا: مات سنة (٣٨٢) أو (٣٨٣).

كما أنّ عدّه ابن الخشّاب ممّن مات قبل الرضي أوضح وهماً فإنّه كان أُستاذ مصدق الّذي هو أستاذ ابن أبي الحديد، وقال له مصدّق: يقولون هو من كلام الرضي. فقال: أنّى للرضي مثل هذا الكلام[٢].

وأما الثالث. فقال بعد ذكر من أنكر الخطبة «وكفى للمنصف وجودها في تصانيف الصدوق، وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وثلاثمئة قبل مولد الرضي»[٣].

ومراده بالصدوق محمّد بن علي بن بابويه. فقد عرفت أنّه ذكر الخطبة في كتابي (علله) و(معانيه) لكن ذاك التاريخ تاريخ وفاة أبيه، وأما هو فمات سنة (٣٨١) فالرضي كان وقت وفاة الصدوق ابن اثنتين وعشرين أو ثلاث وعشرين.

نعم لو كان قال: إنّ الصدوق ذكرها في (معانيه) وفراغه منه كان في سنة (٣٣١) قبل مولد الرضي كان وجهاً.

كما أنّه لو قيل ذكر الخطبة المفيد في كتبه وهو استاذ الرضي، وذكرها

---

(١) الاوائل: ١٦٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٩، والنقل بالمعنى.

(٣) فتن البحار: ١٥٥، والنقل بتصرف في اللفظ.

الصدوق في كتبه، وهو استاذ استاذه، ولا يعقل أخذ الأُستاذ، واستاذ الاستاذ عن التلميذ وتلميذ التلميذ.

وقيل كانت الخطبة من الشهرة بحيث لم يستطع القاضي عبد الجبّار المتعصّب الناصبي، وله التقدّم زماناً أيضاً على الرضي إنكارها. فتصدّى للجواب عن فقراتها[١]، ولذا قال المفيد: «هي أشهر من أن ندلّ عليها لشهرتها»[٢] كما مرّ، كان وجهاً أيضاً.

وكما نسب بعض جهّالهم هذه الخطبة إلى الرضي مع أنّها وجدت بخطّ قبل مولد الرضي بمئتي سنة كما عرفته من ابن الخشّاب، كذلك نسب بعض جهّالهم خطبة سيّدة نساء العالمين صلوات الله عليها في الشكاية عنهم في الخلافة وفدك إلى أبي العيناء. فقال أحمد بن أبي طاهر البغدادي لزيد بن علي العلوي: انّ جمعاً يزعمون ذلك: فقال: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونها عن آبائهم، ويعلّمونها أبناءهم، وقد حدثنيها أبي عن جدّي يبلغ فاطمة عليها السلام ورواها مشائخ الشيعة قبل أن يولد جدّ أبي العيناء[٣].

ونظير هذه الخطبة في شكايته عليه السلام من الثلاثة، ومن أهل الشورى، ومن الناكثة والقاسطة والمارقة خطبته عليه السلام بعد فتح معاوية لمصر رواها جمع منهم ومنّا كإبراهيم الثقفي عن رجاله، عن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه نقل ذلك عنه ابن أبي الحديد «ومن كلام له عليه السلام لمّا قلّد محمّد بن أبي بكر مصر» وكالكليني في (رسائله)، وكابن قتيبة في (خلفائه)، وننقلها بلفظ ابن قتيبة فقال «دخل جمع على عليّ عليه السلام وقالوا له «بيّن لنا قولك فيهما (أي في أبي

---

(١) نقله عن القاضي الشريف المرتضى في الشافي: ٢١٢.

(٢) قاله المفيد في الجمل: ٦٢.

(٣) بلاغات النساء: ٢٣، والنقل بالمعنى.

بكر وعمر) و عثمان» قال علي كرّم الله وجهه «وقد تفرّغتم لهذا، وهذه مصر قد أفتتحت، وشيعتي فيها قد قتلت، إنّي مخرج إليكم كتاباً أنبّئكم فيه ما سألتموني عنه فاقرؤوه على شيعتي. فأخرج إليهم كتاباً فيه: «أما بعد فإن الله تعالى بعث محمّداً ﷺ -إلى أن قال-

فلمّا مضى تنازع المسلمون الأمر بعده، فوالله ما كان يُلقى في روعي ولا يخطر على بالي أنّ العرب تعدل هذا الأمر عنّي. فما راعني إلاّ إقبال الناس على أبي بكر، وإجفالهم عليه، فأمسكت يدي، ورأيت أنّي أحقّ بمقام محمّد ﷺ في الناس ممّن تولّى الأمور عليّ. فلبثت بذلك ما شاء الله حتّى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الإسلام. يدعون إلى محو دين محمّد ﷺ وملّة إبراهيم عليه السلام. فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى في الإسلام ثلماً وهدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولاية أمركم الّتي إنّما هي متاع أيّام قلائل، ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب -الى ان قال-

فلمّا احتضر (عمر) قلت في نفسي ليس يصرف هذا الأمر عنّي. فجعلها عمر شورى وجعلني سادس ستّة. فما كانوا لولاية أحد منهم بأكره منهم لولايتي لأنّهم كانوا يسمعونني وأنا أُحاجّ أبا بكر. فأقول: «يا معشر قريش! إنّا أحق بهذا الأمر منكم ما كان منّا من يقرأ القرآن ويعرف السنّة» فخشوا إن وُلّيت عليهم أن لا يكون لهم في هذا الأمر نصيب. فبايعوا إجماع رجل واحد حتّى صرفوا الأمر عنّي لعثمان، فأخرجوني منها رجاء أن يتداولوها حين يئسوا أن ينالوها. ثم قالوا لي: هلمّ فبايع عثمان، وإلاّ جاهدناك. فبايعت مستكرهاً، وصبرت محتسباً، وقال قائلهم إنّك يا ابن أبي طالب على الأمر لحريص. فقلت لهم: أنتم أحرص،أما أنا إذ طلبت ميراث ابن أبي وحقّه، وأنتم إذ

دخلتم بيني وبينه وتضربون وجهي دونه. اللهمّ إني أستعين بك على قريش. فإنّهم قطعوا رحمي، وصغّروا عظيم منزلتي وفضلي، واجتمعوا على منازعتي حقّاً كنت أولى به منهم فسلبونيه. ثم قالوا: إصبر كمداً وعش متأسفاً. فنظرت فإذا ليس معي رافد ولا مساعد إلاّ أهل بيتي. فضننت بهم على الهلاك، فأغضيت عيني على القذى، وتجرّعت ريقي على الشجا، وصبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم طعماً، وآلم للقلب من حزّ الحديد. حتّى إذا نقمتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه. ثم جئتموني تبايعونني فأبيت عليكم وأبيتم عليّ، فنازعتموني ودافعتموني، ولم أمدّ يدي تمنّعاً عنكم. ثم ازدحمتم عليّ حتّى ظننت أنّ بعضكم قاتل بعض وأنكم قاتليّ وقلتم لا نجد غيرك، ولا نرضى إلاّ بك، فبايعنا لا نفترق ولا نختلف، فبايعتكم. دعوتم الناس إلى بيعتي. فمن بايع طائعاً قبلت منه، ومن أبى تركته. فأوّل من بايعني طلحة والزبير ولو أبيا ما أكرهتهما كما أكره غيرهما. فما لبثنا إلّا يسيراً حتى قيل لي قد خرجا متوجهين إلى البصرة في جيش ما منهم رجل إلاّ وقد أعطاني الطاعة ـ الخبر ـ[١].

واتّقى عليه السلام أن يخطب بها بنفسه فكتبها. ففي طريق الكليني أنّه عليه السلام لمّا سألوه عن الثلاثة قال: «وأنا كاتب لكم كتاباً فيه تصريح ما سألتم» فدعا كاتبه عبيد الله بن أبي رافع، فقال له: أدخل عليّ عشرة من ثقاتي. فقال: سمّهم لي فقال عليه السلام: ادخل أصبغ بن نباتة، وأبا الطفيل عامر بن واثلة الكناني، وزر بن حبيش الأسدي، وجويرية بن مسهر العبدي، وجندب بن زهير الأسدي وحارثة بن مضرب الهمداني، والحارث بن عبد الله الأعور الهمداني، ومصباح

---

(١) رواه الثقفي في الغارات ١: ٣٠٢، وعن الثقفي ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٣٥، شرح الخطبة ٦٦. وأيضاً الكليني في الرسائل، عنه كشف المحجة: ١٧٤، وابن قتيبة في الامامة والسياسة ١: ١٥٤.

النخعي، وعلقمة بن قيس، وكميل بن زياد، وعمير بن زرارة. فدخلوا عليه. فقال لهم: خذوا هذا الكتاب، وليقرأه عبيد الله بن أبي رافع وأنتم شهود كلّ يوم جمعة فإن شغب شاغب عليكم فأنصفوه بكتاب الله بينكم وبينه[1].

ومنه يظهر أنّ قول ابن الخشّاب «لو سمعت ابن عباس يقول ما قال لقلت له: وهل بقي في نفس ابن عمّك شيء» في غير محله، وأنّه بقي في نفسه عليه السلام أشياء وأشياء اتّقى إظهارها علانية.

وقد رووا أنّه عليه السلام اتّقى أبا طلحة يوم الشورى لما سمع كلامه عليه السلام فقال له «لا ترع يا أبا الحسن»[2] وهذه الخطبة تكلّم بها على الملأ للعامّة، ولقد قال عليه السلام في الخلأ لخواصّه أموراً أخر رواها شيعته.

وكذلك أهل بيته كانوا يتّقون العامّة أن يظهروا ما في أنفسهم في المتقدّمين عليهم وأتباعهم. ففي المقاتل وغيره أنّ الحسن عليه السلام كتب إلى معاوية «وقد تعجّبنا لتوثّب المتوثّبين علينا في حقّنا وسلطان نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم - إلى ان قال - فكتب إليه معاوية: «رأيتك صرّحت بتهمة أبي بكر الصدّيق، وعمر الفاروق وأبي عبيدة الأمين، وحواريّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصلحاء المهاجرين والأنصار فكرهت ذلك لك. فإنّك امرؤٌ عندنا وعند الناس غير ظنين، ولا المسيء ولا اللئيم، وأنا أحبّ لك القول السديد والذكر الجميل - الخ[3]. فترى هدّده بالعامّة.

وكيف ينكرون شكايتهم عليهم السلام منهم، ولما كتب معاوية كما في (العقد) وغيره إلى أمير المؤمنين عليه السلام بعد ذكر الثلاثة: «فكلّهم حسدت، وعلى كلّهم

---

(١) كشف المحجة: ١٧٤.

(٢) رواه الطبري في تاريخه ٣: ٢٩٥، سنة ٢٣.

(٣) رواه أبوالفرج في المقاتل: ٣٥ و٣٦، والمدائني، عنه شرح ابن أبي الحديد ٤: ٩، شرح الكتاب ٣١.

بغيت، عرفنا ذلك في نظرك الشزر وتنفّسك الصعداء، وإبطائك عن الخلفاء، وأنت في كلّ ذلك تقاد كما يُقاد البعير المخشوش حتّى تبايع وأنت كاره» ـ إلى أن قال ـ فكتب علي عليه السلام إليه: «وذكرت ابطائي عن الخلفاء وحسدي إيّاهم والبغي عليهم. فأمّا البغي فمعاذ الله أن يكون، وأمّا الكراهة لهم، فوالله ما أعتذر للناس من ذلك»[١].

وممّا روي في شكايته ما رواه الثقفي عن المسعودي عن الحسن بن حما، عن أبيه، عن رزين بيّاع الأنماط، عن زيد بن علي بن الحسين، عن أبيه عن جدّه قال: قال عليّ عليه السلام في خطبته: «والله لقد بايع الناس أبا بكر وأنا أولى الناس بهم منّي بقميصي هذا، فكظمت غيظي، وانتظرت أمر ربي، وألصقت كلكلي بالأرض. ثم انّ أبا بكر هلك واستخلف عمر، وقد علم والله أنّي أولى الناس بهم مني بقميصي هذا، فكظمت غيظي، وانتظرت أمر ربي. ثم إنّ عمر هلك، وقد جعلها شورى فجعلني سادس ستّة كسهم الجدّة، وقال: اقتلوا الأقلّ، وما أراد غيري فكظمت غيظي، وانتظرت أمير ربي، وألصقت كلكلي بالأرض، ثم كان من أمر القوم من بعد بيعتهم لي ما كان، ثم لم أجد إلاّ قتالهم أو الكفر بالله»[٢].

ومما روي من شكايته عليه السلام عنهم ما رواه (جمل المفيد) بإسناده، عن أبي مخنف، عن العدوي، عن أبي هاشم، عن البريد، عن عبد الله بن المخارق، عن هاشم بن مساحق القرشي. قال حدّثنا أبي أنّه لما انهزم الناس يوم الجمل، إجتمع معه طائفة من قريش فيهم مروان بن الحكم فقال بعضهم لبعض: «والله لقد ظلمنا هذا الرجل (يعنون أمير المؤمنين عليه السلام) ونكثنا بيعته من غير حدث،

---

(١) رواه ابن عبد ربه في العقد الفريد، ٥: ٧٨ و٧٩، وابن مزاحم في وقعة صفين: ٨٧، وغيرهما.

(٢) رواه عن الثقفي في أماليه: ١٥٣ ح ٥، المجلس ١٩.

والله لقد ظهر علينا. فما رأينا قطّ أكرم سيرة منه، ولا أحسن عفواً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعالوا حتّى ندخل عليه، ونعتذر إليه ممّا صنعناه، فصرنا إلى بابه، فاستأذنّاه. فأذن لنا. فلّما مثلنا بين يديه جعل متكلّمنا يتكلّم. فقال عليه السلام: (أنصتوا أكفكم. إنّما أنا بشرٌ مثلكم. فإن قلت حقّاً فصدّقوني، وإن قلت باطلاً، فردّوا عليّ أُنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبض وأنا أولى الناس به وبالناس من بعده؟ قلنا: اللهمّ نعم. قال: فعدلتم عنّي، وبايعتم أبا بكر فأمسكت، ولم أُحبّ أن أشقّ عصا المسلمين، وأفرّق بين جماعاتهم. ثم إنّ أبا بكر جعلها لعمر من بعده. فكففت، ولم أهيّج الناس، وقد علمتم أنّي كنت اولى الناس بالله ورسوله، وبمقامه فصبرت حتى قتل، وجعلني سادس ستة، فكففت، ولم أحبّ أن أفرّق بين المسلمين ثم بايعتم عثمان. ـ الخبر»[1].

ومن شكايته عليه السلام عنهم ما رواه المدائني، عن عبد الله بن جنادة قال: قدمت من الحجاز أريد العراق في أوّل أمارة عليّ عليه السلام. فمررت بمكّة. فاعتمرت ثم قدمت المدينة فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذ نودي الصلاة جامعة. فاجتمع الناس، وخرج عليّ عليه السلام متقلّداً سيفه. فشخصت الأبصار نحوه. فحمد الله وصلّى على رسوله. ثم قال: أما بعد! فإنّه لمّا قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم قلنا نحن أهله وورثته، وعترته وأولياؤه. دون الناس لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقّنا طامع. إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم. فصارت الإمرة لغيرنا، وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف، ويتعزز علينا الذليل فبكت الأعين منا لذلك، وخشنت الصدور، وجزعت النفوس، وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر ويبور الدين؛ لكنّا على غير ما كنّا لهم». ـ الخبر ـ نقله ابن أبي

---

(١) الجمل: ٢٢٢.

الحديد في موضع آخر[١].

وروى الثقفي كما في (الشافي) مسنداً عن مسيب بن نجية قال بينما عليّ عليه السلام يخطب واعرأبي يقول: وامظلمتاه. فقال علي عليه السلام: أُدنُ فدنا فقال: «لقد ظلمتُ عدد المدر والوبر».

وروى أبو نعيم: أنّ علياً عليه السلام لم يقم مرّة على المنبر إلاّ قال في آخر كلامه قبل أن ينزل: «مازلت مظلوماً منذ قبض الله نبيّه».

وفي (الشافي) أيضاً: وروى من طرق كثيرة أنّه عليه السلام كان يقول: أنا أوّل من يجثو للخصومة بين يدي الله يوم القيامة[٢].

هذا وكما أسف ابن عباس شديداً على عدم بلوغ أمير المؤمنين عليه السلام أقصى مراده في تلك الخطبة كذلك كان يأسف دائماً شديداً على منع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن الوصيّة، ففي (الطبري) قال سعيد بن جبير: كان ابن عباس يقول «يوم الخميس وما يوم الخميس ثم يبكي حتّى تبلّ دموعه الحصباء، فقلنا له، وما يوم الخميس؟ قال: «يوم اشتدّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وجعه، فقال: آتوني باللوح والدواة أو بالكتف والدواة أكتب لكم لا تضلّون بعدي. فتنازعوا. فقال: اخرجوا ولا ينبغي عند نبي أن يتنازع. قالوا: ما شأنه؟ أهجر؟ استفهموه! فذهبوا يعيدون عليه. فقال: دعوني. فما أنا فيه خير ممّا تدعوني إليه»[٣].

وفي (صحيح البخاري) عن ابن عباس قال: لمّا اشتدّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مرضه الّذي مات فيه قال: إيتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي فقال عمر: «إنّ النبي قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله» وكثر اللغط. فقال

---

(١) رواه عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ١: ١٠١، شرح الخطبة ٢٢.

(٢) جاءت هذه الاحاديث في تلخيص الشافي ٣: ٤٨ و٤٩، وأبونعيم هو الفضل بن دكين.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٤٣٦، سنة ١١، والنقل بتصرف يسير.

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «قوموا عنّي لا ينبغي عندي التنازع» قال ابن عباس: «الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[١].

قول المصنّف: «قوله عليه السلام كراكب الصعبة» هكذا في(المصرية)، والصواب: «قوله عليه السلام في هذه الخطبة كراكب الصعبة» كما في (ابن أبي الحديد والخطيّة)[٢].

«ان اشنق لها خرم وان أسلس لها تقحم يريد أنّه إذا شدّد عليها في جذب الزمام» في (تاريخ اليعقوبي): «كان معد بن عدنان أوّل من وضع رحلاً على جمل وناقة، وأوّل من زمّهما بالنسع»[٣].

«وهي تنازعه رأسها» جملة حالية.

«خرم» أي: شقّ الراكب.

«أنفها وإن أرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقحّمت به فلم يملكها» أي: أصل التقحم للصعبة، ونسب إلى الراكب بإسلاسه لها: «يقال اشنق الناقة إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه وشنقها أيضاً».

«ذكر ذلك» أي: جواز شنق الناقة وأشنقها بمعنى واحد وهو رفع رأسها بالزمام.

«ابن السكيت» وهو: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت.

«في إصلاح المنطق» قال المبرد كما في (تاريخ بغداد): ما رأيت للبغداديين كتاباً أحسن من كتاب يعقوب ابن السكّيت[٤].

وقال ابن خلكان: قال بعض العلماء ما عبر على جسر بغداد كتاب في

---

(١) أخرجه البخاري بطرق في صحيحه ١: ٣٢، و٣: ٧ و٢٧١، والنقل بتصرف يسير.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٨.

(٣) تاريخ اليعقوبي ١: ٢٢٣.

(٤) تاريخ بغداد ١٤: ٢٧٤.

اللغة مثل (إصلاح المنطق)[١].

قلت: ما نقله المصنّف عن (إصلاح المنطق) ففيه: «يقال أشنقت راحلتي وشنقتها إذا رفعت رأسها بالزمام، وأنشد طلحة قصيدة فما زال شانقاً راحلته حتّى كتبه له»[٢].

قلت: ويشهد لقول ابن السكيت ما قاله ابن دريد في (جمهرته) في باب ما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة مما تكلّمت به العرب من فعلت وأفعلت: «وشنقت القربة وأشنقتها إذ أشددت رأسها ثم رفعتها»[٣].

«وإنّما قال عليه السلام أشنق لها ولم يقل أشنقها لأنّه جعله في مقابلة أسلس لها فكأنّه عليه السلام قال: إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها يعني إذا كان أشنقت متعدّياً كان أشنقها أيضاً صحيحاً لكن قال عليه السلام «أشنق لها» للمقابلة بينه وبين «أسلس لها» كما يقال في «الموزور» «المازوي» إذا ذكر في مقابل المأجور وكما قالوا الرجس النجس بجعل الثاني على وزن الأوّل لكن (الصحاح) جعل شنق متعدّياً لا غير، وجعل أشنق متعدّياً ولازماً. فقال «ويقال أشنق البعير أيضاً مثل أشنقته[٤].

ثم الغريب أنّ ابن ميثم لم ينقل كلام المصنّف رأساً[٥] و ابن أبي الحديد زاد على ما في نسخنا فقال (وقال الرضي): ومن الشاهد على أنّ أشنق بمعنى شنق قول عدي بن زيد العبادي:

ساءها مالها تبين في الايـ ـدي وإشناقها إلى الأعناق

(١) وفيات الاعيان لابن خلكان ٦: ٤٠٠.

(٢) اصلاح المنطق: ٤٢٧.

(٣) جمهرة اللغة ٣: ٤٣٨.

(٤) صحاح اللغة ٤: ١٥٠٤، مادة (شنق).

(٥) شرح ابن ميثم ١: ٢٥١.

ثم قال ابن أبي الحديد: زارت بنية صغيرة لعدي أباها وهو في حبس النعمان ويداه مغلولتان إلى عنقه فأنكرت ذلك وقالت ما هذا الّذي في يدك وعنقك يا أبه؟ وبكت فقال عدي هذا البيت، وقبله:

ولقد غمني زيارة ذي قر بى لقربنا مشتاق[1]

لكن نقل الزيادة الّتي قلنا في شرح «إن أشنق» ولم ينقله عند نقل كلام الرضي، كما أنّ الراوندي زاد بعد قول المصنّف: «فكأنّه عليه السلام قال إن رفع رأسها بالزمام بمعنى أمسكه عليها» «وفي الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطب الناس وهو على ناقة قد شنق لها وهي تقصع بجرتها». ومن الشاهد على أنّ أشنق بمعنى شنق قول عدي بن زيد العبادي:

ساءها ما لها تبيّن في الايـ ـدي وأشناقها إلى الأعناق[2]

قلت: وهذا الاختلاف في النقل غريب.

والحمد لله أوّلاً وأخيراً.

٣٢
الخطبة (٢٠٠)

ومن كلام له عليه السلام:

وروي عنه أنه قال عِندَ دَفن سَيِّدة النِّساء فاطمة عليها السلام كَالمُناجي رسول آللهِ صلى الله عليه وآله عند قبرِه:

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ آللهِ عَنِّي، وَعَنِ آبْنَتِكَ آلنَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ،

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٩ و٥٧، والنقل بتصرف يسير.

(٢) شرح الراوندي ١: ١٢٠.

وَالسَّرِيعَةِ ٱللَّحَاقِ بِكَ. قلَّ يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي، إِلَّا أَنَّ فِي ٱلتَّأَسِّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ، وَفادِحِ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ. فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ. إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. فَلَقَدِ ٱسْتُرْجِعَتِ ٱلْوَدِيعَةُ، وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ ٱللّٰهُ لِي دَارَكَ ٱلَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ. وَسَتُنَبِّئُكَ ٱبْنَتُكَ بِتَضافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا، فأَحْفِهَا ٱلسُّؤَالَ، وَٱسْتَخْبِرْهَا ٱلْحَالَ. هٰذَا وَلَمْ يَطُلِ ٱلْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ ٱلذِّكْرُ. وَٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ، لَا قَالٍ وَلَا سَئِمٍ، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ، وَإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ ٱللّٰهُ ٱلصَّابِرِينَ.

أقول: رواه في باب مولد فاطمة (الكافي) عن أحمد بن مهران رفعه، وعن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن عبد الجبار الشيباني، عن القاسم بن محمّد الرازي، عن عليّ بن محمّد الهرمزاني، عن الحسين بن علي عليه السلام قال: لمّا قُبضت فاطمة عليها السلام دفنها أمير المؤمنين عليه السلام سرّاً، و عفّى على موضع قبرها، ثمّ قام فحوّل وجهه إلى قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

السلام عليك يا رسول الله عنّي، والسلام عليك عن ٱبنتك وزائرتك و البائتة في الثرى ببقعتك، والمختار الله لها سرعة اللحاق بك. قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري، عفا عن سيّدة نساء العالمين تجلّدي. إلّا أنّ لي في التأسّي بسنّتك في فرقتك موضع تعزٍّ. فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك، وفاضت نفسك بين نحري وصدري. بلى وفي كتاب الله لي أنعم القبول ﴿إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾[1]. قد ٱسترُجِعَتِ الوديعة وأخذت الرهينة وٱختُلِسَت الزهراء. فما أقبح الخضراء والغبراء. يا رسول الله! أمّا حزني فسرمد، وأمّا ليلي فمسهّد،

(١) البقرة: ١٥٦.

وهمّ لا يبرح من قلبي، أو يختار الله لي دارك الّتي أنت فيها مقيم. كمد مقيّح، وهمّ مهيج سرعان ما فرّق بيننا وإلى الله أشكو، وستنبّئك ابنتك بتضافر امّتك على هضمها فأحفها السؤال واستخبرها الحال. فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلا و ستقول: ﴿ويحكم الله وهو خير الحاكمين﴾[1] سلام مودّع لا قال ولا سئم. فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن اُقِم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين. واه واهاً والصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين لجعلت المقام واللبث لزاماً معكوفاً، ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزيّة. فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً، وتهضم حقها وتمنع إرثها، ولم يتباعد العهد، ولم يخلق منك الذكر، وإلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك يا رسول الله أحسن العزاء. صلّى الله عليك وعليها السلام والرضوان[2].

ورواه (أمالي المفيد) عن محمّد بن عبد الجبار عن القاسم بن محمّد الرازي، عن عليّ بن محمّد الهرمزاني، عن عليّ بن الحسين، عن أبيه قال: لمّا مرضت فاطمة عليها السلام وصّت إلى عليّ عليه السلام أن يكتم أمرها، ويخفي خبرها ولا يؤذن أحداً بمرضها. ففعل ذلك، وكان يمرّضها بنفسه و تعينه على ذلك أسماء بنت عميس على استسرار بذلك كما وصّت به. فلمّا حضرتها الوفاة وصّت أمير المؤمنين عليه السلام أن يتولّى أمرها، ويدفنها ليلاً ويعفّي قبرها. فتولّى عليه السلام ذلك، ودفنها وعفّى موضع قبرها، فلّما نفض يده من تراب القبر هاج به الحزن، فأرسل دموعه على خدّيه وحوّل وجهه إلى قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

السلام عليك يا رسول الله مني، السلام عليك من ابنتك وحبيبتك، وقرّة

---

(١) يونس: ١٠٩.

(٢) الكافي للكليني ١: ٤٥٨ ح ٣.

عينك وزائرتك، والبائتة في الثرىٰ ببقعتك، والمختار لها الله سرعة اللحاق بك. قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري، وضعف عن سيّدة النساء تجلّدي، إلّا أنّ في التأسّي لي بسنّتك، والحزن الّذي حلّ بي بفراقك، موضع التعزّي، فلقد وسّدتك في ملحود قبرك بعد أن فاضت نفسك على صدري، وغمّضتك بيدي، وتولّيت أمرك بنفسي. نعم وفي كتاب الله أنعم القبول ﴿إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾[1] قد استُرجِعت الوديعة، وأُخِذَتِ الرَّهينة، واُختُلِست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله! أمّا حزني فسرمد، وأمّا ليلي فمسهّد. لا يبرح الحزن من قلبي أو يختار الله لي دارك الّتي أنت فيها مقيم، كمد مقيّح و همّ مهيّج، سرعان ما فرّق بيننا وإلى الله أشكو، وستنبّئك اُبنتك بتظافر اُمّتك عليّ، وعلى هضمها حقّها، فاستخبرها الحال. فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلا، وستقول ﴿ويحكم الله وهو خير الحاكمين﴾[2].

سلام عليك يا رسول الله سلام مودّع لا سئم ولا قالٍ. فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن اُقِمْ فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين، الصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين علينا لجعلت المقام عند قبرك لزاماً، وللبثت عنده معكوفاً، ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية. فبعين الله تدفن اُبنتك سرّاً، وتهتضم حقّها قهراً، وتمنع إرثها جهراً، ولم يطل العهد، ولم يخل منك الذكر، فإلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك أجمل العزاء، فصلوات الله عليك وعليها ورحمة الله وبركاته.

ورواه (أمالي الشيخ) في أواخر الجزء الرابع مثله.

ورواه سبط ابن الجوزي في (تذكرته).

---

(١) البقرة: ١٥٦.

(٢) يونس: ١٠٩.

وفيه : إلى أن يختار الله لي دارك الّتي أنت بها مقيم، وينقلني من دار التكدير والتأثيم، وستخبرك ابنتك بما لقينا بعدك، فأحفها بالسؤال واستعلم منها الأمور والأحوال... .

وعن (كشف الغمة) أيضاً نقله مع زيادات [١].

قول المصنّف: «ومن كلام له عليه السلام» إلى قوله «عند قبره» هكذا في ابن أبي الحديد وابن ميثم [٢] ولكن ليس في (المصرية الأولى) قوله: «روي عنه أنّه قاله» ولا قوله: «كالمناجي به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند قبره» وإنّما أخذهما من ابن أبي الحديد وأشار إلى أخذه بجعلهما بين قوسين، كما هو دأبه فيما يأخذ عنه.

قوله : «عند دفن سيّدة النساء فاطمة عليها السلام» قال ابن أبي الحديد: تواتر الخبر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّ فاطمة سيّدة نساء العالمين... [٣].

وروى الخطيب في عبد الرحمن بن عليّ عن أبي سعيد الخدري في قوله تعالى: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾ [٤]، أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ثم أدار عليهم الكساء، فقال: «هؤلاء أهل بيتي. اللّهمّ أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا» وأُمّ سلمة على الباب، فقالت: يا رسول الله ألست منهم؟ فقال: إنّك لعلى خير ـ أو إلى خير [٥].

---

(١) رواه المفيد في الأمالي: ٢٨١ ح ٧ المجلس ٣٣، وأبو علي الطوسي في الأمالي ١: ١٠٧ جزء ٤، والسبط في التذكرة: ٣١٩، والأربلي في كشف الغمة ٢: ١٣٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٧٠، وشرح ابن ميثم ٤: ٢ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٧١.

(٤) الأحزاب: ٣٣.

(٥) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ١٠: ٢٧٨.

وروى في الحسين بن معاذ عن عائشة قالت: قال النبيّ ﷺ: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: يا معشر الخلائق! طأطئوا رؤوسكم حتّى تجوز فاطمة بنت محمّد ﷺ.

ورواه سبط ابن الجوزي عن ابن عمر وصحّحه وقال: رواه جمع آخر[1].

وروى في غانم بن حميد عن ابن عبّاس قال: قال النبيّ ﷺ: إبنتي فاطمة حوراء آدمية لم تحض، ولم تطمث، وإنّما سمّاها فاطمة لأنّ الله فطمها ومحبّيها عن النار[2].

قوله عليه السلام: «السّلام عليك يا رسول الله عنّي، وعن ابنتك النازلة في جوارك، والسريعة اللّحاق بك» روى سبط ابن الجوزي عن جابر الأنصاري قال: قال النبيّ ﷺ (لعليّ عليه السلام): «يا أبا الريحانتين! عن قليل يذهب ركناك» فلمّا توفّي النبيّ ﷺ قال عليّ عليه السلام: هذا أحد الركنين، فلمّا توفيت فاطمة عليها السلام قال: وهذا الركن الآخر[3].

وروى عن (مسند أحمد بن حنبل) عن عائشة قالت: أقبلت فاطمة كأنّ مشيتها مشية النبيّ ﷺ. فقال: مرحباً بابنتي، ثمّ أجلسها عن يمينه، ثم أسرّ إليها حديثاً فبكت، فقلت: إستخصّكِ النبيّ ﷺ وأنت تبكين! ثمّ إنّه أسرّ إليها فضحكت، فقلت لها: ما رأيت كاليوم أقرب فرحاً من حزن. ما أسرّ إليكِ؟ فقالت: ما كنت لأُفشيَ سرّ النبيّ ﷺ حتّى إذا قُبِض سألتها، فقالت: إنّه أسرّ إليّ وقال: كان جبرئيل يعارضني بالقرآن في كلّ عام مرّة وإنّه عارضني به

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨: ١٤١، وتذكرة الخواص: ٣١٠.

(٢) المصدر نفسه ١٢: ٣٣١.

(٣) تذكرة الخواص: ٣٢٠.

العام مرّتين، ولا أراه إلّا قد حضر أجلي، وإنّك أوّل أهلي لحوقاً بي، ولنعم السلف أنا لك، فبكيت لذلك. فقال: ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء هذه الأمّة؟ فذلك الذي أضحكني.

قال: ورواه مسلم والبخاري في (صحيحيهما)[١] ورواه الجزري وفيه: «ثمّ سارّني الثانية وأخبرني أنّي سيّدة نساء أهل الجنّة، فضحكت»[٢].

وروى ابن عبد ربه في (عقده) عن عائشة بنت طلحة عن عائشة بنت أبي بكر قالت: ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً وكلاماً بالنبيّ ﷺ من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبّلها ورحّب بها، وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه ورحّبت به وأخذت بيده فقبلتها. فدخلت عليه في مرضه الّذي توفّي فيه فأسرّ إليها فبكت، ثمّ أسرّ إليها فضحكت فقلت: كنت أحسب لهذه المرأة فضلاً على النساء، فإذا هي واحدة منهنّ بينما تبكي إذ هي تضحك. فلمّا توفّي النبيّ ﷺ سألتها؛ فقالت: أسرّ إليّ فأخبرني أنّه ميّت فبكيت، ثمّ أسرّ إليّ أنّي أوّل أهل بيته لحوقاً به فضحكت[٣].

هذا، وكما أخبر النبيّ ﷺ ابنته سيّدة النساء بكونها أوّل أهل بيته لحوقاً به أخبر بأنّ زينب بنت جحش أوّل أزواجه لحوقاً به.

وفي (الاستيعاب): عن عائشة قالت: قال النبيّ ﷺ يوماً لنسائه: «أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً» فكنّ يتطاولن أيتهن أطول يداً فكانت أطولنا

---

(١) جاء هذا في تذكرة السبط: ٣٠٩، وما نقله عن مسند أحمد ففيه ٦: ٢٨٢، وما عن صحيح البخاري ففيه ٤: ٩٦، وما عن صحيح مسلم ففيه ٤: ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ ح٩٨ و ٩٩.

(٢) أسد الغابة لابن الأثير ٥: ٥٢٢.

(٣) الحديث مشهور لكن لم يوجد في نسختنا من العقد الفريد.

يداً زينب، لأنّها كانت تعمل بيدها وتتصدّق[١].

«قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري» في (تذكرة سبط بن الجوزي): روى مسلم والبخاري والترمذي في (صحاحهم): أنّ النبيّ ﷺ قال: فاطمة بضعة منّي يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها، فمن أغضبها فقد أغضبني[٢].

وروى الخطيب في أحمد بن محمّد الشافعي عن عائشة قالت: قلت للنبيّ ﷺ : مالك إذا جاءت فاطمة قبّلتها حتّى تجعل لسانك في فيها كلّه كأنّك تريد أن تلعقها عسلاً؟ قال: نعم يا عائشة؛ لمّا أُسري بي إلى السماء أدخلني جبرئيل الجنّة، فناولني منها تفاحة فأكلتها فصارت نطفة في صلبي، فلمّا نزلت واقعت خديجة ففاطمة من تلك النطفة، وهي حوراء إنسية، كلّما اشتقت إلى الجنّة قبّلتها[٣].

«ورقّ عنها تجلّدي» أي: إظهار جلادتي. قال الشاعر:

بعدت فطعم العيش بعدك علقم وروجه حياتي مذ تغيبت أرقم

«إلّا أنّ لي في التأسّي بعظيم فرقتك» روى (الكافي): أنّه لمّا أُصيب أميرالمؤمنين عليه السلام نعى الحسن عليه السلام إلى الحسين عليه السلام وهو بالمدائن، فلمّا قرأ الكتاب قال: يا لها من مصيبة ما أعظمها! مع أنّ رسول الله ﷺ قال: من أُصيب منكم بمصيبة فليذكر مصابه فيّ، فإنّه لن يصاب بمصيبة أعظم منها وصدق ﷺ[٤].

«وفادح مصيبتك» أي: مثقلها.

---

(١) الاستيعاب ٤: ٣١٥.

(٢) رواه السبط في التذكرة: ٣١٠، والحديث في صحيح البخاري ٤: ٩٦، وصحيح مسلم ٤: ١٩٠٢ ـ ١٩٠٣ ح ٩٣ و ٩٤، وسنن الترمذي ٥: ٦٩٨ ـ ٦٩٩ ح ٣٨٦٧ و ٣٨٦٩.

(٣) تاريخ بغداد ٥٥: ٨٧.

(٤) الكافي ٣: ٢٢٠ ح ٣.

«موضع تعزّ» أي: تسلّ.

فلا تحسبي أنّي تناسيت عهده ولكن صبري يا أُميم جميل

وعن الباقر عليه السلام: سأل رأس اليهود أمير المؤمنين عليه السلام عمّا آمتحنه الله في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبعده - إلى أن قال - قال عليه السلام له: وآمتحنني بعد وفاته في سبعة مواطن فوجدني فيهنّ - من غير تزكية لنفسي - بمنّه ونعمته صبوراً.

أمّا أوّلهنّ: فإنّه لم يكن لي خاصٌّ - دون المسلمين - أحد آنس به أو أعتمد عليه غير النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، هو ربّاني صغيراً وبواني كبيراً، وعال لي النفس والولد والأهل، مع ما خصّني به من الدرجات الّتي قادتني إلى معالي الحقّ عنده تعالى، فنزل بي من وفاته ما لم أكن أظنّ الجبال لو حملته عنوة كانت تنهض به، فرأيت الناس من أهل بيتي بين جازع لا يملك جزعه ولا يضبط نفسه، قد أذهب الجزع صبره، وحال بينه وبين الفهم والإفهام، وسائر الناس من غير بني عبد المطّلب بين معزٍّ يأمر بالصبر، وبين مساعد باكٍ معهم، فحملت نفسي على الصبر عند وفاته بلزوم الصمت، والاشتغال بما أمر الله به من تجهيزه وتغسيله وتحنيطه وتكفينه، والصلاة عليه ووضعه في حفرته، وجمع كتاب الله وعهده إلى خلقه، لا يشغلني عن ذلك بادر دمعة، ولا هائج زفرة، ولا لاذع حرقة، ولا جليل مصيبة، حتّى أدّيت في ذلك الحق الواجب لله تعالى ولرسوله عليّ، وبلغت منه الّذي أمرني به، وآحتملته صابراً محتبساً...[١].

«فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك» في (الإرشاد): أنفذ العبّاس بعد الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبي عبيدة - وكان يحفر لأهل مكة ويضرح - وإلى زيد بن

---

(١) الخصال للصدوق ١: ٣٧٠، والنقل بتصرّف يسير.

سهل ـ وكان يحفر لأهل المدينة ويلحد ـ فاستدعاهما وقال: اللّهمّ خر لنبيك، فوجد الرسول زيداً فحفر له ﷺ لحداً ـ إلى أن قال ـ ونزل أمير المؤمنين عليه السلام القبر فكشف عن وجه النبيّ ﷺ ووضع خدّه على الأرض موجّهاً إلى القبلة على يمينه، ثمّ وضع عليه اللبن وأهال عليه التراب.

ولم يحضر دفن النبيّ ﷺ أكثر الناس لما جرى بين المهاجرين والأنصار من التشاجر في أمر الخلافة وفات أكثرهم الصلاة عليه لذلك(١).

«وفاضت بين نحري وصدري نفسك» في (الإرشاد): لمّا قرب خروج نفس النبيّ ﷺ قال لأمير المؤمنين عليه السلام: ضع رأسي في حجرك فقد جاء أمر الله تعالى. فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك، وأمسح بها وجهك، ثمّ وجّهني إلى القبلة وتولّ أمري وصلّ عليّ أوّل الناس، ولا تفارقني حتّى تواريني في رمسي...(٢).

«إنّا لله وإنّا إليه راجعون» في مصيبة سيّدة النساء.

«فلقد استرجعت الوديعة وأُخذت الرهينة» روى ابن طاووس في (طرائفه) ـ في حديث احتضار النبي ﷺ ـ ثم بكت (فاطمة عليها السلام) وأكبّت على وجهه ﷺ فقبلته، وأكبّ عليه عليّ والحسن والحسين عليهما السلام. فرفع رأسه إليهم، ويدها في يده فوضعها في يد عليّ عليه السلام وقال له: يا أبا الحسن! هذه وديعة الله ووديعة رسوله محمّد عندك. فاحفظ الله واحفظني فيها، وإنّك لفاعله يا علي. هذه والله سيّدة نساء أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين. هذه والله مريم الكبرى ـ إلى أن قال ـ فقد أمرتها بأشياء أمرني بها جبرئيل عليه السلام، وأعلم يا عليّ! أنّي راضٍ عمّن رضيت عنه ابنتي فاطمة، وكذلك ربّي وملائكته. يا

(١ و ٢) الإرشاد للمفيد ١٠٠، والنقل بتلخيص.

علي! ويل لمن ظلمها، وويل لمن ابتزّها حقّها، وويل لمن هتك حرمتها...»[١].

«أمّا حزني فسرمد» قال متممّ في أخيه مالك:

وقالوا أتبكي كلّ قبر رأيته لميت ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت لهم إنّ الأسى يبعث البكا ذروني فهذا كلّه قبر مالك

وقيل للخنساء: ما هذه الندوب في وجهك؟ قالت: من طول البكاء على أخويَّ. قيل: أيّهما أوجع؟ قالت: أمّا صخر فجمر الكبد، وأمّا معاوية فسقام الجسد.

«وأمّا ليلي فمسهّد» أي: قليل النوم، قال:

فتشهد لي على الأرق الثريا ويعلم ما أجنّ الفرقدان
جفت عيني عن التغميض حتّى كأن جفونها عنها قصار
أقول وليلتي تزداد طولاً أما للّيل بعدهم نهار؟!

«إلى أن يختار الله لي دارك الّتي أنت بها مقيم»

فوالله ما أنساه ما ذرّ شارق وما اهتزّ في فرع الأراك قضيب

«وستنبئك ابنتك بتضافر أمّتك على هضمها» هكذا في (المصرية) وليس قوله: «بتضافر أمّتك على هضمها» في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٢] فلابدّ أنّه كان حاشية خلطت بالمتن أخذها المحشي من مستند الرضي، ورواية (الكافي) كما عرفت، وعرفت أنّ المفيد بدّلها في روايته بقوله: «بتظاهر أمّتك عليّ وعلى هضمها حقّها» وأنّ سبط ابن الجوزي بدّلها في روايته بقوله: «بما لقينا بعدك»[٣].

---

(١) رواه ابن طاووس في الطرف، لا الطرائف، وعنه: البحار للمجلسي ٢٢: ٤٨٤ ح٣١.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٧١، وشرح ابن ميثم ٤: ٢ مثل المصرية أيضاً.

(٣) الكافي للكليني ١: ٤٥٩، وأمالي المفيد: ٢٨٢، والتذكرة لسبط ابن الجوزي: ٣٢٠.

روى الخطيب في عمر بن الوليد عنه عليه السلام قال: ممّا عهد إليّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الأمّة ستغدر بك من بعدي[١].

وروى الجوهري: أنّه لمّا أكثر في تخلّف عليّ عليه السلام عن بيعة أبي بكر و اشتدّ أبو بكر وعمر عليه خرجت أمّ مسطح بن أثاثة فوقفت عند القبر وقالت: يارسول الله:

قد كان بعدك أنباء وهينمة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها وآختل قومك فاشهدهم ولا تغب[٢]

وفي (أنساب البلاذري) عن أمّ الفضل قالت: كنت جالسة عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو مريض. فبكيت. فقال: ما يبكيك؟ قلت: أخشىٰ عليك ولا أدري ما نلقي من الناس بعدك؟ فقال: أنتم المستضعفون[٣]، وفي (بيان الجاحظ): قالت صفية بنت عبد المطلب يوم السقيفة مخاطبة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة
لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها
واختل قومك فاشهدهم فقد سغبوا[٤]

وفي (سقيفة الجوهري): عن محمّد بن زكريّا عن محمّد بن عبد الرحمن المهلّبي، عن عبد الله بن حماد بن سليمان، عن أبيه عن عبد الله بن الحسن، عن أمّه فاطمة بنت الحسين عليه السلام قالت: لمّا آشتدّ بفاطمة بنت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الوجع وثقلت في علّتها؛ اجتمع عندها نساء من نساء المهاجرين والأنصار. فقلن لها:

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١: ٢١٦.

(٢) السقيفة للجوهري: ٦٧.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ١: ٥٥١ ح ١١٢٠.

(٤) البيان والتبيين للجاحظ ٣: ٢١٩.

كيف أصبحت يا بنت رسول الله؟ قالت:

ما أصبحت والله عائفة دنياكم قالية لرجالكم. لفظتهم بعد أن عجمتهم وشنأتهم بعد أن سبرتهم. فقبحاً لفلول الحدّ، و خور القناة، وخطل الرأي وبئسما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم، وفي العذاب هم خالدون. لا جرم قد قلّدتهم ربقتها، وشنّت عليهم غارتها، فجدعاً وعقراً وسحقاً للقوم الظالمين.

ويحهم أين زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوّة، ومهبط الروح الأمين، والطيبين بأمر الدنيا والدين. ألا ذلك هو الخسران المبين، وما الّذي نقموا من أبي الحسن؟ نقموا والله نكير سيفه، وشدّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمّره في ذات الله.

وتالله لو تكافّوا على زمامٍ نبذه إليه رسول الله ﷺ لاعتلقه، ولسار إليهم سيراً سجحا لا تكلم حشاشته، ولا يتعتع راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً فضفاضاً يطفح ضفّتاه، ولأصدرهم بطاناً ـ إلى أن قالت ـ ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون.

ألا هلّم فاستمع وما عشت أراك الدهر عجبا، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث .إلى أيّ لجأٍ استندوا، وبأيّ عروة تمسّكوا، لبئس المولى ولبئس العشير، ولبئس للظالمين بدلاً. إستبدلوا والله الذنابى بالقوادم، والعجز بالكاهل. فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً ﴿ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾[١].

ويحهم ﴿أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أنّ يتّبع أمّن لا يهدّي إلاّ أن يهدى

(١) البقرة: ١٢.

فمالكم كيف تحكمون﴾[١].

أما لعمر الله لقد لقحت، فنظرةٌ ريثما تنتج، ثم احتلموها طلاع العقب. دماً عبيطاً وذعافاً ممقراً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبّ ما أسّس الأوّلون، ثمّ طيبوا عن أنفسكم نفساً، واطمئنّوا للفتنة جأشاً، وأبشروا بسيف صارم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً فيا حسرة عليكم وأنّىٰ لكم، وقد عُمّيت عليكم، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون[٢].

«فأحفها» أي: إستقصها.

«السؤال واستخبرها الحال» في (صفين نصر) بعد ذكر سبق معاوية إلى ماء صفين ومنعه عسكره عليه السلام عن الماء ـ فقال له عمرو بن العاص: خلّ بينهم وبين الماء فإنّ علياً لم يكن ليظمأ وأنت ريّان، وفي يده أعنّة الخيل. ـ إلى أن قال ـ: وأنت تعلم أنّه الشجاع المطرق، ومعه أهل العراق وأهل الحجاز، وقد سمعته أنا وأنت وهو يقول: لو استمكنت من أربعين رجلاً ـ فذكر أمراً ـ يعني: لو أنّ معي أربعين رجلاً يوم فتّش البيت ـ يعني بيت فاطمة...[٣].

وفي (الإرشاد): وأصبحت فاطمة عليها السلام بعد قبض النبيّ صلى الله عليه وآله تنادي: واسوء صباحاه. فسمعها أبو بكر فقال لها: إنّ صباحك لصباح سوء[٤].

وفي (المروج): كان عروة بن الزبير يعذر أخاه إذا جرى ذكر بني هاشم وحصره إيّاهم في الشعب وجمعه لهم الحطب لتحريقهم، ويقول: إنّما أراد بذلك إرهابهم ليدخلوا في طاعته كما أرهب بنو هاشم وجمع لهم الحطب

(١) يونس: ٣٥.

(٢) السقيفة للجوهري: ١١٧.

(٣) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١٣.

(٤) الإرشاد للمفيد: ١٠٠.

لاحراقهم إذ هم أبو البيعة في ما سلف [١].

وفي (خلفاء ابن قتيبة) ـ في كيفيّة بيعة أمير المؤمنين عليه السلام ـ تفقّد أبو بكر قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليّ عليه السلام فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم، وهم في دار عليّ عليه السلام فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والّذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها. فقيل له: إنّ فيها فاطمة. فقال: وإن. فخرجوا فبايعوا إلّا عليّاً فإنّه زعم أنّه قال: حلفت ألّا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتّى أجمع القرآن. فوقفت فاطمة على بابها فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم؛ تركتم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا، ولم تردّوا لنا حقّاً.

فأتى عمر أبا بكر. فقال له : ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة. فقال أبو بكر لقنفذ ـ مولى له ـ أُدع لي عليّاً. فذهب إليه فقال له: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله. فقال عليّ عليه السلام : لسريع ما كذبتم على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. فرجع فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً. فقال له عمر ثانية: لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة. فقال أبو بكر لقنفذ: عد إليه فقل له أمير المؤمنين يدعوك لتبايع. فجاءه قنفذ فأدّى ما أمر به. فرفع عليّ عليه السلام صوته. فقال: سبحان الله! لقد ادّعى ما ليس له. فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة. فبكى أبو بكر طويلاً، ثمّ قام عمر فمشى مع جماعة حتّى أتوا باب فاطمة فدقّوا الباب. فلمّا سمعت أصواتهم قالت:

«يا أبه يا رسول الله! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب ومن ابن أبي قحافة» فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تنصدع وأكبادهم تتفطر، وبقي عمر ومعه قوم. فأخرجوا عليّاً عليه السلام فمضوا به

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٧٧.

إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع. فقال: إن أنا لم أفعل فمه. قالوا: إذن والله الّذي لا إله إلّا هو نضرب عنقك. قال: إذن تقتلون عبد الله وأخا رسول الله. قال عمر: أمّا عبد الله فنعم، وأمّا أخو رسوله فلا ـ وأبو بكر ساكت لا يتكلّم ـ فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك. فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه. فلحق عليّ عليه السلام بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصيح ويبكي وينادي: «يا ابن أمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني».

فقال عمر لأبي بكر: إنطلق بنا إلى فاطمة فإنّا قد أغضبناها. فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا عليّاً فكلّماه فأدخلهما عليها، فلمّا قعدا عندها؛ حوّلت وجهها إلى الحائط. فسلّما عليها فلم ترد عليهما السلام. فتكلّم أبو بكر. فقال: يا حبيبة رسول الله! والله إنّ قرابة رسوله أحبّ إليّ من قرابتي، إنّك لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنّي متّ ولا أبقى بعده. أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقّك وميراثك من الرسول إلّا أنّي سمعت أباك يقول: لا نورث، ما تركناه صدقة. فقالت: أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن الرسول تعرفانه وتفرّان به؟ قال: نعم.

فقالت: نشدتكما الله! ألم تسمعا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي؟

فمن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟

قالا: نعم سمعناه من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

قالت: فإنّي أُشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، و لئن لقيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأشكونّكما إليه. فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثم انتحب أبو بكر يبكي حتّى كادت نفسه أن تزهق، وهي

تقول: والله لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاة أُصلّيها[١].

وروى الجوهري عن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن أنّ داود بن المبارك سأله عن أبي بكر وعمر. فقال: أُجيبك بما أجاب به جدّي عبد الله فانّه سئل عنهما فقال: «كانت أُمّنا فاطمة صدّيقة ابنة نبيّ مرسل، وماتت وهي غضبى على قوم، فنحن غضاب لغضبها»[٢] وأخذ ذلك بعض العلويّين مخاطباً عمر فقال:

يا أبا حفصٍ الهوينا وما كنت بذاك لولا الحمام
أتموت البتول غضبى ونرضى ما كذا يصنع البنون الكرام

وقال النظام شيخ الجاحظ ـ كما في (ملل الشهرستاني) ـ إنّ عمر ضرب بطن فاطمة عليها السلام يوم البيعة حتّى ألقت الجنين من بطنها وكان يصيح: أحرقوها بمن فيها، وما كان في الدار غير عليّ وفاطمة والحسن والحسين[٣].

وقال أبو جعفر النقيب ـ قال ابن أبي الحديد ولم يكن إماميا ـ إذا كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أباح دم هبار بن الأسود لمّا كان روّع زينب بنت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا أرادت الهجرة حتّى أسقطت فألقت ذا بطنها. فظاهر الحال أنّه لو كان حيّاً لأباح دم من روّع فاطمة حتّى ألقت ذا بطنها[٤].

وفي (تاريخ الطبري): أتى عمر منزل عليّ عليه السلام فقال: والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة. فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف فعثر فسقط السيف من يده. فوثبوا عليه فأخذوه[٥].

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٢ ـ ١٤، والنقل بتصرف يسير.

(٢) السقفية للجوهري: ٧٢ و ١١٦.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١: ٥٩.

(٤) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٣٥٩، شرح الكتاب ٩، والنقل بالمعنى.

(٥) تاريخ الطبري ٢: ٤٤٣، لسنة ١١.

وفي (غرر ابن خنزابه): قال زيد بن أسلم: كنت ممّن حمل الحطب مع عمر إلى باب فاطمة حين امتنع عليّ وأصحابه عن البيعة أن يبايعوا. فقال عمر لفاطمة: أخرجي من في البيت وإلّا أحرقته ومن فيه ـ وفي البيت عليّ والحسن والحسين وجماعة من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ[١].

وروى الواقدي: أنّ عمر جاء إلى عليّ عليه السلام في عصابة فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن سلامة الأشهلي. فقال: أُخرجوا أو لنحرقنّها عليكم[٢].

وفي (عقد ابن عبد ربه): قعد عليّ عليه السلام والعبّاس في بيت فاطمة حتّى بعث أبو بكر إليهما عمر ليخرجهما من بيت فاطمة وقال له: إن أبيا فقاتلهما. فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهما البيت. فلقيته فاطمة. فقالت لعمر: جئت لتحرق دارنا؟ قال: نعم[٣].

وروى الجوهري في (سقيفته): أنّ عمر جاء إلى بيت فاطمة في رجال من الأنصار، ونفر قليل من المهاجرين. فقال: والّذي نفسي بيده لتخرجنّ إلى البيعة أو لأُحرقنّ عليكم البيت[٤].

وعن الشعبي: انّه لمّا رأت فاطمة ما صنع عمر صرخت وولولت، واجتمع معها نساء كثير من الهاشميّات وغيرهنّ. فخرجت إلى باب حجرتها، ونادت ياأبا بكر! ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله[٥].

وفي (أنساب البلاذري): عن أبي عون أنّ أبا بكر أرسل إلى عليّ عليه السلام يريد البيعة. فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة، فتلقّته فاطمة على الباب فقالت: يا

---

(١) رواه عنه ابن طاووس في الطرائف ١: ٢٣٩ ح ٣٤٤.

(٢) رواه عنه ابن طاووس في الطرائف ١: ٢٣٨ ح ٣٤٣.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ٥: ١٢، والنقل بتصرف يسير.

(٤) السقيفة للجوهري: ٥٠.

(٥) السقيفة للجوهري: ٧٢.

آبن الخطاب! أتراك محرقاً عليّ بابي؟ قال: نعم. وذلك أقوى في ماجاء به أبوك...[1].

وروى الجوهري في (سقيفته) عن الليث، عن رجال، قال أبو بكر: «ليتني لم أكشف بيت فاطمة، ولو أعلن على الحرب»، وروى مثله المبرد، وابن عبد ربه والمسعودي[2].

وفي (إثبات المسعودي): هجموا عليه؛ (أي على عليّ عليه السلام) وأحرقوا بابه، واستخرجوه منه كرهاً، وضغطوا سيّدة النساء بالباب حتّى أسقطت محسناً[3].

وفي (تاريخ اليعقوبي): دخلت نساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ونساء قريش على فاطمة عليها السلام في مرضها. فقلن: كيف أنت؟ قالت: أجدني كارهة لدنياكن. مسرورة بفراقكن. ألقى الله ورسوله بحسرات منكنّ. فما حُفظ لي الحقّ، ولا رُعيت منّي الذّمة، ولا قُبلت الوصيّة، ولا عُرفت الحرمة[4].

«هذا ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر» في (تذكرة سبط ابن الجوزي): قال الشعبي: لمّا منعت فاطمة ميراثها لاثت خمارها على رأسها وحمدت الله تعالىٰ وأثنت عليه ووصفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأوصاف. فكان ممّا قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلّما فغرت فاغرة من المشركين فاها، أو نجم قرن من الشياطين وطئ صراخه بأخمصه، وأخمد لهيبه بسيفه، وكسر قرنه بعزمته حتى إذا اختار الله له دار أنبيائه ومقرّ أصفيائه وأحبائه، أطلعت الدنيا رأسها

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ١: ٥٨٦ ح ١١٨٤.

(٢) رواه الجوهري في السقيفة: ٧٣ و ٤٠. وابن عبد ربه في العقد الفريد ٥: ١٩. والمسعودي في المروج ٢: ٣٠١. لكن روى المبرد في الكامل ١ ص ٥٤. صدر الحديث فقط .

(٣) اثبات الوصية للمسعودي : ١٢٤.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ١١٥، والنقل بتصرف يسير.

إليكم فوجدتكم لها مستجيبين، ولغرورها ملاحظين. هذا والعهد قريب، والجرح لم يندمل فأنّى تكونون كذا وكتاب الله بين أظهركم...»[١].

وقال الكراجكي: فمن عجيب الأمور وطريفها أن تخرج فاطمة سيّدة نساء العالمين ابنة خاتم النبيّين تندب أباها وتستغيث بأُمّته ومن هداهم إلى شريعته في منع أبي بكر من ظلمها. فلا يساعدها أحد، ولا يتكلّم معها بشر، مع قرب العهد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومع ما يدخل القلوب من الرقة في مثل هذا الفعل إذا ورد من مثلها، حتّى تحمل الناس أنفسهم على الظلم فضلاً عن غيره. ثمّ تخرج عائشة بنت أبي بكر إلى البصرة تحرّض الناس على قتال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقتال من معه من خيار الناس، ساعية في سفك دمه ودماء أولاده وأهله وشيعته، فتجيبها عشرة اُلوف من الناس، ويقاتلون أمامها إلى أن هلك أكثرهم بين يديها. إنّ هذا لمن الأمر العجيب[٢].

وقوله عليه السلام في رواية (الكافي) و(الأمالي): «واختلست الزهراء»[٣] وقوله عليه السلام: «فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلاً وستقول: ﴿ويحكم الله وهو خير الحاكمين﴾» يدلّ على أنّها ماتت شهيدة. وقال في ذلك أبو بكر بن أبي قريعة البغدادي:

يا من يسائل دائباً	عن كلّ معضلة سخيفه
لا تكشفنّ مغطّىً	فلربّما كشّفت جيفه
إنّ الجواب لحاضر	لكنّني اُخفيه خيفه
لولا اعتداء رعية	ألقى سياستها الخليفه

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٣١٧، والنقل بتلخيص.

(٢) التعجب للكراجكي: ٥٢.

(٣) كذا في أمالي المفيد: ٢٨٢. ولفظ الكافي ١: ٤٥٩ «اخلست».

وسـيوف أعـداء بـها	هـاماتنا أبـداً نـقيفه
لنشـرت مـن أسـرار آ	ل مـحمّد جـملاً لطـيفه
تـغنيكم عـمّا روا	ه مـالك وأبـو حـنيفه
وأُريكـم أنّ الحسـين	أُصيب فـي يـوم السـقيفه
ولأيّ حـال اُلحـدت	بـالليل فـاطمة الشـريفه
ولمـا حـمت شـيخيكم	عن وطئ حجرتها المنيفه
أُوه لبـنت مـحمّد	مـاتت بـغصّتها أسـيفه

قوله عليه السلام في تلك الرواية «فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً» قال البلاذري في (تاريخه): إنّ فاطمة عليها السلام لم تُر متبسّمة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يعلم أبو بكر وعمر بموتها[1].

وفي (الاستيعاب): أنّ فاطمة عليها السلام قالت لأسماء بنت عميس: إذا أنا متُّ فاغسليني أنت وعليّ عليه السلام، ولا تُدخلي عليّ أحداً. فلمّا توفّيت جاءت عائشة تدخل. فقالت أسماء: لا تدخلي فشكت إلى أبي بكر. فقالت إنّ هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها أبو بكر: يا أسماء! ما حملك على أن منعت أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقالت: هي أمرتني ألّا يدخل عليها أحد[2].

وفي (التنبيه والاشراف للمسعودي): تولّى غسل فاطمة أمير المؤمنين عليه السلام ودفنها ليلاً، ولم يُؤذن بها أبو بكر، وكانت مهاجرة له منذ طالبته بإرثها من أبيها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من فدك وغيرها إلى أن ماتت[3].

ولكون دفنها سرّاً اختلف في مدفنها. فقال المفيد في (مقنعته): إنّها في

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ١: ٤٠٥.

(٢) الاستيعاب ٤: ٣٧٩.

(٣) التنبيه والاشراف: ٢٥٠، والنقل بتصرف يسير.

الروضة أستناداً إلى مرسل آبن أبي عمير، عن الصادق عليه السلام قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «مابين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة، ومنبري على ترعة من ترع الجنّة» لأنّ قبر فاطمة عليها السلام بين قبره ومنبره، وقبرها روضة من رياض الجنّة وترعة من ترع الجنّة ـ ورواه (دلائل الطبري) في خبر[١].

وروى الكليني في (كافيه): أنّ الرضا عليه السلام سئل عن قبرها. فقال دفنت في بيتها. فلمّا زادت بنو أُميّة في المسجد صارت في المسجد، وآختاره الصدوق في (فقيهه)[٢].

وقال الشيخ في (تهذيبه): إنّ رواية الروضة والبيت كالمتقاربتين، وأمّا من قال إنّها دفنت في البقيع فبعيد عن الصواب[٣].

وفي (قرب الإسناد): سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن مدفن فاطمة عليها السلام ـ وعيسى بن موسى حاضر ـ فقال له عيسى: بالبقيع. فقال عليه السلام: دفنت في بيتها[٤].

وفي (الإقبال): سئل الهادي عليه السلام أهي في طيبة أو كما يقول الناس في البقيع؟ فقال عليه السلام: هي مع جدّي صلى الله عليه وآله وسلم[٥].

قوله عليه السلام في تلك الرواية: «وتهضم حقّها» ومن كتاب معاوية إليه عليه السلام المشهور «وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار ويداك في يدي آبنيك الحسن والحسين يوم بويع أبو بكر. فلم تدع أحداً من أهل بدر

---

(١) قاله المفيد في المقنعة: ٧١ وحديث ابن أبي عمير أخرجه الصدوق في معاني الأخبار: ٢٦٧ ح ١. والحديث الآخر أخرجه الطبري في دلائل الإمامة: ٤٦.

(٢) الكافي للكليني ١: ٤٦١ ح ٩. والفقيه ٢: ٣٤١.

(٣) التهذيب ٦: ٩.

(٤) قرب الاسناد: ١٦١.

(٥) رواه عنه النوري في المستدرك ٢: ١٩٤ ح ١.

والسوابق إلّا دعوتهم إلى نفسك، ومشيت إليهم بامرأتك، وأدليت إليهم بابنيك، واستنصرتهم على صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فلم يجبك منهم إلّا أربعة أو خمسة، ولعمري لو كنت محقّاً لأجابوك، ولكنّك ادّعيت باطلاً، وقلت ما لا يعرف، ورمت مالا يدرك[١].

وفي كتاب المنصور إلى محمّد بن عبد الله الحسني: ولقد طلب بها أبوك بكلّ وجه فاخرجها تخاصم، ومرّضها سرّاً، ودفنها ليلاً فأبى الناس إلّا تقديم الشيخين[٢].

وفي كتاب (خراج أبي يوسف): انّ نجدة بن عامر كتب إلى ابن عباس يسأله عن سهم ذوي القربىٰ لمن هو؟ فكتب إليه ابن عبّاس أنّ عمر دعانا إلى أن ننكح من سهم ذي القربى أيّمنا، ونخدم منه عائلنا، فأبينا إلّا أن يسلّمه لنا وأبى ذلك علينا[٣].

وفي (سقيفة الجوهري) مسنداً عن أنس بن مالك: أنّ فاطمة عليها السلام أتت أبا بكر فقالت: لقد علمت الّذي ظلمتنا أهل البيت ـ ثم قرأت عليه ﴿واعلموا أنّ ما غنتم من شيء فأنّ لله خمسه وللرسول ولذي القربىٰ...﴾[٤] فقال لها: وأنا أقرأ من كتاب الله الّذي تقرئين منه، ولم يبلغ علمي منه أنّ هذا السهم من الخمس مسلّم إليكم كاملاً. قالت: أفلك هو ولأقربائك؟ قال: لا، بل أنفق عليكم منه، وأصرف الباقي في مصالح المسلمين.

قالت فاطمة: ليس هذا حكم الله تعالىٰ.

قال أبو بكر: هذا حكم الله ـ إلى أن قال ـ فانصرفت إلى عمر فقالت له مثل

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ١٣١، شرح الخطبة ٢٦.

(٢) رواه المبرد في الكامل ٨: ٢٨٣. والطبري في تاريخه ٦: ١٩٨ لسنة ١٤٥.

(٣) الخراج: ٢٠. والنقل بتصرف يسير.

(٤) الانفال: ٤١.

ما قالت لأبي بكر.

فقال عمر لها مثل ما قاله لها أبو بكر، فعجبت فاطمة عليها السلام من ذلك وظنت أنّهما كانا تذاكرا ذلك واجتمعا عليه[١].

قوله عليه السلام في تلك الرواية «وتمنع إرثها» في (عيون المفيد): مرّ فضال بن الحسن بن فضال الكوفي بأبي حنيفة ـ وهو في جمع كثير يملي عليهم شيئاً من فقهه وحديثه ـ. فقال لصاحب له كان معه: والله لا أبرح أو أخجل أبا حنيفة. فقال له صاحبه: إنّ أبا حنيفة من علمت! فقال: مه. هل رأيت حجّة كافر غلبت على مؤمن؟! ثمّ دنا منه فسلّم عليه ثمّ قال له: إنّ أخاً لي يقول خير الناس بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عليّ عليه السلام وأنا أقول أبو بكر وعمر. فما تقول أنت؟

فقال: أما علمت أنّهما ضجيعاه في قبره. فأيّ حجّة أوضح من هذا؟

فقال فضال: قلت ذلك لأخي. فقال: إن كان الموضع للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما فيه حق، وإن كان لهما ووهباه له فقد أساءا في رجوعهما في هبتهما.

فقال: لم يكن لهما ولكنّهما استحقّا الدفن بحقوق ابنتيهما.

فقال فضال: قلت ذلك لأخي. فقال لي: أما علمت أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أعطى حقوق نسائه في حياته بأمر من الله سبحانه حيث يقول ﴿إنّا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أُجورهنّ﴾[٢].

فقال: نعم. ولكنهما استحقتا ذلك بميراثهما من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال فضال: قلت له ذلك. فقال: أنت تعلم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مات عن تسع نساء ولكلّ واحدة منهنّ تسع الثمن وهو شبر في شبر. فكيف يستحقّ

---

(١) السقيفة: ١١٤، والنقل بتلخيص.

(٢) الاحزاب: ٥٠.

الرجلان أكثر من ذلك، وبعد فما بال عائشة وحفصة ترثان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة بنته تمنع الميراث.

فقال أبو حنيفة: نحّوه عنّي فإنّه رافضي[١].

وروى الجوهري مسنداً عن أبي صالح مولى أمّ هاني قال: دخلت فاطمة على أبي بكر بعدما استخلف. فسألته عن ميراثها من أبيها فمنعها. فقالت له: لئن متّ اليوم من كان يرثك؟ قال: ولدي وأهلي. قالت: فلم ورثت أنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دون ولده وأهله. قال: فما فعلت يا بنت رسول الله. قالت: بلى إنّك عمدت إلى فدك ـ وكانت صافية للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فأخذتها، وعمدت إلى ما أنزل الله من السماء فرفعته عنّا. فقال: يا بنت رسول الله لم أفعل، حدّثني النبيّ أنّ الله تعالى يطعم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الطعمة ما كان حيّاً. فإذا قبضه الله إليه رفعت. فقالت: أنت ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعلم، ما أنا بسائلتك بعد مجلسي. ثم انصرفت[٢].

قوله عليه السلام في تلك الرواية: «ولولا غلبة المستولين لجعلت المقام و اللبث لزاماً معكوفاً، ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزيّة». روى الجوهري مسنداً عن زينب بنت عليّ عليها السلام وعن محمّد بن عليّ عليهما السلام أنّ أبا بكر لمّا سمع خطبة فاطمة عليها السلام شقّ عليه مقالتها. فصعد المنبر فقال: أيّها الناس! ما هذه الرعة إلى كلّ قالة؟! أين كانت هذه الأماني في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ألّا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلّم! إنّما هو ثعالة شهيده ذنبه، مربٌّ لكلّ فتنة، هو الّذي يقول: كرّوها جذعة بعدما هرمت يستعينون بالضعفة، ويستنصرون بالنساء كأمّ طحال أحبّ أهلها إليها البغي. ألا إنّي لو أشاء أن أقول لقلت، ولو قلت لبحت، إنّي ساكت ما تُركت. ثم التفت إلى الأنصار فقال: قد بلغني يا معشر

---

(١) رواه عن عيون الأخبار للمفيد، المرتضى في الفصول المختارة ١: ٤٤، والنقل بتصرف يسير.

(٢) السقيفة: ١١٦.

الأنصار مقالة سفهائكم، وأحقّ من لزم عهد النبيّ ﷺ أنتم. فقد جاءكم فآويتم ونصرتم. ألا إنّي لست باسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحقّ ذلك منّا. ثم نزل فانصرفت فاطمة إلى منزلها(١).

قال ابن أبي الحديد بعد نقل الخبر: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى البصري، وقلت له : بمن يعرّض ؟ قال: بل يصرّح. قلت : لو صرّح لم أسألك. فضحك وقال: بعليّ بن أبي طالب عليه السلام قلت: هذا الكلام كلّه لعليّ عليه السلام يقوله؟ قال: نعم إنّه الملك يا بنيّ. قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بذكر عليّ عليه السلام فخاف من اضطراب الأمر عليهم. فنهاهم. وقال النقيب: أمّ طحال: إمرأة بغي في الجاهلية ويضرب بها المثل. فيقال : أزنى من أمّ طحال(٢).

قلت: يتعجّب ابن أبي الحديد من أن يقول صدّيقهم لأمير المؤمنين عليه السلام ما مرّ، ولكن لا عجب بعد قول صاحبه فاروقهم للنبيّ نفسه ﷺ إنّ الرجل ليهجر لا تجيئوه بدواة وصيحفة يكتب لكم وصيّة.

«والسَّلام عليكما سلام مودِّعٍ لا قالٍ» بالجر من القِلىٰ بمعنى البغض.

«ولا سئم» من سئم منه إذا مَلَّهُ.

«فإن أنصرف فلا عن ملالة» من مللت بالكسر.

«وإن أُقِمْ فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين» في قوله تعالىٰ: ﴿وبشر الصابرين * الّذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون * أُولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وأُولئك هم المهتدون﴾(٣).

---

(١) السقيفة: ١٠٢.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٨٠، شرح الكتاب ٤٥.

(٣) البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧.

٣٣
من الكتاب (٤٥)

بَلَىٰ كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَنِعْمَ ٱلْحَكَمُ ٱللهُ . وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيْرِ فَدَكٍ، وَٱلنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ . جَدَثٌ تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا، وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا، لَأَضْغَطَهَا ٱلْحَجَرُ وَٱلْمَدَرُ، وَسَدَّ فُرَجَهَا ٱلتُّرَابُ ٱلْمُتَرَاكِمُ،

«**بلى كانت في أيدينا فدك**» في (البلدان) قال ابن دريد: فدّكْتُ القطن تفديكاً إذا نفشته[1].

قلت: إنّما في (جمهرته): فدكت القطن إذا نفشته لغة ازدية. ومثله في (الصحاح) نعم في (القاموس): تفديك القطن نفشه[2]. فالظاهر سقوط التشديد من النساخ في (الجمهرة والصحاح).

وروى (سنن أبي داود) عن الزهري وغيره قالوا: بقيت بقيّة من أهل خيبر تحصّنوا. فسألوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يحقن دماءهم ويسيّرهم ففعل. فسمع بذلك أهل فدك فنزلوا على مثل ذلك. فكانت للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خاصّة لأنّه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب[3].

وفي (سيرة ابن هشام): قال ابن إسحاق: فلمّا فرغ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر. فبعثوا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يصالحونه على النصف من فدك. فقدمت عليه

(١) معجم البلدان ٤: ٢٣٨.

(٢) جمهرة اللغة ٢: ٢٩٠، وصحاح اللغة ٤: ١٦٠٢، مادة: (فدك). والقاموس ٣: ٣١٥، مادة (فدك).

(٣) سنن أبي داود ٣: ١٦١ ح ٣١٦.

رسلهم بخيبر أو بالطائف أو بعدما قدم المدينة. فقبل ذلك منهم. فكانت فدك للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خالصة لأنّه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب [١].

وفي (البلدان): فدك قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في سنة سبع صلحاً، وذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا نزل خيبر وفتح حصونها ولم يبق إلّا ثلث، واشتدّ بهم الحصار؛ راسلوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يسألونه أن ينزلهم على الجلاء ففعل، وبلغ ذلك أهل فدك فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم. فأجابهم إلى ذلك. فهي ممّا لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فكانت خالصة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم [٢].

قلت: ما قاله من أنّ بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة غير معلوم. ففي (طبقات ابن سعد) ـ في عنوان سرية عليّ عليه السلام إلى بني سعد ـ «وبين فدك والمدينة ستّ ليال» [٣].

(فيه أيضاً) ـ في عنوان «أجأ» أحد جبلي طي ـ ذكر العلماء بأخبار العرب أنّ أجأ سمّي باسم رجل وسمّي سلمى باسم امرأة، وكان من خبرهما أنّ رجلاً من العماليق يُقال له: أجأ بن عبد الحي عشق امرأة من قومه يُقال لها: سلمى، وكانت لها حاضنة يُقال لها العوجاء، وكانا يجتمعان في منزلها حتّى نذر بهما إخوة سلمى، هم الغميم والمضل وفدك وفائد والحدثان، وزوجها، فخافت سلمى وهربت هي وأجأ والعوجاء وتبعهم زوجها وإخوتها فلحقوا سلمى على الجبل المسمّى سلمى. فقتلوها هناك. فسمّي الجبل باسمها،

---

(١) سيرة ابن هشام ٣: ٢٢٨.

(٢) معجم البلدان ٤: ٢٣٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٢ ق١: ٦٥.

ولحقو العوجاء على هضبة بين الجبلين. فقتلوها هناك. فسمّي المكان بها، ولحقوا أجأ بالجبل المسمّى بأجاء. فقتلوه فيه. فسمّى به، وأنفوا أن يرجعوا إلى قومهم. فسار كلّ واحد إلى مكان فأقام به فسُمّي ذلك المكان باسمه[١].

وفي عنوان «فدك» وقال الزجّاجي: سمّيت بفدك بن حام وكان أوّل من نزلها، وقيل غير ذلك[٢].

«من كلّ ما أظلّته السماء» كناية حسنة عن جميع الأشياء فإنّ الأشياء كلّها تحت ظلّ السماء.

«فشحّت عليها نفوس قوم» أي: بخلت، والمراد: أبو بكر وعمر وأتباعهما.

ووجه شحّهم مارواه المفضل عن الصادق عليه السلام أنّ أبا بكر لمّا وَلِيَ قال له عمر: إنّ الناس عبيد هذه الدنيا لا يريدون غيرها فامنع عن عليّ وأهل بيته الخمس والفيء وفدكاً. فإنّ شيعته إذا علموا ذلك تركوا عليّاً وأقبلوا إليك رغبة في الدنيا ومحاماة عليها. ففعل أبو بكر ذلك وصرف عنهم جميع ذلك...[٣].

وكذلك كان باقي الخلفاء مع أئمّة زمانهم. روى (العيون) عن المأمون أنّه قال: أتدرون من علّمني التشيع؟ قالوا: لا. قال : علّمنيه الرشيد. قالوا: كيف والرشيد كان يقتل أهل هذا البيت؟ قال: كان يقتلهم على الملك، والملك عقيم -إلى أن قال بعد ذكره دخول الكاظم عليه السلام على أبيه وتعظيمه له في الغاية- فقلت لأبي: من هذا الرجل الّذي قد أعظمته وأكرمته، وقمت له من مجلسك واستقبلته وأقعدته في صدر المجلس وجلست دونه، وأمرتنا بأخذ الركاب له.

---

(١) معجم البلدان ١: ٩٤.

(٢) معجم البلدان ٤: ٢٤٠.

(٣) رواه المجلسي في فتن البحار: ١٠١.

فقال: هذا إمام الناس وحجّة الله على خلقه، وخليفته على عباده. فقلت له: أوليس هذه الصفات كلّها لك وفيك؟ فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر بالغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حق، والله يا بُنيَّ إنّه لأحق بمقام النبيّ ﷺ منّي ومن الخلق جميعاً، ووالله لو نازعتني في هذا الأمر لأخذت الّذي فيه عيناك. فالملك عقيم. فلمّا أراد موسى بن جعفر عليه السلام الرحيل أمر بصرّة سوداء فيها مئتا دينار، وقال للفضل بن الربيع: إذهب بهذه الى موسى بن جعفر وقل له: يقول لك الخليفة نحن في ضيقة وسيأتيك برّنا.

قال المأمون: فقلت لأبي: تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش وبني هاشم ومن لا تعرف حسبه ونسبه خمسة آلاف دينار وما دونها، وتعطي موسى بن جعفر ـ وقد أعظمته وأجللته ـ مئتي دينار.

قال: أسكت لا أُمّ لك! فإنّي لو أعطيت هذا، ماكنت أمنته أن يضرب وجهي غداً بمئة ألف سيف من شيعته، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم...[1].

والعمل مع الخصم بالاستيصال والمنع من صيرورته صاحب مال أكبر سياسة، وقد استعملها المتوكّل فمنع الناس من برّ آل أبي طالب حتّى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلّين فيه واحدة بعد واحدة ثمّ يرفعنه ويجلسن على مغازلهن عواري حواسر إلى أن قتل المتوكّل.

وفي السير: أنّ القاسم بن محمّد بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمي الملقّب أبا بعرة وَلِيَ شرطة الكوفة لعيسى بن موسى العبّاسي. فكلّم يوماً اسماعيل بن جعفر الصادق ﷺ بكلام خرجا فيه إلى المنافرة. فقال القاسم: لم يزل فضلنا وإحساننا سابغاً عليكم يا بني هاشم وعلى بني عبد

(١) عيون الأخبار للصدوق ١: ٧٢ ح ١١، والنقل بتلخيص.

مناف كافة. فقال له إسماعيل: أيّ فضل أسديتموه إليهم؟ أغضب أبوك -يعني طلحة - جدّي - يعني النبيّ ﷺ - بقوله : ليموتن محمّد، ولنجولنّ بين خلاخيل نسائه كما جال بين خلاخيل نسائنا. فأنزل الله تعالى مراغمة لأبيك: ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا﴾[1] ومنع ابن عمّك -يعني أبا بكر- أمّي -يعني فاطمة عليها السلام- حقّها من فدك وغيرها من ميراث أبيها...[2].

وقال ابن أبي الحديد: سألت علي بن الفارقي مدرّس المدرسة الغربية ببغداد. فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم.

قلت: فَلِمَ لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة؟ فتبسّم ثمّ قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته وقلّة دعابته. قال: لو أعطاها اليوم فدك بمجرّد دعواها لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء لأنّه يكون قد أسجل على نفسه بأنّها صادقة في ما تدّعي كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيّنة ولا شهود[3].

وهذا كلام صحيح وإن كان أخرجه مخرج الدعابة والهزل.

وفي تعجب الكراجكي من العجب أن تأتي فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر تطالبه بفدك وتذكر أنّ أباها نحلها إيّاها فيكذّب قولها ويقول لها: هذه دعوى لا بيّنة لها. هذا مع إجماع الأُمّة على طهارتها وعدالتها. فتقول له فاطمة: إن لم يثبت عندك أنّها نحلة فأنا أستحقها ميراثاً. فيدّعي أبو بكر أنّه سمع النبيّ

---

(١) الاحزاب: ٥٣.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٨١، شرح الخطبة ١٧٠. والنقل بتصرف يسير.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ١٠٥، شرح الكتاب ٤٥.

يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث وما تركناه صدقة» ويلزمها تصديقه في ما ٱدّعاه من هذا الخبر مع ٱختلاف الناس في طهارته وصدقه وعدالته، وهو في ما ٱدّعاه خصم لأنّه يريد أن يمنعها حقّاً جعله الله لها.

ومن العجيب أن يقول لها أبو بكر مع علمه بعظم خطرها في الشرف، وطهارتها من كلّ دنس، وكونها في مرتبة من لا يتّهم، ومنزلة من لا يجوز عليه الكذب: إيتيني بأحمر أو أسود يشهد لك بها، فأحضرت أمير المؤمنين عليه السلام وأُمّ أيمن. فزعم أنّه لا تقبل شهادة الزوج لزوجته مع اجماع المخالف والمؤالف على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ. اللّهمّ أدر الحقّ معه حيثما دار» ـ إلى أن قال ـ ثم لم تمض الأيّام حتّى أتاه مال من البحرين. فلمّا ترك بين يديه تقدّم إليه جابر الأنصاري فقال له: قال لي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : إذا أتى مال البحرين حثوت لك ثمّ حثوت لك ثلاثاً. فقال له: تقدّم فخذ بعددها وأخذ ثلاث حفنات من أموال المسلمين بمجرّد الدعوى من غير بيّنة ولا شهادة، ويكون أبو بكر عندهم مصيباً في الحالين. إنّ هذا مستطرف بديع!

قال: ومن عجيب أمرهم أنّ ردّ أبي بكر لشهادة أمير المؤمنين عليه السلام لكونه بعلها يجرّ إلى نفسه، ثمّ يقبلون قول سعيد بن زيد بن نفيل في ما رواه وحده من أنّ أبا بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعداً وسعيداً وعبد الرحمن بن عوف وأبا عبيدة من أهل الجنّة، ويصدّقونه في هذه الدعوىٰ، ويحتجّون بقوله مع علمهم بأنّه أحد من ذكره وله حظّ في ما شهد به، ولا يردّون بذلك قوله ولا يبطلون خبره.

قال: ومن العجب أنّهم يدّعون على فاطمة البتول سيّدة نساء العالمين الّتي أحضرها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم المباهلة، وشهد لها بالجنّة، ونزلت فيها آية التطهير أنّها طلبت من أبي بكر باطلاً والتمست لنفسها محالاً وقالت كذباً،

ويعتذرون في ذلك بأنّها لم تعلم بدين أبيها أنّه لا حقّ لها في ميراثه، ولا نصيب لها من تركته، وجهلت هذا الأصل في الشرع، وعلم أبو بكر أنّ النساء لا يعلمن ما يعلم الرجال، ولا جرت العادة بأن يتفقّهن في الأحكام، ثمّ يدّعون بعد هذا أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «خذوا ثلث دينكم عن عائشة، لا بل خذوا ثلثي دينكم عن عائشة، لا بل خذوا كلّ دينكم عن عائشة» فتحفظ عائشة جميع الدين، وتجهل فاطمة في مسألة واحدة مختصة بها في الدين إنّ هذا لشيء عجيب!

والّذي يكثر العجب أنّ بعلها أمير المؤمنين عليه السلام لم يعلمها ولم يمنعها عن الخروج من منزلها لطلب المحال والكلام بين الناس، بل يعرّضها لالتماس الباطل ويحضر معها ويشهد بما لا يسوغ.

قال: ومن العجب اعترافهم بأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: إنّ الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها، وأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: فاطمة بضعة منّي يؤلمني ما يؤلمها، ومن آذى فاطمة فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله. ثم إنّهم يعلمون ويتّفقون أنّ أبا بكر أغضبها وآلمها ولا يقولون إنّه ظلمها، ويدّعون أنّها طلبت باطلاً. فكيف يصحّ هذا؟ ومتى يتخلّص أبو بكر من أن يكون ظالماً، وقد أغضب من يغضب الله لغضبه، وآلم بضعة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الّتي يتألم لألمها؟

قال: ومن عجائب الأُمور أن تأتي فاطمة بنت النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم تطلب فدك وتظهر أنّها تستحقّها فيكذّب قولها، ولا تصدّق في دعواها، وتُردُّ خائبة إلى بيتها ثم تأتي عائشة بنت أبي بكر تطلب الحجرة الّتي أسكنها أبوها النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وتزعم أنّها تستحقّها. فيصدّق قولها وتقبل دعواها، ولا تطالب ببيّنة عليها وتسلّم هذه الحجرة إليها فتتصرّف فيها وتضرب عند رأس النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بالمعاول حتّى تدفن تيماً وعدياً فيها. ثمّ تمنع الحسن ابن رسول

الله ﷺ بعد موته منها، ومن أن يقرّبوا سريره إليها وتقول: لا تدخلوا بيتي من لا أُحبّه. وإنّما أتوا به ليتبرك بوداع جدّه فصدّته عنه. فعلى أيّ وجه دفعت هذه الحجرة إليها وأمضي حكمها؟ إن كان ذلك لأنّ النبيّ ﷺ نحلها إيّاها؛ فكيف لم تطالب بالبيّنة على صحّة نحلتها كما طولبت بمثل ذلك فاطمة صلوات الله عليها؟ -إلى أن قال- وأيُّ عذر لمن جعل عائشة أزكى من فاطمة عليها السلام وقد نزل القرآن بتزكية فاطمة في آية الطهارة وغيرها، ونزل بذمّ عائشة وصاحبتها، وشدّة تظاهرهما على النبيّ ﷺ وأفصح بذمّهما؟ وإن كانت الحجرة دفعت إليها ميراثاً؛ فكيف آستحقّت هذه الزوجة من ميراثه، ولم تستحقّ آبنته منه[1]؟

وفي (إيضاح الفضل بن شاذان): روى شريك بن عبد الله ـ في حديث رفعه ـ أنّ عائشة وحفصة أتتا عثمان حين نقص أُمّهات المؤمنين ما كان يعطيهنّ عمر فسألتاه أن يعطيهما ما فرض لهما عمر. فقال: لا والله! ما ذاك لكما عندي. فقالتا: فآتنا ميراثنا من النبيّ من حيطانه ـ وكان عثمان متّكئاً ـ فجلس، وكان عليّ بن أبي طالب عليه السلام جالساً عنده. فقال: ستعلم فاطمة ـ صلوات الله عليها ـ أنّي ابن عمّ لها اليوم. ثمّ قال: ألستما اللتين شهدتما عند أبي بكر ولفّقتما معكما أعرابياً يتطهّر ببوله مالك بن الحويرث بن الحدثان فشهدتم أنّ النبيّ ﷺ قال: إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث، ما تركناه صدقة. فإن كنتما شهدتما بحق فقد أجزت شهادتكما على أنفسكما، وإن كنتما شهدتما بباطل فعلى من شهد بالباطل لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

فقالتا له: يا نعثل! والله لقد شبّهك النبيّ ﷺ بنعثل اليهودي. فقال لهما ﴿ضرب الله مثلاً﴾ (أشار إلى ضرب الله تعالى لهما آمرأة نوح وآمرأة لوط في

---

(١) التعجب: ٥٢ ـ ٥٨، والنقل بتصرف يسير، والآيات المشار اليها هي: الأحزاب: ٣٣ والتحريم: ٣ ـ ٤.

قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً للّذين كفروا آمرأة نوح وآمرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل آدخلا النار مع الداخلين﴾[١] فخرجتا من عنده[٢].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): قال عمر لأبي بكر: إنطلق بنا إلى فاطمة فإنّا قد أغضبناها فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة؛ فلم تأذن لهما. فأتيا عليّاً عليه السلام فكلّماه؛ فأدخلهما عليها. فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط. فسلّما عليها فلم تردّ عليهما السلام. فتكلّم أبو بكر. فقال: يا حبيبة الرسول! والله إنّ قرابة الرسول أحبّ إليّ من قرابتي، وإنك لأحبّ إليّ من عائشة آبنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنّي متّ ولا أبقى بعده. أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وأمنعك حقّك وميراثك من رسول الله إلّا أنّي سمعت أباك يقول: لا نورّث ما تركنا فهو صدقة؟ فقالت: أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تعرفانه وتفعلان به. قالا: نعم. فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي فمن أحب فاطمة آبنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني. قالا: نعم. سمعنا من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. قالت: فإنّي أُشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ لأشكونّكما إليه ـ إلى أن قال ـ قالت فاطمة لأبي بكر: والله لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاة أُصلّيها[٣].

قلت: وجواب فاطمة عليها السلام لأبي بكر عن حديثه بسؤالهما عمّا سمعا فيها

---

(١) التحريم: ١٠.

(٢) الايضاح: ١٣٩.

(٣) الامامة والسياسة ١: ١٣.

يدلّ التزاماً على أنّ أبا بكر أفترى الحديث على النبيّ ﷺ، ولولاه لزم تناقض الدين، وكون قول النبيّ ﷺ جزافاً وباطلاً، ولكون دلالة قول النبيّ ﷺ ذاك عقلاً على أفتراء أبي بكر....

قال عمر بن عبد العزيز لمّا قالوا له: هجّنت فعل الشيخين بردّ فدك: إنّ النبيّ ﷺ قال: فاطمة بضعة مني يسخطني ما يسخطها[1].

وقال الجاحظ في (عباسيته) - كما في (شافي المرتضى) وقد نقله ابن أبي الحديد - زعم أُناس أنّ الدليل على صدق خبر أبي بكر وعمر في منع الميراث ترك أصحاب النبيّ ﷺ النكير عليهما. فيقال لهم: إن كان ترك النكير دليلاً على صدقهما يكون ترك النكير على المتظلمين والمحتجين عليهما والمطالبين لهما دليلاً على صدق دعواهم واستحسان مقالتهم، ولا سيما وقد طالت المناجاة، وكثرت المراجعة والملاحاة، وظهرت الشكية واشتدت الموجدة، وقد بلغ من ذلك حتّى أوصت ألّا يصلّي عليها أبو بكر.

ولقد كانت قالت له حين أتته مطالبة بحقّها ومحتجّة لرهطها: من يرثك يا أبا بكر إذا متّ؟ قال: أهلي وولدي. قالت: فما بالنا لا نرث النبيّ ﷺ ؟

فلمّا منعها ميراثها وبخسها حقّها، وأعتلّ عليها وجلح في أمرها، وعاينت التهضم، وأيست من التورّع، ووجدت نشوة الضعف، وقلّة الناصر قالت: والله لأدعونّ الله عليك.

فإن يكن ترك النكير على أبي بكر دليلاً على صواب منعها فإنّ في ترك النكير على فاطمة عليها السلام دليلاً على صواب طلبها، وأدنىٰ ما كان يجب عليهم في ذلك تعريفها ما جهلت، وتذكيرها ما نسيت، وصرفها عن الخطأ، ورفع قدرها عن البذاء وأن تقول هجراً، وتجوّر عادلاً وتقطع واصلاً.

---

(١) تلخيص الشافي للطوسي ٣: ١٣٨، والنقل بتلخيص.

فإذا لم نجدهم أنكروا على الخصمين جميعاً فقد تكافأت الأُمور وٱستوت الأسباب، والرجوع إلى أصل حكم الله في المواريث أولى بنا وبكم، وأوجب علينا وعليكم.

فإن قالوا: كيف تظنّ بأبي بكر ظلم فاطمة عليها السلام والتعدّي عليها، وكلّما ازدادت عليه غلظةً ٱزداد لها ليناً ورقّةً، حيث تقول له: والله لا أُكلّمك أبداً. فيقول: والله لا أهجرك أبداً، ثمّ تقول: والله لأدعونّ الله عليك، فيقول: والله لأدعوَنّ الله لك. ثمّ يحتمل منها هذا الكلام الغليظ، والقول الشديد في دار الخلافة وبحضرة قريش والصحابة مع حاجة الخلافة إلى البهاء والتنزيه، وما يجب لها من الرفعة والهيبة.

ثمّ لم يمنعه ذلك أن قال معتذراً متقرّباً كلام المعظّم لحقّها. المكبر لمقامها والصائن لوجهها والمتحنّن عليها: ما أحد أعزّ عليّ منك فقراً، ولا أحبّ إليّ منك غنىً، ولكنّي سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث. ما تركناه فهو صدقة.

قيل لهم: ليس ذلك بدليل على البراءة من الظلم، والسلامة من الجور، وقد يبلغ من مكر الظالم ودهاء الماكر إذا كان أريباً، وللخصومة معتاداً أن يظهر كلام المظلوم، وذلّة المنتصف، وحدب الوامق، ومقة المحق.

وكيف جعلتم ترك النكير حجّة قاطعة ودلالة واضحة وقد زعمتم أنّ عمر قال على منبره: «متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعة النساء ومتعة الحجّ أنا أنهى عنهما وأُعاقب عليهما» فما وجدتم أحداً أنكر قوله، ولا ٱستشنع مخرج نهيه، ولا خطّأه في معناه، ولا تعجّب منه، ولا ٱستفهمه؟

وكيف تقضون بترك النكير وقد شهد عمر يوم السقيفة وبعد ذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الأئمة من قريش» ثمّ قال في شكاته: «لو كان سالم حيّاً ما تخالجني فيه شكّ» حتّى أظهر الشك في ٱستحقاق كلّ واحد من الستّة الّذين

جعلهم شورى، وسالم عبد لامرأة من الأنصار، وهي أعتقته، وحازت ميراثه، ثمّ لم ينكر ذلك من قوله منكر، ولا تعجّب منه، وإنّما يكون ترك النكير على من لا رغبة ولا رهبة عنده دليلاً على صدق قوله وصواب عمله.

فأمّا ترك النكير على من يملك الضعة والرفعة، والأمر والنهي، والقتل والاستحياء، والحبس والاطلاق، فليس بحجّة تشفي.

قال: وقال آخرون: بل الدليل على صدق قولهما، وصواب عملهما إمساك الصحابة عن خلعهما والخروج عليهما، وهم الّذين وثبوا على عثمان في أيسر من جحد التنزيل، وردّ المنصوص، ولو كان كما يقولون ويصفون، ما كان سبيل الأمّة فيهما إلّا كسبيلهم فيه، وعثمان كان أعزّ نفراً، وأشرف رهطاً، وأكثر عدداً وثروة، وأقوىٰ عدّة.

قلنا: إنّهما لم يجحدا التنزيل، ولم ينكرا المنصوص، ولكنّهما بعد إقرارهما بحكم الميراث وما عليه الظاهر من الشريعة آدّعيا روايةً، وتحدّثا بحديث لم يكن محالاً كونه، ولا ممتنعاً في حجج العقول مجيئه، وشهد لهما عليه مَن علّته مثل علّتهما فيه، ولعلّ بعضهم كان يرى تصديق الرجل إذا كان عدلاً في رهطه مأموناً في ظاهره، ولم يكن قبل ذلك عرفه بفجرة، ولا جرّب عليه غدرة. فيكون تصديقه له على جهة حسن الظن، وتعديل الشاهد، ولأنّه لم يكن كثير منهم يعرف حقائق الحجج، والّذي يقطع بشهادته على المغيب، وكان ذلك شبهة على أكثرهم. فلذلك قلّ النكير وتواكل الناس، وآشتبه الأمر. فصار لا يتخلّص إلى معرفة حقّ ذلك من باطله إلّا العالم المتقدّم، أو المؤيّد المرشد، ولأنّه لم يكن لعثمان في صدور العوام وقلوب السفلة والطغام ما كان لهما من المحبة والهيبة، ولأنّهما كانا أقلّ آستيثاراً بالفيء وتفضّلاً بمال الله منه، ومن شأن الناس إهمال السلطان ما وفّر عليهم أموالهم، ولم يستأثر بخراجهم، ولم يعطّل ثغورهم، ولأنّ الّذي صنع أبو بكر من منع العترة حقّها،

والعمومة ميراثها قد كان موافقاً لجلّة قريش وكبراء العرب، ولأنّ عثمان أيضاً كان مضعوفاً في نفسه مستخفّاً بقدره، لا يمنع ضيماً، ولا يقمع عدوّاً، ولقد وثب ناسٌ عليه بالشتم والقذف والتشنيع والنكير لأُمور لو أتى أضعافها عمر وبلغ أقصاها لما اجترأوا على اغتيابه، فضلاً عن مباداته والإغراء به ومواجهته، كما أغلظ عيينة بن حصين له فقال له: أما إنّه لو كان عمر لقمعك ومنعك. فقال عيينة: إنّ عمر كان خيراً لي منك أرهبني فاتّقاني.

قال: والعجب أنّا وجدنا جميع من خالفنا في الميراث على اختلافهم في التشبيه والقدر والوعيد يردّ كلّ صنف منهم من أحاديث مخالفيه وخصومه ما هو أقرب إسناداً، وأصحّ رجالاً، وأحسن اتّصالاً، حتّى إذا صاروا إلى القول في ميراث النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم نسخوا الكتاب، وخصّوا الخبر العام بما لا يداني بعض ما ردّوه، وأكذبوا قائليه وذلك أنّ كلّ إنسان منهم إنّما يجري إلى هواه، ويصدّق ما وافق رضاه[1].

قلت: ويجاب أيضاً المحتجّون لصدق قول الرجلين بترك الصحابة النكير عليهما ـ سوى ما أجاب به الجاحظ ـ أنّه من أين أنّ الصحابة لم ينكروا عليهما سوى من كان هواه هواهما، كيف وقد روى الجوهري مسنداً عن زينب بنت عليّ عليها السلام وعن محمّد بن عليّ عليهما السلام أنّ أبا بكر لمّا سمع خطبة فاطمة عليها السلام شقّ عليه مقالتها. فصعد المنبر وقال: أيّها الناس! ماهذه الرعة إلى كلّ قالة: أين كانت هذه الأماني في عهد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ ألا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلّم. إنّما هو ثعالة؛ شهيده ذنبه، مربّ لكلّ فتنة، هو الّذي يقول كرّوها جذعة بعدما هرمت ـ إلى أن قال ـ ثمّ التفت (أبو بكر) إلى الأنصار. فقال: قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم ـ إلى أن قال ـ ألا أنّي لستُ باسطاً يداً

---

(١) الشافي للمرتضى: ٢٢٣، وعنه ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٩٨، شرح الكتاب ٤٥، والنقل بتصرف يسير.

ولا لساناً على من لم يستحق ذلك منّا ـ ثمّ نزل...[١].

وفي (فتوح البلدان للبلاذري): ولما كانت سنة (٢١٠) أمر المأمون بدفع فدك إلى ولد فاطمة عليها السلام وكتب إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة: أمّا بعد؛ فإنّ الخليفة بمكانه من دين الله وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقرابة به، أولى من آستنّ سنّته ونفذ أمره، وسلّم لمن منحه منحة وتصدّق عليه بصدقة منحته و صدقته، وبالله توفيق الخليفة وعصمته، وإليه في العمل بما يقرّبه إليه رغبته، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطى فاطمة بنته فدك وتصدّق بها عليها، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا آختلاف فيه بين آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأى الخليفة أن يردّها إلى ورثتها، ويسلّمها إليهم تقرباً إلى الله تعالى بإقامة حقّه وعدله، وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بتنفيذ أمره وصدقته، فأمر بإثبات ذلك في دواوينه، والكتاب به إلى عماله فلأن كان ينادى ـ أي من قبل أبي بكر ـ في كلّ موسم بعد أن قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، أن يذكر كلّ من كانت له صدقة أو هبة أو عدة، ذلك فيقبل قوله وينفذ عدَته، أنّ فاطمة عليها السلام لأولى بأن يصدّق قولها في ما جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها ـ إلى أن قال ـ فاعلم ذلك من رأي الخليفة، وما ألهمه الله من طاعته، ووفّقه له من التقرّب إليه وإلى رسوله...[٢].

وروى الجوهري مسنداً: أنّ المأمون لمّا جلس للمظالم؛ فأوّل رقعة وقعت في يده ونظر فيها بكىٰ وقال للّذي على رأسه: نادِ أين وكيل فاطمة عليها السلام؟ فقام شيخ عليه درّاعة وعمامة وخفّ، فجعل يناظره في فدك والمأمون يحتجّ عليه، وهو يحتجّ على المأمون، ثمّ أمر أن يسجّل لهم بها. فكتب السجل وقرئ عليه فأنفذه. فقام دعبل إلى المأمون. فأنشده الأبيات التي أوّلها:

---

(١) السقيفة: ١٠٢.

(٢) فتوح البلدان: ٤٦، والنقل بتصرف يسير.

أصبح وجه الزمان قد ضحكا   بـرد مأمـون هـاشم فـدكا

فلم تزل في أيديهم حتّى كان في أيّام المتوكّل. فأقطعها عبدالله بن عمر البازيار وكان فيها إحدىٰ عشرة نخلة غرسها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بيده. فكان بنو فاطمة يأخذون ثمرها. فإذا قدم الحاج أهدوا لهم من ذلك التمر فيصلونهم. فيصير إليهم من ذلك مال جليل. فصرم عبد الله بن عمر البازيار ذلك التمر ووجّه رجلاً يُقال له بشران بن أبي اُميّة الثقفي إلى المدينة فصرمه، ثمّ عاد إلى البصرة ففلج. وقد نقله ابن أبي الحديد في موضع آخر[1].

وفي (الطرائف) ذكر صاحب التاريخ المعروف بالعبّاسي: أنّ جماعة من ولد الحسن والحسين عليهما السلام رفعوا قصّة إلى المأمون يذكرون أنّ فدك والعوالي كانت لأمّهم فاطمة عليها السلام، وأنّ أبا بكر أخرج يدها عنها بغير حقّ، وسألوا المأمون إنصافهم وكشف ظلامتهم. فأحضر المأمون مئتي رجل من علماء الحجاز والعراق وغيرهما، وهو يؤكّد في أداء الأمانة واتّباع الصدق، وعرّفهم ما ذكره ورثة فاطمة عليها السلام وسألهم عمّا عندهم من الحديث الصحيح في ذلك. فروى غير واحد منهم من بشر بن الوليد، وبشر بن غياث والواقدي - في أحاديث يرفعونها إلى نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم - أنّه لمّا فتح خيبر اصطفى لنفسه قرىً من قرى اليهود. فنزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية ﴿فآت ذا القربى حقه﴾[2] فقال من ذو القربى؟ فقال: فاطمة، فدفع إليها فدك. ثمّ أعطاها العوالي بعد ذلك فاستغلتها حتّى توفّي أبوها.

فلمّا بويع أبو بكر قال: لا أمنعك ما رفع إليك أبوك فأراد أن يكتب لها كتاباً. فاستوقفه عمر وقال: إنّها امرأة فادّعها بيّنة على ما ادّعت. فأمرها أبو

---

(١) السقيفة للجوهري: ١٠٤. وعنه شرح ابن أبي الحديد ٤: ٨١. شرح الكتاب ٤٥، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الروم: ٣٨.

بكر أن تفعل فجاءت بأُمّ أيمن، وأسماء بنت عميس مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام فشهدوا لها جميعاً بذلك. فكتب لها أبو بكر، فبلغ ذلك عمر فأتاه فأخذ الصحيفة وقال: إنّ فاطمة آمرأة وعليّ زوجها هو جارّ إلى نفسه، ولا تكون شهادة آمرأتين دون رجل. فأرسل أبو بكر إلى فاطمة فأعلمها ذلك. فحلف بالله الذي لا إله إلّا هو إنّهم ما شهدوا إلّا بالحقّ.

فقال أبو بكر: فلعلّكِ أنتِ تكونين صادقة ولكن أحضري شاهداً لا يجرّ إلى نفسه.

فقالت: ألم تسمعا من أبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أسماء بنت عميس وأمّ أيمن من أهل الجنّة؟ فقالا: بلى. فقالت: إمرأتان من أهل الجنّة تشهدان بباطل؟! فانصرفت صارخة تنادي أباها وتقول: قد أخبرني أنّي أوّل من ألحق به فوالله لأشكونّهما إليه.

فلم تلبث أن مرضت، فأوصت عليّاً عليه السلام ألاّ يصلّيا عليها، وهجرتهما، فلم تكلّمهما حتّى ماتت. فدفنها عليّ عليه السلام والعباس ليلاً.

ثمّ أحضر المأمون في اليوم الآخر ألف رجل من أهل العلم والفقه وشرح لهم الحال، وأمرهم بتقوى الله ومراقبته فتناظروا. فقالت فرقة منهم: الزوج عندنا جارّ إلى نفسه فلا شهادة له، ولكنّا نرى أنّ يمين فاطمة قد أوجبت لها ما آدّعت مع شهادة المرأتين، وقالت طائفة: نرى اليمين مع الشهادة لا يوجب حكماً ولكن شهادة الزوج جائزة ولا نراه جارّاً إلى نفسه، وقد وجبت بشهادته مع شهادة المرأتين لفاطمة ما آدّعت، فكان آختلاف الطائفتين إجماعاً منهما على آستحقاق فاطمة فدك والعوالي.

فسألهم المأمون بعد ذلك عن فضائل لعليّ وفاطمة عليهما السلام. فذكروا طرفاً جليلاً، وسألهم عن أمّ أيمن وأسماء فرووا عن نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم أنّهما من أهل الجنّة.

فقال المأمون: أيجوز أن يُقال إنّ علياًعليه السلام مع ورعه وزهده يشهد لفاطمة عليها السلام بغير حقّ، وقد شهد له الله ورسوله بهذه الفضائل؟ أو يجوز مع علمه وفضله أن يُقال إنّه يمشي في شهادة وهو يجهل الحكم فيها؟

وهل يجوز أن يُقال إن فاطمة مع طهارتها وعصمتها وأنّها سيّدة نساء العالمين، وسيّدة نساء أهل الجنّة ـكما رويتم ـتطلب شيئاً ليس لها، وتظلم فيه جميع المسلمين، وتقسم عليه بالله؟ أو يجوز أن يُقال عن أُمّ أيمن و أسماء أنّهما تشهدان بالزور وهما من أهل الجنّة؟ إنّ الطعن على فاطمة عليها السلام وشهودها طعن على كتاب الله والحاد في دين الله.

ثمّ عارضهم المأمون بحديث رووه أنّ علياً عليه السلام أقام منادياً بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله ينادي من كان له على النبيّ صلى الله عليه وآله دين أو عدة فليحضر فحضر جماعة فأعطاهم بغير بيّنة، وأنّ أبا بكر أمر منادياً ينادي بمثل ذلك. فحضر جرير بن عبدالله، وجابر بن عبد الله فأعطاهما بغير بيّنة.

فقال المأمون: أما كانت فاطمةعليها السلام وشهودها يجرون مجرى جرير وجابر؟ ثمّ تقدّم المأمون بسطر رسالة طويلة تتضمّن صورة الحال، وأمر أن تقرأ بالموسم على رؤوس الأشهاد، وجعل فدك والعوالي في يد محمّد بن يحيى بن الحسين بن عليّ بن علي بن الحسينعليهم السلام يعمّرها ويستغلها ويقسّم دخلها بين ورثة فاطمةعليها السلام ...»[1].

هذا، وقد قال الحموي قولاً غريباً. فقال بعد عنوان فدك: وفيها عين فوّارة ونخيل كثيرة، وهي الّتي قالت فاطمة: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نحلنيها. فقال أبو بكر: أُريد لذلك شهوداً ـ ولها قصّة ـ ثمّ أدّى اجتهاد عمر بعده لمّا ولي الخلافة وفتحت الفتوح واتّسعت على المسلمين أن يردّها إلى ورثة النبيّ صلى الله عليه وآله فكان

(١) الطرائف ١: ٢٤٨، والنقل بتصرف يسير.

عليّ والعباس يتنازعان فيها. فكان عليّ يقول: إنّ النبيّ ﷺ جعلها في حياته لفاطمة، وكان العبّاس يأبى ذلك ويقول: هي ملك للنبيّ ﷺ وأنا وارثه. فكانا يتخاصمان إلى عمر. فيأبى أن يحكم بينهما، ويقول: أنتما أعرف بشأنكما. أمّا أنا فقد سلّمتها إليكما فاقتصدا في ما يؤتي واحد منكما من قلّة معرفة.

فلمّا ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى عامله بالمدينة يأمره بردّ فدك إلى ولد فاطمة فكانت في أيديهم في أيّام عمر بن عبد العزيز.

فلمّا ولي يزيد بن عبد الملك قبضها. فلم تزل في أيدي بني أُميّة حتّى ولي السفاح فدفعها إلى الحسن بن الحسن بن عليّ فكان هو القيّم عليها يفرّقها في بني علي.

فلمّا ولي المنصور وخرج عليه بنو الحسن قبضها عنهم.

فلمّا ولي المهدي الخلافة أعادها عليهم ثمّ قبضها الهادي ومن بعده إلى أيّام المأمون...[1].

فإنّه لم يقل أحد إنّ عمر ردّها، بل اتّفقوا على أنّ عمر بن عبد العزيز أوّل من ردّها، وأنّ ما قاله شيء أدّاه إليه اجتهاده الفاسد لخبر متهافت، وإنّما روى ادّعاء أمير المؤمنين عليه السلام والعبّاس الميراث من عمر.

فروى نفسه في عنوان صنعاء: كان زيد بن المبارك لزم عبد الرزاق فأكثر عنه ثمّ حرق كتبه ولزم محمّد بن ثور. فقيل له في ذلك. فقال: كنّا عند عبد الرزاق فحدّثنا بحديث معمر عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان الطويل. فلمّا قرأ قول عمر لعليّ والعباس: فجئت أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها قال: «ألا يقول الأنوك، رسول

(١) معجم البلدان ٤: ٢٣٨.

الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال زيد بن المبارك: فقمت فلم أعد إليه...»[١].

وفي (عيون المفيد): سأل يحيى البرمكي بحضرة الرشيد هشام بن الحكم، فقال له: أخبرني عن الحقّ هل يكون في جهتين مختلفتين؟ قال هشام: لا.

قال: فخبّرني عن نفسين اختصما في حكم في الدين هل يخلوان من أن يكونا محقّين أو مبطلين أو يكون أحدهما محقّاً والآخر مبطلاً؟ فقال هشام: لا يخلوان من ذلك؟ وليس يجوز أن يكونا محقّين على ما قدمت.

قال له يحيى: فخبّرني عن عليّ والعباس لمّا اختصما إلى أبي بكر في الميراث أيّهما كان المحق إذ كنت لا تقول إنّهما كانا محقّين ولا مبطلين؟ -إلى أن قال- فقلت له: كانا جميعاً محقّين ولهذا نظير قد نطق به القرآن في قصّة داود عليه السلام حيث يقول جلّ اسمه: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوّروا المحراب -إلى قوله- خصمان بغى بعضنا على بعض﴾[٢] فأيّ الملكين كان مخطئاً.

قال يحيى: إنّهما أصابا لأنّهما لم يختصما في الحقيقة، ولا اختلفا في الحكم، وإنّما أظهرا ذلك لينبّها داود على الخطيئة ويعرّفاه الحكم.

قال هشام: فكذلك عليّ عليه السلام والعبّاس لم يختلفا في الحقيقة، وإنّما أظهرا الاختلاف والخصومة لينبّها أبا بكر على غلطه ويدلاّه على ظلمه لهما، ولم يكونا في ريب من أمرهما، وإنّما كان ذلك منهما على حدّ ما كان من الملكين...[٣].

وكيف يصحّ ما قاله الحموي وكان اتّفاق العباس مع أمير المؤمنين

---

(١) معجم البلدان ٣: ٤٢٩.

(٢) ص: ٢١ ـ ٢٢.

(٣) رواه المرتضى في الفصول المختارة ١: ٢٦، عن عيون المفيد، بتلخيص.

عليه السلام معلوماً؟! فلمّا قال المغيرة بن شعبة ـ كما في (خلفاء ابن قتيبة) وغيره ـ لأبي بكر: أرى أن تلقوا العباس وتجلعوا له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه فتكون لكما الحجّة على عليّ وعلى بني هاشم إذا كان العباس معكم؛ إنطلق أبو بكر ومعه عمر وأبو عبيدة إلى العباس وقال له: خلّى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم متفقين لا مختلفين، فاختاروني عليهم والياً ولا أخاف وهناً، وما زال يبلغني عن طاعن يطعن بخلاف ما اجتمعت عليه عامة المسلمين، ويتّخذونكم لحافاً فاحذروا أن تكونوا جهد المنيع، وقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ولعقبك من بعدك، إذ كنت عمّ النبيّ، وان كان الناس قد رأوا مكانك، ومكان أصحابك فعدلوا الأمر عنكم على رسلكم بني عبد المطلب فإنّ النبيّ منّا ومنكم.

ثمّ قال عمر: أي والله، وأخرى إنّا لم نأتكم حاجة منّا إليكم، ولكنّا كرهنا أن يكون الطعن منكم في ما اجتمع عليه العامة فيتفاقم الخطب بكم وبهم، فانظروا لأنفسكم ولعامّتكم.

فقال العباس لأبي بكر: إن كنت بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم طلبت فحقّنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين طلبت فنحن متقدّمون فيهم، وان كان هذا الأمر إنّما يجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنّا كارهين. فأمّا ما بذلت لنا؛ فإن يكن حقّاً لك فلا حاجة لنا فيه، وإن يك حقّاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم عليهم، وإن كان حقّنا لم نرض عنك فيه ببعض دون بعض، وأمّا قولك إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم منّا ومنكم فإنّه قد كان من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها...[1].

وكيف ينازع العباس أمير المؤمنين عليه السلام في فدك وقد رأى أنّ

---

(١) الامامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٥، والسقيفة للجوهري: ٤٧ وغيرهما.

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نحلها بنته وقد كانت في يدها كما يدلّ عليه قوله عليه السلام هنا: «بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السماء فشحّت عليها نفوس قوم» وإنّما كان طلب أبي بكر منها الشهود جوراً كردّه قولها وشهودها، ولو فرض عدم نحلتها كانت ميراثاً لها، والعباس لم يكن بوارث مع وجود الولد، والتعصيب من بدع عمر.

وبالجملة ما قاله الحموي في غاية السقوط صدراً وذيلاً، كما أنّ نسبته إلى (بلدان البلاذري) ـ بعد نقل ما فيه من تفويض المأمون فدك إلى ورثة فاطمة عليها السلام ـ وانّ المتوكّل لمّا آستخلف ردّها إلى ما كانت عليه في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وعمر بن عبد العزيز بهتان، وإنّما قال البلاذري: «لمّا آستخلف المتوكل؛ أمر بردّها إلى ما كانت عليه قبل المأمون»[(١)] وكيف يقول الحموي: إنّ المتوكّل ـ حشره الله معه ـ ردّها إلى ما كانت عليه في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وقد عرفت رواية الجوهري منهم أنّه أقطعها البازيار فوجّه البازيار ثقفياً إلى فدك من البصرة فصرم نخيلاً غرسها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بيده، فلمّا رجع إلى البصرة فلج.

وفي (الشافي): روى محمّد بن زكريا الغلابي عن شيوخه عن أبي المقدام وهشام بن زياد مولى آل عثمان قالا: لمّا ولي عمر بن عبد العزيز ردّ فدك على ولد فاطمة عليها السلام فنقمت بنو أُميّة ذلك عليه وعاتبوه وقالوا له: قبّحت فعل الشيخين، وخرج إليه عمرو بن قيس في جماعة من أهل الكوفة. فلمّا عاتبوه قال: إنّ أبا بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم حدّثني عن أبيه عن جدّه أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: فاطمة بضعة منّي، يسخطني ما يسخطها، ويرضيني ما يرضيها، وأنّ فدك كانت صافية في أيّام أبي بكر وعمر ثمّ صار أمرها إلى

---

(١) فتوح البلدان: ٤٧.

مروان. فوهبها لأبي. فورثتها أنا وإخوتي. فسألتهم أن يبيعوني حصّتهم. فمنهم من باعني، ومنهم من وهب حتّى استجمعتها ثمّ رأيت أن أردّها على ولد فاطمة عليها السلام. فقالوا: إن أبيت إلّا هذا فأمسك الأصل وأقسم الغلة ففعل[1].

وفي (الخصال) عن الطبري باسناده: أنّ عمر بن عبد العزيز دخل المدينة فأمر مناديه فنادى من كانت له ظلامة فليأت. فدخل عليه محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام -إلى أن قال- فقال لعمر: إنّما الدنيا سوق من الأسواق منها خرج قوم بما ينفعهم، ومنها خرج قوم بما يضرّهم، وكم قوم قد ضرّهم مثل الّذي أصبحنا فيه حتّى أتاهم الموت -إلى أن قال- إتّق الله يا عمر، وافتح الأبواب وسهل الحجاب، وانصر المظلوم وردّ الظالم.

ثم قال: ثلاث من كنَّ فيه استكمل الإيمان. فجثا عمر على ركبتيه، ثمّ قال: إيهٍ يا أهل بيت النبوّة.

فقال: نعم. من إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه من الحقّ، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له. فدعا عمر بدواة وقرطاس وكتب: هذا ما ردّ عمر بن عبد العزيز ظلامة محمّد بن علي فدك[2].

وفي (الكافي) عن عليّ بن أسباط قال: لمّا ورد أبو الحسن موسى عليه السلام على المهدي رآه يردّ المظالم. فقال له: ما بال مظلمتنا لا تُرَدُّ؟ فقال له: وما ذاك يا أبا الحسن. قال: لمّا فتح الله تعالى على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم فدك وما والاها، ولم يوجف عليه بخيل ولا ركاب أنزل على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فآت ذا القربى حقه﴾[3] ولم يدر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من هم فراجع في ذلك جبرئيل، وراجع جبرئيل عليه السلام ربّه،

---

(١) الشافي: ٢٣٦ والنقل بتصرف يسير.

(٢) الخصال للصدوق ١: ١٠٤ ح ٦٣، والنقل بتصرف يسير.

(٣) الروم: ٣٨.

فأوحى إليه أن آدفع فدك إلى فاطمة. فدعاها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها: إنّ الله أمرني أن أدفع إليك فدك. فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله، ومنك فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلمّا ولي أبو بكر أخرج عنها وكلاءها فأتته فسألته أن يردّها عليها. فقال لها: إيتيني بأسود أو أحمر يشهد لك بذلك. فجاءت بأمير المؤمنين عليه السلام، وأمّ أيمن. فشهدا لها فكتب لها بترك التعرّض. فخرجت والكتاب معها. فلقيها عمر فقال: ما هذا معك يا بنت محمّد؟ قالت: كتاب كتبه ابن أبي قحافة، قال: اربنيه فأبت. فانتزعه من يدها، ونظر فيه ثمّ تفل فيه ومحاه وخرقه، وقال لها: هذا لم يوجف عليه أبوك بخيل ولا ركاب. فتضعي الحبال في رقابنا...[1].

وقد روى أبو بكر الجعابي، عن محمّد بن جعفر الحسني، عن عيسىٰ بن مهران، عن يونس، عن عبدالله بن محمّد بن سليمان الهاشمي عن أبيه عن جدّه، عن زينب بنت عليّ عليه السلام قالت: لمّا اجتمع رأي أبي بكر على منع فاطمة عليها السلام فدك والعوالي، وأيست من إجابته لها؛ عدلت إلى قبر أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فألقت نفسها عليه، وشكت إليه ما فعله القوم بها، وبكت حتّى بلّت تربته عليه السلام بدموعها، وندبته ثم قالت في آخر ندبتها:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا
قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا ... فغبت عنّا فكلّ الخير محتجب
فكنت بدراً و نوراً يستضاء به ... عليك ينزل من ذي العزّة الكتب
تجهّمتنا رجال وأستخفّ بنا ... بعد النبيّ وكل الخير مغتصب
سيعلم المتولّي ظلم حامتنا ... يوم القيامة أنّى سوف ينقلب

(١) الكافي للكليني ١: ٥٤٣ ح ٥، والنقل بتصرف يسير.

فـقد لقـينا الّـذي لم يـلقه أحـد مـن البـريّة لا عُـجْمٌ ولا عـرب
فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت لنـا العـيون بـتهمال له سكب[١]

«وسخت عنها» في (الصحاح): سخيت نفسي عن الشيء إذا تركته[٢].

«نفوس قوم آخرين» هكذا في (المصرية)، والصواب: (نفوس آخرين) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٣] ولابد أنّ كلمة «قوم» كانت حاشية خلطتها (المصرية) بالمتن. ثمّ المراد بنفوس آخرين الّتي سخت عنها، الأنصار حيث رأوا ذاك الأمر المنكر وسكتوا ولم يدافعوا.

وفي (بلاغات أحمد بن أبي طاهر البغدادي): أنّ فاطمة عليها السلام بعد محاجّتها مع أبي بكر عدلت إلى مجلس الأنصار فقالت: معشر البقيّة، وأعضاد الملّة، وحصون الإسلام، ما هذه الغميرة في حقّي والسِّنةُ عن ظلامتي؟! أما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: المرء يحفظ في ولده؟ سرعان ما أجدبتم فأكديتم، وعجلان ذا إهالة تقولون مات رسول الله، فخطب جليل، استوسع وهنه وآستهتر فتقه، وبعد وقته وأظلمت الأرض لغيبته، وأكتأبت خيرة الله لمصيبته، وخشعت الجبال وأكدت الآمال، وأُضيع الحريم، وأُزيلت الحرمة عند مماته صلى الله عليه وآله وسلم، وتلك نازل علينا أعلن بها كتاب الله في أفنيتكم، وفي ممساكم ومصبحكم، يهتف بها في أسماعكم، وقبله حلّت بأنبياء الله عزّوجلّ ورسله: ﴿وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل آنقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾[٤].

---

(١) رواه عنه المفيد في أماليه: ٤٠ ح ٨ المجلس ٥.

(٢) صحاح اللغة ٦: ٢٣٧٣، مادة (سخا).

(٣) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٤: ٧٧، وشرح ابن ميثم ٥: ٩٩ مثل المصرية أيضاً.

(٤) آل عمران: ١٤٤.

إيهاً بني قيلة! أأهضم تراث أبي وأنتم بمرأى ومسمع، تلبسكم الدعوة وتمثلكم الحيرة، وفيكم العدد والعدة، ولكم الدار، وعندكم الجنن، وأنتم الألى نخبة الله انتخب لدينه، وأنصار رسوله، وأهل الإسلام، والخيرة الّتي اختار لنا أهل البيت. فباديتم العرب، وناهضتم الأمم، وكافحتم البهم. لا نبرح نأمركم وتأمرون، حتّى دارت لكم بنا رحى الإسلام، ودرّ حلب الأنام، وخضعت نعرة الشرك، وباخت نيران الحرب، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين. فأنّى حزتم بعد البيان، ونكصتم بعد الإقدام، وأسررتم بعد الإعلان، لقوم نكثوا أيمانهم، ﴿أتخشونهم، فالله أحقّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾[1].

ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة. فعجتم عن الدين، وبحجتم الّذي وعيتم، ودسعتم الذي سوّغتم. فـ﴿إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فانّ الله لغنيٌّ حميد﴾[2].

ألا وقد قُلتُ الّذي قُلته على معرفة منّي بالخذلان الّذي خامر صدوركم، واستشعرته قلوبكم، ولكن قلته فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وبثّة الصدور و معذرة الحجة فدونكموها فاحتقبوها مدبرة الظهر، ناكبة الحق، باقية العار موسومة بشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة الّتي تطّلع على الأفئدة. فبعين الله ما تفعلون، وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون، وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فاعملوا إنّا عاملون، وانتظروا إنّا منتظرون[3].

وفي (احتجاج الطبرسي): أنّ فاطمة عليها السلام لمّا رجعت إلى البيت بعد محاجّة أبي بكر وتأنيب الأنصار خاطبت أمير المؤمنين عليه السلام وقالت له:

---

(١) التوبة: ١٣.

(٢) إبراهيم: ٨.

(٣) بلاغات النساء لأحمد بن طاهر البغدادي: ٢٥ ـ ٣١.

إشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجدل، وخانك ريش الاعزل. هذا ابن أبي قحافة يبتزّني نحلة أبي، وبلغة ابنيّ، لقد أجهر في خصامي، وألفيته ألدّ في كلامي حتّى حبستني قيلة نصرها، والمهاجرة وصلها وغضّت الجماعة دوني طرفها. فلا دافع ولا مانع. خرجت كاظمة، وعدت راغمة. أضرعت خدّك يوم أضعت حدّك، إفتَرَستِ الذئاب، وافترشْتَ التراب، ما كففت قائلاً، ولا أغنيت طائلاً، ولا خيار لي. ليتني متّ قبل هنيئتي، ودون ذلّتي. عذيري الله منك عادياً، ومنك حامياً. ويلاي في كلّ شارق، ويلاي في كلّ غارب، مات العمد ووهن العضد. شكواي إلى أبي، وعدواي إلى ربّي. اللّهمّ أنت أشدّ منهم قوّة وحولاً، وأشدّ بأساً وتنكيلاً.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا ويل لك بل الويل لشانئك. ثم تنهنهي عن وجدك. يا ابنة الصفوة، وبقية النبوّة. فما ونيت عن ديني، ولا أخطأت مقدوري. فإن كنت تريدين البلغة. فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما أُعِدَّ لك أفضل ممّا قطع عنك. فاحتسبي الله.

فقالت: حسبي الله وأمسكت [(١)].

وتوهّم ابن أبي الحديد وتبعه ابن ميثم أنّ المراد بقوله عليه السلام: «وسخت عنها نفوس آخرين» أمير المؤمنين عليه السلام وأهله فقال: «وليس يعني هاهنا بالسخاء إلّا هذا لا السخاء الحقيقي لأنّه عليه السلام وأهله لم يسمحوا بفدك إلّا غصباً وقسراً»[(٢)] وما توهّمه في غاية الركاكة.

«ونعم الحكم الله» روى الجوهري: أنّ فاطمة عليها السلام قالت لأبي بكر في خطبتها: أفي الله أن ترث يا ابن أبي قحافة أباك، ولا أرث أبي. لقد جئت شيئاً

(١) الاحتجاج للطبرسي ١: ١٠٧ ـ ١٠٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٧٨ وشرح ابن ميثم ٥: ١٠٨.

فرياً. فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك. فنعم الحكم الله، والزعيم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولكلّ نبأ مستقرّ، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ويحلّ عليه عذاب مقيم[١].

ورواه أحمد بن أبي طاهر البغدادي ـ إلى أن قال: عن الراوي فما رأينا يوماً كان أكثر باكياً، ولا باكية من ذلك اليوم[٢].

وعن أبي بصير أنّه قال للصادق عليه السلام: لِمَ لم يأخذ أمير المؤمنين عليه السلام فدكاً لمّا وَلِيَ الناس. فقال: لأنّ الظالم والمظلوم كانا قدما على الله عزّ وجلّ وعاقب الظالم وأثاب المظلومة. فكره أن يسترجع شيئاً قد عاقب الله غاصبه، وأثاب عليه المغصوب منها.

وقال إبراهيم الكرخي أيضاً له عليه السلام في ذلك. فقال عليه السلام: اقتدى أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ففتح مكّة ـ وقد كان عقيل باع داره ـ فقيل له: ألا ترجع إلى دارك. فقال صلى الله عليه وآله وسلم «وهل ترك عقيل لنا داراً» وإنّا أهل بيت لا نسترجع شيئاً يؤخذ منّا ظلماً. فلذلك لم يسترجع فدكاً لمّا ولي.

وقال الرضا عليه السلام لمّا سُئل عن ذلك: إنّا أهل بيت وليّنا الله عزّوجلّ لا يأخذ لنا حقوقاً إلّا هو ونحن أولياء المؤمنين إنّما نحكم لهم، ونأخذ حقوقهم ممّن ظلمهم، ولا نأخذ لأنفسنا[٣].

هذا، وفي (المناقب) عن (أخبار الخلفاء): أنّ هارون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر عليهما السلام: حُدَّ فدكاً حتّى أردها إليك. فيأبى حتّى ألحّ عليه. فقال: لا آخذها إلّا بحدودها. قال: وما حدودها؟ قال: إن حددتها لم تردّها. قال: بحقّ

(١) رواه الجوهري في السقيفة: ٩٩ وجمع آخر في ضمن خطبة فدك.

(٢) بلاغات النساء لأحمد بن طاهر البغدادي: ٢٦.

(٣) خرج هذه الأحاديث الصدوق في علل الشرائع ١: ١٥٤ و ١٥٥ ح ١ ـ ٣، والنقل بتصرف يسير.

جدّك إلّا فعلت. قال: أمّا الحدّ الأوّل فعدن. فتغيّر وجه الرشيد، وقال: أيها. قال: والحدّ الثاني سمرقند. فأربدّ وجهه قال: والحدّ الثالث إفريقية. فاسودّ وجهه وقال هيه. قال: والرابع سيف البحر ممّا يلي الخزر وأرمينية. قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء. فتحوّل إلى مجلسي. قال: قد أعلمتك انني إن حددتها لم تردّها ـ فعند ذلك عزم على قتله[1].

وفي (تاريخ خلفاء السيوطي): وفي سنة (٣٥١) كتبت الشيعة ببغداد على أبواب المساجد لعن الله معاوية ولعن الله من غصب فاطمة حقّها من فدك، ومن منع الحسن عليه السلام أن يدفن مع جدّه ولعن الله من نفى أبا ذر ثمّ إنّ ذلك محي في الليل. فأراد معزّ الدولة أن يعيده. فأشار عليه الوزير المهلّبي أن يكتب بدل ما محي: لعن الله الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [2].

وأقول: ونعم الحكم الله بيننا وبين الناصبة، تارة ينكرون خطبة الصدّيقة في الشكاية من صدّيقهم وفاروقهم. فينسبونها إلى أبي العيناء، كما أنكروا الخطبة الشقشقية في شكايته عليه السلام منهم ناسبين لها إلى الرضي مع أنّ الخطبتين كانتا ثابتتين قبل جدّ جدّ الرجلين.

ففي (بلاغات البغدادي): قلت لأبي الحسين زيد بن عليّ: إنّ هؤلاء يزعمون أنّ كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إيّاها فدك مصنوع من أبي العيناء؛ فقال: رأيت مشائخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم، ويعلّمونه أبناءهم، وقد حدّثنيه أبي عن جدّي يبلغ به إلى فاطمة عليها السلام، ورواه مشائخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جدّ أبي العيناء.

وقد حدّث به الحسن بن علوان عن عطية العوفي، عن عبدالله بن

---

(١) أخرجه السروي في مناقبه ٤: ٣٢٠.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٤٠٠.

الحسين، عن أبيه لولا عداوتهم لنا أهل البيت ـ ثم ذكر الحديث.

قال: لمّا أجمع أبو بكر على منع فاطمة عليها السلام فدك وبلغها ذلك، لاثت خمارها على رأسها، وأقبلت في لمّة من حفدتها تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً حتّى دخلت على أبي بكر ـ وهو في حشد من المهاجرين والأنصار ـ فنيطت دونها مُلاءة ثمّ أنّت أنّة أجهش القوم لها بالبكاء، وارتجّ المجلس. فأمهلت حتّى سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم. فافتتحت الكلام بحمد الله تعالى والثناء عليه، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعاد القوم في بكائهم. فلمّا أمسكوا عادت في كلامها.

فقالت: لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم. فإن تعرفوه تجدوه أبي دون آبائكم وأخا ابن عمّي دون رجالكم. فبلّغ النذارة صادعاً بالرسالة ماثلاً على مدرجة المشركين ضارباً لثبجهم. آخذاً بكظمهم. يهشم الأصنام، وينكث الهام. حتّى هزم الجمع، وولّوا الدبر، وتفرّى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام. تشربون الطرق، وتقتاتون الورق أذلّة خاشعين. تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم فانقذكم الله برسوله صلى الله عليه وآله وسلم. بعد اللّتيا والّتي، وبعدما مني بِبُهَمِ الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب كلّما حشوا ناراً للحرب أطفأها، ونجم قرن للضلال، وفغرت فاغرة من المشركين. قذف بأخيه في لهواتها فلا ينكفئ حتّى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بحدّه، مكدوداً في ذات الله قريباً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيّداً في أولياء الله، وأنتم في بلهنية وادعون آمنون حتّى إذا اختار الله لنبيّه دار أنبيائه ظهرت خلّة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الآفلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم،

وأطْلع الشيطان رأسه من مغرزه. صارخاً بكم. فوجدكم لدعائه مستجيبين، وللغرّة فيه ملاحظين. فاستنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً. فوسمتم غير إبلكم، وأوردتموها غير شربكم. هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل بداراً زعمتم خوف الفتنة. ألا في الفتنة سقطوا، وانّ جهنّم لمحيطة بالكافرين. فهيهات منكم وأنّى بكم، وأنّى تؤفكون وهذا كتاب الله بين أظهركم، وزواجره بيّنة، وشواهده لائحة، وأوامره واضحة، أرغبة عنه تدبرون؟ أم بغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلا، ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. ثمّ لم تريثوا إلّا ريث أن تسكن نغرتها تشربون حسواً، وتسرّون في ارتغاء، ونصبر منكم على مثل حزّ المدىٰ، وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا. أفحُكم الجاهلية تبغون، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون....

ورواه باسناد آخر عن جعفر بن محمّد المصري عن أبيه عن موسىٰ بن عيسىٰ، عن عبدالله بن يونس، عن جعفر الأحمر، عن زيد بن عليّ، عن عمّته زينب، وزاد: أفعلى محمّد تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم اذ يقول تبارك وتعالىٰ ﴿وورث سليمان داود﴾[1].

وقال عزّوجلّ في ما قصّ من خبر يحيى بن زكريا: ﴿فهب لي من لدنك وليّاً يرثني ويرث من آل يعقوب﴾[2].

وقال عزّ ذكره: ﴿وأُولو الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في كتاب الله﴾[3].

وقال تعالىٰ: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الأُنثيين﴾[4].

---

(١) النمل: ١٦.

(٢) مريم: ٥ و ٦.

(٣) الانفال: ٧٥.

(٤) النساء: ١١.

وقال تعالى: ﴿إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقّاً على المتّقين﴾[١].

وزعمتم أن لا حق ولا أرث لي من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصّكم الله بآية أخرج نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم منها؟ أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثون؟

أولست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ لعلّكم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أفحكم الجاهلية تبغون، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون، أأُغلب على إرثي جوراً وظلماً...[٢].

وتارة يفترون من صلب وجوههم أنّ أبا بكر قال لفاطمة عليها السلام : لا أدفعك عن صوابك ولكن هذا أبو الحسن بيني وبينك هو الّذي أخبرني بما أخذت و تركت. قالت: فإن يكن ذلك كذلك فصبراً لمرّ الحقّ[٣]. فهب أنّ فاطمة لم تكن سيّدة نساء العالمين، وكانت اعرابية لم يكن لها تفقّه أصلاً هل يجوّز عقل أن تخرج و تطالب ولا تعلم بعلها.

وكيف وموتها غضبى على الرجلين متواتر كتواتر قول النبيّ أبيها صلّى الله عليه وآله وسلّم فيها: غضبها غضب الله ورسوله. فسأل داود بن المبارك عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن عنهما. فقال: اجيبك بما أجاب به جدّي عبدالله بن الحسن فإنّه سئل عنهما فقال: كانت امّنا صديقة ابنة نبي مرسل، وماتت وهي غضبى على قوم. فنحن غضاب لغضبها[٤]، وقال بعض العلويّين في ذلك:

أتموت البتول غضبى ونرضى ... ما كذا يصنع البنون الكرام

---

(١) البقرة: ١٨٠.

(٢) بلاغات النساء: ٢٣ ـ ٢٩.

(٣) لم أجده.

(٤) رواه الجوهري في السقيفة: ٧٢ و ١١٦.

ولمّا قال كثير النوا، وسلمة بن كهيل، وأبو المقدام للباقر عليه السلام: نتولّى عليّاً وحسناً وحسيناً، ونتبرّأ من أعدائهم، ونتولّى أبا بكر وعمر، ونتبرّأ من أعدائهم. قال لهم أخوه زيد بن عليّ: أتتبرّؤون من فاطمة بترتم أمرنا بتركم الله[1].

يعني أنّ كون فاطمة عدوّة لهما متحقق، فإذا تبرّؤوا من عدوّهما لابدّ أن يتبرّؤوا منها.

وفي خبر زكريا بن آدم القمي قال: كنت عند أبي الحسن الرضا عليه السلام إذ جيء بابنه أبي جعفر الجواد عليه السلام وسنّه أقل من أربع. فضرب بيده إلى الأرض ورفع رأسه إلى السماء وهو يفكّر فقال له أبوه: بنفسي أنت فيم طال فكرك. فقال: في ما صُنع بأُمّي فاطمة عليها السلام[2].

«وما أصنع بفدك وغير فدك» قال أنس بن مالك ـ كما روى الجوهري ـ إنّ فاطمة عليها السلام أتت أبا بكر تطلب منه سهم ذوي القربى. فأجابها بأنّي لم أعلم أنّ هذا السهم لكم. فقالت: ذلك لعمر. فأجابها كذلك قال: فعجبت فاطمة عليها السلام من ذلك، وتظنّت أنّهما كانا تذاكرا ذلك وأجتمعا عليه[3].

«والنفس مظانّها» أي: محالّها جمع مظنّة قال النابغة:

فإن يك عامر قد قال جهلاً ... فإنّ مظنّة الجهل الشباب[4]

«في غد جدث» أي: قبر. وجمعه أجداث فقط دون أجدُث كما توهمه الجوهري استناداً إلى قول الهذلي «عرفت بأجدث فنعاف عرق»[5] لأنّ المراد

---

(١) رواه الكشي في معرفة الرجال: اختياره: ٢٣٦ ح ٤٢٩.

(٢) رواه الطبري في دلائل الامامة: ٢١٢.

(٣) السقيفة: ١١٤، والنقل بتلخيص.

(٤) لسان العرب ١٣: ٢٧٤، مادة (ظن).

(٥) صحاح اللغة ١: ٢٧٧، مادة (جدث).

به موضع لا جمع الجدث.

«**تنقطع في ظلمته آثارها**» فما يصنع الإنسان بمتاع الدنيا الفاني.

كان محمّد بن الفرج المصري من أصحاب الهادي عليه السلام ضرب الخليفة على جميع ما يملكه وحبسه ثماني سنين ثمّ خلّى عنه. فكتب إليه عليه السلام سأل الدعاء لردّ ضياعه. فكتب عليه السلام «سوف تردّ عليك وما يضرّك ألاّ تردّ عليك» فكتب الخليفة له ردّ ضياعه لكنّه مات قبل أن يتصرّف فيها[١].

«**وتغيب أخبارها**» في (الأنوار للسيّد الجزائري): أنّ رجلين تنازعا في دار فأنطلق الله لبنة من جدار تلك الدار، فقالت: إنّي كنت ملكاً من ملوك الأرض ملكت الدنيا ألف سنة فلمّا صرت تراباً أخذني خزّاف بعد ألف سنة. فصيّرني خزفة فبقيت ألف سنة، ثم أخذني لبّان فصيّرني لبنة، وأنا في هذا الجدار منذ كذا و كذا. فَلِمَ تتنازعان في هذه الدار[٢].

«**وحفرة**» بالرفع عطف على «جدث».

«**لو زيد في فسحتها و أوسعت يدا حافرها**» في (ذيل الطبري): انّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم رأى في قبر ابنه إبراهيم فرجة فأمر بها تسدّ. فقيل له: فقال: أمّا إنّها لا تضرّ ولا تنفع: ولكنّها تقرّ عين الحيّ وإنّ العبد إذا عمل عملاً أحبّ الله تعالى أن يتقنه[٣].

وروى (العلل) عن الصادق عليه السلام في خبر وفاة سعد بن معاذ. فنزل به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتّى لحّده، وسوّى عليه اللبن وجعل يقول: ناولوني تراباً رطباً يسدّ به ما بين اللبن. فلمّا أن فرغ وحثا التراب عليه وسوّى قبره قال: إنّي لأعلم

---

(١) أخرجه المفيد في الارشاد: ٣٣٠. والكليني في الكافي ١: ٥٠٠ ح ٤٥ و غيرهما والنقل بتلخيص.

(٢) الأنوار النعمانية للسيّد نعمة الله الجزائري ٢: ٣٠٨.

(٣) منتخب ذيل المذيل: ١٠٩.

أنّه سيبلى، ويصل إليه البلى، ولكنّ الله يحبّ عبداً إذا عمل عملاً فأحكمه[١].

«لا ضغطها الحجر والمدر، وسدّ فرجها التراب المتراكم» شكا أبو بصير إلى الصادق عليه السلام وسواس الدنيا. فقال عليه السلام له: أذكر تقطّع أوصالك في قبرك، ورجوع أحبابك عنك إذا دفنوك في حفرتك، وخروج بنات الماء من منخريك، وأكل الدود لحمك، فإنّ ذلك يسلّي عنك ما أنت فيه. قال أبو بصير: فوالله ما ذكرته إلّا سلّى عنّي ما أنا فيه من همّ الدنيا[٢].

٣٤
الكتاب (٦٥)

وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عليه السلام إِلَيْهِ أَيْضاً:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ ٱلْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ ٱلْأُمُورِ. فَقَدْ سَلَكْتَ مَدَارِجَ أَسْلَافِكَ بِادِّعَائِكَ ٱلْأَبَاطِيلَ، وَإِقْحَامِكَ غُرُورَ ٱلْمَيْنِ وَٱلْأَكَاذِيبِ وَبِانْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ، وَٱبْتِزَازِكَ لِمَا ٱخْتُزِنَ دُونَكَ، فِرَاراً مِنَ ٱلْحَقِّ، وَجُحُوداً لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ، مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ، وَمُلِئَ بِهِ صَدْرُكَ. فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَالُ ٱلْمُبِينُ، وَبَعْدَ ٱلْبَيَانِ إِلَّا ٱللَّبْسُ.

فَاحْذَرِ ٱلشُّبْهَةَ وَٱشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسَتِهَا، فَإِنَّ ٱلْفِتْنَةَ طَالَمَا أَغْدَفَتْ جَلَابِيبَهَا، وَأَعْشَتِ ٱلْأَبْصَارَ ظُلْمَتُهَا.

وَقَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفَانِينَ مِنَ ٱلْقَوْلِ ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ ٱلسِّلْمِ، وَأَسَاطِيرَ لَمْ يَحِكْهَا مِنْكَ عِلْمٌ وَلَا حِلْمٌ، أَصْبَحْتَ مِنْهَا كَالْخَائِضِ فِي ٱلدَّهَاسِ، وَٱلْخَابِطِ فِي ٱلدِّيمَاسِ، وَتَرَقَّيْتَ إِلَى مَرْقَبَةٍ بَعِيدَةِ ٱلْمَرَامِ،

(١) علل الشرائع ١: ٣٠٩ ح ٤.

(٢) الكافي للكليني ٣: ٢٥٥ ح ٢٠.

نَازِحَةِ ٱلْأَعْلَامِ تَقْصُرُ دُونَهَا ٱلْأَنُوقُ، وَيُحَاذَى بِهَا الْعَيُّوقُ وَحَاشَ لِلّهِ أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي صَدَراً أَوْ وِرْداً، أَوْ أُجْرِيَ لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْداً أَوْ عَهْداً، فَمِنَ ٱلْآنَ فَتَدارَكْ نَفْسَكَ وَٱنْظُرْ لَهَا، فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ حَتَّىٰ يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبَادُ اللهِ أُرْتِجَتْ عَلَيْكَ ٱلْأُمُورُ، وَمُنِعْتَ أَمْراً هُوَ مِنْكَ ٱلْيَوْمَ مَقْبُولٌ، وَالسَّلَامُ.

قول المصنّف «إليه أيضاً» أي: إلى معاوية لذكره قبله أيضاً كتاباً له عليه السلام إلى معاوية.

قوله عليه السلام أمّا بعد فقد آن لك في (الصحاح): «آن لك أن تفعل كذا يأين أيناً عن أبي زيد: أي: حان مثل أنىٰ لك وهو مقلوب منه وأنشد ابن السكّيت:

المّا يئن لي أن تجلّى عمايتي واقصر عن ليلي بلى قد أنى ليا

فجمع بين اللغتين[1]. ومراده كون يئن بكسر الهمزة مضارع آن فيكون أتى بآن ثمّ بأنى.

«ان تنتفع باللمح الباصر» في (الصحاح) «لارينك لمحاً باصراً: أي أمراً واضحاً»[2].

«من عيان الأمور» قال ابن أبي الحديد: هذا الكتاب جواب كتاب وصل إليه عليه السلام من معاوية بعد قتله عليه السلام الخوارج، وفيه تلويح بما كان يقوله عليه السلام من قبل أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعدني بقتال طائفة أُخرىٰ غير أصحاب الجمل وصفّين، وأنّه سمّاهم المارقين. فلمّا واقعهم عليه السلام بالنهروان وقتلهم كلّهم بيوم واحد، وهم عشرة آلاف فارس أحبّ أن يذكّر معاوية بما كان يقوله من قبل ويعد به أصحابه وخواصّه، فقال عليه السلام له: «قد آن لك أن تنتفع بما عاينت وشاهدت

(١) صحاح اللغة ٥: ٢٠٧٦ مادة (اين).

(٢) صحاح اللغة ١: ٤٠٢، مادة (لمح).

معاينة و مشاهدة من صدق القول الّذي كنت أقوله للناس ويبلغك فتستهزئ به»[١].

قلت: هو نظير قوله تعالىٰ بعد ظهور آيات بيّنات و معجزات واضحات من رسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿قد تبيّن الرشد من الغي﴾[٢] وخبر قتاله عليه السلام مع الناكثين والقاسطين والمارقين من المتواترات عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عند العامة والخاصّة.

روى الكنجي الشافعي في (مناقبه) مسنداً عن مخنف بن سليم قال: أتينا أبا أيوب الأنصاري، وهو يعلف خيلاً له. فقلنا عنده فقلت له: يا أبا أيّوب! قاتلت المشركين مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثم جئت تقاتل المسلمين؟!

قال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمرني بقتال ثلاثة: الناكثين، والقاسطين، والمارقين. فقد قاتلت الناكثين والقاسطين، وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين بالسعفات بالطرقات بالنهروانات و ما أدري أين هو. ورواه الكشي وفي آخره «وما أدري أنّى هي».

وعن ابن عبّاس قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأمّ سلمة: «هذا عليّ بن أبي طالب لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي. يا أُمّ سلمة هذا عليّ أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، ووعاء علمي ووصييّ، وبابي الّذي أُوتى منه. أخي في الدنيا والآخرة، ومعي في المقام الأعلىٰ. يقتل الناكثين والقاسطين والمارقين»[٣].

«فقد سلكت» هكذا في (المصرية)، والصواب: «ولقد سلكت» كما في (ابن ميثم وابن أبي الحديد)[٤].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٢٢.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

(٣) رواه الكنجي في كفاية الطالب: ٦٩ و ٧٠. والكشي في معرفة الرجال: اختيار: ٣٧ ح ٧٦.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٢٠. لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٢١٢ مثل المصرية أيضاً.

«مدارج» جمع مدرجة؛ أي: مسالك.

«أسلافك» حيث إنّه حاربه عليه السلام كما حارب أسلافه، وهم عتبة و شيبة وأبو سفيان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وتكبّر عن قبول ولايته عليه السلام كما تكبّر أُولئك عن قبول نبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

«بادّعائك الأباطيل» قال في (الصحاح): الأباطيل جمع الباطل على غير قياس كأنّهم جمعوا إبطيلاً[1].

«وإقحامك» الاقحام: الدخول بغير رويّة.

«غرور المين» فسّروا المين بالكذب و كأنّه لا يستعمل وحده كما في قوله عليه السلام كما يأتي وكما في قول الشاعر في جذيمة والزبّاء «وألفى قولها كذباً وميناً»[2].

«والأكاذيب» جمع الأُكذوبة.

وادّعاء معاوية الأباطيل، وإقحامه غرور المين والأكاذيب إنّما كان بادعائه كونه وليّ عثمان، وأنّ عثمان قتل مظلوماً. فلم يكن وليّ عثمان، ولم يكن عثمان قتل مظلوماً. فلمّا أرادوا من أمير المؤمنين عليه السلام الإقرار بكون عثمان قتل مظلوماً أبى وأنكر كما مرّ.

«وبانتحالك» الانتحال: ادعاء باطل. قال الأعشى متبرّئاً من ادّعائه أشعار غيره:

فكيف أنا وانتحالي القوا … في بعد المشيب كفى ذاك عارا[3]

«ماقد علا عنك» أي: أمراً جلّ عنك، وهو الخلافة. قال تعالى: ﴿لا ينال

---

(١) صحاح اللغة ٤: ١٦٣٥، مادة (بطل).

(٢) أورده لسان العرب ١٣: ٤٢٥، مادة (مين).

(٣) أورده لسان العرب ١١: ٦٥١، مادة (نحل).

عهدي الظالمين﴾[١].

«وابتزازك» أي: سلبك. يقال: «رجعت الخلافة بزيّزي» أي: تبزّ بزّاً ولا تؤخذ بالاستحقاق.

«لما اختزن دونك» أي: كتم من مثلك لعدم لياقتك.

والمراد وثوبه على الخلافة الّتي هو عنها بمراحل حتّى عند العامة. فان كان طلحة والزبير يدّعيان أنّهما من المهاجرين الأوّلين، ومن ستّة الشورى إلّا أنّ معاوية كان من الطلقاء، ومن المؤلّفة ممّن أسلم كرهاً.

وفي (خلفاء ابن قتيبة): أنّ معاوية كتب إلى أهل مكّة والمدينة أنّ عليّاً قتل عثمان لأنّه آوى قتلته، فليدفع قتلته نقتلهم بكتاب الله ثمّ نجعل الأمر شورى. فأسندوا أمرهم في الجواب إلى المسوّر بن مخرمة.

فكتب إلى معاوية مجاوباً عنهم: «ما أنت والخلافة يا معاوية، وأنت طليق وأبوك من الأحزاب» قال: وكتب معاوية إلى محمد بن مسلمة وابن عمر وسعد ابن أبي وقّاص بمثل ذلك. فأجابوه بمثل ذلك[٢].

وفي (تاريخ الطبري) عن الحسن البصري: أربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكنّ فيه منهنّ إلّا واحدة لكانت موبقة. إنتزاؤه على هذه الأمّة بالسفهاء حتّى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة، وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكّيراً خمّيراً يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً وقد قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» وقتله حجراً، ويلاً له من حجر وأصحاب حجر مرّتين[٣].

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) الامامة والسياسة ١: ٩٨ ـ ١٠١.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٢٠٨، لسنة ٥١.

وفي (تاريخ الطبري) أيضاً: أنّ سليمان بن صرد، والمسيّب بن نجبة، ورفاعة بن شداد وجمعاً آخر كتبوا إلى الحسين عليه السلام بعد معاوية: أمّا بعد؛ فالحمد لله الّذي قصم عدوّك الجبّار العنيد الّذي أنتزى على هذه الأُمّة. فابتزّها أمرها، وغصبها فيأها، وتأمّر عليها بغير رضىً منها، ثمّ قتل خيارها، وأستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود[1].

«فراراً من الحقّ وجحوداً لما هو ألزم لك من لحمك ودمك» قال ابن أبي الحديد: يعني فرض طاعته عليه السلام لأنّه وعاها سَمْعُه لا ريب في ذلك إمّا بالنص في أيّام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما تذكره الشيعة فقد كان معاوية حاضراً يوم الغدير لأنّه حجّ معهم حجّة الوداع، وقد كان أيضاً حاضراً يوم تبوك حين قال له بمحضر من الناس كافة: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى»، وإمّا بالبيعة كما نذكره نحن فإنّه قد أتّصل به خبره، وتواتر عنده وقوعها.

والظاهر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه يريد المعنى الأوّل، ونحن نخرّجه على وجه لا يلزم منه ما تقوله الشيعة.

فنقول: نفرض أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ما نصّ عليه بالخلافة بعده، أليس يعلم معاوية وغيره من الصحابة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال له في ألف مقام «أنا حرب لمن حاربت وسلم لمن سالمت» ونحو ذلك من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللّهمّ عاد من عاداه ووالِ من والاه» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم له: «حربك حربي وسلمك سلمي» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنت مع الحقّ والحقّ معك» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «هذا منّي وأنا منه» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّه يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللّهمّ أتني بأحبّ خلقك إليك» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّه وليّ كلّ مؤمن بعدي»

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٦١ لسنة ٦٠.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ـ في كلام قاله ـ: «خاصف النعل»[١].

قلت: وأشار إلى ما رواه (فضائل أحمد بن حنبل) عن أنس قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي، يُمضي فيهم أمري، ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية».

قال أبو ذر: فما راعني إلّا بردُ كفّ عمر من خلفي. فقال: من تراه يعني؟ فقلت: ما يعنيك، وإنّما يعني خاصف النعل علي بن أبي طالب[٢].

قال ابن أبي الحديد: وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يحبّه إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا منافق» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الجنّة لتشتاق إلى أربعة» ـ وجعله أوّلهم ـ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعمّار: «تقتلك الفئة الباغية» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بعدي» ـ إلى غير ذلك ممّا يطول تعداده جدّاً ويحتاج إلى كتاب مفرد يوضع له أفما كان ينبغي لمعاوية أن يفكّر في هذا ويتأمّله ويخشى الله ويتقيه فلعلّه عليه السلام إلى هذا أشار بقوله: «وجحوداً لما هو ألزم لك من لحمك ودمك ممّا قد وعاه سمعك وملئ به صدرك»[٣].

قلت: قد أقرّ ابن أبي الحديد أنّ الظاهر من كلامه عليه السلام الأوّل وحينئذٍ فيكون خلفاؤه الثلاثة أيضاً مثل معاوية، وكلّهم كانوا يعرفون ما قال سمعوا كلّ ما مرّ بآذانهم ورأوه بأعينهم، لكن حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها كما قال عليه السلام في خطبته المعروفة[٤].

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي): قال أبو حامد الغزالي في كتابه (سرّ العالمين): أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لعليّ عليه السلام يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعليّ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٢٠، والنقل بتصرف يسير.

(٢) رواه عنه السبط في التذكرة: ٣٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٢١.

(٤) نهج البلاغة ١: ٣٦، الخطبة ٣.

مولاه» فقال عمر بن الخطاب «بَخٍ بَخٍ لك يا أبا الحسن! أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة» وهذا تسليم ورضاء و تحكيم ثمّ بعد هذا غلب الهوى حبّاً للرياسة، وعقد البنود، وخفقان الرايات، وآزدحام الخيول في فتح الأمصار، وأمر الخلافة ونهيها. فحملهم على الخلاف ﴿فنبذوه وراء ظهورهم وآشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون﴾[1].

ومعاوية كان مقرّاً بجميع فضائله عليه السلام التي عدّدها إلّا أنّه كان يقول انّه اتّبع صدّيقهم وفاروقهم. فكتب إلى محمّد بن أبي بكر في جواب كتاب كتبه إليه أنكر عليه آدّعاءه في قباله عليه السلام وهو هو وهو هو: «آتاني كتابك ـ إلى أن قال ـ ذكرت حق آبن أبي طالب وقديم سوابقه، وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و نصرته له ومواساته إيّاه في كلّ خوف، وهول ـ إلى أن قال ـ وقد كنّا وأبوك فينا نعرف فضل آبن أبي طالب وحقّه لازماً لنا مبرماً علينا. فلمّا آختار الله لنبيّه ما عنده، وأتمّ له ما وعده، وأظهر دعوته. فأبلج حجّته، وقبضه الله إليه كان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه حقّه، وخالفه على أمره. على ذلك آتّفقا وآتّسقا، ثمّ إنّهما دعواه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكّأ عليهما؛ فهمّا به الهموم، وأرادا به العظيم. ثمّ إنّه بايع لهما وسلّم لهما وأقاما لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرّهما ـ إلى أن قال ـ:

فخذ حذرك يا آبن أبي بكر، وقس شبرك بفترك تقصر عن أن توازي أو تساوي من يزن الجبال بحمله، لا يلين عن قسر قناته، ولا يدرك ذو مقال أناته وأبوك مهّد مهاده، وبنى له ملكه وشاده، فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك استبدّ به، ونحن شركاؤه، ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا آبن أبي طالب ولسلّمنا إليه ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا. فأخذنا بمثله.

---

(١) تذكرة الخواص: ٦٢. والآية ١٨٧ من آل عمران.

فعب أباك بما بدا لك أو دع ذلك.

رواه المسعودي في (مروجه) ونصر بن مزاحم في (صفينه) وغيرهما وأشار إليه الطبري في (تاريخه)(١).

ثم قول ابن أبي الحديد النصّ عليه من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «تذكره الشيعة» مغالطة، بل هم أيضاً يذكرونه كما نذكره، وقد صُنّف في من ذكره منهم كتاب بل كتب.

وممّن صنّف فيه الحنفي في (ينابيعه)، وقد عنون الجزري رواته في تضاعيف (أُسده)(٢) وإنّما فرقهم وفرق الشيعة أنّ الشيعة يعملون بما قاله نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم، وهم لا يعملون بقول نبيّهم بل يقدّمون نصّ فاروقهم في نبيّهم: «إنّ الرجل ليهجر» على نصّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مع أنّ حديث المنزلة يكفيه عليه السلام مرتبة ومنزلة.

كما أنّ قوله: «ونحن نخرّج كلامه عليه السلام: وجحوداً لما هو ألزم لك من لحمك ودمك ممّا قد وعاه سمعك وملئ به صدرك على وجه لا يلزم منه ما تقوله الشيعة» أيضاً غلط. فلازم أكثر تلك الأحاديث أيضاً ثبوت خلافته.

«فماذا بعد الحقّ إلاّ الضلال المبين» هكذا في (المصرية)، وكلمة «المبين» زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)(٣)، وأيضاً لا وجه لها. فمقابل الحقّ مطلق الضلال، وكلامه عليه السلام لفظ الآية في يونس:

---

(١) رواه نصر ابن مزاحم في وقعة صفين: ١١٨. والمسعودي في المروج ٣: ١٢. والبلاذري في أنساب الأشراف ٢: ٣٩٦. وأشار اليه الطبري في تاريخه ٣: ٥٥٧، لسنة ٣٦.

(٢) أمّا ينابيع المودة فالعمدة فيه هذه الأحاديث، وأما أُسد الغابة فروى فيه هذه الأحاديث متفرقة في ترجمة رواتها من الصحابة.

(٣) توجد الكلمة في شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٢٠. وشرح ابن ميثم ٥: ٢١٢.

﴿فذلكم الله ربّكم الحقّ فماذا بعد الحقّ إلاّ الضلال فأنّى تصرفون﴾[١].

«**وبعد البيان إلاّ اللبس**» أي: التلبيس ولبس الحقّ بالباطل ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحقّ بالباطل وتكتمون الحقّ وأنتم تعلمون﴾[٢].

«**فاحذر الشبهة، واشتمالها على لبستها**» أي: تلبيسها.

«**فإنّ الفتنة طالما**» أي: صارت في زمان طويل.

«**أغدفت**» أي: أرسلت وأرخت.

«**جلابيبها**» أي: ملاحفها فلا يتبين وجه الحقّ كمرأة أرخت جلبابها وسترت قبح وجهها.

«**وأعشت الأبصارَ**» بالنصب.

«**ظلمتُها**» بالرفع، والأعشى الّذي لا يبصر بالليل يعني ظلمة الشبهة تجعل الأبصار غير مبصرة كظلمة الليل لبصر الأعشى.

والمراد أنّ وزر شبهة وفتنة يكون أبد الدهر عليه، وشبهات معاوية وتلبيساته إلى اليوم في أذهان أهل السنة باقية. بل هل دين أهل السنة؛ دين اخترعه لهم معاوية. ولذا قال الربيع بن نافع كما في (تاريخ بغداد): معاوية بن أبي سفيان ستر أصحاب النبيّ ﷺ فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه[٣].

قلت: وكفى صحابتهم خزياً وافتضاحاً كون معاوية الّذي جاهر بالكفر وعمل ما عمل لهم سرّاً.

«**وقد أتاني كتاب منك ذو أفانين من القول**» في (الصحاح): الفنن: جمعه

---

(١) يونس: ٣٢.

(٢) آل عمران: ٧١.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١: ٢٠٩.

أفنان ثمّ أفانين، وهي الأساليب: أي أجناس الكلام[1].

«ضعفت قواها» قوى جمع قوّة.

«عن السلم» أي: الصلح أو الاسلام، والمراد ضعفت أقوياء أفانين كتابك عن السلم فكيف بضعافها.

«وأساطير» أي: أباطيل جمع أُسطورة بالضم وإسطارة بالكسر.

«لم يحكها» بضم الحاء من حاك يحوك نسج.

«منك علم ولا حلم» أي: عقل، وهو من استعمال اللازم في الملزوم. هذا وللنابغة في مثل ذلك:

أتاك بقول هلهل النسج كاذباً ولم يأتِ بالحقّ الّذي هو ساطع

وللبحتري :

أتاني كتابك ذاك الّذي تهدّدت فيه ضلالاً ونوكا

«أصبحت منها كالخائض» أي: المقتحم.

«في الدهاس» أي: ما سهل من الأرض ولان، ولم يبلغ أن يكون رملاً.

«والخابط» أي: الطارح نفسه.

«في الديماس» أي: في سرب مظلم.

والمراد أصبحت من الخلافة وما تتعلّق به من أمرها من كونك والي عمر، وولّي عثمان كالخائض في الدهاس. فيخوض فيه كما يخاض في الماء، والخابط في الديماس يعثر بكلّ حجر ومدر.

هذا، وديماس أيضاً كان اسم سجن مظلم بواسط للحجاج قال جحدر اللص بعد خروجه من ذاك السجن.

إنّ الليالي نحت بي فهي محسنة لا شك فيه من الديماس والأسد

(١) صحاح اللغة ٦: ٢١٧٧، مادة (فنن)، والنقل بتصرف.

«وترقّيت» أي: صعدت.

«إلى مرقبة» في (الصحاح): «المرقب والمرقبة: الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب الموكّل بالضريب»[١].

«بعيدة المرام» أي: المقصد.

«نازحة» أي: مرتفعة .

«الأعلام» أي: الجبال.

«تقصر دونها الأنوق» هو كالمثل، وفي (الصحاح): الأنوق على فعول: طائر وهو الرحمة وفي المثل: «أعزّ من بيض الأنوق» لأنها تحرزه فلا يكاد يظفر به لأنّ أوكارها في رؤوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة[٢].

«ويحاذى بها العيّوق» في (الصحاح): العيّوق نجم أحمر مضيء في طرف المجرّة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدّمه.

ذكره في «عوق» وذكره (القاموس) في «عوق وعيق» وقال: «واوي يائي»[٣] ولا معنى له إلّا أن يريد أن يُعلم أنّ أصله «عيووق» أو «عييوق».

وإنّما قال عليه السلام لمعاوية: ترقيت إلى مرقبة بتلك الأوصاف من كونها بعيدة المرام نازحة الأعلام يقصر دونها الأنوق، ويحاذى بها العيوق، لأنّ المراد من تلك المرتبة الخلافة الّتي هي أمانة الله الّتي قال تعالى بعجز السماوات والأرض والجبال عن تحمّلها في قوله: ﴿إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلوماً جهولاً﴾[٤].

---

(١) صحاح اللغة ١: ١٣٧، مادة (رقب).

(٢) صحاح اللغة ٤: ١٤٤٧، مادة (أنق).

(٣) صحاح اللغة ٤: ١٥٣٤، مادة (عوق). والقاموس ٣: ٢٧٠ ـ ٢٧١ مادة (عوق وعيق).

(٤) الاحزاب: ٧٢.

وعهد الله تعالى الّذي قال فيه: ﴿لاينال عهدي الظالمين﴾[١] وكيف لا وهي تالي الرسالة لأنّها خلافة الرسالة وقد قال تعالى: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[٢].

وليس كلّ مؤمن قابلاً لها فضلاً عن معاوية المنافق. قال نصر بن مزاحم في (صفينه): خرج عمّار يوماً من أيّام صفين، وجعل يقول: يا أهل الإسلام! أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله، وجاهدهما، وبغى على المسلمين، وظاهر المشركين. فلمّا أراد الله أن يظهر دينه، وينصر رسوله أتى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأسلم وهو والله في ما يرى راهبٌ غير راغب، وقبض الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإنّا والله لنعرفه بعداوة المسلم، ومودّة المجرم؟ ألا وإنّه معاوية. فالعنوه لعنه الله، وقاتلوه فإنّه ممّن يطفئ نور الله ويظاهر أعداء الله[٣].

«وحاش لله أن تلي للمسلمين بعدي صدراً أو ورداً، أو أُجري لك على أحد منهم عقداً أو عهداً» روى نصر بن مزاحم: أنّ معاوية أتى جريراً في منزله أي لمّا بعثه عليه السلام إليه لأخذ البيعة منه. وقال له: إنّي قد رأيت رأياً. قال: هاته. قال: اُكتب إلى صاحبك يجعل لي الشام ومصر جباية. فإذا حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده بيعة في عنقي، وأُسلّم له هذا الأمر، وأكتب إليه بالخلافة. فقال جرير: أُكتب بما أردت، وأكتب معك. فكتب معاوية بذلك إلى عليّ فكتب عليّ عليه السلام إلى جرير أنّ المغيرة بن شعبة قد كان أشار عليّ ان استعمل معاوية على الشام ـ وأنا بالمدينة ـ فأبيت ذلك عليه، ولم يكن الله ليراني أتّخذ المضلّين عضدا[٤].

«فمن الآن فتدارك نفسك وأنظر لها فإنّك إن فرّطت حتّى ينهد» أي: ينهض.

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) الانعام: ١٢٤.

(٣) وقعة صفين: ٢١٤.

(٤) وقعة صفين: ٥٢، والنقل بتقطيع.

«إليك عباد الله ارتجت» من الأفعال بلفظ المجهول من ارتجت الباب اغلقته.

«عليك الأمور، ومنعت أمراً هو منك اليوم مقبول» وفي الكتاب زيادات واختلافات قبل ما نقله المصنف وزيادات بعده هكذا على ما روى «يا ابن حرب! إنّ لجاجك في منازعة الأمر أهله من سفاه الرأي فلا يطمعنّك أهل الضلال» وقد نقله بتمامه ابن أبي الحديد في شرح كتابه عليه السلام العاشر [1].

«والسلام» ليس في نسختي من (ابن ميثم)[2] والظاهر زيادته.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤١٩.

(٢) توجد الكلمة في نسختنا ٥: ٢١٣.

الفصل التاسع

في اخباره عليه السلام بالملاحم
وما يأتي من الأزمنة

١
الحكمة (٣٦٩)

وَقَالَ عليه السلام:

يَأْتِي عَلَى ٱلنَّاسِ زَمَانٌ لاَ يَبْقَىٰ فِيهِ مِنَ ٱلْقُرْآنِ إلاَّ رَسْمُهُ، وَمِنَ ٱلإِسْلامِ إلَّا ٱسْمُهُ، مَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ ٱلْبُنَىٰ خَرَابٌ مِنَ ٱلْهُدَىٰ، سُكَّانُهَا وَعُمَّارُهَا شَرُّ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ ٱلْفِتْنَةُ، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي ٱلْخَطِيئَةُ يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا فِيهَا. وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا يَقُولُ ٱللهُ تَعَالَى: «فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولَئِكَ فِتْنَةً أَتْرُكُ الحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ» وَقَدْ فَعَلَ، وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ ٱللهَ عَثْرَةَ ٱلْغَفْلَةِ.

«يأتي على الناس زمان لا يبقىٰ فيهم من القرآن إلاّ رسمه» أي: خطّه وكتابته وتلاوته دون العمل.

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: لا والله! لا يرجع الأمر والخلافة إلى آل أبي بكر وعمر أبداً، ولا إلى بني أُميّة أبداً، ولا في ولد طلحة والزبير أبداً، وذلك

أنّهم نبذوا القرآن وأبطلوا السنن وعطّلوا الأحكام(١).

وفي (عقاب الأعمال) عن الصادق عليه السلام: من قرأ القرآن ليأكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظم لا لحم فيه(٢).

وفي (الكافي) عن الباقر عليه السلام قرّاء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتّخذه بضاعة واستدرّ به الملوك، واستطال به على الناس، ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيّع حدوده، وأقامه إقامة القدح فلا كثّر الله هؤلاء من حملة القرآن، ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فأسهر به ليله، وأظمأ به نهاره، وقام به في مساجده، وتجافى به عن فراشه. فبأُولئك يدفع الله العزيز الجبّار البلاء، وبأُولئك يديل الله تعالى من الأعداء، وبأُولئك ينزّل الله تعالى الغيث من السماء، فوالله لهؤلاء في قرّاء القرآن أعزّ من الكبريت الأحمر(٣).

«ومن الإسلام إلاّ اسمه» في (الكافي) عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الله تعالى خلق الإسلام. فجعل له عرصة، وجعل له نوراً، وجعل له حصناً، وجعل له ناصراً. فأمّا عرصته فالقرآن، وأمّا نوره فالحكمة، وأمّا حصنه فالمعروف، وأمّا أنصاره فأنا وأهل بيتي وشيعتنا ـ إلى أن قال ـ فلو أنّ الرجل من أُمّتي عبد الله تعالى عمره أيّام الدنيا ثمّ لقي الله تعالى مبغضاً لأهل بيتي وشيعتي ما فرّج الله صدره إلاّ عن النفاق.

و(فيه) عنه صلى الله عليه وآله وسلم: الاسلام عريان فلباسه الحياء، وزينته الوفاء، ومروّته العمل الصالح، وعماده الورع، ولكلّ شيء أساس وأساس الإسلام حبّنا أهل البيت(٤).

---

(١) الكافي للكليني ٢: ٦٠٠ ح ٨.

(٢) عقاب الأعمال للصدوق: ٣٢٩ ح ١. عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام.

(٣) الكافي للكليني ٢: ٦٢٧ ح ١.

(٤) الكافي للكليني ٢: ٤٦ ح ٢ و ٣.

«ومساجدهم» هكذا في (المصرية)، والصواب: (مساجدهم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)(١) لأنّ المقام مقام الفصل لا الوصل.

«يومئذٍ غامرة» هكذا في (المصرية)، والصواب: (عامرة) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)(٢) وبقرينة ما بعده.

«من البناء، خراب من الهُدى» عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: يأتي في آخر الزمان ناس من أُمّتي يأتون المساجد، فيقعدون حلقاً ذكرهم الدنيا وحبّ الدنيا، لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: لَلْبَغْيُ في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش(٣).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: لا تزخرفوا مساجدكم كما زخرفت اليهود والنصارى بيعهم(٤).

وفي الخبر: إذا قام القائم جعل المساجد جمّاً لا شرف لها كما كانت على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم(٥).

وفي الأثر إذا خرج القائم عليه السلام أمر بهدم المنار والمقاصير الّتي في المساجد(٦).

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إذا فعلت أُمّتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء ـ إلى أن قال ـ وآرتفعت الأصوات في المساجد(٧).

---

(١) توجد الواو في شرح ابن أبي الحديد ٤: ٤٠٨. وشرح ابن ميثم ٥: ٤٢٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٤٠٨. وشرح ابن ميثم ٥: ٤٢٣.

(٣) جامع الأخبار للشعيري: ٧٠.

(٤) لب اللباب للراوندي، عنه المستدرك ١: ٢٢٨ باب ١٢ ح ١.

(٥) الغيبة للطوسي: ٢٨٣، والنقل بالمعنى.

(٦) كشف الغمة للاربلي، عنه المستدرك ١: ٢٣٠ ح ١، واثبات الوصية للمسعودي: ٢١٥.

(٧) الخصال للصدوق ٢: ٥٠٠ ح ١.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: لا تقوم الساعة حتّى يتبايع الناس في المساجد[١].

«سكّانها وعمّارها شرّ أهل الأرض، منهم تخرج الفتنة، وإليهم تأوي الخطيئة» رووا أنّ المأمون أمر بإشخاص سليمان بن محمّد الخطّابي من البصرة وكان إمام مسجدها وكان رأى على سارية منه «رحم الله عليّاً إنّه كان تقيّاً» فأمر بإزالته، فلمّا مثل بين يديه قال له: أنت القائل: «العراق عين الدنيا، والبصرة عين العراق، والمربد عين البصرة، ومسجدي عين المربد، وأنا عين مسجدي» وأنت أعور؟ فإذن عين الدنيا عوراء. قال: لم أقل ذلك، ولا أظنّ أنّك أحضرتني لذلك. قال: بلغني أنّك أصبحت فوجدت على سارية من سواري مسجدك «رحم الله عليّاً إنّه كان تقيّاً» فأمرت بمحوه. قال كان «لقد كان نبيّاً» فأمرت بإزالته. فقال له المأمون: كذبت! كانت القاف أصحّ من عينك الصحيحة. ووالله لولا أن أُقيم لك سوقاً عند العامة لأحسنت تأديبك.

«يردّون من شذّ» من باب مدّ وفرّ.

«عنها فيها» أي: يردّون من تفرّق عن الفتنة فيها كما يردّ الراعي شاة تفرّقت عن الأغنام فيها.

«ويسوقون من تأخّر عنها إليها» كما يسوق السائق حماراً أو بقراً تأخّر عنهما إليهما، وردّهم كذلك، وسوقهم كذلك لجدّيتهم في رواج الفتنة وصيرورتها معمولاً بها.

وفي (عقاب الأعمال) عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: سيأتي على أُمّتي زمان لا يبقى من القرآن إلاّ رسمه، ولا من الاسلام إلاّ اسمه يسمّون به وهم أبعد الناس منه. مساجدهم عامرة (من البناء) وهي خراب من الهدى. فقهاء ذلك الزمان

(١) لب اللباب للراوندي: عنه المستدرك ١: ٢٣٠ ح ٧.

شرّ فقهاء تحت ظلّ السماء منهم خرجت الفتنة، وإليهم تعود[١].

«يقول الله تعالى: فبي حلفت لأبعثنّ على أُولئك فتنة أترك الحليم» هكذا في (النسخ)، والصواب: (الحكيم) وقد نسبه ابن ميثم إلى رواية[٢].

«فيها حيران» لا يرى وجه خلاص له كلّما فكر.

في (عقاب الأعمال) عن الباقر عليه السلام: أنّ الله تعالى أنزل كتاباً من كتبه على نبي من الأنبياء وفيه أن يكون خلقٌ من خلقي يختتلون الدنيا بالدين . يلبسون مسوك الضان على قلوب كقلوب الذئاب. أشدّ مرارة من الصبر، وألسنتهم أحلى من العسل، وأعمالهم الباطنة أنتن من الجيف. فبي يغترّون؟ أم إيّاي يخادعون؟ أم عليّ يجترئون؟ فبعزّتي حلفت؛ لأبعثنّ عليهم فتنة تطأ في خطامها حتّى تبلغ أطراف الأرض، تترك الحكيم منها حيران فيها، رأي ذي الرأي، وحكمة الحكيم ألبسهم شيعاً وأُذيق بعضهم بأس بعض أنتقم من أعدائي بأعدائي فلا أُبالي.

وعنه عليه السلام قال: سئل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيم النجاة غداً؟ قال: إنّما النجاة في ألّا تخادعوا الله فيخدعكم، فانه من يخادع الله يخدعه وينزع منكم الايمان ونفسه يخدع لو يشعر. قيل له : فكيف يخادع الله؟ قال: يعمل بما أمر الله ثم يريد به غيره فاتقوا الله في الرياء فانه شرك بالله إنّ المرائي يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر حبط عملك، وبطل أجرك، فلا خلاص لك اليوم، فالتمس أجرك ممّن كنت تعمل له.

وعن الصادق عليه السلام قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : سيأتي على أُمّتي زمان تخبث فيه سرائرهم، وتحسن علانيتهم طمعاً في الدنيا. لا يريدون به ما عند الله عزّوجلّ

---

(١) عقاب الاعمال: ٣٠١ ح ٤.

(٢) كذا في نهج البلاغة ٤: ٨٨. وشرح ابن أبي الحديد ٤: ٤٠٨ وشرح ابن ميثم ٥: ٤٢٤.

يكون أمرهم رياء لا يخالطه خوف، يعمّهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجاب لهم.

وعنه عليه السلام قال عليّ عليه السلام: إنّ في جهنّم رحىً تطحن أفلا تسألوني ما طحنها؟ فقيل له: و ما طحنها يا أمير المؤمنين؟ فقال: العلماء الفجرة، والقرّاء الفسقة، والجبابرة الظلمة، والوزراء الخونة، والعرفاء الكذبة، وإنّ في النار لمدينة يُقال لها: الحصينة. أفلا تسألوني ما فيها؟ فقيل له: وما فيها يا أمير المؤمنين؟ قال: فيها أيدي الناكثين[(١)].

وعنهم عليهم السلام يقول عزّوجل: «إذا عصاني من خلقي من يعرفني؛ سلّطت عليه من لا يعرفني»[(٢)].

«وقد فعل» هكذا في (النسخ)[(٣)]، وكأنّه مصحّف «وكذلك يفعل» لأنّ مقوله تعالى إلى قوله «حيران»، وأمّا هذا فكلامه عليه السلام تصديقاً لقوله تعالى، نظير تصديق الله تعالى لقول ملكة سبأ: ﴿إنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة﴾ في قوله تعالى: ﴿وكذلك يفعلون﴾[(٤)].

«ونحن نستقيل الله» أي: نطلب تجاوزه.

«عثرة الغفلة» عنه تعالى حتّى لا يجعلنا مثل اُولئك.

---

(١) عقاب الأعمال: ٣٠١ ـ ٣٠٤.

(٢) أخرجه الصدوق في أماليه: ١٩٠ ح ١٢، المجلس ٤٠، عن السجاد عليه السلام والكليني في الكافي ٢: ٢٧٦ ح ٣٠ عن الصادق عليه السلام.

(٣) كذا في نهج البلاغة ٤: ٨٨، وشرح ابن أبي الحديد ٤: ٤٠٩ وشرح ابن ميثم ٥: ٤٢٤.

(٤) النمل: ٣٤.

٢
الحكمة (٤٦٨)

وَقَالَ عليه السلام:

يَأْتِي عَلَىٰ ٱلنَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ، يَعَضُّ ٱلْمُوسِرُ فِيهِ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِذٰلِكَ. قَالَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ «وَلاَ تَنْسَوُا ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ» تَنْهَدُ فِيهِ ٱلْأَشْرَارُ، وَتُسْتَذَلُّ ٱلْأَخْيَارُ. وَيُبَايِعُ ٱلْمُضْطَرُّونَ. وَقَدْ نَهَى رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ بَيْعِ ٱلْمُضْطَرِّين.

أقول: الأصل فيه رواية عيون ابن بابويه عن الرضا عن آبائه عليهم السلام عن الحسين عليه السلام قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام فقال: سيأتي على الناس زمان عضوض يعضّ المؤمن على ما في يده ولم يؤمر بذلك، قال الله تعالىٰ: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم إنّ الله بما تعملون بصير﴾[1].

وسيأتي زمان يقدّم فيه الأشرار، وينسئ فيه الأخيار، ويبايع المضطر، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن بيع المضطر، وعن بيع الغرر، فاتّقوا الله يا أيّها الناس، وأصلحوا ذات بينكم واحفظوني في أهلي[2].

ورواه (سنن أبي داود) عن شيخ من بني تميم قال: خطبنا عليّ عليه السلام فقال: سيأتي على الناس زمان عضوض يعضّ الموسر على ما في يديه ولم يؤمر بذلك. قال الله تعالىٰ: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ ويبايع المضطرّون وقد نهى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن بيع المضطر، وبيع الغرر، وبيع الثمرة قبل أن تدرك[3].

---

(١) البقرة: ٢٣٧.

(٢) عيون الاخبار للصدوق ٢: ٤٥ ح ١٦٨ ومسند الرضا عليه السلام فيه: ٤٩٠.

(٣) سنن أبي داود ٣: ٢٥٥ ح ٣٣٨٢.

«يأتي على الناس زمان عضوض» أي: زمان يعضّ الناس ككلب كلب. قال ابن أحمر:

نأت عن سبيل الخير إلاّ أقلّه وعضّت من الشر القراح بمعظم[١]

«يعضُّ الموسر على ما في يديه» فلا يدع أن يخرج منه خير إلى غيره.

«ولم يؤمر بذلك» (بل بضدّه) قال الله سبحانه: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾[٢].

وفي (الكافي) عن الباقر عليه السلام: إنّ الشمس لتطلع، ومعها أربعة أملاك. ملك ينادي: يا صاحب الخير أتمّ وأبشر، وملك ينادي: يا صاحب الشرّ إنزع وأقصر، وملك ينادي: أعط منفقاً خلفا، وآت ممسكاً تلفاً، وملك ينضحها بالماء، ولولا ذلك اشتعلت الأرض.

وعن الصادق عليه السلام: من يضمن أربعة بأربعة أبيات في الجنّة؟ أنفق ولا تخف فقراً، وأنصف الناس من نفسك، وأفش السلام في العالم، واترك المراء وإن كنت محقّاً.

وعن الرضا عليه السلام قال لمولى له: هل أنفقت اليوم شيئاً؟ فقال لا فقال فمن أين يخلف الله علينا. أنفق ولو درهماً واحداً.

وعنه عليه السلام كتب إلى ابنه الجواد عليه السلام بلغني أنّ الموالي إذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير. فإنّما ذلك من بخل منهم لئلّا ينال منك أحد خيراً، وأسألك بحقّي عليك لا يكن مدخلك ومخرجك إلّا من الباب الكبير. فإذا ركبت فليكن معك ذهب و فضّة ثمّ لا يسألك أحد شيئاً إلّا أعطيته، ومن سألك من عمومتك أن تبرّه فلا تعطه أقلّ من خمسين دنياراً، والكثير إليك، ومن سألك

(١) أساس البلاغة للزمخشري: ٣٠٥، مادة (عضّ).

(٢) البقرة: ٢٣٧.

من عمّاتك فلا تعطها أقلّ من خمسة وعشرين ديناراً، والكثير إليك. إني إنّما أُريد بذلك أن يرفعك الله فانفق، ولا تخش من ذي العرش إقتارا[١].

وعن النبيّ ﷺ: ما محق الإسلام محق الشحّ شيء. إنّ لهذا الشحّ دبيباً كدبيب النمل، وشعباً كشعب الشرك ـ وفي نسخة ـ (الشوك) [٢].

وعن الصادق عليه السلام: جاء رجل الى النبيّ ﷺ فقال: إنّي شيخ كثير العيال قليل المال فنظر ﷺ إلى أصحابه وقال: قد أسمعنا. فقام رجل وقال: كنت بالأمس مثلك. فذهب به إلى منزله فأعطاه مروداً من تبر، وكانوا يتبايعون بالذهب والفضة. فقال: هذا كلّه؟ قال: نعم. قال: خذ تبرك. إنّي لست بإنسي ولا جنّي ولكنّي رسول من الله لأبلوك. فوجدتك شاكراً جزاك الله خيراً[٣].

«تنهد» أي: تنهض وتقوم.

«فيه الأشرار وتستذلّ الأخيار» في (العقد الفريد): دفع الحجّاج إلى محمّد بن المنتشر الهمداني رجلاً ذمّياً، وأمره بالتشديد عليه، والاستخراج منه. قال: فقال لي: إنّ لك لشرفاً وديناً وانّي لا أعطي على القسر شيئاً فارفق بي. ففعلت. فأدّى إليّ في أُسبوع خمسمئة ألف. فبلغ ذلك الحجّاج . فأغضبه فانتزعه من يدي، ودفعه إلى الّذي كان يتولّى له العذاب. فدقّ يديه و رجليه. فلم يعطه شيئاً، وإنّي لسائر يوماً في السوق إذ صاح بي صائح. فالتفتّ فإذا أنا به معترضاً على حمار مدقوق اليدين والرجلين.

فقال لي: إنّك وليت منّي ما ولي هؤلاء. فرفقت بي، وإنّهم صنعوا بي ما

(١) الكافي للكليني ٤: ٤٢ ـ ٤٤ ح ١، ٥، ٩، ١٠.

(٢) الكافي للكليني ٤: ٤٥ ح ٥.

(٣) الكافي للكليني ٤: ٤٨ ح ١١، والنقل بتصرف يسير.

ترى ولي خمسمئة ألف عند فلان فخذها مكافأة لما أحسنت إليّ. فقلت: ما كنت لآخذ منك شيئاً.

قال: فأمّا إذ أبيت فاسمع منّي حديثاً أُحدّثك به حدّثنيه بعض أهل دينك عن نبيّك أنّه قال: إذا رضي الله عن قوم أنزل عليهم المطر في وقته، وجعل المال في سمحائهم، واستعمل عليهم خيارهم، وإذا سخط على قوم أنزل عليهم المطر في غير وقته، وجعل المال في بخلائهم، واستعمل عليهم شرارهم. فانصرفت فما وضعت ثوبي حتّى أتاني رسول الحجاج فأتيته فألفيته جالساً على فراشه، والسيف مصلت بيده.

فقال لي: أُدن. فدنوت شيئاً ثمّ قال لي الثانية: أُدن لا أباً لك. فقلت: ما بي إلى الدنوّ من حاجة، وفي يد الأمير ما أرىٰ. فضحك وأغمد سيفه. وقال: إجلس! ما كان من حديث الخبيث. فقلت له: أيّها الأمير! والله ما خنتك منذ ائتمنتني. ثمّ حدّثته فلمّا صرت إلى ذكر الرجل الّذي عنده المال أعرض عنّي بوجهه، وأومأ إليّ أن لا تسمّه: ثمّ قال: إنّ للخبيث نفساً وقد سمع الأحاديث[1].

«ويبايع المضطّرون وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع المضطرين» عقد الشيخ في (الاستبصار) باباً لكراهية مبايعة المضطر، ثمّ روى خبراً عن الصادق عليه السلام قال: «يأتي على الناس زمان عضوض يعضّ كلّ امرئٍ على ما في يديه، وينسى الفضل، وقد قال تعالىٰ ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾[2] ثمّ ينبري في ذلك الزمان أقوام يبايعون المضطرين أُولئك هم شرار الناس».

وروى خبراً آخر أنّه قيل للصادق: إنّ الناس يزعمون أنّ الربح على المضطر حرام، وهو من الربا. فقال: وهل رأيت أحداً اشترى غنياً أو فقيراً إلّا

(١) العقد الفريد ٥: ٢٦٦، والنقل بتصرف يسير.

(٢) البقرة: ٢٣٧.

من ضرورة قد أحلّ الله البيع، وحرّم الربا بع واربح ولا ترب.... .

ثمّ قال: لا تنافي بينهما. فالمضطر الّذي في الخبر الأوّل محمول على المضطر الّذي يضطرّه غيره إلى البيع بالجبر والاكراه، وفي الخبر الثاني محمول على الّذي تضطرّه حاجته لا غيره[1].

قلت: بل المضطر في الخبر الأوّل محمول بقرينة صدره على عدم تفضل الموسرين على المعسرين حتّى يضطر المعسرون إلى بيع نفائسهم بأقل ثمن، ومثله كلامه عليه السلام فإنّ الأصل فيهما واحد.

وكلام آخرهم عليهم السلام ككلام أوّلهم لا ما قاله من أنّه في ما أجبره جبار، والخبر الثاني مورده أنّ كلّ من يشتري شيئاً لابد أنّه كان محتاجاً إلى ذاك الشيء. فلا بأس أن يأخذ البائع ربحاً بدون ربا لا كما يتوهمه بعض القاصرين من المتصوّفين من حرمة أخذ الربح من كلّ مشتر.

ويوضح كون المراد من الخبر الأوّل ما قلناه. ما رواه (الكافي): أنّ رجلاً قال لأبي عبدالله عليه السلام: إنّي رأيت في منامي كأنّي خارج من الكوفة في موضع أعرفه، وكأنّ شبحاً من خشب ـ أو رجلاً منحوتاً من خشب ـ على فرس من خشب يلوّح بسيفه، وأنا أشاهده فزعاً مرعوباً. فقال له عليه السلام: أنت رجل تريد اغتيال رجل في معيشته. فاتّق الله الّذي خلقك ثمّ يميتك.

فقال الرجل: أشهد أنّك أُوتيت علماً. إنّ رجلاً من جيراني جاءني وعرض عليّ ضيعته فهممت أن أملكها بوكس كثير لما عرفت أنّه ليس لها طالب غيري.

فقال له عليه السلام: وصاحبك يتولّانا ويتبرّأ من أعدائنا؟

فقال: نعم. رجل جيّد البصيرة، مستحكم الدين، وأنا تائب إلى الله تعالى

---

(١) كذا قال في الاستبصار ٣: ٧١ و ٧٢ والنقل بتصرف يسير.

وإليك ممّا هممت به. فأخبرني لو كان ناصباً أيحلّ لي اغتياله.

فقال: أدّ الأمانة إلى من آئتمنك وأراد منك النصيحة، ولو إلى قاتل الحسين عليه السلام (١).

هذا، وروى زيادات (حج التهذيب) عن محمّد بن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: يأتي على الناس زمان يكون فيه حجّ الملوك نزهة، وحجّ الأغنياء تجارة، وحجّ المساكين مسألة (٢).

٣
الخطبة (٩١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ. فَأَنَا فَقَأْتُ عَيْنَ ٱلْفِتْنَةِ، وَلَمْ تَكُنْ لِيَجْرُأَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا، وَٱشْتَدَّ كَلَبُهَا. فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي. فَوَ ٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلسَّاعَةِ، وَلاَ عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِئَةً وَتُضِلُّ مِئَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا، وَمُنَاخِ رِكَابِهَا، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً، وَيَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً. وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ ٱلْأُمُورِ، وَحَوَازِبُ ٱلْخُطُوبِ، لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ ٱلسَّائِلِينَ، وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْمَسْؤُولِينَ. وَذٰلِكَ إِذَا قَلَّصَتْ حَرْبُكُمْ وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ، وَضَاقَتْ ٱلدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضَيْقاً تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ ٱلْبَلاَءِ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ يَفْتَحَ ٱللهُ لِبَقِيَّةِ ٱلْأَبْرَارِ مِنْكُمْ.

أقول: قال ابن أبي الحديد: وهذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب

---

(١) الكافي للكليني ٨: ٢٩٣ ح ٤٤٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) التهذيب للطوسي ٥: ٤٦٢ ح ٢٥٩.

السيرة وهي متداولة منقولة مستفيضة خطب بها عليّ عليه السلام بعد انقضاء امر النهروان، وفيها ألفاظ لم يوردها الرضي...[١].

وفي (إرشاد المفيد) أبو بكر محمّد بن المظفر البزاز، عن أبي مالك كثير بن يحيى، عن محمّد بن أبي السري، عن أحمد بن عبدالله بن يونس، عن سعد الكناني، عن الأصبغ قال: لمّا بويع أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة خرج إلى المسجد معتمّاً بعمامة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لابساً بردته، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وأنذر، ثمّ جلس متمكّناً وشبك بين أصابعه ووضعها أسفل سرّته.

ثمّ قال: يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني. سلوني فإنّ عندي علم الأولين والآخرين. أما والله لو ثني لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم - إلى أن قال -.

ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني فوالّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية آية لأخبرتكم بوقت نزولها، وفيم نزلت، وأنبأتكم بناسخها من منسوخها، وخاصّها من عامها، ومحكمها من متشابهها ومكّيّها من مدنيّها، والله ما من فئة تضلّ أو تهدى إلاّ وأنا أعرف قائدها، وسائقها، وناعقها إلى يوم القيامة[٢].

وروى في (أماليه) مسنداً عن الأعمش، عن عباية بن ربعي قال: كان عليّ عليه السلام كثيراً ما يقول: سلوني قبل أن تفقدوني. فوالله ما من أرض مخصبة ولا مجدبة، ولا فئة تضلّ مئة أو تهدي مئة إلاّ وأنا أعلم قائدها، وسائقها وناعقها إلى يوم القيامة»[٣].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٨.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٢٣.

(٣) أخرجه أبو علي الطوسي في أماليه ١: ٥٨، جزء ٢. عن طريق المفيد لكن لم يجئ في أمالي المفيد.

وروى الصفار في (بصائره) عن الأصبغ قال: سمعت علياً عليه السلام يقول على هذا المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني، والله ما أرض مخصبة ولا مجدبة، ولا فئة تضلّ مئة أو تهدي مئة إلاّ وقد عرفت قائدها وسائقها، وقد أخبرت بهذا رجلاً من أهل بيتي يخبرها كبيرهم لصغيرهم إلى أن تقوم الساعة(١).

وروى ابن عقدة ـ كما في (غيبة النعماني) ـ عن أحمد بن محمّد الدينوري، عن علي بن الحسن الكوفي، عن عميرة بنت دوس، عن جدّها الخضر بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن جدّه عمر بن سعيد قال: قال عليّ عليه السلام يوماً لحذيفة: لا تحدّث الناس بما لا يعرفون فيكفروا. إنّ من العلم صعباً شديداً محمله لو حملته الجبال عجزت عن حمله ـ إلى أن قال ـ يا ابن اليمان! إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تفل في فمي، وأمرّ يده على صدري، وقال: اللّهمّ أعط خليفتي، ووصيّي، وقاضي ديني ومنجز وعدي وأمانتي ووليّي في حوضي، وناصري على عدوّك وعدوّي، ومفرّج الكرب عن وجهي؛ ما أعطيت آدم من العلم، ونوحاً من الحلم، وإبراهيم من العترة الطيبة والسماحة، وأيّوب من الصبر عند البلاء، وداود من الشدّة عند منازلة الأقران، وسليمان من الفهم. اللّهمّ لا تُخفِ على عليّ شيئاً من الدنيا حتّى تجعلها كلّها بين عينيه، مثل المائدة الصغيرة بين يديه. اللّهمّ أعطه حلاوة موسىٰ، واجعله في نسله شبيه عيسى. اللّهمّ إنّك خلّفتني عليه، وعلى عترته، وذرّيّته الطيبة المطهّرة الّتي أذهبت عنها الرجس والنجس، وصرفعت عنها ملامسة الشيطان. اللّهمّ إن بغت قريش عليه، وقدّمت غيره عليه؛ فاجعله بمنزلة هارون من موسى إذا غاب عنه موسىٰ.

ثمّ قال: يا عليّ! كم في ولدك من ولد فاضل يقتل والناس قيام ينظرون لا

---

(١) البصائر: ٣١٩ ح ١٣.

يغيّرون. إنّ القاتل والآمر والشاهد الّذي لا يـغيّر؛ كـلّهم فـي الإثـم واللّـعان مشتركون.

يا ٱبن اليمان! إنّ قريش لا تشرح صـدورها، ولا تـرضى قـلوبها، ولا تجري ألسنتها ببيعة عليّ وموالاته إلاّ على الكره والعمى.

يا ٱبن اليمان! ستبايع قريش عليّاً ثمّ تنكث عليه و تـحاربه وتـناضله وترميه بالعظائم، وبعد عليّ يلي الحسن، وسينكث عـليه. ثـمّ يـلي الحسـين فتقتله فلعنت اُمّة تقتل ٱبن بنت نـبيّها، ولا تـعزّ مـن اُمّـة، ولعـن القـائد لهـا، والمرتّب لفاسقها.

والّذي نفس عليّ بيده لا تزال هذه الاُمّة بعد قتل الحسين ابني في ضلالة وظلمة وجور، وٱختلاف في الدين، وتبديل لمـا أنـزل الله تـعالى فـي كـتابه، وإظهار البدع، وإبطال السنن، وترك محكمات حتّى تنسلخ من الاسلام وتدخل في العمى. مالكم يا بني اُميّة؟ لا هديتم يا بني اُميّة! وما لكم يا بني فلان؟ لكم الاتعاس. فما في بني فلان إلاّ ظالم معتدٍ مـتمرّد عـلى الله بـالمعاصي، قـتّال لولدك، هتّاك لستر حرمتي. فلا تزال هذه الاُمّة جبّارين يتكالبون على حـرام الدنيا منغمس في بحار الهلكات، وفي أودية الدماء؛ حتّى اذا غاب المتغيّب من ولدي عن عيون الناس، وماج الناس بفقده أو بقتله أو بموته؛ أطلعت الفـتنة، ونزلت البلية، وٱلتحمت العصبية، وغلا الناس في دينهم، وأجـمعوا عـلى أنّ الحجّة ذاهبة والإمامة باطلة، وتحجّ حجيج الناس في تلك السنة من شيعة عليٍّ وتواصيهم التمكن و التجسس عن خلف الخلفاء؛ فلا يرى له أثـر. فـعند ذلك سُبّت شيعة علي. سبّها أعداؤها، وغلبت عليها الأشرار والفسّاق باحتجاجها، حتّى إذا بقيت الاُمّة، وتدلّهت وأكثرت في قولها إنّ الحـجّة هـالكة، والإمـامة باطلة. فوربّ علي إنّ حجّتها عليها قائمة ماشية في طرقاتها، داخلة في دورها وقصورها، جوّالة في شـرق الأرض وغـربها، تسـمع الكـلام وتسـلّم عـلى

الجماعة، ترىٰ ولا ترىٰ الى الوقت والوعد، ونداء المنادي من السماء[١].

وفي أوّل (غارات الثقفي) عن إسماعيل بن أبان، عن عبد الغفار بن القاسم بن قيس بن فهد، عن المنصور بن عمرو، عن زرّ بن حبيش، وعن أحمد بن عمران الأنصاري عن أبيه، عن آبن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو عن زرّ قال: خطب عليّ عليه السلام بالنهروان فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس! أمّا بعد؛ فأنا فقأت عين الفتنة ولم يكن أحد ليجترئ عليها غيري.

وفي حديث آبن أبي ليلى: «لم يكن ليفقأها أحد غيري».

ـ إلى أن قال ـ سلوني قبل أن تفقدوني، إنّي ميّت أو مقتول بل قتلاً ما ينتظر أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم ـ وضرب بيده إلى لحيته ـ والّذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء في ما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تضلّ مئة، أو تهدي مئة إلاّ نبّأتكم بناعقها وسائقها.

فقام إليه رجل. فقال: حدّثنا يا أمير المؤمنين عن البلاء. قال عليه السلام: إنّكم في زمان إذا سأل سائل فليعقل، وإذا سئل مسؤول فليتثبّت. ألا وإنّ من ورائكم أموراً أتتكم جللاً مزوجاً، وبلاءً مكلحاً مبلحاً. والّذي فلق الحبة، وبرأ النسمة أن لو فقدتموني، ونزلت كرائه الأمور، وحقائق البلاء. لقد أطرق كثير من السائلين، وفشل كثير من المسؤولين، وذلك إذا قلصت حربكم وشمّرت عن ساق، وكانت الدنيا بلاء عليكم، على أهل بيتي حتّى يفتح الله لبقية الأبرار ـ الخبر[٢].

«**أمّا بعد أيّها الناس فأنا فقأت عين الفتنة**» في (القاموس): فقأ العين والبثرة ونحوهما كمنع: كسرها أو قلعها أو بخقها كفقأها[٣].

---

(١) الغيبة للنعماني: ٩٣، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الغارات للثقفي ١: ٢.

(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادي ١: ٢٣، مادة (فقأ).

والمراد فقؤه عليه السلام عين فتنة: الجمل، وصفين، والنهروان.

هذا، وكانت العرب إذا بلغت إبلهم ألفاً فقؤوا عين الفحل فإن زادت فقؤوا الأخرى. فذلك المقفّى والمعمّى، وكانوا يفتخرون بذلك قال:

فقأت لها عين الفحيل تعيُّفا وفيهن رعلاء المسامع والحام

أيضاً:

وهب لنا وأنت ذو امتنان يُفقأ فيها أعين البعران

قالوا: كان عامر بن الطفيل يوم فيف الريح (اسم مكان كان به الوقعة) يتعهد الناس فيقول: يا فلان! ما رأيتك فعلت شيئاً. فمن أبلى فليُرِني سيفه أو رمحه، فكان كلّ من أبلى بلاءً حسناً أتاه فأراه الدم على سنان رمحه أو سيفه. فأتاه رجل من العدوّ. فقال: اُنظر ما صنعت بالقوم! اُنظر إلى رمحي. فلمّا أقبل عليه لينظر وجاه بالرمح في وجنته ففلقها وفقأ عينه، وترك رمحه وعاد إلى قومه. دعاه إلى ذلك ما رآه يفعل بقومه. فقال: هذا والله مبير قومي. وفقأ رجل عين آخر بحديدة محماة. فسمّي بنوه بني سمّال.

وفي (العقد) من نوكي الأشراف عجل بن لجيم؛ أرسل ابنه فرساً في حلبة فجاء سابقاً. فقال له: يا أبه! ما ترى اُسمّيه؟ قال: افقأ إحدى عينيه، وسمّه الأعور. قال الشاعر:

رمتني بنو عجل بداء أبيهم
وأيّ عباد الله أنوك من عجل
أليس أبوهم عارَ عين جواده
فأضحت به الأمثال تضرب في الجهل[1]

«ولم تكن ليجرؤ» هكذا في (المصرية)، والصواب: (ليجترئ) كما في (ابن

(١) العقد الفريد ٧: ١٤٩، والنقل بتصرف يسير.

أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)، وكما مرّ عن الثقفي[١].

«عليها أحد غيري» لعدم علمهم بقتال أهل القبلة. قال الصادق عليه السلام: لو لم يقاتلهم أمير المؤمنين عليه السلام لم يدر أحد بعده كيف يسير فيهم[٢].

وفي (المناقب): إنّ لمحمّد بن الحسن الفقيه كتاباً يشتمل على ثلاثمئة مسألة في قتال أهل البغي بناءً على فعل عليّ عليه السلام[٣].

وقتل عليه السلام في صفين المقبل والمدبر، وأجهز على الجريح لكون قائدهم معاوية باقياً وقال عليه السلام يوم الجمل بعد قتل طلحة والزبير: لا تتبعوا مولّياً، ولا تجهزوا على جريح[٤].

ثمّ مراده عليه السلام بقوله «ولم يكن ليجترئ عليها أحد غيري» من باقي الناس، لا أهل بيته. فأهل بيته عليهم السلام مثله.

وممّا ذكرنا يظهر لك ما في قول ابن أبي الحديد: لولا أنّه عليه السلام اجترأ على سلّ السيف فيها ما أقدم أحد عليه، حتّى الحسن عليه السلام ابنه أشار عليه ألاّ يبرح عرصة المدينة، ونهاه عن المسير إلى البصرة حتّى قال له منكراً عليه إنكاره، ولا تزال تحنّ حنين الامّة، وقد روى ابن هلال أنّه كلّم أباه في قتال أهل البصرة بكلام أغضبه. فرماه ببيضة حديد عقرت ساقه فعولج منها شهرين...[٥]؛ غلط، وخبراه من الروايات المجعولة من العامة. وكيف يعقل اعتراض من شهد القرآن بعصمته في صغره في قوله تعالى: ﴿إنّما يريد

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٧٣. والغارات ١: ٦. لكن لفظ شرح ابن ميثم ٢: ٣٨٧ مثل المصرية.

(٢) التهذيب للطوسي ٦: ١٤٥ ح ٥.

(٣) مناقب السروي ٢: ٤٤.

(٤) رواه الطبري في تاريخه ٣: ٥١٨ و ٥٤٥، لسنة ٣٦. والبلاذري في أنساب الأشراف ٢: ٢٦٢، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١: ٧٧ وغيرهم.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٥.

الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾[1]، ومن باهل به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في صباه في قوله جلّ وعلا: ﴿قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم...﴾[2] في كبره على أمير المؤمنين عليه السلام.

ولو أغمضنا عن ذلك كيف يمكن أن يخفى على الحسن عليه السلام وجه الحكمة في وجوب قتال الناكثين لبيعة أبيه والمفسدين في الأرض؟! أما كان سمع قوله تعالىٰ: ﴿فقاتلوا الّتي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله﴾[3] وكان تركهم خلاف الشريعة والسياسة؟

ثمّ كيف يفعل مثل أمير المؤمنين عليه السلام ما نسبه اليه؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

قال ابن أبي الحديد من الخطبة مما لم ينقله الرضي قوله عليه السلام: «ولو لم أك فيكم لما قوتل أصحاب الجمل وأهل النهروان» ولم يذكر عليه السلام صفين. قيل: لأنّ الشبهة كانت في أهل الجمل وأهل النهروان ظاهرة الالتباس، لأنّ طلحة والزبير موعودان بالجنّة، وعائشة موعودة أن تكون زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة كما هي زوجته في الدنيا، وحال طلحة والزبير في السبق والجهاد والهجرة معلومة وحال عائشة في محبّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لها وثناؤه عليها، ونزول القرآن فيها معلوم.

وأمّا أهل النهروان فكانوا أهل قرآن وعبادة واجتهاد، وعزوف عن الدنيا وإقبال على أُمور الآخرة، وهم كانوا قرّاء أهل العراق وزهّادها.

وأمّا معاوية فكان فاسقاً مشهوراً بقلّة الدين والانحراف عن الاسلام،

---

(١) الاحزاب: ٣٣.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) الحجرات: ٩.

وكذلك ناصره و مظاهره على أمره عمرو بن العاص، ومن آتّبعهما من طغام أهل الشام وأجلافهم و جهّال الاعراب، فلم يكن أمرهم خافياً في جواز محاربتهم واستحلال قتالهم (كأهل الجمل والنهروان)[١].

قلت: كلامه كلّه خبط في خبط. ففيه أوّلاً: من أين أنّه عليه السلام آقتصر على ما قال. فقد نقل (البحار) عن (غارات الثقفي) أنّه قال: لو لم أكن فيكم ما قوتل أهل الجمل، ولا أهل صفين، ولا أهل النهروان[٢].

وكذلك رواه ابن ميثم فقال: قال عليه السلام: «أمّا بعد؛ فأنا فقأت عين الفتنة شرقيّها وغربيّها، ومنافقها ومارقها، لم يكن ليجتري عليها غيري ولو لم أكن لما قوتل أصحاب الجمل ولا صفين ولا أصحاب النهروان[٣].

وثانياً: إنّ جمعاً من الأجلّاء عندهم كابن عمر، ومحمّد بن مسلمة، وأبي موسى الأشعري، وسعد بن أبي وقاص ـ وهو عندهم من العشرة وهو من الستة ـ استشكلوا في قتال أهل صفين وكانوا من القاعدين.

وثالثاً: إنّ زهادهم وقرّاءهم، وفي رأسهم ربيع بن خثيم آستشكلوا في قتال معاوية. فروى (صفين نصر بن مزاحم): أنّه عليه السلام لمّا ندب الناس إلى حرب معاوية أتاه جمع من أصحاب عبد الله بن مسعود منهم ربيع بن خثيم، وهم يومئذٍ أربعمائة رجل. فقالوا: إنّا قد شككنا في هذا القتال، ولا غنىً بك ولا بنا ولا بالمسلمين عمّن يقاتل العدوّ من الكفّار، فولّنا بعض الثغور. فوجّه الربيع على ثغر الري[٤].

وروى أبو حنيفة الدينوري في (الأخبار الطوال): أنّ جلّ الناس أجاب

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٩.

(٢) الغارات للثقفي ١: ٧ و ١٦. وعنه فتن البحار للمجلسي: ٦٧١.

(٣) شرح ابن ميثم ٢: ٣٨٩.

(٤) وقعة صفين: ١١٥، والنقل بتصرف يسير.

علياً عليه السلام إلى المسير إلى الشام إلّا أصحاب عبد الله بن مسعود وعبيدة السلماني وربيع بن خثيم في نحو من أربعمئة رجل من القرّاء. فقالوا: يا أمير المؤمنين! قد شككنا في هذا القتال، فولّنا بعض هذه الثغور. فولّاهم ثغر قزوين والري، وولّى عليهم الربيع، وعقد له لواءً وكان أوّل لواء عقد بالكوفة(١).

وكيف لا يستشكون في قتال معاوية، وقد سمّو قيامه عليه السلام فتنة. فروى (استيعاب أبي عمرو) هو من كتبهم المعتبرة في أُسامة أنّ عليّ بن حشرم قال: قلت لوكيع: من سلم من الفتنة؟ قال: أمّا المعروفون من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأربعة: سعد بن مالك، وعبد الله بن عمر، ومحمّد بن مسلمة، وأُسامة بن زيد واختلط سائرهم قال: ولم يشهد أمرهم من التابعين أربعة: الرفيع بن خثيم، ومسروق بن الأجدع، والأسود بن يزيد، وأبو عبدالرحمن السلمي(٢).

وروى نصر بن مزاحم أنّه عليه السلام لمّا حرّض الناس لقتال أهل الشام، وقال: «سيروا إلى أعداء السنن والقرآن سيروا إلى بقية الأحزاب، قتلة المهاجرين والأنصار» فقام رجل من بني فزارة يُقال له: أربد. فقال: أتريد أن تسيّرنا إلى إخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك كما سرت بنا إلى اخواننا من أهل البصرة...(٣).

وروى المفيد عن سعيد بن المسيّب قال: سمعت رجلاً يسأل آبن عباس عن عليّ عليه السلام فقال له آبن عباس: إنّ علياً عليه السلام صلّى القبلتين، وبايع

---

(١) رواه الدينوري في الأخبار الطوال: ١٧٦، وابن مزاحم في وقعة صفين: ١١٥، والنقل بتلخيص.

(٢) الاستيعاب ١: ٥٩.

(٣) وقعة صفين: ٩٤.

البيعتين، ولم يعبد صنماً ولا وثناً، ولم يضرب على رأسه بزلم، ولا قدح. ولد على الفطرة ولم يشرك بالله طرفة عين.

فقال الرجل: إنّي لم أسألك عن هذا، وإنّما سألتك عن حمله سيفه على عاتقه يختال به حتّى أتى البصرة. فقتل بها أربعين ألفاً ثمّ سار إلى الشام فلقي حواجب العرب. فضرب بعضهم ببعض حتّى قتلهم، ثمّ أتى النهروان وهم مسلمون فقتلهم عن آخرهم.

وفي آخره: قال له ابن عباس: وعِلْمُ أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم كلّهم في علم عليّ عليه السلام كالقطرة الواحدة في سبعة أبحر[١].

وقال المسعودي في (مروجه): نادى منادي المأمون في سنة (٢١٢) أن برئت الذمة من أحد من الناس ذكر معاوية بخير أو قدّمه على أحد من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأُنشئت الكتب إلى الآفاق بلعنه على المنابر. فأعظم الناس ذلك وأكبروه واضطربت العامّة فأُشير عليه بترك ذلك فأعرض عمّا كان همّ به[٢].

قلت: لم يكبر أُولئك سبّ أمير المؤمنين عليه السلام وهو نفس النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بنص القرآن[٣] ثمانين سنة، وأكبروا سبّ معاوية وهو عدوّ الله وعدوّ رسوله ساعة.

وروى الآبي عن العلاء بن صاعد قال: لمّا حمل رأس صاحب الزنج ودخل به المعتضد إلى بغداد دخل في جيش لم ير مثله. فلمّا صار بباب الطاق صاح قوم: «رحم الله معاوية» وزاد حتّى علت أصوات العامة. فتغيّر وجه

---

(١) رواه المفيد في أماليه: ٢٣٥ ح ٦، المجلس ٢٧.

(٢) مروج الذهب ٣: ٤٥٤ و ٤٥٥.

(٣) استناداً الى قوله تعالى: ﴿أنفسنا وأنفسكم﴾ (آل عمران: ٦١).

المعتضد، وقال: ما أعجب هذا، وما الّذي اقتضى ذكر معاوية في هذا الوقت. والله لقد بلغ أبي إلى الموت، وما أفلتّ أنا إلاّ بعد مشارفة الموت، ولقينا كلّ بلاء حتّى أنجينا هؤلاء الكلاب من عدوّهم وحصّنّا حرمهم وأولادهم، فتركوا أن يترحموا على العبّاس، وعبدالله بن العبّاس، ومن ولد من الخلفاء، وتركوا الترحُّم على عليّ وحمزة وجعفر والحسن والحسين...[1].

وكيف جعل ابن أبي الحديد أمر معاوية عندهم ميتاً وقد أخذوا دينهم عنه، وكان عندهم ستر أبي بكر وعمر، ومن طعن فيه طعن فيهما كما صرّح بذلك الخطيب[2].

مع أنّ معاوية وإن كان فاسقاً مشهوراً إلّا أنّ طلحة والزبير بايعا أمير المؤمنين عليه السلام ثم نكثا بيعته ومعاوية لم يبايع حتّى ينكث، وعائشة وطلحة والزبير خرجوا للطلب بدم عثمان وهم قتلوه وحرّضوا الناس على قتله، وقد قتل مروان طلحة مع كونه في عسكره أخذاً منه بثأر عثمان، ومعاوية لم يكن ذلك، ولو فرض براءتهم من دم عثمان مع أنّ كونهم من الدخيلين في دمه كان أمراً واضحاً لا يستطيعون إنكاره، فلم يكونوا من عشيرة عثمان، ولا من أوصيائه حتّى يطالبوا بدمه.

وأمّا معاوية فكان ابن عم عثمان، ويجتمعان في أُميّة، وقد جعل عثمان إليه الطلب بدمه، وكان عندهم خليفة وامامهم الثالث، وكان معاوية والياً من قبله، وقَبْله من قِبَلِ عمر، وكانوا ينفذون أحكام عمر حتّى في قبال حكم النبيّ صلى الله عليه وآله، فأمر صلى الله عليه وآله بقتل معاوية إذا رأوه على منبره[3]، فأراد رجل

---

(١) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٣٤٠، شرح الخطبة ١٢٦، والنقل بتصرف يسير.

(٢) تاريخ بغداد ١: ٢٠٩.

(٣) هذا الحديث أخرجه جمع منهم ابن مزاحم في وقعة صفين: ٢١٦ و ٢٢١ وابن أبي شيبة في مسنده (عنه المطالب العالية ٤: ٣١٣ ح ٤٤٩٩) والطبري في تاريخه ٨: ١٨٦، لسنة ٢٨٤) وعباد العصفري في أصله: ١٩.

سمع ذلك قتله. فقالوا له: هو خليفة عمر. فقال: سمعاً وطاعة لعمر.

وحتّى كانوا ينفذون أمر عمر في قتل أمير المؤمنين الّذي هو بمنزلة نفس النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بنصّ القرآن لو خالف أمره. فقال أبو طلحة الأنصاري يوم الشورىٰ له عليه السلام «إن لم تقبل حكمية ابن عمر لنقتلنّك كما أمر عمر»[1].

فكان أمر طلحة والزبير وعائشة ـ وإن كانوا في نفوسهم أجلّ من معاوية ـ أوضح بطلاناً حيث كانوا هم القاتلين، وطلبوا دمه من أمير المؤمنين عليه السلام مع أنّه كان أبرأ منهم، وإنّما كان عليه السلام قد آوى قتلته وكانوا شيعته، وهذا دليل على رضاه عليه السلام بقتله وهو غير دخالته.

وأمّا ما ذكره من أنّ الزبير وطلحة كانا موعودين بالجنّة فعجب! فمن أراد أن يتفلسف لم يتمسك إلّا بأُمور معلومة، ولو فرض صحّة هذه الرواية كان دليلاً على بطلان الإسلام حيث لم تجوّز العقول أن يكون الرسول من الله يخبر ـ من يصدر منه الخروج على الإمام، ويفسد في الأرض ويسفك دماء آلاف من المسلمين بغير حقّ ـ بأنّه من أهل الجنّة.

والعجب من إخواننا يسقطون اسم مالك بن نويرة من الصحابة، ومن المسلمين لكونه قال لخالد بن الوليد، صاحبك فعل كذا.

فقتله خالد بذلك مؤمناً ظلماً وغدراً كما اعترف به فاروقهم ويجعلون الرجلين مع إحداثهما تلك وارادتهما قتل أمير المؤمنين عليه السلام وهو بمنزلة نفس النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والحسنين عليهما السلام وهما سيّدا شباب أهل الجنّة، وإن لم يتمكّنا من ذلك؛ من أهل الجنّة.

وما ذكره من كون عائشة موعودة بكونها زوجة النبيّ في الآخرة

---

(١) تهديد أبي طلحة رواه جمع منهم: البلاذري في أنساب الأشراف ٥: ٢١. والجوهري في السقيفة: ٨٤. لكن المضمون المشهور غير هذا.

مضحك فانّهم وضعوا ذلك في قبال ما روت الإمامية أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فوّض إلى أمير المؤمنين عليه السلام طلاقها في الدنيا منه صلى الله عليه وآله وسلم إن عصته عليه السلام ورواه ابن أعثم الكوفي منهم(١).

وكيف تكون زوجته في الآخرة وقد أوصت ألاّ تدفن عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لاستحيائها منه لإحداثها.

وأعجب منه قوله «من كون نزول القرآن فيها معلوماً» ففرعون والشيطان نزول القرآن فيهما أيضاً معلوم وليته استحيا ولم يذكر ذلك، ولم يذكّر من غفل عن ذلك. فإنّ القرآن الّذي نزل فيها آيات منها ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأُولى﴾(٢) ومنها ﴿من يأت منكنّ بفاحشة مبيّنة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا﴾(٣). يقول الله تعالىٰ: من أتت من أزواج نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم بفاحشة مبيّنة كالخروج على خليفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقتل المؤمنين تعمّداً يضاعف لها العذاب بالنسبة إلى باقي الناس لو فعلوا ما فعلت، ويقول إخواننا: إنّها تصير بذلك قرينة نبيّه في الجنّة، ويقول تعالىٰ ﴿إنّ ذلك على الله يسير﴾ ويكون هذا من فعله تعالى على اخواننا عظيماً، ويأتي باقي آياتها.

وأمّا قول ابن أبي الحديد: «وحال عائشة في محبّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لها وثناؤه عليها معلومة» فكيف لا يستحي من التفوّه بذلك، وقد قال تعالى مخاطباً لها ولصاحبتها بنت فاروقهم ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين

(١) الفتوح لابن أعثم ٢: ٣٤٠.

(٢) الاحزاب: ٣٣.

(٣) الاحزاب: ٣٠.

والملئكة بعد ذلك ظهير﴾[١].

فأيُّ عدوّ للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أعدى منهما حتّى يكون الله تعالى وجبريل وصالح المؤمنين ـ أي أمير المؤمنين عليه السلام ـ مولاه والملائكة بعد ذلك ظهير لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم في قبالهما.

لكنّ الأصل في قوله محبّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لها فاروقهم لمّا أراد أن يعطيها من بيت المال وحقوق المسلمين أكثر من حقّها خلافاً على الله ورسوله، وشكراً لها على مساعدتها له وصاحبه صدّيقهم في مرض موت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّه لولاها لما تمّ أمرهما من صلاة أبي بكر بالناس فيجعله عمر دليلاً على استخلافه. فاعتذر عمر لعمله بأنّ النبيّ كان يحبّها.

وقد ضرب الله تعالى لهما المثل بالكفار فقال ﴿ضرب الله مثلاً للّذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾[٢] إلاّ أنّ ذلك من فساد المبنى. فالمساكين لايدرون ما يقولون.

وعن الأصبغ قال: كنت واقفاً مع عليّ عليه السلام يوم الجمل فجاء رجل حتّى وقف بين يديه. فقال: كبّر القوم، وكبّرنا، وهلّل القوم وهلّلنا، وصلّى القوم وصلّينا فعلام نقاتلهم؟ فقال عليّ عليه السلام على ما أنزل الله تعالى في كتابه. فقال: الرجل ليس كلّ ما أنزل الله أعلمه فعلّمنيه.

فقال عليّ عليه السلام: ما أنزل في سورة البقرة. فقال الرجل: ليس كلّ ما أنزل في تلك السورة أعلمه. فقال عليه السلام ﴿تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض ـ إلى ـ ولو شاء الله ما اقتتل الّذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البيّنات ولكن

---

(١) التحريم: ٤.

(٢) التحريم: ١٠.

اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر﴾(١) فنحن الّذين آمنّا، وهم الّذين كفروا. فقال الرجل: كفر القوم وربّ الكعبة ثمّ حمل فقاتل حتّى قتل(٢).

«بعد أن ماج غيهبها» قال ابن دريد في (الجمهرة): «غيهب ثقيل وخم وكساء غيهب: كثير الصوف» و «الغيهب: سواد الليل»(٣).

والمراد هنا الأخير.

«واشتدّ كلبها» بولاية عثمان، وتصدّى بني أُميّة للأُمور.

«فاسألوني قبل أن تفقدوني» قال لبيد:

في مقام ضيّق فرّجته ... ببيان ولسان وجدل

لو يقوم الفيل أو فيّاله ... زلّ عن مثل مقامي وزحل

في (صاحبي ابن فارس في باب الأسباب الإسلامية):

قال عليّ ـ صلوات الله عليه ـ والمهاجرون والأنصار متوافرون: سلوني فوالله مامن آية إلّا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار؟ أم في سهل أم في جبل؟ وحتّى قال ـ صلوات الله عليه ـ وأشار إلى ابنيه ـ ياقوم استنبطوا منّي ومن هذين علم ما مضى وما يكون(٤).

هذا، وفي (تاريخ بغداد): قال مقاتل يوماً: سلوني عمّا دون العرش. فقام قيس القيّاس فقال: من حلق رأس آدم في حجّته. فبقي لا يدري ما يقول(٥).

وفي (الكشاف): دخل قتادة الكوفة. فقال: إسألوني عمّا شئتم، وكان أبو حنيفة حاضراً وهو إذن غلام حدث فقال: إسألوه عن نملة سليمان أكان ذكراً

---

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) رواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ٣٢٢، والنقل بتصرف يسير والواقعة في حرب صفين لا الجمل.

(٣) جمهرة اللغة ٣: ٣٥٧ و ١: ٣١٩.

(٤) الصاحبي: ٧٩.

(٥) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣: ١٦٦، والنقل بتصرف يسير.

أم أنثىٰ؟ فسألوه فلم يجب. فقال أبو حنيفة: كانت أنثىٰ. فقيل له: بم عرفت؟ فقال: من قوله تعالىٰ: ﴿وقالت نملة﴾[١] ولو كان ذكراً لقال قال نملة فلفظ النملة تقع على الذكر والأُنثى كلفظ الحمامة والشاة وإنّما يميّز بينهما بعلامة التأنيث[٢].

قلت: من أين أنّه ليس تاء الوحدة وفي (حيوان الدميري): كان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازي وأيّام العرب. فمضى يوماً ليسمع المغازي وأخلّ بمجلس أبي حنيفة أيّاماً. فلمّا آتاه قال له يا أبا يوسف! من كان صاحب راية جالوت. فقال له أبو يوسف: إنّك إمام، وإن لم تمسك عن هذا سألتك على رؤوس الناس أيّما كان أوّل وقعة بدر أو أُحد؟ فإنّك لا تدري ذلك، وهي أهون مسائل التاريخ. فأمسك عنه[٣].

وفي (تاريخ الطبري): خطب إبراهيم بن هشام المخزومي خال هشام ـ وهو والٍ على الحجاز من قبله ـ في سنة (١٠٩) بمنى. فقال: سلوني فأنا ابن الوحيد لا تسألون أحداً أعلم منّي. فقام إليه رجل من أهل العراق. فسأله عن الأُضحية أواجبة هي أم لا؟ فما درىٰ أيّ شيء يقول له. فنزل[٤].

وفي (العقد): قال مقاتل بن سليمان وقد دخلته أبّهة العلم سلوني عمّا تحت العرش إلى أسفل من الثرىٰ. فقام إليه رجل. فقال: ما نسألك عمّا تحت العرش ولا أسفل الثرىٰ، ولكن نسألك عمّا كان في الأرض، وذكره الله في كتابه؛ أخبرني عن كلب أهل الكهف ما كان لونه. فأفحمه[٥].

---

(١) النمل: ١٨.

(٢) الكشاف ٣: ٣٥٦، والنقل بتصرف يسير.

(٣) لم أجده في حياة الحيوان.

(٤) تاريخ الطبري ٥: ٣٩٧، لسنة ١٠٩.

(٥) العقد الفريد ٢: ٧٣.

وقالوا: قال ابن الجوزي يوماً على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني فسألته امرأة عمّا روي انّ علياًعليه السلام سار في ليلة الى سلمان فجهّزه ورجع. فقال: روى ذلك. قالت: فعثمان طرح ثلاثة أيّام على المزابل منبوذاً وعليّ حاضر؟ قال: نعم: قالت: فقد لزم الخطأ لأحدهما. فقال لها: إن كنت خرجت من بيتك بغير إذن زوجك فعليك لعنة الله، وإلّا فعليه. فقالت المرأة: خرجت عائشة إلى حرب عليّ عليه السلام بإذن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أم لا. فانقطع ولم يحر جواباً.

وشتّان بينه عليه السلام يقول: سلوني عمّا أردتم من الدين والدنيا، والأرض والسماء، وبين أئمّتهم الّذين حظروا الناس عن سؤال تفسير قرآنهم. فرووا انّه قيل لعمر: إنّ ضبيعاً التميمي يسأل الناس عن تفسير حروف من القرآن. فقال: اللّهمّ أمكنّي منه. فبينما كان عمر يوماً جالساً يغدّي الناس إذ جاءه الضبيع، وعليه ثياب وعمامة. فتقدّم فأكل فلمّا فرغ قال لعمر: ما معنى قوله تعالى ﴿والذاريات ذرواً فالحاملات وقراً﴾[1] قال: ويحك! أنت هو؟ فقام إليه فحسر عن ذراعيه، فلم يزل يجلده حتّى سقطت عمامته. فإذا له ضفيرتان. فقال له: والّذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك. ثمّ أمر به فجعل في بيت ثمّ يخرجه كلّ يوم فيضربه مئة فإذا برأ أخرجه فضربه مئة أُخرىٰ ثمّ حمله على قتيب وسيّره إلى البصرة، وكتب إلى أبي موسى أن يحرّم على الناس مجالسته، ويقوم في الناس خطيباً ثمّ يقول «إنّ ضبيعاً قد ابتغى العلم وأخطأه» فلم يزل وضيعاً في قومه ـ وكان قبل سيّدهم ـ حتّى مات[2].

---

(١) الذاريات: ١ ـ ٢.

(٢) أخرجه البزار والدارقطني وابن مردويه وابن عساكر (عنهم الدر المنثور ٦: ١١١) وغيرهم والنقل بتصرف في اللفظ.

قلت: وصدق عمر في أنّ ضبيعاً ابتغى العلم فأخطأه. فإنّه كان ترك باب مدينة علم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وابتغى العلم عند من كان كلّ الناس أفقه منه حتّى المخدّرات ﴿أفمن يهدي إلى الحقّ أحق أن يتّبع أمّن لا يَهِدّي إلّا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون﴾[1].

وكانوا لا يعلمون شيئاً من أمور أنفسهم حتّى يخبرهم اليهود والنصارى. ففي (كامل الجزري) في فتح البيت المقدس ـ بعد ذكر فتح عمرو بن العاص مرج عيون ـ فلمّا تمّ له ذلك أرسل إلى أرطبون رجلاً يتكلّم بالرومية وقال له: اسمع ما يقول، وكتب معه كتاباً. فلمّا وصل قال أرطبون لوزرائه: لا يفتح عمرو شيئاً من فلسطين بعد أجنادين. فقالوا: من أين علمت؟ قال: صاحبها رجل صفته كذا وكذا ـ وذكر صفة عمر ـ فرجع الرسول إلى عمرو، وأخبره فكتب عمرو إلى عمر «إنّي أُعالج بلاداً قد أُدُّخِرت لك» فعلم عمر أنّ عمراً لم يقل ذلك إلّا لشيء سمعه. فسار عمر ـ إلى أن قال ـ:

فلمّا قدم عمر الجابية قال له رجل من اليهود: إنّك لا ترجع إلى بلادك حتّى يفتح الله عليك ـ إلى أن ذكر طلبهم الأمان، ومصالحة عمر لهم على الجزية ـ فشهد ذلك اليهودي الصلح. فسأله عمر عن الدجّال ـ وكان كثير السؤال عنه ـ فقا له اليهودي: وما مسألتك عنه؟ أنتم والله تقتلونه دون باب لدّ ببضع عشر ذراعاً[2].

وروى ابن بابويه، وابن قولويه باسنادهما عن الأصبغ قال: بينا عليّ عليه السلام يخطب الناس وهو يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني. فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلّا أنبأتكم به» فقام اليه سعد بن أبي وقاص فقال: يا أمير

---

(١) يونس: ٣٥.

(٢) الكامل ٢: ٤٩٩ ـ ٥٠١، لسنة ١٥، والنقل بتلخيص.

المؤمنين أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة ؟

فقال له: «أما والله لقد سألتني عن مسألة حدّثني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّك تسألني عنها، وما في رأسك ولحيتك من عشرة إلّا وفي أصلها شيطان جالس، وإنّ في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني» وعمر يومئذٍ يدرج بين يديه(١).

وفي (الإرشاد): روى زكريا بن يحيى القطّان، عن فضل بن الزبير، عن أبي الحكم قال: سمعت مشيختنا وعلماءنا يقولون: خطب عليّ عليه السلام فقال في خطبته: «سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن فئة تضلّ مئة وتهدي مئة إلّا نبّأتكم بناعقها وسائقها إلى يوم القيامة» فقام اليه رجل، فقال: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر؟

فقال عليه السلام: والله لقد حدّثني خليلي بما سألت عنه، وأنّ على كلّ طاقة شعر من رأسك ملكاً يلعنك، وعلى كلّ طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يستفزّك، وأنّ في بيتك لسخلاً يقتل ابن رسول الله، وآية ذلك مصداق ما أخبرتك به، ولولا أنّ الّذي سألتني عنه يعسر برهانه لأخبرتك به ـ وكان ابنه في ذلك الوقت صغيراً يحبو ـ فلمّا كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان تولّى قتله، وكان الأمر كما قال عليه السلام(٢).

«فوالّذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء في ما بينكم وبين الساعة» صدّر عليه السلام كلامه بالتأكيد القسمي حيث إنّ ما قاله عليه السلام من إنبائهم عن كلّ ما سألوه في ما بينهم وبين القيامة أمر عظيم ينكره كثير من الناس. فإنّ عيسى عليه السلام وهو أحد المرسلين، ومن أولي العزم من النبيّين إنّما قال

---

(١) رواه الصدوق في أماليه: ١١٥ ح ١، المجلس ٢٨) وابن قولويه في كامل الزيارات: ٧٤ ح ١٢.

(٢) الارشاد: ١٧٤.

﴿وأُنبّئكم بما تأكلون وتدّخرون في بيوتكم﴾[(١)] من إنبائهم بأمور معيّنة مشخّصة، وأمّا الإنباء بما يحدث إلى يوم القيامة. فأمور غير متناهية لا يحصل ذلك إلّا لمن له اتّصال تام بالمبدأ الأعلى.

وهذا يصدّق ما عليه جمهور الإمامية من كون الأئمة عليهم السلام أفضل من جميع الأنبياء حتّى أُولى العزم من الرسل. فإنّ بالأعلمية تحصل الأفضلية بحكم البداهة فكما انّ العالم أفضل من الجاهل كذلك الأكثر علماً أفضل من الأقلّ علماً.

قال الجاحظ في رسالة له في فضل أهل البيت عليهم السلام ـ وقد نقلها الشيخ سليمان الحنفي بتمامها في كتابه (ينابيع المودّة) ـ: فقد علم الناس كيف كان كلام عليّ كرّم الله وجهه قاعداً وقائماً، وفي الجماعات ومنفرداً. في الشرائع والأحكام، والحلال والحرام، وأخبار الأكوان، وتأويلات القرآن، وإنباء الحوادث بما كان وما يكون، بالتعلّم من النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أو بالكشف الجليّ، أو بالجفر والميراث، أو بالوهب اللدني[(٢)].

وروي عن عمّار قال: كنت مع عليّ في بعض غزواته. فمررنا بواد مملوّ نملاً. فقلت: يا أمير المؤمنين يكون أحد من خلق الله يعلم كم عدد هذا النمل؟ قال: نعم يا عمّار. أعرف رجلاً يعلم كم عدده، وكم فيه ذكر، وكم فيه أُنثى. فقلت: من ذلك يامولاي الرجل؟ فقال ياعمار: أوما قرأت في سورة يس ﴿وكلّ شيءٍ أحصيناه في امامٍ مبين﴾[(٣)]؟ فقلت: بلى يا مولاي قال: أنا ذلك الإمام المبين[(٤)].

---

(١) آل عمران: ٤٩.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ١٥٥.

(٣) يس: ١٢.

(٤) أخرجه البحراني في البرهان ٤: ٧ ح ١٠.

وفي (فواتح الميبدي) عن (تفسير الثعلبي): «كان ابن عباس يتلو ﴿حم عسق﴾ ويقول: كان عليّ عليه السلام يعلم الفتن بهذين اللفظين[١].

وفي (أنساب البلاذري) في عنوان «عبيد الله بن زياد» روى مسنداً عن مجاهد قال: قال عليّ عليه السلام وهو بالكوفة «كيف أنتم إذا أتاكم أهل بيت نبيّكم يحمل قويّهم ضعيفهم» فقال: «نفعل و نفعل» فحرّك رأسه ثمّ قال «توردون ثمّ تعرّدون ثمّ تطلبون البراءة ولا براءة لكم».

وروى عن يوسف بن موسى مثله، وزاد وتعينون عليه شرّ أهل زمانه في نسبه وسيرته[٢].

«ولا عن فئة تهدي مئة ولا تضلّ مئة إلّا أنبأتكم بناعقها» الأصل في النعق صياح الراعي بالغنم قال تعالىٰ: ﴿كمثل الّذي ينعق بما لا يسمع إلاّ دعاء﴾[٣] أي: الغنم تسمع صوت الراعي ولا تدري ما يُقال لها، وقال الأخطل:

إنعق بضأنك يا جرير فإنّما   منّتك نفسك في الخلاء ضلالاً[٤]

ثم استعير لمن يأمر ويزجر جمعاً تحت أمره، وقالوا: الناعقان، كوكبان من كواكب الجوزاء.

«وقائدها وسائقها» روى أبو مخنف ـ ونقله ابن أبي الحديد في موضع آخر ـ أنّه عليه السلام قال في عائشة وفئتها: «وقد علمت والله أنّها الراكبة الجمل لا تحلّ عقدة، ولا تسير عقبة، ولا تنزل منزلاً إلّا إلى معصية الله حتّى تورد نفسها، ومن معها مورداً يقتل ثلثهم، ويهرب ثلثهم، ويرجع ثلثهم».

وفي (مقاتل أبي الفرج) ـ بعد ذكر صلح الحسن عليه السلام مع معاوية ودخول

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ٤ ق ٢: ٨٢.

(٢) انساب الاشراف ٤ ق ٢: ٨٢.

(٣) البقرة: ١٧١.

(٤) أورده لسان العرب ١٠: ٣٥٦، مادة (نعق).

معاوية الكوفة ـ مسنداً عن عطاء بن السائب عن أبيه قال: بينما عليّ عليه السلام على المنبر إذ دخل رجل. فقال: يا أمير المؤمنين! مات خالد بن عرفطة. فقال عليه السلام: لا والله ما مات. إذ دخل رجل آخر. فقال: يا أمير المؤمنين مات خالد بن عرفطة. فقال عليه السلام: لا والله ما مات ولا يموت حتّى يدخل من باب هذا المسجد ـ يعني باب الفيل ـ براية ضلالة يحملها حبيب بن عمار. فوثب رجل. فقال: يا أمير المؤمنين! أنا حبيب بن عمّار، وأنا لك شيعة. قال عليه السلام: فإنّه كما أقول.

قال: فقدم خالد بن عرفطة على مقدّمة معاوية يحمل رايته حبيب بن عمّار. قال مالك: حدّثنا الأعمش بهذا الحديث. فقال: حدّثني صاحب هذه الدار ـ وأشار إلى دار السائب أبي عطا ـ أنّه سمع علياً عليه السلام يقول هذه المقالة[١].

وروى أواخر (روضة الكافي) عن معلّى بن خنيس قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام إذ أقبل محمّد بن عبد الله. فسلّم ثمّ ذهب. فرقّ له أبو عبد الله عليه السلام ودمعت عيناه. فقلت له: لقد رأيتك صنعت ما لم تكن تصنع. فقال: رققت له لأنّه ينسب إلى أمر ليس له. لم أجده في كتاب عليّ عليه السلام من خلفاء الأمّة ولا ملوكها[٢].

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي) ـ بعد ذكر تخيير عبيد الله بن زياد عمر بن سعد بين ردّه عهد الري وتصدّيه لقتال الحسين عليه السلام وقتله، واختياره التصدّي ـ قال محمّد بن سيرين: وقد ظهرت كرامة عليّ عليه السلام في هذا، فإنّه لقي عمر بن سعد يوماً وهو شابّ. فقال له: «ويحك يا ابن سعد! كيف بك إذا أقمت يوماً مقاماً تخيّر فيه بين الجنّة والنار فتختار النار؟»[٣].

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٤٦.

(٢) الكافي ٨: ٣٩٥ ح ٥٩٤.

(٣) تذكرة الخواص: ٢٤٧.

«ومناخ ركابها» أي: اضجاع آبالها على ركباتها.

«ومحطّ رحالها» أي: إنزال أمتعتها من ظهورها.

روى نصر بن مزاحم في (صفينه)، عن الحسن بن كثير، عن أبيه أنّ علياً عليه السلام أتى كربلاء فوقف بها، فقيل يا أمير المؤمنين هذه كربلا. فقال: ذات كرب وبلاء ثمّ أومىٰ بيده إلى مكان فقال هاهنا موضع رحالهم ومناخ ركابهم وأومى إلى موضع آخر فقال هاهنا مهراق دمائهم[1].

قلت: والموضع الأوّل الّذي أشار عليه السلام إليه يُقال له: «خيمگاه» والموضع الثاني يُقال له: «قتلگاه».

وروى (أُسد الغابة) عن غرفة الأزدي ـ بالغين المعجمة ـ قال: دخلني شكّ من شأن عليّ عليه السلام فخرجت معه على شاطئ الفرات. فعدل عن الطريق، ووقف ووقفنا حوله. فقال بيده: «هذا موضع رواحلهم ومناخ ركابهم، و مهراق دمائهم بأبي من لا ناصر له في الأرض ولا في السماء إلّا الله» فلمّا قتل الحسين عليه السلام خرجت حتّى أتيت المكان الّذي قتلوا فيه. فإذا هو كما قال، ما أخطأ شيئاً فاستغفرت الله ممّا كان منّي من الشك، وعلمت أنّ علياً لم يقدم فيه إلّا بما عهد إليه[2].

«ومن يقتل من أهلها قتلاً ويموت منهم موتاً» روى الكشّي أنّ رشيد الهجري كان من أصحاب أسرار أمير المؤمنين عليه السلام وكان عليه السلام علّمه من يقتل من شيعته بقتله، ومن يموت منهم بميتته، وكان يسمّيه رشيد البلايا[3].

قال ابن أبي الحديد: وهذه الدعوى، أي: قوله عليه السلام: «فاسألوني قبل أن

---

(١) وقعة صفين: ١٤٢.

(٢) اسد الغابة ٤: ١٦٩.

(٣) اختيار معرفة الرجال: ٧٥ ح ١٣١.

تفقدوني -إلى- ومن يقتل من أهلها قتلاً، ومن يموت منهم موتاً» - ليست منه عليه السلام ادّعاء الربوبيّة، ولا ادّعاء النبوّة، ولكنّه كان يقول: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أخبره بذلك، ولقد امتحنّا أخباره. فوجدناه موافقاً فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة كإخباره عن الضربة الّتي يضرب بها في رأسه فتخضب لحيته.

وكإخباره عن قتل الحسين ابنه عليه السلام وما قاله في كربلاء حيث مرّ بها.

و كإخباره بملك معاوية الأمر بعده.

وكإخباره عن الحجاج، وعن يوسف بن عمر، وما أخبر به من أمر الخوارج بالنهروان، وما قدّمه إلى أصحابه من إخباره بقتل من يقتل منهم، وصلب من يصلب منهم.

وكإخباره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

وكإخباره بعدّة الجيش الوارد إليه من الكوفة لما شخص عليه السلام إلى البصرة لحرب أهلها.

وكإخباره عن عبدالله بن الزبير، وقوله فيه «خبّ ضبّ يروم أمراً ولا يدركه ينصب حبالة الدين لاصطياد الدنيا، وهو بعد مصلوب قريش».

وكإخباره عن هلاك البصرة تارة بالغرق، وأُخرى بالزنج - وهو الّذي صحّفه قوم. فقالوا: بالريح.

وكإخباره عن الأئمّة الّذين ظهروا من ولده بطبرستان كالناصر والداعي وغيرهما في قوله عليه السلام: «وإنّ لآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بالطالقان لكنزاً سيظهره الله إذا شاء دعاه حتّى يقوم بإذن الله فيدعو إلى دين الله».

وكإخباره عن مقتل النفس الزكية بالمدينة، وقوله فيه: «يقتل عند أحجار الزيت»، وكقوله عن أخيه إبراهيم المقتول بباخمرا «يقتل بعد أن يظهر ويُقهر بعد أن يَقهر، يأتيه سهم غرب يكون فيه منيّته. فيا

بؤساً للرامي، شلّت يده، ووهن عضده».

وكإخباره عن قتلى فخّ وقوله فيهم: «وهم خير ـ أو من خير ـ أهل الأرض».

وكإخباره عن المملكة العلوية بالغرب وتصريحه بذكر كتّابه وهم الّذين نصروا أبا عبدالله المعلّم، وكقوله عليه السلام ـ مشيراً إلى عبيد الله المهدي وهو أوّلهم ـ «ثمّ يظهر صاحب القيروان الغضّ البضّ ذو النسب المحض المنتجب من سلالة ذي البداء المسجّى بالرداء» وكان عبيد الله المهدي مترفاً مشرباً حمرة رخص البدن تارّ الأطراف وذو البداء: إسماعيل بن جعفر بن محمّد وهو المسجّى بالرداء لأنّ أباه أبا عبدالله جعفرا سجّاه بردائه لمّا مات، وأدخل إليه وجوه الشيعة يشاهدونه ليعلموا موته، وتزول عنهم الشبهة في أمره.

وكإخباره عن بني بويه وقوله فيهم «ويخرج من ديلمان بنو الصيّاد» إشارة إليهم، وكان أبوهم صياد السمك يصيد منهم بيده ما يقوت هو وعياله بثمنه فأخرج الله تعالى من ولده لصلبه ملوكاً ثلاثة، ونشر ذرّيّتهم حتّى ضربت الأمثال بملكهم، وكقوله عليه السلام فيهم: «ثمّ يستشري أمرهم حتّى يملكوا الزوراء ويخلعوا الخلفاء» فقال له قائل: فكم مدّتهم يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: «مئة أو تزيد قليلاً» وكقوله عليه السلام فيهم «والمترف ابن الأجذم يقتله ابن عمّه على دجلة» وهو إشارة إلى عزّ الدولة بختيار بن معزّ الدولة أبي الحسين ـ وكان معزّ الدولة أقطع اليد قطعت يده في الحرب ـ وكان ابنه بختيار مترفاً صاحب لهو وشراب، وقتله عضد الدولة فنّا خسرو ابن عمّه بقصر الجصّ على دجلة في الحرب، وسلبه ملكه ـ فأمّا خلعهم للخلفاء فإنّ معزّ الدولة خلع المستكفي، ورتّب عوضه المطيع، وإنّ بهاء الدولة أبا نصر ابن عضد الدولة خلع الطائع، ورتّب عوضه القادر وكانت مدّة ملكهم كما أخبر به عليه السلام.

وكإخباره عبد الله بن العباس بانتقال الأمر إلى أولاده فإنّ علي بن عبدالله لمّا ولد أخرجه أبوه عبدالله بن عبّاس إلى عليّ عليه السلام فأخذه وتفل في فيه، وحنكه بتمرة قد لاكها، ودفعه إليه، وقال له: خذ إليك أبا الأملاك هكذا الرواية الصحيحة، وهي الّتي ذكرها أبو العبّاس المبرّد في كتاب (الكامل)، وليست الرواية الّتي يذكر فيها العدد بصحيحة، ولا منقولة من كتاب معتمد عليه، وكم له من الإخبار عن الغيوب الجارية هذا المجرى، ممّا لو أردنا استقصاءه لكسرنا له كراريس كثيرة، وكتب السير تشتمل عليها مشروحه[1].

قلت: إنّ ابن أبي الحديد قال: إنّ هذا الادّعاء منه لا تسألوني عن شيء في ما بينكم وبين الساعة إلى آخر ما مرّ ليست منه عليه السلام ادّعاء الربوبية، ولا ادّعاء النبوّة. كون ذلك عدم ادّعاء منه عليه السلام للربوبيّة ولا للنبوّة مسلّم لكن لِمَ لم يذكر أنّ ذلك ادّعاءٌ منه للإمامة؟ إن أراد بذلك إلّا المغالطة فإنّه عليه السلام إنّما كان مدّعياً للإمامة وأقام على دعواه هذه البيّنة، كما أنّ الأنبياء أقاموها على دعواهم الرسالة فيقول عيسى عليه السلام ﴿وأُنبّئكم بما تأكلون وتدّخرون في بيوتكم﴾[2].

قال محمّد بن محمّد بن النعمان في (إرشاده): ومن آيات الله الباهرة في أمير المؤمنين عليه السلام والخواص الّتي أفرده بها، ودلّ بالمعجز منها على إمامته، ووجوب طاعته، وثبوت حجّته؛ ما هو من جملة الخواص الّتي أبان الله تعالى بها الأنبياء والرسل عليهم السلام، وجعلها إعلاماً لهم على صدقهم. فمن ذلك ما استفاض عنه عليه السلام من إخباره عن الغائبات والكائن قبل كونه. فلا يخرم من ذلك شيئاً، ويوافق المخبر منه خبره حتّى يتحقّق الصدق فيه، وهذا من أبهر

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٥، والنقل بتصرف يسير.

(٢) آل عمران: ٤٩.

معجزات الأنبياء عليهم السلام ألا ترى إلى قوله تعالىٰ في ما أبان به المسيح عليه السلام من المعجز الباهر والآية العجيبة الدالة على نبوّته: ﴿وأُنبّئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم﴾[1]؟ وجعل تعالى مثل ذلك من عجيب آيات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال عند غلبة فارس على الروم: ﴿ألَم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين﴾[2] فكان الأمر في ذلك كما قال تعالىٰ، وقال تعالى في أهل بدر قبل الوقعة: ﴿سيهزم الجمع ويولّون الدبر﴾[3] فكان الأمر كما قال تعالى من غير اختلاف في ذلك، وقال عزّوجلّ: ﴿لتدخلنّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رؤوسكم ومقصّرين لا تخافون﴾[4] فكان الأمر في ذلك كما قال تعالى، وقال سبحانه: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً﴾[5] فكان الأمر في ذلك كما قال تعالى، وقال سبحانه مخبراً عن ضمائر قوم من أهل النفاق: ﴿ويقولون في أنفسهم لولا يعذّبنا الله بما نقول﴾[6] فخبّر عن ضمائرهم وما أخفوه من سرائرهم، وقال تعالى في قصّة اليهود: ﴿قل يا أيّها الّذين هادوا إن زعمتم أنّكم أولياء لله من دون الناس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين * ولا يتمنّونه أبداً بما قدّمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾[7] فكان الأمر كما قال تعالىٰ، ولم يجسر أحد منهم أن يتمنّاه فحقّق ذلك خبره وأبان به

(١) آل عمران: ٤٩.

(٢) الروم: ١ ـ ٤.

(٣) القمر: ٤٥.

(٤) الفتح: ٢٧.

(٥) النصر: ١ و ٢.

(٦) المجادلة: ٨.

(٧) الجمعة: ٦ ـ ٧.

عن صدقه ودلّ به على نبوّته[١].

وقول ابن أبي الحديد: «ولكنّه عليه السلام كان يقول: انّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخبره بذلك» لا يدلّ على عدم إمامته بل على عدم نبوّته. فإنّ الإمام علومه من النبيّ، والنبيّ من الله تعالى، وإذا كانت أخباره الغيبية من الكثرة بمثابة تكون مظنّة لزعم الإلهية فيه عليه السلام كما وقع من جمع فقال شاعرهم فيه عليه السلام:

ومن قال على المنبر يوماً سلوني فحاروا في معانيه

لِمَ لم يقل بإمامته عليه السلام.

لكن إخواننا أنكروا في مورده عليه السلام البديهيّات والمتواترات والفطريات وجعلوا أقوال الله تعالى، وأقوال رسوله صلى الله عليه وآله فيه عليه السلام من اللغويات. ألم يقل الله تعالى ﴿هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون﴾[٢]؟! ولم يقل ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يُهدىٰ فما لكم كيف تحكمون﴾[٣]؟ ألم يقل رسوله صلى الله عليه وآله في غدير خم بالتواتر: «ألستُ أولىٰ بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى. فقال: فمن كنت مولاه وأولى به من نفسه فعليٌّ مولاه، وأولى به من نفسه»[٤]؟ إلى غير ذلك من يوم دعوته أوّلاً عشيرته الأقربين إلى يوم وفاته.

وأمّا قول ابن أبي الحديد في ما مرّ: «وأمّا الرواية الّتي يذكر فيها العدد (أي من بني العباس) فليست بصحيحة ولا منقولة من كتاب معتمد عليه» فلعلّه أشار إلى ما في تاريخ الطبري: ذكر عن عليّ بن يحيى المنجم أنّه قال: كنت أقرأ على المتوكّل قبل قتله بأيّام كتاباً من كتب الملاحم. فوقفت على

(١) الارشاد: ١٦٥.

(٢) الزمر: ٩.

(٣) يونس: ٣٥.

(٤) ينظر حديث الغدير المتواتر أخرجه جمع كثير منهم ابن عساكر في ترجمة علي عليه السلام ٢: ٥ ـ ٢٩٠ ح ٥٠٣ ـ ٥٩٣.

موضع من الكتاب فيه «إنّ الخليفة العاشر يقتل في مجلسه» فتوقفت عن قراءته وقطعته، فقال لي: مالكَ قد وقفت، قلت: خير. قال: لابدّ والله من أن تقرأه فقرأته، وحُدت عن ذكر الخلفاء. فقال المتوكّل: ليت شعري من هذا الشقي المقتول[(١)].

وفي (تاريخ الطبري) أيضاً قال أبو البديل: بعث الربيع والحسن الحاجب إليّ في الليل. فجئت وعندهما رجل. فقال: هذا غلام الغمر بن يزيد وقد أصبنا معه كتاب الدولة. ففتحت الكتاب فنظرت فيه إلى سني المهدي، فإذا هي عشر سنين -إلى أن قال- فأتى بعنبسة الورّاق الاعرأبي مولى آل بديل. فقلت له: «خطّ مثل هذا الخطّ، وورقة مثل هذا الورقة، وصيّر مكان عشر سنين أربعين سنة وصيّرها في الكتاب. ففعل فوالله لولا أنّي رأيت العشر في تلك والأربعين في هذه ما شككت أنّ الخطّ ذلك الخط وأنّ الورقة تلك الورقة»[(٢)].

وفي (تاريخ الطبري) أيضاً عن أبي حشيشة قال: كان المأمون يقول: «إنّ الخليفة بعدي في اسمه عين» فكان يظنّ أنّه العباس ابنه، فكان المعتصم، وكان يقول: «وبعده (من اسمه) هاء» فيظنّ أنّه هارون فكان الواثق، وكان يقول «وبعده أصفر الساقين» فكان يظنّ أنّه أبو الجنائز العباس. فكان المتوكّل ذلك فلقد رأيته إذا جلس على السرير يكشف عن ساقيه فكانا أصفرين كانّما صبغا بزعفران (واسم الواثق هارون)[(٣)].

وكتاب الدولة وإن لم يذكر فيه أنّه عمّن إلّا أنّ الأصل فيه هو ﷺ فقال

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٣٩٦، لسنة ٢٤٧.

(٢) تاريخ الطبري ٦: ٣٧٥، لسنة ١٦٣.

(٣) تاريخ الطبري ٧: ٣٩٩، لسنة ٢٤٧.

الطبري في (ذيله): أوصى أبو هاشم بن محمّد بن الحنيفة إلى محمّد بن عليّ بن عبدالله بن العباس، ودفع إليه كتبه، وقال له «إنّ هذا الأمر إنّما هو في ولدك. فكانت الشيعة الّذين كانوا يأتون أبا هاشم، ويختلفون إليه قد صاروا بعد ذلك إلى محمّد بن عليّ...»[١].

ومعلوم أنّ كتب أبي هاشم من أبيه محمّد بن الحنفية وأنّ كتب ابن الحنفية من أبيه أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي (تاريخ القرطبي) ـ بعد ذكره أسر سبكرى من فارس سنة (٢٩٨) وادخاله على فيل، وعليه برنس، وبين يديه ثلاثة عشر أسيراً عليهم البرانس ـ قال الصولي: شهدت هذا اليوم فتذكّرت فيه حديثاً كان حدّثناه صافي الحرم يوم بويع فيه المقتدر. قال: رأيت المقتدر، وهو صبي في حجر المعتضد أبيه والمعتضد ينظر في دفتر كان كثيراً ما ينظر فيه وهو يضرب على كتف المقتدر، ويقول له «كأنّي بملوك فارس قد أُدخلوا عليك على الفيلة والجمال عليهم البرانس» كان صافي يوم بيعة المقتدر يحدّث بهذا ويدعو أن يحقّق الله هذا القول[٢].

وقد أخبر عليه السلام ابنه محمّد بن الحنفية بإرادة ابن الزبير إهلاكه وخلاصه منه بخيل المختار.

ففي (مروج المسعودي): قال الديال بن حرملة: كنت في من استفزّه أبو عبدالله الجدلي من قبل المختار. فنفرنا معه في أربعة آلاف فارس. فقال الجدلي: هذه خيل عظيمة، وأخاف أن يبلغ ابن الزبير الخبر فيعجل على بني هاشم فيأتي عليهم. فانتدبوا معي فانتدبنا معه في ثماني مئة فارس جريدة

(١) منتخب ذيل المذيل: ١٣٢.

(٢) رواه القرطبي في صلة تاريخ الطبري: ٢٥ والنقل بتصرف يسير.

خيل فما شعر ابن الزبير إلّا والرايات تخفق على رأسه ـ إلى أن قال ـ وخطب ابن الزبير. فقال : قد بايعني الناس، ولم يتخلّف إلّا هذا الغلام ـ يعني ابن الحنفية ـ والموعد بيني وبينه أن تغرب الشمس. ثمّ أُضرم داره عليه ناراً. فدخل ابن العباس عليه وقال: إنّي لا آمنه عليك فبايعه. فقال له ابن الحنفية «سيمنعه عنّي حجاب قويّ» فجعل ابن عبّاس ينظر إلى الشمس ويفكّر في كلام ابن الحنفية، وقد كادت الشمس أن تغرب. فوافاهم الجدلي في الخيل[١].

وقد نقل ابن أبي الحديد في ما مرّ إخباره عليه السلام بعدم نيل ابن الزبير خلافة تامة وكونه مصلوب قريش، ولم يذكر إخباره عليه السلام بقتله في مكّة وخراب الكعبة بواسطته. ففي (تاريخ الطبري) قال ابن سليم وابن المشمعل الأسديان: خرجنا حاجّين من الكوفة حتّى قدمنا مكّة: فدخلنا يوم التروية فإذا نحن بالحسين عليه السلام وابن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى في ما بين الحجر والباب. فتقرّبنا منهما. فسمعنا ابن الزبير وهو يقول للحسين عليه السلام : إن شئت أن تقيم أقمت فوليت هذا الأمر فآزرناك وساعدناك ونصحنا لك وبايعناك. فقال له الحسين عليه السلام: إنّ أبي حدّثني أنّ بها كبشاً يستحل حرمتها. فما أحبّ أن أكون أنا ذلك الكبش[٢].

ولم يذكر ابن أبي الحديد أيضاً في ما أخبر عليه السلام به من حال أهل بيته زيد الشهيد فروى أبو الفرج في (مقاتله) مسنداً عنه عليه السلام قال: يخرج بظهر الكوفة رجل يُقال له زيد في أُبّهة...[٣].

ولم يذكر في ما أخبر عليه السلام به من حال الرجال أبا مسلم مبيد بني أُميّة

---

(١) مروج الذهب ٣: ٧٦ و ٧٧ والنقل بتصرف يسير.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٨٨، لسنة ٦٠.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٨٨.

ومؤسّس الدولة العباسيّة، فروى الأعمش كما في (مناقب السروي) أنّ أهل الشام لمّا هزموا ميمنة عليّ عليه السلام قال ـ ثلاث مرّات ـ: «يا أبا مسلم خذهم» فقال الأشتر، أوليس أبو مسلم معهم. فقال عليه السلام: لستُ أُريد الخولاني، وإنّما أُريد رجلاً يخرج في آخر الزمان من المشرق يهلك الله به أهل الشام، ويسلب عن بني أُميّة ملكهم[1].

ولم يذكر إخباره عليه السلام ببناء بغداد كما رواه الخطيب وغيره[2]، وببناء المعتصم سامرا واتّخاذه جنده من الترك، وتركه العرب كما في خطبته المعروفة بالزهراء[3]، لكن عرفت أنّ ابن أبي الحديد أراد الإجمال حيث قال: وكم له من الإخبار عن الغيوب الجارية هذا المجرى ممّا لو أردنا استقصاءه لكسرنا له كراريس.

وقد أخبر عليه السلام ببناء الحلّة وببانيه سيف الدولة، وبعلماء الشيعة عليّ بن طاووس وغيره. نقل المجلسي عن خط الجباعى عن الشهيد عن خط العلاّمة عن خط والده قال: وجدت رقعة عليها مكتوب بخط عتيق ما صورته «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أخبرنا به الشيخ الأجل أبو المكارم حمزة بن عليّ بن زهرة الحسيني الحلبي إملاءً من لفظه عند نزوله بالحلّة السيفية ـ وقد وردها حاجّاً سنة (٥٧٤) ورأيته يلتفت يمنة ويسرة، فسألته عن سبب ذلك قال: إنّني لأعلم أنّ لمدينتكم هذه فضلاً جزيلاً.

قلت: وما هو؟

---

(١) مناقب السروي ٢: ٢٦٢.

(٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١: ٣٨ و ٣٩، والسروي في مناقبه ٢: ٢٦٤ لكن رواه الخطيب عن علي(ع) عن النبي(ص).

(٣) ليس هذا في الخطبة الزهراء التي رواها ابن عبد ربه في العقد ٤: ١٤٢ وغيره بل روى السروي في مناقبه ٢: ٢٧٤ قطعة من الخطبة الزهراء ثم روى بعده هذا الكلام.

قال: أخبرني أبي، عن أبيه، عن جعفر بن قولويه، عن محمّد بن يعقوب الكليني، عن عليّ بن إبراهيم القمي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي حمزة الثمالي، عن الأصبغ بن نباتة. قال: صحبت أمير المؤمنين عليه السلام عند وروده إلى صفّين، وقد وقف على تلّ ثمّ أومأ إلى أجمة ما بين بابل وتل عرير وقال «مدينة وأيّ مدينة».

فقلت له: يا مولاي! أراك تذكر مدينة، أكان هاهنا مدينة وآنمحت آثارها؟ فقال: «لا ولكن ستكون مدينة يقال لها: الحلّة السيفية يمدّنها رجل من بني أسد يظهر بها قوم أخيار لو أقسم أحدهم على الله لأبرَّ قسمه»[١].

وقد أخبر عليه السلام بهدم الكعبة. فعن (غريب الحديث والفائق): قال عليّ عليه السلام: أكثروا الطواف بهذا البيت. فكأنّي برجل من الحبشة أصلع أصمع جالس عليه وهو يهدم[٢].

وقد أخبر عليه السلام بسفيان الثوري. فروى الكشّي في عنوان سفيان الثوري دخول جمع من أهل حديث البصرة على الصادق عليه السلام وتحديث رجل منهم، عن سفيان عن جعفر ـ يعني الصادق عليه السلام ـ بمفتريات. فقال الصادق عليه السلام له: إنّ عليّاً عليه السلام لمّا أراد الخروج من البصرة لعنها، وقال: فيك الداء الدويّ كلام القدر الّذي فيه الفرية على الله، واستحلالهم الكذب علينا[٣].

وقد أخبر عليه السلام بتزلزل أمر بني أُميّة تارة بكونه بعد هشام. ففي (نسب قريش للزبير بن بكار) في عنوان عاصم بن المنذر، روى عاصم عن ابن الزبير أنّه سمع عليّ بن أبي طالب يقول: هلاك بني أُميّة على رجل أحول منهم،

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٦٠: ٢٢٢ ح ٥٥.

(٢) رواه عنهما السروي في مناقبه ٢: ٢٥٨.

(٣) اختيار معرفة الرجال: ٣٩٧ والنقل بتلخيص.

وهشام كان أحول[١].

وأُخرى بكونه بعد سنة مئة بقيام دعاة العباسيّين. فروى المنهال عن نعيم بن دجاجة قال: قال أبو مسعود لعليّ عليه السلام: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: لا يأتي على الناس سنة مئة وعلى الأرض عين تطرف. فقال عليه السلام له، غلطت في أوّل ظنّك وهل الرخاء إلاّ بعد المئة[٢].

وفي اخباره عليه السلام المنامية ما في (نشوار المحاضرة للتنوخي): حدّثني أبو الحسين المنجّم الصوفي في عضد الدولة ثمّ حدّثني عضد الدولة وأبو الحسين حاضر ـ وقد مضت سنون على حديث أبي الحسين، ولم أكن حدّثته ولا غيره ـ فقال عضد الدولة: اعتللت علّة صعبة أيس منها الطبيب، وأيست من نفسي ـ وكان تحويل سنتي تلك في النجوم رديّا نحساً موحشاً ـ ثمّ زادت العلّة عليّ. فأمرت أن يحجب الناس كلّهم، ولا يدخل عليّ أحد إلاّ حاجب النوبة، وحتّى منعت الطبيب. فأقمت كذلك أيّاماً ثلاثة أو أربعة وأنا أبكي في خلوتي على نفسي إذ جاء حاجب النوبة فقال: أبو الحسين الصوفي يطلب الوصول، وقد اجتهدنا به في الانصراف. فما فعل وقال عندي بشارة.

فقلت: بصوت ضعيف يريف أن يقول لي: بلغ الكوكب الفرني، ويمخرق عليّ من هذا القبيل ما يزيد به ألمي فلينصرف. فخرج الحاجب، ورجع وقال: إمّا أن يكون أبوالحسين جنّ أو معه أمر عظيم. فإنّه قال: قل له لو أمرت بضرب عنقي ما أنصرفت، ووالله ما أُكلّمك في معنى النجوم بكلمة واحدة.

فقلت: ادخله فلمّا دخل قال: أنت والله في عافية واليوم تبرأ رأيت في منامي أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام والناس يهرعون إليه يسألونه المسائل

---

(١) لم أجده في النسخة المطبوعة من نسب قريش.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٣٦٢، شرح الخطبة ٥٧، والنقل بتلخيص.

فتقدّمت أنا وقلت: أنا رجل غريب، وتعلّقت بحبّ هذا الأمير الّذي أنا معه، وقد بلغ إلى اليأس من العلّة الّتي أصابته فادعُ الله له بالعافية.

فقال: تعني فنا خسرو بن الحسين بن بويه؟ فقلت: نعم.

فقال: قل له: أنسيت ما أخبرتك به أُمّك في المنام الّذي رأته ـ وهي حامل بك ـ ألستُ قد أخبرتُها بمدّة عمرك وأنّك ستعتلّ إذا بلغت كذا وكذا سنة علّة تيأس منها الأطباء ثمّ تبرأ منها، وأنت تصلح من هذه العلّة غدا ويتزايد صلاحك إلى أن تركب وتعاود عاداتك كلّها في يوم كذا، وكذا يوماً ولا قطع عليك قبل الأجل الّذي أخبرتك به أُمّك عنّي.

قال: وقد كنت نسيت أنّ أُمّي قالت لي إنّها رأت في المنام أنّي إذا بلغت هذه السنة اعتللت هذه العلّة. فحين سمعت الكلام من أبي الحسين ذكرت وحدثت لي في نفسي قوّة لم تكن قبل ـ إلى أن قال ـ:

وعادت عاداتي في اليوم الّذي قال أبو الحسين. ثمّ قال: ما فاتني في نفسي من هذا المنام إلاّ شيء كنت أشتهي أن يكون فيه، وشيء كنت أشتهي ألاّ يكون فيه: أمّا الّذي أشتهي ألاّ يكون فهو عليه السلام وقف على أنّي أملك حلب، ولو كان عنده أنّي أملك شيئاً ممّا يجاوز حلباً لقاله. فأخاف أن يكون هذا غاية حدّى من تلك الناحية حتّى لمّا جاءني الخبر بأنّ سيف الدولة قد أخذ لي الدعوة بحلب ذكرت المنام فتنغّص عليّ لأجل هذا الاعتقاد، وأمّا الّذي كنت أشتهي أن يكون فيه فهو أن أعلم من هذا الّذي يملك من ولدي.

قال التنوخي: وبقي عضد الدولة بعد هذا سنين وما تجاوزت دعوته حلب[1].

وفي (مروج المسعودي): رأى المعتضد في النوم ـ وهو في سجن أبيه

---

(١) رواه عنه ابن طاووس في فرج المهموم: ١٩٨ ـ ٢٠١، والنقل بتصرف يسير.

ـكأنّ شيخاً جالساً على دجلة يمدّ يده إلى ماء دجلة فيصير في يده وتجفّ دجلة ثمّ يردّه من يده. فتعود دجلة كما كانت. قال: فسألت عنه. فقيل لي: هذا عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام. قال: فقمت وسلّمت عليه. فقال لي: يا أحمد! إنّ هذا الأمر صائر إليك. فلا تتعرّض لولدي ولا تؤذهم. فقلت: السمع والطاعة لأمير المؤمنين عليه‌السلام.

قال المسعودي: لمّا ورد مال من محمّد بن زيد من بلاد طبرستان ليفرّق في آل أبي طالب سرّاً، وغمز بذلك إلى المعتضد؛ أحضر الرجل الّذي كان يحمل المال إليهم. فأنكر عليه إخفاء ذلك، وأمره بإظهاره، وقرّب آل أبي طالب[1].

وفي (كامل الجزري) بعد ذكر القبض على الطائع وإعادة القادر ـ وكان في البطيحة من قبل بهاء الدولة ـ حكى هبة الله بن عيسى كاتب مهذب الدولة صاحب البطيحة أنّي كنت احضر القادر كلّ اسبوع مرّتين. فيكرمني فدخلت عليه يوماً. فلم أرمنه ما ألفته من إكرامه، ورأيته تأهّب تأهّباً لم تجر به عادته. فسألته عن السبب فقال: رأيت البارحة في منامي كأنّ نهركم هذا قد اتّسع. فصار مثل دجلة دفعات. فسرت على حافّته متعجّباً منه، ورأيت قنطرة عظيمة إذ رأيت شخصاً قد تأمّلني من ذلك الجانب. فقال: أتريد أن تعبر؟ قلت: نعم. فمدّ يده حتّى وصلت إليّ فأخذني وعبّرني، فهالني فعله. فقلت: من أنت؟ قال: عليّ بن أبي طالب، وهذا الأمر صائر إليك، ويطول عمرك فيه. فأحسن إلى ولدي وشيعتي.

قال هبة الله. فما انتهى القادر إلى هذا القول حتّى سمعنا صياح الملاّحين الواردين لإصعاده ليتولّى الخلافة، فخاطبته بالإمرة، وكان في عزله سنتين

---

(١) مروج الذهب ٤: ١٨١.

وأحد عشر شهراً[١].

«ولو قد فقد تموني ونزلت بكم كرائه الأمور» ومن الأمثال «معضلة ولا أبا حسن»[٢].

وروى (الأمالي) عن زرّ بن حبيش قال: مرّ عليّ عليه السلام على بغلة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وسلمان في ملأ فقال سلمان: ألا تقومون تأخذون بحجزته تسألونه؟ فوالّذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لا يخبركم بسرّ نبيّكم أحد غيره وإنّه لعالم الأرض، وزرها، وإليه تسكن، ولو فقدتموه لفقدتم العلم وأنكرتم الناس[٣].

«وحوازب الخطوب» أي: شدائد الأمور.

«لأطرق» أي أرخى عينيه ينظر إلى الأرض، ولم يتكلّم.

«كثير من السائلين» لتحيّره من يسأل.

«وفشل» أي: جبن.

«كثير من المسؤولين» إنّما قال عليه السلام كثير من المسؤولين لأنّ المراد باقي الناس غير أهل بيته، وأما أهل بيته فهم مثله.

روى أبو الفرج الإصبهاني في (مقاتله) بأسانيد متعدّدة عن فضل بن عبدالرحمن الهاشمي وآبن داجة، وعبد الأعلى بن أعين، ومحمّد بن أبي الكرام الجعفري، وعبد الله بن يحيى، وعبدالله بن محمّد بن عمر بن عليّ ـ قال: وقد دخل حديث بعضهم في بعض ـ أنّ جماعة من بني هاشم اجتمعوا بالأبواء ـ وفيهم إبراهيم الإمام، وأبو جعفر المنصور، وصالح بن عليّ، وعبدالله بن

---

(١) الكامل لابن الأثير ٩: ٨١، سنة ٣٨١، والنقل بتصرف يسير.

(٢) هذا كلام معاوية أورده ابن الأثير في النهاية ٣: ٢٥٤، مادة (عضل)، وغيره، وروى مضمونه عن عمر أيضاً.

(٣) أمالي المفيد: ١٣٨ ح ٢، المجلس ١٧.

الحسن، وابناه محمّد، وإبراهيم، ومحمّد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان ـ.

فقال صالح بن عليّ: قد علمتم أنّكم الّذين يمدّ الناس إليهم أعينهم، وقد جمعكم الله في هذا الموضع. فاعقدوا بيعة لرجل منكم تعطونه إيّاها من أنفسكم. وتواثقوا على ذلك حتّى يفتح الله وهو خير الفاتحين.

فقال عبدالله بن الحسن: قد علمتم أنّ ابني هذا هو المهدي فهلُمّوا فلنبايعه.

وقال أبو جعفر المنصور: والله لقد علمتم ما الناس إلى أحد أميل أعناقاً ولا أسرع اجابه إلى هذا الفتى يعني محمّد بن عبدالله.

فقالوا: والله صدقت إنّ هذا لهو الّذي نعلم. فبايعوا محمّداً جميعاً، ومسحوا على يده ـ إلى أن قال ـ

وجاء جعفر بن محمّد عليه السلام فاوسع له عبدالله بن الحسن إلى جنبه، وتكلّم عبدالله بمثل كلامه.

فقال جعفر عليه السلام: لا تفعلوا فإنّ هذا الأمر لم يأت بعد، وإن كنت ترى يا عبدالله أنّ ابنك هذا هو المهدي. فليس به، ولا هذا أوانه، وإن كنت إنّما تريد أن تخرج غضباً لله ولتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر. فإنّا والله لا ندعك وأنت شيخنا، ونبايع ابنك في هذا الأمر. فغضب عبدالله، وقال: لقد علمت خلاف ما تقول، والله ما اطلعك الله على غيبه ولكنه يحملك على هذا، الحسد لابني.

فقال: والله ما ذاك يحملني، ولكن هذا ـ وضرب بيده على ظهر السفاح ـ وإخوته وأبناؤهم، دونكم ـ وضرب بيده على كتف عبدالله ـ وقال: إنّها والله ما هي إليك، ولا إلى ابنيك، ولكنّها لهم، وإنّ ابنيك لمقتولان ثمّ نهض وتوكّأ على يد عبدالعزيز بن عمران الزهري. فقال: أرأيت صاحب الرداء الأصفر ـ يعني أبا جعفر المنصور ـ والله يقتل محمّداً. قال عبدالعزيز: قلت: أيقتل محمّداً؟ فقال: نعم. فقلت: في نفسي حسده وربّ الكعبة، ثمّ والله ما

خرجت من الدنيا حتّى رأيته.

قال: فلمّا قال جعفر ذلك نهض القوم وافترقوا، وتبعه عبد الصمد والمنصور فقالا له: أتقول هذا. قال: نعم أقوله والله وأعلمه[١].

وروى مسنداً عن عليّ بن إسماعيل بن صالح بن ميثم أنّ عيسى بن موسى العباسي ـوهو الّذي قتل محمّداً وإبراهيم من قبل المنصور، وكان وليّ العهد بعده من السفاح فجعله المنصور بعد ابنه المهدي وخلعه رأساًـ لمّا قدم قال جعفر بن محمّد عليه السلام: أهو هو؟ قيل: من تعني يا أبا عبدالله؟ قال: المتلعّب بدمائنا، والله لا يخلأ منها بشيء.

وعن الرومي قال: أرسلني جعفر بن محمّد أنظر ما يصنعون. فجئته فأخبرته أنّ محمّداً قتل، وأنّ عيسى بن موسى قبض على عين أبي زياد. فابلس طويلاً. ثمّ قال: ما يدعو عيسى إلى أن يسيء بنا، ويقطع أرحامنا. فوالله لا يذوق هو ولا ولده منها شيئاً أبداً[٢].

وفي (الأخبار الطوال للدينوري) قال الأصمعي: دخلت على الرشيد ـوكنت غبت عنه حولين بالبصرةـ فاومأ إليّ بالجلوس قريباً منه فجلست في خفّ الناس ثمّ قال: أتحبّ أن ترى محمّداً وعبدالله ـإلى أن قالـ

كيف بكم إذا ظهر تعاديهما وبدا تباغضهما، ووقع بأسهما بينهما حتّى تسفك الدماء، ويودّ كثير من الأحياء أنّهم كانوا موتى، فقلت للرشيد: هذا شيء قضى به المنجّمون عند مولدهما أو شيء أثرته العلماء في أمرهما؟ قال: بل شيء أثرته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء في أمرهما. قالوا: فكان المأمون يقول في خلافته: كان الشريد سمع جميع ما جرى بيننا من موسى بن

---

(١) مقاتل الطالبيين: ١٧١ ـ ١٧٣، والنقل بتصرف يسير.

(٢) رواهما أبو الفرج في المقاتل: ١٨٤.

جعفر عليه السلام فلذلك قال ما قال[١].

وروى النعماني أنّ علياً عليه السلام دخل المسجد الحرام يوماً ومعه الحسن عليه السلام إذ جاء رجل حسن الهيئة. فسلّم عليه عليه السلام وقال: أسألك عن ثلاث قال: سل عمّا بدا لك:

فقال: أخبرني عن الإنسان إذا نام أين يذهب روحه، وعن الرجل كيف يذكر وينسى، وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال. فالتفت عليه السلام إلى الحسن عليه السلام وقال: أجبه يا أبا محمّد.

فقال له: أمّا ما سألت عن الروح. فإنّ الروح معلّقة بالريح، والريح معلّقة بالهواء إلى وقت ما يتحرّك صاحبها لليقظة فإن أذن الله تعالى بردّ تلك الروح على ذلك البدن جذبت تلك الروح الريح، وجذبت الريح الهواء فأستكنت في بدن صاحبها، وإلاّ جذب الهواء الريح، وجذبت الريح الروح. فلا تردّ على صاحبها إلى وقت بعثه[٢].

«وذلك إذا قلّصت» أي: ارتفعت.

«حربكم وشمّرت عن ساق» أي: خفّت. في (خلفاء ابن قتيبة): لمّا أخبر عليّ عليه السلام الناس بغلبة أهل الشام عليهم قالوا: قد علمنا يا أمير المؤمنين أنّ قولك كلّه وجميع لفظك يكون حقّاً أترى معاوية يكون علينا أميراً؟ فقال: لا تكرهون إمرة معاوية فإن إمرته سلم وعافية. فلو قد مات رأيتم الرؤوس تندر عن كهولها كأنّها الحنظل وعداً كان مفعولاً[٣].

«وضاقت الدنيا عليكم ضيقا تستطيلون معه» هكذا في (المصرية) وكلمة

---

(١) الأخبار الطوال: ٣٨٤. والنقل بتصرف يسير.

(٢) أخرجه النعماني في الغيبة: ٣٩ والكليني في الكافي ١: ٥٢٥ ح ١، والبرقي في المحاسن: ٣٣٢ ح ٩٩، وغيرهم والنقل بتصرف يسير.

(٣) الامامة والسياسة ١: ١٥٢.

«معه» زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[1].

«أيّام البلاء عليكم حتّى يفتح الله لبقية الأبرار منكم» روى (مقاتل أبي الفرج) بأسانيد عن سفيان بن أبي ليلى قال: أتيت الحسن بن عليّ عليه السلام حين بايع معاوية ـ إلى أن قال ـ

قال الحسن عليه السلام: أبشر يا سفيان. فإنّي سمعت علياً عليه السلام يقول: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يرد عليّ الحوض أهل بيتي، ومن أحبّهم كهاتين، ـ يعني السبّابتين ـ أو كهاتين ـ يعني السبابة والوسطى ـ إحداهما تفضل على الأُخرى. ابشر يا سفيان فإنّ الدنيا تسع البر والفاجر حتّى يبعث الله إمام الحقّ من آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم[2].

٤
من الخطبة (١٨٧)

بعد ما مرّ في الإمامة العامّة:

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَلَأَنَا بِطُرُقِ ٱلسَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ ٱلْأَرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا، وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا.

أقول: الظاهر أنّ الأصل في العنوان ما رواه المدائني قال: خطب عليّ عليه السلام فذكر الملاحم فقال: «سلوني قبل أن تفقدوني أما والله لتشعرن الفتنة الصماء برجلها، وتطأ في خطامها. يالها من فتنة شبّت نارها بالحطب الجزل، مقبلة من شرق الأرض، رافعة ذيلها، داعية ويلها، بدجلة أو حولها. ذاك إذا آستدار الفلك وقلتم مات أو هلك، بأيّ وادٍ سلك». فقال قوم تحت منبره «لله

(١) الكلمة مذكورة في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٤، وشرح ابن ميثم ٢: ٣٨٨.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٤٤.

أبوه ما أفصحه كاذباً»[١].

«أيّها الناس سلوني قبل أن تفقدوني» قال ابن أبي الحديد: حدّثني من أثق به من أهل العلم حديثاً ـ وإن كان فيه بعض الكلمات العامية إلاّ أنّه يتضمّن ظرفاً ولطفاً، ويتضمّن أيضاً أدباً ـ قال: كان ببغداد في أيّام الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بالله واعظ مشهور بالحذق ومعرفة الحديث والرجال، وكان يجتمع تحت منبره خلق عظيم من عوام بغداد وفضلائها، وكان مشتهرا بذمّ أهل الكلام وخصوصاً المعتزلة على قاعدة الحشوية، ومبغضي أرباب العلوم العقلية. وكان أيضاً منحرفاً عن الشيعة يُرضي العامّة بالميل عليهم. فاتّفق قوم من رؤساء الشيعة على أن يضعوا عليه من يسأله من تحت منبره، ويخجله فسألوا عمّن ينتدب لهذا. فأُشير عليهم بشخص كان ببغداد يعرف بأحمد بن عبدالعزيز الكزي ويشتغل بشيء يسير من كلام المعتزلة، ويتشيّع وقد شدّ طرفاً من الأدب ـ وقد رأيته أنا في آخر عمره، والناس يختلفون إليه في تعبير الرؤيا ـ فأحضروه وطلبوا إليه أن يعتمد ذلك فأجابهم، وجلس ذلك الواعظ يوماً، واجتمع الناس عنده على طبقاتهم، وتكلّم على عادته. فأطال فلمّا مرّ في ذكر صفات الباري تعالى في أثناء الوعظ قام إليه الكزّي. فسأله أسئلة عقليّة على منهاج معتزلي المتكلّمين. فلم يكن للواعظ عنها جواب نظرى. وإنّما دفعه بالخطابة والجدل، وسجع الألفاظ، وقال في آخر كلامه.

أعينُ المعتزلة حوّل، وأصواتي في مسامعهم طبول، وكلامي في أفئدتهم نصول. يامن بالاعتزال يصول، ويحك كم تحوم وتجول حول من لا تدركه العقول. كم أقول كم أقول، خلّوا هذا الفضول. فارتجّ المجلس، وصرخ

---

(١) رواه عن صفين المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٥٠، شرح الخطبة ٦٩.

الناس، وعلت الأصوات، وطاب الواعظ وطرب، وخرج من هذا الفصل إلى غيره فشطح شطح الصوفية، وقال: سلوني قبل أن تفقدوني، وكرّرها. فقام إليه الكزي.

فقال: يا سيّدي! ما سمعنا أنّه قال هذه الكلمة إلّا عليّ بن أبي طالب وتمام الخبر معلوم.

وأشار الكزي بقوله وتمام الخبر معلوم. إلى قول عليّ عليه السلام: لا يقولها بعدي إلاّ مدّع. فقال الواعظ: وهو في نشوة طربه، وأراد إظهار فضله ومعرفته برجال الحديث والرواة: من عليّ بن أبي طالب عليه السلام أهو عليّ بن أبي طالب بن المبارك النيسابوري؟ أم عليّ بن أبي طالب بن اسحق المروزي؟ أم علي بن أبي طالب بن عثمان القيرواني؟ أم عليّ بن أبي طالب بن سليمان الرازي؟ وعدّ سبعة أو ثمانية من أصحاب الحديث كلّهم يقال له عليّ بن أبي طالب.

فقالم الكزي: وقام من يمين المجلس آخر، ومن يسار المجلس: ثالث وانتدبوا له، وبذلوا أنفسهم للحميّة ووطّنوها على القتل.

فقال الكزي: يا سيّدي صاحب هذا القول هو عليّ بن أبي طالب زوج فاطمة سيّدة نساء العالمين، وإن كنت ما عرفته بعد بعينه فهو الشخص الّذي لمّا آخى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بين الأتباع والأذناب آخى بينه وبين نفسه، وأسجل على نفسه على أنّه نظيره، ومماثله. فهل نقل في جهازكم أنتم من هذا شيء. أو ثبت تحت حبّكم من هذا شيء؟

فأراد الواعظ أن يكلّمه. فصاح عليه القائم من الجانب الأيمن وقال: يا سيّدي محمّد بن عبدالله كثير في الأسماء، ولكن ليس فيهم من قال له ربّ العزة ﴿ما ضلّ صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلاّ وحي

يوحى﴾[١] وكذلك عليّ بن أبي طالب كثير في الأسماء ولكن ليس فيهم من قال له صاحب الشريعة: أنت منّي بمنزله هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي.

فالتفت إليه الواعظ ليكلّمه. فصاح عليه القائم من الجانب الأيسر وقال: إن كنت لا تعرف علياً عليه السلام فأنت معذور.

وإذا خفيت على الفتيّ فعاذر ألا تــرانــي مــقلة عــمياء

واضطرب المجلس وماج كما يموج البحر، وآفتتن الناس، وتواثب بعضهم على بعض، وتكشفت الرؤوس، ومزقت الثياب، ونزل الواعظ وآحتمل حتّى أدخل داراً أُغلقت عليه بابها، وحضر أعوان السلطان فسكّنوا الفتنة، وصرفوا الناس إلى منازلهم، وأنفذ الناصر لدين الله في آخر ذاك اليوم. فأخذ الكزي والرجلين اللّذين قاما معه فحبسهم أيّاما ليطفئ النائرة. ثمّ أطلقهم[٢].

وفي (نجوم ابن طاووس) عن كتاب ابن جمهور القمي بأسانيده أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا صعد المنبر وقال: سلوني قبل أن تفقدوني؛ قام إليه رجل فسأله عن السواد الّذي في القمر. فقال: أعمى سأل عن عمياء. أما سمعت أنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فمحونا آية اللّيل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾[٣].

فالمحو السواد الّذي تراه في القمر. إنّ الله تعالى خلق من نور عرشه شمسين، وأمر جبرائيل. فأمرّ جناحه بالّذي سبق من علمه لمّا أراد أن يكون من اختلاف الليل والنهار والشمس والقمر...[٤].

وروى (الخصال): أنّه عليه السلام كان بالكوفة بالجامع، إذ قام إليه رجل من

---

(١) النجم: ٢ ـ ٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢١٧، والنقل بتصرف يسير.

(٣) الأسراء: ١٢.

(٤) خرج الهموم: ٩٧.

أهل الشام. فسأله عن مسائل، وكان في ما سأله أن قال: أخبرني عن ستّة من الأنبياء لهم اسمان. قال عليه السلام: هم يوشع بن نون وهو ذوالكفل، ويعقوب وهو إسرائيل والخضر وهو حلقيا، ويونس وهو ذو النون، وعيسى وهو المسيح، ومحمّد وهو أحمد صلوات الله عليهم أجمعين[1].

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي): قال ابن عباس ـ في ما روى العوفي عنه ـ: شهدت يوماً عليّاً عليه السلام وسئل عن الفاتحة. فقال: نزلت من كنز تحت العرش ولو ثنيت لي وسادة لذكرت في فضلها حمل بعير ذكر، وليس في القرآن آية إلاّ وأنا أعلم متى نزلت، وفي أيّ شيء نزلت ـ ثمّ انشد:

إذا المشكلات تصدّين لي ... كشفت حقائقها بالنظر
وإن برقت في خلال الصواب ... عمياء لا يعتريني فكر
مقنّعة بغيوب الأُمور ... وضعت عليها نفيس الدرر
لساناً كشقشقة الأرحبيّ ... أو كالحسام إذا ما سطر
ولست بإمّعة في الرجال ... أُسائل هذا وذا ما الخبر
ولكنّني مدرة الأصغرين ... وجلّاب خير ودفّاع شر[2]

«فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض» قال ابن أبي الحديد: المراد ما اختص عليه السلام به من العلم بمستقبل الأُمور، ولا سيّما في الملاحم والدول، وقد صدّق هذا القول عنه ما تواتر عنه من الإخبار بالغيوب المتكرّر لا مرّة، ولا مئة مرّة حتّى زال الشك والريب في أنّه إخبار عن علم لاعلى سبيل الاتفاق، وقيل: المراد أنا بالأحكام الإلهية أعلم منّي بالأُمور الدنيوية، والأوّل أظهر[3].

---

(١) الخصال ١: ٣٢٢ ح ٧.

(٢) تذكرة الخواص: ١٦٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢١٧، والنقل بتقطيع.

قلت: وأيّاً كان المراد دليل على اتّصاله بالمبدأ الأعلى، وكونه حجّة الله على الخلق كالرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فطرق الأرض وجغرافيتها يمكن أن يعلمها جميع الناس، وطرق السماء لا يمكن علمها إلاّ لحجج الله تعالى كما أنّ العلم بالأحكام الالهيّة على ما هي عليه لا يمكن إلاّ لهم، وقد قال عليه السلام في خطبة: «لا يقع اسم الهجرة على أحد إلاّ بمعرفة الحجّة في الأرض»[١].

«قبل أن تشغر» أي: ترفع.

«برجلها فتنه تطأ» أي: تضع قدمها.

«في خطامها» أي: زمامها.

«وتذهب بأحلام» أي: عقول.

«قومها» ومراده عليه السلام بفتنة تطأ في خطامها، وتذهب بأحلام قومها، فتنة بني أُميّة وبني العباس بعده عليه السلام، وقوله عليه السلام وقبل أن تشغر... ظرف لقوله عليه السلام أوّلاً «سلوني قبل أن تفقدوني» وقوله عليه السلام بينهما «فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض» معترضة لبيان وجوب سؤاله، والرجوع إليه.

روى (مسند أحمد بن حنبل) عنه عليه السلام خبر ارتقائه على كتف النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم -إلى أن قال- قال عليّ عليه السلام: فنهض بي النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وإنّه ليخيّل إليّ أنّي لو شئت أن أنال أُفق السماء لنلته -إلى أن قال-

قال سعيد بن المسيّب: فلهذا كان عليّ عليه السلام يقول: «سلوني عن طرق السماوات. فإنّي أعرف بها من طرق الأرضين، ولو كشف الغطاء ما آزددت يقيناً».

---

(١) رواه الرضي في نهج البلاغة ٢: ١٢٩، ضمن الخطبة ١٨٧.

قال سعيد بن المسيب: لم يكن أحد من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقولها إلاّ عليّ عليه السلام(١).

٥
الخطبة (١٧٣)

وَٱللهِ لَوْ شِئْتُ أَن أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ، وَلكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى ٱلْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذلِكَ مِنْهُ. وَٱلَّذِي بَعَثَهُ بِـالْحَقِّ، وَٱصْطَفَاهُ عَلَى ٱلْخَلْقِ، مَا أَنْطِقُ إِلاَّ صَادِقاً. وَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذلِكَ كُـلِّهِ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو، وَمَآلِ هذَا ٱلْأَمْرِ. وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلاَّ أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَي وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ. أَيُّهَا ٱلنَّاسُ! إِنِّي وَٱللهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلاَّ وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلاَّ وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا.

أقول: رواه منذر مع زيادات ـ وقد نقله ابن ميثم عند قوله عليه السلام: «فتن كقطع اللّيل» ـ ففيه «والّذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لو أشاء لأخبرتكم بخراب العرصات عرصة عرصة ومتى تخرب، ومتى تعمر بعد خرابها إلى يوم القيامة، وإنّ عندي من ذلك علماً جمّا، وان تسألوني تجدوني به عالماً لا أخطئ منه علماً ولا وافيا. ولقد آستودعت علم القرون الأولى وما هو كائن إلى يوم القيامة(٢).

«والله لو شئت أن اخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه» روي أنّ جاثليقاً جاء في نفر من النصارى إلى أبي بكر، وسأله مسائل عجز عنها أبو بكر. فقال

(١) هذا سياق السبط في التذكرة: ٢٧، والحديث أخرجه أحمد في مسنده ١: ٨٤، والحاكم في المستدرك ٢: ٣٦٦.

(٢) شرح ابن ميثم ٣: ١٦، شرح الخطبة ١٠٠.

له: كفّ أيّها النصراني، وإلاّ أبحنا دمك. فقال الجاثليق: أهذا عدل على من جاء مسترشداً طالباً؟! دُلُّوني على من أسأله عمّا أحتاج إليه. فجاء عليّ عليه السلام -إلى أن قال- فقال له الجاثليق: بم بنت أيّها العالم عن الرعية الناقصة؟ قال عليه السلام: بما اخبرتك به عن علمي بما كان وما يكون. قال: فهلمّ شيئاً من ذلك أتحقّق به دعواك. فقال عليه السلام: خرجت أيّها النصراني من مستقرّك مستنكراً لمن قصدت بسؤالك له مضمراً خلاف ما أظهرت من الطلب والاسترشاد. فأُرِيت في منامك مقامي، وأُمرتَ فيه باتّباعي. قال: صدقت والله، وأنا أشهد ألاّ إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسوله، وأنّك وصيّه، وأحق الناس بمقامه. وأسلم الّذين معه أيضاً، فقال عمر له: الحمد لله الّذي هداك غير أنّه يجب أن تعلم أنّ علم النبوّة في أهل بيت صاحبها، والأمر بعده لمن رضي به العامة...[(١)].

وفي (مناقب السروي) عن الأصبغ قال: أمرنا عليّ عليه السلام بالمسير من الكوفة إلى المدائن. فسرنا يوم الأحد، وتخلّف عنّا عمرو بن حريث، والأشعث، وجرير البجلي مع خمسة نفر. فخرجوا إلى مكان بالحيرة يقال له الخورنق، والسدير، وقالوا: إذا كان يوم الجمعة لحقنا علياً قبل أن يجمع الناس. فصلّينا معه. فبيناهم جلوس، وهم يتغدّون إذ خرج عليهم ضبّ فاصطادوه فأخذه عمرو ابن حريث فبسط كفّه. فقال: بايعوا. هذا أمير المؤمنين. فبايعه الثمانية ثمّ أفلتوه، وارتحلوا وقالوا: إنّ علياً يزعم أنه يعلم الغيب فقد خلعناه، وبايعنا مكانه ضباً -إلى أن قال بعد ذكر لحوقهم به عليه السلام وهو على المنبر- فقال: «إنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿يوم ندعوا كلّ أُناس بإمامهم﴾[(٢)] وأنا أُقسم بالله ليبعثنّ يوم القيامة ثمانية نفر من هذه الأمّة إمامهم ضبّ، ولو شئت أن

(١) رواه أبو علي الطوسي في اماليه ١: ٢٢٢ جزء ٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الاسراء: ٧١.

أُسمّيهم لفعلت» فتغيّرت ألوانهم ـ...[١].

«وجميع شأنه لفعلت» قال ابن أبي الحديد: أقسم عليه السلام أنّه لو شاء أن يخبر كلّ واحد منهم أين خرج، وكيفية خروجه من منزله وأين يلج، وكيفية ولوجه، وجميع شأنه من مطعمه، ومشربه، وما عزم عليه من أفعاله، وما أكله، وما ادّخره في بيته، وغير ذلك من شؤونه وأحواله لفعل، وهذا كقول المسيح عليه السلام ﴿وأُنبّئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم﴾[٢].

وفي (تاريخ الطبري): لمّا خرجت الخوارج من الكوفة أتى علياً عليه السلام أصحابه وشيعته. فبايعوه وقالوا: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت. فشرط لهم فيه سنة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي ـ وكان شهد معه الجمل وصفين ومعه راية خثعم ـ فقال له (عليّ عليه السلام): بايع على كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال ربيعة: على سنّة أبي بكر وعمر. قال له عليّ عليه السلام: ويلك لو أنّ أبابكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكونا على شيء من الحقّ فبايعه. فنظر إليه عليّ عليه السلام وقال: «أما والله لكأنّي بك، وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت، وكأنّي بك وطئتك الخيل بحوافرها». فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة[٣].

ورواه (خلفاء ابن قتيبة) وزاد: قال قبيصة فرأيته يوم النهروان قتيلا قد وطأت الخيل وجهه وشدخت رأسه، ومثّلت به. فذكرت قول عليّ عليه السلام، وقلت: لله درّ أبي الحسن ما حرّك شفتيه قط بشيء إلاّ كان كذلك[٤].

ورووا عن أبي الجهم العدوي ـ وكان معادياً لعليّ عليه السلام ـ قال:

---

(١) مناقب السروي ٢: ٢٦١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٧، والآية ٤٩ من آل عمران.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٥٦ سنة ٣٧.

(٤) الامامة والسياسة ١: ١٤٦.

خرجت بكتاب عثمان، والمصريون قد نزلوا بذي خشب إلى معاوية، وقد طويته طيّاً لطيفاً، وجعلته في قراب سيفي، وقد تنكّبت عن الطريق وتوخّيت سواد الليل حتّى كنت بجانب الجرف إذا رجل على حمار مستقبلي، ومعه رجلان يمشيان أمامه فإذا هو عليّ بن أبي طالب قد أتى من ناحيه البدو، فأثبتني ولم أثبته حتّى سمعت كلامه. فقال: أين تريد يا صخر؟ قلت: البدو فادع الصحابة. قال: فما هذا الّذي في قراب سيفك؟ قلت: لا تدع مزاحك أبداً ثمّ جزته[1].

ورووا أنّه ذُكِر لأسقفٍ بدير الديلم من أرض فارس ـ وقد أتت عليه عشرون ومئة سنة ـ أنّ رجلاً ـ يعنونه عليه السلام ـ قد فسرّ الناقوس. فقال: سيروا بي إليه. فإنّي أجده أنزع بطيناً. فلمّا وافاه عليه السلام قال: قد عرفت صفته في الإنجيل وأنا أشهد أنّه وصيّ ابن عمّه.

فقال عليه السلام له: جئت لتؤمن أأزيدك رغبة في إيمانك؟ قال: نعم. قال عليه السلام: إنزع مدرعتك. فأرِ أصحابك الشامة الّتي بين كتفيك. فقال: أشهد ألاّ إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وشهق شهقة. فمات.

فقال عليه السلام: «عاش في الإسلام قليلاً، وينعم في جوار الله كثيراً»[2].

وروى أبو مخنف أنّ عمرو بن اليثربي الّذي قتل يوم الجمل في أصحاب عائشة زيد بن صوحان، وعلباء، وهند الجملي من أصحابه عليه السلام: أسره عمّار بن ياسر، وجاء به إليه قال له عليه السلام: أدنني منك أُسارّك. فقال عليه السلام له: أنت متمرّد، وقد أخبرني النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالمتمرّدين، وذكرك فيهم. فقال له أما والله لو وصلت إليك لعضضت أنفك منك. فأمر به عليّ عليه السلام فضربت

---

(١) رواه السروى في مناقبه ٢: ٢٥٩.

(٢) رواه السروي في مناقبه ٢: ٢٦٨.

عنقه[١]. ومثله وقع لابنه الحسن عليه السلام مع ابن ملجم[٢].

وروى محمّد بن يعقوب أنّ عائشة أنفذت رجلاً شديد العداوة له بكتاب لها إليه. فمضى فاستقبله راكباً فناوله الكتاب. ففضّ خاتمه ثمّ قرأه ثمّ قال له: تبلغ إلى منزلنا فتصيب من طعامنا وشرابنا، ونكتب جواب كتابك. قال: هذا والله لا يكون. فثنى عليه السلام رجله فنزل وأحدق به ثمّ قال للرجل: أسألك؟ قال: نعم. قال: وتجيبني؟ قال: نعم.

قال: ناشدتك الله أقالت عائشة: إلتمسوا لي رجلاً شديد العداوة لهذا الرجل فأُتي بك. فقالت: ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل. فقلت كثيراً ما أتمنّى على ربّي أنّه وأصحابه في وسطي، وأنّي ضربته ضربة بالسيف يسبق السيف الدم؟ فقال: اللّهمّ نعم.

قال: فأُنشدك الله أقالت: فاذهب بكتابي هذا فادفعه إليه ظاعناً كان أو مقيماً أما إنّك إن رأيته ظاعنا رأيته راكباً بغلة النبيّ متنكّبا قوساً، معلّقاً كنانته بقربوس سرجه، أصحابه خلفه كأنّهم طير صوافّ؟ قال: اللّهمّ نعم.

قال: فأُنشدك الله هل قالت لك؟: ان عرض عليك طعامه أو شرابه فلا تنالنّ منه شيئاً. فإنّ فيه السحر؟ قال: اللّهمّ نعم.

قال فمبلغٌ عنّي؟ قال: اللّهمّ نعم. فإنّي أتيتك وما في الأرض خلق أبغض إليّ منك، وأنا الساعة ما في الأرض خلق أحبّ إليّ منك. فمُرني بما شئت.

فقال: إدفع كتابي هذا إليها، وقل لها: ما أطعت الله ورسوله حيث أمرك

---

(١) رواه عن أبي مخنف ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٨٦، شرح الخطبة ١٣.

(٢) روى ما وقع بين الحسن عليه السلام وبينه الطبري في تاريخه ٤: ١١٢، سنة ٣٨، وابن قتيبة في الامامة والسياسة ١: ١٦٠، وأبو الفرج في المقاتل: ٢٢، وغيرهم.

الله بلزوم بيتك...[١].

وروى محمّد بن جبلة الخيّاط عن عكرمة عن زيد الأحمسي أنّ عليّاً عليه السلام كان جالساً في مسجد الكوفة، وبين يديه قوم منهم عمرو بن حريث إذ أقبلت امرأة مختمرة لا تعرف. فوقفت فقالت لعليّ عليه السلام: يا من قتل الرجال وسفك الدماء، وأيتم الصبيان، وأرمل النساء! فقال عليّ عليه السلام: «وإنّها لهي السَّلَقْلَقَة الجَلِعَة المَجِعة، وإنّها لهي. هذه شبيهة الرجال والنساء الّتي ما رأت دماً قط». فولّت هاربة منكسة رأسها. فتبعها عمرو بن حريث. فلمّا صارت بالرحبة قال لها: والله لقد سررت بما كان منك اليوم إلى هذا الرجل. فادخلي منزلي حتّى أهب لك وأكسوك. فلمّا دخلت منزله أمر جواريه بتفتيشها، وكشفها، ونزع ثيابها لينظر صدقه فيما قاله عنها. فبكت وسألته أن لا يكشفها، وقالت: أنا والله كما قال، لي ركب النساء وانثيان كانثيي الرجال، وما رأيت دماً قط. فتركها وأخرجها ثمّ جاء إلى عليّ عليه السلام فأخبره.

فقال: إنّ خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرني بالمتمرّدين عليّ من الرجال والمتمرّدات من النساء إلى أن تقوم الساعة. ونقله ابن أبي الحديد عند قوله عليه السلام فقمت بالأمر[٢].

وروى (البصائر) عن الحرث الأعور قال: كنت ذات يوم مع أمير المؤمنين عليه السلام في مجلس القضاء إذ أقبلت امرأة مستعدية على زوجها. فتكلّمت بحجّتها وتكلم الزوج بحجّته. فوجب القضاء عليها. فغضبت غضباً شديداً ثم قالت: والله يا أمير المؤمنين لقد حكمت عليّ بالجور وما بهذا أمرك

---

(١) أخرجه الصفار في البصائر: ٢٦٣ ح ٤، والسروى في مناقبه ٢: ٢٦٠، والراوندي في الخرائج عنه فتن البحار: ٣٨٨، لكن لم يوجد في الكافي والنقل بتصرف يسير.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٠٨، شرح الخطبة ٣٧.

الله تعالى. فقال لها: يا سلفع، يا مهيع، يا قردع، بل حكمت عليك بالحقّ الّذي علمته. فلمّا سمعت منه هذا الكلام ولّت هاربة ـ إلى أن قال ـ قالت: أمّا قوله لي: يا سلفع فوالله ما كذب على أنّي لا أحيض من حيث تحيض النساء[١].

وقال ابن أبي الحديد: ومن عجيب ما وقفت عليه من إخباره عليه السلام عن الغيوب قوله في الخطبة الّتي يذكر فيها الملاحم ـ وهو يشير إلى القرامطة ينتحلون لنا الحبّ والهوى ويضمرون لنا البغض والقلى، وآية ذلك قتلهم ورّاثنا. وهجرهم أحداثنا.

وصحّ ما أخبر به لأنّ القرامطة قتلت من آل أبي طالب عليه السلام خلقاً كثيراً وأسماؤهم مذكورة في كتاب مقاتل الطالبيّين لأبي الفرج الاصبهاني.

ومرّ أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابيّ في جيشه بالغريّ، وبالحائر فلم يعرّج على واحد منهما ولا دخل ولا وقف[٢].

قلت: ومن غريب ما وقفت عليه ما رواه النعماني في (غيبته) بإسناده عن أبي صادق أنّه عليه السلام قال: ملك بني العباس عُسْرٌ لا يسر فيه، دولتهم لو اجتمع عليهم الترك والديلم والسند والهند والبربر والطيلسان لم يزيلوه، ولا يزالون يتمرغون ويتنعمون في غضارة من ملكهم حتّى يشذّ عنهم مواليهم وأصحاب ألويتهم، ويسلّط الله عليهم علجا يخرج من حيث بدئ ملكهم لا يمرّ بمدينة إلاّ فتحها ولا ترفع له راية إلاّ هدّها، ولا نعمة إلاّ أزالها. الويل لمن ناواه. فلا يزال كذلك حتّى يظفر ويدفع بظفره إلى رجل من عترتي يقول بالحقّ ويعمل به[٣].

---

(١) بصائر الدرجات: ٣٧٩ ح ١٨، وجمع غيره.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٨.

(٣) غيبة النعماني: ١٦٧.

فقوله عليه السلام «حتّى يشذّ عنهم مواليهم وأصحاب ألويتهم» إشارة إلى خروج الأتراك الّذين كانوا أُمراء جيوش العباسيّين من زمان المعتصم عليهم وعزلهم خليفة، ونصبهم آخر، وسملهم لهم.

وقوله عليه السلام «ويسلّط الله عليهم علجاً يخرج من حيث بدئ ملكهم لا يمرّ بمدينة إلاّ فتحها، ولا ترفع له راية إلاّ هدّها، ولا نعمة إلاّ أزالها الويل لمن ناواه» إشارة إلى هولاكو خان، وفتحه لبلاد الإسلام إلى بغداد، واستيصاله دولة العباسيّين، وقتله للمستعصم آخرهم.

وقوله: «ويدفع بظفره إلى رجل من عترتي يقول بالحقّ ويعمل به» اشارة إلى تفويضه الأمر إلى عليّ بن طاووس الّذي كان تالى العصمة صاحب كرامات فإنّه كان وجيهاً في دولة المغول، ومقرّباً عند هولاكو.

ونظيره روي عن الصادق عليه السلام وقد وقف ابن طاووس على ذاك، وأعتقد أنّه المراد ولكن لم يتفطّن لهذا. فقال في إقباله: عزم على الافطار في (١٣) ربيع الأوّل من سنة (٦٦٢) فصامه لوجدانه حديثاً في ملاحم البطائني عن أبي بصير أنّ الصادق عليه السلام قال له: «إنّ الله أجلّ من أن يترك الأرض بلا إمام عادل، وليس ترى أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فرجاً أبداً مادام لولد بني فلان ملك حتّى ينقرض ملكهم. فإذا انقرض ملكهم أتاح الله لأُمّة محمّد برجل منّا أهل البيت يشير بالتقى، ويعمل بالهدى، ولا يأخذ في حكمه الرشا، وإنّي لأعرفه باسمه واسم أبيه».

قال ابن طاووس: ومن حيث انقرض ملك بني العبّاس لم أجد ولم أسمع برجل من أهل البيت يشير بالتقى، ويعمل بالهدى، ولا يأخذ في حكمه الرشا كما قد تفضّل الله علينا ظاهراً وباطناً، وغلب على ظنّي أنّ ذلك اشارة إلينا، وإنعام علينا. فقلت: اللّهمّ إن كنت أنا الرجل المشار إليه فلا تمنعني عن صومه على عادتك عندي. فوجدت إذناً، وأمراً بصومه فصمته وقد تضاحى نهاره،

وقلت: إن كنت أنا المشار إليه. فلا تمنعني من صلاة الشكر وأدعيتها. فقمت ولم أمنع بل وجدتني مأموراً. فصلّيتها، ودعوت بأدعيتها، وقد رجوت أن يكون تعالى شرّفني بذكر في الكتب السالفة على لسان الصادق عليه السلام فإنّنا قبل الولاية على العلويين كنّا في تلك الصفات مجتهدين، وبعد الولاية على العلويين زدنا في الاجتهاد في هذه الصفات والسيرة فيهم بالتقوى، والعمل معهم بالهدى، وترك الرشا قديماً وحديثاً، ولا يخفى ذلك على من عرفنا، ولم يتمكّن أحد في هذه الدولة القاهرة من العترة كما تمكّنا نحن من صدقاتها المتواترة، وأستجلاب الفرامين المتضمنة لعدلها ورحمتها المتظاهرة...»[1].

والنعماني ألّف كتابه في سنه (٣٤٠) فقال فيه مشيراً إلى القائم عليه السلام «وله الآن نيّف وثمانون سنة»[2] وهولاكو كان بعد (٦٦٠) هذا. وآختلف تعبيره مع تعبير الصادق عليه السلام عن آبن طاووس فقال عليه السلام «من عترتي» وقال: الصادق عليه السلام «منّا أهل البيت» لأنّ ابن طاووس كان حسنياً.

وقال آبن أبي الحديد: وقال عليه السلام في هذه الخطبة ـ وهو يشير إلى السارية الّتي كان يستند إليها في مسجد الكوفة ـ: «كأنّي بالحجر الأسود منصوباً هاهنا برهة، ويحهم إنّ فضيلته ليست في نفسه، بل في موضعه وأسه، يمكث هاهنا برهة ثم هاهنا، وأشار إلى البحرين ثمّ يعود إلى مأواه وأمّ مثواه» ـ ووقع الأمر في الحجر الأسود بموجب ما أخبر به عليه السلام[3].

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: وقد وقفت له على خطب مختلفة فيها ذكر الملاحم، فوجدت في كثير منها اختلالاً ظاهراً، هذه المواضع الّتي أنقلها ليست

---

(١) الاقبال: ٥٩٩ و٦٠٠، والنقل بتصرف يسير.

(٢) غيبة النعماني: ١٠٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٨.

من تلك الخطب المضطربة بل من كلام له عليه السلام وجدته متفرّقاً في كتب مختلفة.

ومن ذلك أنّ تميم بن أُسامة بن زهير بن دريد التميمي اعترضه وهو يخطب على المنبر ويقول: «سلوني قبل أن تفقدوني. فوالله لا تسألوني عن فئة تضلّ مئة، وتهدي مئة إلاّ نبأتكم بناعقها وسائقها، ولو شئت لأخبرت كلّ واحد منكم بمخرجه، ومدخله وجميع شأنه».

فقال له فكم في رأسي طاقة شعر. فقال له: «أما والله إنّي لأعلم ذلك ولكن أين برهانه لو أخبرتك به، ولقد اُخبرت بقيامك، ومقالك، وقيل لي: إنّ على كلّ شعرة [في] رأسك ملكاً يلعنك، وشيطاناً يستفزّك، وآية ذلك أنّ في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله، ويحضّ على قتله».

فكان الأمر بموجب ما أخبر به عليه السلام كان ابنه حصين بالصاد المهملة يومئذٍ طفلاً رضيعاً. ثمّ عاش إلى أن صار على شرطة عبيدالله بن زياد فأخرجه إلى عمر بن سعد يأمره بمناجزة الحسين عليه السلام ويتوعّده إن أرجأ ذلك فقتل عليه السلام صبيحة اليوم الّذي ورد فيه الحصين بالرسالة في ليلته(١).

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: ومن ذلك قوله عليه السلام للبراء بن عازب يوماً: «يا براء! أيقتل الحسين عليه السلام وأنت حيّ فلا تنصره» فقال: لا كان ذلك. يا أمير المؤمنين فلمّا قتل الحسين عليه السلام كان البراء يذكر ذلك ويقول: أعظم بها حسرة إذ لم أشهده واُقتل دونه(٢).

قلت: وروى (صفين نصر) مسنداً عن هرثمة بن سليم قال: غزونا مع عليّ عليه السلام غزوة صفين. فلمّا نزلنا بكربلا صلّى بنا صلاة. فلمّا سلّم رفع إليه من تربتها فشمّها ثمّ قال «واهاً لك أيّها التربة! ليحشرن منك

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٩.

قوم يدخلون الجنّة بغير حساب».

فلمّا رجع إلى امرأته وهي جرداء بنت سمير ـ وكانت شيعة لعليّ عليه السلام فقال لها زوجها هرثمة: ألا أعجبك من صديقك أبي الحسن لمّا نزلنا كربلا رفع إليه من تربتها فشمّها وقال «واهاً لك يا تربة! ليحشرنّ منك قوم يدخلون الجنّة بغير حساب. وما علمه بالغيب؟» فقالت: دعنا منك أيّها الرجل. فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يقل إلاّ حقّاً.

فلمّا بعث عبيدالله البعث الّذي بعثه إلى الحسين عليه السلام وأصحابه قال كنت فيهم في الخيل الّتي بعث إليهم فلمّا انتهيت إلى القوم وحسين وأصحابه عرفت المنزل الّذي نزل بنا عليّ عليه السلام فيه، والبقعة الّتي رفع إليه من ترابها، والقول الّذي قاله. فكرهت مسيرى. فأقبلت على فرسي حتّى وقفت على الحسين عليه السلام فسلّمت عليه وحدّثته بالّذي سمعت من أبيه في هذا المنزل.

فقال: معنا أنت أو علينا؟

فقلت: يا ابن رسول الله لا معك، ولا عليك، تركت أهلي وولدي أخاف عليهم من ابن زياد. فقال الحسين عليه السلام فولّ هربا حتّى لا ترى لنا مقتلاً، فوالّذي نفس محمّد بيده لا يرى مقتلنا اليوم رجل ولا يغيثنا إلاّ أدخله الله النار. فأقبلت في الأرض هارباً حتّى خفي عليّ مقتله.

وروى عن ابن جحيفة قال: جاء عروة البارقي إلى سعيد بن وهب فسأله وأنا أسمع. فقال: حديث حدثتنيه عن عليّ عليه السلام قال: نعم. بعثني مخنف بن سليم إلى عليّ عليه السلام فأتيته بكربلا. فوجدته يشير بيده ويقول: هاهنا، هاهنا. فقال له رجل: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟

قال عليه السلام: ثقلٌ لآل محمّد عليهم السلام ينزل هاهنا، فويلٌ لهم منكم، وويل لكم منهم.

فقال له الرجل: ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين؟

قال: «ويل لهم منكم تقتلونهم، وويل لكم منهم يدخلكم الله بقتلهم إلى النار»(١).

ومرّ في العنوان السابق إخباره عليه السلام بكون خالد بن عرفطة صاحب جيش ضلالة، وصاحب لوائه حبيب بن جمّاز يدخل بها من باب الفيل. فكان خالد على مقدّمة عمر بن سعد، وصاحب رايته حبيب أدخلها المسجد من باب الفيل.

وروى (عيون ابن بابويه) مسنداً عن عبدالله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه عن الرضا عن آبائه عليهم السلام عن عليّ عليه السلام قال: كأنّي بالقصور قد شيّدت، حول قبر الحسين، وكأنّي بالمحامل تخرج من الكوفة إلى قبر الحسين ولا تذهب الليالي والأيام حتّى يسار إليه من الآفاق، وذلك عند انقطاع ملك بني مروان(٢).

وعن النعمان بن سعد قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: سيقتل رجل من ولدي بأرض خراسان بالسمّ ظلماً إسمه إسمي، وآسم أبيه آسم آبن عمران؛ موسى ألا فمن زاره في غربته غفر الله تعالى ذنوبه...(٣).

وروى (مروج المسعودي): أنّه لمّا بلغه عليه السلام تثبيط أبي موسى الأشعري، أهل الكوفة عن اللحوق به، ويقول لهم: إنّما هي فتنة، كتب عليه السلام إليه: «إعتزل عملنا يا آبن الحائك مذموماً مدحوراً. فما هذا أوّل يومنا منك، وإنّ لك فيها لهنات وهنيّات(٤)ـ وقوله «وإنّ لك» إشارة إلى صيرورته حكماً وحكمه عليه عليه السلام.

---

(١) وقعة صفين: ١٤٠ ـ ١٤١.

(٢) رواه الصدوق في عيون الأخبار ٢: ٤٨ ح ١٩٠، وصاحب مسند الرضا عليه السلام فيه: ٤٧٠.

(٣) رواه الصدوق في عيون الأخبار ٢: ٢٦٢ ح ١٧، وفي الفقيه ٢: ٣٤٩ ح ٣٠، وفي اماليه: ١٠٤ ح ٥، المجلس ٢٥.

(٤) مروج الذهب ٢: ٣٥٩.

«ولكن أخاف أن تكفروا فيَّ برسول الله صلى الله عليه وآله» قال ابن أبي الحديد: أي أخاف عليكم الغلوّ في أمري، وأن تفضّلوني على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بل أخاف عليكم أن تدّعوا فيّ الإلٰهية كما ادّعت النصارى ذلك في المسيح عليه السلام لمّا أخبرهم بالأمور الغائبة[1].

ومع أنّه عليه السلام قد كتم ما علمه حذراً من أن يكفروا فيه بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقد كفر كثير منهم، وادّعوا فيه النبوّة وادّعوا فيه أنّه شريك الرسول في الرسالة، وادّعوا فيه أنّه هو كان الرسول، ولكن الملك غلط فيه، وادّعوا أنّه الّذي بعث محمّداً إلى الناس، وادّعوا فيه الاتّحاد، ولم يتركوا نوعاً من أنواع الضلالة فيه إلاّ قالوه، واعتقدوه، وقال شاعر هم فيه:

ومن أهلك عاداً وثموداً بدواهيه
ومن كلّم موسى فوق طور إذ يناديه
ومن قال على المنبر يوماً وهو راقيه
سلوني أيّها الناس فحاروا في معانيه

وأيضاً:

إنّما خالق الخلائق من زعزع ... أركان حصن خيبر جذباً
قد رضينا به إماماً ومولى ... وسجدنا له إلهاً وربّا

وقال الشهرستاني في (ملله): السبائية أصحاب عبدالله بن سبا الّذي قال لعليّ عليه السلام «أنت أنت» يعني أنت الإلٰه فنفاه إلى المدائن وزعموا أنّه كان يهوديّاً فأسلم. وكان في اليهوديّة يقول في يوشع وصيّ موسى مثل ما قال في عليّ عليه السلام، وهو أوّل من أظهر القول بالفرض بإمامة عليّ عليه السلام ومنه انشعبت أصناف الغلاة، وزعموا أنّ عليّاً حيّ لم يقتل، وفيه الجزء الإلهي، ولا

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٨.

يجوز أن يستولي عليه، وهو الّذي يجيء في السحاب والرعد صوته، والبرق سوطه، وأنّه سينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً[١].

وإنّما أظهر ابن سبا هذه المقالة بعد انتقال عليّ عليه السلام واجتمعت عليه جماعة وهم أوّل فرقة قالت بالتوقف والغيبة والرجعة، وقالت بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمّة بعد عليّ، وهذا المعنى ممّا كان يعرفه الصحابة وإن كانوا على خلاف مراده. هذا عمر -رضي الله عنه- كان يقول فيه حين فقأ عين واحد في الحرم، ورفعت القصة إليه «ماذا أقول في يدالله فقأت عيناً في حرم الله» فاطلق عمر اسم الإلهة عليه لمّا عرف منه ذلك[٢].

«ألا وإنّي مفضيه إلى الخاصة ممّن يؤمَنُ ذلك منه» وممّن أفضى عليه السلام إليه وأظهر له مآل أمره من خواص شيعته؛ ميثم التمار، وكميل بن زياد، وقنبر ورشيد الهجري، ومزرع بن عبيدالله، وجويرية بن مسهر، وحجر بن عدي، وعمرو بن الحمق، وجمع آخر.

فروى محمّد بن محمّد بن النعمان أنّ ميثماً كان عبداً لامرأة من بني أسد فاشتراه عليه السلام منها فأعتقه. فقال له: ما اسمك؟ قال: سالم. قال عليه السلام: أخبرني النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّ اسمك الّذي سمّاك به أبواك في العجم ميثم. قال: صدق الله ورسوله، وصدقت يا أمير المؤمنين، والله إنّه لاسمي. قال: فارجع إلى اسمك الّذي سمّاك به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ودع سالما. فرجع إلى ميثم، واكتنى بأبي سالم، وقال عليه السلام له ذات يوم: «إنّك تؤخذ بعدي فتصلب وتطعن بحربه

(١) قد أثبت العلّامة السيد مرتضى العسكري في بطلان أُسطورة السبائية هذا في كتابه: «عبدالله بن سبأ وأساطير أُخرى» فراجعه.

(٢) الملل والنحل ١: ١٥٥، والنقل بتصرف يسير.

فإذا كان يوم الثالث ابتدر منخراك وفمك دما يخضب لحيتك، فانتظر ذلك الخضاب فتصلب على باب دار عمرو بن حريث عاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة، وأقربهم من المطهرة، وامض حتّى أريك النخلة التي تصلب على جذعها» فأراه إيّاها.

وكان ميثم يأتيها فيصلّي عندها ويقول: «بوركت من نخلة لك خلقت ولي غذيت، ولم يزل يتعاهدها حتّى قطعت، وكان يلقى عمرو بن حريث. فيقول له: إنّي مجاورك. فأحسن جواري. فيقول له عمرو: أتريد أن تشتري دار ابن مسعود أو دار ابن حكيم ـ وهو لا يعلم ما يريد ـ.

وحجّ في السنة الّتي قتل فيها. فدخل على أُمّ سلمة. فقالت: من أنت؟ قال: أنا ميثم. قالت: والله لربما سمعت النبيّ ﷺ يذكرك، ويوصي بك عليّاً عليه السلام في جوف الليل. فسألها عن الحسين عليه السلام؟ فقالت: هو في حائط له. قال: أخبريه أنّني قد أحببت السلام عليه، ونحن ملتقون عند ربّ العالمين، فدعت أُمّ سلمة بطيب، وطيّبت لحيته، وقالت له: أما انّها ستخضب بدم.

فقدم الكوفة فأخذه عبيدالله بن زياد فأُدخل عليه. فقيل له: هذا كان من آثر الناس عند عليّ. قال: ويحكم هذا الأعجمي؟ قيل له: نعم. قال له عبيدالله: أين ربّك؟ قال: بالمرصاد لكلّ ظالم وأنت أحد الظلمة، قال إنّك على عجمتك لتبلغ الّذي تريد، ما أخبرك صاحبك أنّي فاعل بك؟ قال: أخبرني أنّك تصلبني عاشر عشرة أنا أقصرهم خشبة، وأقربهم إلى المطهرة. قال: لنخالفنّه قال: كيف تخالفه فوالله ما أخبرني إلاّ عن النبيّ ﷺ عن جبرئيل عن الله تعالى فكيف تخالف هؤلاء، ولقد عرفت الموضع الّذي أُصلب عليه اين هو من الكوفة، وأنا أوّل خلق الله أُلجم في الإسلام».

فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيد. فقال له ميثم: إنّك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام. فتقتل هذا الّذي يقتلنا. فلمّا دعا عبيدالله

بالمختار ليقتله طلع بريد بكتاب يزيد إلى عبيدالله يأمره بتخلية سبيله فخلاّه.

وأمر بميثم أن يصلب. فأُخرج فقال له رجل لقيه: ما أغناك عن هذا يا ميثم! فتبسّم وقال -وهو يومئ إلى النخله- «لها خلقتُ ولي غذيت» فلمّا رفع على الخشبة اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث وقال عمرو: قد كان والله يقول «إنّي مجاورك» فأمر جاريته بكنس تحت خشبته ورشّه وتجميره. فجعل ميثم يحدّث بفضائل بني هاشم. فقيل لابن زياد: قد فضحكم هذا العبد. فقال: ألجموه وكان أوّل خلق الله اُلجم في الإسلام وكان قتله قبل قدوم الحسين عليه السلام إلى العراق بعشرة أيّام.

فلمّا كان اليوم الثالث من صلبه طعن ميثم بالحربة. فكبّر ثمّ انبعث في آخر النهار فمه وأنفه دماً -قال المفيد: والرواية به بين العلماء مستفيضة[١].

وفي (الإرشاد) أيضاً: روى جرير عن المغيرة قال: لمّا وليَ الحجّاج طلب كميل بن زياد. فهرب منهم فحرم قومه عطاءهم. فلمّا رأى كميل ذلك قال: أنا شيخ كبير وقد نفد عمري، ولا ينبغي أن أحرم قومي عطاءهم. فخرج فدفع بيده إلى الحجّاج. فلمّا رآه قال له: لقد كنت اُحبّ أن أجد عليك سبيلاً. فقال له كميل: لا تصرف عليّ أنيابك، ولا تهدّم عليّ فوالله ما بقي من عمري إلاّ مثل كواسل الغبار. فاقض ما أنت قاض. فإنّ الموعد الله وبعد القتل الحساب، ولقد خبّرني أمير المؤمنين عليه السلام أنّك قاتلي.

فقال له الحجّاج: الحجّة عليك إذن. فقال له كميل: ذاك إذا كان القضاء إليك قال: بلى قد كنت في من قتل عثمان. إضربوا عنقه. فضربت عنقه[٢].

وفيه أيضاً: روى أصحاب السيرة من طرق مختلفة أنّ الحجّاج قال ذات

---

(١) الإرشاد: ١٧٠، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الإرشاد: ١٧٢.

يوم: أُحبّ أن أُصيب رجلاً من أصحاب أبي تراب. فأتقرّب إلى الله بدمه. فقيل له: ما نعلم أحداً كان له أطول صحبة لأبي تراب من قنبر مولاه. فبعث في طلبه. فأُتي به. فقال له: أنت قنبر؟ قال: نعم قال: أبو همدان؟ قال نعم. قال: مولى عليّ بن أبي طالب؟ قال: الله مولايَ وأمير المؤمنين وليّ نعمتي. قال: إبرأ من دينه. قال فإذا برئت من دينه تدلّني على دين غيره أفضل منه؟ قال: إنّي قاتلك فاختر أيّ قتلة أحبّ إليك قال: قد صيّرت ذلك إليك قال: ولم قال: لأنّك لا تقتلني قتلة إلاّ قتلتك مثلها، ولقد أخبرني أمير المؤمنين عليه السلام أنّ منيّتي تكون ذبحاً ظلماً بغير حق قال فأمر به فذبح(١).

وفيه روى ابن عباس عن مجالد عن الشعبي عن زياد بن النضر الحارثي قال: كنت عند زياد إذ أُتي برشيد الهجري. فقال له زياد: ما قال لك صاحبك ـ يعني علياً عليه السلام ـ إنّا فاعلون بك؟ قال: تقطّعون يدي ورجلي، وتصلبونني.

فقال زياد: أمَ والله لأُكذّبنّ حديثه. خلّوا سبيله. فلمّا أراد أن يخرج قال زياد: والله ما نجد له شيئاً شرّاً ممّا قال له صاحبه، إقطعوا يديه ورجليه وآصلبوه. فقال رشيد: هيهات قد بقي لي عندكم شيء أخبرني به أمير المؤمنين عليه السلام. فقال زياد: إقطعوا لسانه. فقال رشيد: الآن والله جاء تصديق خبر أمير المؤمنين عليه السلام. وهذا الخبر قد نقله المؤالف والمخالف عمّن ثقاتهم عمّن سميناه وآشتهر أمره عند علماء الجميع.

وفيه روى عبدالعزيز بن صهيب عن أبي العالية قال: حدّثني مزرع بن عبدالله قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: أم والله ليقبلنّ جيش حتّى إذا كان بالبيداء خسف بهم فقلت له إنّك لتحدّثني بالغيب؟ قال: إحفظ ما أقول لك، والله ليكوننّ

---

(١) الإرشاد: ١٧٣.

ما أخبرني به عليه السلام وليؤخذنّ رجل فليقتلنَّ وليصلبنّ بين شرفتين من شرف هذا المسجد. قلت: إنّك لتحدّثني بالغيب؟ قال: حدّثني الثقة المأمون عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال أبو العالية: فما أتت علينا جمعة حتّى أُخذ مزرع فقُتل وصُلب بين الشرفتين، وقال: قد كان حدّثني بثالثة. فنسيتها.

وفيه روى العلماء أنّ جويرية بن مسهّر وقف على باب القصر. فقال: أين أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقيل له: نائم. فنادى: أيّها النائم آستيقظ فوالّذي نفسي بيده لتضربنّ ضربة على رأسك تخضب منها لحيتك كما أخبرتنا بذلك من قبل فسمعه عليه السلام فنادى أقبل يا جويرية حتّى أُحدّثك بحديثك. فأقبل فقال: وأنت ـ والّذي نفسي بيده ـ لتعتلنّ إلى العُتُلّ الزنيم، وليقطعنّ يدك ورجلك ثمّ لتصلبنّ تحت جذع كافر. فمضى على ذلك الدهر حتّى ولي زياد في أيّام معاوية فقطع يده ورجله ثمّ صلبه إلى جذع ابن مكعبر ـ وكان جذعاً طويلاً ـ فكان تحته[1].

وروى النسوي أنّ عليّاً عليه السلام قال: «يا أهل العراق سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء مثلهم كمثل أصحاب الأُخدود» ـ فقتل حجر وأصحابه (بمرج عذراء)[2].

وروى الكشّي في خبر أنّ عليّاً عليه السلام لمّا نزل الكوفة أتاه عمرو بن الحمق فأقام معه ثمّ قال عليه السلام له يوماً: ألك دار؟ قال: نعم قال: بعها واجعلها في الأزد. فإنّي غدا لو غبتُ لطلبت. فمنعك الأزد حتّى تخرج من الكوفة متوجّهاً إلى حصن الموصل ـ إلى أن قال:

«فإذا صرت قريباً من الحصن في موضع كذا وكذا رهقتك الخيل.

---

(١) الإرشاد: ١٧٠ و ١٧١.

(٢) رواه عن تاريخ النسوى السروى في مناقبه ٢: ٢٧٢.

فانزل عن فرسك ومرّ إلى الغار فإنّه يشترك في دمك فسقة من الجنّ والإنس» ـإلى أن قال ـ:

فنزل عن فرسه ودخل الغار وعار فرسه. فلمّا دخل الغار ضربه أسود سالح فيه، وجاءت الخيل. فلمّا رأوا فرسه عائراً. قالوا: هذا فرسه وهو قريب. فطلبوه فأصابوه في الغار فكلّما ضربوا أيديهم إلى شيء من جسمه تبعهم اللّحم. فأخذوا رأسه. فأتوا به معاوية فنصبه على رمح، وهو أوّل رأس نصب في الإسلام[1].

وفي (أُسد الغابة): كان ممّن سار إلى عثمان وهو أحد الأربعة الّذين دخلوا عليه الدار، وصار بعد ذلك من شيعة عليّ عليه السلام وأعان؛ حجر بن عدي، وكان من أصحابه فخاف زياداً فهرب من العراق إلى الموصل، واختفى في غار بالقرب منها. فأرسل إلى معاوية العامل بالموصل ليحمل عمراً إليه. فأرسل العامل عبدالرحمن بن أُم الحكم ابن أُخت معاوية ـ ليأخذه من الغار. فوجده ميّتاً قد نهشته حيّة. فأخذوا رأسه. قال عمّار الذهبي: أوّل رأس حمل في الإسلام رأس عمرو[2].

«والّذي بعثه بالحقّ، واصطفاه على الخلق، ما أنطق إلاّ صادقاً» روى الثقفي في (غاراته) عن الأعمش عن رجاله قال: خطب عليّ عليه السلام فقال: والله لو أمرتكم فجمعتم من خياركم مئة ثمّ لو شئت لحدّثتكم من غدوة إلى أن تغيب الشمس لا أخبرتكم إلاّ حقّاً ثمّ لتخرجنّ فلتزعمنّ أنّي أكذَبُ الناس، وأفجرهم[3].

«وقد» هكذا في (المصرية) والصواب: (ولقد) كما في (ابن أبي الحديد

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٤٦ ح ٩٦، والنقل بتصرف يسير.

(٢) أُسد الغابة ٤: ١٠٠.

(٣) رواه عن الغارات ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٧، شرح الخطبة ٦٩، لكن لم يوجد في النسخة المطبوعة.

وابن ميثم والخطيّة)[١].

«عهد إليّ بذلك كلّه» ومن كلامه عليه السلام المتواتر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لي: «إنّ الأُمّة ستغدر بك بعدي»[٢].

«ويمهلك من يهلك، ومنجى من ينجو» قال ابن أبي الحديد: أي من الصحابة وغيرهم[٣].

«وما آل هذا الأمر» وفي ابن ميثم: «ومآل هذا الأمر» وهو الصحيح. قال ابن أبي الحديد: أي أمر الإسلام، وأمر الخلافة والدولة[٤].

قال ابن أبي الحديد: إعلم أنّه غير مستحيل أن يكون بعض الأنفس مختصّة بخاصية تدرك بها المغيبات، وقد تقدّم من الكلام في ذلك ما فيه الكفاية، ولكن لا يمكن أن تكون نفس تدرك كلّ المغيبات، لأنّ القوّة المتناهية لا تحيط بأُمور غير متناهية، وكلّ قوّة في نفس حادثة، فهي متناهية. فوجب أن يحمل كلامه عليه السلام لا على أن يريد به عموم العالمية بل يعلم أُموراً محدودة من المغيبات ممّا اقتضت حكمة الباري سبحانه أن يؤهّله لعلمه، وكذلك القول في النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إنّه إنّما كان يعلم أُموراً معدودة لا أُموراً غير متناهية[٥].

قلت: العلم الفعلي كما ذكر لا يمكن حصوله عموماً لبشر من نبيّ أو وصيّ وإنّما هو مختصّ بالله تعالى الّذي علمه ذاتي ولدنّي، وأما العلم القُوّيّ فلا مانع من حصول ملكة عمومه على قدر الطاقة البشرية.

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٧، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣: ٣٤٦، مثل المصرية.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣: ١٤٠ و١٤٢، والبخاري في تاريخه ١ ق ٢: ١٧٤، والخطيب في تاريخ بغداد ١١: ٢١٦، والجوهري في السقيفة: ٦٩، وغيرهم.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٨.

(٤) شرح ابن ميثم ٣: ٣٤٦، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٨.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٨.

وروى ابن المغازلي عن ابن عباس قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «ما علّمني (ربّي) شيئاً إلاّ علمه عليٌّ فهو باب مدينة علمي» ـ ثمّ دعاه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إليه فقال له: «يا عليّ سلمك سلمي، وحربك حربي وأنت العلم في ما بيني وبين أُمّتي من بعدي»[١].

وعن ابن مسعود قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في دعوة إبراهيم ﴿واجنبني بنيّ أن نعبد الأصنام﴾[٢] لمّا قال تعالى له ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾[٣]: «فانتهت الدعوة إليّ وإلى عليّ، لم يسجد أحد منّا لصنم قط. فاتّخذني الله نبيّاً واتّخذ عليّاً وصيّاً»[٤].

«وما أبقى شيئاً يمرّ على رأسي إلاّ أفرغه في أُذني» جمعه عليه السلام بين المرّ على الرأس، والإفراغ في الأُذن في غاية الفصاحة، كما أنّ كلاًّ من المرّ على الرأس والإفراغ في الأُذن كناية حسنة في نفسها كقوله عليه السلام.

«وأفضى به اليّ» أي: أصحره لي، أي: في أيّام الثلاثة وغدرهم به وعدم رعايتهم لقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه يوم الغدير، وفي أيّام قيامه، ونكث الناكثين، وقسط القاسطين، ومروق المارقين، وتخاذل الناس عنه إلى شهادته، ومثله أهل بيته المعصومون كانوا يعلمون ما يجري عليهم من أعدائهم أيّام حياتهم، ولذا كانوا يقولون: شيعتنا أصبر منّا، لأنّا نصبر على ما نعلم، وهم يصبرون على ما لا يعلمون.

«أيّها الناس! إنّي والله ما أحثّكم على طاعة إلاّ وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلاّ وأتناهى قبلكم عنها» كونه عليه السلام كما قال أمر واضح يصدّقه كلّ

---

(١) المناقب لابن المغازلي: ٥٠ ح ٧٣.

(٢) ابراهيم: ٣٥.

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) المناقب لابن المغازلي: ٢٧٦ ح ٣٢٢.

مؤالف ومخالف، ولا ينكره إلاّ مكابر، وأما قول عروة بن الزبير ـ وكان من بغضه له عليه السلام أنّه كان يأخذه الرمع عند ذكره عليه السلام فيسبّه ويضرب بيده على الأخرى ـ «ما يغني أنّه لم يخالف إلى ما نهى عنه، وقد أراق من دماء المسلمين ما أراق»[1] فيقال له: إنّما أراق عليه السلام دماء المنافقين بشهادة قوله تعالى: ﴿يا أيّها النبيّ جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾[2] فجاهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الكفّار بشخصه وجاهد المنافقين بنفسه أي: بأمير المؤمنين عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وأنفسنا﴾[3] ولولاه يلزم أن يكون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ما امتثل أمره تعالى.

٦
الحكمة (١٨٥)

وَقَالَ عليه السلام:

مَا كَذَبْتُ وَلاَ كُذِّبْتُ وَلاَ ضَلَلْتُ وَلاَ ضُلَّ بي.

أقول: قال ابن أبي الحديد: قالها مراراً إحداهنّ في واقعة النهروان[4].

قلت: إنّما روى من قوله عليه السلام الفقرة الأُولى في تلك الواقعة كما سترى، وقد رويت في تلك مرتين: احداهما في ذي الثدية، والأُخرى في عبور الخوارج الجسر، وروي جميع العنوان مع إضافةفي الجمل، ورويت الفقرة الأُولى في إخباره عن تسلّط بني أُميّة بعده أيضاً.

ففي (المروج): دسّ معاوية أُناساً إلى الكوفة يشيعون موته. فأكثر الناس القول في ذلك حتّى بلغ علياً عليه السلام فقال في مجلسه: قد أكثرتم من نعي معاوية والله ما مات ولا يموت حتّى يملك ما تحت قدمي، وإنّما أراد ابن آكلة

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٣٦٠، شرح خطبة ٥٧.

(٢) التوبة: ٧٣.

(٣) آل عمران: ٦١.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣١٨.

الأكباد أن يعلم ذلك منّي. فبعث من يشيع ذلك فيكم ليعلم ما عندي فيه. ومرّ عليه السلام في كلام كثير يذكر فيه أيام معاويه ومن تلاه من يزيد ومروان وبنيه وذكر الحجاج وما يسومهم من العذاب؛ فارتفع الضجيج وكثر البكاء والشهيق. فقام رجل وقال: لقد وصفت أُموراً عظيمة. إنّ ذلك كائن؟ قال عليه السلام: «والله إنّ ذلك كائن، ما كذبت ولا كذبت». فقال آخر: متى ذلك؟ فقال: إذا خضبت هذه من هذه ـ ووضعت إحدى يديه على لحيته والأُخرى على رأسه ـ فقال عليه السلام: لا تبكوا في وقتكم هذا فستبكون بعدي طويلاً[1].

«ما كذبت ولا كذبت» في (تاريخ الطبري) عن أبي مخنف أنّ علياً عليه السلام خرج في طلب ذي الثُّدَيَّة. فوجده الريّان بن صبرة في حفرة على شاطئ النهر في أربعين أو خمسين قتيلاً. فلمّا استخرج نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة. فلمّا استخرج قال عليّ عليه السلام: «الله أكبر! ما كذبت ولا كذبت. أمّا والله لولا أن تنكلوا عن العمل لاخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيّكم مستبصراً في قتالهم عارفاً بالحقّ الّذي نحن عليه»[2].

وروى الخطيب في أبي قتاده أنّ علياً عليه السلام لمّا فرغ من قتال أهل النهروان قفل أبوقتادة ومعه ستّون أو سبعون من الأنصار، فبدأ بعائشه فقالت له: ماوارءك؟ فقال لها لمّا تفرقت المحكّمة من عسكر أمير المؤمنين لحقناهم فقتلناهم. فقالت: ما كان معك من الوفد؟ قال: بلى ستّون أو سبعون قالت: أفكلّهم يقول مثل الّذي تقول؟ قال: نعم. قالت: فقصّ عليّ القصّة ـ إلى أن قال ـ

قال لها أبو قتادة: فأقمنا ندور على القتلى حتّى وقفت على بغلة

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٤١٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٦٥، سنة ٣٧، والنقل بتلخيص.

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعلى راكبها. فقال: إقلبوا القتلى وهم في نهر. فقلبناهم حتّى خرج في آخرهم رجل أسود على كتفه مثل حلمة الثدي. فقال عليّ عليه السلام: «الله أكبر، والله ما كذبت ولا كذبت كنت مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد قسّم فيئاً. فجاء هذا فقال: إعدل يا محمّد فوالله ما عدلت منذ اليوم. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثكلتك أمّك! ومن يعدل إذا لم أعدل. فقال عمر: ألا أقتله؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له: دعه فإنّ له من يقتله».

فقالت عائشة: ما يمنعني ما بيني وبين عليّ أن أقول الحقّ. سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «تفترق أمّتي على فرقتين تمرق بينهما فرقة محلّقون رؤوسهم، محفّون شواربهم، أزرهم إلى إنصاف سوقهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يقتلهم أحبّهم إليّ، وأحبّهم إلى الله تعالى».

قال أبو قتادة: فقلت: يا أمّ المؤمنين فأنت تعلمين هذا فلِمَ كان الّذي منك؟

قالت: يا أبا قتادة! كان أمر الله قدراً مقدوراً، وللقدر أسباب...[1].

قلت: الّذي كان من أبي جهل مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً كان قدراً وله أسباب.

وروى الخطيب أيضاً في ابن عباس عنه قال: خرج عليّ عليه السلام وأنا خلفه فجعل يقول: ويلكم إلتمسوه -يعني المخدّج- فالتمسوه فجاءوا فقالوا: لم نجده. فعرف ذلك في وجهه. فقال: ويلكم! ضعوا عليهم القصب فجاءوا به. فلمّا رآه خرّ ساجداً[2].

وروى في أبي جحيفة عنه قال: قال: عليّ عليه السلام إنّ في الحروريّة رجلاً مخدجاً -إلى أن قال- فالتمسوه فلم يوجد -وأنا في من يلتمس- فما رأيت عليّاً عليه السلام جزع جزعاً قط أشدّ من جزعه يومئذ. فقالوا: ما نجده يا أمير

---

(١) تاريخ بغداد ١: ١٥٩، والنقل بتصرف يسير.

(٢) تاريخ بغداد ١: ١٧٤.

المؤمنين. قال: ويلكم! ما أسم هذا المكان؟ قالوا: النهروان. قال: صدق الله ورسوله وكذبتم إنّه لفيهم فالتمسوه فالتمسناه فوجدناه في ساقية...[١].

وروى في عبدالله بن خباب أنّه عليه السلام قال: أُطلبوا في القوم رجلاً يده كثدي المرأة. فطلبوا ثمّ رجعوا إليه فقالوا: ما وجدنا. فقال: «والله ما كذبت ولا كذبت وإنه لفي القوم» ـثلاث مرّات ـ يجيئونه فيقول لهم هذا القول[٢].

وروى العوام بن حوشب عن أبيه عن جده يزيد بن رويم قال: قال عليّ عليه السلام: يقتل اليوم أربعة آلاف من الخوارج أحدهم ذو الثدية. فلمّا طحن القوم ورام استخراج ذي الثدية أمرني أن أقطع له أربعة آلاف قصبة، وركب بغلة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال: اطرح على كلّ قتيل منهم قصبة. فلم أزل كذلك، وأنا بين يديه وهو راكب خلفي والناس يتبعونه حتّى بقيت في يدي واحده فنظرت إليه وإذا وجهه أربد وإذاً هو يقول: «ما كذبت ولا كذبت» فإذا خرير ماء عند موضع فقال: فتّش هذا ففتّشته فإذا قتيل قد صار في الماء، وإذا رجله في يدي فجذبتها وقلت: هذه رجل إنسان. فنزل عن البغلة مسرعاً فجذب الرجل الأُخرى، وجرّرناه حتّى صار على التراب. فإذا هو المخدج. فكبّر عليّ عليه السلام بأعلى صوته ثمّ سجد فكبّر الناس كلّهم[٣].

وفي (كامل المبرد): قيل لعليّ عليه السلام إنّهم يريدون الجسر. فقال لن يبلغوا النطفة، وجعل الناس يقولون له في ذلك حتّى كادوا يشكّون ثمّ قالوا: قد رجعوا يا أمير المؤمنين. فقال: «والله ما كذبت ولا كذبت»...[٤].

وعن أبي مخنف قام في الجمل رجل إلى عليّ عليه السلام فقال: يا أمير

---

(١) تاريخ بغداد ١: ١٩٩.

(٢) تاريخ بغداد ١: ٢٠٦.

(٣) لم اجده في تاريخ بغداد.

(٤) الكامل في التاريخ للمبرد ٧: ١٠٧.

المؤمنين أيّ فتنة أعظم من هذه. إنّ البدريّة ليمشي بعضها إلى بعض بالسيف. فقال عليّ عليه السلام: «ويحك! أتكون فتنة أنا أميرها وقائدها، والّذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم بالحقّ وكرّم وجهه ما كذبت ولا كذبت، ولا ضللت، ولا ضلّ بي، ولا زللت ولا زلّ بي، وإنّي لعلى بيّنة من ربّي بيّنها الله لرسوله، وبيّنها رسوله لي، وسأدعى يوم القيامة، ولا ذنب لي، ولو كان لي ذنب لكفّر عنّي ذنوبي ما أنا فيه من قتالهم»[١].

هذا وروى المدائني في (صفينه): أنّ علياً عليه السلام خطب بعد النهروان فذكر طرفاً من الملاحم ـ إلى أن قال ـ قال رجل من أهل البصرة لرجل من أهل الكوفة إلى جانبه: أشهد أنّه كاذب على الله ورسوله. قال الكوفي: وما يدريك؟ قال: فوالله ما نزل (عليّ عليه السلام) عن المنبر حتّى فلج الرجل فحمل إلى نزله في شق محمل فمات من ليلته[٢].

«ولا ضللت ولا ضلّ بي» روى القمي في تفسير قوله تعالى «ما ضلّ صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلاّ وحي يوحى»[٣].

عن أبي جعفر عليه السلام يعني ما ضلّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في عليّ، وما ينطق فيه بالهوى، وما كان قال فيه إلاّ بالوحي الّذي أوحي إليه[٤].

٧
الخطبة (٣٦)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام فِي تَخْوِيفِ أَهْلِ ٱلنَّهْرَوَانِ:

فَأَنَا نَذِيرُكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هذَا ٱلنَّهْرِ وَبِأَهْضَامِ هذَا ٱلْغَائِطِ

---

(١) رواه عن أبي مخنف ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٨٩، شرح الخطبة ١٣.

(٢) رواه عن صفين المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٩ و ٥٠، شرح الخطبة ٦٩.

(٣) النجم: ٢ ـ ٤.

(٤) رواه القمي في تفسيره ٢: ٣٣٤، والنقل بتصرف يسير.

عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ، قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ ٱلدَّارُ. وَٱحْتَبَلَكُمُ ٱلْمِقْدَارُ. وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هذِهِ ٱلْحُكُومَةِ؛ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ ٱلْمُخَالِفِينَ ٱلْمُنَابِذِين. حَتّى صَرَفْتُ رَأْيِي إلى هَوَاكُمْ. وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ ٱلْهَامِ. سُفَهَاءُ ٱلْأَحْلَامِ وَلَمْ آتِ ـ لاَ أَبَاً لَكُمْ ـ بُجْرًا، وَلَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرًّا.

الخطبة (٥٨)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عليه السلام كلّم به الخوارج:

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ. أَبَعْدَ إِيمَانِي بِاللهِ، وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ ٱللهِ أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ. فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ. وَٱرْجِعُوا عَلَى أَثَرِ ٱلْأَعْقَابِ. أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا. وَسَيْفاً قَاطِعاً. وَأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا ٱلظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً.

(قَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ، يُرْوَى بِالْبَاءِ وَٱلرَّاءِ مِنْ قَوْلِهِمْ: رَجُلٌ آبِرٌ لِلَّذِي يَأْبِرُ ٱلنَّخْلَ أَيْ: يُصْلِحُهُ. وَيُرْوَى: آثِرٌ، وَهُوَ ٱلَّذِي يَأْثِرُ ٱلْحَدِيثَ، أَي: يَرْوِيهِ وَيَحْكِيهِ، وَهُوَ أَصَحُّ ٱلْوُجُوهِ عِنْدِي. كَأَنَّهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قَالَ: (لاَ بَقِيَ مِنْكُمْ مُخَبِّرٌ. وَيُرْوَى: آبِزٌ بِالزَّايِ ٱلْمُعْجَمَةِ وَهُوَ ٱلْوَاثِبُ. وَٱلْهَالِكُ أَيْضاً يُقَالُ لَهُ آبِزٌ).

أقول: جمعنا بينهما لأنّ الطبري رواهما كلاماً واحداً مع اختلافٍ ما: فروى عن أبي مخنف عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب أنّ علياً عليه السلام أتى أهل النهر. فوقف عليهم. «فقال أيتها العصابة الّتي أخرجها عداوة المراء واللجاجة، وصدّها عن الحقّ الهوى، وطمح بها النزق، وأصبحت في اللبس، والخطب العظيم. إنّي نذير لكم أن تصبحوا تلفيكم الأمّة غداً صرعى بأثناء هذا النهر، وبأهضام هذا الغائط بغير بيّنة من ربّكم، ولا برهان بيّن. ألم تعلموا أنّي

نهيتكم عن الحكومة، وأخبرتكم أن طلب القوم إيّاها منكم دهن ومكيدة لكم، ونبّأتكم أنّ القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وأنّي أعرف بهم منكم. عرفتهم أطفالاً ورجالاً، فهم أهل المكر والغدر، وأنكم إن فارقتم رأيي جانبتم الحزم. فعصيتموني حتّى إذا أقررت بأن حكّمت. فلمّا فعلت شرطت واستوثقت. فأخذت على الحكمين أن يحييا ما احيا القرآن، وأن يميتا ما أمات القرآن. فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة. فنبذنا أمرهما ونحن على أمرنا الأوّل. فما الّذي [جاء] بكم ومن أين أتيتم»؟ قالوا: إنّا حكّمنا فلمّا حكّمنا أثمنا وكنّا بذلك كافرين، وقد تبنا. فإن تبت كما تبنا فنحن منك ومعك، وإن أبيت فاعتزلنا. فإنّا منابذوك على سواء. إنّ الله لا يحبّ الخائنين. فقال عليّ عليه السلام: «أصابكم حاصب، ولا بقي منكم وابر أبعد إيماني برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله أشهد على نفسي بالكفر. لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين»[1].

ورواه الزبير بن بكار في (موفقياته) أيضاً عن عليّ بن صالح قال: لمّا استوى الصفّان بالنهروان تقدّم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بين الصفّين ثمّ قال: أمّا بعد أيّتها العصابة الّتي أخرجتها عادة المراء والضلالة، وصدف بها عن الحقّ إلى الهوى والزيغ -إلى-:

فقال: خطيبهم: أما بعد يا عليّ فإنّا حين حكّمنا كان ذلك كفراً منّا، فإن تبت كما تبنا فنحن معك ومنك، وإن أبيت فنحن منابذوك على سواء إنّ الله لايحب الخائنين. فقال عليّ عليه السلام: «أصابكم حاصب، ولا بقي منكم وابر. أبعد إيماني بالله وجهادي في سبيل الله، وهجرتي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أُقرّ بالكفر؟ لقد ضللت إذن، وما أنا من المهتدين، ولكن منيتُ بمعشر أخفّاء الهام، سفهاء

(١) تاريخ الطبري ٤: ٦٢، سنة ٣٧.

الأحلام، والله المستعان. ثمّ حمل عليهم فهزمهم(١).

وروى الطبري أيضاً عن أبي مخنف عن أبي سلمة الزهري ابن بنت أنس بن مالك، أنّ علياً عليه السلام قال لأهل النهر: يا هؤلاء! إنّ أنفسكم قد سوّلت لكم فراق هذه الحكومة الّتي أنتم أبدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره، وأنبأتكم أنّ القوم سألوكموها مكيدة ودهنا، فأبيتم عليّ إباء المخالفين، وعدلتم عنّي عدول النكداء العاصين، حتّى صرفت رأيي إلى رأيكم وأنتم والله معاشر أخفّاء الهام سفهاء الأحلام. فلم آت ـ لا أبا لكم ـ حراماً، والله ما خبلتكم عن أُموركم، ولا أخفيت شيئاً من هذا الأمر عنكم، ولا أوطأتكم عشوة، ولا دنيت لكم الشراء وان كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهراً. فأجمع رأي ملأكم على أن اختاروا رجلين فأخذنا عليهما أن يحكما بما في القرآن ولا يعدواه، فتاها وتركا الحقّ وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما، وقد سبق استيثاقنا عليهما في الحكم بالعدل والصد للحقّ بسوء رأيهما، وجور حكمهما والثقة في أيدينا لأنفسنا حين خالفا سبيل الحقّ، وأتيا بما لا يعرف. فبيّنوا لنا بماذا تستحلّون قتالنا والخروج من جماعتنا أن اختار الناس رجلين أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم ثمّ تستعرضوا الناس تضربون رقابهم، وتسفكون دماءهم. إنّ هذا لهو الخسران المبين، والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عندالله قتلها فكيف بالنفس الّتي قتلها عندالله حرام(٢).

هذا، وقال ابن أبي الحديد بعد العنوان الأوّل: روى محمّد بن حبيب قال: خطب عليّ عليه السلام الخوارج يوم النهر. فقال لهم: نحن أهل بيت النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وعنصر الرحمة، ومعدن العلم والحكمة. نحن

---

(١) الموفقيات: ٣٢٥ ح ١٨١.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٦٣، سنة ٣٧.

أفق الحجاز بنا يلحق البطيء، وإلينا يرجع التائب. أيّها القوم! إنّي نذير لكم أن تصبحوا صرعى باهضام هذا الوادي...»[١].

قول المصنف: «في تخويف أهل النهروان» في (بلدان الحموي): النهروان ثلاث نهروانات: الأعلى والأوسط، والأسفل، وهي كورة واسعة بين بغداد، وواسط من الجانب الشرقي، حدّها الأعلى متّصل ببغداد، وفيها عدّة بلاد متوسطة منها إسكاف، وجرجرايا، والصافية، ودير قُنّى.

وقال حمزة الاصبهاني: ويقبل من نواحي آذربيجان إلى جانب العراق وادجرار. فيسقى قرى كثيرة ثمّ ينصبّ ما بقي منه في دجلة أسفل المدائن، ولهذا النهر اسمان احدهما فارسي والآخر سرياني فالفارسي (جوروان) والسرياني تامّرا فعرب الاسم الفارسي. فقيل: نهروان.

وفي (بلدان ابن الكلبي): تامرا ونهروان إبنا جوخي حفرا النهرين فنسبا إليهما[٢].

وفي (تاريخ الطبري): لمّا بعث عليّ عليه السلام أبا موسى لإنفاذ الحكومة لقيت الخوارج بعضها بعضاً فاجتمعوا في منزل عبدالله بن وهب الراسبي. فقال لهم: فاخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال أو إلى بعض هذه المدائن منكرين لهذا البدع المضلّة، فقال له حرقوص بن زهيران: المتاع بهذه الدنيا قليل، وقال حمزة بن سنان الأسدي: ولّوا أمركم رجلاً منكم فإنّه لابدّ لكم من عماد وسناد وراية تحفّون بها وترجعون إليها. فعرضوها على زيد بن حصين الطائي فأبى، وعرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، وعلى حمزة بن سنان وشريح بن أوفى العبسي، فأبيا، وعرضوها على

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٠٧، شرح الخطبة ٣٦.

(٢) معجم البلدان ٥: ٣٢٤ ـ ٣٢٥.

عبدالله بن وهب فقال: هاتوها فبايعوه. فقال بشر: نخرج إلى المدائن فننزلها ونأخذ بأبوابها. فقال زيد ابن حصين: إنكم إن خرجتم مجتمعين اُتبعتم. اُخرجوا وجداناً مستخفين حتّى تنزلوا جسر نهروان. فأما المدائن فبها من يمنعكم. واجتمع خوارج البصرة أيضاً في خمسمئة رجل، وجعلوا عليهم مسعر بن فدكي التميمي، وأقبل يعترض الناس، وعلى مقدّمته الأشرس بن العوف الشيباني، وسار حتّى لحق بعبدالله بالنهر[1].

قوله عليه السلام «فأنا نذيركم» هكذا في (المصرية)، والصواب: (فأنا نذير لكم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[2].

«أن تصبحوا صرعي» أي: هلكى.

«بأثناء هذا النهر» في (الصحاح): الثني واحد أثناء الشيء: أي: تضاعيفه تقول: أنفذت كذا ثني كتابي، أي: في طيه[3].

«وبأهضام» جمع هِضم بالكسر: المطمئن من الأرض. يقال في التحذير «الليل واهضام الوادي» أي: لعل هناك من لا يؤمن أغتياله.

«هذا الغائط» الأصل في الغائط: المطمئن من الأرض الواسع، ولمّا كان من أراد قضاء الحاجة أتى الغائط صار «أتى الغائط» كناية عن قضاء الحاجة و«الغائط» عن العذرة.

«على غير بيّنة من ربّكم ولا سلطان مبين معكم» فتكونوا خسرتم الدنيا والآخرة.

«قد طوّحت بكم الدار» أي: توّهت بكم وذهبت بكم هاهنا وهاهنا وفيه رمز

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٤ ـ ٥٦، سنة ٣٧، والنقل بتلخيص.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠١، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٨٩، مثل المصرية أيضاً.

(٣) صحاح اللغة ٦: ٢٢٩٤، مادة (ثني).

إلى عدم إمكان الإستقرار للخوارج بأرض، فإنّهم كلّ يوم كانوا بموضع وهو إخبار بالغيب منه عليه السلام فيهم غير إخباره عليه السلام بهلاكتهم.

«واَحتبلكم المقدار» أي: جعلكم القدر والقضاء في حبالته واَصطادكم بها.

قال ابن أبي الحديد في (مسند أحمد بن حنبل) عن مسروق قال: قالت لي عائشة: إنّك من ولدي ومن أحبهم إليّ. فهل عندك علم من المخدّج. فقلت: نعم. قتله عليّ على نهر يقال لأعلاه تامرا ولأسفله النهروان بين الخافيق وطرفاء. قالت: إبغني على ذلك بيّنة. فأقمت رجالاً شهدوا عندها بذلك. فقلت لها: سألتك بصاحب القبر ما الّذي سمعت من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيهم؟ فقالت: نعم سمعته يقول: «إنّهم شرّ الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم عند الله وسيلة»[١].

وفي (صفين المدائني): لمّا عرفت عائشة أنّ علياً عليه السلام قتل ذا الثُديّة قالت لمسروق: لعن الله عمرو بن العاص فإنه كتب إليّ يخبرني أنّه قتله بالإسكندرية، ألا انّه ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يقتله خير اُمّتي من بعدي»[٢].

«وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة» الّتي طلبها معاوية بتدبير عمرو بن العاص له، وقال عليه السلام -كما عرفت من رواية الطبري- «وأخبرتكم أن طلب القوم إيّاها منكم دهن ومكيدة، لكم نبّأتكم أنّ القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وأنّي أعرف بهم منكم عرفتهم أطفالاً ورجالاً أهل المكر والغدر»[٣].

---

(١) رواه عن مسند أحمد ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٠٢، لكن لم اجده في مسند أحمد.

(٢) رواه عن صفين المدائني: ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٠٢، شرح الخطبة ٣٦.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٦٢، سنة ٣٧.

«فأبيتم عليّ إباء المخالفين المنابذين» إنّما قال عليه السلام «المخالفين المنابذين» لأنّهم لم يقنعوا بمجرد المخالفة بل قالوا له عليه السلام: لو لم تقبل الحكومة لقتلناك أو نأخذك ونعطيك بيد معاوية. فنابذوا إليه عليه السلام طاعته. يقال نابذه الحرب أي كاشفه.

«حتّى صرفت رأيي إلى هواكم» دفعاً لغائلتكم.

«أنتم معاشر أخفّاء» جمع خفيف.

«الهام» أي: الرؤوس، وخفة الرأس دليل قلة العقل.

«سفهاء الأحلام» والسفيه مقابل الحليم. فإضافة السفهاء إلى الأحلام تفيد أنّ حلمهم سفه.

«ولم آت لا أباً لكم بجراً» بالضم أي: شراً.

«ولا أردت لكم ضرّاً» بل نفعاً وخيراً.

«أصابكم حاصب» قال الجزري أي: عذاب من الله وأصله رميتم بالحصباء من السماء، وفي (الجمهرة): «ريح حاصب: تقشر الحصى عن وجه الأرض»[1].

«ولا بقي منكم آبر» قد عرفت أنّ الطبري رواه «وابر»[2]. وهو الصحيح. فإنّه الأنسب. قال الجوهري: وما بها وابر: أي أحد. قال الشاعر:

فـــابت إلى الحـــي الّذين وراءهـــم   جريضاً ولم يفلت من الجيش وابر

وفي (الجمهرة): ولا يستعمل وابر إلاّ في النفي[3].

هذا وقال ابن أبي الحديد: يمكن أن يزداد في تفسيرات الرضي بأن يقال

---

(١) النهاية ١: ٣٩٤، مادة (حصب)، وجمهرة اللغة ١: ٢٢٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٦٣.

(٣) صحاح اللغة ٢: ٨٤٢، مادة (وبر)، وجمهرة اللغة ٣: ٢٠٣.

المراد بقوله «آبر» أي: نمّام يفسد ذات البين، والآبر أيضاً من يبغي القوم من أبرت الكلب إذا أطعمته الأبرة في الخبز[١].

قلت: هما إن صحا مفهوماً لم يصحّا مراداً. فإنّه لا معنى لأن يقال لا بقي منهم نمّام أو آبر كلب. فليس كلّما يصحّ مفهوماً يصحّ مراداً، ولذا فرّق الرضي بين معنيي «الآبز» بالزاي. ففسره بالأوّل، واقتصر في الثاني على أنه مجرّد مفهوم.

وكيف كان فقد استجيب دعاؤه عليه السلام عليهم كما وقع اخباره عليه السلام فيهم. قال ابن أبي الحديد: روى أبو عبيدة معمر بن المثنى قال: إستنطقهم عليّ عليه السلام بقتل عبدالله بن خباب فأقرّوا به. فقال: إنفردوا كتائب لأسمع قولكم كتيبة كتيبة. فتكتّبوا كتائب وأقرّت كلّ كتيبة بمثل ما أقرّت به الأخرى من قتل ابن خباب وقالوا: ولنقتلنّك كما قتلناه. فقال عليّ عليه السلام: «والله لو أقرّ أهل الدنيا كلّهم بقتله هكذا، وأنا أقدر على قتلهم به لقتلتهم» ثمّ التفت إلى أصحابه. فقال لهم: «شدّوا عليهم فأنا أوّل من يشد عليهم»، وحمل بذي الفقار حملة منكره ثلاث مرّات كلّ حملة يضرب به حتّى يعوج متنه ثمّ يخرج فيسوّيه بركبته ثمّ يحمل به حتّى أفناهم[٢].

وروى الطبري: أنه ما لبثوا عبدالله بن وهب وألفين وثماني مئة معه أن أناموهم، وروى عن حكيم بن سعد قال: ما هو إلّا أن لقينا أهل البصرة. فما لبثناهم فكأنّما قيل لهم موتوا فماتوا قبل أن تشتدّ شوكتهم[٣].

وروى عن عون بن أبي جحيفة أنّ علياً عليه السلام لمّا أراد أن يبعث أبا موسى

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٨٠، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠٧.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٦٤، سنة ٣٧.

للحكومة أتاه رجلان من الخوارج؛ زرعة بن البرج الطائي، وحرقوص بن زهير السعدي فدخلا فقالا له: لا حكم إلاّ لله. فقال عليّ عليه السلام: لا حكم إلاّ لله.

فقال له حرقوص: تب من خطيئتك، وأرجع عن قضيّتك، وآخرج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم حتّى نلقى ربنا.

فقال لهم عليّ عليه السلام: قد أردتكم على ذلك فعصيتموني، وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً، وشرطنا شروطاً، وأعطينا عليها عهودنا ومواثيقنا، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إنّ الله يعلم ما تفعلون﴾[١].

فقال حرقوص: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه.

فقال عليّ عليه السلام: ما هو ذنب، ولكنّه عجز من الرأي وضعف من الفعل، وقد تقدّمتُ إليكم في ما كان منه، ونهيتكم عنه.

فقال له زرعة: أما والله لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله؛ قاتلتك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه.

فقال له عليّ عليه السلام: بؤساً لك ما اشقاك! كأنّي بك قتيلا تسفي عليك الريح.

قال: وددت أن قد كان ذلك.

فقال له عليّ عليه السلام: «لو كنت محقاً كان في الموت على الحقّ تعزية عن الدنيا إنّ الشيطان قد آستهواكم...»[٢].

«أبعد إيماني بالله» أوّل من آمن به.

«وجهادي مع رسول الله» في جميع غزواته وليس عليه السلام في (المصرية) مع أنه في الثلاثة.

---

(١) النحل: ٩١.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٢، سنة ٣٧.

«أشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين» قال ابن أبي الحديد: قال المبرد في (كامله): ومن شعر عليّ عليه السلام الّذي لا آختلاف فيه أنّه قاله وأنه كان يردده أنهم (أي: الخوارج) لمّا ساموه أن يقرّ لهم بالكفر ويتوب حتّى يسيروا معه إلى الشام. فقال «أبَعْدَ صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتفقّه في الدين أرجع كافراً»؟! ثمّ قال:

يا شاهد الله عليّ فاشهدِ أنّي على دين النبيّ أحمد
من شك في الله فإنّي مهتدي

وفي (كامل المبرد) أيضاً: أنّ علياً عليه السلام في أوّل خروج القوم عليه دعا صعصعة آبن صوحان العبدي ـ وقد كان وجّهه وزياد بن النضر مع ابن عباس إليهم ـ فقال له: بأيّ القوم رأيتهم أشدّ إطافة. قال: يزيد بن قيس الأرحبي. فركب عليه السلام إلى حروراء. فجعل يتخلّلهم حتّى صار إلى مضرب يزيد. فصلّى فيه ركعتين ثمّ خرج فاتّكأ على قوسه، وأقبل على الناس. فقال: هذا مقامٌ من فلج فيه فلج يوم القيامة، ثمّ كلّمهم وناشدهم. فقالوا: إنّا أذنبنا ذنباً عظيماً بالتحكيم، وقد تبنا فتب إلى الله كما تبنا بعد ذلك. فقال عليّ عليه السلام أنا أستغفر الله من كلّ ذنب. فرجعوا معه وهم ستّة آلاف. فلمّا آستقرّوا بالكوفة أشاعوا أنّ علياً عليه السلام رجع عن التحكيم ورآه ضلالاً وقالوا: إنّما ينتظر أن يسمن الكراع، ويجبي الأموال ثمّ ينهض بنا إلى الشام. فأتى الأشعث علياً عليه السلام فقال: إنّ الناس قد تحدّثوا أنك رأيت الحكومة ضلالاً والإقامة عليها كفراً. فقام عليّ عليه السلام فخطب فقال: «من زعم أنّي رجعت عن الحكومة فقد كذب، ومن رآها ضلالاً فقد ضلّ» فخرجت حينئذٍ الخوارج من المسجد فحكمت[1].

قلت: العجب من الخوارج يجعلون نصب من يحكم من القرآن ـ لا من

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠٦، وكامل المبرد ٧: ١٠٩ و١٣٨.

نفسه ـ كفراً ولا يجعلون نصب إمام يحكم لهم من نفسه على خلاف حكم الله كفراً! والأغرب منه أنّهم جعلوا تحكيمه عليه السلام على وفق القرآن ضلالاً، ولم يجعلوا تحكيم عمر في ستّة الشورى ضلالاً!

ولمّا خرج حوثرة الأسدي على معاوية في عام الجماعة بعث معاوية إليه جيشاً من أهل الكوفة. فلمّا نظر حوثرة إليهم قال لهم: «يا أعداء الله! أنتم بالأمس تقاتلون معاوية لتهدّوا سلطانه، وأنتم اليوم تقاتلون معه لتشدّوا سلطانه». فيقال له: لازم قولكم بصحة إمامة أبي‌بكر وعمر أن يكون الأمر كذلك، فهل سبب إمامتهما إلاّ بيعة جمع كرهاً وطوعاً يوم السقيفة؟ ومعاوية في عام الجماعة صار كذلك، وقد كان كتب إلى الحسن عليه السلام أنّه في ذاك اليوم بمنزلة أبي‌بكر بعينه بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولعمري لقد صدق. فإن كان أهل الكوفة أعداء الله فهم أيضاً أعداء الله.

وكذلك القول في عبدالملك قبل فتحه الكوفة وبعده. فسأل الخوارج جند العراق عن عبدالملك ـ وقد كان فتح الكوفة، ولم يعلموا به ـ فقالوا: عدوّ الله، وأُخبروا غداً بفتحه؛ فسألهم الخوارج عنه. فقالوا:، وليّ الله: فقالوا لهم: يا أعداء الله! كيف صار عدوّ الله بالأمس وليّ الله اليوم؟ فيقال لهم: هو لازم قولكم أيضاً بإمامة الرجلين، وإنّما أنتم جئتم بالتضادّ والتفرقة بين الملزوم واللازم.

وسأل عبيدة بن هلال اليشكري أبا حزابة التميمي من جند المهلّب عن سيرة أئمتّهم صدقاً وحقّاً. فقال: يبيحون الدم الحرام، ويجبون المال من غير حلّه، وينفقونه في غير وجهه، ويظلمون اليتيم ماله، وينيكون أُمّه، فقال له عبيدة: أمثل هؤلاء يتّبع؟ فيقال له: أنت تقول بإمامة عمر وهو نصب عثمان الّذي كان نصبه نصب السفيانية والمروانية مع علمه بصدور جميع ذلك مع مناكر أكبر، وكبائر أكثر منه ومنهم.

هذا، ولمّا غلب الحجاج في دير الجماجم على أهل العراق أخذ يبايع

الناس، وكان لا يبايع أحداً إلاّ قال له: إشهد أنّك كفرت. فإن قال نعم بايعه، وإلاّ قتله. فأتاه رجل من خثعم كان معتزلاً للناس جميعاً. فسأله عن حاله. فأخبره باعتزاله. فقال له: أنت متربّص. إشهد أنّك كافر. قال بئس الرجل إذن أنا. أعبد الله ثمانين سنة ثمّ أشهد على نفسي بالكفر؟! قال: إذن أقتلك. قال: وإن قتلتني. فقتله فلم يبق أحد من أهل العراق والشام إلاّ رحمه.

«فأوبوا شرّ مآب» أي: ارجعوا شرّ مرجع، وهو الكفر بعد الإيمان.

«وارجعوا على أثر الأعقاب» ﴿ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً﴾[١].

«أما إنّكم ستلقون بعدي ذلاًّ شاملاً، وسيفاً قاطعاً» في (كامل المبرد): قال زياد: ألا ينهى كلّ قوم سفهاءهم. لو لا أنكم أطفأتم هذه النار لقلت إنكم ارتئموها. فكانت القبائل إذا أحسّت بخارجية فيهم شدّتهم، وأتت بهم زياداً فكان هذا أحد ما يذكر من تدبير زياد، وله تدبير آخر أخرجوا معهم امرأة فظفر زياد بها فقتلها ثمّ عرّاها. فلم تخرج النساء بعدُ على زياد، وكنّ إذا دعين إلى الخروج قلن: لولا التعرية لسارعنا. وكانت الخوارج أيّام ابن عامر أخرجوا معهم امرأتين يقال لإحداهما كحيلة، والاُخرى قطام، فجعل أصحاب ابن عامر يعيّرونهم ويصيحون بهم: يا أصحاب كحيلة وقطام! يعرّضون لهم بالفجور.

وبعث عبيدالله بن زياد إلى البلجاء ـ وكانت من مجتهداتهم ـ فأُتي بها فقطع يديها ورجليها ورمى بها في السوق[٢].

«وأثرة يتّخذها الظالمون فيكم سنّة» في (الكامل): لما رأى أبو هلال

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) كامل المبرد ٧: ١٨٥ ـ ١٨٨، والنقل بتلخيص.

مرداس ـ وكان من قعدي الخوارج ـ جدَّ ابن زياد في طلب الخوارج عزم على الخروج. فقال لأصحابه: والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين. يجري علينا أحكامهم مجانبين للعدل، مفارقين للفصل، والله إنّ الصبر على هذا لعظيم، وإنّ تجريد السيف وإخافة السبيل لعظيم، ولكنّا ننتبذ عنهم، ولا نجرّد سيفاً، ولا نقاتل إلاّ من قاتلنا. فاجتمع إليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلاً منهم حريث بن حجل، وكهمس بن طلق الصريمي. فلمّا مضى بأصحابه؛ لقيه عبدالله بن رباح الأنصاري ـ وكان له صديقاً ـ فقال له: أين تريد؟ قال: أن أهرب بديني ودين أصحابي من أحكام هؤلاء الجورة. فقال له: أعلم بكم أحد؟ قال لا. قال: فارجع. قال: أو تخاف عليّ مكروهاً؟ قال: نعم وأن يؤتى بك. قال: فلا تخف فإنّي لا اجردّ سيفاً ولا أخيف أحداً، ولا أُقاتل إلاّ من قاتلني ثمّ مضى حتّى نزل آسك ـ بين رامهرمز وارّجان ـ فمرّ به مال يحمل لابن زياد، وقد قارب أصحابه الأربعين فحطّ ذلك المال. فأخذ منه عطاءه وأُعطيات أصحابه، وردّ الباقي على الرجل وقال قولوا لصاحبكم: إنّما قبضنا اعطياتنا. وروي أنّ رجلاً من أصحاب ابن زياد قال: خرجنا في جيش نريد خراسان. فمررنا بآسك فإذا نحن بهم ستّة وثلاثين رجلاً فصاح بنا أبوبلال: أقاصدون لقتالنا. فقلنا: إنّما نريد خراسان. فقال: أبلغوا من لقيكم أنّا لم نخرج لنفسد في الأرض، ولا نروّع أحداً ولكن هرباً من الظلم، ولسنا نقاتل إلاّ من يقاتلنا، ولا نأخذ من ألفيء إلّا أُعطياتنا. ثمّ قال: أنُدِبَ إلينا أحد؟ قلنا: نعم. أسلم بن زرعة الكلابي. قال: فمتى ترونه يصل إلينا؟ قلنا يوم كذا وكذا. فقال: حسبنا الله ـ وكان ابن زياد وجّه أسلم في ألفين، وقد تتامّ أصحاب مرداس ـ فلمّا صار إليهم أسلم؛ صاح به أبوبلال: ما الّذي تريد؟ قال: أن أردّكم إلى ابن زياد. قال: إذن يقتلنا. قال: وإن. قال: تشركه في دمائنا. قال: إنّي أدين أنّه محقّ وأنكم مبطلون. فصاح به حريث بن حجل، أهو محقّ وهو يطيع الفجرة، ويقتل بالظنّة، ويخصّ

بالفيء، ويجور بالحكم؟ أما علمت أنّه قتل بابن سعاد أربعة برئاء وأنا أحد قتلته، ولقد وضعت في بطنه دراهم كانت معه؟ ثمّ حملوا عليه حملة رجل واحد. فانهزم هو وأصحابه من غير قتال. فلمّا ورد على ابن زياد غضب غضباً شديداً، وقال له: ويلك! أتمضي في ألفين. فتنهزم لحملة أربعين وكان أسلم يقول: لئن يذمّني ابن زياد وأنا حيّ أحبّ إليّ من أن يمدحني ميّتاً وكان إذا خرج إلى السوق أو مرّ بصبيان صاحوا به: «أبو بلال وراءك» وربّما صاحوا به: يا معبد خذه. حتّى شكا ذلك إلى ابن زياد. فأمر الشرط أن يكفّوا الناس عنه. فقال أحد الخوارج في هزيمته:

أألفا مؤمن في ما زعمتم ويهزمهم بآسك أربعونا

كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ولكنّ الخوارج مؤمنونا

ثمّ ندب لهم ابن زياد عباد بن أخضر فالتقوا في يوم جمعة -وذكر قتل عباد لهم في الصلاة بعد إعطائهم الأمان- وكتب ابن زياد من الكوفة إلى عبيدالله بن أبي بكرة خليفته على البصرة بالجدّ في طلب الخوارج. فكان يأخذهم ويحبسهم فإذا شفع في أحد كفّله إلى أن يقدم ابن زياد. فلمّا قدم أخذ من في السجن فقتلهم وطلب الكفلاء. فمن لم يأت بمن كفل له قتله، وكان ابن أبي بكرة أتى بعروة بن ادية في من أتى به منهم فأطلقه، وقال أنا كفيلك. فقال له: إيت بعروة. قال لا أقدر عليه. قال: إذن أقتلك. فطلبه ابن أبي بكرة حتّى دلّ عليه في سرب العلاء المنقري. فقرأ عليه الكاتب في شرب العلاء، فقال للكاتب: صحّفت، وددت أنّه كان ممّن يشرب. فأُتي به فأمر ابن زياد بقطع يديه ورجليه وصلبه على باب داره -إلى أن قال-

وكان زياد ولّى شيبان الأشعري طلب الخوارج فجدّ في طلبهم وأخافهم فأتاه ليلة -وهو متّكئ بباب داره- رجلان منهم فضرباه بأسيافهم وقتلاه ثمّ أتى زياد برجل من الخوارج. فقال: اقتلوه متّكئاً كما قتل شيبان

متّكئاً فصاح الخارجي يا عدلاه! ـ يهزأ به ـ[١].

قول المصنّف قال الشريف: هكذا في (المصرية)، وهو زائد لعدم وجوده في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٢].

«قوله عليه السلام ولا بقي منكم آبر يروى بالباء والراء» هكذا في (المصرية)، والصواب: (يروى بالراء) كما في (ابن ميثم والخطية) ولكن في (ابن أبي الحديد): (يروى على ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون كما ذكرناه آبر بالراء)[٣].

«من قولهم للذي...» هكذا في (المصرية)، والصواب: (من قولهم آبر للذي) كما في (ابن ميثم والخطية)، ولكن في (ابن أبي الحديد): (من قولهم رجل آبر للذي)[٤].

قوله: «ويروى آثر وهو الّذي يأثر الحديث أي يرويه ويحكيه» هكذا في (المصرية)، والصواب: (أي: يحكيه ويرويه) كما في (ابن ميثم والخطية)، وكذا (ابن أبي الحديد) ولكن قبله: (ويروى آثر بالثاء بثلاث نقط يراد به الّذي يأثر الحديث)[٥].

قوله: «لا بقي منكم مخبر» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد والخطيّة) ولكن في (ابن ميثم): (لا بقي منكم من يروي حديثاً)[٦].

هذا، وفي السير لمّا جيء بكتاب زياد إلى معاوية في ألاّ يردّ حجراً وأصحابه. قال ابن أُمّ الحكم لمعاوية: «جذاذها جذاذها» فقال معاوية: «لأتعَنّ

---

(١) كامل المبرد ٧: ١٨٩ ـ ٢٠٤، والنقل بتلخيص.

(٢) في شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٧٩، «قال الرضي» وفي شرح ابن ميثم ٢: ١٥١، «قال الشريف».

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٧٩، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٢: ١٥١، مثل المصرية أيضاً.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٧٩، ولفظ ابن ميثم ٢: ١٥١، «من قولهم للذي».

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٨٠، وشرح ابن ميثم ٢: ١٥١، لكن فيهما «يرويه ويحكيه».

(٦) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٨٠، وشرح ابن ميثم ٢: ١٥١، مثل المصرية.

آبرا» فلم يفهم أهل الشام معنى كلامهما. فأتوا النعمان بن بشير. فقال لهم: قتل القوم.

٨
الخطبة (٥٩)

قَالَ عَلَيْهِ‌السَّلَامُ لَمَّا عَزَمَ عَلَى حَرْبِ ٱلْخَوارِجِ وَقِيلَ لَهُ إِنَّهُمْ قَدْ عَبَرُوا جِسْرَ ٱلنَّهْرَوَانْ:

مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ. وَٱللهِ لاَ يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ وَلاَ يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ. (يَعْنِي بِالنُّطْفَةِ مَاءَ ٱلنَّهْرِ، وَهُوَ أَفْصَحُ كِنَايَةٍ عَنِ ٱلْمَاءِ وَإِنْ كَانَ كَثِيراً جَمّاً).

أقول: رواه المبرد في (كامله)، والخطيب في (تاريخ بغداده)، والمسعودي في (مروجه)، والمفيد في (ارشاده)، وابن طاووس في (نجومه) وابن ميثم في (شرحه).

ففي الأوّل: «وقيل لعليّ عليه‌السلام. إنّهم يريدون الجسر. فقال، «لن يبلغوا النطفة» وجعل الناس يقولون له في ذلك حتّى كادوا يشكّون. ثمّ قالوا: قد رجعوا يا أمير المؤمنين. فقال: «والله ما كذبت ولا كذبت» ثمّ خرج إليهم في أصحابه، وقال: «إنّه والله ما يقتل منكم عشرة، ولا يفلتُ منهم عشرة» فقتل من أصحابه تسعة، وأفلت منهم ثمانية ـ وكان مقدار من أصاب عليّ عليه‌السلام منهم بالنهروان ألفين وثماني مئة على أصحّ الأقاويل ـ وكان عددهم ستّة آلاف، وكان منهم بالكوفة زهاء ألفين ممن يستر أمره، ولم يشهد الحرب، وإنّ رجلاً منهم قتل ثلاثة من أصحابه عليه‌السلام وقال:

أقتلهم ولا أرى علياً ... ولو بدا أوجرته الخطياً

فخرج إليه عليّ عليه‌السلام فلمّا خالطه السيف قال: حبّذا الروحة إلى الجنّة. فقال عبدالله بن وهب: ما أدري إلى الجنّة أم إلى النار؟ فقال رجل من سعد: إنّما

حضرت آغتراراً بهذا، وأراه قد شك. فانخزل بجماعة من أصحابه، ومال ألف إلى ناحية أبي أيوب الأنصاري ـ وكان على ميمنة عليّ عليه السلام ـ وجعل الناس يتسلّلون[1].

وفي الثاني ـ في عنوان عبدالله بن خباب ـ: قال أبو الأحوص كنّا مع عليّ عليه السلام يوم النهروان. فجاءت الحرورية فكانت من وراء النهر قال: «والله لا يقتل اليوم رجل من وراء النهر» ثمّ نزلوا: فقالوا لعليّ عليه السلام قد نزلوا قال «والله لا يقتل اليوم رجل من وراء النهر»، فأعادوا عليه هذه المقالة ثلاثا كلّ ذلك يقول لهم على مثل قوله الأوّل. فقالت الحرورية بعضهم لبعض يرى عليٌّ أنّا نخافه. فأجازوا. فقال عليّ عليه السلام لأصحابه: «لا تحرّكوهم حتّى يحدثوا حدثا» فذهبوا إلى منزل عبدالله بن خباب ـ وكان منزله على شاطئ النهر ـ فأخرجوه وقدّموه إلى الماء. فذبحوه كما تذبح الشاة. فسال دمه مثل الشراك ما آمذقرّ واخرجوا امّ ولده فتشقّوا عمّا في بطنها. فأُخبر عليّ عليه السلام بما صنعوا.

فقال عليّ عليه السلام: الله أكبر! نادوهم أخرجوا لنا قاتل عبدالله. قالوا: كلّنا قتله فناداهم ثلاثاً، كلّ ذلك يقولون هذا القول. فقال عليّ عليه السلام: دونكم القوم فما لبثوا أن قتلوهم. فقال عليّ عليه السلام: أُطلبوا في القوم رجلا يده كثدي آلمرأة...[2].

وفي الثالث: بعث الخوارج إلى عليّ عليه السلام كلّنا قتلة أصحابك، وكلّنا مستحلّ لدمائهم وأخبره الرسول ـ وكان من يهود السواد ـ أنّ القوم قد عبروا نهر طبرستان في هذا الوقت ـ وهذا النهر عليه قنطرة تعرف بقنطرة طبرستان بين حلوان وبغداد من بلاد خراسان ـ.

فقال عليّ عليه السلام «والله ما عبروه ولا يقطعونه حتّى نقتلهم بالرميلة دونه»

---

(١) كامل المبرد ٧: ١٠٦ ـ ١٠٨، والنقل بتصرف.

(٢) تاريخ بغداد ١: ٢٠٥، والنقل بتصرف يسير.

ثمّ تواترت عليه الأخبار بقطعهم لهذا النهر وعبورهم هذا الجسر وهو يأبى ذلك ويحلف أنّهم لم يعبروه وأنّ مصارعهم دونه، ثمّ قال «سيروا إلى القوم فوالله لا يفلت منهم إلاّ عشرة، ولا يقتل منكم عشرة» ثمّ سار عليه السلام فأشرف عليهم وقد عسكروابالموضع المعروف بالرميلة على ما قال لأصحابه. فلمّا أشرف عليهم قال: الله أكبر! صدق رسول الله صلى الله عليه وآله -إلى أن قال-

فأمر عليه السلام بطلب المخدج فطلبوه فلم يقدروا عليه. فقام عليه السلام وعليه أثر الحزن لفقد المخدج. فانتهى إلى قتلى بعضهم فوق بعض. فقال: أفرجوا ففرجوا يميناً وشمالاً وآستخرجوه. فقال عليه السلام: الله أكبر ما كذبت على محمّد صلى الله عليه وآله وإنّه لناقص اليد ليس فيها عظم طرفها حلمة ثدي المرأة عليها خمس شعرات أو سبع، رؤوسها معقفة.

ثمّ قال: إيتوني به، فنظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة عليه شعرات سود إذا مدّت اللحمة آمتدت حتّى تحاذي بطن يده الأُخرى ثمّ تترك فتعود إلى منكبه. فثنى رجله ونزل وخرّ لله ساجداً[1].

وفي الرابع: روى أصحاب السيرة في حديثهم عن جندب بن عبدالله الأزدي قال: شهدت مع عليّ عليه السلام الجمل وصفين لا أشكّ في قتال من قاتله، حتّى نزلت النهروان. فدخلني شكّ في قتال القوم وقلت: قراؤنا وخيارنا نقتلهم، إنّ هذا لأمر عظيم؟! فخرجت غدوة أمشي، ومعي إداوة ماء حتّى برزت من الصفوف. فركزت رمحي ووضعت ترسي عليه، وآستترت من الشمس. فإنّي لجالس حتّى ورد عليّ أمير المؤمنين عليه السلام. فقال لي: يا أخا الأزد أمعك طهور؟

قلت: نعم فناولته الإداوة. فمضى حتّى لم أره ثمّ أقبل، وقد تطهّر فجلس

---

(١) مروج الذهب ٢: ٤٠٥ و٤٠٦، والنقل بتصرف يسير.

في ظلّ الترس، وإذا فارس يسأل عنه. فقلت: يا أمير المؤمنين هذا فارس يريدك. قال: فأشر إليه. فأشرت إليه فجاء فقال: يا أمير المؤمنين قد عبر القوم، وقد قطعوا النهر فقال: كلّا ما عبروا.

فقال: بلى والله لقد فعلوا، وانّه لكذلك إذ جاء آخر فقال: يا أمير المؤمنين! قد عبر القوم. قال: كلّا ما عبروا. قال: والله ما جئتك حتّى رأيت الرايات في ذلك الجانب والأثقال. قال: والله مافعلوا وإنّه لمصرعهم ومهراق دمائهم ثمّ نهض ونهضت معه.

فقلت في نفسي: الحمد لله الّذي بصّرني هذا الرجل، وعرّفني أمره هذا أحد رجلين إمّا رجل كذّاب جريّ أو على بيّنة من ربّه، وعهد من نبيّه، اللهمّ إنّي اعطيك عهداً تسألني عنه يوم القيامة إن أنا وجدت القوم قد عبروا أن أكون أوّل من يقاتله، وأوّل من يطعن بالرمح في عينه، وإن كان القوم لم يعبروا أن اُقيم على المناجزة والقتال، فدفعنا إلى الصفوف فوجدنا الرايات والأثقال كما هي. فأخذ بقفائي ودفعني ثمّ قال: يا أخا الأزد! أتبيّن لك الامر؟ قلت: أجل يا أمير المؤمنين. فقال: شأنك بعدوّك. فقتلت رجلاً من القوم ثمّ قتلت آخر ثمّ اختلفت أنا ورجل أضربه ويضربني. فوقعنا جميعاً فاحتملني أصحابي وأفقت حين أفقت وقد فرغ من القوم. وهذا حديث مشهور شائع بين نقلة الآثار(١).

قلت: وفي الخبر زيادة دلالة إخباره عليه السلام بشكّ الرجل.

وفي الخامس: روينا بإسناد متّصل إلى الأصبغ قال: لمّا رحل عليّ عليه السلام من نهر براثا إلى النهروان، وقد قطع جسرها، وسمّرت سفنها. فنزل وقد سرّح الجيش إلى جسر بوران، ومعه رجل من أصحابه قد شكّ في قتال الخوارج.

---

(١) الإرشاد: ١٦٧ .

فإذا رجل يركض. -إلى أن قال-: لمّا بلغ الخوارج نزولك البارحة نهر براثا ولّوا هاربين. فقال له عليّ عليه السلام: «أنت رأيتهم حين ولّوا» قال: نعم. قال: «كذبت. لا والله ماعبروا النهروان، ولا يجاوزوا الأثيلات ولا النخيلات حتّى يقتلهم الله عزّ وجلّ على يدي، عهد معهود وقدر مقدور. لا ينجو منهم عشرة ولا يقتل منّا عشرة...»[1].

وفي السادس: في الخبر لمّا خرج عليه السلام إلى أصحاب النهر جاءه رجل من أصحابه. فقال: البشرى يا أمير المؤمنين! إنّ القوم عبروا النهر لمّا بلغهم وصولك فأبشر فقد منحك الله أكتافهم. فقال: الله أنت رأيتهم قد عبروا. فقال: نعم. فقال عليه السلام: «والله ما عبروه ولن يعبروه وإنّ مصارعهم دون النطفة، والّذي فلق الحبة وبرأ النسمة لم يبلغوا الأثلاث، ولا قصر توران حتّى يقتلهم الله، وقد خاب من افترى» قال ثمّ جاءه جماعة من أصحابه، واحداً بعد آخر كلّهم يخبره بما أخبره الأوّل. فركب عليه السلام وسار حتّى انتهى إلى النهر. فوجد القوم بأسرهم قد كسروا جفون سيوفهم وعرقبوا خيولهم، وجثوا على الركب، وحكّموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل.

وروي أنّ شاباً من أصحابه قال في نفسه حين حكم عليه السلام بما حكم من أمرهم وسار إلى النهر لبيان صدق حكمه: والله لأكوننّ قريباً منه فإن كانوا عبروا النهر لأجعلنّ سنان رمحي في عينه. أيدّعي علم الغيب! فلمّا وجدهم لم يعبروا نزل عن فرسه وأخبره بما روّى في نفسه وطلب منه أن يغفر له. فقال عليه السلام له: «إنّ الله هو الّذي يغفر الذنوب جميعاً فاستغفره».

وفيه أيضاً روي أنّه عليه السلام قال لأبي أيّوب الأنصاري -وكان على ميمنته- لمّا بدأت الخوارج بالقتال: إحملوا عليهم فوالله لا يفلت منهم عشرة، ولا يهلك

---

(١) خرج المهموم: ١٠٥.

منكم عشرة. فلمّا قتلهم وجد المقلت منهم تسعة، والمقتول من أصحابه ثمانية[١].

وقال ابن أبي الحديد: هذا الخبر من الأخبار الّتي تكاد تكون متواترة لاشتهاره. ونقل الناس كافة له، وهو من معجزاته وأخباره المفصّلة عن الغيوب. فالاخبار المفصّلة عن الغيوب مثل هذا الخبر فإنّه لا يحتمل التلبيس لتقييده بالعدد المعيَّن في أصحابه، وفي الخوارج، ووقوع الأمر بعد الحرب بموجبه من غير زيادة ولا نقصان، وذلك أمر إلٰهي عرفه من جهة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وعرفه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من جهة الله سبحانه، والقوّة البشرية تقصر عن إدراك مثل هذا، ولقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره، وبمقتضى ما شاهد الناس من معجزاته وأحواله المنافية لقوى البشر غلا فيه من غلا حتّى نسب إلى أنّ الجوهر الإلٰهي حلّ في بدنه كما قالت النصارى في عيسى عليه السلام.

وقد أخبره النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فقال له: «يهلك فيك محبّ غالٍ ومبغض قالٍ» وقال له تارة أُخرى: «والّذي نفسي بيده لولا أنّي أشفق أن يقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النصارى في ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالاً لاتمرّ بملأ من الناس إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة».

قال: ولمعترض أن يقول قد يقع الاخبار عن الغيوب من طريق النجوم. فإنّ المنجّمين قد اتّفقوا على أنّ شكلا من أشكال الطالع إذا وقع لمولود أقتضى أن يكون صاحبه متمكّناً من الإخبار عن الغيوب، وقد يقع الإخبار عن الغيوب لأصحاب زَجر الطير والبهائم كما يحكى عن بني لهب في الجاهلية. وقد يقع الأخبار عن الغيوب للقيافة كما يحكى عن بني مدلج. أو قد يخبر به أرباب التسخيرات، وأرباب السحر والطلسمات. وقد يقع الإخبار عن الغيوب

---

(١) شرح ابن ميثم ٢: ١٥٣.

لأرباب النفس الناطقة القوية الصافية الّتي تتّصل مادّتها الروحانية على ما تقوله الفلاسفة. وقد يقع الإخبار عن الغيوب بطريق المنامات الصادقة على ما رآه أكثر الناس، وقد وردت الشريعة نصّاً به.

قال: وقد يقع الإخبار عن الغيوب بأمر صناعي يشبه الطبيعي كما رأيناه عن أبي البيان وابنه، وقد يقع الإخبار عن الغيوب بواسطة إعلام ذلك إنساناً آخر، لنفسه بنفس ذلك المخبر اتحاداً أو كالاتحاد، وذلك كما يحكي أبو البركات بن ملكا الطبيب في كتاب المعتبر، قال: والمرأة العمياء الّتي رأيناها ببغداد وتكررت مشاهدتنا لها مدّة مديدة قدرها ما يقارب ثلاثين سنة وهي على ذلك إلى الآن تعرض عليها الخبايا. فتدلّ عليها بأنواعها وأشكالها ومقاديرها وأعدادها غريبها ومألوفها، دقيقها وجليلها، تجيب على أثر السؤال من غير توقف ولا استعانة بشيء من الأشياء إلاّ أنّها كانت تلتمس أن يرى الّذي يسأل عنه أبوها أو تسمعه في بعض الأوقات دون بعض، وعند قوم دون قوم. فيتصوّر في أمرها أنّ الّذي تقوله بإشارة من أبيها، وكان الّذي تقوله يبلغ من الكثرة إلى ما يزيد على عشرين كلمة إذا قيل بصريح الكلام الّذي هو الطريق الأخضر وإنّما كان أبوها يقول إذا رأى ما يراه من أشياء كثيرة مختلفة الأنواع والأشكال في مدّة واحدة كلمة واحدة واقصاه كلمتان، وهي الّتي يكرّرها في كلّ قول، ومع كلّ ما يسمع ويرى «سلها وسلها تخبرك» أو «قولي له» أو «قولي يا صغيرة».

قال أبو البركات: ولقد عاندته يوماً وحاققته في أن لا يتكلّم وأريته عدّة أشياء. فقال: لفظة واحدة فقلت له: «الشرط أملك» فاغتاظ واحتدّ طيشه عن أن يملك نفسه. فباح بخبيئته. قال: ومثلك يظنّ أشرت إلى هذا كلّه بهذه اللفظة فاسمع الآن ثمّ التفت إليها وأخذ يشير باصبعه إلى شيء وهو يقول تلك الكلمة وهي تقول: «هذا كذا وهذا كذا» على الاتّصال من غير توقف وهو يقول تلك

الكلمة لا زيادة عليها، وهي لفظة واحدة بلحن واحد، وهيئة واحدة حتّى ضجرنا، واشتدّ تعجبّنا، ورأينا أنّ هذه الاشارة لو كانت تتضمّن هذه الأشياء لكانت أعجب من كلّ ما تقوله العمياء.

ومن عجيب ما شاهدناه من أمرها أنّ أباها كان يغلط في شيء يعتقده على خلاف ما هو به. فتخبر هي عنه على معتقد أبيها كأنّ نفسها نفسه، ورأيناها تقول ما لم يعلم أبوها من خبيئة في الخبيئة الّتي اطّلع عليها أبوها، فكانت تطّلع على ما قد علمه أبوها، وعلى ما لا يعلمه أبوها، وهذا أعجب، وحكاياتها أكثر من أن تعدّ، وعند كلّ أحد من حديثها ما ليس عند الآخر، لأنّها كانت تقول من ذلك على الاتّصال لشخص شخص جواباً بحسب السؤال، وما زلت أقول: إنّ من يأتي بعدنا لا يصدّق ما رأيناه منها. فقلت لي: أُريد أن تفيدني العلّة في معرفة هذه. فقلت لك: العلّة الّتي تصلح في جواب لِمَ في نسبة المحمول إلى الموضوع يكون الحدّ الأوسط في القياس، وهذه فالعلّة الفاعلة الموجبة لذلك فيها هي نفسها بقوّتها وخاصتها. فما الّذي أقوله في هذا؟ وهل لي أن أجعل ما ليس بعلّة علّة؟

قال ابن أبي الحديد: واعلم أنّنا لا ننكر أن يكون في نوع البشر أشخاص يخبرون عن الغيوب، ولكن كلّ ذلك مستند إلى الباري سبحانه بإقداره، وتمكينه، وتهيئة أسبابه. فإن كان المخبر عن الغيوب ممّن يدّعي النبوّة لم يجز أن يكون إلاّ بإذن الله، وأن يريد به استدلال المكلّفين على صدق مدّعي النبوّة لأنّه لو كان كاذباً لكان تمكين الله تعالى ذلك إضلالاً للمكلّفين، وكذلك لا يجوز أن يمكّن الله سبحانه الكاذب في ادّعاء النبوّة من الإخبار عن الغيب بطريق السحر وتسخير الكواكب والطلسمات، ولا بالزجر والقيافة، ولا بغير ذلك من الطرق المذكورة، لما فيه من استفساد البشر وإغوائهم، وأمّا إذا لم يكن المخبر عن الغيوب مدّعياً للنبوّة، نُظِرَ في حاله فإن كان من الصالحين؛

نسب ذلك إلى أنّه كرامة أظهرها الله تعالى على يده إبانة له وتمييزاً من غيره كما في حق عليّ عليه السلام، وإن لم يكن كذلك؛ أمكن أن يكون ساحراً أو كاهناً[1].

قلت: ما ذكره أخيراً مغالطة. فكما كان إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن الغيوب تصديق نبوّته؛ كذلك إخبار أمير المؤمنين عليه السلام عن الغيوب تصديق إمامته من الله تعالى بواسطة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. لأنه كان مدّعياً ذلك بالتواتر، وكونه تصديقاً له من فطريات العقول وضرورياتها.

قول المصنّف: «وقيل له إنّهم عبروا جسر النهروان» قد عرفت من رواية المسعودي أنّه يقال لجسر النهروان قنطرة طبرستان.

قوله عليه السلام «مصارعهم»: أي محل هلاكتهم.

«دون النطفة» قد عرفت من رواية المسعودي أنه عليه السلام قال نقتلهم بالرميلة دونه.

«والله لا يفلت» أي: ينجو.

«منهم عشرة» قد عرفت أنّ المبرّد وابن ميثم وابن طاووس رووه كالمصنّف، ولكن المسعودي رواه «منهم إلاّ عشرة» والظاهر وهمه.

«ولا يهلك منكم عشرة» قد عرفت من رواية ابن ميثم أنّ المخاطب له بذلك أبو أيوب الأنصاري الّذي كان على ميمنته عليه السلام، ثمّ قد عرفت من رواية المبرّد أنّ المفلت من الخوارج ثمانية، والمقتول من أصحابه عليه السلام تسعة وابن ميثم قال بالعكس.

وروى الطبري عن أبي مخنف أنّ المقتول من أصحابه عليه السلام سبعة، وبه قال سبط ابن الجوزي والجزري، وزاد الأخير وكان في من قتل من أصحابه عليه السلام يزيد بن نويرة الأنصاري وله صحبة وسابقة، وشهد له

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٢٥، والنقل بتصرف يسير.

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالجنّة وكان أوّل من قتل[١].

وفي (تاريخ الطبري): كان أحد الثمانية الّذين هربوا من الخوارج يوم النهر عليّ بن أبي شمر التيمي، وكان من فرسان العرب ونسّاكهم[٢].

وروى الخطيب في أبي برزة كون المقتولين من أصحابه عليه السلام تسعة[٣]، وللتشابه الخطي بين سبعة وتسعة حصل الاختلاف، والأصل واحد، وأمّا قول ابن ميثم بالثمانية[٤] فساقط.

وأمّا ما في آخر (صفين نصر): «وأُصيب من أصحاب عليّ يوم النهروان ألف وثلاثمئة ـ قال: وذكر جابر عن الشعبي، وأبي الطفيل ذكروا في عدّة قتلى صفين والنهروان والنخيلة نحواً ممّا ذكر تميم الناجي»[٥] فخبر شاذ مع أنّه لم يعلم كونه من نصر، فقبل أوّل خبره «من هنا عند عبدالله بن عقبة» مع أن خبره مختلط. فعدّ زيد بن صوحان العبدي في عداد أصحاب طلحة والزبير مع أنّه لا ريب في كونه من أصحابه عليه السلام، وبالجملة لا عبرة بما هو كذلك.

قول المصنّف: «يعني بالنطفة ماء النهر، وهو أفصح كناية» هكذا في (المصرية)، وسقط منها كلمة «عن الماء» كما في (ابن ميثم وابن أبي الحديد والخطيّة)[٦].

«وإن كان كثيراً جمّا» يعني انّ النطفة تكون كناية عن الماء وإن لم يكن

---

(١) رواه الطبري في تاريخه ٤: ٦٧، سنة ٣٧، والسبط في التذكرة: ١٠٥، والجزري في الكامل ٣: ٣٤٨، سنة ٣٧.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ١٣٩، سنة ٤٣.

(٣) تاريخ بغداد ١: ١٨٢.

(٤) شرح ابن ميثم ٢: ١٥٣.

(٥) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٥٥٩.

(٦) توجد كلمة «عن الماء» في شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٢٤، لكن ليست في شرح ابن ميثم ٢: ١٥٣.

قليلاً كما يوهمه كون أصل النطفة ماءً قليلاً.

هذا، وزاد ابن أبي الحديد في كلام الرضي: «وقد أشرنا إلى ذلك في ما تقدّم عند مضيّ ما أشبهه» إلاّ أنّه ليس في (ابن ميثم) الّذي نسخته بخط المصنّف، ولا في (الخطّية) المصححة نسبة كما ليس في (المصرية)، ولعلّه كان حاشية خلّط بالمتن في نسخة ابن أبي الحديد، وكيف كان فمرّ في الخطبة (٤٨) قوله عليه السلام: «وقد أردت أن أقطع هذه النطفة»، وقول المصنّف ثمة «ويعني بالنطفة ماء الفرات وهو من غريب العبارات وعجيبها»[١].

٩
الحكمة (٣٢٣)

وَقَالَ عليه السلام وَقَدْ مَرَّ بِقَتْلَى ٱلْخَوَارِجِ يَوْمَ ٱلنَّهْرَوَانِ:

بُؤْساً لَكُمْ، لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ (فَقِيلَ لَهُ: مَنْ غَرَّهُمْ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ): الشَّيْطَانُ ٱلْمُضِلُّ وَٱلْأَنْفُسُ ٱلْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ غَرَّتْهُمْ بِالْأَمَانِي، وَفَسَحَتْ لَهُمْ بِالْمَعَاصِي، وَوَعَدَتْهُمُ ٱلْإِظْهَارَ فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ ٱلنَّارَ.

من الخطبة (٥٩)

وقال عليه السلام لَمَّا قُتِلَ ٱلْخَوَارِجُ فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ هَلَكَ ٱلْقَوْمُ بِأَجْمَعِهِمْ:

كَلاَّ وَٱللهِ! إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلاَبِ ٱلرِّجَالِ، وَقَرَارَاتِ ٱلنِّسَاءِ. كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلاَّبِينَ. (وَقَالَ عليه السلام فِيهِمْ): لاَ تَقْتُلُوا ٱلْخَوَارِجَ بَعْدِي؛ فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ ٱلْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ ٱلْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ. (يَعْنِي مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابَهُ).

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٢٤، وشرح ابن ميثم ٢: ١٥٣، ونهج البلاغة ١: ٩٧.

أقول: نقلنا الأوّل هنا لأنّ الثاني مربوط به قال المسعودي في (مروجه) مرّ عليّ عليه السلام بالخوارج وهم صرعى فقال: «لقد صرعكم من غرّكم» قيل ومن غرّهم؟ قال: «الشيطان وأنفس السوء» فقال أصحابه: قد قطع الله دابرهم إلى آخر الدهر. فقال عليه السلام: «كلاّ والّذي نفسي بيده، وإنّهم لفي أصلاب الرجال، وأرحام النساء، لا تخرج خارجة إلاّ خرجت بعدها مثلها حتّى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الأشمط، يخرج إليه رجل منّا أهل البيت فيقتله ولا تخرج بعدها خارجة إلى يوم القيامة»[١].

وروى الأوّل فقط الطبري. فقال «مرّ عليٌّ عليه السلام على الخوارج وهم صرعى فقال: «بؤساً لكم! لقد ضرّكم من غرّكم» فقالوا: من غرّهم؟ قال عليه السلام: «الشيطان وأنفس بالسوء أمارة، غرّتهم بالأماني، وزيّنت لهم المعاصي، ونبّأتهم أنّهم ظاهرون»[٢].

وروى الثاني فقط الخطيب في حبّة العرني فقال: قال حبّة: لمّا فرغنا من النهروان قال رجل: والله لا يخرج بعد اليوم حروري أبداً. فقال عليّ عليه السلام مه لا تقل هذا. فوالّذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنّهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء، ولا يزالون يخرجون حتّى تخرج طائفة منهم بين نهرين حتّى يخرج إليهم رجل من ولدي فيقتلهم فلا يعودون أبداً[٣].

قول المصنّف: «وقال عليه السلام: وقد مرّ بقتلي الخوارج يوم النهروان» هكذا في (المصرية)، والصواب: (يوم النهر) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٤].

---

(١) مروج الذهب ٢: ٤٠٧.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٦٦، سنة ٣٧.

(٣) تاريخ بغداد ٨: ٢٧٥.

(٤) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٩٢، وشرح ابن ميثم ٥: ٤٠٣، مثل المصرية أيضاً.

وفي (تاريخ الطبري): وطلب عليّ عليه السلام في القتلى من به رمق. فوجدهم أربعمئة رجل فأمر بهم. فدفعوا إلى عشائرهم، وقال: إحملوهم معكم. فداووهم فإذا برؤوا فوافوا بهم الكوفة، وخذوا ما في عسكرهم من شيء، وأما السلاح والدوابّ وما شهدوا به عليه الحرب. فقسّمه بين المسلمين، وأما المتاع والعبيد والإماء فإنّه حين قدم ردّه على أهله، ودفن رجال من الناس قتلاهم. فقال عليه السلام حين بلغه ذلك «ارتحلوا! أتقتلونهم ثمّ تدفنونهم» فارتحل الناس...[1].

قلت: وهو دالّ على كفر جميع الخارجين عليه.

قوله عليه السلام: «بؤساً لكم» دعاء عليهم لاستحقاقهم ذلك بفعلهم.

«لقد ضركم من غركم» حسب استناد فعل المسبب إلى فعل السبب. فالضارّ لهم في الحقيقة هو الغارّ لهم.

«فقيل له: من غرّهم يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: الشيطان المضلّ» ﴿وغركم بالله الغرور﴾[2].

«والأنفس الأمارة بالسوء» وفي ابن أبي الحديد[3]: «والنفس الأمارة بالسوء» وقد عرفت أنّ الطبري نقله: «وأنفس بالسوء أمارة» وهو أحسن. فالتنكير أنسب في المقام.

«غرّتهم» أي: الشيطان، وأنفسهم الأمارة.

«بالأماني» جمع الأُمنية بمعنى التمنّي. قال تعالى حكاية عن المؤمنين للمنافقين يوم القيامة: ﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرّتكم

(١) تاريخ الطبري ٤: ٦٦، سنة ٣٧، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الحديد: ١٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٩٢.

الأمانيّ حتّى جاء أمر الله وغرّكم بالله الغرور﴾[١]. وأما الأماني في قوله تعالى: ﴿ومنهم أُمّيّون لا يعلمون الكتاب إلاّ أمانيّ﴾[٢] فقيل: بمعنى قراءات من «تمنيت الكتاب» قرأته.

«وفسحت لهم» أي: وسعت لهم.

«بالمعاصي» هكذا في (المصرية)، والصواب: (في المعاصي) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٣].

«ووعدتهم الأظهار» هو نظير حكايته تعالى عن الشيطان مع كفّار بدر في قوله تعالى: ﴿وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنّي جار لكم فلمّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه﴾[٤].

«فاقتحمت بهم النار» أي: أدخلتهم النار، والاقتحام الدخول في مهلك وفي أمر شديد.

«ولمّا قتل الخوارج فقيل له: يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم قال عليه السلام» هكذا في (المصرية) ومثلها (ابن أبي الحديد) إلّا أنّه قال: «وقال لمّا» ـ الخ ـ وفي (ابن ميثم): «وقال عليه السلام لمّا قيل له يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم» وهو الصحيح[٥].

«كلاّ والله انّهم نطف في أصلاب الرجال» ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾[٦].

---

(١) الحديد: ١٤.

(٢) البقرة: ٧٨.

(٣) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٩٢، وشرح ابن ميثم ٥: ٤٠٣، مثل المصرية أيضاً.

(٤) الانفال: ٤٨.

(٥) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٢٧، ولفظ شرح ابن ميثم ٢: ١٥٣، «لما قتل الخوارج قيل له».

(٦) الطارق: ٧.

«وقرارات النساء» مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين﴾[١].

وفي (العقد): قال الحجاج لامرأة من الخوارج: لأحصدنكم حصيداً. فقالت أنت تحصد، والله يزرع. فأين قدرتك من قدرة الله؟[٢]

«كلّما نجم» أي: ظهر.

«منهم قرن» أي: كبير.

«قُطِعَ» في زمان بني أُمية وبني العباس.

وفي (المروج): ذكرنا في كتابنا اخبار الزمان من خبر الخوارج شأن مرداس التميمي وعطية الحنفي، وأبي فديك، وسودة الشيباني، ووقعة ابن الماحوز مع المهلّب، ومقتله، وخبر عبد ربه، واخبار خوارج اليمن كأبي حمزة الأزدي وبيهس الهيصمي، وذكرنا في كتابنا (المقالات) فرقهم من الأباضية -وهم سراة عمان من الأزد- والحمرية والصفرية وغيرهم، وذكرنا بلدانهم مثل بلاد سنجار وتلّ أعفر من بلاد ديار ربيعة، والسن، والبواريج والحديقة ممّا يلي بلاد الموصل، ثمّ من سكن بلاد آذربيجان، ومن سكن منهم بلاد سجستان، وجبال هراة وهشتانه، وبوشنج من بلاد خراسان، ومن بلاد مكران...[٣].

وفي (التنبيه والإشراف): غلب الضحاك الشيباني في أيام مروان الحمار على العراق، ولم يغلب قبله، ولا بعده أحد من الخوارج على العراق، وسار للقاء مروان في جيوش عظيمة، ومعه سليمان بن هشام بن عبدالملك

---

(١) المؤمنون: ١٣.

(٢) رواه الجاحظ في البيان ٢: ٣٥٦، والبغدادي في بلاغات النساء: ١٩٨، لكن لم اجده في العقد.

(٣) مروج الذهب ٣: ١٣٨، والنقل بتصرف يسير.

في جميع مواليه ورجاله مؤتمّاً بالضحاك تابعاً، وفي ذلك قال بعض شعراء الخوارج مفتخراً:

ألم تـــر أنّ الله أنـــزل نـصره وصلّت قريش خلف بكر بن وائل

فالتقيا بكفر توثا، وأقاموا يقتتلون أيّاماً إلى أن قتل الضحاك وخليفته الخيبري، وسارت الأباضية من اليمن من قبل عبدالله بن يحيى الكندي الملقّب طالب الحق، عليهم أبو حمزة الأزدي، وبلج بن عقبة. فنزلوا مكّة يوم عرفة في سنة (١٢٩) ووادعهم عبدالملك بن سليمان بن عبدالملك عامل مكّة إلى انقضاء الحج ثمّ هرب إلى المدينة. فجهزّ عبدالواحد للقائهم جيشاً أمّر عليهم عبدالعزيز بن عبدالله بن عمرو بن عثمان فالتقوا بقديد في سنة (١٣٠) فقتل عبدالعزيز في جمع كثير أكثرهم من قريش، فقالت نائحتهم:

مـــا للـــزمان وماليه أفـــنت قديد رجاليه

فـــلأبكين سـريرة ولأبكـــين عـــلانية

ودخلت الخوارج المدينة. فغلبوا عليها ثلاثة أشهر، فوجّه مروان إليهم عبدالملك السعدي. فالتقوا بوادي القرى. فقتل بلج، وأكثر الخوارج، ونجا أبوحمزة إلى مكّة. فلحقه بها فقتله، وسار إلى اليمن. فلقيه عبدالله بن يحيى بنواحي صنعاء. فقتل عبدالله، وأكثر من معه، ولحق بقيّتهم بعد قتل طالب الحق أيّام مروان إلى حضرموت. فأكثرها أباضية إلى هذا الوقت سنة (٣٣٢)[١].

وفي (المروج)، وقد أتى الهيثم بن عدي، والمدائني، وأبو البختري القاضي وغيرهم على اخبار الخوارج وأصنافهم في ما أفردوه من كتبهم، وذكرنا في كتابنا المقالات من خرج منهم من وقت التحكيم في عصر عصر

(١) التنبيه والإشراف للمسعودي: ٢٨٢ و٢٨٣، والنقل بتصرف يسير.

إلى آخر من خرج، منهم بديار ربيعة على بني حمدان في سنة (٣١٨) الرجل المعروف بعرون خرج ببلاد كفرتوثي، وورد إلى نصيبين. فكانت له مع أهلها حرب اسرفيها، وقتل منهم خلق عظيم. والمعروف بأبي شعيب خرج في بني مالك وغيرهم من ربيعة، وقد كان أدخل على المقتدر. وكان للأباضية بعد (٣٢٠) ببلاد عمان حروب وتحكيم وإمام نصبوه، وقتل من كان معه[1].

وفيه: وفي سنة (٧٧) كانت للحجاج حروب مع شبيب الخارجي وولّى عنه الحجاج بعد قتل ذريع كان في أصحابه حتى أحصى عددهم بالقضيب. فدخل الكوفة، وتحصّن في دار الأمارة ودخل شبيب وأُمّه وزوجته غزالة؛ الكوفة عند الصباح وقد كانت غزالة نذرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصّلي فيه ركعتين تقرأ فيهما سورة البقرة وآل عمران فأتوا الجامع في سبعين رجلا فصلّوا به الغداة، وخرجت غزالة ممّا كانت أوجبته على نفسها. فقال الناس بالكوفة في تلك السنة:

وفت الغزالة نذرها يا ربّ لا تغفر لها

وكانت الغزالة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم، وكذلك أُمّ شبيب ولمّا بلغ عبدالملك تحصين الحجاج في دار الأمارة من شبيب بعث من الشام بعساكر كثيرة عليها سفيان بن الأبرد الكلبي لقتال شبيب. فخرجوا إلى شبيب فانهزم وقتلت الغزالة وأُمّه ومضى شبيب في فوارس واتّبعه سفيان فلحقه بالأهواز فولّى. فلمّا حصل على جسر دجيل نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر. فألقاه في الماء. فقال له بعض أصحابه: أغرقاً؟ قال: ذلك تقدير العزيز العليم. فألقاه دجيل ميتاً بشاطئه. فحمل على البريد إلى الحجاج فأمر بشق بطنه. فاستخرج قلبه فإذا هو كالحجر إذا ضربت بها نبا

(١) مروج الذهب ٣: ١٣٨، والنقل بتلخيص.

عنها، فشق فاذا في داخله قلب صغير كالكرة فشقّ فأُصيب علقة الدم في داخله[١].

«حتّى يكون آخرهم لصوصاً سلّابين» قال ابن أبي الحديد: ممن انتهى أمره إلى ذلك؛ الوليد بن طريف الشيباني في أيّام هارون، وعمرو الخثعمي في أيّام المتوكّل، وخرج بعدهما جمع بكرمان، وجمع بعمان ممن قصده الفساد ذكرهم أبو إسحاق الصابي في كتابه[٢].

قلت: لم أقف على مستند الرضي في هذه العبارة، وقد عرفت، أنّ الخطيب والمسعودي رويا العنوان بدون الفقرة، ونقلا بدلها: «حتّى يخرج إليهم رجل من ولدي. فيقتلهم فلا يعودون أبداً»، والظاهر أصحية هذا، وأنّ مراده عليه السلام القائم عليه السلام وهم إلى زماننا باقون، ولابدّ من انقراضهم على يد المهدي.

قول المصنّف «وقال عليه السلام فيهم لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحقّ فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه ـ يعني معاوية وأصحابه» لم أقف أيضاً على مستنده، ويبعد أن يكون من كلامه عليه السلام حيث إنّه عليه السلام لو كان قال ذلك لما تصدّى شيعته لقتالهم مع أنّهم كانوا مجدّين في ذلك، وفي رأسهم صعصعة بن صوحان ثمّ معقل بن قيس، وعدي بن حاتم، وشريك بن الأعور ثمّ شيعة الكوفة والبصرة.

ففي (تاريخ الطبري): أنّ المستورد الخارجي لمّا أراد الخروج في سنة (٤٣) أو سنة (٤٢) في أمارة المغيرة على الكوفة قام المغيرة خطيباً. فقال: أيم الله! لا يخرجون في حيّ من أحياء العرب في هذا المصر إلاّ أبدتهم وجعلتهم

---

(١) مروج الذهب ٣: ١٣٩، والنقل بتصرف يسير.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٤٥ ـ ٤٤٦، والنقل بتلخيص.

نكالا لمن بعدهم -إلى أن قال- فبعث المغيرة إلى الرؤساء فقال لهم: ليكفِني كلّ آمرئٍ منهم قومه -إلى أن قال- فقام صعصعة وذكر خطبته لقومه عبد القيس -إلى أن قال في ما قال لهم- حتّى أهلك الله بكم، وبمن كان على مثل هديكم ورأيكم؛ الناكثين يوم الجمل، والمارقين يوم النهر وسكت، عن ذكر أهل الشام لأنّه كان حينئذ سلطانهم- ولا قوم أعدى لله ولكم، ولأهل بيت نبيّكم ولجماعة المسلمين من هذه المارقة الخاطئة الّذين فارقوا إمامنا، واستحلّوا دماءنا، وشهدوا علينا بالكفر. فإيّاكم أن تؤوهم في دوركم فانّه ليس ينبغي لحيّ من أحياء العرب أن يكونوا أعدى لهذه المارقة منكم، وقد والله ذكر لي أنّ بعضهم في جانب من الحيّ، وأنا باحث عن ذلك. فإن كان حقّا تقربت إلى الله تعالى بدمائهم. فإنّ دمائهم حلال. يا معشر عبد القيس! إنّ ولاتنا هؤلاء هم أعرف شيء بكم وبرأيكم -يعني تشيّعهم- فلا تجعلوا لهم عليكم سبيلاً. فإنّهم أسرع شيء إليكم وإلى أمثالكم -إلى أن قال- فقال المغيرة للرؤساء: من ترون أبعث إليهم؟ فقام إليه عدي بن حاتم. فقال: كلّنا لهم عدو، ولرأيهم مسفّه، فأيّنا شئت سار إليهم.

فقام معقل بن قيس، وقال له: لا أرى أن تبعث إليهم أحداً من الناس أعدي لهم ولا أشدّ عليهم منّي، فابعثني إليهم. فإنّي أكفيكهم بإذن الله تعالى. فقال: أُخرج على اسم الله، وجهّز معه ثلاثة آلاف رجل، وقال المغيرة لقبيصة بن الدمون: إلصق لي بشيعة عليّ. فأخرجهم مع معقل فإنّه كان من رؤساء أصحابه. فإذا بعث بشيعته الّذين كانوا يعرفون فاجتمعوا جميعاً آستأنس بعضهم ببعض، وتناصحوا، وهم أشدّ آستحلالاً لدماء هذه المارقة، وأجرأ عليهم من غيرهم، وقد قاتلوا قبل هذه المرّة -إلى أن قال- ولم يلبث قبيصة أن أخرج الجيش معه ثلاثة آلاف نقاوة الشيعة وفرسانهم -إلى أن قال- قال المستورد لأصحابه إنّ هذا الخرف معقل بن قيس قد وجّه اليكم وهو من

السبائية المفترين الكاذبين ـ إلى أن قال ـ سأل عبدالله بن عامر أمير البصرة عن المغيرة كيف صنع فقيل له: إنّه نظر إلى رجل شريف رئيس قد كان قاتل الخوارج مع عليّ، وكان من أصحابه فبعثه وبعث معه شيعة عليّ لعداوتهم لهم. فقال: أصاب الرأي.

فبعث عبدالله بن عامر إلى شريك بن الأعور الحارثي ـ وكان يرى رأي عليّ عليه السلام ـ فقال له: أُخرج إلى هذه المارقة فانتخب ثلاثة آلاف رجل من الناس ثمّ اتبعهم حتّى تخرجهم من أرض البصرة أو تقتله، وقال له بينه وبينه: أُخرج إلى أعداء الله بمن يستحلّ قتالهم من أهل البصرة ـ فظنّ شريك به أنّه يعني شيعة عليّ عليه السلام ولكنّه يكره أن يسمّيهم ـ فانتخب شريك الناس وألحّ على فرسان ربيعة الّذين كان رأيهم في الشيعة، وتجيبه العظماء منهم. ثمّ إنّه خرج فيهم مقبلاً إلى المستورد ـ إلى أن قال ـ فأخبر من قدم على المغيرة بالفتح أنّ معقلا والمستورد مشى كلّ واحد منهما إلى صاحبه، وبيد المستورد الرمح وبيد معقل السيف. فالتقيا فأشرع المستورد الرمح في صدر معقل حتّى خرج السنان من ظهره. فضربه معقل بالسيف على رأسه حتّى خالط السيف أُمّ الدماغ فخرّا ميّتين[1].

وأما استشهاد ابن أبي الحديد للعنوان بأنّ المبرّد في (كامله) قال: خرج حوثرة الأسدي، وحابس الطائي على معاوية فصار إلى موضع أصحاب النخيلة وكان معاوية بالكوفة، وقد كان الحسن بن عليّ عليه السلام خرج يريد المدينة. فوجّه إليه معاوية ـ وقد تجاوز طريقه ـ يسأله أن يكون المتولّي لمحاربة الخوارج. فكان جواب الحسن عليه السلام: والله لقد كففت عنك لحقن دماء

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٤٠ ـ ٨٥٨، سنة ٤٣، والنقل بتلخيص.

المسلمين أفأُقاتل عنك قوماً أنت والله أولى بالقتال منهم»[١]؟ فأعمّ، حيث إنّ حوثرة وحابساً لم يكونا ممّن قاتل أمير المؤمنين عليه السلام وإنّما أعتزلاه، وشكّا في أمره، وأرادا بعدُ قتال معاوية لوضوح بطلانه.

ففي (تاريخ الطبري): رفع عليّ عليه السلام يوم النهروان راية أمان مع أبي أيوب ـ إلى أن قال ـ فقال فروة بن نوفل الأشجعي: والله ما أدري على أيّ شيء نقاتل علياً؟! لا أرى إلاّ أن أنصرف حتّى تنفذ لي بصيرتي في قتاله أو اتباعه، وأنصرف في خمسمئة فارس حتّى نزل البندنيجين والدسكرة[٢].

وفيه: خرجت الخوارج الّذين أعتزلت أيّام عليّ عليه السلام بشهرزور في سنة (٤١) على معاوية. قال عوانة: قدم معاوية الكوفة قبل أن يبرح الحسن حتّى نزل النخيلة. فقالت الخمسمئة من الحرورية الّتي كانت أعتزلت بشهرزور مع فروة بن نوفل الأشجعي: قد جاء الآن مالا شك فيه، فسيروا إلى معاوية فجاهدوه فأقبلوا وعليهم فروة حتّى دخلوا الكوفة، فأرسل إليهم معاوية خيلاً من أهل الشام. فكشفوهم، فقال معاوية لأهل الكوفة: لا أمان لكم والله عندي حتّى تكفّوا بوائقكم. فخرجوا إليهم فقاتلوهم. فقالت الخوارج لهم: ويلكم ما تبغون منّا؟ أليس معاوية عدوّنا وعدوّكم؟ دعونا حتّى نقاتله وإن أصبناه كنّا قد كفيناكم عدوّكم، وإن أصابنا كنتم قد كفيتمونا. قالوا: لا والله حتّى نقاتلكم[٣].

وبالجملة نهيه عليه السلام عن قتال الخوارج بعده عليه السلام بعد اصرار خواص شيعته على قتالهم غير معلوم؛ اللّهمّ إلاّ أن يقال: إنّه بعد صلح إمامهم مع

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٥٣، وكامل المبرد ٧: ١٧٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٦٤، سنة ٣٧.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ١٢٦، سنة ٤١، والنقل بتصرف يسير.

معاوية كان قتالهم لهم جايزاً، ووجه كلامه عليه السلام مع العامة، والكلام في نفسه صحيح بكون معاوية أولى بالمقاتلة من الخوارج، لكون الخوارج طلبوا الحقّ فأخطأوه لكونهم أخفّاء آلهام سفهاء الاحلام، ومعاوية وأتباعه طلبوا الباطل. فأدركوه.

وقد روى (التهذيب) في باب قتال أهل البغي بإسناده، عن السكوني، عن جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام لمّا فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من أهل النـهروان قال: لا يقاتلهم بعدي إلاّ من هم أولى بالحقّ منه.

وعنه عن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: ذكرت الحرورية عند عليّ عليه السلام قال: إن خرجوا على إمام عادل أو جماعة فقاتلوهم، وإن خرجوا على إمام جائر فلا تقاتلوهم فإنّ لهم في ذلك مقالاً[1].

وفي (تاريخ الطبري) ـ بعد ذكر قصة المستورد المتقدّم، وندب المغيرة بن شعبة والي الكوفة من قبل معاوية الناس إليهم، وقيام معقل بن قيس من رؤساء الشيعة للتصدي لحربهم ـ ثمّ قام صعصعة بن صوحان وقال: إبعثني إليهم أيّها الأمير فأنا والله لدمائهم مستحلّ، وبحملها مستقلّ.

فقال له المغيرة: إجلس فإنّما أنت خطيب ـ فأحفظه ذلك ـ وإنّما قال: ذلك لأنّه بلغه أنّه يعيب عثمان، ويكثر ذكر عليّ عليه السلام ويفضّله ـ وقد كان دعاه فقال: إيّاك أن يبلغني أنّك تعيب عثمان عند أحد من الناس، وإيّاك أن يبلغني أنّك تظهر شيئاً من فضل عليّ علانية. فإنّك لست بذاكر من فضل عليّ شيئاً أجهله بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا باظهار عيبه للناس. فنحن ندع كثيراً ممّا أمرنا به، ونذكر الشيء الّذي لا نجد بدّاً منه ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقية. فإن كنت ذاكراً فضله فاذكره بينك وبين أصحابك، وفي

---

(١) التهذيب ٦: ١٤٤ و١٤٥ ح ٤ و٧.

منازلكم سرّاً، وأمّا علانية في المسجد فإنّ هذا لا يحتمله الخليفة لنا، ولا يعذرنا فيه. فكان يقول له نعم. أفعل. ثمّ يبلغه أنّه قد عاد إلى مانهاه عنه(١).

١٠
خطبة (١٧٩)

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عليه السلام:
وَقَدْ أَرْسَلَ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِهِ يَعْلَمُ لَهُ عِلْمَ أَحْوَالِ قَوْمٍ مِنْ جُنْدِ ٱلْكُوفَةِ قَدْ هَمُّوا بِاللَّحَاقِ بِالْخَوَارِجِ، وَكَانُوا عَلَى خَوْفٍ مِنْهُ عليه السلام، فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ ٱلرَّجُلُ قَالَ لَهُ:
«أَأَمِنُوا فَقَطَنُوا أَمْ جَبُنُوا فَظَعَنوا؟»
فَقَالَ ٱلرَّجُلُ: بَلْ ظَعَنُوا يا أَميرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ عليه السلام:
بُعْداً لَهُمْ كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ. أَما لَوْ أُشْرِعَتِ ٱلأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ، وَصُبَّتِ ٱلسُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ. لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ. إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ ٱلْيَوْمَ قَدِ ٱسْتَفَلَّهُمْ، وَهُوَ غَداً مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ، وَمُتَخَلٍّ عَنْهُمْ. فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ ٱلْهُدَى، وَٱرْتِكَاسِهِمْ فِي ٱلضَّلاَلِ وَٱلْعَمَى، وَصَدِّهِمْ عَنِ ٱلْحَقِّ، وَجِمَاحِهِمْ فِي ٱلتِّيهِ.

الخطبة (٤٤)

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عليه السلام لَمَّا هَرَبَ مَصْقَلَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ ٱلشَّيبانِيُّ إِلَى مُعَاوِيَةَ، وَكَانَ قَدِ ٱبْتَاعَ سَبْيَ بَنِي نَاجِيَةَ مِنْ عَامِلِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ وَأَعْتَقَهُم فَلَمَّا طَالَبَهُ بِالْمَالِ خَاسَ بِهِ وَهَرَبَ إِلَى ٱلشَّامِ:
قَبَّحَ ٱللهُ مَصْقَلَةَ. فَعَلَ فِعْلَ ٱلسَّادَاتِ وَفَرَّ فِرَارَ ٱلْعَبِيدِ. فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ، وَلاَصَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ. وَلَوْ أَقَامَ لأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ.

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٤٤، سنة ٤٣، والنقل بتصرف يسير.

وَٱنْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وُفُورَهُ.

أقول: إنّما نقلنا الثاني هنا مع عدم تضمنه إخباراً منه عليه السلام عن المستقبل لكونه مربوطاً بالأوّل مع أنّه عليه السلام أخبر بعدم رجوع مصقلة كما سترى، وإن لم يذكر في العنوان.

والعنوان الأوّل جمعٌ من المصنّف بين كلامه عليه السلام مع الرجل الّذي قال وكتابه عليه السلام إلى زياد بن خصفة كما ستعرف، والأوّل إلى قوله عليه السلام «مخلّ عنهم» وإنّما جمع لكون كلّ من الكلامين في أُولئك القوم، وزاد في كتابه الإخبار عنهم بأنّ جمعا منهم يقتلون وجمعاً يؤسرون كما ترى، وهو من آيات إمامته عليه السلام أيضاً. روى العنوان الأوّل الطبري والثاني هو والمسعودي[1].

قول المصنّف «وقد أرسل رجلا من أصحابه» الرجل هو فقيم بن عبدالله الأزدي.

«يعلم له علم أحوال قوم» هكذا في (المصرية) والصواب: (يعلم له علم قوم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[2].

«من جند الكوفة» هم ثلاثمأة رجل من بني ناجية، ورأسهم الخرّيت بن راشد، وأصلهم من البصرة.

«وقد همّوا» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد) ولكن في (الخطية وابن ميثم): «هموّا»[3].

«باللحاق بالخوارج، وكانوا على خوف منه عليه السلام فلمّا عاد إليه الرجل»

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٨٨ و٩٣ و١٠٠، سنة ٣٨، ومروج الذهب ٢: ٤٠٨.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠٨، وشرح ابن ميثم ٣: ٣٧٩، مثل المصرية أيضاً.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠٨، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٣٧٩، مثل المصرية.

ليس في نسخة (ابن ميثم) «إليه الرجل»[١].

«قال له: أمنوا» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد) ولكن في (الخطية وابن ميثم): «أأمنوا»[٢].

«فقطنوا» أي: أقاموا.

«أم جبنوا فظعنوا» أي: ارتحلوا.

«فقال الرجل» وليس في (ابن ميثم): «الرجل»[٣].

«بل ظعنوا يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام: بعداً لهم كما بعدت ثمود» قال تعالى: ﴿ألا بعداً لثمود﴾[٤] ﴿ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود﴾[٥].

«أما لو أشرعت الأسنّة إليهم» في (الصحاح): «اشرعت الرمح قبله أي: سددته، قال:

وليست بتاركة محرما ولو حف بالاسل الشرع[٦]

«وصبّت السيوف» كناية عن تواترها، والأصل فيه قوله تعالى: ﴿فصبّ عليهم ربّك سوط عذاب﴾[٧].

«على هاماتهم» جمع الهامة بتخفيف الميم أي: الرأس.

«لقد ندموا على ما كان منهم» من فراقه، والخروج عليه.

«إنّ الشيطان اليوم قد استفلّهم» في (الصحاح): فللت الجيش هزمته، والفلّ

---

(١) في نسختنا من شرح ابن ميثم ٣: ٣٧٩، مثل المصرية.

(٢) بل في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠٨، «أأمنوا» وفي شرح ابن ميثم ٣: ٣٧٩، مثل المصرية.

(٣) في نسختنا من شرح ابن ميثم ٣: ٣٧٩، مثل المصرية.

(٤) هود: ٦٥.

(٥) هود: ٩٥.

(٦) صحاح اللغة ٣: ١٢٤٦، مادة (شرع).

(٧) الفجر: ١٣.

بالكسر الأرض الّتي لم تمطر، يقال أفللنا أي: صرنا في فلّ من الأرض...[١] ولا مناسبة لواحد منهما وإن اختار ابن أبي الحديد الثاني وابن ميثم الأوّل[٢].

ويحتمل أن يكون مصحّف آستفالهم. يقال رجل فال أي: ضعيف الرأي مخطئ الفراسة، وبدّلته رواية الطبري بقوله: «قد استهواهم وأضلّهم» وقال ابن أبي الحديد ويروى «من استفزّهم» أي: استخفّهم[٣].

«وهو غداً متبرّئٌ منهم» ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلمّا كفر قال إنّي بريءٌ منك﴾[٤] ﴿وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنّي جار لكم فلمّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنّي بريءٌ منكم إنّي أرى مالا ترون﴾[٥].

«ومتخلّ عنهم» هكذا في (المصرية) والصواب: (ومخلّ عنهم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٦].

وفي (تاريخ الطبري): قال عبدالله بن فقيم: كان الخرّيت بن راشد مع ثلاثمئة رجل من بني ناجية مقيمين مع عليّ عليه السلام بالكوفة قدموا معه من البصرة ـ وكانوا قد خرجوا إليه يوم الجمل، وشهدوا معه صفّين والنهروان ـ فجاء في ثلاثين راكباً من أصحابه يسير بينهم إلى عليّ عليه السلام حتّى قام بين يديه فقال له: والله لا أُطيع أمرك ولا أُصلّي خلفك، وإنّي غداً لمفارقك ـ وذلك بعد تحكيم الحكمين ـ فقال له عليّ عليه السلام ثكلتك أُمّك! إذن تعصي ربّك، وتنكث

---

(١) صحاح اللغة ٥: ١٧٩٣، مادة (خلل).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠٨، وشرح ابن ميثم ٣: ٣٧٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠٨.

(٤) الحشر: ١٦.

(٥) الانفال: ٤٨.

(٦) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠٨، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٣٧٩، مثل المصرية أيضاً.

عهدك، ولا تضرّ إلاّ نفسك. خبّرني لِمَ تفعل ذلك؟ قال: لأنك حكّمت في الكتاب، وضعفت عن الحق إذ جدّ الجدّ، وركنت إلى القوم الّذين ظلموا أنفسهم فأنا عليك زارٍ وعليهم ناقم، ولكم جميعاً مبائن. فقال له عليّ عليه السلام: «هلم أُدارسك الكتاب وأُناظرك في السنن، وأُفاتحك أُموراً من الحق أنا أعلم بها منك. فعلّك تعرف ما أنت له منكر الآن، وتستبصر ما أنت عنه الآن جاهل» قال: فإنّي عائد إليك قال «لا يستهوينك الشيطان، ولا يستخفّنك الجهل، ووالله لئن آسترشدتني وآستنصحتني وقبلت منّي لأهدينّك سبيل الرشاد» فخرج من عنده ـإلى أن قال ـ قال عليه السلام لي: «دعه فإن عرف الحقّ وأقبل إليه عرفنا ذلك، وقبلنا منه، وان أبى طلبناه». فقلت ولم لا تأخذه الآن وتستوثق منه وتحبسه. فقال: إنّا لو فعلنا ذلك بكلّ من نتّهمه من الناس ملأنا سجننا منهم، ولا أرى الحبس والعقوبة حتّى يظهروا لنا الخلاف ـإلى أن قال ـ مسرّا إذهب الى منزل الرجل. فأعلمني ما فعل فانّه كلّ يوم لم يكن يأتيني فيه إلاّ قبل هذه الساعة. فأتيت إلى منزله فإذا ليس منهم ديّار، فدعوت على أبواب دور أُخرى كان فيها طائفة من أصحابه فإذا ليس فيها داع، ولا مجيب. فرجعت. فقال لي حين رآني: «وطنوا فأمنوا أم جبنوا فظعنوا» فقلت: بل ظعنوا واعلنوا. فقال: «قد فعلوها! بعداً لهم كما بعدت ثمود. أما لو قد أُشرعت لهم الأسنة، وصبّت على هامهم السيوف لقد ندموا. إنّ الشيطان اليوم قد آستهواهم وأضلّهم، وهو غداً متبرّئ منهم، ومخلّ عنهم» فقام إليه زياد بن خصفة. فقال: إنّه لو لم يكن من مضرّة هؤلاء إلاّ فراقهم إيّانا لم يعظم فقدهم. فنأسى، فإنّهم قلّما يزيدون في عددنا لو أقاموا معنا، وقلّما ينقصون من عددنا بخروجهم عنّا، ولكنّا نخاف أن يفسدوا علينا جماعة كثيرة ممّن يقدمون عليه من أهل طاعتك، فأذَنْ في آتّباعهم حتّى أردّهم إليك ـإلى أن قال ـ قال عليه السلام: وسأكتب إلى عمّالي فيهم. فكتب نسخة واحدة. فأخرجها إلى العمّال: «أمّا بعد؛ فإنّ رجالاً خرجوا هرّابا ونظنّهم

وجّهوا نحو بلاد البصرة فسل عنهم أهل بلادك واَجعل عليهم العيون في كلّ ناحية من أرضك واكتب إليّ بما ينتهي إليك عنهم».

وعن عبدالله بن وال التيمي قال: والله إنّي لعند أمير المؤمنين عليه السلام إذ جاءه فيج بيده كتاب من قبل قرظة بن كعب الأنصاري أنّ خيلاً مرّت بنا من قبل الكوفة متوجّهة نحو نُفَّر، وأنّ رجلاً من دهاقين أسفل الفرات يقال له زإذان فروخ أقبل من قبل أخواله. فعرضوا له فقالوا: أمسلم أنت أم كافر؟ فقال: بل مسلم. قالوا: فما قولك في عليّ؟ قال: أمير المؤمنين، وسيّد البشر. فقالوا له: كفرت. ثمّ حملت عليه عصابة منهم فقطّعوه، ووجدوا معه رجلاً من أهل الذمّة. فقالوا: ما أنت؟ قال: من أهل الذمّة. قالوا: أمّا هذا فلا سبيل عليه. فكتب عليه السلام إليه «أمّا بعد. فقد فهمت ما ذكرت من أمر العصابة الّتي مرّت بك فقتلت البرّ المسلم، وأمن عندهم المخالف الكافر. إنّ أُولئك قوم اَستهواهم الشيطان. فضلّوا وكانوا كالّذين حسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصمّوا فأسمِع وأبصِر يوم يختبر أعمالهم»(١).

«فحسبهم بخروجهم من الهدى واَرتكاسهم في الضلال والعمى» في (الصحاح): «والله أركسهم بما كسبوا أي: ردّهم إلى كفرهم. واَرتكس فلان في أمر أي: قد نجا منه»(٢).

«وصدّهم عن الحقّ وجماحهم» أي: إسراعهم من قوله تعالى: ﴿لولّوا إليه وهم يجمحون﴾(٣).

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٨٦ ـ ٨٩، سنة ٣٨، والنقل بتلخيص.

(٢) صحاح اللغة ٢: ٩٣٣، مادة (ركس).

(٣) التوبة: ٥٧ .

«في التيه» في (الصحاح): تاه في الأرض أي: ذهب متحيّراً، والتيه المفازة يتاه فيها[١].

في (تاريخ الطبري): عن أبي سعيد العقيلي قال: كتب عليّ عليه السلام إلى زياد بن خصفة: أمّا بعد! فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت من الناجي وإخوانه الّذين طبع الله على قلوبهم، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فهم يعمهون ويحسبون أنّهم يحسنون صنعا، ووصفت ما بلغ بك وبهم الأمر. فأمّا أنت وأصحابك فلله، سعيكم، وعلى الله تعالى جزاؤكم. فأبشر بثواب من الله خير من الدنيا الّتي يقتل الجهّال أنفسهم عليها. فإنّ ما عندكم ينفد، وما عندالله باق و﴿ليجزيّن الّذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾، وأمّا عدوّكم الّذين لقيتموهم فحسبهم بخروجهم من الهدى إلى الضلال وآرتكاسهم فيه، وردّهم الحقّ، ولجاجهم في الفتنة، فذرهم وما يفترون، ودعهم في طغيانهم يعمهون. فتسمع وتبصر كأنّك بهم عن قليل بين أسير وقتيل[٢].

وفيه: لمّا بلغ عليّاً عليه السلام مصاب بني ناجية، وقتل صاحبهم قال: «هوت أمُّه! ما كان أنقص عقله، وأجرأه على ربّه فإنّه جاءني مرّة. فقال لي: في أصحابك رجال قد حسبت أن يفارقوك فما ترى فيهم؟ فقلت له: إنّي لا آخذ على التهمة، ولا أُعاقب على الظنّ، ولا أُقاتل إلّا من قاتلني وناصبني وأظهر لي العداوة، ولست مقاتله حتّى أدعوه واعذر إليه. فإن تاب ورجع إلينا قبلنا منه وهو أخونا، وإن أبى إلّا الاعتزام على حربنا؛ آستعنّا عليه الله وناجزناه. فكفّ عنّي ما شاء الله ثمّ جاءني مرّة أُخرى. فقال لي: قد حسبت أن يفسد عليك عبدالله بن وهب الراسبي، وزيد آبن حصين. إنّي سمعتهما يذكرانك بأشياء لو

(١) صحاح اللغة ٦: ٢٢٢٩، مادة (تيه).

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٩٣، سنة ٣٨، والنقل بتصرف يسير.

سمعتها لم تفارقهما حتّى تقتلهما أو توثقهما. فلا يفارقاك من حبكٍ أبداً، فقلت: إنّي مستشيرك فيهما فماذا تأمرني. قال: آمرك أن تدعو بهما فتضرب رقابهما. فعلمت أنه لا ورع ولا عاقل[1].

وفيه: كتب عليّ عليه السلام إلى معقل بن قيس ـ بعد ذكر قتله سبعين من ناجية، وثلثمئة من العلوج من أصحاب الخرّيت في جبال رامهرمز، وفرار الخرّيت إلى أسياف البحر:

أمّا بعد! فالحمد لله على تأييد أوليائه، وخذلان أعدائه جزاك الله والمسلمين خيراً. فقد أحسنتم البلاء، وقضيتم ما عليكم، وسل عن أخي بني ناجية. فإن بلغك أنّه قد استقرّ ببلد من البلدان فسر إليه حتّى تقتله أو تنفيه، فإنّه لن يزال للمسلمين عدوّاً وللقاسطين وليّاً ما بقي[2].

وفيه: قرأ معقل كتاباً من عليّ عليه السلام عليهم «من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى من يُقرأ عليه كتابي هذا من المؤمنين، والمسلمين، والنصارى والمرتدين. سلام على من أتّبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وكتابه والبعث بعد الموت، وأوفى بعهد الله، ولم يكن من الخائنين.

أمّا بعد! فإنّي أدعوكم إلى كتاب الله، وسنّة نبيّه، والعمل بالحق، وبما أمر الله في الكتاب. فمن رجع إلى أهله منكم، وكفّ يده وأعتزل هذا الهالك المحارب الّذي جاء يحارب الله ورسوله والمسلمين، وسعى في الأرض فساداً، فله الأمان على ماله ودمه، ومن تابعه على حربنا، والخروج من طاعتنا آستعنّا بالله عليه، وجعلنا الله بيننا وبينه، وكفى بالله نصيراً».

قال: وأخرج معقل راية أمان فنصبها وقال: من أتاها من الناس فهو آمن

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٠١، سنة ٣٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٩٦، سنة ٣٨.

إلاّ الخرّيت وأصحابه الّذين حاربونا وبدؤونا أوّل مرّة. فتفرّق عن الخرّيت جلّ من كان معه من غير قومه، وعبّى معقل أصحابه فجعل على ميمنته يزيد بن المغفل الأزدي، وعلى ميسرته المنجاب بن راشد الضبي. ثمّ زحف بهم نحو الخرّيت وحضر معه قومه، مسلموهم ونصاراهم، ومانع الصدقة منهم، وبعث معقل إلى الميمنة والميسرة: إذا حملت فاحملوا بأجمعكم. فحرّك رايته وهزّها، ثمّ حمل أصحابه، وبصر النعمان بن صهبان الراسبي بالخرّيت. فحمل عليه فطعنه فصرعه عن دابته. ثمّ نزل وقد جرحه فأثخنه فاختلفا ضربتين فقتله النعمان، وقتل معه في المعركة سبعون، وما بقي ذهبوا يميناً وشمالاً، وبعث معقل، الخيل إلى رجالهم. فسبى من أدرك منهم. فسبى رجالاً كثيراً ونساءً وصبياناً. فمن كان منهم مسلماً خلّاه وأخذ بيعته وترك له عياله، ومن ارتدّ عرض عليه الاسلام فرجع؛ خلّى سبيله وسبيل عياله(١).

قوله عليه السلام في كتابه إلى زياد بن خصفة بعد ما مرّ من المصنّف: «كأنّك بهم عن قليل بين أسير وقتيل» قد عرفت أنه من إخباره عن المستقبل الّذي لا يعلم بالحدس والتخمين، بل من تعليم ربّ العالمين.

هذا، ومن أحسن ما أُنشئ في قتل العدو وأسره، قول إبراهيم بن العبّاس: وقسم الله عدوّه أقساماً ثلاثة، روحاً معجّلة إلى عذاب الله، ورأساً منقولة إلى دار خلافة الله، إستنزلوه من معقل إلى عقال، وبدّلوه آجالاً، وقديماً غذت العصبيته أبناءها فحلبت عليهم درّها مرضعة، وركبت بهم مخاطرها موضعة، حتّى إذا وثقوا فأمنوا، وركبوا فاطمأنّوا، وامتدّ رضاع، وآن فطام. فجرت مكان لبنها دما، واعقبتهم من حلو غذائها مرّا، ونقلتهم من عزٍّ إلى ذلّ، ومن فرحة إلى ترحة، ومن مسرّة إلى حسرة، قتلاً وأسراً، وغلبة وقسراً، وقلّ

(١) تاريخ الطبري ٤: ٩٧ و٩٨، سنة ٣٨، والنقل بتلخيص.

من أوضع في الفتنة مرهجا، واَقتحم لهبها مؤجّجا. إلاّ اَستلحمته آخذة بمخنقه، وموهنة بالحق كيده، حتّى جعلته لعاجله جزراً، ولآجله حطباً، وللحق موعظة، وعن الباطل مزجرة، أُولئك لهم خزيٌ في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشدّ وما الله بظلاّم للعبيد.

«قول المصنّف: ومن كلام له عليه السلام لمّا هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية» وكما أخبر عليه السلام بأنّ بني ناجية الّذين خرجوا مع الخرّيت يؤول أمرهم إلى قتل وأسر، وصار كما قال عليه السلام. إستأذنه عليه السلام قوم مصقلة الكتاب إليه برجوعه. فأذن لهم وأخبرهم أنه لا يرجع حتّى يموت. فصار كما قال عليه السلام.

ففي (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أنّه قام إلى عليّ عليه السلام وجوه بكر بن وائل فقالوا: إنّ نعيماً أخا مصقلة يستحي منك بما صنع مصقلة، وقد أتانا اليقين أنّه لا يمنع مصقلة من الرجوع إليك إلّا الحياء، ولم يبسط منذ فارقنا لسانه، ولا يده. فلو كتبنا إليه كتاباً، وبعثنا من قبلنا. فانّا نستحي أن يكون فارقنا مثل مصقلة من أهل العراق إلى معاوية. فقال عليّ عليه السلام: أُكتبوا. فكتبوا: أما بعد! فقد علمنا أنّك لم تلحق بمعاوية رضىً بدينه، ولا رغبة في دنياه، ولم يعطفك عن عليّ عليه السلام طعن فيه، ولا رغبة عنه، ولكن توسطت أمراً. فقويت فيه الظن، وأضعفت فيه الرجاء. فكان أولاهما عندك أن قلت أفوز بالمال، وألحق بمعاوية، ولعمرنا ما اَستبدلت الشام بالعراق، ولا السكاسك بربيعة، ولا معاوية بعليّ عليه السلام، ولا اصبت دنيا تهنأ بها، ولا حظّاً تحسد عليه، وإنّ أقرب ما يكون مع الله أبعد ما يكون مع معاوية. فارجع إلى مصرك. فقد اَغتفر لك أمير المؤمنين عليه السلام الذنب، واحتمل الثقل.

واَعلم أنّ رجعتك اليوم خير منها غداً، وكانت أمس خيراً منها اليوم، وإن كان عليك حياء من الرجوع إلى الحقّ. فما أنت فيه أعظم. فقبّح الله أمراً ليس فيه دنياً ولا آخرة.

فكتب مصقلة إليهم: جاءني كتابكم وإنّي أخبركم أنّ من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير، وقد علمتم الأمر الّذي قطعني من عليّ، وأضاغني إلى معاوية وقد علمت أني لو رجعت إلى عليّ وإليكم لكان ذنبي مغفوراً، ولكنّي أذنبت إلى معاوية. فلو رجعت إلى عليّ أحدثت عيبا وأحييت عاراً، وكنت بين لائمين أوّلهما خيانة، وآخرهما غدر، ولكنّي أُقيم بالشام. فان غلب معاوية فداري العراق، وإن غلب عليّ فداري أرض الروم. فأمّا الهوى فإليكم طائر، وكانت فرقتي عليّاً على بعض العذر أحبّ إليّ من فرقتي معاوية ولا عذر لي. فرجع الرسول بالكتاب. فأقرأه عليّاً. فقال: كفّوا عن صاحبكم فليس براجع حتّى يموت[١].

وفي (بلدان البلاذري): ولّى معاوية مصقلة طبرستان وجميع أهلها حرب وضمّ إليه عشرة آلاف ـ ويقال عشرين ألفاً ـ فكاده العدو وأروه الهيبة له حتّى توغّل بمن معه في البلاد. فلمّا جاوزوا المضائق؛ أخذها العدوّ عليهم، وهدّوا الصخور من الجبال على رؤوسهم. فهلك ذلك الجيش أجمع، وهلك مصقلة فضرب الناس به المثل فقالوا «حتّى يرجع مصقلة من طبرستان»[٢].

«وكان قد ابتاع سبي بني ناجية» في (الأعاني) وناجية أُمّهم بنت جرم بن أبان وهو علاف، وهو أوّل من اتّخذ الرحال العلافيه. فنسبت إليه، وأسمها ليلي سمّيت ناجية لأنّها سارت في مفازة معه. فعطشت فاستسقته. فقال لها: الماء بين يديك وهو يريها السراب حتّى جاءت الماء. فشربت وسمّيت ناجية[٣].

---

(١) الامامة والسياسة ١: ٨٧ ـ ٨٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) فتوح البلدان للبلاذري: ٣٣٠.

(٣) الأغاني ١٠: ٢٠٥، والنقل بتصرف يسير.

وفي عليّ بن الجهم الناجي: يدّعون أنّهم من سامة بن لؤي بن غالب، وتدفعهم قريش عن ذلك، وتسمّيهم بني ناجية ـ ينسبون إلى أُمّهم ناجية إمرأة سامة بن لوى ـ وكان سامة في ما يقال خرج إلى ناجية البحرين مغاضباً لأخيه كعب بن لؤي في مماظّة كانت بينهما. فطأطأت ناقته رأسها إلى الأرض لتأخذ شيئاً من العشب. فعلق بمشفرها أفعى فعطفته على قتبها فحكّته به. فدبّ الأفعي على القتب حتّى نهش ساق سامة فقتله، وكانت معه امرأته ناجية. فتزوجت رجلاً من أهل البحرين. فولدت منه الحرث، ومات أبوه، وهو صغير. فلمّا ترعرع طمعت أُمّه في أن تلحقه بقريش. فأخبرته أنه ابن سامة بن لؤي. فرحل من البحرين إلى كعب بن لؤي، وأخبره أنّه ابن أخيه سامة بن لؤي. فعرف كعب أُمّه، وظنّه صادقاً في دعواه، ومكث عنده مدّة حتّى قدم مكّة ركب من أهل البحرين فرأوا الحرث. فسلّموا عليه، وحادثوه ساعة فقال لهم كعب: من أين تعرفونه؟ قالوا له: هذا ابن رجل من أهل بلدنا يقال له فلان ـ وشرحوا له خبره ـ فنفاه كعب ونفى أُمّه. فرجعا إلى البحرين فكانا هناك، وتزوّج الحرث وأعقب، وعن النبيّ ﷺ عمّي سامة لم يعقب.

ثمّ نقل عن ابن الكلبي كون الحرث بن سامة، وأنّ ناجية لم تكن أمّه بل أُمّ أخيه غالب، وأنّ الحرث خلف عليها بعد أبيه سامة، وهلك ولم يعقب. قال ومثله الهيثم بن عدي: وإنّما بنو ناجية انتموا إلى الحرث بن سامة باطلاً[١].

وفي (أنساب البلاذري) عن هشام بن محمّد الكلبي عن أبيه عن عدّة عن عليّ عليه السلام قال: سامة حق، أمّا العقب فليس له، وقال قوم: كان لناجية ولد من غير سامة، وكان سامة متبنّيا له. فنسب إليه. فالعقب لذلك الولد[٢].

---

(١) الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني ١٠: ٢٠٣ ـ ٢٠٥، والنقل بتلخيص.

(٢) أنساب الاشراف للبلاذري ١: ٤٦ ـ ٤٧.

وقال ابن أبي الحديد: وفي (الأغاني) في مروان بن أبي حفصة: عليّ بن الجهم خطب امرأة من قريش. فلم يزوّجوه، وبلغ المتوكّل ذلك. فسأل عن السبب فحدّث بقصّة بني سامة بن لؤي، وأنّ أبابكر وعمر لم يدخلاهم في قريش، وأنّ عثمان أدخلهم فيها، وأنّ علياً عليه السلام أخرجهم منها. فارتدّوا، وأنّه قتل من ارتدّ منهم، وسبى بقيتهم. فباعهم من مصقلة بن هبيرة. فضحك المتوكّل، وبعث إلى عليّ بن الجهم. فأحضره، وأخبره بما قال القوم، وكان فيهم مروان بن أبي حفصة ـ وكان المتوكّل يغريه بعليّ بن الجهم وهجائه ـ فقال:

إنّ جهماً حين تنسبه ... ليس من عجم ولا عرب
لجّ في شتمي بلا سبب ... سارق للشعر والنسب
من أُناس يدّعون أباً ... ماله في الناس من عقب

فغضب عليّ بن الجهم، ولم يجبه لأنه كان يستحقره فأومأ إليه المتوكّل أن يزيده فقال:

أءنتم يا ابن جهم من قريش ... وقد باعوكم ممّن يزيد
أترجو أن تكاثرنا جهاراً ... بأصلكم وقد بيع الجدود؟!

ولمّا أخذ بنو ناجية يوم الجمل بخطام جمل عايشة قالت لهم: صبراً فإنّي أعرف فيكم شمائل قريش[1].

وفي (مروج المسعودي) أبى كثير من الناس كون بني ناجية من ولد سامة وقالوا: إنّ سامة ما أعقب. قال عليّ بن محمّد بن جعفر العلوي في من انتمى إلى سامة بن لؤي:

وسامة منّا فأمّا بنوه ... فأمرهم عندنا مظلم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

أُنــاس أتــونا بأنســابهم خــرافــة مــضطجع يـحلم
وقلنا لهم مثل قول الوصـي وكــلّ أقــاويله مــحكم
إذا مــا سـئلت فلم تـدرما تــقول؛ فــقل: ربّــنا أعــلم

ولست ترى أحداً منهم إلاّ منحرفا عن عليّ عليه السلام، وبلغ من انحراف عليّ بن الجهم الناجي أنه كان يلعن أباه. فسئل عن ذلك. فقال بتسميته إيّاي عليّاً[1].

وفي (الأغاني): سمع أبو العيناء عليّ بن الجهم يوماً يطعن على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أنا أدري لم تطعن عليه. فقال له: أتعني قصّة بيعة أهلي من مصقلة؟ قال: لا أنت أوضع من ذلك، ولكن لأنّه قتل الفاعل فعل قوم لوط والمفعول به وأنت اسفلهما. وفيه يقول البحتري:

إذا مــا حــصّلت عَــليا قـريش فــلا فـي العـير أنت ولا النّـفير
ولو أعــطاك ربّك مــا تــمنّى لزاد الخـلقَ فــي عِـظَمِ الأُيـور
عــلام هــجوت مـجتهداً عـليّاً بــما لفّــقت مـن كـذب وزور؟
أما لك في آستك الوجعاءِ شغلٌ يكــفّك عـن أذى أهـل القـبور؟

وأدخلهم الزبير بن بكار في قريش لمخالفة فعل أمير المؤمنين عليه السلام لإجماعهم على بغضه حسب المشهور من مذهب الزبير...[2].

قلت: وسبقه في ذلك عمّه مصعب الزبيري، ولابدّ أنّهما قلّدا خالة جدّهما عائشة باشتراك بغضهم له عليه السلام مثل بني ناجيه. قال مصعب في (نسب قريشه): عبدالبيت بن الحارث بن سامة، هم الّذين قتلهم عليّ، وكان رئيسهم الخرّيت[3].

---

(١) مروج الذهب ٢: ٤٠٧ ـ ٧٠٨، والنقل بتصرف.

(٢) الاغانى ١: ٢٠٥ ـ ٢٠٦، والنقل بتصرف يسير.

(٣) نسبت قريش: ٤٤٠ .

هذا وفي (البيان) مرّ ابن أبي علقمة الموسوس بمجلس بني ناجية فكبا حماره لوجهه. فضحكوا منه. فقال: ما يضحككم؟ رأى وجوه قريش فسجد[1].

«من عامل أمير المؤمنين عليه السلام» يعني أمير جنده معقل بن قيس وإلاّ فمصقلة كان عامله عليه السلام على أردشيرخُرّه.

ففي (تاريخ الطبري): أقبل معقل ببني ناجيه حتّى مرّ بهم على مصقلة بن هبيرة الشيباني -وهو عامل عليّ عليه السلام على أردشيرخُرَّه- وهم خمسمئة انسان. فبكى النساء والصبيان، وصاح الرجال: يا أباالفضل! يا حامي الرجال وفكّاك العناة! اُمنن علينا فاشترنا. فقال مصقلة: اُقسم بالله لأتصدقنّ عليهم إنّ الله يجزي المتصدّقين. فبلغها عنه معقل. فقال: والله لو أعلم أنه قاله توجُّعاً لهم وإزراءً عليكم لضربت عنقه، ولو كان في ذلك تفاني تميم وبكر بن وائل.

ثمّ إنّ مصقلة بعث ذهل بن الحارث الذهلي إلى معقل. فقال له: بعني بني ناجية. فقال: نعم أبيعهم بألف ألف. ودفعهم إليه وقال له: عجّل بالمال إلى أمير المؤمنين عليه السلام. فقال: أنا باعث الآن بصدر، ثمّ أبعث بصدر آخر كذلك، حتّى لا يبقى منه شيء، وأقبل معقل إلى عليّ عليه السلام وأخبره بما كان منه في ذلك. فقال له: أحسنت، وأصبت، وانتظر على مصقلة أن يبعث إليه بالمال، وبلغ عليّاً عليه السلام أنّ مصقلة خلّى سبيل الأُسارى، ولم يسألهم أن يعينوه في فكاك أنفسهم بشيء. فقال عليه السلام: «ما أظن مصقلة إلاّ قد تحمّل حمالة إلا أراكم سترونه عن قريب ملبّدا».

ثمّ إنّه عليه السلام كتب إليه: «أما بعد! فإنّ من أعظم الخيانة خيانة الأُمّة، وأعظم الغشّ على أهل المصر غشّ الإمام، وعندك من حقّ المسلمين خمسمئة ألف.

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٣: ٣٢٣.

فابعث بها إليّ ساعة يأتيك رسولي، وإلاّ فأقبل حين تنظر في كتابي فإنّي قد تقدّمت إلى رسولي إليك لا يدعك أن تقيم ساعة واحدة بعد قدومه عليك إلّا أن تبعث بالمال» ـ وكان الرسول أبا جرّة الحنفي ـ.

فقال له أبو جرّة: إبعث بالمال الساعة، وإلاّ فاشخص إلى أمير المؤمنين عليه السلام فلمّا قرأ كتابه أقبل حتّى نزل البصرة ـ إلى أن قال ـ ثمّ أقبل حتّى أتى علياً عليه السلام فأقرّه أيّاماً ثمّ سأله المال. فأدّى إليه مئتي ألف ثمّ إنّه عجز فلم يقدر عليه.

وقال ذهل بن الحرث: دعاني مصلقة إلى رحله. فقدّم عشاؤه. فطعمنا منه ثمّ قال: والله إنّ أمير المؤمنين يسألني، ولا أقدر عليه. فقلت له: والله لو شئت ما مضت عليك جمعة حتّى تجمع جميع المال. فقال: والله ما كنت لأحمّلها قومي، ولا أطلب فيها إلى أحد ثمّ قال: أما والله لو أنّ ابن هند هو طالبي بها أو آبن عفّان لتركها لي، ألم تر إلى آبن عفان حيث أطعم الأشعث من خراج آذربيجان مأة ألف في كلّ سنة.

فقلت له: إنّ هذا لا يرى هذا الرأي لا والله ما هو بباذل شيئاً كنت أخذته فما مكث إلاّ ليلة حتّى لحق بمعاوية، وبلغ ذلك علياً عليه السلام فقال: «ماله برّحه الله! فعل فعل السيّد، وفرّ فرار العبد، وخان خيانة الفاجر. أما والله إنّه لو أقام فعجز مازدنا على حبسه. فإن وجدنا له شيئاً أخذناه؛ وإن لم يقدر على مال تركناه» ثمّ سار إلى داره فنقضها وهدمها، وكان أخوه نعيم بن هبيرة شيعياً مناصحاً لعليّ عليه السلام وكتب إليه مصقلة من الشام مع رجل من النصارى من بني تغلب يقال له حلوان: إني كلّمت معاوية فيك فوعدك الإمارة، ومنّاك الكرامة، فأقبل إليّ ساعة يلقاك رسولي. فأخذه مالك بن كعب الأرحبي. فسرّح به إلى عليّ عليه السلام فأخذ كتابه. فقرأه. فقطع يد النصراني فمات فكتب نعيم إلى مصقلة:

لا ترمينّ ـ هداك الله ـ معترضاً بالظنّ منك فما بالي وحلوانا

ذاك الحريص على ما نال من طمع وهو البعيد فلا يحزنك إذ خانا
ماذا أردت إلى إرساله سفهاً ترجو سقاط امرئ لم يلق وسنانا
عرّضته لعليّ إنّه أسد يمشي العرنضي من آساد خفّانا
قد كنت في منظر عن ذا ومستمع تحمي العراق وتدعى خير شيبانا
حتّى تقحّمت أمراً كنت تكرهه للراكبين له سرّاً وإعلانا
لو كنت أدّيت ما للقوم مصطبراً للحقّ أحييت أحيانا وموتانا
لكن لحقت بأهل الشام ملتمساً فضل ابن هند وذاك الرأي أشجانا
فاليوم تقرع سنّ الغرم من ندم ماذا تقول وقد كان الّذي كانا
أصبحت تبغضك الأحياء قاطبةً لم يرفع الله بالبغضاء إنسانا

ورواه (غارات الثقفي)، وزاد على نقل ابن أبي الحديد وقيل لعليّ عليه السلام حين هرب مصقلة: أردد الذين سُبُوا ولم تستوف أثمانهم، في الرق. فقال: ليس ذلك في القضاء بحق. قد عتقوا إذ أعتقهم الّذي آشتراهم، وصار مالي ديناً على الّذي آشتراهم[1].

«واعتقه» هكذا في (المصرية)، والصواب (وأعتقهم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2].

«فلمّا طالبه بالمال خاس به» أي: غدر به.

«وهرب إلى الشام» وفي (أمثال الكرماني): وقال مصقلة لمّا هرب منه عليه السلام ولحق بمعاوية.

وفارقت خير الناس بعد محمّد لمالٍ قليل لا محالة ذاهب

---

(١) رواه الطبري في تاريخه ٤: ٩٩ ـ ١٠١، سنة ٣٨، والثقفي في الغارات ١: ٣٦٢ ـ ٣٧٠، وعنه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٧١، شرح الخطبة ٤٤.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٦١، وشرح ابن ميثم ٢: ١١٥، مثل المصرية أيضاً.

قوله عليه السلام «قبّح الله مصقلة» في (الصحاح): قبّحه الله أي: نحّاه عن الخير[1].

«فعل فعل السادات» هكذا في (المصرية)، والصواب: (السادة) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[2] ثمّ فعله فعل السادة بشرائه السبي وعتقهم.

«وفرّ فرار العبيد» لئلاّ يؤدي الثمن.

«فما أنطق مادحه» في شراء السبي وعتقهم. وقال الأخطل في ذلك:

وَسَلْ بمصقلة البكري ما فعلا ... بملتف ومفيد لا يمنّ ولا

تهلكه النفس في ما فاته عذلا

ـ إلى أن قال ـ:

وقد فككت عن الأسرى وثاقهم ... وليس يرجون تلجأ ولا دخلا

وقد تنفذتهم من قعر مظلمة ... إذا الجبان رأى أمثالها زحلا

فهم فداؤك إذ يبكون كلهم ... ولا يرون لهم جاها ولا نفلا

ما في معدّ فتى يغني رباعته ... إذا يهمّ بأمر صالح عملا

ـ الخ ـ كما في ديوانه[3]، وقال آخر:

ومصلقة الّذي قد باع بيعاً ... ربيحاً يوم ناجية بن سالم

«حتّى أسكته» بفراره. قال عمرو بن معديكرب كما في بيان الجاحظ وغيره:

فلو أنّ قومي أنطقتني رماحهم ... نطقت ولكنّ الرماح أجرّت

---

(١) صحاح اللغة ١: ٣٩٣، مادة (قبح).

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٦١، ولفظ شرح ابن ميثم ٢: ١١٥، مثل المصرية.

(٣) ديوان الاخطل: ١٤٣ و١٤٥.

قال الجاحظ: أي لم يطعن قومي بالرماح. فأثني عليهم، ولكنّهم فرّوا فأمسكت كالمجرّ الّذي في فمه جرار ـ أي عود يعرض في فم الفصيل لئلاّ يرتضع ـ[1].

«ولا صدّق واصفه حتّى بكّته» أي: عنّفه. قال بشار في بعضهم:

أثنى عليك ولى حال تكذّبني في ما أقول فاستحي من الناس
قد قلت إنّ أبا حفصٍ لأكرم من يمشي فخاصمني في ذلك إفلاسي

هذا، وقال القطامي في يزيد بن المهلّب:

لعل عيني أن ترى يزيدا يقود جيشا جحفلا شديدا
تسمع للأرض به وئيدا

ثمّ إنّه سار بعد ذلك إلى العقر حتّى شهد مع مسلمة بن عبدالملك قتال يزيد. فقال يزيد: ما أبعد شعر القطامي من فعله.

هذا، ومدح شاعرٌ الحسن بن سهل ـوظن الحسن أنّ همّته قصيرةـ فقال له: إحتكم. فقال: ألف ناقة. فوجم الحسن ولم يمكنه، وكره أن يفتضح، وقال: يا هذا إنّ بلادنا ليست بلاد إبل، ولكن ما قال امرؤ القيس:

إذا ما لم يكن إبل فمعزى كأنّ قرون جلّتها العصيُّ

ثمّ أمر يحيى بن خاقان أن يعطيه بكلّ شاة ديناراً. هذا، ولبعضهم:

مدح الفضل نفسه بالفعال فعلا عن مديحنا بالمقال
أمروني بمدحه قلت كلاّ كبر الفضل عن مديح الرجال

«ولو أقام لأخذنا ميسوره» من ثلاثمئة ألف بقيت عليه على رواية الطبري، ومن مئة ألف على رواية المسعودي[2].

---

(١) رواه الجاحظ في البيان ١: ٣٣٧، وابن منظور في لسان العرب ٤: ١٢٦، مادة (جرّ).

(٢) تاريخ الطبري ٤: ١٠٠، سنة ٣٨، ومروج الذهب ٢: ٤٠٨.

«وأنتظرنا بماله وفوره» مصدر وفر الشيء أي: كثر. وفي (الصحاح) قولهم: «توفر وتحمد» يضرب هذا المثل للرجل تعطيه الشيء فيردّه عليك من غير تسخط[١].

١١
الخطبة (١٣)

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عليه السلام فِي ذَمِّ أَهْلِ ٱلْبَصْرَةِ:

كُنْتُمْ جُنْدَ ٱلْمَرْأَةِ. وَأَتْبَاعَ ٱلْبَهِيمَةِ. رَغَا فَأَجَبْتُمْ. وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ. أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ. وَٱلْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، وَٱلشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ. كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ قَدْ بَعَثَ ٱللهُ عَلَيْهَا ٱلْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا وَغَرِقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا. (وَفِي رِوَايَةٍ) وَٱيْمُ ٱللهِ لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ، حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ. أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ. (وَفِي رِوَايَةٍ) كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ. (وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى) بِلَادُكُمْ أَنْتَنُ بِلَادِ ٱللهِ تُرْبَةً: أَقْرَبُهَا مِنَ ٱلْمَاءِ وَأَبْعَدُهَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ. وَبِهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ ٱلشَّرِّ. ٱلْمُحْتَبَسُ فِيهَا بِذَنْبِهِ وَٱلْخَارِجُ بِعَفْوِ ٱللهِ. كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قَرْيَتِكُمْ هٰذِهِ قَدْ طَبَّقَهَا ٱلْمَاءُ، حَتَّى مَا يُرَى مِنْهَا إِلاَّ شُرَفُ ٱلْمَسْجِدِ كَأَنَّهُ جُؤْجُؤُ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ.

الخطبة (١٤)

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عليه السلام فِي مِثْلِ ذٰلِكَ:

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ ٱلْمَاءِ. بَعِيدَةٌ مِنَ ٱلسَّمَاءِ. خَفَّتْ عُقُولُكُمْ، وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ. فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ، وَأُكْلَةٌ لِآكِلٍ، وَفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ.

---

(١) صحاح اللغة ٢: ٨٤٧، مادة (وفر).

أقول: رواها أبوحنيفة الدينوري في (اخبار طواله)، وابن قتيبة في (عيونه) وابن عبد ربه في (عقده)، وسبط ابن الجوزي في (تذكرته)، والمسعودي في (مروجه) والحموي في (معجمه)، ورواها القمي في (تفسيره)، والمفيد في (جمله). وابن ميثم في (شرحه).

قال الأوّل: دخل عليّ عليه السلام البصرة فأتى مسجدها الأعظم واجتمع الناس إليه. فصعد المنبر. فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ قال: «أمّا بعد! فانّ الله ذو رحمة واسعة، وعقاب أليم. فما ظنكم بي يا أهل البصرة جند المرأة، وأتباع البهيمة. رغا فقاتلتم، وعقر فانهزمتم. أخلاقكم دقاق وعهدكم شقاق، وماؤكم زعاق. أرضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء وأيم الله ليأتينّ عليها زمان لا يرى منها إلاّ شرفات مسجدها في البحر، مثل جؤجؤ السفينة ـإلى أن قال ـ وشخص عليّ عليه السلام عن البصرة واستعمل عليها عبدالله بن عباس. فلما انتهى إلى المربد التفت إلى البصرة ثمّ قال: «الحمد لله الّذي أخرجني من شرّ البقاع تراباً، وأسرعها خراباً، وأقربها من الماء، وأبعدها من السماء»[1].

وقال الثاني: رقى عليّ عليه السلام في البصرة المنبر. فقال: يا أهل البصرة، ويا بقايا ثمود. يا أتباع البهيمة، ويا جند المرأة. رغا فاتّبعتم، وعُقر فانهزمتم، دينكم نافق، وأحلامكم دقاق، وماؤكم زعاق. يا أهل البصرة والبصيرة، والسبخة والخريبة. أرضكم أبعد أرض من السماء، وأقربها من الماء، وأسرعها خراباً وغرقاً.

ومثله السادس ـوزادـ ألا إني سمعت رسول الله عليه السلام يقول: أما علمت أنّ جبرئيل حمل جميع الأرض على منكبه الأيمن. فأتاني بها، ألا أني وجدت

---

(١) الاخبار الطوال: ١٦١.

البصرة أبعد بلاد الله من السماء، وأقربها من الماء، وأخبثها تراباً، وأسرعها خراباً، ليأتينَّ عليها يوم لا يرى منها إلاّ شرفات جامعها كجؤجؤ السفينة في لجّة البحر ـ إلى أن قال ـ وفي رواية ـ قال: أمّا بعد. فإنّ الله ذو رحمة واسعة. فما ظنّكم يا أهل البصرة، يا أهل السبخة، يا أهل المؤتفكة إئتفكت بأهلها ثلاثاً، وعلى الله الرابعة يا جند المرأة ـ إلى أن قال ـ حتّى صار إلى المربد، والتفت، وقال: الحمد لله الّذي أخرجني من شرّ البقاع تراباً، وأسرعها خراباً...[1].

وقال الثالث: لمّا انقضى أمر الجمل؛ دعا عليّ عليه السلام بآجرتين فعلاهما فحمد الله، وأثنى عليه. ثمّ قال: «يا أنصار المرأة وأصحاب البهيمة. رغا فجئتم، وعُقر فهربتم. نزلتم شر بلاد وأبعدها من السماء، بها مغيض كلّ ماء، ولها شر أسماء هي البصرة، والبصيرة، والمؤتفكة وتدمر»[2].

وقال الرابع: قال عليّ عليه السلام: يا جند المرأة، وأتباع كلّ ناعق. ماؤكم زعاق، ودينكم نفاق. دعاكم الشيطان فأجبتم، وعُقر فعقرتم. كأنّي أنظر إلى مسجدكم قد بعث الله عليه العذاب من فوقه ومن تحته. فهو كجؤجؤ سفينة أو كنعام جاثمة، أو كجؤجؤ طائر في لجّة بحر. أرضكم بعيدة من السماء قريبة من الماء. خفّت عقولكم، وسفهت أحلاكم[3].

وقال الخامس: وخطب عليّ عليه السلام بالبصرة خطبته الطويلة الّتي يقول فيها: يا أهل السبخة! يا أهل المؤتفكة إئتفكت بأهلها من الدهر ثلاثاً، وعلى الله تمام الرابعة. يا جند المرأة يا أتباع البهيمة...[4].

---

(١) عيون الأخبار ١: ٢١٦، ومعجم البلدان ١: ٤٣٦، واللفظ للمعجم.

(٢) العقد الفريد ٥: ٧٢ و٤: ١٤٦.

(٣) تذكرة الخواص: ٧٩.

(٤) مروج الذهب ٢: ٣٦٨.

وقال القمّي في سورة النجم في قوله تعالى: ﴿والمؤتفكة أهوى﴾[1] المؤتفكة البصرة، والدليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: يا أهل البصرة ويا أهل المؤتفكة. يا جند المرأة، وأتباع البهيمة. رغا فأجبتم، وعقر فهربتم. ماؤكم زعاق، وأخلاقكم رقاق، فبكم ختم النفاق ولعنتم على لسان سبعين نبيّاً. إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني أنّ جبرئيل أخبره أنه طوى له الأرض. فرأي البصرة أقرب الأرضين من الماء، وأبعدها من السماء، وفيها تسعة أعشار الشر، والداء العضال، المقيم فيها مذنب، والخارج منها برحمة. وقد ائتفكت بأهلها مرّتين، وعلى الله تمام الثالثة وتمام الثالثة في الرجعة[2].

وقال المفيد: روى نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن أبي خالد، عن عبدالله بن عاصم، عن محمّد بن بشير الهمداني، عن الحرث بن سريع قال: لمّا ظهر عليّ عليه السلام على أهل البصرة، وقسّم ما حواه العسكر قام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أيّها الناس! إنّ الله عزّ وجلّ ذو رحمة واسعة، ومغفرة دائمة لأهل طاعته، وقضى أنّ نقمته وعقابه على أهل معصيته. يا أهل البصرة! يا أهل المؤتفكة، ويا جند المرأة وأتباع البهيمة؛ رغا فرجفتم، وعُقر فانهزمتم، أحلامكم دقاق، وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق، وأنتم فسقة مرّاق، أرضكم قريبة من الماء، بعيدة من السماء. خفّت عقولكم وسفهت أحلامكم. شهرتم سيوفكم علينا، وسفكتم دماءكم، وخالفتم إمامكم. فأنتم أُكلة الآكل، وفريسة الظافر، والنار لكم مدّخر، والعار لكم مفخر.

يا أهل البصرة! نكثتم بيعتي، وظاهرتم عليّ ذوي عداوتي. فما ظنّكم يا

---

(١) النجم: ٥٣.

(٢) تفسير القمي ٢: ٣٢٩.

أهل البصرة الآن؟ فقام إليه رجل منهم. فقال: نظنّ خيراً يا أمير المؤمنين ونرى أنك ظفرت وقدرت. فإن عاقبت فقد أجرمنا، وإن عفوت فالعفو أحبّ إلى ربّ العالمين. فقال عليه السلام: قد عفوت عنكم. فإيّاكم والفتنة. فإنكم أوّل من نكث البيعة، وشق عصا الأمّة. فارجعوا من الحوبة، وأخلصوا في ما بينكم وبين الله بالتوبة(١).

وقال ابن ميثم روي أنه قال: يا أهل المؤتفكة. إئتفكت بأهلها ثلاثاً، وعلى الله تمام الرابعة. يا جند المرأة، وأعوان البهيمة. رغا فأجبتم، وعُقر فانهزمتم. أخلاقكم دقاق، وماؤكم زعاق. بلادكم أنتن بلاد الله تربة وأبعد من السماء. بها تسعة أعشار الشر، المحتبس فيها بذنبه، والخارج منها بعفو الله، كأنّي أنظر إلى قريتكم هذه، وقد طبّقها الماء حتّى ما يرى منها إلّا شرف المسجد كأنه جؤجؤ طير في لجّة بحر.

فقام إليه الأحنف بن قيس. فقال: يا أمير المؤمنين! متى ذلك؟ قال: «إذا صارت أجمتكم قصوراً».

وبعد هذا الفصل من الخطبة فصول لا تعلق لها بهذا الموضع.

إلى أن قال في فصل آخر من هذه الخطبة مادحاً ـ:

«يا أهل البصرة إنّ الله لم يجعل لأحد من أمصار المسلمين خطّة شرف ولا كرم إلّا وقد جعل فيكم أفضل ذلك، وزادكم من فضله بمنّه ما ليس لهم. أنتم أقوم الناس قبلة. قبلتكم على المقام حيث يقوم الإمام بمكة، وقارئكم أقرأ الناس، وزاهدكم أزهد الناس، وعابدكم أعبد الناس، وتاجركم أتجر الناس، وأصدقهم في تجارته، ومصدقكم أكرم الناس صدقة، وغنيكم أشد الناس بذلاً وتواضعاً، وشريفكم أحسن الناس خلقاً، وأنتم أكرم الناس جواراً،

---

(١) الجمل: ٢١٧.

وأقلّهم تكلّفاً لما لا يعينه، وأحرصهم على الصلاة في جماعة، ثمرتكم أكثر الثمار، وأموالكم أكثر الأموال، وصغاركم أكيس الأولاد، ونساؤكم أقنع الناس، وأحسنهن تبعّلا. سخّر لكم الماء يغدو عليكم ويروح صلاحا لمعاشكم، والبحر سبباً لكثرة أموالكم. فلو صبرتم، واستقمتم لكانت شجرة طوبى لكم مقيلاً، وظلاً ظليلاً. غير أنّ حكم الله فيكم ماض، وقضاءه نافذ، لا معقّب لحكمه وهو سريع الحساب. يقول الله ﴿وإن من قرية إلاّ نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذّبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾[1].

وأقسم لكم يا أهل البصرة ما الّذي ابتدأتكم به من التوبيخ إلاّ تذكيراً وموعظة لما بعد. لكيلا تسرعوا إلى الوثوب في مثل الّذي وثبتم، وقد قال الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿وذكّر فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين﴾[2] ولا الّذي ذكرت فيكم من المدح والتطريه بعد التذكير والموعظة رهبة منّي لكم، ولا رغبة في شيء ممّا قبلكم. فإنّي لا أريد المقام بين أظهركم إن شاء الله لأمور تحضرني قد يلزمني القيام بها في ما بيني وبين الله لا عذر لي في تركها، ولا علم لكم بشيء منها حتّى يقع ممّا أريد أن أخوضها مقبلاً ومدبراً. فمن أراد أن يأخذ بنصيبها منه فليفعل. فلعمري إنّه للجهاد الصافي صفّاه لنا كتاب الله، ولا الّذي أردت به من ذكر بلادكم موجدة منّي عليكم لما شاقهتموني غير أنّ النبيّ ﷺ قال لي يوماً ـ وليس معه غيري ـ يا عليّ! إنّ جبرئيل الروح الأمين حملني على منكبه الأيمن حتّى أراني الأرض ومن عليها، وأعطاني أقاليدها، وعلّمني ما فيها، وما قد كان على ظهيرها، وما يكون إلى يوم القيامة، ولم يكبر ذلك عليّ كما لم يكبر على أبي آدم. علّمه

---

(١) الاسراء: ٥٨.

(٢) الذاريات: ٥٥.

الأسماء ولم يعلمها الملائكة المقرّبين.

وإنّي رأيت بقعة على شاطئ البحر تسمّى البصرة. فإذا هي أبعد الأرض من السماء، وأقربها من الماء، وأنّها لأسرع الأرض خراباً، وأخبثها تراباً، وأشدّها عذاباً، ولقد خسف بها في القرون الخالية مراراً، وليأتينّ عليها زمان إنّ لكم يا أهل البصرة، وما حولكم من القرى، من الماء ليوماً عظيماً بلاؤه، وإنّي لأعرف موضع منفجره من قريتكم هذه. ثمّ أمور قبل ذلك تدهمكم عظيمة أُخفيت عنكم، وعلمناها. فمن خرج عنها عند دنوّ غرقها. فبرحمة من الله سبقت له، ومن بقي فيها غير مرابط بها فبذنبه. وما الله بظلّام للعبيد[1].

هذا، وروى ابن قتيبة في (عيونه) عن الحسن البصري ـ خبر الذم ـ إلى أن قال بعد قوله: وعُقر فانهزمتم ـ أما أني لا أقول رغبة فيكم، ولا رهبة منكم غير أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: تفتح أرض يقال لها البصرة أقوم الأرضين قبلةً. قارئها أقرأ الناس، وعابدها أعبد الناس، وعالمها أعلم الناس، ومتصدّقها أعظم الناس صدقة، وتاجرها أعظم الناس تجارة. منها إلى قرية يقال: لها الأُبلّة أربعة فراسخ يستشهد عند مسجد جامعها أربعون ألفا، الشهيد منهم يومئذٍ كالشهيد معي يوم بدر».

ورواه الحموي لكن فيه «يستشهد عند مسجد جامعها، وموضع عشورها ثمانون ألف شهيد»[2].

قول المصنّف «ومن كلام له ﷺ في ذم أهل البصرة» هكذا في (المصرية)، ولكن في ابن ميثم: «في ذم البصرة وأهلها» ومثله في الخطيّة، وكذا في ابن أبي الحديد في نسخة فهو الصواب[3].

---

(١) شرح ابن ميثم ١: ٢٨٩ ـ ٢٩٣.

(٢) عيون الاخبار ١: ٢١٦، ومعجم البلدان ١: ٤٣٦.

(٣) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٣، وشرح ابن ميثم ١: ٢٨٩، مثل المصرية أيضاً.

وفي (الجمهرة): «البصرة حجارة رخوة، وبه سمّيت البصرة لأنّ أرضها الّتي بين العقيق، وأعلى المربد كذلك، وهو الموضع الّذي يسمّى الحزيز. قال الشاعر ذو الرمة:

تداعين باسم الشيب في متثلّم جوانبه من بصرة وسلام[١]

وفي (المعجم) قال ابن الأنباري: البصرة في كلام العرب الأرض الغليظة، وقال ابن الأعرابي: البصرة حجارة صلاب. وذكر الشرقي بن القطامي أنّ المسلمين حين وافوا مكان البصرة للنزول بها نظروا إليها من بعيد، وأبصروا الحصى عليها. فقالوا إنّ هذه أرض بصرة، يعنون حصبة.

وذكر أحمد بن محمّد الهمداني، عن محمّد بن شرحبيل بن حسنة قال: سمّيت البصرة لأنّ فيها حجارة سوداء صلبة. قال الطرماح بن حكيم:

مؤلفة تهوي جميعاً كما هوى من النيق فوق البصرة المتطحطح

وقال الازهري: البصر الحجارة إلى البياض ـ بالكسر ـ فاذا جاءوا بالهاء قالوا بصرة.

وقال حمزة الاصبهاني: قال موبذ بن اسوهشت: البصرة تعريب «بس راه» لأنّها كانت ذات طرق كثيرة، انشعبت إلى أماكن مختلفة.

وعن نافع بن الحارث بن كلدة أن ثابت السدوسي قال لعمر: إنّي مررت بمكان دون دجلة فيه قصر، وفيه مسالح للعجم يقال له: الخُرَيبة، ويسمّى أيضاً البُصيرة بينه وبين دجلة أربعة فراسخ، له خليج بحريٌّ فيه الماء إلى أجمة قصب. فأعجب ذلك عمر...

ويقال في النسب إليها: البصري ـ بالكسر. فيغيّر كما يقال في النسب

---

(١) جمهرة اللغة ١: ٢٥٩.

إلى اليمن يمانٍ، وإلى تهامة تهامٍ، وإلى الري رازي[١].

وقالوا: البصرة عثمانية، والكوفة علوية، والشام أُموية، والجزيرة خارجية، والحجاز سنيّة.

وعن (غارات الثقفي): أنّ رجلا قال لعليّ عليه السلام : أتيتك من بلد ما تركت به لك محبّا. قال: من أين أتيت؟ قال: من البصرة. قال: أما إنّهم لو يستطيعون أن يحبّوني لأحبّوني إنّي وشيعتي في ميثاق الله لا يزداد فينا رجل، ولا ينقص إلى يوم القيامة.

وعنه: أنّ عبيدالله بن زياد بنى مساجد بالبصرة تقوم على بغض عليّ عليه السلام والوقيعة فيه: مسجد بني عدي، ومسجد بني مجاشع، ومسجد كان في العلاّفين على فرضة البصرة، ومسجد في الأزد[٢].

قوله عليه السلام : «كنتم جند المرأة» وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا بلغه أنّ أهل فارس ملّكوا عليهم بنت كسرى كما في (تذكرة سبط ابن الجوزي)، أو لمّا ذكر عنده ملكة سبأ كما في (عيون القتيبي وجمل المفيد): «لا أفلح قوم تدبّرهم آمرأة» وأراد أبو بكرة اللحوق بطلحة والزبير. فلمّا سمع أنّ عائشة هي المتولّية لأمرهم تذكّر قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عند ذاك انصرف[٣].

وروى أيضاً أنه تذكر قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «إنّ قوما يخرجون بعدي في فتنة رأسها آمرأة لا يفلحون أبداً» فانصرف[٤].

---

(١) معجم البلدان ١: ٤٣٠، والنقل بتصرف.

(٢) الغارات ٢: ٥٥٥ و٥٥٨.

(٣) أخرج السبط في التذكرة: ٦٧، والمفيد في الجمل: ١٥٩ و١٦٠، وأيضاً البخاري في صحيحه ٤: ٢٢٨، والترمذي في سننه ٤: ٥٢٧ ح ٢٢٦٢، والنسائي في سننه ٨: ٢٢٧، والحاكم في المستدرك ٤: ٢٩١، لكن لم أجده في عيون الأخبار.

(٤) اخرج هذا المعنى ابن أبي شيبة والبزّار والذهبي، عنهم المطالب العالية وذيله ٤: ٣٠٣، وسعيد بن المنصور وأبو

وفي (مروج المسعودي): ذكر المدائني عن بعضهم أنّه رأى بالبصرة رجلاً مصطلم الأُذن. فسأله عن قصّته. فذكر أنّه خرج يوم الجمل ينظر إلى القتلى. فنظر إلى رجل منهم يخفض برأسه ويرفعه وهو يقول:

لقد أوردتنا حومة الموت أُمّنا فلم تنصرف إلاّ ونحن رواءُ
أطعنا بني تيم لشقوة جدّنا وما تيم إلّا أعبدٌ وإماءُ

فقلت: سبحان الله! أتقول هذا عند الموت. قل: لا إلّه إلاّ الله فقال: «يا أبن اللخناء! إيّاي تأمر بالجزع عند الموت». فولّيت منه متعجّباً. فصاح بي: أدن مني ولقّني الشهادة. فصرت إليه فلما قربت فاستدناني ثم التقم أُذني فذهب بها، فجعلت ألعنه وأدعو عليه. فقال: إذا صرت إلى أُمّك فقالت: من فعل هذا بك؟ فقل: عمير بن الأهلب الضبيّ مخدوع المرأة الّتي أرادت أن تكون أمير المؤمنين[1].

وفي (حيوان الجاحظ) قال السيّد الحميري في عائشة وأتباعها:

جاءت مع الأشقين في هودج تزجي إلى البصرة أجنادها
كأنّها في فعلها هرّة تريد أن تأكل أولادها[2]

وفي (تاريخ الطبري): أطافت ضبة والأزد بعائشة يوم الجمل، وإذا رجال من الأزد يأخذون بعر الجمل. فيفتّونه ويشمّونه ويقولون: بعر جمل أُمّنا ريحه ريح مسك[3]، وخرج من أهل الجمل شيخ صبيح نبيل عليه جبّة وشي وهو يقول:

يا معشر الأزد عليكم أُمّكم فإنّها صلاتكم وصومكم

يعلى والبيهقي والطبراني وابن الجوزي، عنهم منتخب كنز العمال ٥: ٤٤٠.

(١) مروج الذهب ٢: ٣٧٠.

(٢) الحيوان للجاحظ ١: ١٩٧.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٥٣٠، سنة ٣٦.

والحرمة العظمى الّتي تعمّكم فأحضروها جدّكم وحزمكم
لا يغلبن سمّ العدوّ سمّكم إنّ العدوّ إن علاكم رمّكم
وخصّكم بجوره وعمّكم لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم

قال أبومخنف: لم يقل أحد من رجّاز البصرة قولاً كان أحبّ إلى أهل الجمل من قول هذا الشيخ. فاستقتل الناس عند قوله، وثبتوا حول الجمل فخرج عوف ابن قطن الضبيّ وهو ينادي: ليس لعثمان ثأر إلّا عليّ وولده. فأخذ خطام الجمل وقال:

يا أُمّ يا أُمّ خلا مني الوطن لا ابتغي القبر ولا أبغي الكفن
من هاهنا محشر عوف بن قطن إن فاتنا اليوم عليٌّ فالغبن
أو فاتنا آبناه حسين وحسن إذن أمت بطول همّ وحزن

ثمّ تقدم يضرب بسيفه حتّى قتل[1].

وروى الواقدي ـ كما في (جمل المفيد) ـ أنّ عليّاً عليه السلام لمّا فرغ من قسمة المال قام خطيباً. فقال ـ مشيراً إلى عائشة ـ كانت والله على القوم أشأم من ناقة الصخرة[2].

وروى أيضاً أنّ عليّاً عليه السلام كتب بعد الفتح كتاباً الى أهل الكوفة وفيه «فما كانت ناقة الحجر بأشأم منها على أهل ذاك المصر مع ما جاءت به من الحوب الكبير»[3].

وفي (العقد) قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة: يا حميراء كأنّي بك ينبحك كلاب الحوأب تقاتلين عليّاً وأنت له ظالمة[4].

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٨٥، شرح الخطبة ١٣ .

(٢) الجمل: ٢١٥ .

(٣) الجمل: ٢١٦ .

(٤) العقد الفريد ٥: ٧٥ .

هذا، وفي (مقاتل أبي الفرج): لمّا أرادوا دفن الحسن عليه السلام عند النبيّ صلى الله عليه وآله ركبت عائشة بغلاً، واستنفرت بني أُميّة، مروان ومن كان هناك منهم، ومن حشمهم، وهو قول القائل «فيوماً على بغل، ويوماً على جمل»(١).

وفي (تاريخ اليعقوبي): فأتاها القاسم بن محمّد بن أبي‌بكر. فقال لها: يا عمة ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر أتريدين أن يقال يوم البغلة الشهباء(٢).

هذا، وفي (عيون القتيبي): فخر ناس من بني الحرث بن كعب عند السفاح فقال لخالد بن صفوان: ألا تكلّم يا خالد؟! قال: اخوال الخليفة وأهله. قال فأنتم اعمام الخليفة وعصبته. فقال خالد: ما عسى أن أقول لقوم بين ناسج برد، ودابغ جلد، وسائس قرد، دلّ عليهم هدهد، وغرقتهم فارة، وملكتهم آمرأة(٣).

«وأتباع البهيمه» قال آبن أبي الحديد: كان جمل عائشة راية عسكر البصرة قتلوا دونه كما تقتل الرجال تحت راياتها.

قال المدائني والواقدي: ما حفظ رجز قط أكثر من رجز قيل يوم الجمل، وأكثره لبني ضبة والأزد الّذين كانوا حول الجمل يحامون عنه ولقد كانت الرؤوس تندر عن الكواهل، والأيدي تطيح من المعاصم، وأقتاب البطن تندلق من الأجواف، وهم حول الجمل كالجراد الثابتة لا تتحلحل، ولا تتزلزل حتّى لقد صرخ عليّ عليه السلام بأعلى صوته: ويلكم إعقروا الجمل. فإنّه شيطان(٤).

وقال في موضع آخر لمّا عزمت عائشة على الخروج طلبوا لها بعيراً،

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٤٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٥.

(٣) عيون الاخبار ١: ٢١٧.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٣ و٨٤، والنقل بتقطيع.

يحمل الهودج. فجاءهم يعلى بن أُميّة بالبعير المسمّى عسكرا ـ وكان عظيم الخلق شديداً ـ فلمّا رأته أعجبها، وأنشأ الجمّال يحدّثها بقوّته وشدّته ويقول في أثناء حديثه: عسكر. فلمّا سمعت هذه اللفظة آسترجعت، وقالت: ردّوه لا حاجة لي فيه، وذكرت حيث سئلت أنّ النبيّ ﷺ ذكر لها هذا الاسم، ونهاها عن ركوبه وأمرت أن يطلب لها غيره. فلم يوجد لها ما يشبهه، فغيّر لها جلال غير جلاله، وقيل لها قد أصبنا أعظم منه خلقاً وأشدّ قوّة[1].

وفي (الاستيعاب): عن النبيّ ﷺ قال لنسائه «أيتّكنّ صاحبة الجمل الأدبب يقتل حولها قتلى كثير، وتنجو بعدما كادت». وهذا الحديث من أعلام نبوته ﷺ[2]. قلت: ومن أعلام إمامته عليه السلام.

وروى الكشّي عن سلمان أنّه كان إذا رأى الجمل الّذي يقال له عسكر. يضربه. فيقال له: يا أبا عبدالله! ما تريد من هذه البهيمة؟ فيقول: ما هذا بهيمة، ولكن هذا عسكر بن كنعان الجني. يا أعرابي لا تنفق جملك هاهنا، ولكن اذهب به إلى الحوأب فإنّك تعطى به ما تريد.

وعن الباقر عليه السلام قال: اشتروا عسكراً بسبعمئة درهم وكان شيطاناً[3].

«رغا» في (الصحاح): رغا البعير يرغو رغاءً إذا ضجّ، وفي المثل: «كفى برغائها مناديا» أي: أنّ رغاء بعيره يقوم مقام ندائه في التعرّض للضيافة والقرى، وقولهم «ماله ثاغية ولا راغية» أي: شاة ولا ناقة[4].

«فأجبتم» قال ابن أبي الحديد: قالوا: وآستدار الجمل كما تدور الرحاة وتكاثفت الرجال حوله، واشتد رغاؤه وآشتد زحام الناس عليه، ونادى

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٨٠، شرح الخطبة ٧٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الاستيعاب ٤: ٣٦١.

(٣) اختيار معرفة الرجال: ١٣ ح ٣٠ ـ ٣١.

(٤) صحاح اللغة ٦: ٢٣٥٩ و ٢٣٦٠، مادة (رغا).

الحتات المجاشعي: أيّها الناس أمّكم أُمّكم، وتقدّم عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أُميّة ـ وكان اسم سيفه ولول ـ فارتجز فقال:

أنا ابن عتاب وسيفي ولول والموت عند الجمل المجلّل

فحمل عليه الأشتر فقتله. قالوا: وأخذ خطام الجمل سبعون من قريش قتلوا كلّهم، ولم يكن يأخذ بخطام الجمل أحد إلاّ سالت نفسه أو قطعت يده، وتناول عبدالله بن أبزي خطام الجمل ـ وكان كلّ من أراد الجدّ في الحرب وقتال مستميت يتقدّم إلى الجمل فيأخذ بخطامه ـ ثمّ شدّ وقال:

أضربهم ولا أرى أبا حسن ها إنّ هذا حزن من الحزن

فشدّ عليه السلام عليه بالرمح فقتله، وقال: قد رأيت أبا حسن؛ فكيف رأيته؟ وترك الرمح فيه[١].

«وعُقر فهربتم» قال ابن أبي الحديد: قال أبومخنف: حدّثنا مسلم الأعور عن حبّة العرني قال: فلمّا رأى عليّ عليه السلام أنّ الموت عند الجمل، وأنه مادام قائماً فالحرب لا تطفأ، وضع سيفه على عاتقه، وعطف نحوه، وأمر أصحابه بذلك ومشى نحوه، والخطام مع بني ضبّة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وآستحرّ القتل في بني ضبّة فقتل منهم مقتلة عظيمة، وخلص عليّ عليه السلام في جماعة من النخع وهمدان إلى الجمل. فقال لرجل من النخع ـ اسمه بحير ـ دونك الجمل يا بحير. فضرب عجز الجمل بسيفه. فوقع لجنبه، وضرب بجرانه الأرض، وعجّ عجيجاً لم يسمع بأشدّ منه. فما هو إلاّ أن صرع الجمل حتّى فرّت الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب، وآحتملت عائشة بهودجها. فحملت إلى دار عبدالله بن خلف، وأمر عليّ عليه السلام بالجمل أن يحرق ثمّ يذرّى في الريح، وقال عليه السلام: لعنه الله من دابة. فما أشبهه بعجل بني اسرائيل ثمّ قرأ: ﴿ وانظر إلى

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٥ ـ ٨٨، والنقل بتصرف.

إلٰهك الّذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثمّ لننسفنه في اليم نسفاً﴾[١].

وأقول: صدق رسول الله عليه السلام في قوله للناس: «لتتبعن بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتّى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه» فكما عبد بنو إسرائيل العجل عبدت هذه الأُمّة هذا الجمل الّذي كان كعجل بني إسرائيل، وصاحبته. فكانوا يفتّون بعره، ويقولون: بعر جمل أُمّنا مسك، كما عبدوا أباها الّذي كان عجل فاروقهم، ويشهد له أيضاً قوله عليه السلام ـ وهو الّذي يدور معه الحق حيثما دار ـ لمّا اتوا به عليه السلام لبيعته مخاطباً للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿يابن أُمّ إنّ القوم آستضعفوني وكادوا يقتلونني﴾[٢].

وقال ابن أبي الحديد: عند قوله: «إنّ النساء نواقص الإيمان» قال عليّ عليه السلام لما فني الناس على خطام الجمل، وقطعت الأيدي وسالت النفوس: «أُدعوا لي الأشتر وعمّارا». فجاءا. فقال: «إذهبا فاعقرا هذا الجمل فإنّ الحرب لا يبوخ ضرامها مادام حيّاً إنّهم قد اتّخذوه قبلة»[٣].

وفي (جمل المفيد): روى منصور بن أبي الأسود، عن مسلم الأعور، عن حبّة العرني قال: والله لأنظرن إلى الرجل الّذي ضرب الجمل ضربة على عجزه فسقط لجنبه. فكأنّي أسمع عجيج الجمل ما سمعت قط عجيجاً أشدّ منه، قال: لمّا عُقر؛ آنقطع بطان الهودج. فزال عن ظهر الجمل، وآنفضّ أهل البصرة منهزمين، وجعل عمّار، ومحمّد بن أبي بكر يقطعان الحقب والانساع، وآحتملاه ـ أي الهودج ـ ووضعاه على الأرض، فأقبل عليّ عليه السلام حتى وقف عليها وهي في هودجها، فقرع الهودج بالرمح، وقال: يا حميراء!

(١) طه: ٩٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٩، والآية ١٥٠ من سورة الأعراف.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٨١.

أرسول الله أمرك بهذا المسير؟!(١).

وروى (أماليه): أنّ منادي عليّ عليه السلام نادى: عليكم بالبعير فانه شيطان، فعقره رجل برمحه، وقطع إحدى يديه رجل آخر. فبرك ورغا، وصاحت عائشة صيحة شديدة. فولّى الناس منهزمين(٢).

هذا، وقال ابن أبي الحديد: قصد أهل الكوفة قصد الجمل، ودونه كالجبال، كلّما خفّ قوم جاء أضعافهم. فنادى عليه السلام: ويحكم أُرشقوا الجمل بالنبل! إعقروه لعنه الله. فرشق بالسهام. فلم يبق فيه موضع إلّا أصابه النبل ـ وكان مجفجفاً. فتعلّقت السهام به. فصار كالقنفذ، ونادت الأزد وضبّة: (يا لثارات عثمان) فأخذوها شعاراً، ونادى أصحاب عليّ عليه السلام (يا محمّد) فاتّخذوها شعاراً، واَختلط الفريقان، ونادى عليّ عليه السلام بشعار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: (يا منصور أمت) وهذا في اليوم الثاني من أيام الجمل. فلمّا دعا بها تزلزلت أقدام القوم، وذلك وقت العصر بعد أن كان الحرب من وقت الفجر.

وقال الواقدي: روي أنّ شعاره عليه السلام كان في ذلك اليوم «حم لا يبصرون اللّهمّ انصرنا على القوم الناكثين» ثمّ تحاجز الفريقان، والقتل فاش فيهما إلاّ أنه في أهل البصرة أكثر، وأمارات النصر لائحة لعسكر الكوفة ثمّ تواقفوا في اليوم الثالث. فبرز أوّل الناس ابن الزبير ـ الخ(٣).

قلت: إنّما قال المسعودي إنّ الوقعة كانت في يوم واحد. فقال «كانت وقعة الجمل في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأُولى من سنة ستّ وثلاثين قتل فيها من أصحاب الجمل من أهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر

---

(١) الجمل: ٢٠٣.

(٢) أمالي المفيد: ٥٨ ح ٣، المجلس ٧، في ضمن حديث.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٧.

ألفاً، ومن أصحاب عليّ عليه السلام خمسة آلاف ـ إلى أن قال ـ وكانت وقعة واحدة في يوم واحد»[(١)].

وهو المفهوم من (تاريخ الطبري) ناسباً له إلى الواقدي. فقال «وكانت الوقعة يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة (٣٦) في قول الواقدي»[(٢)].

وفي (المروج): قيل لأبي لبيد الجهمي من الأزد: أتحبّ علياً؟ قال: كيف أُحبّ رجلاً قتل من قومي في بعض يوم ألفين وخمسمئة، وقتل من الناس حتّى لم يكن أحد يعزّي أحداً، وآشتغل أهل كلّ بيت بمن لهم[(٣)].

«أخلاقكم دقاق» في (تاريخ بغداد): قدم شريك القاضي البصرة فأبى أن يحدّثهم فاتّبعوه حين خرج، وجعلوا يرجمونه بالحجارة في السفينة، وهو يقول لهم: يا أبناء الطؤرات، ويا أبناء السنائخ لا سمعتم منّي حرفا[(٤)].

«وعهدكم شقاق» أي: خلاف.

«ودينكم نفاق» ليس فيه إيمان، ولمّا آرتدّ عيينة بن حصن الفزازي، وتبع طليحة الأسدي. فأسر وأُدخِلَ المدينة فكان الصبيان يقولون له: يا عدوّ الله أكفرت بعد ايمانك؟ فيقول: ما آمنت طرفة عين.

«وماؤكم زعاق» أي: ملح مرّ. في (المروج): قال رجل من الكوفة لرجل من البصرة: ماؤكم كدر زهك زفر، وماؤنا أصح للأجسام من ماء دجلة فإنّ ماءها يقطّع شهوة الرجال، ويذهب بصهيل الخيل، وإن لم يتدسم النازلون عليها أصابهم قحول في عظامهم، ويبس في جلودهم، وإذا كان فضيلة مائنا على

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٦٨ و٣٧١.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٥٣٩، سنة ٣٦.

(٣) مروج الذهب ٢: ٣٧١.

(٤) تاريخ بغداد ٩: ٢٩٣.

دجلة فما ظنّك بفضيلته على ماء البصرة، وهو يختلط بماء البحر، والماء المستنقع في أُصول القصب والهروي[١]، وقال الصابي:

نحن بالبصرة الذميمة نسقي شرّ سقياً من مائها الأُترنجي
أصفر منكر ثقيل غليظ خاثر مثل حقنة القولنج[٢]

«والمقيم» هكذا في (المصرية)، والصواب: (المقيم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٣].

«بين أظهركم مرتهن بذنبه، والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربّه» وفي (جمل المفيد): قال عليه السلام: «هي مسكن الجن، الخارج منها برحمة، والداخل إليها بذنب. أما أنّها لا تذهب الدنيا حتّى يجيء إليها كلّ فاجر، ويخرج منها كلّ مؤمن»[٤].

وفي (البلدان): قدم أعرابي البصرة فكرهها. فقال:

هل الله من وادي البصيرة مخرجي فأصبح لا تبدو لعيني قصورها
وأصبح قد جاوزت سيحان سالما وأسلمني أسواقها وجسورها
ومربدها المذري علينا ترابه إذا شحجت أبغالها وحميرها
فنضحي بها غير الرؤوس كأنّنا أُناسي موسى نبش عنها قبورها

وقال الجاحظ: من عيوب البصرة اختلاف هوائها في يوم واحد لأنّهم يلبسون القمص مرّة والمبطّنات مرة لاختلاف جواهر الساعات، ولذلك سمّيت الرعناء. قال الفرزدق:

---

(١) مروج الذهب ٣: ٣٣١، والنقل بتصرف يسير.

(٢) أورده معجم البلدان ١: ٤٣٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٣، وشرح ابن ميثم ١: ٢٨٩.

(٤) الجمل: ٢٢٥.

لو لا أبـو مـالك المـرجـو نـائله ما كانت البصرة الرعناء لي وطنا[١].

وفي كتب الأدب: ضاقت على النضر بن شميل اللغوي النحوي الأديب الأسباب في البصرة. فعزم على الخروج إلى خراسان. فشيّعه من أهل البصرة نحو ثلاثة آلاف من المحدّثين، والفقهاء، واللغويين، والنحاة، والأُدباء. فجلس لوداعهم بالمربد، وقال: يا أهل البصرة لو وجدت عندكم كيلجة من الباقلاء ما فارقتكم، فلم يكن فيهم واحد يتكفل له ذلك فسار إلى مرو، وأقام بها فأثرى[٢].

وفي (اللسان): في حديث أنس: البصرة إحدى المؤتفكات. فانزل في ضواحيها وإيّاك والمملكة. قال شمر: أراد بالممكلة وسطها[٣].

وفي (ملاحم سنن أبي داود) عن أنس عن النبيّ ﷺ: «إنّ الناس يمصّرون أمصاراً، وإن مصراً منها يقال له البصرة أو البُصيرة فإن أنت مررت بها أو دخلتها فإيّاك وسباخها، وكلاءها، وسوقها، وباب أُمرائها وعليك بضواحيها فإنّه يكون بها خسف، وقذف، ورجف، وقوم يبيتون يصبحون قردة وخنازير»[٤].

هذا، ولمّا زنا المغيرة بن شعبة بالبصرة لمّا كان عاملاً عليها من قبل عمر، ولقّن عمر شاهده الرابع زياداً لمنع عن أداء الشهادة حتّى لا يرجم، عزله عن البصرة جزاء فعله إلّا أنه ولّاه الكوفة. فصار استهزاء بين الناس. قال ابن سيرين كما في (عيون القتيبي): يقول الرجل لصاحبه «غضب الله عليك

(١) معجم البلدان ١: ٤٣٦ و٣: ٢٩٣.

(٢) رواه الحموي في معجم الأدباء ١٩: ٢٣٨، والسيوطي في بغية الوعاة ٢: ٣١٦.

(٣) لسان العرب ١٠: ٤٩٥، مادة (ملك)، وأيضاً النهاية ٤: ٣٥٩، مادة (ملك).

(٤) سنن أبي داود ٤: ١١٣ ح ٤٣٠٧.

كما غضب عمر على المغيرة عزله عن البصرة واستعمله على الكوفة»[١].

«كأنّي بمسجدكم كجؤجؤ سفينة» أي: صدرها.

«قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها» قال ابن أبي الحديد: البصرة غرقت مرّتين: مرّة في أيّام القادر بالله، ومرّة في أيّام القائم بأمر الله. غرقت بأجمعها، ولم يبق منها إلاّ مسجدها الجامع بارزاً بعضه كجؤجؤ الطائر حسب ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام. جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف الآن بجزيرة الفرس ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام وخربت دورها، وغرق كلّ ما في ضمنها، وهلك كثير من أهلها، وأخبار هذين الغرقين معروفة عند أهل البصرة يتناقله خلفهم عن سلفهم[٢].

هذا، وفي (عرائس الثعلبي): اختلف في موضع قتل هابيل. حكى الطبري قال جعفر الصادق عليه السلام: بالبصرة في موضع المسجد الأعظم...[٣].

قلت: وفي أخبارنا: ما بنى مسجد إلاّ على قطرة من دم نبيّ[٤].

«وفي رواية ـ وأيم الله لتغرقنّ بلدتكم حتّى كأنّي أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة، أو نعامة» وفي (الصحاح): النعامة من الطير يذكّر ويؤنّث[٥].

«جاثمة» في (الصحاح): جثم الطائر أي: تلبّد بالأرض[٦].

«وفي رواية كجؤجؤ طير في لجّة بحر» وروى (غارات إبراهيم الثقفي): أنّ

---

(١) عيون الاخبار ١: ٢١٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٤.

(٣) العرائس: ٤٥.

(٤) لم أجده بهذا المضمون.

(٥) صحاح اللغة ٥: ٢٠٤٣، مادة (نعم).

(٦) صحاح اللغة ٥: ١٨٨٢، مادة (جثم).

جارية بن قدامة لمّا حرّق بالبصرة ابن الحضرمي الّذي قدم بها من قبل معاوية، ودفع غائلته، وكتب زياد -وكان خليفة ابن عباس عليها يومئذٍ- إلى أمير المؤمنين عليه السلام بذلك مع ظبيان بن عمارة. قال عليه السلام لظبيان: «إنها (أي البصرة) أوّل القرى خراباً إمّا غرقاً، وإمّا حرقاً، حتّى يبقى مسجدها كجؤجؤ سفينة» ثمّ قال له: أين منزلك منها؟ فقال: مكان كذا. فقال عليك بضواحيها[1].

«وفي رواية أُخرى» -الظاهر كون هذا -الخ- حاشية خلطت بالمتن لعدم وجوده في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[2].

«بلادكم أنتن بلاد الله تربةً» في (المعجم) قدم ابن شدقم البصرة فآذاه قذرها. فقال:

إذا ما سقى الله البلاد فلا سقى ... بلاداً بها سيحان برقاً ولا رعدا
بلاد تهبّ الريح فيها خبيثة ... وتزداد نتناً حين تمطر أو تندى

وقال الصابي:

ليس يغنيك في الطهارة بالـ ... بصرة إن حانت الصلاة اجتهاد
إن تطهّرت فالمياه سلاح ... أو تيمّمت فالصعيد سماد

قال ابن لنكك:

نحن بالبصرة في لـ ... ـون من العيش ظريف
نحن ما هبّت شمال ... بين جنات وريف
فإذا هبّت جنوب ... فكأنّا في كنيف[3]

قال زياد: مثل الكوفة كمثل اللهاة يأتيها الماء ببرده وعذوبته، ومثل

(١) الغارات ٢: ٤١٢.
(٢) كذا في شرح ابن ميثم ١: ٢٨٩، لكن توجد الزيادة في شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٣.
(٣) معجم البلدان ١: ٤٣٧ و ٣: ٢٩٤.

البصرة كالمثانة يأتيها الماء، وقد تغيّر وفسد.

«أقربها من الماء، وأبعدها من السماء، وبها تسعة أعشار الشرّ. المحتبس فيها بذنبه، والخارج بعفو الله» سأل الصادق عليه السلام عن أهل البصرة. فقيل: إنّهم مرجئة، وقدريّة، وحرورية. فقال: لعن الله تلك الملل الكافرة المشركة الّتي لا تعبد الله بشيء[1].

وفي (المعجم) قال أبو العيناء: قال لي المتوكل: بلغني انّك رافضي. فقلت: وكيف أكون رافضياً وبلدي البصرة، ومنشئي مسجد جامعها، وأُستاذي الأصمعي، وجيراني باهلة[2]؟

«كأنّي أنظر إلى قريتكم هذه قد طبّقها الماء حتّى ما يرى منها إلّا شرف المسجد كأنّه جؤجؤ طير في لجّة بحر» مرّ شرحه مع أنّك قد عرفت عدم كون تمام الكلام من قوله «وفي رواية أُخرى» إلى هنا من النهج.

قول المصنّف: «ومن كلام له عليه السلام في مثل ذلك» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد والخطية) ولكن في (ابن ميثم) «ومنها في مثل ذلك»[3].

قوله عليه السلام «أرضكم قريبة من الماء. بعيدة من السماء» قال ابن أبي الحديد: إنّ أرباب علم الهيئة وصناعة التنجيم يذكرون أنّ أبعد موضع في الأرض عن السماء الأُبلّة وذلك موافق لقوله عليه السلام «بعيدة من السماء» ومعنى البعد عن السماء ههنا هو بعد تلك الأرض المخصوصة عن دائرة معدّل النهار، والبقاع والبلاد تختلف في ذلك، وقد دلّت الأرصاد، والآلات النجومية على أنّ أبعد موضع في المعمورة عن دائرة معدّل النهار هو الأُبلّة، والأُبلّة

---

(١) رواه الكليني في الكافي ٢: ٣٨٧ ح ١٣ و ٤٠٩ ح ٢.

(٢) معجم الادباء ١: ١٥٣.

(٣) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٩، واما ابن ميثم فلم يجعل له عنواناً أصلاً ١: ٢٩٤.

قصبة البصرة، وهذا الموضع من خصائص أمير المؤمنين عليه السلام لأنّه أخبر عن أمر لا تعرفه العرب، ولا تهتدي إليه، وهو مخصوص بالمدقّقين من الحكماء، وهذا من أسراره، وغرائبه البديعة[١].

«خفّت عقولكم، وسفهت حلومكم» روى الكشّي في سفيان الثوري أنّ قوماً أتوا الصادق عليه السلام يسألونه عن الحديث: فقال لرجل منهم: هل سمعت، الحديث من غيري؟ قال: نعم. وحدّثه بأحاديث موضوعة عن سفيان الثوري، عن جعفر بن محمّد فقال عليه السلام له: من أيّ البلاد أنت؟ قال: من أهل البصرة قال: هذا الّذي تحدّث عنه، وتذكر اسمه جعفر بن محمّد هل تعرفه؟ قال: لا قال: فهل سمعت منه شيئاً قط؟ قال: لا. قال: فهذه الأحاديث عندك حقّ؟ قال: نعم. قال: فمتى سمعتها؟ قال: لا أحفظ إلّا انّها أحاديث أهل مصرنا منذ دهر لا يمترون فيها. فقال عليه السلام له: لو رأيت هذا الرجل الّذي تحدّث عنه فقال لك هذه الّتي ترويها عنّي كذب ولا أعرفها، ولم احدّث بها هل كنت تصدّقه؟ قال: لا. قال: ولِمَ؟ قال: لأنّه شهد على قوله رجال لو شهد أحدهم على عنق رجل لجاز قوله ـ إلى أن قال ـ.

قال عليه السلام : أعجب حديثهم عندي الكذب عليّ والحكاية عنّي ما لم أقل، وقولهم لو أنكر الأحاديث ما صدّقناه. ما لهؤلاء لا أمهل الله لهم! إنّ علياً عليه السلام لمّا أراد الخروج من البصرة قام على أطرافها، وقال: لعنك الله يا أنتن الأرض تراباً، وأسرعها خراباً، وأشدّها عذاباً. فيك الداء الدويّ. قيل: ماهو؟ قال: كلام القدري الّذي فيه الفرية على الله، وبغضنا أهل البيت، واستحلالهم الكذب علينا...[٢].

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٩.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٣٩٦ و ٣٩٧ والنقل بتلخيص.

«فأنتم غرض» أي: هدف.

«لنابل» أي: رامي النبل، وهو السهم.

«وأُكلة لآكل، وفريسة» أي: مصيدة.

«لصائل» أي: من حمل عليكم، ومن أراد شاهداً لكلامه عليه السلام راجع التاريخ في وقائع صاحب الزنج وغيره بها، وكانوا أيام ابن الزبير أرادوا الخروج عنها خوفاً من الخوارج حتّى تصدّى المهلّب لحربهم وآمنها حتّى قيل بصرة المهلّب.

وتغلّب عليها إسماعيل بن أرسلان جق عشر سنين نافذ الأمر حتّى أخذها منه سيف الدولة صدقة صاحب الحلة في سنة (٤٩٩) واستناب بها مملوكاً لجده دبيس بن مزيد. فاجتمع ربيعة وغيرهم من العرب فقاتلوه فهزموه ولم يقدر أهل البصرة على حفظها. فدخلوها بالسيف وأحرقوا الأسواق، والدور الحسان ونهبوا ما قدروا عليه، وأقاموا ينهبون ويحرقون ثلاثة وثلاثين يوماً، وتشرّد أهلها في السواد، ونهبت خزانة كتب وقفها أبو الفرج بن أبي البقاء إلى أن أرسل محمّد بن ملكشاه عميداً إليها. فعاد أهلها وشرعوا في عمارتها.

وفي سنة (٥١٣) استولى عليها عليّ بن سكمان ـ أحد امراء بلدقية الترك ـ وكان أوّلا أمير حاجّهم ـ فسيّر السلطان محمود في سنة (٥١٤) عسكراً إليه فأخذها منه.

ولمّا انهزم دبيس بن صدقة أمير الحلة من المسترشد العباسي، وسبى نساءه في سنة (٥١٧) ونجا وحده بفرسه وسلاحه، رحل الى المنتفق على قصد البصرة، وأخذها. فساروا إليها ودخلوها ونهبوها، وقتل سختكمان مقدم عسكرها وأجلى أهلها منها.

وسار أيضاً في سنة (٥٢٣) إلى العراق، وبذل ثلاثمئة حصان منعّلة

بالذهب، ومئتي ألف دينار ليرضي السلطان محمود السلجوقي. فلم يجبه. فقصد البصرة وأخذ منها أموالاً كثيرة، وما هناك للخليفة والسلطان من الدخل ثمّ دخل البرية.

ولمّا قتل المستنجد العباسي منكوبرس مقطع البصرة قصد ابن شيكا صهره، البصرة ونهب قراها في سنة (٥٦١) وعاودها في سنة (٥٦٢) فنهبها وخربها من الجهة الشرقية.

ونهب بنو عامر في سنة (٥٨٨) أيضاً البصرة، وفارقها أهلها، وجرت أُمور عظيمة ذكر ذلك كلّه الجزري في (تاريخه)[1].

هذا وأما ما نقله ابن ميثم في الخطبة زيادة على ما نقله الرضي من قوله «قارئكم أقرأ الناس، وزاهدكم أزهد الناس»[2] فعدّة من القرّاء السبعة، والزهاد الثمانية من أهل البصرة، ومن أهل البصرة الحسن في علمائهم، والأحنف في حلمائهم، وأبو العيناء في أُدبائهم، والمازني في نُحاتهم، والأصمعي في لغويّيهم، والجاحظ في متكلّميهم.

و قوله «أموالكم أكثر الأموال» في (المعجم) ـ بعد ذكر تكلّم وفد مكّة و المدينة والكوفة عند عبد الملك في وصف بلادهم ـ قام خالد بن صفوان وافد البصرة، وقال: يغدو قانصنا. فيجيء هذا بالشبوط والشيم، ويجيء هذا بالظبي والظليم، ونحن أكثر الناس عاجاً، وساجاً، وخزّاً، وديباجاً، وبرذوناً هملاجا، وخريدة مغناجاً، بيوتنا الذهب، ونهرنا العجب أوّله الرطب، وأوسطه العنب، وآخره القصب[3].

---

(١) الكامل ١٠: ٤٠٢ و ٥٥٩ و ٦٠٩ و ٦٥٥ و ١١: ٣٢٢ و ٣٢٨ و ١٢: ٨٠.

(٢) شرح ابن ميثم ١: ٢٩٢.

(٣) معجم البلدان ١: ٤٣٨.

وقوله: «ونساؤكم أقنع الناس» فيه: دخل فتى من أهل المدينة البصرة. فلمّا انصرف قال له أصحابه: كيف رأيت البصرة؟ قال: خير بلاد الله للجائع والغريب والمفلس. أمّا الجائع فيأكل خبز الارز والصحناءة. فلا ينفق في شهر إلّا درهمين، وأما الغريب فيتزوّج بشق درهم[١].

وقوله: «ثمرتكم أكثر الثمار» فيه: قال الأصمعي سمعت الرشيد يقول: «نظرنا فإذا كلّ ذهب وفضّة على وجه الأرض لا يبلغ ثمن نخل البصرة»[٢].

«سخر لكم الماء يغدو عليكم، ويروح صلاحاً لمعاشكم، والبحر سبباً لكثرة أموالكم» فيه: قال الجاحظ: بالبصرة ثلاث أُعجوبات ليست في غيرها من البلدان، منها أنّ عدد المدّ والجزر فيها شيء واحد في جميع الدهر. فيقبل عند حاجتهم إليه، ويرتدّ عند استغنائهم عنه ثمّ لا يبطئ عنها إلّا بقدر هضمها واستمرائها وجماحها واستراحتها. لا يقتلها عطشاً ولا غرقاً، ولا يغبّها ظمأ، يجيء على حساب معلوم، وتدبير منظوم، وحدود ثابتة، وعادة قائمة. يزيدها القمر في امتلائه كما يزيدها في نقصانه. فلا يخفى على أهل الغلّات متى يتخلّفون، ومتى يذهبون ويرجعون، بعد أن يعرفوا موضع القمر، وكم مضى من الشهر. فهي آية وأُعجوبة، ومفخر وأُحدوثة، لا يخافون المحل، ولا يخشون الحطمة.

وقال الحموي في بيانه وشرحه: إنّ دجلة والفرات يختلطان قرب البصرة ويصيران نهراً يجري من ناحية الشمال إلى ناحية الجنوب فهذا يسمّونه جزراً ثمّ يرجع من الجنوب إلى الشمال ويسمّونه مدّاً، يفعل ذلك في كلّ يوم وليلة مرّتين يزيد في أوّل كلّ شهر ووسطه أكثر من سائره، وذاك أنّه

(١) معجم البلدان ١: ٤٣٦.

(٢) معجم البلدان ١: ٤٣٩.

إذا انتهى في أوّل الشهر إلى غايته في الزيادة وسقى المواضع العالية والأراضي القاصية أخذ يمدّ كلّ يوم وليلة أنقص من اليوم الّذي قبله، وينتهي غاية نقص زيادته في آخر يوم من الأسبوع الأوّل ثمّ يمدّ في كلّ يوم أكثر من مدّه في اليوم الّذي قبله حتّى ينتهي غاية زيادة مدّه في نصف الشهر ثمّ يأخذ في النقص إلى آخر الاسبوع ثمّ في الزيادة في آخر الشهر هكذا أبداً[1].

١٢
من الخطبة (١٠٠)

(ومِنْهُ):

فِتَنٌ كَقِطَعِ ٱللَّيْلِ ٱلْمُظْلِمِ لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ، وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً، يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا وَيُجْهِدُهَا رَاكِبُهَا. أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ. يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ ٱلْمُتَكَبِّرِينَ. فِي ٱلْأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي ٱلسَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ. فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذٰلِكِ مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ ٱللهِ لَا رَهَجَ لَهُ وَلَا حِسَّ. وَسَيُبْتَلَى أَهْلُكِ بِٱلْمَوْتِ ٱلْأَحْمَرِ وَٱلْجُوعِ ٱلْأَغْبَرِ.

من الخطبة (١٢٦)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عليه السلام فيما يَخبِرُ به عن الملاحِم بالبَصْرة:

يَا أَحْنَفُ! كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِٱلْجَيْشِ ٱلَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلَا لَجَبٌ، وَلَا قَعْقَعَةُ لُجُمٍ، وَلَا حَمْحَمَةُ خَيْلٍ. يُثِيرُونَ ٱلْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ ٱلنَّعَامِ (يُومِي بِذٰلِكَ إِلَى صَاحِبِ ٱلزَّنْجِ. ثُمَّ قَالَ عليه السلام): وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ ٱلْعَامِرَةِ، وَٱلدُّورِ ٱلْمُزَخْرَفَةِ ٱلَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ ٱلنُّسُورِ، وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ ٱلْفِيَلَةِ، مِنْ أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ، وَلَا

(١) معجم البلدان ١: ٤٣٩، والنقل بتصرف يسير.

يُفْتَقَدُ غَائِبُهُمْ. أَنَا كَابُّ ٱلدُّنْيَا لِوَجْهِهَا، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا، وَنَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا.

أقول: قال ابن ميثم بعد العنوان الأوّل: نبّه عليه‌السلام في هذا الفصل على ما سيقع بعده من الفتن، ويختص منها فتنة صاحب الزنج بالبصرة ـ إلى أن قال ـ وقال عليه‌السلام ـ بعد فصل في غرق البصرة وقيام الأحنف إليه عليه‌السلام وقوله له متى يكون ذلك ـ «يا أبا بحر! إنّك لن تدرك ذلك الزمان، وإنّ بينك وبينه لقروناً، ولكن ليبلّغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكي يبلّغوه إخوانهم، إذا هم رأوا البصرة قد تحوّلت أخصاصها دوراً، وآجامها قصوراً فالهرب الهرب. فإنّه لا بصرة لكم يومئذٍ ـ ثم التفت عن يمينه فقال ـ كم بينكم وبين الأُبلّة ـ فقال له المنذر بن الجارود: أربعة فراسخ. فقال عليه‌السلام له ـ صدقت فوالّذي بعث محمّداً وأكرمه بالنبوّة، وخصّه بالرسالة، وعجّل بروحه إلى الجنّة؛ لقد سمعت منه كما تسمعون منّي أن قال: يا عليّ! هل علمت أنّ بين الّتي تسمّى البصرة، والّتي تسمّى الأُبلّة أربعة فراسخ، وسيكون في الّتي تسمّى الأُبلّة موضع أصحاب العشور يقتل في ذلك الموضع من أُمّتي سبعون ألف شهيد هم يومئذٍ بمنزلة شهداء بدر؟

فقال له عليه‌السلام المنذر: ومن يقتلهم؟

قال عليه‌السلام: يقتلهم إخوان الجن، وهم جيل كأنّهم الشياطين، سود ألوانهم، منتنة أرواحهم، شديد كلبهم، قليل سلبهم. طوبى لمن قتلهم، وطوبى لمن قتلوه. ينفر لجهادهم في ذلك الزمان قوم أذلّة عند المتكبرين من أهل ذلك الزمان. مجهولون في الأرض معروفون في السماء، يبكي السماء عليهم وسكّانها، والأرض وسكّانها. ثمّ هملت عيناه بالبكاء ثم قال: ويحكِ يا بصرة! ويلك يا بصرة من جيش لا رهج له ولا حسّ.

فقال له المنذر: وما الّذي يصيبهم من قبل الغرق في ما ذكرت وما

الويح، وما الويل؟

قال عليه السلام: هما بابان. فالويح باب الرحمة، والويل باب العذاب. يا ابن الجارود! نعم. تارات عظيمة منها عصبة يقتل بعضها بعضاً، ومنها فتنة تكون منها إخراب منازل، وخراب ديار، وانتهاك أموال، وقتل رجال، وسبي نساء يذبحن ذبحاً، يا ويل أمرهن به حديث عجيب، ومنها أن يستحلّ بها الدجّال الأكبر الأعور الممسوح العين اليمنى، والأُخرى كأنّها ممزوجة بالدم لكأنّها في الحمرة علقة تأتي الحدقة كهيئة حبّة العنب الطافية على الماء. فيتبعه من أهلها عدّة من قتل بالأُبلّة من الشهداء، أناجيلهم في صدورهم، يقتل من يقتل، ويهرب من يهرب. ثمّ رجفٌ ثمّ قذفٌ ثمّ خسفٌ ثمّ مسخٌ، ثمّ الجوع الأغبر، ثمّ الموت الأحمر، وهو الغرق...»[١].

قلت: إنّه وإن كان قوله في روايته «يقتلهم إخوان الجن، وهم جيل كأنّهم الشياطين، سود ألوانهم، منتنة أرواحهم، شديد كلبهم، قليل سلبهم» ينطبق على أصحاب صاحب الزنج لأنّهم كانوا زنوجاً، وكذلك قوله: «ويلكِ يا بصرة من جيش لا رهج له ولا حسّ» فإنّه نظير قوله عليه السلام في الثاني ـ الوارد فيهم بالاتفاق ـ «وقد سار بالجيش الّذي لا يكون له غبار، ولا لجب، ولا قعقعة لجم، ولا حمحمة خيل» إلّا أنّه لا يوافقه قوله «يقتل في ذلك الموضع (أي الأُبلّة) من أُمّتي سبعون ألف شهيد، هم يومئذٍ بمنزلة شهداء بدر» فإنّه وإن ذكر التاريخ «أنّ في رجب سنة (٢٥٦) دخل الزنج الأُبلّة وقتلوا فيها خلقاً كثيراً وأحرقوها وكانت مبنية بالساج فأسرعت النار فيها، وحروا الأموال العظيمة، وكان ما أحرقت النار أكثر من الّذي نهب»[٢] إلّا أنّ المقتولين كانوا عامة عمياء، وكذلك

---

(١) شرح ابن ميثم ٣: ١٥ ـ ١٦، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الكامل ٧٥: ٢٣٦، سنة ٢٥٦.

لا يوافقه قوله في رواية المصنف: «يجاهدهم في سبيل الله قوم أذلّة عند المتكبرين في الأرض مجهولون وفي السماء معروفون» وزيادته في رواية ابن ميثم «يبكي السماء عليهم...» فإنّ المحاربين مع أصحاب الزنج كانوا ناصبة سفيانية من جنس من قال الآبي في كتابه (نثر الدرر): أنّه لمّا أُدخل المعتضد رأس صاحب الزنج إلى بغداد دخل في جيش لم ير مثله. قال العلاء بن صاعد قلمّا صرنا بباب الطاق صاح قوم من درب من دروب الأسواق رحم الله معاوية وزاد حتّى علّت أصوات العامة بذلك. فتغيّر وجه المعتضد، وقال لي: ألا تسمع! ما أعجب هذا! وما الّذي اقتضى ذكر معاوية في هذا الوقت، والله لقد بلغ أبي إلى الموت، وما نجوت إلّا بعد مشارفته، ولقينا كلّ جهد وبلاء حتّى أنجينا هؤلاء الكلاب من عدوّهم، وحصّنّا حرمهم وأولادهم، فتركوا أن يترحموا على العباس، وابن عباس، ومن ولد من الخلفاء، وتركوا الترحم علي عليّ عليه السلام وحمزة، وجعفر، والحسن والحسين عليهما السلام. والله لا برحت أو أؤدب هؤلاء...[1].

والظاهر أنّه وقع في الرواية خلط من الرواة أو النساخ، وأنّه عليه السلام ذكر فتن البصرة ومحنها بعد عصره عليه السلام إلى الأبد مرّة بعد مرّة كما يشهد له قوله عليه السلام: «يا ابن الجارود! نعم تارات عظيمة، منها كذا ومنها كذا» وأنّ قوله عليه السلام «يقتل...» وقوله عليه السلام «يجاهدهم...» كانا مذكورين في غير فتنة الزنج، وخلطا بقوله عليه السلام «إخوان الجن...» وقوله عليه السلام «ومن جيش...». وممّا يدلّ على أنّهما روايتان: أنّ الحموي في (البلدان) روى أنّه عليه السلام قال بالبصرة في خطبة له: يستشهد عند مسجد جامعها، وموضع عشورها ثمانون ألف شهيد ـ إلى أن قال ـ وفي رواية أُخرى أنّه قال: ليأتينّ عليها يوم لا يرى منها إلّا

(١) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٣٤٠، شرح الخطبة ١٢٦، والنقل بتصرف يسير.

شرفات جامعها كجؤجؤ السفينة في لجة البحر، ثم قال: ويحك يا بصرة، ويلك من جيش لا غبار له...[١] فترى أنّه جعل رواية شهداء الأُبلّة غير رواية صاحب الزنج.

وبعدما استظهرنا من الخلط، لا يبعد أن يكون قوله عليه السلام «فتن ـ إلى قوله ـ قليل سلبهم» من العنوان الأوّل وصف التتار لا أصحاب الزنج. فإن وصف الأتراك بكونهم شديداً كلبهم قليلاً سلبهم معروف، ذكره الجاحظ في رسالته في (مناقب الأتراك)[٢]، وفي (الكامل): «سمعت عن بعض أكابر الكرج قال: من حدّثكم أن التتر انهزموا وأُسروا فلا تصدّقوه، وإذا حدّثتم أنّهم قُتِلوا فصدّقوا. فإنّ القوم لا يفرّون أبداً، ولقد أخذنا أسيراً منهم. فألقى نفسه من الدابة، وضرب رأسه بالحجر إلى أن مات»[٣] وكذلك كلّ فقرة منه من قوله «لا تقوم...» وقوله «لا ترد...» وقوله «يحفزها» انطباقها على التتار واضح دون الزنج. نعم قوله عليه السلام «فويل لك يا بصرة...» وصف الزنج. كما أنّ قوله «ثمّ الموت الأحمر وهو الغرق» في رواية ابن ميثم[٤] محرف «ثمّ الموت الأحمر ثمّ الغرق» فإنّ الموت الأحمر إنّما هو القتل بالسيف وتصحيح ابن ميثم له خطأ.

ويشهد لما قاله عليه السلام من الغرق في تارات البصرة ما في (تاريخ الطبري) أنّ في ذي القعدة من سنة (٢٥٥) جمع أهل البصرة لصاحب الزنج، وحشدوا له وانتدب لذلك رجل من أهل البصرة يعرف بحماد الساجي ـ وكان من غزاة البحر في الشذا وله علم بركوبها والحرب فيها ـ فجمع المطّوّعة، ورماة الأهداف وأهل المسجد الجامع، ومن خفّ معه من حزبي البلاليّة والسعديّة،

---

(١) معجم البلدان ١: ٤٣٦.

(٢) مناقب الأتراك: ٢٦.

(٣) الكامل لابن الأثير الجزري ١٢: ٣٨٤، سنة ٦١٧.

(٤) شرح ابن ميثم ٣: ١٦.

ومن أحبّ النظر من غير هذه الأصناف من الهاشميّين، والقرشيّين، وسائر أصناف الناس فشحن ثلاثة مراكب من الشذامن الرماة، وجعلوا يزدحمون في الشذا حرصاً على حضور ذلك المشهد، ومضى جمهور الناس رجّالة، منهم من معه السلاح، ومنهم نظّارة لا سلاح معهم. فدخلت الشذا والسفن النهر المعروف بأمّ حبيب بعد زوال الشمس، ومرّت الرجّالة والنظّارة على شاطئ النهر قد سدّوا ما ينفذ فيه البصر تكاثفاً وكثرة، وكان صاحب الزنج مقيماً بموضعه من النهر المعروف بشيطان، ولمّا أتته طلائعه بذلك وجّه زريقاً وأبا الليث الإصبهاني في جمع في الجانب الشرقي كميناً، والحسين الحمّامي في جمع في الجانب الغربي كذلك، وأمر عليّ بن أبان ومن بقي معه بتلقّي القوم، وأمر نساء الزنج بجمع الآجر وامداد الرجال به -إلى أن قال-:

وخرج الكمينان عن جنبتي النهر من وراء السفن والرجّالة، وخبطوا من ولّى من الرجالة والنظّارة الّذين كانوا على شاطئ النهر. فغرقت طائفة، وقتلت طائفة. وهربت طائفة نحو الشط طمعاً في النجاة. فأدركها السيف فمن ثبت قتل، ومن رجع إلى الماء غرق، ولجأ من كان على شاطئ النهر من الرّجالة الى النهر. فغرقوا، وقتلوا حتّى أبير أكثر ذلك الجمع، ولم ينج منهم إلّا الشريد وكثر المفقودون بالبصرة، وعلا العويل من نسائهم.

وهذا يوم الشذا الّذي ذكره الناس وأعظموا ما كان فيه من القتل، وقتل من بني هاشم جمع من ولد جعفر بن سليمان، وأربعون من الرماة المشهورين، وجمعت له الرؤوس فذهب إليه جماعة من أوليائهم، فأخذوا ما عرفوا منها[1].

كما يشهد لقوله عليه السلام في رواية ابن ميثم «ثمّ خسف» في تارات البصرة

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٥٦٤ ـ ٥٦٦، سنة ٢٥٥، والنقل بتصرف يسير.

وهو في غير مورد صاحب الزنج ما في (الكامل) أنّ في سنة (٢٨٩) هبت ريح عاصف بالبصرة. فقلعت كثيراً من نخلها، وخسف بموضع منها هلك فيه ستة آلاف نفس[(١)].

كما يشهد لقوله عليه السلام في روايته أيضاً «يذبحن ذبحاً» مافي (المروج) ذكر انّ امرأة من الزنج قد احتضرت، وعند أُختها وقد احتوشوها ينظرون أن تموت. فيأكلوا لحمها. فما ماتت حتّى ابتدروها فقطعوها، وأكلوها، وقد جاءت أُختها ومعها رأسها وهي تبكي. فقيل لها: ويحك! مالك تبكين؟ قالت: إجتمعوا على أُختي فما تركوها حتّى تموت موتاً حسناً حتّى قطعوها. فظلموني فلم يعطوني من لحمها شيئاً إلّا رأسها هذا[(٢)].

كما يشهد لقوله عليه السلام في روايته أيضاً «يا ويل أمرهنّ به حديث عجيب» ما في (المروج) أيضاً أنّه بلغ من أمر عسكر صاحب الزنج أنّه كان ينادى فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش، وغيرهم من ساير العرب تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة، وينادى عليها بنسبها: هذه ابنة فلان الفلاني لكلّ زنجي منهم العشرة والعشرون والثلاثون يطؤهنّ الزنج، ويخدمن النساء الزنجيات كما تخدم الوصائف[(٣)].

قول المصنّف «ومنه» هكذا في (المصرية)، والصواب: (منها) كما في (ابن ميثم والخطية)[(٤)].

«فتن كقطع الليل المظلم» في الشدّة وعدم الاهتداء فيها إلى حيلة.

---

(١) الكامل ٧: ٥٢٢ سنة ٢٨٩.

(٢) مروج الذهب ٤: ١٢٠، والنقل بتصرف يسير.

(٣) مروج الذهب ٤: ١٢٠.

(٤) شرح ابن ميثم ٣: ١٤.

«لا تقوم لها قائمة» أي: لا تقدر قائمة على القيام في قبالها.

«ولا تردّ لها راية» لعدم وجود مقاوم لها.

«تأتيكم» تلك الفتن.

«مزمومة» كداية جعل لها زمام.

«مرحولةً» كناقة انتخبت راحلة.

«يحفزها» أي: يدفعها شديداً.

«قائدها» القيّم بأمرها.

«ويجهدها» كما في الثلاثة[1]، وأما «ويجدّها» كما في (المصرية) فغلط أي: يحملها على الجهد والمشقة.

«راكبها» حتّى يبلغ قريباً مقصده.

«أهلها قوم شديد كلبهم. قليل سلبهم» قد عرفت انطباق هذا الكلام على التتار دون الزنج كما ادعاه ابن ميثم[2].

«ويجاهدهم في سبيل الله» هكذا في (المصرية)، والصواب: (في الله) كما (في ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطيّة)[3].

«قوم أذلّة عند المتكبّرين، في الأرض مجهولون، وفي السماء معروفون» روى المدائني في (صفينه) ـ كما في (ابن أبي الحديد) عند قوله عليه السلام: «يا أهل العراق» ـ أنّه عليه السلام خطب بعد النهروان. فذكر طرفاً من الملاحم. فقال عليه السلام: «إذا كثرت فيكم الأخلاط ـ إلى أن قال ـ فيا ابن خيرة الآباء! متى تنتظر! أبشر بنصر قريب من رب رحيم، ألا فويل للمتكبّرين عدد حصاد الحاصدين، وقتل

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٩٥، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٤ مثل المصرية.

(٢) شرح ابن ميثم ٣: ١٤.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٩٥، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٤ مثل المصرية.

الفاسقين عصاة ذي العرش العظيم. فبأبي وأُمي من عدّة قليلة! أسماؤهم في الأرض مجهولة قد دنا حينئذٍ ظهورهم»[١].

ثمّ قد عرفت عدم انطباق هذا الكلام كسابقه على صاحب الزنج كما ادعاه ابن ميثم، لكن لا ينطبق على التتار أيضاً، وكان سابقه قابلاً للانطباق على التتار، وأما الآتي فينطبق جميعه على صاحب الزنج احتمالاً.

«فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نقم الله» جيش من نقمه تعالى يمكن أن يكونوا على الحقّ فيكون الكلام إشارة إلى جيش الغضب أصحاب القائم عليه السلام، ويؤيّده سابقه، ويمكن أن يكونوا على الباطل فقد قال تعالى ﴿وكذلك نولّي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾[٢] فيحتمل إرادة صاحب الزنج به ويؤيّده ما بعده.

«لا رهج له» أي: لا غبار له.

«ولا حسّ» أي: ولا صوت.

«وسيبتلى أهلك بالموت الأحمر» أي: القتل. قال المسعودي: قد كان أتى صاحب الزنج بالبصرة في وقعة واحدة على قتل ثلاثمئة ألف[٣]، وفي رسالة ابن القارح: قتل علوي البصرة في موضع بها يقال له العقيق أربعة وعشرين ألفاً عدّوهم بالقصب وحرّق جامعها[٤].

وقال الجزري: نادى أصحاب صاحب الزنج في البصرة: من أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم بن يحيى المهلّبي. فحضروا حتّى ملأوا الرحائب، فلمّا رأى اجتماعهم انتهز الفرصة فأمر بقتلهم. فكان السيف يعمل فيهم،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٩، شرح الخطبة ٦٩.

(٢) الأنعام: ١٢٩.

(٣) مروج الذهب ٤: ١١٩.

(٤) رسالة ابن القارح، ضمن رسائل البلغاء: ١٩٩.

وأصواتهم مرتفعة بالشهادة(١).

«**والجوع الأغبر**» أي: القحط، وصف عليه السلام الجوع بالأغبر لأنّ الجائع لا يقدر على النهوض، فيسقط على التراب فيكون مغبراً، كما وصف عليه السلام الموت بالأحمر لأنّ من يقتل بالسيف يصير محمراً من الدم.

في (المروج): كان المهلّبي ـ من عليّة أصحاب الزنج ـ بعد تلك الوقعة بالبصرة ينصب منبراً بالموضع المعروف بمقبرة بني يشكر، ويصلّي يوم الجمعة بالناس، ويخطب لصاحبه، ويترحّم بعد ذلك على أبي بكر وعمر، ولا يذكر عثمان ولا عليّاً عليه السلام في خطبته، ويلعن جبابرة بني العباس، وأبا موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، ومعاوية. فركن من بقي بالبصرة من الناس إلى هذا الفعل منه. فاجتمعوا في بعض الجمع. فوضع فيهم السيف. فمن ناجٍ سالمٍ، ومن مقتول ومن غريق، واختفى كثير من الناس في الدور والآبار. فكانوا يظهرون بالليل فيأخذون الكلاب. فيذبحونها ويأكلونها، والفيران والسنانير فأفنوها حتّى لم يقدروا منها على شيء. فكانوا إذا مات منهم الواحد أكلوه وعدموا مع ذلك الماء العذب (٢).

قول المصنّف في الثاني «في ما يخبر به من الملاحم» جمع الملحمة الوقعة العظيمة في الفتنة بالبصرة.

قوله عليه السلام «يا أحنف» قال الخوئي: إنّ أحنف شهد الجمل، ولم يشهد صفين، وكان يكنّى أبا بكر»(٣).

قلت: بل شهد صفين ولم يشهد الجمل وكنيته أبو بحر لا أبو بكر.

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري ٧: ٢٤٥، سنة ٢٥٧، والنقل بتصرف يسير.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٤: ١١٩، والنقل بتصرف يسير.

(٣) شرح الخوئي ٤: ٣٧.

«كأنّي به، وقد سار بالجيش الّذي لايكون له غبار، ولا لجب» أي: صوت.

«ولا قعقعة لجم ولا حمحمة خيل» أشار ﷺ إلى صاحب الزنج. قال الطبري: وفي النصف من شوال من سنة (٢٥٥) ظهر في فرات البصرة رجل زعم انّه (علي بن محمّد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين) وجمع إليه الزنج الّذين كانوا يكسبون السباخ ـ إلى أن قال ـ كان رجوعه إلى البصرة في شهر رمضان سنة (٢٥٥) ـ إلى أن قال ـ فذكر عن ريحان بن صالح ـ أحد غلمان الشورجيّين، وهو أوّل من صحبه منهم: ـ

قال: كنت موكّلاً بغلمان مولاي أنقل الدقيق اليهم من البصرة، وأفرّقه فيهم. فحملت ذلك اليهم كما كنت أفعل. فمررت به، وهو مقيم ببرنخل في قصر القرشي. فأخذني أصحابه فصاروا بي إليه وأمروني بالتسليم عليه بالإمرة ففعلت فسألني عن الموضع الّذي جئت منه. فأخبرته أنّي أقبلت من البصرة ـ إلى أن قال ـ فسألني عن أخبار غلمان الشورجيّين، وما يجري لكلّ غلام منهم من الدقيق، والسويق، والتمر، وعمّن يعمل في الشورج، من الأحرار والعبيد. فأعلمته ذلك. فدعاني إلى ما هو عليه. فأجبته فقال لي: احتل في من قدرت عليه من الغلمان. فأقبل بهم إليّ، ووعدني أن يقوّدني على من آتيه به منهم، وأن يحسن إليَّ ثمّ رجعت إليه، وقد قدم عليه رفيق بشبل بن سالم من غلمان الدباسيين، وبحريرة كان أمره بابتياعها ليتّخذها لواء. فكتب فيها بحمرة وخضرة: ﴿إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم...﴾ وكتب اسمه واسم أبيه وعلّقها في رأس مردي، وخرج في السحر لليلتين بقيتا من شهر رمضان. فلمّا صار إلى مؤخر القصر الّذي كان فيه، لقيه غلمان رجل من الشورجيّين يعرف بالعطّار متوجّهين إلى أعمالهم. فأمر بأخذهم. فأخذوا وكتف وكيلهم. إلى أن قال: واُخذ معهم مكتوفاً وكانوا في نهر يعرف بنهر المكاثر ثمّ مضى إلى موضع السيرافي. فأخذ منه خمسين ومئة غلام فيهم

زريق، وأبو الخنجر ثمّ صار إلى موضع آبن عطاء. فأخذ طريقاً وصبيحاً الاعسر، وراشد المغربي، وراشداً القرماطي، وأخذ معهم ثمانين غلاماً، ثم أتى موضع إسماعيل المعروف بغلام سهل الطحان، ثمّ لم يزل يفعل ذلك كذلك في يومه حتّى اجتمع إليه بشر كثير من غلمان الشورجيّين. ثمّ جمعهم، وقام فيهم خطيباً فمنّاهم، ووعدهم أن يقوّدهم ويرئّسهم، ويملّكهم الأموال إلى أن قال:

ثمّ دعا مواليهم، فقال: قد أردت ضرب أعناقكم لما كنتم تأتون إلى هؤلاء الغلمان الّذين استضعفتموهم ـ إلى أن قال ـ:

ثمّ سار حتى وافي دجيلاً. فوجد سفن سماد تدخل في المد فركبوها، وصاروا إلى نهر ميمون، وأقام هناك يجتمع إليه السودان إلى يوم الفطر فصلّى بهم وخطب خطبة ذكر فيها ما كانوا عليه من سوء الحال، وأنّ الله قد آستنقذهم به إلى أن قال:

فلمّا كثر من اجتمع إليه من الزنج قوّد قوّاده، فانتهى إليه أن الحميري وعقيلاً مع خليفة ابن أبي عون قد أقبلوا نحوه وليس في عسكره يومئذٍ إلّا ثلاثة أسياف: سيفه، وسيف عليّ بن أبان، وسيف محمّد بن سلم ـ إلى أن قال ـ:

فقال له عليّ بن أبان قد كنّا نرى من ورائنا بارقة، ونسمع حسّ قوم يتّبعونا فلم يستتم كلامه حتّى لحق القوم، وتنادى الزنج: السلاح، وكان فتح الحجّام يأكل فلمّا نهض تناول طبقاً كان بين يديه وتقدّم فلقيه رجل يقال له: بلبل فحمل عليه وحذفه بالطبق الّذي كان في يده. فرمى بلبل بسلاحه، وولّى هارباً وانهزم أصحابه ـ وكانوا أربعة آلاف ـ فذهبوا على وجوههم وقتل من قتل منهم، ومات بعضهم عطشاً، وأُسر منهم قوم. فأتى بهم صاحب الزنج فأمر بضرب أعناقهم فضربت، وحملت الرؤوس على بغال كان أخذها من

الشورجيّين، وأتى قرية تعرف بجبّى فأهدى له رجل فرساً كميتاً. فلم يجد سرجاً ولا لجاماً. فركبه بحبل وسنفه بليف ـ إلى أن قال ـ:

أتاه يحيى بن يحيى المعروف بالزبيري رئيس وكلاء الهاشميين في سيب بمئتين وخمسين ديناراً، وألف درهم فكان هذا أوّل مال صار إليه ثمّ سأله عن دوابّ وكلاء الهاشميين. فدلّه على ثلاثة براذين: كميت، وأشقر، وأشهب فدفع أحدها إلى آبن سلم، والآخر الى يحيى بن محمّد، وأعطى مشرقاً الثالث ووجد بعض السودان لبعض بني هاشم داراً فيها سلاح؛ فانتهبوه. فصار في أيدي الزنوج سيوف وبالات وزقايات وتراس ـ إلى أن قال ـ:

وأمر بانتهاب القادسية والشيفيا، فانتهب منهما مالاً عظيماً عيناً وورقاً، وجوهراً، وحليّاً، وأواني ذهب، وفضة، وسبى منهما يومئذٍ غلماناً ونسوة، و ذلك أوّل سبيٍ سُبي ـ إلى أن قال ـ:

أعلمه أحدهم أنّ أصحابه قد شغلوا بخمور وأنبذة وجدوها في القادسية فصار اليهم، وأعلمهم أنّ ذلك ممّا لا يجوز لهم، وحرّم النبيذ في ذلك اليوم عليهم، وقال لهم: إنّكم تلاقون جيوشاً تقاتلونهم فدعوا شرب النبيذ، والتشاغل به، فأجابوه إلى ذلك.

وروى أنّه لاقاه أبو هلال الترك مع زهاء أربعة آلاف، وفي مقدمته قوم عليهم ثياب مشهرة، وأعلام وطبول. فحملوا عليهم، وألقى صاحب علمهم بخشبتين كانتا معه عليه. فصرعه. فانهزموا، وأفلت أبو هلال على دابة أُخرى، وقتل من أصحابه زهاء ألفٍ وخمسمئة ثمّ حال بينهم الليل. فأمر في الصبح بتتبّعهم. فجاءوا برؤوس وأسرى فقتلهم[1].

وقال المسعودي: تكلّم الناس في مقدار ما قتل صاحب الزنج في أيّامه

(١) تاريخ الطبري ٧: ٥٤٣، سنة ٢٥٥، والنقل بتلخيص.

والمقلل يقول: أفنى من الناس خمسمئة ألف نفر[١].

«يثيرون الأرض بأقدامهم كأنّها أقدام النعام» لم يذكر أحد أنّ الزنوج كانوا يثيرون الأرض بأقدامهم، والظاهر أنّه لمّا كان الإخبار بهم، وبالتتار في خطبة واحدة ـ كما يأتي ـ حصل الخلط، وأنّ الأصل كان «تثير خيولهم الأرض بأقدام كأنّها أقدام النعام» فقال الجزري في التتار: «وأما دوابّهم الّتي يركبونها. فإنّها تحفر الأرض بحوافرها، وتأكل عروق النبات لا تعرف الشعير»[٢].

قول المصنّف: «يومئ بذلك إلى صاحب الزنج» لا ريب أنّ العنوان إلى قوله «ولا حمحمة خيل» إشارة إلى صاحب الزنج، وأما قوله «يثيرون الأرض، بأقدام كأنّها أقدام النعام» فقد عرفت الاشكال فيه، واستظهار كونه من كلامه عليه السلام في التتار، وحصل الخلط.

هذا وفي رسالة ابن القارح إلى المعرّي في كلام عليّ عليه السلام «تهلك البصرة بالزنج» فصحفوه وقالوا: قال «تهلك البصرة بالريح»[٣].

ثمّ قال عليه السلام «ويل لسككم العامرة، والدور المزخرفة الّتي لها أجنحة» جمع جناح.

«كأجنحة النسور، وخراطيم» جمع خرطوم.

«كخراطيم الفيلة» في (الطبري): لمّا أخرب صاحب الزنج البصرة، وانتهى اليه عظيم ما فعله أصحابه فيها، كان الخبيث يقول: دعوت على أهل البصرة، وقال: تولّت الملائكة إخرابها دون أصحابي، ولو كان أصحابي

---

(١) مروج الذهب ٤: ١٢٠.

(٢) الكامل ١٢: ٣٦٠، سنة ٦١٧.

(٣) رسالة ابن القارح: ١٩٩، والنقل بالمعنى.

تولّوا ذلك لما بلغوا هذا الأمر العظيم الّذي يحكى عنها[١].

وفي (المروج): كانت مدّة أيام صاحب الزنج أربع عشرة سنة، وأربعة أشهر يقتل الصغير والكبير، والذكر والأنثى، ويحرّق ويخرّب[٢].

وفي (الكامل): أحرقت البصرة في عدّة مواضع: منها المربد، وزهران، وغيرهما، واتسع الحريق من الجبل إلى الجبل، وعظم الخطب، وعمّها القتل والنهب والإحراق[٣].

«من أولئك» متعلّق بقوله ﷺ «ويل»، وفي رسالة ابن القارح، قال صاحب الزنج لأصحابه: إنكم قد أعنتم بقبح مظهر. فاشفعوه بقبح مخبر. إجعلوا كلّ عامر قفرا، وكلّ بيت قبراً[٤].

«الذين لا يندب قتيلهم، ولا يفتقد» هكذا في (المصرية)، والصواب: (ولا يفقد) كما في الثلاثة[٥].

«غائبهم» في الكامل أوقع سعيد الحاجب في رجب (٢٥٧) بجماعة من الزنج. فهزمهم واستنقذ ما معهم من النساء والنهب، وبلغه الخبر بجمع آخر منهم. فسار إليهم فهزمهم فكانت المرأة من تلك الناحية تأخذ الزنج فتأتي به عسكر سعيد فلا يمتنع عليها[٦].

وفيه ـ بعد ذكر أمر صاحب الزنج المهلبي لكبس عسكر الموفق وانهزام الزنج وقتل بعضهم وغرقهم وأسر أكثرهم ـ «فأمر المعتضد أن

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٦٠٧، سنة ٢٥٧، والنقل بتلخيص.

(٢) مروج الذهب ٤: ١١٩.

(٣) الكامل ٧: ٢٤٥، سنة ٢٥٧.

(٤) رسالة ابن القارح: ١٩٩.

(٥) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣١٠، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٣٧ مثل المصرية.

(٦) الكامل ٧: ٢٤١، سنة ٢٥٧، والنقل بتصرف يسير.

يحمل الأسرى ورؤوس القتلى ويعبر بهم على مدينة صاحبهم، وبلغ الموفق أنّ الخبيث قال لهم: إنّ الأسرى من المستأمنة إليهم وإنّ الرؤوس تمويه عليكم. فأمر بإلقاء الرؤوس، في منجنيق إليهم. فلمّا رأوها عرفوها. فأظهروا الجزع والبكاء، وظهر لهم كذب الخبيث»[1] ـ فترى تضمن الكلام أنّ جمعاً منهم قتلوا ولم يتفقدهم أحد ولا ندب عليهم، وذلك لعدم كونهم أقارب وإنّما تجمعهم الزنجية وبكاؤهم بعد مشاهدة رؤوس جمع منهم إنّما كان خوفاً على نفوسهم.

هذا، وقال ابن أبي الحديد: قال الطبري: إنصرف الموفق لليلتين خلتا من صفر من سنة (٢٧٠) من نهر أبي الخصيب ورأس الناجم ـ أي صاحب الزنج ـ منصوب بين يديه على قناة في شذاة، والناس من جانبي النهر ينظرون اليه حتّى وافي قصره بالموفقية.

وذكر المسعودي في (مروجه): «أنّ الناجم ارتثّ وحمل إلى أبي أحمد وهو حيّ. فسلّمه إلى ابنه المعتضد، وأمر بتعذيبه. فجعله كردناجا على النار و جلده يتفرقع حتّى هلك».

والصحيح رواية الطبري، وإنّما الذي جعل كردناجا هو قرطاس الّذي رمى الموفق بسهم.

قال التنوخي في (نشوار المحاضرة): كان الزنج يصيحون لما رمى الموفق بالسهم، وتأخّر لعلاج جراحته عن الحرب ملّحوه ملّحوه أي قد مات، وأنتم تكتمون موته، فاجعلوه كاللحم المكسود وكان قرطاس الرامي للموفق يصيح بالمعتضد في الحرب إذا أخذتني فاجعلني كردناجا ـ يهزأ به ـ فلمّا ظفر به أدخل في دبره سيخاً من حديد فأخرجه من فيه وجعله

---

(١) الكامل ٧: ٣٥٤، سنة ٢٦٧، والنقل بتصرف يسير.

على النار كردناجاً[١].

قلت: لم يذكر المسعودي أنّ المعتضد جعل صاحب الزنج كردناجا على النار حتّى ينافي قول الطبري بقتله في الحرب، وانّما قال المسعودي انّ المعتضد جعل محمّد بن الحسن بن سهل ـ أوّل من كتب أخبار صاحب الزنج ـ كردناجاً على النار[٢] ولكن ابن أبي الحديد خلط.

هذا، وخرج الزنج بالبصرة مرتين قبل تلك المرّة المعروفة أولاهما في آخر أيام مصعب بن الزبير. فأفسدوا، وتناولوا الثمار. فشكا الناس ذلك إلى واليهم فأرسل إليهم جيشاً. فتفرّقوا، وأخذ بعضهم فقتل وصلب.

والثانية في أيام الحجاج لمّا وثب ابن الجارود مع جمع على الحجّاج لمّا أراد نقص عطائهم. فاجتمع منهم خلق كثير بالفرات وأمّروا عليهم رجلاً ملقباً شيرزنج، فلمّا فرغ الحجّاج من أمر ابن الجارود أمر شرطة البصرة أن يرسل إليهم جيشاً فهزمهم وقتلهم. ومراده عليه السلام تلك المعروفة.

«**أنا كابّ الدنيا لوجهها، وقادرها بقدرها، وناظرها بعينها**» قال ابن أبي الحديد: هو مثل الكلمات المحكية عن عيسى عليه السلام: أنا الّذي كببت الدنيا على وجهها ليس لي زوجة تموت، ولا بيت يخرّب، وسادي الحجر، وفراشي المدر، وسراجي القمر[٣].

قلت: كونه مثله غير معلوم. فهو عليه السلام قال «كابّ الدنيا لوجهها» وكلام عيسى عليه السلام «كابّ الدنيا على وجهها» فالظاهر أنّه عليه السلام لمّا قال ذلك بعد اخباره عن المغيبات قال إنّه محيط بظاهر الدنيا وباطنها كمن يقلّب الشيء ويكبّه

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٤٠، وتاريخ الطبري ٨: ١٤١، سنة ٢٧٠، والنقل بتصرف يسير.

(٢) مروج الذهب ٤: ١٥٥.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣١٦.

لوجهه. فينظر بعينه إلى جميعه. فالظاهر أنّه نظير ما ورد عن عترته عليهم السلام في إحاطة الإمام بما في الدنيا. فروى الصفار عن حمزة الجعفي قال: دخلت على الرضا عليه السلام ومعي صحيفة أو قرطاس فيه عن جعفر عليه السلام أنّ الدنيا مثّلت لصاحب هذا الأمر في مثل فلقة الجوز. فقال: يا حمزة ذا والله حقّ[١].

١٣
من الخطبة (١٢٦)

(منها في وَصْفِ الأتراك):

كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ ٱلْمَجَانُّ ٱلْمُطَرَّقَةُ، يَلْبَسُونَ ٱلسَّرَقَ وَٱلدِّيبَاجَ، وَيَعْتَقِبُونَ ٱلْخَيْلَ ٱلْعِتَاقَ. وَيَكُونُ هُنَاكَ ٱسْتِحْرَارُ قَتْلٍ حَتَّى يَمْشِيَ ٱلْمَجْرُوحُ عَلَى ٱلْمَقْتُولِ، وَيَكُونَ ٱلْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ ٱلْمَأْسُورِ (فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ ٱلْغَيْبِ، فَضَحِكَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ وَكَانَ كَلْبِيّاً): يَا أَخَا كَلْبٍ! لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ، وَإِنَّمَا عِلْمُ ٱلْغَيْبِ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا عَدَّدَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ ﴿إِنَّ ٱللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ ٱلآيَةَ. فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِي ٱلنَّارِ حَطَباً، أَوْ فِي ٱلْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً. فَهَذَا عِلْمُ ٱلْغَيْبِ ٱلَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا ٱللهُ، وَمَا سِوَى ذٰلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ ٱللهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي.

أقول: جميع ما مضى ويأتي من إخباره عليه السلام عن المستقبل يمكن لمشكّك أن يشكّك فيها ببعض الشبهات بأنّا لم نجده في غير النهج في كتاب

---

(١) بصائر الدرجات: ٤٢٨ ح ٢.

كان مقدّماً على وقوعه، وأما هذا فلا مجال للتشكيك فيه. ففرغ الرضي من النهج في (٤٠٠) وتوفي في سنة (٤٠٦) وكان أوّل واقعة التتار في سنة (٦١٧). ومرّ في سابقه أنّ قوله عليه السلام في ذاك بنقل المصنّف «يثيرون الأرض بأقدامهم كأنّها أقدام النعام» كان جزء هذا لكونهما في خطبة واحدة. فخلطهما الرواة مع تحريف، وأنّ الأصل «خيولهم تثير الأرض بأقدام كأنّها أقدام النعام».

ومرّ في سابقه أيضاً أنّ قوله عليه السلام في عنوان آخر «فتن كقطع الليل المظلم لا تقوم لها قائمة، ولا ترد لها راية. تأتيكم مزمومة مرحولة. يحفزها قائدها ويجهدها راكبها. أهلها قوم شديد كلبهم، قليل سلبهم» ينطبق على التتار.

قول المصنّف «منها» أي: من خطبة الملاحم، ولكن في (ابن أبي الحديد والخطية) «ومنه» وفي (ابن ميثم) «ومن كلام له عليه السلام»[1].

«ويومئ بذلك الى وصف التتار» وفي (ابن ميثم وابن أبي الحديد): «يومئ به إلى وصف الأتراك»[2].

قال الجزري: كان طائفة عظيمة من التتر قد خرجوا من بلادهم حدود الصين قديماً، ونزلوا وراء بلاد تركستان، وكان بينهم وبين الخطا عداوة وحروب. فلمّا سمعوا بما فعله خوارزمشاه بالخطا قصدوهم مع ملكهم كشليخان ـ إلى أن قال ـ بعد ذكر الاختلاف بين كشليخان وخوارزمشاه وإرادته حربه ـ ثمّ اتّفق خروج هؤلاء التتر الآخر الّذين خربوا الدنيا وملكهم جنكيزخان النهرجي على كشليخان التتري الأوّل. فاشتغل بهم كشليخان عن خوارزم شاه[3].

(١) كذا في شرح ابن ميثم ٣: ١٣٨، لكن في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٤١ «منها».

(٢) كذا في شرح ابن ميثم ٣: ١٣٨، لكن في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٤١ «في وصف الأتراك».

(٣) الكامل ١٢: ٢٦٩ ـ ٢٧١، سنة ٦٠٤.

وللجاحظ رسالة في الترك قال فيها نقلاً عن حميد بن عبد الحميد قال: التركي يرمي بعشرة أسهم قبل أن يفوّق الخارجي سهماً واحداً، وتركض دابته منحدراً من جبل أو متسفلاً إلى بطن واد بأكثر ممّا يمكن الخارجي على بسيط الأرض.

وللتركي أربعة أعين عينان في وجهه، وعينان في قفاه، وإذا أدبر فهو السم الناقع لأنّه يصيب بسهمه وهو مدبر كما يصيب به وهو مقبل، ولو حصّلت مدّة عمر التركي، وحسبت أيامه لوجدت جلوسه على ظهر دابته أكثر من جلوسه على ظهر الأرض، وليس في الأرض أحد إلّا وبدنه ينتقص على اقيتات اللحم وحده غيره، وكذلك دابته تكتفي بالعنقر والعشب والشجر لا يظلّها من شمس، ولا يكنّها من برد.

والتركي هو الراعي، وهو السائس، وهو الرائض، وهو النخّاس، وهو البيطار، وهو الفارس.

فالتركي الواحد أمّة على حدة، وإذا سار في غير عساكره وساروا عشرة أميال سار عشرين، لأنّه ينقطع عن العسكر يمنة ويسرة، ويصعد في ذرى الجبال ويستبطن قعور الأودية في طلب الصيد، وهو في ذلك يرمي كلّ ما دبّ، ودرج، وطار ووقع، وإن بلغوا وادياً فازدحموا على مسلكه أو قنطرته بطن التركي برذونه فأقحمه. ثمّ طلع من الجانب الآخر كأنّه كوكب، وإن انتهوا إلى عقبه صعبة ترك السنن، وذهب في الحبل صعداً ثمّ تدلّى من موضع يعجز عنه الوعل.

وليس في الأرض قوم إلاّ والتساند في الحروب والاشتراك في الرياسة ضار لهم إلاّ الأتراك. فإنّهم إذا صادفوا جيشاً فإن كان في القوم موضع عنوة فكلّهم قد أبصرها وعرفها، وإن لم يكن هناك عورة، ولم يكن فيهم مطمع وكان الرأي الانصراف فكلّهم قد رأى ذلك الرأي، وعرف الصواب فيه،

وخواطرهم واحدة، ودواعيهم مستوية باقبالهم، وليس لبدن التركي على ظهر الدابة ثقل، ولا لمشيه على الأرض وقع، وإنّه ليرى وهو مدبر ما لا يرى الفارس منّا، وهو مقبل، وهو يرى الفارس منّا صيداً، ويعدّ نفسه فهداً، ويعدّ غيره ظبياً، وانّه لو رمي به في قعر بئر مكتوفاً لما أعجزته الحيلة.

والتركي ينال الكفاف غصباً؛ أحبُّ إليه من أن ينال الملك عفواً، ولم يتهنّ تركي بطعام قط إلّا أن يكون صيداً أو مغنماً.

وقال ثمامة بن أشرس: «التركي لا يخاف إلاّ مخوفاً، ولا يطمع في غير مطمع، ولا يكفّه عن الطلب إلاّ اليأس صرفاً، ولا يدع القليل حتّى يصيب أكثر منه، وإن قدر أن يجمعهما لم يفرط في واحد منهما، والباب الّذي لا يحسنه لا يحسن منه شيئاً، والباب الّذي يحسنه قد أحكمه بأسره، وخفيّه عنده كظاهره، ولا يتشاغل بشيء ليس فيه شيء، ونومه مشوب باليقظة، ويقظته سليمة من الوسنة[1].

وفي المأثور من الخبر: «أُتركوا الترك ما تركوكم»[2] وبقوله: «أُتركوهم» سمّوا الترك، وما ظنك بقوم لم يعرض لهم ذو القرنين بعد أن غلب على جميع الأرض قسراً وعنوة وقهراً.

قوله عليه السلام: «كأنّي أراهم قوماً كأنّ وجوههم المجانّ» جمع المجنّ وهو الترس.

«المطرّقة» هذا صفة مطلق الترك قال المبرد في (كامله) ـ في خبر ـ رأيت عليّاً (يعني آبن عبد الله بن عباس) مضروباً بالسوط يدار به على بعير ووجهه ممّا يلي ذنب البعير، وصائح يصيح عليه هذا عليّ بن عبدالله الكذّاب. فأتيته

---

(١) مناقب الأتراك: ٢٥ ـ ٣٦، والنقل بتلخيص.

(٢) اخرجه الطبراني في معجمه الكبير، عنه الجامع الصغير ١: ٨.

فقلت: ما هذا الّذي نسبوك فيه إلى الكذب؟ قال: بلغهم قوله «إنّ هذا الأمر سيكون في ولدي. والله ليكوننّ فيهم حتّى يملكهم عبيدهم الصغار العيون، العراض الوجوه الذين كأنّ وجوههم المجانّ المطرقة...»[١] وكان يقول ذلك عن اخباره عليه السلام.

فروى المبرد: أنّه لمّا ولد علي ذاك أتى به أبوه ابن عباس إليه. فأخذه وردّه إلى أبيه، وقال له: خذه إليك أبا الأملاك[٢].

وفي (التنبيه والاشراف للمسعودي): من كان من الترك واغلاً في الشمال فلبعدهم من مدار الشمس في حال طلوعها وغروبها كثرت الثلوج فيهم، وغلبت البرودة والرطوبة على مساكنهم. فاسترخت أجسامهم، وغلظت ولانت فقارات ظهورهم، وخرز أعناقهم حتّى تأتّى لهم الرمي بالنشاب في كرّهم وفرّهم، وغارت مفاصلهم لكثرة لحومهم. فاستدارت وجوههم وصغرت أعينهم لاجتماع الحرارة في الوجه حين تمكّنت البرودة من أجسادهم[٣].

ومراده عليه السلام هنا ترك التتار، وما صدر منهم مع الناس الّذي أثبته التاريخ. قال الجزري في عنوان سنة (٦١٧) وخروج التتار إلى بلاد الإسلام: لقد بقيتُ عدّة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها كارهاً لذكرها. فأنا اقدّم إليه رجلاً، وأؤخّر أخرى. فمن الّذي يسهل عليه أن يكتب نعي الاسلام والمسلمين، ومن الّذي يهون عليه ذكر ذلك. فياليت أمّي لم تلدني، وياليتني متّ قبل هذا، وكنت نسياً منسيّاً إلاّ أنني حثّني جماعة من الأصدقاء

(١) كامل المبرد ٥: ١٩٨.

(٢) كامل المبرد ٥: ١٩٦ .

(٣) التنبيه والاشراف: ٢٢ .

على تسطيرها، وأنا متوقف ثم رأيت أنّ ترك ذلك لا يجدي نفعاً. فنقول: هذا الفصل يتضمّن ذكر الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى التي عقمت الأيّام والليالي عن مثلها، عمّت الخلائق وخصّت المسلمين. فلو قال قائل إنّ العالم مذ خلق الله تعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً. فإنّ التواريخ لم تتضمّن ما يقاربها، ولا ما يدانيها.

ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بختنصر ببني اسرائيل من القتل وتخريب بيت المقدس، وما بيت المقدس بالنسبة إلى ما خرّب هؤلاء من البلاد الّتي كلّ مدينة منها أضعاف بيت المقدس، وما بنو بني إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا. فإنّ أهل مدينة واحدة ممّن قتلوا أكثر من بني إسرائيل، ولعلّ الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم، وتفنى الدنيا إلاّ يأجوج و مأجوج. وأما الدجّال فإنّه يبقي على من آتّبعه، ويُهلك من خالفه، وهؤلاء لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء والرجال، والأطفال وشقّوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنّة فإنّا لله وإنّا إليه راجعون لهذه الحادثة التي استطال شررها، وعمّ ضررها، وسارت في البلاد كالسحاب آستدبرته الريح. فإنّ قوماً خرجوا من أطراف الصين. فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر، وبلاساغون ثمّ منها إلى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند، وبخارا، وغيرهما فيملكونها ويفعلون بأهلها ما نذكره ثمّ تعبر طائفة منهم إلى خراسان فيفرغون منها ملكاً وتخريباً وقتلاً ونهباً ثمّ يتجاوزونها إلى الري، وهمدان، وبلد الجبل، وما فيه من البلاد إلى حدّ العراق. ثمّ يقصدون بلاد آذربيجان وأرانية، ويخربونها، ويقتلون أكثر أهلها، ولم ينج إلاّ الشريد النادر في أقلّ من سنة. هذا ما لم يسمع بمثله، ثمّ لمّا فرغوا من آذربيجان وأرانية ساروا إلى دربند شروان. فملكوا مدنه، ولم يسلم غير القلعة الّتي بها ملكهم، وعبروا عندها إلى بلد اللان واللكز، ومن في ذلك الصقع من الأمم المختلفة فأوسعوهم قتلاً ونهباً وتخريباً، ثمّ

قصدوا إلى بلاد قفجاق وهم من أكثر الترك عدداً. فقتلوا كلّ من وقف لهم فهرب الباقون إلى الغياض، ورؤوس الجبال، وفارقوا بلادهم، وأستولى هؤلاء التتر عليها. فعلوا هذا في أسرع زمان لم يلبثوا إلاّ بمقدار مسيرهم لا غير، ومضى طائفة أُخرى غير هذه الطائفة إلى غزنة وأعمالها، وما يجاورها من بلاد الهند، وسجستان، وكرمان. ففعلوا فيها مثل فعل هؤلاء، وأشدّ هذا ما لم يطرق الأسماع مثله. فإنّ الإسكندر الّذي أتفق المؤرّخون على انّه ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة إنّما ملكها في نحو عشر سنين، ولم يقتل أحداً إنّما رضي من الناس بالطاعة، وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض، وأحسنه وأكثره عمارة وأهلاً، وأعدل أهل الأرض أخلاقاً وسيرة، في نحو سنة، ولم يبت أحد في البلاد الّتي لم يطرقوها إلاّ وهو خائف يتوقعهم، ويترقب وصولهم. ثمّ إنّهم لم يحتاجوا إلى ميرة ومدد يأتيهم فإنّهم معهم الأغنام، والبقر والخيل، وغير ذلك من الدواب يأكلون لحومها لا غير. وأما دوابهم الّتي يركبونها فإنّها تحفر الأرض بحوافرها، وتأكل عروق النبات لا تعرف الشعير. فهم إذا نزلوا منزلاً لا يحتاجون إلى شيء من خارج.

وأمّا ديانتهم فإنّهم يسجدون للشمس عند طلوعها، ولا يحرّمون شيئاً. فإنّهم يأكلون جميع الدواب حتّى الخنازير والكلاب، ولا يعرفون نكاحاً بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال. فإذا جاء الولد لا يعرف أباه - إلى أن قال -

واستقام لهم هذا الأمر لعدم المانع لأنّ خوارزمشاه محمّداً كان قد استولى على البلاد، وقتل ملوكها، وأفناهم، وبقي هو وحده سلطان البلاد جميعها. فلمّا انهزم منهم لم يبق في البلاد من يمنعهم، وكان مدّة ملك خوارزمشاه (٢١) سنة، وشهوراً واتّسع ملكه، وأطاعه العالم بأسره، ولم يملك بعد السلجوقية أحد مثل ملكه ملك من حدّ العراق إلى تركستان، وملك بلاد غزنة، وبعض الهند، وملك سجستان، وكرمان وطبرستان، وجرجان،

وبلاد الجبال، وخراسان، وبعض فارس، وفعل بالخطا الأفاعيل العظيمة، وملك بلادهم. ولمّا ملك التتار خوارزم وقتلوا كلّ من فيه ونهبوا كلّ ما فيه فتحو السكر الّذي يمنع ماء جيحون عن البلد. فدخله الماء. فغرق البلد جميعه، وتهدمت الأبنية، وبقي موضعه ماء، ولم يسلم من أهله أحد. فمن أختفى أغرقه الماء أو قتله الهدم[1].

وقال ابن أبي الحديد: إنّ جنكيزخان سيّر عشرين ألفاً في طلب خوارزمشاه، وقال لهم اطلبوه ولو تعلّق بالسماء. ففرّ منهم فوصل إلى بحر طبرستان. فنزل هو وأصحابه في سفن، ووصل التتار. فلمّا عرفوا نزوله البحر آيسوا.

واختلف في أمره فقوم يحكون أنّه أقام بقلعة له في بحر طبرستان منيعة. فتوفّي بها، وقوم يحكون أنّه غرق في البحر. فهلك، وقوم يحكون أنّه غرق ونجا عرياناً. فصعد إلى قرية من طبرستان فعرفوه. فقال: إحملوني في مركب إلى الهند إلى شمس الدين الملك نسيبه من جهة زوجته. فيقال: وصل إليه وقد تغيّر عقله ممّا أعتراه من خوف التتار. فكان يقول: هاهم قد خرجوا من هذا الباب... قد هجموا من هذه الدرجة، ويرعد وتحوّل لونه.

وحكي انّه لمّا تغيّر عقله لهج بأن يقول: «قراتتركلدي» أي: جاء التتر السود.

وفي التتر صنف سود يشبهون الزنوج لهم سيوف عريضة جدّاً على غير صورة هذه السيوف يأكلون لحوم الناس ـ ورقى به شمس الدين إلى قلعة من قلاع الهند شاهقة لا يعلوها الغيم أبداً، وإنّما يمطر السحاب من تحتها، وقال له كن آمناً. قال: لا أقدر على المقام لأنّ التتر يطلبونني ويقدمون إلى

(١) الكامل ١٢: ٣٥٨ ـ ٣٧٢ و ٣٩٤، سنة ٦١٧، والنقل بتلخيص.

هاهنا، ولو شاءوا الوضعوا سروج خيلهم واحداً على واحد تحت القلعة، فبلغت إلى ذروتها، وصعدوا عليها فأخذوني قبضاً باليد، فعلم الملك أنّ عقله قد تغيّر. فقال: فما الّذي تريد؟ قال: تحملني في البحر الى كرمان فحمله ثمّ خرج إلى أطراف بلاد فارس. فمات هناك، وأُخفي موته لئلّا يقصده التتر[١].

«يلبسون السرق والديباج» في (الكامل) في وقايع سنة (٦٢٨) ـ وهي آخر تاريخه ـ أنّ في تلك السنة أطاع جميع أهل بلاد آذربيجان للتتر وحملوا إليهم الأموال والثياب الخطائي، والخوئي، والعتابي، وأرسل الملك إلى تبريز ـ وهو أصل بلاد آذربيجان ـ يهدّدهم إن امتنعوا عليه. فأرسلوا إليه المال الكثير والتحف من أنواع الثياب الأبريسمي، وغيرها.

ثمّ طلب أن يحضروا عنده من صنّاع الثياب الخطائي، وغيرها ليستعمل لملكهم الأعظم. فأحضروا الصناع فاستعملوهم في ما أرادوا، وطلب أيضاً خركاه لملكهم فعملوا له خركاه لم يعمل مثلها، وعملوا غشاءها من الأطلس الجيد الزركش، وعملوا من داخلها السمور، والقندر فجاءت عليهم بجملة كثيرة[٢].

هذا وفي (الكامل) أيضاً: لم يبقوا على مدينة إلاّ خرّبوا كلّ ما مرّوا عليه وأحرقوه و نهبوه، وما لا يصلح لهم أحرقوه. فكانوا يجمعون الأبريسم تلالاً، ويلقون فيه النار[٣].

«ويعتقبون الخيل العتاق» قد عرفت في ما تقدّم قول الجزري «معهم الأغنام والبقر والخيل وغير ذلك...» ولعلّه محرّف «يعتقبون الخول العتاق»

---

(١) شرح ابن ابي الحديد ٢: ٣٤٥ ـ ٣٤٦، والنقل بتلخيص.

(٢) الكامل ١٢: ٥٠٢ ـ ٥٠٣، سنة ٦٢٨، والنقل بتلخيص.

(٣) الكامل ١٢: ٣٧٦، سنة ٦١٧.

أي يجيئون معهم بأُسارى يجعلونها خولاً لهم. فقال الجزري: و كانت عادتهم إذا قاتلوا مدينة قدّموا من معهم من أُسارى المسلمين بين أيديهم يزحفون ويقاتلون فإن عادوا قتلوهم فكانوا يقاتلون كرهاً وهم المساكين كما قيل كالأشقر إن تقدّم ينحر، وإن تأخّر يعقر، وكانوا هم يقاتلون وراء المسلمين. فيكون القتل في المسلمين الأُسارى وهم بنجوة منه[١].

وقال ـ بعد ذكر فتح بخارى ـ إستصحبوا معهم من سلم من أهل بخارى أُسارى فساروا بهم مشاة على أقبح صورة فكلّ من أعيا وعجز قتلوه. فلمّا قاربوا سمرقند قدّموا الخيّالة وتركوا الرجّالة، والأُسارى والأثقال وراءهم حتّى تقدّموا شيئاً فشيئاً فيكون أرعب لقلوب المسلمين. فلما رأى أهل البلد سوادهم استعظموه فلما كان اليوم الثاني وصل الأُسارى والرجالة والأثقال ومع كلّ عشرة من الأُسارى علم. فظنّ أهل البلد أنّ الجميع عساكر[٢].

«ويكون هناك استحرار قتل» كان استحرار القتل أوّلاً في الطرفين لما ذهب خوارزمشاه إليهم قبل أن يعلم حقيقة الأمر. فوصل إلى بيوتهم، ولم يكن فيها غير نسائهم وأطفالهم وكانوا ساروا إلى محاربة كشلوخان فسبى النساء والأطفال فأدركوهم ـ كما في (الكامل) ـ قبل أن يخرج من بيوتهم، وتصافّوا وبقوا في الحرب ثلاثة أيّام بلياليها. فقتل من الطائفتين ما لا يعدّ، واشتدّ بهم الأمر حتّى أن أحدهم كان ينزل عن فرسه ويقاتل قرنه راجلاً، ويتضاربون بالسكاكين، وجرى الدم على الأرض حتى صارت الخيل تزلق من كثرة الدم، وأحصى من قتل من المسلمين فكانوا عشرين ألفاً[٣].

---

(١) الكامل ١٢: ٣٧٧، سنة ٦١٧.

(٢) الكامل ١٢: ٣٦٧، سنة ٦١٧.

(٣) الكامل ١٢: ٣٦٤ سنة ٦١٧.

هذا، وقال ابن أبي الحديد: قد لاح لي من فحوى كلامه عليه السلام أنّه لا بأس على بغداد والعراق منهم، وأنّ الله تعالى يكفي هذه المملكة شرّهم ويردّ عنها كيدهم، وذلك من قوله عليه السلام «ويكون هناك استحرار قتل» فأتى بالكاف، ولو كان لهم استحرار قتل في العراق لما قال «هناك» بل كان يقول «هنا» لأنّه عليه السلام خطب بهذه الخطبة في البصرة ومعلوم أنّ البصرة وبغداد شيء واحد، وكانوا جاءوا إلى بغداد، ورجعوا، وكان ما جرى من دلائل النبوّة لأنّه عليه السلام وعد هذه الملة بالظهور إلى يوم القيامة، ولو حدث على بغداد منهم حادثة كما جرى على غيرها لانقرضت ملّة الإسلام[1].

قلت: ماذكره خطأ فإنّ «هناك» في قوله عليه السلام نحو «هنالك» في قوله تعالى ﴿هنالك تبلوا كلّ نفس ما أسلفت﴾[2] والإسلام ليس بسلطنة بل ديانة وقد وعد صلى الله عليه وآله وسلم أمتّه ببقاء دينه لا سلطنة المسلمين، وكيف، وقد تسلّط هولاكو حفيد جنگيزخان على بغداد، وقتل خليفتهم وختم بسلطنتهم.

ونظيره في الخطأ قول الجزري المتقدّم «ومن الّذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين» فعلى قوله لم يكن إسلام أيام كون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في مكّة قبل هجرته بل صار دخول أُولئك التتار الّذين وصفهم في بلاد الاسلام سبباً إلى دخولهم في الاسلام كمحمّد خدابنده منهم، وجمع آخر منهم، وإنّما كان فعلهم ما فعل عقوبة من الله تعالى للناس بتركهم حقيقة الاسلام واكتفائهم باسمه، بل إتيانهم بكلّ منكر باسم الاسلام، وكونهم خلفاء الاسلام مع انّهم لم يكونوا إلاّ جبابرة لئاماً. وقد وصف عليه السلام صاحب الزنج، وما عمل أصحابه بكونهم جيشاً من نقم الله تعالى كما مرّ، وقد قال تعالى لبني

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٥١، والنقل بتصرف.

(٢) يونس: ٣٠.

إسرائيل ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدنّ في الأرض مرّتين ولتعلنّ علوّاً كبيراً فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أُولي بأسٍ شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ـ إلى أن قال ـ فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أوّل مرّة وليتبّروا ما علو تتبيراً﴾[1].

ومن الغريب أنّ هذا الرجل ذكر في تاريخه ما فعل بنو أُميّة أعداء النبيّ ﷺ يوم الطفّ بأهل بيت نبيّه ﷺ قتلاً لرجالهم وسبياً لنسائهم وإرادتهم استيصالهم، ولا يقول: ياليت أُمّي لم تلدني، ويقوله هنا لكن لم يقل ثمّة لأنّه أسس لهم ذلك صدّيقهم وفاروقهم.

«حتّى يمشي المجروح على المقتول، ويكون المفلت» أي: الناجي.

«أقلّ من المأسور» ذكر الجزري في ملك التتار مراغة من آذربيجان: قتل منهم ما يخرج عن الحد والإحصاء، وأختفى بعض الناس منهم فكانوا يأخذون الأُسارى، ويقولون لهم: نادوا في الدروب أنّ التتر قد رحلوا. فإذا نادى أُولئك خرج من أختفى فيؤخذ ويقتل. وسمعت أنّ رجلاً من التتر دخل درباً فيه مئة رجل فما زال يقتلهم واحداً واحداً حتّى أفناهم، ولم يمدّ أحد يده إليه بسوء[2].

وذكر في دخولهم كرخ: فأخذهم السيف، فلم يسلم منهم إلاّ الشريد[3].

وقال في دربند شروان: صعدوا سوراً بالسلاليم وقيل: بل جمعوا كثيراً من الجمال، والبقر، والغنم، وغير ذلك، ومن قتلى الناس منهم، ومن غيرهم، وألقوا

---

(١) الاسراء: ٤ ـ ٧.

(٢) الكامل ١٢: ٣٧٨، سنة ٦١٧، والنقل بتلخيص.

(٣) الكامل ١٢: ٣٨٣، سنة ٦١٧.

بعضه فوق بعض. فصار مثل التل وصعدوا عليه. فأشرفوا على المدينة، وقاتلوا أهلها (١).

وقال في أهل مرو: وأمر باحصاء القتلى. فكانوا نحو سبعمئة ألف قتيل وقيل لهم: إنّ قتلاهم سلم منهم كثير، ونجوا إلى بلاد الاسلام، فأمروا بأهل نيسابور أن تقطع رؤوسهم لئلّا يسلم من القتل أحد، وفعلوا بطوس كذلك، وخربوا المشهد الذي فيه عليّ بن موسى الرضا عليه السلام (٢).

وقال في خوارزم: لمّا ملكوا البلد قتلوا كلّ من فيه، ونهبوا كلّ ما فيه وفتحوا السكر الّذي يمنع ماء جيحون عن البلد. فغرق البلد جميعه، وتهدّمت الأبنية، وبقي موضعه ماء وغير خوارزم قد كان سلم بعض أهله. فمنهم من يختفي ومنهم من يهرب، ومنهم من يخرج ثمّ يسلم، ومنهم من يلقي نفسه بين القتلى فينجو، وأما أهل خوارزم. فمن اختفى أغرقه الماء أو قتله الهدم (٣).

وقال في دخول التتر ديار بكر: بلغني أنّ إنساناً منهم أخذ رجلاً، ولم يكن مع التتري ما يقتله به. فقال له: ضع رأسك على الأرض ولا تبرح. فوضع رأسه على الأرض ومضى التتري فأحضر سيفاً. فقتله به.

قال: وحكى لي رجل قال: كنت أنا ومعي سبعة عشر رجلاً في طريق فجاءنا فارس من التتر، وقال لنا حتّى يكتّف بعضنا بعضاً. فشرع أصحابي يفعلون ما أمرهم. فقلت لهم: هذا واحد. فلِمَ لا نقتله ونهرب؟ فقالوا: نخاف. فقلت: هذا يريد قتلكم الساعة فنحن نقتله فلعلّ الله يخلّصنا. فوالله ما جسر أحد يفعل. فأخذت سكّيناً وقتلته وهربنا فنجونا (٤).

---

(١) الكامل ١٢: ٣٨٤، سنة ٦١٧.

(٢) الكامل ١٢: ٣٩٣، سنة ٦١٧، والنقل بتلخيص.

(٣) الكامل ١٢: ٣٩٤، سنة ٦١٧، والنقل بتصرف يسير.

(٤) الكامل ١٢: ٥٠١، سنة ٦٢٨.

«فقال له بعض أصحابه عليه السلام: لقد أُعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فضحك عليه السلام» قال ابن أبي الحديد: النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أو الولي إن تجدّدت عنده نعمة لله سبحانه وعرف الناس وجاهته يضحك. وروى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ضحك في مناسب هذا الحال لما آستسقى فسقي وأسرف درور المطر. فسألوه أن يحبسه عنهم. فأشار بيده إلى السحاب. فأنجاب حول المدينة كالإكليل فضحك صلى الله عليه وآله وسلم حتّى بدت نواجذه، وقال: أشهد أنّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[١].

«وقال للرجل ـ وكان كلبياً ـ يا أخا كلب! ليس هو بعلم غيب وإنّما هو تعلّم من ذي علم» قال شيخنا المفيد في (مقالاته) في عنوان القول في علم الأئمة عليهم السلام بالضمائر والكائنات وإطلاق القول عليهم بعلم الغيب: «إنّ الأئمة من آل محمد عليهم السلام قد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد، ويعرفون ما يكون قبل كونه، وليس ذلك بواجب في صفاتهم، ولا شرطاً في إمامتهم وإنّما أكرمهم الله تعالى به، وأعلمهم إيّاه لِلُّطف في طاعتهم، والتمسك بإمامتهم، وليس ذلك بواجب عقلاً لكنّه واجب لهم من جهة السماع، فأمّا إطلاق القول عليهم بأنّهم يعلمون الغيب فهو منكر بيّن الفساد، لأنّ الوصف بذلك إنّما يستحقّه مَنْ علم الأشياء بنفسه لا بعلم مستفاد، وهذا لا يكون إلاّ لله عزّوجلّ وعلى قولي هذا جماعة أهل الإمامة إلاّ من شذّ منهم من المفوّضة، ومن آنتمى اليهم من الغلاة[٢].

«وإنّما علم الغيب علم الساعة، وما عدّد الله سبحانه بقوله» هكذا في (المصرية)، والصواب: (وما عدّده الله سبحانه بقوله): ﴿إنّ الله عنده علم الساعة...﴾ هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد والخطية)، ولكن في (ابن

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٤٢، والنقل بتصرف يسير.

(٢) اوائل المقالات: ٧٧.

ميثم) ﴿إنّ الله عنده علم الساعة وينزّل الغيث ويعلم ما في الأرحام﴾[١].

«فيعلم سبحانه ما في الأرحام من ذكر وأنثى» هكذا في (المصرية)، والصواب: (أو أُنثى) كما في (ابن أبي الحديد وغيره)[٢].

«وقبيح أو جميل، وسخي أو بخيل، وشقي أو سعيد» وهو معنى الخبر «السعيد سعيد في بطن أُمّه، والشقي شقيّ في بطن أُمّه»[٣] بمعنى أنّه تعالى يعلم أنّه يكون سعيداً أو يكون شقيّاً.

«ومن يكون في النار حطباً» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطبا﴾[٤].

«أو في الجنان للنبيّين مرافقاً» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأُولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أُولئك رفيقا﴾[٥].

«فهذا علم الغيب الّذي لا يعلمه أحد إلاّ الله» ولكن ورد في أخبار إخبارهم عليهم السلام بكون الحمل ذكراً أو أُنثى، وغير ذلك[٦].

«وما سوى ذلك» من علم الساعة وغيرها الّذي ذكر معها.

«فعلّمه الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم» وسقطت التصلية من (المصرية).

«فعلّمنيه ودعا لي بأن يعيه» أي: يجعل له وعاء.

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٤١، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٣٩ مثل المصرية أيضاً.

(٢) شرح ابن ابي الحديد ٢: ٣٤١، وشرح ابن ميثم ٣: ١٣٩.

(٣) اخرجه الطبراني في المعجم الصغير، عنه الجامع الصغير ٢: ٣٧، وابن قتيبة في تأويل المختلف: ١٢٨، والكليني في الكافي ٨: ٨١ ح ٣٩، والصدوق في التوحيد: ٣٥٦ ح ٣ وغيرهم بفرق يسير بين الألفاظ.

(٤) الجن: ١٥.

(٥) النساء: ٦٩.

(٦) روى احاديث في علومهم (ع) بالغيب المجلسي في بحار الأنوار ٢٦: ١٨ ـ ٢٢٦.

«صدري» في (مناقب الكنجي الشافعي) روى الحاكم عن بريدة الأسلمي قال: قال النبيّ ﷺ لعليّ عليه السلام: انّ الله تعالى أمرني أن أُدنيك، ولا أُقصيك، وأن أُعلّمك، وأن تعي، وحقّ على الله أن تعي. فنزل قوله تعالى: ﴿وتعيها أذن واعية﴾[1].

«وتضطمّ» افتعال من الضم.

«عليه جوانحي» في (الصحاح): الجوانح الأضلاع الّتي تحت الترائب، وهي ممّا يلي الصدر كالضلوع ممّا يلي الظهر، الواحدة: جانحة[2].

١٤
الخطبة (٤٧)

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عليه السلام فِي ذِكرِ الْكُوفَةِ:

كَأَنِّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ ٱلْأَدِيمِ ٱلْعُكَاظِيِّ، تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ، وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلَازِلِ. وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءً إِلَّا ٱبْتَلَاهُ ٱللهُ بِشَاغِلٍ، وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ.

«كأنّي بك يا كوفة» في (المعجم): قال أبن الكلبي: سمّيت الكوفة كوفة بجبل صغير في وسطها كان يُقال له: كوفان، وعليه اختطّت مهرة موضعها، وقيل: سمّيت بموضعها لأنّ كلّ رملة يخالطها حصباء تسمّى كوفة، وقيل: لأنّ جبل ساتيدما يحيط بها كالكفاف عليها، وقيل: لاجتماع الناس بها من قولهم «تكوّف الرّمل» وقيل: لاستدارتها من قولهم رأيت كُوفاناً وكَوفاناً للرملة المستديرة[3].

---

(١) رواه الكنجي في كفاية الطالب: ٤٠. والحديث لم يخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك بل أخرجه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ٢: ٢٨١ ح ١٠٢٠. والآية ١٢ من سورة الحاقة.

(٢) صحاح اللغة ١: ٣٦٠، مادة (جنح).

(٣) معجم البلدان ٤: ٤٩٠ ـ ٤٩١، والنقل بتصرف.

وفي (الفتوح): قال بشر القرشي: كان قدر الكوفة ستّة عشر ميلاً وثلثي ميل. وفي (المعجم): كان ظهر الكوفة يدعى خدّ العذراء ينبت الخزامى، والأقحوان، والشيح، والقيصوم، والشقائق[1].

وفي (المروج والمعجم): لمّا فرغ الحجّاج من دير الجماجم وفد على عبد الملك ومعه أشراف أهل الكوفة والبصرة فتذاكروا البلدان. فقال محمّد بن عمير بن عطارد: إنّ الكوفة أرض ارتفعت عن البصرة وحرّها وعمقها، وسفلت عن الشام، ووبائها، وجاورها الفرات. فعذب ماؤها، وطاب ثمرها إذا أتتنا الشمال ذهبت مسيرة شهر على مثل رضراض الكافور، وإذا هبّت الجنوب جاءتنا ريح السواد ووردة وياسمينه وأُترنجه. ماؤنا عذب وعيشنا خصب. فقال خالد بن صفوان: نحن أوسع منهم برية، وأسرع منهم في السرية، وأكثر منهم قنداً، وعاجاً، وساجاً. ماؤنا صفو، وخيرنا عفو لا يخرج من عندنا إلّا قائد أو سائق أو ناعق.

فقال الحجّاج: إنّي بالبلدين خبير وقد وطئتهما جميعاً.

فقال له عبد الملك: قل. فأنت عندنا مصدّق.

فقال: أمّا البصرة فعجوز شمطاء، دفراء بخراء، أُوتيت من كلّ حليّ وزينة، وأمّا الكوفة فشابة حسناء جميلة لا حليّ لها، ولا زينة.

فقال عبد الملك: فضّلت الكوفة على البصرة[2] وأمّا قول زياد «لو ضلّت البصرة لجعلت الكوفة لمن دلّني عليها» فعصبية.

وفي (الكامل): لمّا أراد عمر طوف البلدان بعد طاعون عمواس قال: أشيروا عليّ. فقال له عليّ عليه السلام: إنّ الكوفة للهجرة بعد الهجرة، وإنّما هي لَقُبَّةُ

---

(١) اشتبه على الشارح بل ما نقله عن الفتوح فهو في معجم البلدان ٤: ٤٩٢، وما عن المعجم ففي فتوح البلدان: ٢٧٧.

(٢) مروج الذهب ٣: ١٥١، ومعجم البلدان ٤: ٤٩٢.

الإسلام ليأتينها يوم لايبقى مسلم إلّا وحنّ عليها، ولينتصرن بأهلها كما انتصر بالحجارة من قوم لوط[١].

وفي (أخبار الدينوري): سار عليّ عليه السلام من البصرة إلى الكوفة. فلمّا أشرف عليها قال: ويحك يا كوفان ما أطيب هواءك، وأغذى تربتك، الخارج منك بذنب والداخل إليك برحمة. لا تذهب الأيام والليالي حتى يجيء اليك كل مؤمن، ويبغض المقام بك كلّ فاجر، وتعمرين حتّى أنّ الرجل من أهلك ليبكر الى الجمعة فلا يلحقها من بعد المسافة[٢].

وفي (المعجم) كان عليّ عليه السلام يقول: الكوفة كنز الايمان، وحجّة الإسلام، وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء، والّذي نفسي بيده لينتصرن الله بأهلها في شرق الأرض وغربها كما آنتصر بالحجاز، وكان إذا أشرف على الكوفة قال:

يا حبذا مقامنا بالكوفة

أرض سواء سهلة معروفة

تعرفها جمالنا العلوفة

وكان سلمان الفارسي يقول: أهل الكوفة أهل الله، وهي قبّة الإسلام»[٣].

وفي (صفين نصر بن مزاحم): قال عليّ عليه السلام ـ وأشار إلى قبر عظيم في النخيلة يدفن اليهود موتاهم حوله ـ ما يقول الناس فيه؟ فقال الحسن عليه السلام: يقولون هذا قبر هود النبيّ عليه السلام لمّا أن عصاه قومه جاء فمات هاهنا فقال عليه السلام: كذبوا لأنا أعلم به منهم هذا قبر يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بكر يعقوب ثمّ قال: هاهنا أحد من مهرة. قال فأُتي بشيخ كبير. فقال: أين منزلك؟

(١) الكامل ٢: ٥٦١، سنة ١٨.

(٢) الاخبار الطوال: ١٦١.

(٣) معجم البلدان ٤: ٤٩٢ ـ ٤٩٣.

قال: على شاطئ البحر. قال: أين من الجبل الأحمر؟ قال: قريب منه. قال: فما يقول قومك فيه؟ قال: يقولون: قبر ساحر. قال: كذبوا ذاك قبر هود عليه السلام، وهذا قبر يهودا بن يعقوب بكره، يحشر من ظهر الكوفة سبعون ألفاً على غرة الشمس يدخلون الجنّة بغير حساب(١).

وقال ابن أبي الحديد: قال أمير المؤمنين عليه السلام: الكوفة مدينتنا ومقرّ شيعتنا، يحشر من ظهرها يوم القيامة سبعون ألفاً وجوههم على صورة القمر(٢).

وفي (المعجم): ورد في مسجد الكوفة فضائل روى حبة العرني قال: كنت جالساً عند عليّ عليه السلام فأتاه رجل. فقال: يا أمير المؤمنين! هذه راحلتي وزادي أُريد هذا البيت -يعني بيت المقدس- فقال عليه السلام: كُلْ زادك، وبع راحلتك، وعليك بهذا المسجد -يعني مسجد الكوفة- فإنّه أحد المساجد الأربعة ركعتان فيه تعدلان عشراً في ما سواه من المساجد، والبركة منه إلى اثني عشر ميلاً من حيث ما أتيته، وهي نازلة من كذا ألف ذراع، وفي زاويته فار التنور، وعند الأُسطوانة الخامسة صلّى إبراهيم عليه السلام، وقد صلّى فيه ألف نبيّ، وألف وصي، وفيه عصا موسى، والشجرة اليقطين، وفيه هلك يغوث، ويعوق، وهو الفاروق، وفيه مسير لجبل الأهوان، وفيه مصلّى نوح عليه السلام، ويحشر منه يوم القيامة سبعون ألفاً ليس عليهم حساب، ووسطه على روضة من رياض الجنّة، وفيه ثلاث أعين من الجنّة تُذهب الرجس، وتُطهّر المؤمنين، لو علم الناس ما فيه من الفضل لأتوه حبواً(٣).

(١) وقعة صفين: ١٢٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨٦. والنقل بتصرف.

(٣) معجم البلدان ٤: ٤٩٢.

ورواه ابن قتيبة في (غريب حديثه) مختصراً، وفيه «فيه ثلاث أعين أنبتت بالضغث تذهب الرجس، وتطهّر المؤمنين: عين من لبن، وعين من دهن، وعين من ماء، جانبه الأيمن ذكر، وجانبه الأيسر مكر، ولو يعلم الناس ما فيه من الفضل لأتوه ولو حبواً» ـ وقوله عليه السلام «أنبتت بالضغث» أحسبه أراد الضغث الّذي ضرب أيوب أهله، والعين الّتي ظهرت لما ركض بالأرض رجله، وقوله عليه السلام «في جانبه الأيمن ذكر» أي صلاة، وقوله «في جانبه الأيسر مكر» أراه أراد المكر باللوذ به حين قتل في المسجد[1].

وفي المعجم قال السيّد الحميري في مسجد الكوفة:

لعمرك ما من مسجد بعد مسجد   بمكّة ظهراً أو مصلّى بيثرب
بشرق ولا غرب علمنا مكانه   من الأرض معموراً ولا متجنّب
بأبين فضلاً من مصلّى مبارك   بكوفان رحب ذي أراس ومخصب
مصلّى به نوح تأثل وابتنى   به ذات حيزوم وصدر محنّب
وفار به التنّور ماءً وعنده   له قيل أيا نوح في الفلك فاركب
وباب أمير المؤمنين الّذي به   ممر أمير المؤمنين المهذّب[2]

«تمدين مدّ الأديم» وجمعه أدم، وأدمة.

«العكاظي» عكاظ إسم سوق للعرب بناحية مكّة يجتمعون بها في كلّ سنة شهراً يتبايعون.

«تعركين» أي: تدلكين.

«بالنوازل» جمع النازلة شدّة تنزل.

«وتركبين بالزلازل» في فتن بني أُميّة وبني العباس.

---

(١) غريب الحديث لابن قتيبة ٢: ١٠٥.

(٢) معجم البلدان ٤: ٤٩٣.

«وأنّي لأعلم أنّه ما أراد بك جبّار سوءً إلّا آبتلاه الله بشاغل ورماه بقاتل» قال ابن أبي الحديد: قال جعفر بن محمّد عليه السلام: الكوفة تربة تحبّنا ونحبّها اللّهمّ ارم من رماها، وعاد من عاداها.

قال: وقال المنصور له عليه السلام: لقد هممت أن أبعث إلى الكوفة من ينقض منازلها، ويجمّر نخلها، ويستصفي أموالها، ويقتل أهل الريبة منها. فأشر عليّ. فقال: «إنّ المرء ليقتدي بسلفه، ولك أسلاف ثلاثة: سليمان أُعطي فشكر، وأيوب آبتلي فصبر، ويوسف قدر فغُفر. فاقتد بأيّهم شئت» فصمت قليلاً ثمّ قال: قد غفرت. قال: وفي (منتظم ابن الجوزي): لمّا حصب أهل الكوفة زياداً وهو يخطب؛ قطع أيدي ثمانين منهم، وهمّ أن يخرّب دورهم فجمعهم حتّى ملأ بهم المسجد والرحبة ليعرضهم على البراءة من عليّ عليه السلام وعلم أنّهم سيمتنعون فيحتجّ بذلك على استيصالهم، وإخراب بلدهم.

قال عبد الرحمن بن السائب الأنصاري: فإنّي لمع نفر من قومي والناس يومئذٍ في أمرٍ عظيم إذ هوّمت تهويمة. فرأيت شيئاً أقبل طويل العنق مثل عنق البعير، أهدر أهدل. فقلت: ما أنت؟ قال: «أنا النقّاد ذو الرقبة بعثت إلى صاحب هذا القصر» فانتبهت فزعاً. فقلت لأصحابي: هل رأيتم ما رأيت؟ قالوا: لا فأخبرتهم. وخرج علينا خارج من القصر. فقال: آنصرفوا فإنّ الأمير يقول: «إنّي عنكم اليوم مشغول» وإذا الطاعون قد ضربه فكان يقول: إنّي لأجد في جسدي حرّ النار حتّى مات. فقال عبد الرحمن:

ما كان منتهياً عمّا أراد بنا　　حتّى تناوله النّقّاد ذو الرقبه
فأثبت الشقّ منه ضربة عظمت　　كما تناول ظلماً صاحب الرحبه

قال: يعني بصاحب الرحبة أمير المؤمنين عليه السلام لأنّه كان يجلس معظم

زمانه في رحبة المسجد يحكم بين الناس[١].

قلت: ورواه (المروج) مع أدنى اختلاف[٢]. وفي (تاريخ اليعقوبي): روى أنّ زياداً كان أحضر قوماً بلغه أنّهم شيعة لعليّ عليه‌السلام ليدعوهم إلى سبّه والبراءة منه، أو يضرب أعناقهم ـ وكانوا سبعين رجلاً ـ فصعد المنبر، وجعل يتكلّم بالوعيد والتهديد. فنام بعض القوم ـ وهو جالس ـ فقال له بعض أصحابه: تنام وقد أحضرت لتقتل؟! فقال: من عمود إلى عمود فرجان لقد رأيت في نومتي هذه عجباً. رأيت رجلاً أسود يضرب رأسه السقف دخل المسجد: فقلت: من أنت يا هذا؟ فقال: النقّاد ذو الرقبة. قلت: وأين تريد؟ قال: أدّق عنق هذا الجبار الّذي يتكلّم على هذه الأعواد.

فبينا زياد يتكلّم على المنبر، إذ قبض على إصبعه ثمّ صاح: يدي. وسقط عن المنبر مغشياً عليه، فأُدخل القصر، وقد طعن في خنصره اليمنى. فأحضر الطبيب، وقال له: إقطع يدي. قال: أخبرني عن الوجع الّذي تجده في يدك أو في قلبك. قال: في قلبي. قال: فعش سوياً.

فلمّا نزل به الموت كتب إلى معاوية إنّي كتبت وأنا في آخر يوم من الدنيا وأوّل يوم من الآخرة...[٣].

وفي (تاريخ الطبري) قال أبو مخنف: لمّا قتل يوسف بن عمر زيد بن علي أقبل حتّى دخل الكوفة، فصعد المنبر. فقال: يا أهل المدرة الخبيثة إنّي والله ما تقرن بي الصعبة، ولا يقعقع لي بالشنان، ولا أُخوّف بالذئب. هيهات حبيت بالساعد الأشد. أبشروا يا أهل الكوفة بالصّغار والهوان، لا عطاء لكم

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨٦ والنقل بتصرف يسير.

(٢) مروج الذهب ٣: ٢٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٣٥، والنقل بتصرف يسير.

عندنا ولا رزق، ولقد هممت أن أخرب بلادكم ودوركم وأحرمكم أموالكم. أَمَ والله ما علوت منبري إلّا أسمعتكم ما تكرهون عليه. فإنكم أهل بغي وخلاف، ما منكم إلّا من حارب الله ورسوله إلّا حكيم بن شريك المحاربي، ولقد سألت الخليفة أن يأذن لي فيكم. ولو أذن لقتلت مقاتلتكم، وسبيت ذراريكم[1].

هذا وقال الخوئي: قال أبو الحسن الكيذري في شرحه: فمن الجبابرة الذين آبتلاهم الله بشاغل؛ زياد. أصابه الفالج، وآبنه عبيد الله أصابه الجذام، والحجّاج قد تولّدت الحيات في بطنه حتّى مات، وعمر بن هبيرة، وآبنه يوسف، وقد أصابهما البرص، وخالد القسري، وقد حبس حتّى مات جوعاً.

وأما الّذين رماهم الله بقاتل. فعبيد الله، ومصعب، وأبو السرايا قتلوا جميعاً، ويزيد بن المهلّب قتل على أسوء حال -الى أن قال- وزاد آبن ميثم عليهم المختار، ولا وجه لعدّه في الجبابرة[2].

قلت: العجب منهم جميعاً فإنّهم عن التاريخ ومعرفة الرجال بمعزل. فقول الأوّلين عمر بن هبيرة، وابنه يوسف، وتقرير الأخير لهم مضحك. فإنّ يوسف الّذي أراد سوءً بالكوفة كما عرفت ممّا نقلنا من الطبري لم يكن ابن عمر بن هبيرة الفزاري بل ابن عمر بن محمّد بن الحكم الثقفي إبن آبن عم الحجّاج فهو الحجاج بن يوسف بن الحكم بل لم يكن لعمر بن هبيرة ابن مسمى بيوسف بل بيزيد ولي العراقين لمروان بن محمّد كما وليهما أبوه ليزيد بن عبد الملك. مات عمر بن هبيره بالشام، وقتل يزيد غدراً من المنصور بعد أمانه له، واصابتهما بالبرص غير معلومة. فعنون معارف ابن قتيبة

(١) تاريخ الطبري ٥: ٥٠٧، سنة ١٢٣.

(٢) هكذا في شرح الخوئي ٢: ٧٤، وشرح ابن ميثم ٢: ١٢٥، وشرح الكيذري ١: ٣٤١، لكن ذكر الكيذري ايضاً المختار.

الأبرصين من الأشراف، ولم يذكرهما فيهم[١]. كما أنّ قولهم بموت خالد القسري جوعاً في الحبس غلط. فلم يقل ذلك أحد بل عذّب حتّى مات.

قال الطبري: قال يوسف بن عمر للوليد بن يزيد أنا أشتري منك خالداً بخمسين ألف ألف. فأرسل الوليد إلى خالد إن كنت تضمن ما قال، وإلاّ دفعتك إليه. فقال؛ ما عهدت العرب تباع ـ ورفع عوداً ـ وقال: والله ما أضمن هذا، فدفعه إلى يوسف، فنزع ثيابه ودرّعه عباءة ولحّفه بأُخرى، وحمله في محمل بغير وطاء ـ إلى أن قال ـ وعذّبه عذاباً شديداً. فمكث يوماً في العذاب ثمّ وضع على صدره المضربة فقتله من الليل، ودفن في عباءته الّتي كان فيها[٢].

كما أنّ قولهم بموت زياد بالفالج أيضاً خطأ بل ابتلي بطاعونة وآكلة كما عرفته من (تاريخ اليعقوبي وغيره)، وقال الطبري: خرجت طاعونة على إصبع زياد فأرسل إلى شريح يستشيره في قطع يده. فقال: لا تفعل فإن عشت صرت أجذم وإن هلكت كنت جانياً على نفسك. فقال: أنام والطاعون في لحاف فعزم أن يفعل. فلمّا نظر إلى النار والمكاوي جزع فتركه[٣].

كما أنّ قولهم: إنّ عبيد الله أصابه الجذام لم أقف على من ذكره، فعنون (معارف ابن قتيبة) جذامى الأشراف، ولم يذكره فيهم[٤]، وببالي أنّي رأيت ـ ولم أذكر موضعه ـ أنّه أصاب فخذه قطرة من دم رأس الحسين عليه السلام فثقبه، وتعفّن فكان يستعمل المسك، وبه عرفه إبراهيم بن الأشتر.

ففي (تاريخ الطبري): لمّا قتل إبراهيم عبيد الله قال لأصحابه: قتلت رجلاً

---

(١) المعارف: ٥٨٠.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٥٦٢، سنة ١٢٦، والنقل بتصرف يسير.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٢١٥، سنة ٥٣، والنقل بتصرف يسير.

(٤) المعارف: ٥٨٤.

وجدت منه رائحة المسك فالتمسوه...»[١].

كما أنّ قولهم: ويزيد بن المهلب قتل على أسوأ حال؛ غلط. فإنّه خرج على يزيد بن عبد الملك، ومع انهزام أصحابه ثبت وقاتل حتّى قتل، وقد عدّوه في أباة الضيم، وقال الشاعر فيه:

«إن يقتلوك فإنّ قتلك لم يكن عاراً عليك ورب قتل عار»

وأكثر ولايته أيّام الحجاج، وأيام سليمان كان على خراسان لا الكوفة، وإنّما خرج بالبصرة. فتركه أهلها وانهزموا عنه. فقال: إضربوا وجوه من ينهزم. ففعلوا ذلك حتّى كثروا عليه. فقال: دعوهم ترحهم الله! غنم عدا في نواحيها الذئب.

كما أنّ اقتصار الخوئي في إنكاره على ابن ميثم عدّ المختار في الجبابرة غلط، بل عدّه في أصل من أراد سوءً بالكوفة خطأ، فإنّه إنّما تتبّع قتلة الحسين عليه السلام من أهل الكوفة، وكيف وأنصاره شيعة الكوفة.

كما أنّ مصعباً لم يرد سوءً بالكوفة، بل قتل أصحاب المختار، وخذله أهل الكوفة في حربه مع عبد الملك، وغدروا به.

ومن المضحك عدّهم أبا السرايا فيهم، فهل كان أصحابه إلّا أهل الكوفة.

ففي (مقاتل أبي الفرج): خرج مع أبي السرايا أكثر أهل الكوفة زهاء مئتي ألف وأكثر...، وإنّما كاد جيش العباسيين أصحابه من أهل الكوفة فلامهم على ذلك كما كاد جيش معاوية أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من أهل الكوفة فلامهم عليه السلام[٢].

ففي (المقاتل): بعث أبو السرايا عليّ بن محمّد بن جعفر المعروف

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٥٥، سنة ٦٧، والنقل بتلخيص.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٣٦٦، والنقل بالمعنى.

بالبصري في جيل وأمره أن يأتي هرثمة من ورائه. فمضى لوجهه ولم يشعر هرثمة حتّى قرب منه فصاح هرثمة يا أهل الكوفة على ما تسفكون دماءنا و دماءكم ـ إلى أن قال ـ، وإن أحببتم إخراج الأمر من ولد العباس. فانصبوا إمامكم و آتفقوا معنا نتناظر فيه، فامتنع أهل الكوفة عن القتال، وقالوا: لا يحلّ لنا قتالهم، فغضب أبو السرايا. فقال: يا أهل الكوفة! يا قتلة عليّ عليه السلام. وخذلة الحسين عليه السلام! إنّ المغترّ بكم لمغرور، وإنّ المعتمد على نصركم لمخذول، وإنّ الذليل لمن أعززتموه، والله ما حمد عليّ عليه السلام أمركم في حمده، ولا رضي مذهبكم في رضاه، ولقد حكمكم فحكمتم عليه، وآئتمنكم فخنتم أمانته، ووثق بكم فحلتم عن ثقته ثم لم تنفكّوا عليه مختلفين...[1].

فإن أرادوا به هذا فهو كما ترى إنّما لامهم بمعاملتهم مع أمير المؤمنين عليه السلام ما عاملوه به، وأيُّ ربط لذلك بما قالوا، وقد شكا من أهل الكوفة كلّ برّ وفاجر.

قال البلاذري: إنّ عمر آستعمل على أهل الكوفة سعداً. فشكوه بأنّه لا يحسن الصلاة. فاستعمل عليهم عمّاراً. فشكوه بأنّه ضعيف لا علم له بالسياسة، فقال: من عذيري من أهل الكوفة؟! إن استعملت عليهم القويّ فجّروه، وإن ولّيت عليهم الضعيف حقّروه، ثمّ دعا المغيرة. فقال: إن ولّيتك الكوفة أتعود إلى شيء ممّا قرفت به؟ فقال: لا...[2].

ومراد عمر بقوله للمغيرة: «أتعود إلى شيء ممّا قرفت به؟» زناه بالبصرة حتّى عزله عنها. فاستعمله على الكوفة كما أسقط الحدّ عنه. فصار سخرية بين الناس في قولهم: غضب الله عليك كما غضب عمر على المغيرة،

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٦٣، والنقل بتصرف يسير.

(٢) فتوح البلدان: ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

عزله عن البصرة وآستعمله على الكوفة كما مرّ في سابقه[١].

وبالجملة، فكلامهم في غاية السقوط. فإنّ مراده عليه السلام من أراد سوءً بالكوفة من حيث كونها معدن الشيعة والمحقق من المنخرط في العنوان زياد وكذا منصور كما عرفتهما من (ابن أبي الحديد) ويوسف بن عمر بن محمّد الثقفي الّذي ذكرناه، وفي (٦٦) من باب الكتب في كتابه عليه السلام إلى أهل الكوفة واصفاً لهم بجبهة الأنصار، و سنام العرب.

هذا، وفي (تاريخ الطبري): أنّ أهل الكوفة لاتزال الجماعة منهم قد طعنوا على عاملهم، وتظلّموا على أميرهم، وتكلّموا كلاماً فيه طعن على سلطانهم فرفع ذلك إلى المنصور. فقال للربيع: أُخرج إلى من بالباب من أهل الكوفة فقل لهم إن الخليفة يقول لكم: لئن آجتمع آثنان منكم في موضع لأحلقنّ رؤوسهما ولحاهما، ولأضربن ظهورهما. فالزموا منازلكم، وأبقوا على أنفسكم. فخرج إليهم الربيع بهذه الرسالة. فقال له ابن عيّاش: يا شبه عيسى بن مريم -وكان الربيع لم يعرف له أب- أبلغ الخليفة عنّا كما أبلغتنا عنه. فقل له: والله مالنا بالضرب طاقة فأما حلق اللحى. فإذا شئت -وكان ابن عيّاش منتوفاً- فأبلغه فضحك وقال: قاتله الله ما أدهاه وأخبثه[٢].

١٥
الخطبة (٥٧)

وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عليه السلام لِأَصْحَابِهِ:

أَمَا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجلٌ رَحْبُ ٱلْبُلْعُومِ مُنْدَحِقُ ٱلْبَطْنِ يَأْكُلُ مَايَجِدُ وَيَطْلُبُ مَالاَ يَجِدُ فَاقْتُلُوهُ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ. أَلاَ وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي

---

(١) رواه ابن قتيبة في عيون الأخبار ١: ٢١٦. وقد مر في العنوان ١١ من هذا الفصل.

(٢) تاريخ الطبري ٦: ٣٢٢، سنة ١٥٨، والنقل بتصرف يسير.

وَٱلْبَرَاءَةِ مِنِّي. فَأَمَّا ٱلسَّبُّ فَسُبُّونِي فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَلَكُمْ نَجَاةٌ. وَأَمَّا ٱلْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّأُوا مِنِّي فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى ٱلْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى ٱلْإِيمَانِ وَٱلْهِجْرَةِ.

قوله عليه السلام: «أما إنّه سيظهر عليكم بعدي رجل» وذلك عقوبة تركهم له واتّباعهم معاوية أخيراً كتركهم له واتّباعهم أبا بكر أوّلاً. روى نصر بن مزاحم في (صفينه) عن أبي سنان الأسلمي قال: خطب عليّ عليه السلام أصحابه ـ إلى أن قال ـ وأيم الله ما آختلفت أُمّة قط بعد نبيّها إلاّ ظهر أهل باطلها على أهل حقّها. قال أبو سنان: أشهد لقد سمعت عمّار بن ياسر يقول للناس: أمّا أمير المؤمنين عليه السلام فقد أعلمكم أنّ الأُمّة لم تستقم عليه أوّلاً، وانّها لن تستقيم عليه آخراً. ثمّ تفرّق الناس وقد نفذت أبصارهم في قتال عدوّهم(١).

وفي (مقاتل أبي الفرج) قال الشعبي: خطب معاوية حين بويع له. فقال: «ما آختلفت أُمّة بعد نبيّها إلّا ظهر أهل باطلها على أهل حقّها» ثمّ إنّه آنتبه فندم. فقال: إلّا هذه الأُمّة فإنّها وإنّها(٢).

وفي ابن أبي الحديد روى قيس بن الربيع عن يحيى بن هاني المرادي عن زياد بن فلان المرادي قال: كنّا في بيت عليّ عليه السلام نحن وشيعته وخواصّه، فالتفت فلم ينكر منّا أحداً. فقال: إنّ هؤلاء القوم سيظهرون عليكم فيقطعون أيديكم، ويسملون أعينكم. فقال رجل منّا: وأنت حيّ يا أمير المؤمنين؟ قال: أعاذني الله من ذلك، فالتفت فإذا واحد يبكي. فقال له: يا ابن الحمقاء! أتريد اللذات في الدنيا والدرجات في الآخرة؟! إنّما وعد الله الصابرين(٣).

---

(١) وقعة صفين: ٢٢٤.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٤٥.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٧٣.

«رحب البلعوم» أي: واسع الحلق. قال الوليد بن عقبة معرضاً بمعاوية:

إذا ما خرجنا من دمشق فلا نعد بها أبداً مادام فيها الجراضم

بصير بما في الطبل بالبقل عالم حزون لما التقّت عليه اللهازم

«مندحق البطن» في (الجمهرة): ناقة داحق وهي الّتي يخرج رحمها بعد النتاج[١].

قالوا: كان معاوية إذا جلس يقعد بطنه على فخذيه.

وفي (المروج): قال معاوية يوماً وعنده صعصعة ـ وكان قدم عليه بكتاب عليّ عليه السلام وعنده وجوه الناس ـ الأرض لله، وأنا خليفة الله. فما آخذ من مال الله فهو لي، وما تركت منه كان جائزاً لي. فقال صعصعة:

تمنّيك نفسك ما لا يكو ن جهلاً معاوي لا تأثم

فقال معاوية: يا صعصعة: تعلّمت الكلام. قال: العلم بالتعلّم، ومن لا يعلم يجهل، قال معاوية: ما أحوجك إلى أن اذيقك وبال أمرك. قال: ليس ذلك بيدك بل بيد الّذي لا يؤخّر نفساً إذا جاء أجلها. قال: ومن يحول بيني وبينك؟ قال: الّذي يحول بين المرء وقلبه. قال معاوية: إتسع بطنك للكلام كما اتّسع بطن البعير للشعير. قال: إتسع بطن من لايشبع، ودعا عليه لا يجمع»[٢].

«يأكل ما يجد» روى (صفين نصر بن مزاحم) عن بليد بن سليمان، عن الأعمش، عن عليّ بن الأقمر قال: وفدنا على معاوية وقضينا حوائجنا ثمّ قلنا لو مررنا برجل قد شهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعاينه. فأتينا عبد الله بن عمر. فقلنا يا صاحب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حدّثنا ما شهدت: قال: رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أرسل إلى هذا ـ يعني معاوية ـ يدعوه وكان يكتب بين يديه ـ فجاء الرسول. فقال: هو يأكل.

---

(١) جمهرة اللغة ٣: ٤٤٥.

(٢) مروج الذهب ٣: ٤٣.

فقال: لا أشبع الله بطنه. فهل ترونه يشبع...[١]، وضرب به المثل في ذلك. قال الشاعر:

وصاحب لي بطنه كالهاوية　　　كأنّ في أحشائه معاوية

هذا، ومن الأكولين: ميسرة الرأس، والفيل. استدعاهما المهدي العباسي وجعل يرمي لكلّ واحد منهما رغيفاً. فامتنع الفيل من تمام المئة، وأكل ميسرة تمام المئة وزاد عليها.

ومنهم أبو السرايا فكان ـ كما في (المقاتل) ـ يؤتى بمكوكي شعير فيطرح أحدهما بين يديه، والأُخرى بين يدي فرسه، فيستوفي الشعير قبل فرسه[٢].

ومنهم العلّاف أبو أبي بكر بن العلّاف. ركب الى الوزير المهلبي على حمار. فأمر الوزير أن يؤخذ حماره، ويذبح فيطبخ بماء وملح. ثمّ قدّم له على مائدة الوزير فأكل وهو لا يظنّه، ويستطيبه حتّى أتى عليه. فلمّا خرج ليركب طلب الحمار. فقيل له: حمارك في جوفك.

«ويطلب ما لا يجد» قالوا كان معاوية يأكل فيكثر. ثمّ يقول: إرفعوا فوالله ما شبعت، ولكن مللت[٣].

وفي (سفيانية الجاحظ) قال معاوية لأبي ذر: يا عدوّ الله وعدوّ رسوله تأتينا في كلّ يوم فتصنع ما تصنع ـ وكان أبو ذر يأتي كلّ يوم باب دار معاوية ويصرخ «آتتكم القطار. تحمل النار. اللّهم العن الآمرين بالمعروف التاركين له. اللّهمّ العن الناهين عن المنكر المرتكبين له» ـ فقال أبو ذر: ما أنا

(١) وقعة صفين: ٢٢٠، والنقل بتقطيع.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٣٦٨.

(٣) روى هذا المضمون الطبري في تاريخه ٨: ١٨٦، سنة ١٨٤.

«**رحب البلعوم**» أي: واسع الحلق. قال الوليد بن عقبة معرضاً بمعاوية:

إذا ما خرجنا من دمشق فلا نعد بها أبداً مادام فيها الجراضم

بصير بما في الطبل بالبقل عالم حزون لما التفّت عليه اللهازم

«**مندحق البطن**» في (الجمهرة): ناقة داحق وهي الّتي يخرج رحمها بعد النتاج[١].

قالوا: كان معاوية إذا جلس يقعد بطنه على فخذيه.

وفي (المروج): قال معاوية يوماً وعنده صعصعة ـ وكان قدم عليه بكتاب عليّ عليه السلام وعنده وجوه الناس ـ الأرض لله، وأنا خليفة الله. فما آخذ من مال الله فهو لي، وما تركت منه كان جائزاً لي. فقال صعصعة:

تمنّيك نفسك ما لا يكو ن جهلاً معاوي لا تأثم

فقال معاوية: يا صعصعة: تعلّمت الكلام. قال: العلم بالتعلّم، ومن لا يعلم يجهل، قال معاوية: ما أحوجك إلى أن اذيقك وبال أمرك. قال: ليس ذلك بيدك بل بيد الّذي لا يؤخّر نفساً إذا جاء أجلها. قال: ومن يحول بيني وبينك؟ قال: الّذي يحول بين المرء وقلبه. قال معاوية: إتسع بطنك للكلام كما اتّسع بطن البعير للشعير. قال: إتسع بطن من لايشبع، ودعا عليه لا يجمع»[٢].

«**يأكل ما يجد**» روى (صفين نصر بن مزاحم) عن بليد بن سليمان، عن الأعمش، عن عليّ بن الأقمر قال: وفدنا على معاوية وقضينا حوائجنا ثمّ قلنا لو مررنا برجل قد شهد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وعاينه. فأتينا عبد الله بن عمر. فقلنا يا صاحب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم حدّثنا ما شهدت: قال: رأيت النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أرسل إلى هذا ـ يعني معاوية ـ يدعوه وكان يكتب بين يديه ـ فجاء الرسول. فقال: هو يأكل.

(١) جمهرة اللغة ٣: ٤٤٥.

(٢) مروج الذهب ٣: ٤٣.

فقال: لا أشبع الله بطنه. فهل ترونه يشبع...[١]، وضرب به المثل في ذلك. قال الشاعر:

وصاحب لي بطنه كالهاوية كأنّ في أحشائه معاوية

هذا، ومن الأكولين: ميسرة الرأس، والفيل. استدعاهما المهدي العباسي وجعل يرمي لكلّ واحد منهما رغيفاً. فامتنع الفيل من تمام المئة، وأكل ميسرة تمام المئة وزاد عليها.

ومنهم أبو السرايا فكان ـ كما في (المقاتل) ـ يؤتى بمكوكي شعير فيطرح أحدهما بين يديه، والأُخرى بين يدي فرسه، فيستوفي الشعير قبل فرسه[٢].

ومنهم العلّاف أبو أبي بكر بن العلّاف. ركب الى الوزير المهلبي على حمار. فأمر الوزير أن يؤخذ حماره، ويذبح فيطبخ بماء وملح. ثمّ قدّم له على مائدة الوزير فأكل وهو لا يظنّه، ويستطيبه حتّى أتى عليه. فلمّا خرج ليركب طلب الحمار. فقيل له: حمارك في جوفك.

«ويطلب ما لا يجد» قالوا كان معاوية يأكل فيكثر. ثمّ يقول: إرفعوا فوالله ما شبعت، ولكن مللت[٣].

وفي (سفيانية الجاحظ) قال معاوية لأبي ذر: يا عدوّ الله وعدوّ رسوله تأتينا في كلّ يوم فتصنع ما تصنع ـ وكان أبو ذر يأتي كلّ يوم باب دار معاوية ويصرخ «آتتكم القطار. تحمل النار. اللّهم العن الآمرين بالمعروف التاركين له. اللّهمّ العن الناهين عن المنكر المرتكبين له» ـ فقال أبو ذر: ما أنا

(١) وقعة صفين: ٢٢٠، والنقل بتقطيع.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٣٦٨.

(٣) روى هذا المضمون الطبري في تاريخه ٨: ١٨٦، سنة ٢٨٤.

يعدوّ لله ولرسوله بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله أظهرتما الإسلام، وأبطنتما الكفر، ولقد لعنك النبيّ ﷺ ودعا عليك مرّات أن لا تشبع. سمعت النّبيّ ﷺ يقول: «إذا ولي الأمة الأعين الواسع البلعوم الّذي يأكل ولا يشبع. فلتأخذ الأمّة حذرها منه».

فقال معاوية: ما أنا ذاك الرجل. قال أبو ذر: بل أنت ذلك الرجل أخبرني بذلك رسول الله ﷺ وسمعته يقول ـ وقد مررت به ـ «اللّهمّ العنه ولا تشبعه إلّا بالتراب» وسمعته ﷺ: يقول «است معاوية في النار» فضحك معاوية وأمر بحبسه[1].

وفي (مقاتل أبي الفرج) بأسانيد عن سفيان بن أبي ليلى قال: أتيت الحسن بن علي عليه السلام حين بايع معاوية فوجدته بفناء داره وعنده رهط. فقلت: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين. فقال: عليك السلام يا سفيان. إنزل. فنزلت. فعقلت راحلتي ثمّ أتيته فجلست إليه. فقال؛ كيف قلت يا سفيان؟ فقلت: السلام عليك يا مذلّ رقاب المؤمنين. فقال: ما جرّ هذا منك إلينا؟ فقلت: «أنت والله بأبي أنت وأمّي أذللت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة، وسلّمت الأمر الى اللعين ابن اللعين ابن آكلة الأكباد، ومعك مائة ألف كلّهم يموت دونك، وقد جمع الله لك أمر الناس».

فقال: يا سفيان إنّا أهل بيت إذا علمنا الحقّ تمسّكنا به، وإنّي سمعت عليّاً عليه السلام يقول: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «لا تذهب الليالي والأيّام حتّى يجتمع أمر هذه الأمّة على رجل واسع السرم، ضخم البلعوم، يأكل ولا يشبع، ولا ينظر الله إليه، ولا يموت حتّى لا يكون له في السماء عاذر، ولا في الأرض

---

(١) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٣٥٦، شرح الخطبة ١٣١.

ناصر، وانّه لمعاوية، وإنّي عرفت أنّ الله بالغ أمره»[١].

هكذا وجدت والظاهر وقوع تحريف، وأنّ الأصل «في السماء ناصر ولا في الأرض عاذر».

وروى نصر بن عاصم الليثي عن أبيه قال: أتيت مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والناس يقولون: نعوذ بالله من غضب الله، وغضب رسوله. فقلت: ما هذا؟ قالوا: معاوية قام الساعة فأخذ بيد أبي سفيان فخرجا من المسجد. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : لعن الله التابع والمتبوع، ربَّ يوم لأُمتي من معاوية ذي الاستاه قالوا: يعني العجز الكبير[٢].

ومن الخبرين يظهر وصف معاوية بذي الاستاه، وواسع السرم كوصفه برحب البلعوم وضخمه.

«فاقتلوه ولن تقتلوه» وكيف كانوا يقتلونه بأمره عليه السلام ، وقد جحدوا إمامته علانية، وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم بقتله قبله عليه السلام : ولم يمتثلوه مع إقرارهم بنبوّته ظاهراً.

وروى نصر بن مزاحم في (صفّينه) عن ابن مسعود قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاضربوا عنقه. قال الحسن: فما فعلوا، ولا أفلحوا.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه. قال أبو سعيد: فلم نفعل، ولم نفلح[٣].

ثمّ الغريب أنّهم لم يقتصروا على عدم امتثال أمر نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم بل حرّفوا كلامه وجعلوه مدحاً له. فنقله الخطيب الناصبي في عنوانه محمّد بن

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٤٤.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٣٦٣، شرح الخطبة ٥٧.

(٣) وقعة صفين: ٢١٦.

إسحاق بن مهران هكذا: إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقبلوه فإنّه أمين مأمون[١] ـ فتراه حرّف وزاد تصحيحاً لتحريفه.

وروي (الثقفي في غاراته) عن الأعمش عن أنس بن مالك قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول «سيظهر على الناس رجل من أُمّتي عظيم السرم، واسع البلعوم يأكل ولا يشبع، يحمل وزر الثقلين يطلب الامارة يوماً فإذا أدركتموه فابقروا بطنه» وكان في يد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قضيب قد وضع طرفه في بطن معاوية[٢].

«ألا وانّه سيأمركم بسبّي والبراءة منّي» قال ابن أبي الحديد: قال الجاحظ: كان معاوية يقول في آخر خطبة الجمعة: اللّهمّ إنّ أبا تراب ألحد في دينك، وصدّ عن سبيلك. فالعنه لعناً وبيلاً، وعذّبه به عذاباً أليماً ـ وكتب بذلك الى الآفاق. فكانت هذه الكلمات يشار بها على المنابر إلى خلافة عمر بن عبد العزيز.

قال: وروي أنّ قوماً من أُميّة قالوا لمعاوية: إنّك قد بلغت ما أمّلت فلو كففت عن لعن هذا الرجل. فقال: لا والله حتى يربو عليها الصغير، ويهرم عليها الكبير، ولا يذكر له ذاكر فضلاً، وأمر المغيرة ـ وكان أمير الكوفة من قبل معاوية ـ حجر بن عدي أن يقوم في الناس. فيلعن عليّاً عليه السلام فأبى ذلك. فتوعده فقال: أيّها الناس! إنّ أميركم أمرني أن ألعن عليّاً. فالعنوه. فقال أهل الكوفة: لعنه الله. فأعاد الضمير إلى المغيرة بالقصد[٣].

وفي (تاريخ الطبري): في مقتل حجر بن عدي في سنة (٥١) لمّا ولى

(١) تاريخ بغداد ١: ٢٥٩.

(٢) رواه عن الغارات ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٣٧٢ لكن لم يوجد في النسخة المطبوعة.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٥٦ والنقل بتقطيع.

معاوية المغيرة الكوفة قال له: أردت إيصاءك بأشياء كثيرة وأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني، ويسعد سلطاني، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة. لا تتحمّ عن شتم عليّ وذمّه، والترحّم على عثمان والعيب على أصحاب عليّ وإقصائهم واطراء شيعة عثمان وإدنائهم. فقال المغيرة: قد جرّبت وجرّبت وعملت قبلك لغيرك فلم يذمم بي دفع، ولا رفع، ولا وضع فستبلو ـ إلى أن قال ـ وأقام على الكوفة سبع سنين وأشهراً وهو من أحسن شيء سيرة غير انّه لا يدع ذمّ عليّ عليه السلام والوقوع فيه والدعاء لعثمان والتزكية لأصحابه. فكان حجر إذا سمع ذلك قال: بل إيّاكم فذمّم الله ولعن ـ ثمّ يقوم ويقول ـ إنّ الله تعالى يقول: ﴿كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله﴾[1] وأنا أشهد أنّ من تذمّون لأحقّ بالفضل، ومن تزكّون أولى بالذم ـ إلى أن قال.

حتّى كان في آخر امارته فقام وقال في عليّ وعثمان كما كان يقول: فقام حجر فنعر نعرة سمعها من كان خارجاً وقال: إنّك لا تدري بمن تولع من هرمك ـ إلى أن قال ـ:

فقالوا للمغيرة: علام تترك هذا الرجل يقول هذه المقالة فإنّ ذلك إن بلغ معاوية كان أسخط له. فقال لهم المغيرة: انّي قد قتلته إنّه سيأتي أمير بعدي فيحبسه مثلي فيصنع به شبيهاً بما ترونه يصنع بي فيأخذه عند أوّل وهلة فيقتله شرّ قتلة. إنّه قد اقترب أجلي ولا أُحبّ أن أبتدئ أهل هذا المصر بقتل خيارهم، وسفك دمائهم. فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعزّ في الدنيا معاوية، ويذلّ يوم القيامة المغيرة...[2].

وفي (العقد): سبّ معاوية عليّاً عليه السلام على المنبر، وكتب إلى عمّاله أن

(١) النساء: ١٣٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ١٨٨ سنة ٥١، والنقل بتلخيص.

يلعنوه على المنابر. ففعلوا فكتبت أُمّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى معاوية: إنكم تسبّون الله ورسوله على منابركم وذلك أنكم تسبون علياً ومن أحبّه وأنا أشهد أن الله تعالى أحبّه ورسوله[1].

وتبع المروانيون غير عمر بن عبد العزيز منهم معاوية في الأمر بسبّه عليه السلام والبراءة منه لتشييد ملكهم.

قال ابن أبي الحديد: وروى أهل السيرة أنّ الوليد بن عبد الملك في خلافته ذكر علياً عليه السلام فقال: «لعنه الله ـ بالجر ـ كان لص ابن لصّ. فعجب الناس من لحنه في ما لا يلحن فيه أحد ومن نسبته علياً عليه السلام إلى اللصوصية.

قال: وذكر (المبرد في الكامل): أنّ خالد القسري لمّا كان أمير العراق في خلافة هشام كان يقول على المنبر «اللهمّ العن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم صهر النبيّ على ابنته، وأبا الحسن والحسين» ثمّ يقبل على الناس فيقول: هل كنيت.

قال: وذكر الجاحظ أنّ هشاماً لمّا حجّ خطب بالموسم. فقام إليه إنسان فقال: إنّ هذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه لعن أبي تراب. فقال: أُكفف فما لهذا جئنا[2].

وفي (المعجم) في عنوان المدائني: أمر المأمون أحمد بن يوسف بإدخالي عليه. فلمّا دخلت ذكر علياً عليه السلام فحدّثته فيه بأحاديث إلى أن ذكر لعن بني أُميّة له. فقلت: حدّثني أبو سلمة المثنى الأنصاري قال قال لي رجل: كنت بالشام فجعلت لا أسمع أحداً يسمّى علياً ولا حسناً ولا حسيناً، وإنّما أسمع معاوية، ويزيد والوليد. فمررت برجل جالس على باب داره وقد عطشت

---

(١) العقد الفريد ٥: ١٠٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٥٦، وكامل المبرد ٦: ٧٦، والنقل بتصرف.

فاستسقيته. فقال: ياحسن إسقه. فقلت له: أسمَّيْت حسناً. فقال: أي والله إنّ لي أولاداً أسماؤهم حسن وحسين، وجعفر. فإنّ أهل الشام يسمّون أولادهم بأسماء خلفاء الله، ولا يزال أحدنا يلعن ولده ويشتمه وإنّما سمّيت أولادي، بأسماء أعداء الله. فإذا لعنت إنّما ألعن أعداء الله. فقلت له: ظننتك خير أهل الشام وإذا جهنّم فيها شرّ منك. فقال المأمون: لا جرم قد ابتعث الله عليهم من يلعن أحياءهم وأمواتهم، ويلعن من في أصلاب الرجال وأرحام النساء منهم يعني الشيعة(١).

وفي (نقض الاسكافي): كان دعيّ لبني أُميّة يقال له : خالد بن عبدالله لا يزال يشتم علياًعليه السلام فلمّا كان يوم جمعة وهو يخطب الناس قال: والله إن كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ليستعمله وانّه ليعلم ماهو، ولكنّه كان ختنه، وقد نعس سعيد بن المسيب ففتح عينيه ثمّ قال: ويحكم ما قال هذا الخبيث؟ رأيت القبر انصدع والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: كذبت يا عدوّ الله.

وفيه: أقبل بالمدينة رجل على بعير فوقف فسبّ علياًعليه السلام فحفّ به الناس ينظرون إليه، فبينا هو كذلك إذ أقبل سعد بن أبي وقاص فقال: اللّهمّ إن كان سبّ عبداً لك صالحاً فأر المسلمين خزيه. فما لبث أن نفر به بعيره فسقط فاندقّ عنقه(٢).

وفي (الأغاني): دخل فراس بن جعدة بن هبيرة على خالد القسري وبين يديه نبق. فقال له: إلعن علياً ولك بكلّ نبقة دينار، ورأى يوماً عكرمة مولى ابن عباس، وعلى رأسه عمامة سوداء. فقال: إنّه بلغني أنّ هذا العبد يشبه علياً وإنّي لأرجو أن يسوّد الله وجهه كما سوّد وجه ذاك، وقال ابن شهاب: قال لي

---

(١) معجم الادباء ١٤: ١٢٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) رواه عن النقض ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٢٥٩، شرح الخطبة ١٩٠.

خالد القسري أكتب لي السيرة فقلت له: فإنّه يمرّ بي الشيء من سير عليّ فأذكره؟ فقال: لا. إلّا أن تراه في قعر الجحيم. قال: لعن الله خالداً، ومن ولّاه وقبّحهم، وصلوات الله على أمير المؤمنين(١).

وفي ابن أبي الحديد: روى الكلبي عن أبيه عن عبد الرحمن بن سائب قال الحجاج يوماً لعبد الله بن هاني وهو رجل من بني أود شهد معه مشاهده: والله ما كافأتك بعد ثمّ أرسل إلى أسماء بن خارجة سيّد بني فزارة أن زوّج بنتك من عبدالله. فقال: لا والله. فدعا له بالسياط. فقال: نعم ثمّ بعث إلى سعيد بن قيس الهمداني ان زوّج ابنتك من عبدالله. فقال: لا والله. فدعا بالسيف فزوّجه.

فقال له الحجّاج: قد زوّجتك بنت سيد فزارة، وبنت سيّد همدان، وما أود هناك. فقال: إنّ لنا مناقب ليست لأحد من العرب. قال: وماهي؟ قال: ما سبّ عبد الملك في نادٍ لنا قط، ومنّا نسوة نذرن إن قتل الحسين أن ينحر كلّ واحد عشرة قلائص، وما منّا رجل عرض عليه شتم أبي تراب إلاّ فعل وزاد ابنيه حسناً وحسيناً وأُمّهما فاطمة.

وكان الحجاج يقول له كلّ مرّة: منقبة والله. فقال: وما أحد من العرب له من الصباحة والملاحة ما لنا. فضحك الحجاج وقال: أمّا هذه فدعها. وكان دميماً مجدوراً، في رأسه عجر، مائل الشدق، أحول(٢).

«امّا» هكذا في (المصرية)، والصواب: (فأمّا) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)(٣).

---

(١) الأغاني ٢٢: ١٥ و ١٦ و ١٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٥٧، شرح الخطبة ٥٧، والنقل بتصرف يسير.

(٣) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٥٥، وشرح ابن ميثم ٢: ١٤٩ أيضاً نحو المصرية.

«السبُّ فسبّوني فإنّه لي زكاة ولكم نجاة» قال ابن أبي الحديد: الزكاة النماء، والزيادة، ومعنى كون السبّ زكاة له عليه السلام إمّا ما ورد في الخبر أنّ سبّ المؤمن زكاة له وزيادة في حسناته، وإمّا أنّ سبّهم لي لا ينقص قدري بل أزيد به شرفاً وعلوّ قدر وشياع ذكر، وهكذا كان. فإنّ الله تعالى جعل الأسباب الّتي حاولت أعداؤه بها الغضّ منه عللاً لانتشار صيته في مشارق الأرض ومغاربها[1].

وفي (الإرشاد): ومن آياته وبيناته التي انفرد بها ممّن عداه؛ ظهور مناقبه في الخاصة والعامة، وتسخير الجمهور لنقل فضائله، وما خصّه الله به من كرائمه وتسليم العدوّ من ذلك بما فيه الحجّة عليه. هذا مع كثرة المنحرفين عنه والأعداء له، وتوفر أسباب دواعيهم إلى كتمان فضله، وجحد حقّه، وكون الدنيا في يد خصومه، وانحرافها عن أوليائه، وما اتّفق لأضداده من سلطان الدنيا، وحمل الجمهور على إطفاء نوره ودحض أمره. فخرق الله العادة بنشر فضائله، وظهور مناقبه، وبتسخير الكلّ للاعتراف بذلك، والإقرار بصحته، واندحاض ما احتال به اعداؤه في كتمان مناقبه، وجحد حقوقه، حتّى تمّت الحجّة، وظهر البرهان بحقّه.

ولمّا كانت العادة جارية بخلاف ما ذكرناه في من اتّفق له من أسباب خمول أمره ما اتّفق لأمير المؤمنين عليه السلام فانخرقت العادة فيه، دلّ ذلك على بينونته من الكافة بباهر الآيه على ما وصفناه.

وقد شاع الخبر عن الشعبي أنّه كان يقول: لقد كنت أسمع خطباء بني أُميّة يسبّون عليّاً عليه السلام على منابرهم وكأنّما يشال بضبعه إلى السماء، وكنت أسمعهم يمدحون أسلافهم على منابرهم، وكأنّما يكشفون عن جيفة.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٧٣ ـ ٣٧٤، والنقل بتصرف يسير.

وقال الوليد بن عبد الملك لبنيه يوماً: عليكم بالدين فإنّي لم أر الدين بنى شيئاً فهدمته الدنيا، ورأيت الدنيا قد بنت بنياناً، فهدمه الدين. ما زلت أسمع أهلنا يسبّون علياً، ويدفنون فضائله، ويحملون الناس على شنآنه. فلا يزيده ذلك من القلوب إلاّ قرباً، ويجتهدون في تقريبهم من نفوس الخلق. فلا يزيدهم من القلوب إلّا بعداً ـ الى أن قال ـ:

وكانت الولاة الجورة تضرب بالسياط من ذكره بخير، بل تضرب الرقاب على ذلك وتعرض الناس على البراءة منه، والعادة جارية في من اتّفق له ذلك ألّا يُذكر على وجهٍ بخير، فضلاً عن أن تذكر له فضائل، وإذا كان ظهور فضائله على ما قدّمنا ذكره من شياع ذلك في الخاصة والعامة، وتسخير العدوّ، والولي لنقله، ثبت خرق العادة فيه، وبان وجه البرهان في معناه بالآية الباهرة.

ثمّ أمره عليه السلام أصحابه بسبّه عند أمر الجبابرة لهم بذلك لكونه زكاة له عليه السلام ونجاة لهم أمر إباحة لاستثنائه من الحظر. لا أمر إيجاب، وكان يجوز لهم الاستسلام للهلكة وتركه بل هو أحسن وكونه أرفع درجة [1].

وروى الكشّي عن الباقر عليه السلام أنّ الحجّاج قال ليحيى ابن أُمّ الطويل: إلعن أبا تراب. فأبى. فأمر بقطع يديه ورجليه وقتله [2].

وروى ذيل الطبري أنّ الحجّاج كتب إلى محمّد بن القاسم الثقفي. أن ادعُ عطية فإن لعن علياً وإلّا فاضربه [3].

وروى الطبري في صيفي بن فسيل ـ من رؤوس أصحاب حجر بن

---

(١) الإرشاد: ١٦٣، والنقل بتصرف يسير.

(٢) اختيار معرفة الرجال ١٢٣ ح ١٩٥، والنقل بالمعنى.

(٣) منتخب ذيل المذيل: ١٢٨.

عدي ـ أنّ زياداً قال له: يا عدوّ الله ما تقول في أبي تراب؟ قال: ما أعرف أبا تراب. قال: ما أعرفك به قال: ما أعرفه. قال: أما تعرف عليّ بن أبي طالب؟ قال: بلى. قال: فذاك أبو تراب. قال: كلّا ذاك أبو الحسن وأبو الحسين عليهما السلام. فقال له صاحب الشرطة: يقول لك الأمير هو أبو تراب وتقول أنت لا. قال له: ان كذب الأمير أتريد أن أكذب، وأشهد له على باطل كما شهد. قال زياد: عليّ بالعصا. فأُتي بها قال: ما قولك فيه؟ قال: أحسن قول أنا قائله في عبد من عباد الله المؤمنين. قال: اضربوا عاتقه بالعصا حتى يلصق بالأرض. فضرب حتّى لزم الأرض. ثم قال: أقلعوا عنه. إيه ما قولك في عليّ؟ قال: والله لو شرحتني بالمواسي والمدى ما قلت إلاّ ما سمعت منّي. قال: لتلعننّه أو لأضربن عنقك. قال: اذن تضربها والله قبل ذلك...[١].

ثمّ مع جوازه يجب عليه التورية إن أمكنه ذلك، روى الكشّي أنّ معاوية قال لصعصعة بن صوحان: اصعد المنبر والعن علياً. فصعده وقال: أيّها الناس! إنّ معاوية أمرني أن ألعن عليّ بن أبي طالب. فالعنوا من لعن علي بن أبي طالب فضجّوا بآمين. فلمّا خبّر معاوية قال: لا والله ما عنى غيري. أخرجوه لا يساكنني في بلد. فأخرجوه[٢].

وروى (العقد) عن الأعمش قال: رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى ضربه الحجّاج وأوقفه على باب المسجد، فجعلوا يقولون له: العن الكاذبين عليّ بن أبي طالب، وعبدالله بن الزبير، والمختار بن أبي عبيد. فقال: لعن الله الكاذبين ـ ثمّ قال ـ عليّ بن أبي طالب ـ إلى أن قال ـ فعرفت حين سكت ثمّ ابتدأ فرفع أنّه ليس يريدهم[٣].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٩٨، سنة ٥١.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٦٨ ح ١٢٣، والنقل بتقطيع.

(٣) العقد الفريد ٥: ٢٦٩.

هذا، وروى (الكافي): أنّ أبا الصباح الكناني قال للصادق عليه السلام: إنّ لنا جاراً يجلس الينا، فنذكر فضل عليّ عليه السلام فيقع فيه. أفتأذن لي فيه. فقال عليه السلام: دعه فستكفى. فلمّا رجعت إلى الكوفة قيل لي بعد ثمانية عشر يوماً انّ الرجل أُيقِظ فإذن هو مثل الزق المنفوخ ميّتاً فذهبوا يحملونه. فإذا لحمه يسقط عن عظمه. فجمعوه في نطع فإذا تحته أسود[(١)].

«وأمّا البراءة فلا تتبرأوا منّي» قال ابن أبي الحديد: لا فرق عند أصحابنا بين السبّ والتبرّي في جواز فعلهما مع التقية، وتركهما إعزازاً للدين، وإنما استفحش عليه السلام البراءة لأنّ هذه اللفظة ما وردت في القرآن إلّا عن المشركين مثل قوله تعالى: ﴿براءة من الله ورسوله إلى الّذين عاهدتم من المشركين﴾[(٢)] فصارت الكلمة بالعرف الشرعي مطلقة على المشركين خاصة، وأما الإمامية فتروي عنه عليه السلام أنّه قال: إذا عرضتم على البراءة منّا فمدّوا الأعناق. ويقولون: لا يجوز التبرّي منه إن كان الحالف صادقاً وإنّ عليه الكفارة ويقولون: إنّ حكم البراءة من الله تعالى ومن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن أحد الأئمة عليهم السلام واحد، ويقولون: إنّ الإكراه على السبّ يبيح إظهاره، ولا يجوز الاستسلام للقتل معه، وأمّا الإكراه على البراءة فإنّه يجوز معه الاستسلام للقتل، ويجوز إظهار التبري، والأولى الاستسلام[(٣)].

قلت: كلامه كلّه خلط وخبط. أما قوله صارت كلمة البراءة بالعرف الشرعي مطلقة على المشركين خاصة فجزاف، فأيّ دلالة للآية على ما قال بعد التصريح فيها بأنّ الله ورسوله بريء من المشركين.

---

(١) أخرجه السروي في مناقبه ٤: ٢٣٩، ولم يوجد في الكافي والنقل بتصرف يسير.

(٢) التوبة: ١.

(٣) شرح ابن ابي الحديد ١: ٣٧٤ ـ ٣٧٥، والنقل بتصرف في اللفظ.

وأما قوله فتروي الإمامية عنه عليه السلام «إذا عرضتم على البراءة منّا فمدوا الأعناق» فبهتان. فالأصل في الرواية العامة وتبعهم المصنّف وقبله شيخه المفيد غفلة فقال في (ارشاده) ما أستفاض عنه عليه السلام من قوله: «إنكم ستعرضون من بعدي على سبّي فسبّوني فإن عرض عليكم البراءة منّي فلا تبرأوا منّي فإنّي ولدت على الاسلام فمن عرض عليه البراءة منّي فليمدد عنقه. فمن تبرأ منّي فلا دنيا له ولا آخرة»(١) وأما الإماميّة فرووا تكذيب ما نسبوا إليه من أنّه عليه السلام قال لا تتبرأوا منّي.

روى الكليني في (باب تقية كافيه)، والحميري في (قرب إسناده) عن مسعدة ابن صدقة أنّه قيل لجعفر بن محمد عليه السلام: إنّ الناس يروون أنّ علياً عليه السلام قال على منبر الكوفة: «أيّها الناس انكم ستدعون إلى سبّي فسبّوني ثمّ تدعون إلى البراءة منّي فلا تتبرّأوا منّي». فقال: ما أكثر ما يكذب الناس على عليّ عليه السلام. إنّما قال: «إنكم ستدعون الى سبّي فسبّوني ثم ستدعون إلى البراءة منّي وإنّي لعلى دين محمّد» ولم يقل «ولا تتبرأوا منّي». فقال له السائل: أرأيت إن اختار القتل دون البراءة. فقال: والله ما ذلك عليه، وماله إلّا ما مضى عليه عمّار حيث أكرهه أهل مكة وقلبه مطمئن بالايمان. فأنزل الله فيه ﴿إلّا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾(٢) فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عندها: يا عمّار ان عادوا فعد فقد أنزل الله تعالى عذرك(٣).

وروى إبراهيم الثقفي في (غاراته) ـ وقد نقله ابن أبي الحديد نفسه ـ عن يوسف بن كليب المسعودي، عن يحيى بن سليمان العبدي، عن أبي مريم

---

(١) الإرشاد: ١٦٩.

(٢) النمل: ١٠٦.

(٣) رواه الكليني في الكافي ٢: ٢١٩ ح ١٠، والحميري في قرب الاسناد: ٨.

الأنصاري عن محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: خطب عليّ عليه السلام على منبر الكوفة. فقال «سيعرض عليكم سبّي وستذبحون عليه فإن عرض عليكم سبّي فسبّوني، وإن عرض عليكم البراءة منّي فإنّي على دين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم» ولم يقل فلا تبرأوا منّي.

وعن أحمد بن المفضل عن الحسن بن صالح عن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: قال عليّ عليه السلام : والله لتذبحنّ على سبّي ـ وأشار بيده إلى حلقه ـ ثمّ قال «فإن أمروكم بسبّي فسبّوني، وإن أمروكم أن تبرأوا منّي فإنّي على دين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم» ولم ينههم عن إظهار البراءة[١]. فهذه ثلاثة أخبار: خبران عن الصادق عليه السلام وخبر عن الباقر عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم ينههم عن اظهار البراءة، وإن نسبة النهي إليه عليه السلام من العامة.

وبالجملة، المحقّق من الفرق بين السبّ والبراءة انّه عليه السلام في السب قال «فسبّوني»، وأمّا في البراءة فلم يقل «فتبرأوا منّي» وإنّما آقتصر على قوله عليه السلام «فإنّي على دين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم» فتوهّموا انّه نهى فدفع عترته عليهم السلام التوهّم بأنّه اقتصر على ذاك، وهو أعم من النهي وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال له «الايمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي»[٢].

ووجه تفريقه عليه السلام أنّ من يأمرهم بالسبّ يأمرهم لهوى نفسه فلا يقبل جوابه، وأمّا من يأمرهم بالتبرّي فإنّما يأمرهم بالتبرّي منه عليه السلام أي من دينه. فعلّمهم عليه السلام كيف يجيبونهم بأنّ دين عليّ عليه السلام دين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وهم كانوا في الظاهر مقرّين به ولا يمكنهم انكاره.

---

(١) رواه عن الغارات ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٣٧٢، شرح الخطبة ٥٧، لكن لم يوجد في النسخة المطبوعة.

(٢) أخرجه في ضمن حديث الثقفي في المعرفة عنه أعلام الورى: ١٨٦، وابن المغازلي في مناقبه: ٢٣٧ ح ٢٨٥، والصدوق في أماليه: ٨٦ ح ١، المجلس ٢١، والكراجكي في كنز الفوائد: ٢٨١ وغيرهم.

روى الطبري أنّ شرطة معاوية لمّا قتلوا حجراً مع خمسة من أصحابه لعدم قبولهم التبرّي قال عبد الرحمن بن حسان العنزي، وكريم بن عفيف الخثعمي: إبعثوا بنا إلى معاوية فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته. فبعثوا بهما إليه فقال الخثعمي له: الله الله يا معاوية فإنّك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ثمّ مسؤول عمّا أردت بقتلنا، وفيم سفكت دماءنا. فقال له معاوية: ما تقول في عليّ؟ قال: أقول فيه قولك أتبرأ من دين عليّ الّذي كان يدين الله به[1].

وفي (الإرشاد): روى أصحاب السيرة من طرق مختلفة أنّ الحجاج قال لقنبر: إبرأ من دين عليّ. قال. فإذا برئت من دينه تدلّني على دين أفضل من دينه. قال: إنّي قاتلك. فقال له: إنّه عليه السلام أخبرني أن منيتي تكون ذبحاً ظلماً بغير حقّ. فأمر به فذبح[2].

وفي (كامل المبرد)، ومن شعر علي عليه السلام الّذي لا آختلاف فيه أنّه قاله وكان يردّده:

يا شاهد الله عليّ فاشهدِ   أنّي على دين النبيّ أحمد
من شك في الله فإنّي مهتدي[3]

وفي كتاب الحسين عليه السلام إلى معاوية كما في (رجال الكشّي وخلفاء القتيبي): أولست صاحب الحضرميّين الّذين كتب فيهم ابن سميّة انّهم كانوا على دين عليّ فكتبت إليه ان اقتل كلّ من كان على دين عليّ. فقتلهم، ومثّل بهم بأمرك، ودين عليّ والله الّذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٠٦، سنة ٥١.
(٢) الإرشاد: ١٧٣، والنقل بتصرف يسير.
(٣) كامل المبرد ٧: ١٠٩.

مجلسك الّذي جلست، ولولا ذلك لكان شرفك، وشرف أبيك الرحلتين[1].

وحجر بن عدي مع أصحابه كانوا أربعة عشر تبرّأ نصفهم وهم كريم بن عفيف، وعبد الله بن حوية، وعاصم بن عوف، وورقاء بن سمي، والأرقم بن عبد الله، وعتبة بن الأخنس، وسعد بن نمران، فنجوا، وأبى نصفهم فقتلوا، وهم حجر، وعبد الرحمن العنزي، وشريك بن شدّاد، وصيفي بن فسيل، وقبيصة بن ضبيعة، ومحرز بن شهاب، وكدام بن حيان.

وروى النسوي أنّ علياً عليه السلام قال: يا أهل العراق سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء مثلهم كمثل أصحاب الأخدود[2].

وفي (المروج): لمّا صار حجر وأصحابه إلى مرج عذراء ـ على اثني عشر ميلاً من دمشق ـ تقدّم البريد بخبرهم إلى معاوية. فبعث برجل أعور. فلمّا أشرف عليهم قال رجل من أصحاب حجر: إن صدق الزجر فإنّه يقتل منّا النصف، وينجو الباقون فقيل له وكيف ذلك؟ قال: أما ترون الرجل المقبل مصاباً بإحدى عينيه. فلمّا وصل اليهم قال لحجر إنّ الخليفة أمرني بقتلك يا رأس الضلال، ومعدن الكفر والطغيان، والمتولي لأبي تراب إلّا أن ترجعوا عن كفركم، وتلعنوا صاحبكم، وتبرأوا منه. فقال حجر وجماعة من أصحابه إنّ الصبر على حدّ السيف لأيسر علينا ممّا تدعونا إليه، وأجاب نصفهم إلى البراءة منه عليه السلام. فلمّا قدّم حجر ليقتل قال دعوني أُصلّي ركعتين. فجعل يطول في صلاته. فقيل له: أجزعاً من الموت. فقال: لا ولكنّي ما تطهرت للصلاة قط إلّا صليت وما صلّيت قطّ أخفّ من هذه، وكيف لا أجزع، وانّي لأرى قبراً محفوراً

---

(١) رواه الكشي في معرفة الرجال اختياره: ٥٠، وابن قتيبة في الامامة والسياسة ١: ١٨٠، والطبرسي في الاحتجاج ٢: ٢٩٧.

(٢) رواه عن تاريخ النسوي السروي في مناقبه ٢: ٢٧٢.

وسيفاً مشهوراً، وكفناً منشوراً، ثمّ قدّم فنحر، وأُلحق به من وافقه منهم[١].

وفي (تاريخ الطبري): لمّا أرادوا قتل حجر قال لمن حضره، من أهله: لا تطلقوا عنّي حديداً، ولا تغسلوا عنّي دماً. فإنّي اُلاقي معاوية غداً على الجادة فكان محمّد بن سيرين إذا سئل عن الشهيد هل يغسّل حدّثهم حديث حجر، وقال بلغنا أنّ معاوية لمّا حضرته الوفاة جعل يغرغر بالصوت، ويقول يومي منك يا حجر طويل[٢].

وفيه قال معاوية لعبد الرحمن العنزي: ما قولك في عليّ قال: لا تسألني خير لك قال: لا أدعك حتّى تخبرني. قال: أشهد انّه كان من الذاكرين الله كثيراً، ومن الآمرين بالحقّ، والقائمين بالقسط، والعافين عن الناس. قال: فما قولك في عثمان؟ قال: هو أوّل من فتح باب الظلم، وأرتج ابواب الحقّ. فبعث معاوية به إلى زياد، وكتب إليه اُقتله شرّ قتلة. فبعث به زياد إلى قسّ الناطف فدفن به حيّاً[٣].

وممّن عرض عليه البراءة فأبى وقتل رشيد الهجري، وميثم التمّار. روى الكشي عن قنواء بنت رشيد عن أبيها قال: قال لي أمير المؤمنين عليه السلام كيف صبرك إذا أرسل اليك دعيّ بني أُميّة. فقطع يديك ورجليك ولسانك؟ قالت: فوالله ما ذهبت الأيّام حتّى أرسل إليه عبيد الله بن زياد الدعيّ فدعاه إلى البراءة منه عليه السلام فأبى أن يبرأ...[٤].

وعن ميثم قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: كيف أنت يا ميثم إذا دعاك دعيّ بني أُميّة ابن دعيّها عبيد الله بن زياد إلى البراءة منّي؟ فقلت: يا أمير المؤمنين

---

(١) مروج الذهب ٣: ٤، والنقل بتصرف يسير.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ١٩٠، سنة ٥١.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٦، سنة ٥١، والنقل بتلخيص.

(٤) اختيار معرفة الرجال: ٧٥ ح ١٣١، والنقل بتلخيص.

أنا والله لا أبرأ منك. قال: إذن والله يقتلك ويصلبك. قلت: أصبر فذاك في الله قليل...[١].

وكيف يصحّ ما قاله من أنّ الإماميّة تروي أنّه لا يجوز التبرّي منه وقد روى الكليني في باب تقيته أنّه قيل للباقر عليه السلام: رجلان من أهل الكوفة أُخذا فقيل لهما: ابرءا من عليّ. فبرئ واحد منهما، وأبى الآخر. فخلّى سبيل الّذي برئ، وقتل الآخر. فقال: أمّا الذي برئ فرجل فقيه في دينه، وأما الّذي لم يبرأ فرجل تعجّل إلى الجنّة.

وعن الصادق عليه السلام ما منع ميثم رحمه الله من التقية فوالله لقد علم أن هذه الآية نزلت في عمّار وأصحابه ﴿إلّا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾[٢]. ومرّ أنّ ميثماً دعي الى البراءة.

هذا، وروى (ذيل الطبري): أنّ الحجاج قال للحسن البصري: ما تقول في أبي تراب؟ قال: وما عسى أن أقول إلاّ ما قال الله تعالى. قال: وما قال؟ قال: قال: ﴿وما جعلنا القبلة الّتي كنت عليها إلاّ لنعلم من يتّبع الرسول ممّن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلاّ على الّذين هدى الله﴾[٣] وكان عليّ ممّن هدى الله. فغضب، ثمّ أكبّ ينكت الأرض، وخرجت لم يعرض لي أحد، فتواريت تسع سنين حتّى مات[٤].

وأمّا قوله: «ويقولون لا يجوز التبرّي منه إن كان الحالف صادقاً وانّ عليه الكفّارة...» فخلط منه، فإنّ كلامنا في الإكراه على التبرّي منه عليه السلام، وما ذكره أمر آخر، وهو عدم جواز الحلف بالبراءة لمن كان صادقاً، وهو لا

(١) اختيار معرفة الرجال: ٨٣ ح ١٣٩.

(٢) الكافي ٢: ٢٢٠ و ٢٢١ ح ١ و ٢١، ١٥. والآية ١٠٦ من سورة النحل.

(٣) البقرة: ١٤٣.

(٤) منتخب ذيل المذيل: ١٢٦.

يناسب هنا بل كلامه عليه السلام في احلاف الظالم والمبطل بالبراءة من الله تعالى حتّى يعجل تعالى منه الانتقام.

«فإنّي ولدت على الفطرة» قال ابن أبي الحديد: ولد عليه السلام لثلاثين من عام الفيل والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعث لأربعين منه، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ليلة ولادته عليه السلام: «لقد ولد لنا الليلة مولود يفتح الله علينا به أبواباً كثيرة من النعمة والرحمة».

ويمكن أن يكون مراده عليه السلام بالفطرة العصمة، وأنّه عليه السلام منذ ولد لم يواقع قبيحاً، ولا كان كافراً طرفة عين، ولا مخطئاً، ولا غالطاً في شيء من الأشياء المغلقة، وهذا تفسير الإمامية [1] قلت: ورواه العامة أيضاً.

ففي (مسند أحمد بن حنبل) عن سلمان قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام. فلمّا خلق الله آدم قسّم ذلك النور جزأين: فجزء أنا وجزء عليّ [2].

ورواه ابن المغازلي، وفي آخره بعد قوله «جزأين» «جزء في صلب عبدالله، وجزء في صلب أبي طالب، فأخرجني نبيّاً وأخرج عليّاً وصيّاً» [3].

وعن ابن مسعود قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أوحى الله تعالى إلى إبراهيم انّي جاعلك للناس إماماً ـ إلى أن قال ـ قال: قال «ومن ذرّيتي» ـ الى أن قال ـ قال تعالى لا أعطيك لظالم من ذرّيتك. قال إبراهيم عندها «واَجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام» قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: فانتهت الدعوة إليّ وإلى عليّ لم يسجد أحدنا لصنم قط. فاتخذني الله نبيّاً واتّخذ عليّاً وصيّاً [4].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٧٥، والنقل بتلخيص.

(٢) رواه عن مسند أحمد: ابن طاووس في الطرائف ١: ١٥ ح ١، ولم يوجد فيه بل أخرجه أحمد في الفضائل، عنه تذكرة الخواص: ٤٦.

(٣) مناقب ابن المغازلي: ٨٩ ح ١٣٢.

(٤) مناقب ابن المغازلي: ٢٧٦ ح ٣٢٢.

«وسبقت إلى الإيمان» قال المأمون ـ كما في (العقد) ـ لإسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل بن حماد بن زيد في ما حاجّه في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام : هل علمت أحداً سبق علياً عليه السلام إلى الاسلام؟ قال إسحاق: إنّ علياً أسلم وهو حديث السنّ لا يجوز عليه الحكم، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم. قال له المأمون: أخبرني أيّهما أسلم قبل ثمّ أناظرك بعد في الحداثة. قال إسحاق: عليّ أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة. قال له المأمون: أخبرني عن إسلام عليّ عليه السلام حين أسلم لا يخلو من أن يكون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دعاه إلى الاسلام، أو يكون إلهاماً من الله تعالى. فأطرق.

فقال له المأمون: لا تقل إلهاماً فتقدّمه على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يعرف الإسلام حتّى أتاه جبرئيل عليه السلام عن الله تعالى. قال إسحاق: بل دعاه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

قال المأمون: فهل يخلو النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حين دعاه من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلّف ذلك من نفسه. فأطرق.

قال له المأمون: لا تنسب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى التكلّف فإنّ الله تعالى يقول ﴿وما أنا من المتكلّفين﴾[1] قال إسحاق: أجل بل دعاه بأمر الله تعالى.

قال له المأمون: هل من صفة الجبّار جلّ ذكره أن يكلّف رسله دعاء من لايجوز عليه الحكم؟ وفي قياس قولك «أسلم عليّ وهو صبي لايجوز عليه حكم» قد كلّف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من دعاء الصبيان ما لا يطيقون، فهل يدعوهم الساعة، ويرتدّون بعد ساعة. فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء، ولا يجوز عليهم حكم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أترى عندك جائزاً أن تنسب هذا الى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ؟

قال إسحاق: أعوذ بالله.

---

(١) ص: ٨٦.

قال له المأمون: فأراك يا إسحاق إنّما قصدت لفضيلة فضّل بها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً عليه السلام على هذا الخلق أبانه بها منهم ليعرفوا فضله، ولو كان الله أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا عليّاً...(١).

«والهجرة» قال ابن أبي الحديد: يمكن أن يريد عليه السلام بسبقه في هجرته غير هجرة المدينة فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هاجر عن مكّة مراراً يطوف على أحياء العرب، وينتقل من أرض قوم إلى غيرها، وكان عليّ عليه السلام معه دون غيره ـ إلى أن قال ـ

وأما هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى بني عامر بن صعصعة وإخوانهم من قيس عيلان. فإنّه لم يكن معه إلّا عليّ عليه السلام وحده، وذلك عقيب وفاة أبي طالب أوحى تعالى إليه اُخرج منها فقد مات ناصرك، فخرج إلى بني عامر، ومعه عليّ عليه السلام وحده. فعرض نفسه عليهم، وسألهم النصر، وتلا عليهم القرآن فلم يجيبوه. فعاد إلى مكّة وكانت مدّة غيبته في هذه الهجرة عشرة أيّام، وهي أوّل هجرة هاجرها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه(٢).

١٦
الخطبة (١٧١)

وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عليه السلام قَالَهُ لِمَرْوَانَ بْنِ ٱلْحكَمِ بِالْبَصْرَةِ:

(قَالُوا اُخِذَ مَرْوَانُ بْنُ ٱلْحَكَمِ أَسِيراً يَوْمَ ٱلْجَمَل فَاسْتَشْفَعَ ٱلْحَسَنَ وَٱلْحُسَيْنَ عليهما السلام إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَكَلَّمَاهُ فِيهِ فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَقَالاَ لَهُ يُبَايِعُك يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِين فَقَالَ عليه السلام:)

أَوَ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمانَ لاَ حَاجَةَ لِيَ فِي بَيْعَتِهِ إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ. لوْ بَايَعَنِي لَغَدرَ بِسَبَّتِهِ أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ ٱلْكَلْبِ أَنْفَهُ. وَهُوَ أَبُو ٱلْأَكْبُشِ

(١) العقد الفريد ٥: ٣١٩ ـ ٣٢٠، والنقل بتلخيص.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

ٱلْأَرْبَعَةِ وَسَتَلْقَى ٱلْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ.

«قالوا أخذ مروان بن الحكم» روى (الروضة) عن الصادق عليه السلام قال: خرج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من حجرته ومروان وأبوه يستمعان إلى حديثه . فقال له : الوزغ ابن الوزغ. فمن يومئذٍ يرون أنّ الوزغ يسمع الحديث.

وعن الباقر عليه السلام: لمّا ولد مروان عرضوا به للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو له فأرسلوا به إلى عائشة ليدعو له. فلمّا قرّبته منه قال: أخرجوا عنّي الوزغ ابن الوزغ ـ قال زرارة: لا أعلم إلّا أنّه قال، ولعنه[1].

وفي (حياة الحيوان) للدميري: روى الحاكم في (الفتن والملاحم من مستدركه) عن عبد الرحمن بن عوف قال: كان لا يولد لأحد مولود إلّا أتي به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيدعو له فأدخل عليه مروان. فقال: هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون.

وعن محمّد بن زياد قال: لمّا بايع معاوية لابنه يزيد قال مروان: سنّة أبي بكر وعمر. فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: سنّة هرقل وقيصر. فقال له مروان: أنت الّذي أنزل الله فيك ﴿والذي قال لوالديه أُفٍّ لكما﴾ فبلغ ذلك عائشة. فقالت: كذب والله ما هو به ولكنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لعن أبا مروان ومروانُ في صلبه[2].

وفي (نقض عثمانية الاسكافي): كان مروان مجاهراً بالإلحاد، هو وأبوه، وهما الطريدان اللعينان. كان أبوه عدوّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يحكيه في مشيه، ويغمز عليه عينه، ويدلع لسانه، ويتهكّم به، ويتهانف عليه هذا وهو في قبضته وتحت يده، وهو يعلم أنّه قادر على قتله أيّ وقت شاء. فهل يكون هذه إلاّ من

---

(١) الكافي ٨: ٣٣٨ ح ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

(٢) حياة الحيوان ٢: ٣٩٩، والمستدرك ٤: ٤٧٩ و ٤٨١.

شانئ شديد البغضة حتّى أفضى أمره إلى أن طرده النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وسيّره إلى الطائف وأمّا مروان ابنه فأخبث عقيدة وأعظم الحاداً وكفراً(١).

وفي (الاستيعاب) في هند بن أبي هالة عن هند قال: مرّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بأبي مروان فجعل يغمزه. فالتفت فقال «اللّهمّ اجعل به وزغاً» ـ والوزغ: الارتعاش فرجف مكانه(٢).

وروى المدائني خبراً طويلاً في محاجّة ابن عباس في مجلس معاوية مع مروان وغيره ـ إلى أن قال ـ فقال مروان: يا ابن عباس انّك لتصرف بنابك وتوري نارك كأنّك ترجو الغلبة وتؤمّل العافية، ولولا حلم معاوية عنكم لتناولكم بأقصر أنامله فأوردكم منهلاً بعيداً صدره، ولعمري لئن سطا بكم ليأخذنَّ بعض حقّه منكم، ولئن عفا عن جرائركم. فقديماً نسب إلى ذلك.

فقال ابن عباس: وإنّك لتقول ذلك يا عدوّ الله، وطريد رسول الله والمباح دمه، والداخل بين عثمان ورعيته بما حملهم على قطع أوداجه، وركوب أثباجه. اما والله لو طلب معاوية ثأره لأخذك به، ولو نظر في أمر عثمان لوجدك أوّله وآخره(٣).

وفي (الاحتجاج): قال الحسن عليه السلام لمروان في مجلس معاوية: وما زادك الله يا مروان بما خوّفك إلّا طغياناً كبيراً وصدق الله وصدق رسوله يقول الله تعالى ﴿والشجرة الملعونة في القرآن ونخوّفهم فما يزيدهم إلّا طغياناً كبيراً﴾(٤).

وفيه: عن محمّد بن السائب قال مروان يوماً للحسين عليه السلام: لولا فخركم

---

(١) لم يوجد في النسخة المطبوعة من النقض.

(٢) الاستيعاب ٣: ٦٠٣.

(٣) رواه عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ١٠٦، شرح الخطبة ٨٢.

(٤) الاحتجاج ١: ٢٧٩. والآية ٦٠ من سورة الاسراء.

بفاطمة بم كنتم تفتخرون علينا؟ فوثب الحسين عليه السلام ـ وكان شديد القبضة ـ فقبض على حلقه فعصره ولوى عمامته على عنقه حتّى غشي عليه ثم تركه وأقبل الحسين عليه السلام على جماعة من قريش فقال: أنشدكم بالله ان صدّقتموني إن صدقت. أتعلمون أن في الأرض حبيبين كانا أحب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم منّي ومن أخي أو على ظهر الأرض ابن بنت نبيّ غيري وغير أخي. قالوا: اللّهمّ لا.

قال: وإنّي لا أعلم أنّ في الأرض ملعوناً ابن ملعون غير هذا وأبيه طريدي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. والله ما بين جابرس وجابلق ـ أحدهما بباب المشرق والآخر بباب المغرب ـ رجلاً ممّن ينتحل الإسلام أعدى لله ولرسوله ولأهل بيته منك ومن أبيك إذا كان، وعلامة قولي فيك أنّك إذا غضبت سقط رداؤك من منكبك، قال: فوالله ما قام مروان من مجلسه حتى غضب فانتفض وسقط ردائه عن عاتقه[1].

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي): ذكر هشام الكلبي عن محمّد بن إسحاق قال: بعث مروان ـ وكان والياً على المدينة ـ رسولاً إلى الحسن عليه السلام فقال له: يقول لك مروان: أبوك الّذي فرّق الجماعة، وقتل عثمان، وأباد العلماء والزهاد ـ يعني الخوارج ـ وأنت تفخر بغيرك. فإذا قيل لك: من أبوك تقول: خالي الفرس. فجاء الرسول إلى الحسن عليه السلام فقال له: أتيتك برسالة ممّن يخاف سطوته، ويحذر سيفه. فإن كرهت لم أبلغك ووقيتك بنفسي.

فقال الحسن عليه السلام: لا بل تؤديها، ونستعين عليه بالله. فأدّاها فقال له: تقول لمروان: إن كنت صادقاً فالله يجزيك بصدقك، وان كنت كاذباً فالله أشدّ نقمة. فخرج الرسول من عنده. فلقيه الحسين عليه السلام فقال: من أين أقبلت. فقال: من عند أخيك الحسن عليه السلام. فقال: وما تصنع؟ قال: أتيت برسالة من عند

(١) الاحتجاج ٢: ٢٩٩.

مروان. فقال: وما هي؟ فامتنع الرسول من أدائها. فقال: لتخبرني أو لأقتلنّك. فسمع الحسن عليه السلام فخرج، وقال لأخيه: خلّ عن الرجل. فقال: لا والله حتّى أسمعها فأعادها الرسول عليه. فقال له الحسين عليه السلام: قل له يقول لك الحسين بن علي وابن فاطمة: «يا ابن الزرقاء الداعية إلى نفسها بسوق ذي المجاز، وصاحبة الراية بسوق عكاظ، ويا ابن طريد الرسول ولعينه! إعرف من أنت، ومن أبوك، ومن أمّك».

فجاء الرسول إلى مروان فأعاد عليه ما قالا. فقال للرسول: ارجع إلى الحسن وقل له: أشهدك أنّك ابن الرسول، وقل للحسين: أشهد أنّك ابن عليّ بن أبي طالب.

فقال الحسين عليه السلام للرسول: قل لمروان كلاهما لي رغماً لك. قال الأصمعي: أمّا قول الحسين عليه السلام: «يا ابن الداعية إلى نفسها» فذكر ابن إسحاق ان أمّ مروان اسمها أميّة وكانت من البغايا في الجاهلية، وكانت لها راية مثل راية البيطار تعرف بها، وكانت تسمّى أمّ حنبل الزرقاء، وكان مروان لا يعرف له أب وإنّما نسب إلى الحكم كما نسب عمرو إلى العاص.

وأما قوله يا ابن طريد الرسول: يشير إلى الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس أسلم يوم الفتح، وسكن المدينة، وكان ينقل أخبار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى الكفار من الاعراب، وغيرهم، ويتجسّس عليه.

قال الشعبي: وما أسلم إلّا لهذا، ورآه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يوماً وهو يمشي ويتخلج في مشيته يحاكي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فقال له كذلك. فما زال يمشي كأنّه يقع على وجهه ونفاه إلى الطائف، ولعنه. فلمّا توفّي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كلّم عثمان أبا بكر أن يردّه لأنه كان عمّه. فقال أبو بكر: هيهات! شيء فعله النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والله لا أخالفه أبداً. فلمّا ولي عمر بعده كلّمه، فقال: والله لا كان هذا أبداً. فلمّا ولي عثمان بعده ردّه في اليوم الّذي تولّى فيه، وقرّبه وأدناه، ودفع له مالاً عظيماً،

ورفع منزلته. فقام المسلمون على عثمان، وأنكروا عليه، وهو أوّل ما أنكروا عليه. فامتنع جماعة من الصحابة من الصلاة خلف عثمان لذلك. ثمّ توفّي الحكم في خلافته. فصلّى عليه ومشى خلفه. فشقّ ذلك على المسلمين، وقالوا ما كفاك ما فعلت حتّى تصلّي على منافق ملعون لعنه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ونفاه، فخلعوه وقتلوه.

وأعطى عثمان ابنه مروان خُمس غنائم أفريقيّة خمسمئة ألف دينار، ولما بلغ ذلك عائشة أرسلت إلى عثمان: أما كفاك أنّك رددت المنافق حتّى تعطيه أموال المسلمين، وتصلّي عليه وتشيّعه، وبهذا السبب قالت: اُقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر، وكان مروان يشتم عليّاً عليه السلام يوم الجمعة على المنبر، وكان الحسن عليه السلام يقعد في حجرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتّى يفرغ ثمّ يخرج فيصلّي خلفه[1].

وفي (الصحاح): خيط باطل هو الّذي يُقال له لعاب الشمس، ومخاط الشيطان وكان مروان يلقّب بذلك لأنّه كان طويلاً مضطرباً[2].

وفي (المروج): لمّا قتل عبد الملك عمرو بن سعيد الأشدق قالت اُخته:

غدرتم بعمرو يا بني خيط باطل وكلّكم يبني البيوت على غدر[3].

وفي (تاريخ الطبري) ـ بعد ذكر أنّ الوليد رخّص للحسين عليه السلام في الانصراف لمّا دعاه لبيعة يزيد ـ قال مروان للوليد: إحبس الرجل، ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه. فوثب عند ذلك الحسين عليه السلام فقال: يا ابن الزرقاء أنت تقتلني أم هو؟ ـ إلى أن قال ـ:

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٠٧ ـ ٢٠٩، والنقل بتصرف يسير.

(٢) صحاح اللغة ٢: ١١٢٥ ـ ١١٢٦، مادة (خيط).

(٣) مروج الذهب ٣: ٣٠٦.

فقال مروان للوليد: عصيتني. فقال له الوليد: اخترت لي الّتي فيها هلاك ديني. والله إنّي لأظنّ أمرءاً يحاسب بدم الحسين عليه السلام لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة. فقال له مروان: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت في ما صنعت ـ يقول له هذا وهو غير حامدٍ له على رأيه (١).

وفي (الأغاني): إستأذن اسماعيل بن يسار النسائي على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوماً. فحجبه ساعة ثمّ أذن له. فدخل يبكي. فقال له الغمر: مالك تبكي؟ فقال: وكيف لا أبكي وأنا على مروانيتي ومروانية أبي أُحجب عنك. فجعل يعتذر إليه. وهو يبكي. فما سكت حتّى وصله الغمر بجملة لها قدر. ثمّ خرج من عنده فلحقه رجل: فقال له: ويلك يا اسماعيل! أيّ مروانية كانت لك أو لأبيك. قال: بغضنا إيّاهم فامرأته طالق إن لم تكن أُمّه تلعن مروان والله كلّ يوم مكان التسبيح، وإن لم يكن أبوه حضره الموت فقيل له: قل: لا إله إلاّ الله. فقال: لعن الله مروان. تقرباً بذلك إلى الله تعالى وإبدالاً له من التوحيد، وإقامة له مقامه (٢).

وفيه زعم أهل اليمامة وعكل وغيرهم أنّ ثلاثة نفر أبو حفصة جدّ مروان بن أبي حفصة الشاعر، ورجل من تميم، ورجل من سليم أتوا مروان فباعوا أنفسهم منه في مجاعة نالتهم، فاستعدى أهل بيوتاتهم عليهم فأقرّ السلمي أنّه من العرب وأنّه إنّما أتى مروان فباعه نفسه. فدسّ إليه مروان من قتله. فلمّا رأى ذلك الآخران ثبتا على انهما موليان لمروان (٣).

«أسيراً يوم الجمل. فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٥١، سنة ٦٠، والنقل بتلخيص.

(٢) الأغاني ٤: ٤١٠، والنقل بتصرف يسير.

(٣) الأغاني ١٠: ٧٣.

المؤمنين عليه السلام فكلّماه فيه فخلّى سبيله» في (المروج): دخل عليّ عليه السلام على عائشة بعد أن بعث ابن عباس اليها يأمرها بالخروج إلى المدينة، ومعه الحسن والحسين عليهما السلام وباقي أولاده، وأولاد إخوته، وفتيان أهله من بني هاشم، وغيرهم من شيعته فلمّا بصرت به النسوان صحن في وجهه، وقلن: يا قاتل الأحبة. فقال عليه السلام: لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذا البيت ـ وأشار إلى بيت من البيوت قد اختفى فيه مروان، وعبدالله بن الزبير، وعبد الله بن عامر، وغيرهم ـ فضرب من كان معه بأيديهم إلى قوائم سيوفهم لمّا علموا من في البيت مخافة أن يخرجوا فيغتالوهم ـ إلى أن قال ـ فسألته عائشة أن يؤمّن ابن اُختها عبد الله بن الزبير فآمنه، وتكلّم الحسن والحسين عليهما السلام في مروان فآمنه[1].

ولكن روى (الخرائج): أنّ ابن عباس استشفع له، فروى عن رجل من مراد قال كنت واقفاً على رأس أمير المؤمنين عليه السلام يوم البصرة إذ أتاه ابن عباس بعد القتال. فقال: إنّ لي حاجة. فقال عليه السلام: ما أعرفني بالحاجة الّتي جئت فيها تطلب الأمان لابن الحكم. قال: ما جئت إلّا لتؤمنه. قال: قد آمنته، ولكن اذهب وجئني به ولا تجئني به إلّا رديفاً فإنّه أذلّ له. فجاء به ابن عباس مردفاً خلفه كأنّه قرد...[2]

وكذا رواه (جمل المفيد) عن الواقدي فقال: قال لمّا فرغ عليّ عليه السلام من أهل الجمل جاء فتيان من قريش يسألونه الأمان، وأن يقبل منهم البيعة. فاستشفعوا إليه بعبد الله بن العباس فشفّعه، وأمر لهم في الدخول عليه. فلمّا مثلوا بين يديه قال لهم: ويلكم يا معشر قريش! علام تقاتلونني؟ على أن

(١) مروج الذهب ٢: ٣٦٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الخرائج والجرائح ١: ١٨٦.

حكمت فيكم بغير عدل؟ أو قسمت بينكم بغير سوية؟ أو استأثرت عليكم؟ أو لبعدي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ أو لقلّة بلاء منّي في الإسلام؟ فقالوا: نحن إخوة يوسف فاعف عنّا، واستغفر لنا. فنظر إلى أحدهم فقال: من أنت؟ قال: أنا مساحق بن مخرمة معترف بالزلّة، مقرّ بالخطيئة، تائب من ذنبي. فقال عليه السلام: قد صفحت عنكم، وايّم الله إنّ فيكم من لا أُبالي بايعني بكفّه أو بأُسته، ولئن بايعني لينكثنَّ، وتقدم إليه مروان، وهو متّكئ على رجل فقال له: ما بك؟ هل بك جراحة؟ قال: نعم، وما أراني إلّا لما بي. فتبسّم عليّ عليه السلام وقال: لا والله ما أنت لما بك، وستلقى هذه الأمّة منك ومن ولدك يوماً أحمر[1].

وظاهر خبر أبي مخنف عدم استشفاع أحد فيه، وفي جمع آخر معه.

ففي (جمل المفيد) أيضاً: روى أبو مخنف عن العدوي عن أبي هشام، عن البريد عن عبدالله بن المخارق، عن هاشم بن مساحق القرشي، عن أبيه قال: لما انهزم الناس يوم الجمل إجتمع معه طائفة من قريش فيهم مروان. فقال بعضهم لبعض: والله لقد ظلمنا هذا الرجل، ونكثنا بيعته من غير حدث، والله لقد ظهر علينا. فما رأينا قط أكرم سيرة منه، ولا أحسن عفواً منه بعد الرسول. تعالوا حتّى ندخل عليه، ونعتذر إليه في ما صنعناه. فصرنا إلى بابه. فاستأذنّاه. فأذن لنا. فلمّا مثلنا بين يديه جعل متكلّمنا يتكلّم. فقال عليّ عليه السلام: أنصتوا أكفكم إنّما أنا بشر مثلكم فإن قلت حقّاً فصدّقوني، وإن قلت باطلاً ردّوا عليّ. أُنشدكم الله أتعلمون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قبض وأنا أولى الناس به وبالناس من بعده. قالوا: اللّهمّ نعم، قال: فعدلتم عنّي وبايعتم أبا بكر فأمسكت، ولم أحبّ أن أشقّ عصا المسلمين، وأُفرّق بين جماعاتهم. ثمّ إنّ أبا بكر جعلها لعمر من بعده. فكففت ولم أُهيّج الناس، وقد علمت أنّي كنت أولى

---

(١) الجمل ٢٢٠، والنقل بتصرف يسير.

الناس بالله وبرسوله، وبمقامه. فصبرت حتّى قتل وجعلني سادس ستّة. فكففت، ولم أُحبّ أن أُفرّق بين المسلمين. ثمّ بايعتم عثمان فطعنتم عليه، وقتلتموه، وأنا جالس في بيتي وأتيتموني وبايعتموني كما بايعتم أبا بكر وعمر. فما بالكم وفيتم لهما ولم تفوا لي؟ وما الّذي منعكم من نكث بيعتهما، ودعاكم إلى نكث بيعتي؟ فقالوا له: كن يا أمير المؤمنين كالعبد الصالح إذ قال ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾[1]. فقال عليه السلام: لا تثريب عليكم اليوم، وإنّ فيكم رجلاً لو بايعني بيده لنكث بأسته يعني مروان بن الحكم[2].

هذا، وكما أطلق عليه السلام مروان بعد أسره مع عداوته تلك، أطلق الوليد بن عقبة مع كونه مثل مروان في العداوة له.

ففي (كنايات الجرجاني): أتى عليّ عليه السلام بالوليد بن عقبة أسيراً يوم الجمل، فقال لمّا رآه:

هنيدة قد حللت بدار قوم هم الأعداء والأكباد سود
هم ان يظفروا بي يقتلوني وإن أظفر فليس لهم جلود

«فقالا له يبايعك يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام: **أو لم يبايعني بعد قتل عثمان**» وما في (المصرية) «قبل قتل عثمان» غلط واضح.

في (تاريخ اليعقوبي): بايع الناس بعد عثمان عليّاً عليه السلام إلاّ ثلاثة من قريش مروان، وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة ـ وكان لسان القوم ـ فقال الوليد له عليه السلام: يا هذا إنّك وترتنا جميعاً. أمّا أنا فقتلت أبي صبراً يوم بدر، وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر، وأما مروان فشتمت أباه، وعبت على عثمان حين ضمّه إليه ـ إلى أن قال ـ:

---

(١) يوسف: ٩٢.

(٢) الجمل: ٢٢٢، والنقل بتصرف يسير.

فقال الوليد: تبايعنا على أن تضع عنّا ما أصبنا، وتعفي لنا عمّا في أيدينا، وتقتل قتلة صاحبنا. فغضب عليّ عليه السلام وقال: أمّا ما ذكرت من وتري إيّاكم. فالحقّ وتركم، وأما وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أُضيع حقّ الله، وأمّا إعفائي عمّا في أيديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم، وأما قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لزمني قتالهم غداً، ولكن لكم أن أحملكم على كتاب الله، وسنّة نبيّه. فمن ضاق عليه الحقّ فالباطل عليه أضيق، وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم. فقال مروان بل نبايعك، ونقيم معك فترى ونرى[1].

«لا حاجة لي في بيعته إنّها كفّ يهوديّة لو بايعني بكفه» هكذا في (المصرية)، والصواب: (بيده) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[2].

«لغدر بسبته» أي: بأُسته. في خبر (الخرائج) المتقدم «فلما بسط يده ليبايعه أخذ كفّه عن كفّ مروان فنزها وقال: لا حاجة لي فيها، إنّها كفّ يهودية لو بايعني بيده عشرين مرة لنكث بأُسته...»[3].

وقد عرفت من خبر أبي مخنف «وأنّ فيكم رجلاً لو بايعني بيده لنكث بأُسته» ومن خبر الواقدي «وايم الله إنّ فيكم من لا أُبالي بايعني بكفه أو باسته، ولئن بايعني لينكثن». قال ابن أبي الحديد: كان الغادر من العرب إذا عزم على الغدر بعد عهده حبق أستهزاءً[4].

قال عليه السلام ذلك لأنّه يعرف ضميره، وكيف كان يفي ببيعته، وقد كان كتب الى معاوية ، ويعلى بن منبة قبل قتل عثمان «وإنـي خائف إن قتل ـ يعني عثمان ـ أن تكون ـ أي الخلافة ـ من بني أُميّة بمناط الثريا إن لم نصر كرصيف

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٣، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٢٠٣ أيضاً «بكفه».

(٣) الخرائج والجرائح ١: ١٨٦.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٥٤، والنقل بتصرف يسير.

الأساس المحكم، ولئن وهى عمود البيت لتتداعينّ جدرانه، والّذي عيب عليه إطعامكما الشام واليمن ـ إلى أن قال ـ:

وأما أنا فمساعف كلّ مستشير، ومعين كلّ مستصرخ، ومجيب كل داع أتوقع الفرصة. فأثب وثبة الفهد. أبصر غفلة مقتنصة.

وكتب الى معاوية بعد قتل عثمان ـ مشيراً إليه عليه السلام وأصحابه ـ ولقدطويت أديمهم على نغل يحلم منه الجلد كذبت نفس الظان بنا ترك المظلمة، وحبّ الهجوع إلّا تهويمة الراكب العجل ـ إلى أن قال ـ وكتابي إليك وأنا كحرباء السبسب في الهجير ترقب عين الغزالة. هذا، وقال الشاعر:

«إنّ أُحيحا هي صئبان السّهْ»[1]

والسه: أيضاً الأُست، والصئبان: جمع الصؤابة بيضة القملة.

هذا، وقال الأخطل وكان شاعراً نصرانياً، ومن المنقطعين إلى بني أُميّة في بشر بن مروان:

فلا تجعلنّي يا آبن مروان كامرئٍ غلت في هوى آل الزبير مراجله

يبايع بالكف التي قد عرفتها وفي قلبه ناموسه وغوائله

«أما إنّ له إمرة» قال ابن أبي الحديد: وروى هذا الخبر من طرق كثيرة، ورويت فيه زيادة هكذا: «يحمل راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه، وإنّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه»[2] وقال الشاعر في امارة مروان، وقد عرفت أنّه كان يلقب بخيط الباطل:

لحا الله قوماً أمّروا خيط باطل على الناس يعطي من يشاء ويمنع[3]

---

(١) أورده لسان العرب ١٣: ٤٩٥، مادة (سه).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٣.

(٣) نقله ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٥٥.

وقد وقعت إمارته كما أخبر ﷺ قال المسعودي: أراد مروان بعد موت يزيد أن يلحق بابن الزبير. فمنعه من ذلك عبيد الله بن زياد عند لحاقه بالشام وقال له: إنك شيخ بني عبد مناف ـ إلى أن قال ـ:

قال عمرو بن سعيد الأشدق لمروان أدعوا الناس اليك، وآخذها لك على أن يكون لي من بعدك.

فقال مروان: بل بعد خالد بن يزيد بن معاوية فرضي الأشدق بذلك، ودعا الناس إلى بيعة مروان فأجابوا، وكانت أيّامه تسعة أشهر وأيّاماً قلائل ـ وقيل ثمانية أشهر ـ واختلف في سبب وفاته فمنهم من رأى أنّه مات مطعوناً، ومنهم من رأى انّه مات حتف أنفه، ومنهم من رأى أنّ فاختة بنت أبي هاشم بن عتبة ـ أُمّ خالد بن يزيد ـ هي الّتي قتلته، وذلك أنّ مروان حين أخذ البيعة لنفسه ولخالد بن يزيد بعده، وعمرو بن سعيد بعده. ثم بدا له في ذلك فجعلها لابنه عبد الملك بعده ثم لابنه عبد العزيز، ودخل عليه خالد بن يزيد فكلّمه، وأغلظ له فغضب من ذلك، وقال: أتكلمني يا آبن الرطبة ـ وكان مروان قد تزوّج بامّه فاختة ليذلّه بذلك ويضع منه ـ فدخل خالد على أُمّه فقبّح لها تزوجها بمروان، وشكا إليها ما نزل به منه. فقالت: لا يعيبك بعدها. فمنهم من رأى أنّها وضعت على نَفَسه وسادة، وقعدت فوقها مع جواريها حتى مات، ومنهم من رأى انّها أعدّت له لبناً مسموماً فلما دخل عليها ناولته إيّاه فشربه. فلما استقرّ في جوفه وقع يجود بنفسه، وأمسك لسانه فحضره عبد الملك، وغيره من ولده، فجعل مروان يشير إلى أُمّ خالد ـ يخبرهم أنّها قتلته ـ وأُمّ خالد تقول: بأبي أنت حتّى عند النزع لم تشتغل عنّي انّه يوصيكم بيّ[1].

---

(١) مروج الذهب ٣: ٨٥ ـ ٨٩، والنقل بتصرف يسير.

«كلعقة الكلب أنفه» فقد عرفت أنّ إمرته كانت تسعة أشهر أو ثمانية أشهر.

هذا، وفي (أنساب البلاذري) كان آبن همام حين حصر آبن مطيع في القصر ـ أي في الكوفة من قبل ابن الزبير لمّا ظهر المختار ـ فتدلّى منه مع ناس تدلّوا أيضاً فقال: لما رأيت القصر أُغلق بابه، وتعلقت همدان بالأسباب. ورأيت أفواه الأزقّة حولنا ملئت بكلّ هراوة، وذباب، ورأيت أصحاب الدقيق كأنّهم حول البيوت ثعالب الأسراب أيقنت أنّ أمارة آبن مضارب لم يبق منها فيش اير ذباب[١].

ومما قيل في قصر المدّة قول ابن عباس في مدّة امارة عائشة في الجمل.

ففي (العقد) قال آبن عباس لها ـ بعد هزيمتها ـ إنّ أمير المؤمنين يأمرك أن ترجعي إلى بلدك الّذي خرجت منه. قالت: رحم الله أمير المؤمنين. إنّما كان عمر آبن الخطاب. فقال لها بل عليّ بن أبي طالب. فقالت: أبيت أبيت فقال لها: ما كان إباؤك إلاّ فُواق ناقة بكيئة. ثمّ صرت ما تحلين، ولا تمرّين ولا تأمرين، ولا تنهين. فبكت حتّى علا نشيجها[٢].

«وهو أبو الأكبش الأربعة» في (إعلام الورى) عن آبن مرهب ـ بعد ذكر ورود مروان على معاوية، وتركه حاجة له ـ فورد آبنه عبد الملك إلى معاوية فكلّمه فلما أدبر عبد الملك قال (معاوية لابن عباس وكان عنده): أنشدك الله يا ابن عباس أما تعلم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ذكر هذا. فقال: أبو الجبابرة الأربعة؟ قال ابن عباس: اللّهمّ نعم[٣].

---

(١) أنساب الأشراف ٥: ٢٣٠، وما نقل عن ابن همام فهو شعر في أربعة أبيات.

(٢) العقد الفريد ٥: ٧٢، وفتوح ابن اعثم ٢: ٣٣٦، والنقل بتصرف يسير.

(٣) إعلام الورى: ٣٥.

وفي (حيوان الدميري) قال مصعب الزبيري: زعموا أنّ عبد الملك بن مروان رأى في منامه أنّه بال في المحراب أربع مرّات. فدسّ من سأل سعيد بن المسيب ـ وكان يعبّر الرؤيا ـ فقال: يملك من صلبه أربعة. فكان آخرهم هشام(١).

وقال ابن أبي الحديد: فسّروا الأكبش الأربعة ببني عبد الملك الوليد، وسليمان، و يزيد، وهشام، ولم يل الخلافة من بني أُميّة، ولا من غيرهم أربعة إخوة إلاّ هؤلاء ويجوز عندي أن يريد ﷺ ولد مروان لصلبه عبد الملك، وعبد العزيز، وبشر، ومحمّد، وكانوا كباشاً أبطالاً أنجاداً وَلي عبد الملك الخلافة، وولي بشر العراق، وولي محمّد الجزيرة، وولى عبد العزيز مصر ولكلّ منهم آثار مشهورة(٢).

قلت: وكان لمروان ولد آخر أحمق؛ معاوية بن مروان، وهو الّذي قال للطحان: أرأيت إن قام حمارك وحرّك رأسه ليصوت جلجله ما علمك؟ فقال: ومن له بمثل عقل الأمير. والأظهر ما عليه الأكثر من كون المراد بني عبد الملك الأربعة الّذين ولوا الخلافة، وكيف كان. فمروان كان أبا عشرة.

هذا، وفي (كامل الجزري): ولي الخلافة في الأخوين المسترشد، والمقتفي ابنا المستظهر، والهادي والرشيد ابنا المهدي، والواثق والمتوكّل ابنا المعتصم، وفي الاخوة الثلاثة، الأمين، والمأمون، والمعتصم بنو هارون، والمكتفي، والمقتدر والقاهر بنو المعتضد، والراضي، والمتقي، والمطيع بنو المقتدر، وأما أربعة إخوة فليس إلاّ الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام بنو عبد الملك(٣).

---

(١) حياة الحيوان ١: ٧١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٤. والنقل بتصرف يسير.

(٣) ذكره كلاًّ في موضعه من الكامل.

وكما أخبر عليه السلام بهؤلاء الأكبش الأربعة أخبر عليه السلام أنّ كبشاً آخر ـ وهو ابن الزبير ـ يستحلّ حرمة الكعبة.

ففي (تاريخ الطبري): قال عبدالله بن سليم، والمذري بن المشمعل الأسديان: سمعنا ابن الزبير وهو يقول للحسين عليه السلام يوم التروية بين الحجر والباب: إن شئت أن تقيم أقمت. فوليت هذا الأمر فآزرناك، وساعدناك، ونصحنا لك، وبايعناك. فقال عليه السلام «إنّ أبي حدّثني أنّ بها كبشاً يستحلّ حرمتها فما أُحبّ أن أكون ذلك الكبش»[1] ويأتي خبر النبيّ صلى الله عليه وآله في ولد أبي العاص جدّ مروان كعثمان.

«وستلقى الأمّة منه ومن ولده يوماً أحمر» وفي خبر الخرائج المتقدّم ـ بعد قوله عليه السلام في مروان: لو بايعني بيده عشرين مرّة لنكث بأسته ـ ثم قال عليه السلام: هيه يا ابن الحكم! خفت على رأسك أن تقع في هذه المعمعة؟ كلاّ والله حتّى يخرج من صلبك فلان، وفلان يسومون هذه الأُمّة خسفاً، ويسقونهم كأساً مصبرة[2].

وقال ابن أبي الحديد «وفي (الاستيعاب) نظر عليّ عليه السلام يوماً إلى مروان. فقال له: ويل لك، وويل لأُمّة محمّد منك، ومن بنيك، اذا شاب صدغاك»[3] قلت: الّذي وجدت في (الاستيعاب) «ويلك وويل أُمّة محمّد منك، ومن بنيك إذا ساءت درعك»[4] والظاهر كون كلّ منهما تصحيفاً، وأنّ الأصل في قول «وأشاب ذراعاك» وقول «إذا ساءت درعك» «إذا شاب صدغاك» كما مرّ في خبر.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٨٨، سنة ٦٠.

(٢) الخرائج والجرائح ١: ١٨٦.

(٣) شرح ابن ابي الحديد ٢: ٥٥.

(٤) الاستيعاب ٣: ٤٢٥.

وفي الجزري يقال لمروان ولولده: بنو الزرقاء ـ وزرقاء بنت موهب جدة مروان لأبيه كانت من ذوات الرايات في البغاء ـ قال ابن الأشعث ـ لمّا أجمع أهل العراق على خلع عبد الملك بدير الجماجم ـ إنّ بني مروان يعيرون بالزرقاء والله ما لهم نسبٌ أصحُّ منه إلّا أنّ بني أبي العاص أعلاج من أهل صفّورية[١].

قال ابن أبي الحديد: وفي (أغاني أبي الفرج): قال مروان لمعاوية لمّا عزله عن الامارة: رويداً رويداً، فقد بلغ بنو الحكم، وبنو بنيه نيفاً وعشرين، وإنّما هي أيّام قلائل حتّى يكملوا أربعين ثم يعلم آمرؤ ما يكون منهم حينئذٍ. ثمّ هم للجزاء بالحسنى والسوء بالمرصاد.

قال أبو الفرج: هذا رمز إلى قول النبيّ ﷺ «إذا بلغ بنو أبي العاص، أربعين رجلاً آتّخذوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً» فكان بنو أبي العاص يذكرون انّهم سيلون أمر الأُمّة إذا بلغوا إلى هذه العدّة. فغضب معاوية وقال: يا ابن الوزغ لست هناك، فقال مروان: هو ما قلت لك، وإنّي الآن لأبو عشرة وأخو عشرة، وعمّ عشرة، وقد كاد ولد أبي أن يكمّلوا العدّة ـ يعني أربعين ـ ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع منّي. فانخذل معاوية. فقال الأحنف لمعاوية: ما رأيت لك سقطة مثلها ما هذا الخضوع لمروان؟ وأيّ شيء يكون منه ومن بني أبيه إذا بلغوا أربعين؟ وما الّذي تخشاه منهم؟ فقال: ان الحكم بن أبي العاص كان أحد من قدم مع أُمّ حبيبة لمّا زفّت إلى النبيّ ﷺ، وهو يتولّى نقلها إليه، فجعل النبيّ ﷺ يحدّ النظر إليه. قيل له: لقد أحددت النظر إلى الحكم. فقال: «ذاك رجل إذا بلغ بنو أبيه ثلاثين أو أربعين ملكوا الأمر من بعدي» فوالله لقد تلقّاها مروان من عين صافية.

---

(١) الكامل ٤: ١٩٤ و ٤٧١، سنة ٦٥ و ٨٢.

فقال له الأحنف: رويداً لا يسمع هذا منك أحد. فإنّك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك، وإن يقض الله أمراً يكن. فقال له معاوية: أكتمها عليّ. فقد لعمرك صدقت ونصحت[١].

قلت: وفي (نسب قريش مصعب الزبيري): إشتكى عمرو بن عثمان. فكان العوّاد يدخلون عليه. فيخرجون، ويتخلّف عنده مروان فيطيل. فانكرت ذلك رملة بنت معاوية امرأة عمرو. فخرجت كوّة. فاستمعت على مروان. فإذا هو يقول: ما أخذ هؤلاء ـ يعني حرب بن أميّة ـ الخلافة إلاّ باسم أبيك. فما يمنعك أن تنهض بحقك. فلنحن أكثر منهم رجالاً. منّا فلان، ومنهم فلان ـ وعدّد فضول رجال أبي العاص على رجال بني حرب ـ فلمّا برأ عمرو تجهّز للحج، وتجهّزت رملة في جهازه. فلما خرج عمرو خرجت رملة إلى أبيها بالشام فأخبرته، وقالت له: ما زال يعدّ فضل رجال أبي العاص على بني حرب حتّى عدّ ابنيّ عثمان وخالداً ابني عمرو. فتمنيت أنّهما ماتا. فكتب معاوية إلى مروان:

أواضعُ رجلٍ فوق أُخرى تعدّنا ... عديد الحصى ما ان تزال تكاثر
وأُمّكم تزجي توأماً لبعلها ... وأُمّ أخيكم نزرة الولد عاقر

إشهد يا مروان أنّي سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلاً اتّخذوا مال الله دولاً، ودين الله دخلاً، وعباد الله خولاً». فكتب إليه مروان: أما بعد يا معاوية فإنّي أبو عشرة، وأخو عشرة، وعم عشرة[٢].

ثمّ الخبر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ورد تارة في الحكم أبي مروان كما عرفته من معاوية على رواية مصعب الزبيري، وأُخرى في أبي العاص جدّه كما عرفته

(١) شرح ابن ابي الحديد ٢: ٥٦ ـ ٥٧، والنقل بتقطيع.
(٢) نسب قريش: ١١٠، والنقل بتصرف يسير.

من خبر أبي الفرج الإصبهاني، والثاني يشمل عثمان أيضاً، وقد استند إليه أبو ذر في قباله، وقد شهد له أيضاً الدراية.

ولقد لَقِيَتِ الأُمّة منه، ومن ولده يوماً أحمر كما قال ﷺ فكان مروان وابنه عبد الملك سبباً لغلبة مسلم بن عقبة يوم الحرة على أهل المدينة، وفعله تلك الشنائع الّتي لم تكن بعد واقعة الطف أشنع منها. فكتب مسلم بن عقبة إلى يزيد يشكره ويشكر ابنه.

ولما حضر ابنه عبد الملك الوفاة قال لابنه الوليد: لا تعصر عليّ عينيك كالأمة الوكساء إذا أدليتني في حفرتي أُخرج إلى الناس، وآلبس لهم جلد النمر، واقعد على المنبر، وآدع الناس إلى بيعتك. فمن مال بوجهه عنك فقل له بالسيف كذا. فلما توفّي دعا الوليدُ الى البيعة. فلم يختلف عليه أحد، وكان أوّل ما ظهر من أمره أن أمر بهدم كلّ دار من دار أبيه إلى قبره. فهدمت من ساعتها وسوّيت بالأرض لئلّا يعرج بسرير عبد الملك يميناً وشمالاً ـ ذكر ذلك خلفاء ابن قتيبة)[1].

ولقي النبيّ ﷺ من أبيه الحكم ما لقي من محاكاته له في مشيته وتجسُّسه أخباره لأعدائه حتى ألجأه إلى نفيه إلى الطائف، ولقي الناس منه فكان يثبّطهم عن الإسلام.

ففي (العقد) قال مروان لحويطب بن عبد العزّى ـ وكان كبيراً مسنّاً ـ تأخّر إسلامك أيّها الشيخ حتّى سبقك الأحداث.

فقال: الله المستعان، والله لقد هممت بالإسلام غير مرّة كلّ ذلك يعوقني عنه أبوك وينهاني، ويقول: تضع من قدرك تترك دين آبائك

---

(١) الإمامة والسياسة ٢: ٥٨، والنقل بتلخيص.

لدين محدث، وتصير تابعاً[١].

ولقى الناس من ولد آبنه الأربعة ما لقوا لاسيّما الأوّل منهم الوليد كان جبّاراً عنيداً، والأخير هشام كان فظّاً غليظاً شحيحاً.

قال المسعودي في (مروجه) كان هشام بن عبد الملك أحول خشناً فظّاً غليظاً يجمع الأموال، ويعمّر الأرض، ويستجيد الخيل، وأقام الحلبة. فاجتمع له فيها من خيله، وخيل غيره أربعة آلاف فرس، ولم يعرف ذلك في جاهلية، ولا في إسلام لأحد من الناس، وسلك الناس جميعاً في أيّامه مذهبه، ومنعوا ما في أيديهم فقلّ الإفضال وآنقطع الرفد، ولم يُرَ زمان أصعب من زمانه، وعرض يوماً الجند بحمص. فمرّ به رجل من أهل حمص، وهو على فرس نفور. فقال له هشام: ما حملك على أن تربط فرساً نفوراً. فقال الحمصي: لا والرحمن الرحيم ما هو بنفور، ولكنّه أبصر حولتك. فظنّ أنّه عين غزوان البيطار ـ وكان غزوان نصرانياً ببلاد حمص كأنّه هشام في حولته وكشفته ـ فقال له هشام: تنحّ! فعليك وعلى فرسك لعنة الله[٢].

ولقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلم به بالخصوص. ففي (الإرشاد) في إخباره عليه السلام عنه: «والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إنّ من ورائكم الأعور الأدبر، جهنّم الدنيا لا تبقي ولا تذر»[٣] وكان كما قال عليه السلام حريصاً على جمع أموال الناس. فكان يأخذ ضياع الناس وعقارهم ونفائسهم، وقد عرفت كونه أعور أحول.

وأخبر عليه السلام بالوليد بن يزيد ابن ثالثهم. ففي (الإرشاد) بعدما مرّ «ومن بعده النهّاس الفرّاس»[٤] أما نهاسيته، فقالوا: إنّ ابن عائشة القرشي غنّاه:

---

(١) العقد الفريد ٤: ١٠٢، والنقل بتصرف يسير.

(٢) مروج الذهب ٣: ٢٠٥ و ٢٠٩.

(٣) الإرشاد: ١٤٨.

(٤) المصدر نفسه.

إنّـي رأيت صـبيحة النـحر حـوراً نـفين عـزيمة الصـبر
مـثل الكـواكب فـي مـطالعها عـند العشـاء أطـفن بـالبدر
وخرجت أبغي الأجر محتسباً فـرجـعت مـوقوراً مـن الوزر

فقال له الوليد: أحسنت والله يا أمير المؤمنين أعد بـحقّ عـبد شـمس. فأعاد فجعل يتخطّى من أب إلى أب، ويأمره بالإعادة حتّى بلغ نفسه. فقال: أعد بحياتي. فأعاد. فقام الوليد إليه. فأكبّ عليه، ولم يبق عضواً من أعضائه إلّا قبّله وأهوى إلى إيره. فجعل ابن عائشة يضمّ ذكره بين فخذيه. فقال له الوليد: والله لازلت حتّى أُقبّله. فقبّل رأسه، وقال: واطرباه واطرباه ونزع ثيابه، فالقاها على ابن عايشة، وبقي مجرداً إلى أن أتوه بثياب غيرها ودعا له بألف دينار، وحمله على بغلة، وقال: اركبها على بساطي، وانصرف فقد تركتني على أحرّ من جمر الغضى[١].

وأما فراسيته ففي (المروج): كان الوليد مغرى بالخيل وحبّها، وجمعها، وإقامة الحلبة، وكان السندي فرسه جواد زمانه، وكان يسابق بـه فـي أيّـام هشام، وكان يقصر عن فـرس هشـام المـعروف بـالزائد، وأجـرى الـخيل بالرصافة، وأقام الحلبة، وهي يومئذٍ ألف قارح، ووقف بها ينتظر الرائد، ومعه سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، وكان له فيها جواد يـقال له الوضـاح، وخشي الوليد أن تسبق فرس سعيد، فركض فرسه حتّى سـاوى الوضـاح. فقذف بنفسه عليه، ودخل سابقاً فكان الوليد أوّل من فعل ذلك[٢].

ولقد أخبر عليه السلام بعمر بن عبد العزيز منهم، وكونه من بين ولد مـروان أخف وطأة فقال عليه السلام في خطبته كما في (الإرشاد) أيضاً: «ثمّ ليتوارثنكم من

---

(١) رواه المسعودي في مروج الذهب ٣: ٢١٥.

(٢) مروج الذهب ٣: ٢١٧.

بني أُميّة عدة ما الآخر بأرأف بكم من الأوّل ما خلا رجلاً واحداً»[١].

هذا، وأخبرعليه السلام عمر بن سعد بقتلة ابنه الحسينعليه السلام ففي (كامل الجزري): قال ابن سيرين قال عليّعليه السلام لعمر بن سعد: «كيف أنت اذا قمت مقاماً تخيّر فيه بين الجنّة والنار فتختار النار»[٢] ـ أشارعليه السلام إلى تخيير ابن زياد له بين ردّه كتاب عهده على الري أو خروجه إلى قتال الحسينعليه السلام وقتله، فاختار الثاني وقال في ذلك:

أأترك ملك الريِّ والريُّ رغبتي ... أم أرجع مذموماً بقتل حسين

وفي قتله النار الّتي ليس دونها ... حجاب وملك الري قرّة عيني

هذا، ونقل ابن أبي الحديد عند قولهعليه السلام «أما إنّه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم» عن الإسكافي أنّ رأس الحسينعليه السلام لمّا وصل إلى المدينة كان مروان أميرها، فحمل الرأس على يديه، وقال:

يا حبّذا بردُك في اليدين ... وحمرة تجري على الخدين

كأنّما بتّ بمسجدين

ثمّ رمى بالرأس نحو قبر النبيّصلى الله عليه وآله وسلم: وقال: يا محمّد! يوم بيوم بدر. ثمّ قال ابن أبي الحديد: مروان لم يكن أمير المدينة يومئذ بل كان أمير المدينة عمرو بن سعيد، ولم يحمل إليه الرأس، وإنما كتب إليه ابن زياد يبشّره بقتل الحسينعليه السلام فقرأ كتابه على المنبر، وأنشد الرجز المذكور وأومأ إلى القبر: يوم بيوم بدر. فأنكر عليه قوله قوم من الأنصار. ذكر ذلك أبو عبيدة في كتاب (المثالب)[٣].

قلت: ردّ ابن أبي الحديد وهمٌ، فإنّ مراد الإسكافي لم يكن بعد القتل من

---

(١) الإرشاد: ١٤٨.

(٢) الكامل ٤: ٢٤٢، سنة ٦٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٦١.

الكوفة من ابن زياد بل بعد ذلك بإرسال يزيد من الشام. ففي (تذكرة سبط ابن الجوزي) قال كاتب الواقدي: إنّ رأس الحسين عليه السلام دفن بالمدينة عند أُمّه.

وذكر الشعبي أنّ مروان كان بالمدينة. فأخذ الرأس، وتركه بين يديه، وتناول أرنبة أنفه وقال: «ياحبّذا ـ الرجز ـ والله لكأنّي أنظر إلى أيّام عثمان...»[1] وأخبار ابن زياد كتابة عمرو بن سعيد والي المدينة بقتل الحسين عليه السلام لم ينحصر نقله بأبي عبيدة بل ذكره الطبري وغيره[2] وتعبير ابن أبي الحديد بالتبشير غلط.

١٧
من الخطبة (٩٩)

أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي، وَلَا تَتَرَامَوْا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي. فَوَ الَّذِي فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ، وَبَرَأَ ٱلنَّسَمَةَ إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ صلى الله عليه وآله. مَا كَذَبَ ٱلْمُبَلِّغُ وَلَا جَهِلَ ٱلسَّامِعُ. وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضِلِّيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ، وَٱشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ، وَثَقُلَتْ فِي ٱلْأَرْضِ وَطْأَتُهُ عَضَّتِ ٱلْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا، وَمَاجَتِ ٱلْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا. وَبَدَا مِنَ ٱلْأَيَّامِ كُلُوحُهَا، وَمِنَ ٱللَّيَالِي كُدُوحُهَا، فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ، وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ، عُقِدَتْ رَايَاتُ ٱلْفِتَنِ ٱلْمُعْضِلَةِ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ ٱلْمُظْلِمِ، وَٱلْبَحْرِ ٱلْمُلْتَطِمِ. هٰذَا وَكَمْ يَخْرِقُ ٱلْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ، وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ. وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ ٱلْقُرُونُ بِالْقُرُونِ، وَيُحْصَدُ ٱلْقَائِمُ وَيُحْطَمُ ٱلْمَحْصُودُ.

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٦، سنة ٦١.

«أيّها الناس لا يجرمنّكم» أي: لا يوقعكم في الجرم.

«شقاقي» أي: خلافي وعداوتي، والأصل في قوله عليه السلام «لا يجرمنكم شقاقي» قول شعيب عليه السلام ﴿وياقوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح﴾[(١)] الآية.

«ولا يستهوينّكم عصياني» في (الصحاح) استهواه الشيطان؛ أي: استهامه[(٢)].

«ولا تتراموا بالأبصار» أي: لا يرمي هذا بصره إلى ذاك، وذاك إلى هذا.

«عندما تسمعونه منّي» بأن تقولوا هو كذب. روى المدائني في (صفّينه) أنّ علياً عليه السلام خطب بعد النهروان. فذكر طرفاً من الملاحم ـ إلى أن قال ـ قال رجل من أهل البصرة لرجل من أهل الكوفة إلى جانبه: أشهد أنّه كاذب على الله ورسوله. قال الكوفي: وما يدريك؟ قال: فوالله ما نزل (عليّ عليه السلام) عن المنبر حتّى فلج الرجل فحمل إلى منزله في شق محمل. فمات من ليلته[(٣)].

«فوالذي فلق الحبة وبرأ» أي: الخلق.

«النسمة» أي: الإنسان.

«إنّ الّذي أنبّئكم به عن النبيّ الأمّي صلّى الله عليه وآله وسلّم» والنبي يقول عن الله تعالى فلا يمكن وقوع خلاف واقع منه.

«ما كذب المبلّغ» أي: النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال تعالى: ﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل اليك من ربّك﴾[(٤)].

«ولا جهل السامع» أي: هو عليه السلام.

---

(١) هود: ٨٩.

(٢) صحاح اللغة ٦: ٢٥٣٨، مادة (هوى).

(٣) رواه عن صفين المدائني ابن ابي الحديد في شرحه ٢: ٤٩ ـ ٥٠، شرح الخطبة ٦٩.

(٤) المائدة: ٦٧ .

روى الطبراني في معجمه عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لعليّ عليه السلام لما نزلت ﴿وتعيها أُذن واعية﴾: سألت الله تعالى أن يجعلها أُذنك يا عليّ قال عليه السلام: فما نسيت شيئاً بعد[1].

«ولكنّي» هكذا في (المصرية، طبع الاستقامة)، والصواب: (لكأنّي) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2].

«أنظر إلى ضِلّيل» مبالغة في الضالّ قال ابن أبي الحديد مراده عليه السلام بالضلّيل عبد الملك لأنّ هذه الصفات، والأمارات فيه أتمّ منها في غيره لأنّه قام بالشام حين دعا إلى نفسه وهو معنى نعيقه ـ إلى أن قال ـ وهو زمان آشتداد شكيمة عبد الملك وثقل وطأته، وحينئذ صعب الأمر جداً، وتفاقمت الفتن مع الخوارج وعبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث. فلمّا كمل أمر عبد الملك، وهو معنى «أينع زرعه» هلك وعقدت رايات الفتن المعضلة من بعده كحروب أولاده مع بني المهلّب، وكحروبهم مع زيد بن عليّ عليه السلام، وكالفتن الكائنة بالكوفة أيّام يوسف بن عمر، وخالد القسري، وعمر بن هبيرة، وغيرهم، وما جرى فيها من الظلم، واستيصال الأموال، وذهاب النفوس، وقيل: كنّى عليه السلام عن معاوية، وما حدث في أيّامه من الفتن وما حدث بعده من فتنة يزيد[3].

قلت: الأصحّ وإن كان ما قال من إرادة عبد الملك لانطباق الفقرات عليه إلاّ أنّه ليس المراد بقوله عليه السلام «أينع زرعه» آنقضاء أمر عبد الملك، ولا المراد بقوله عليه السلام «عقدت رايات الفتن المعضلة» حروب أولاده مع من قال، بل المراد بالأوّل آنقضاء أمر بيته من زمن هشام آبنه الرابع إلى مروان بن محمّد آبن أخيه آخر الأمويّة، والمراد بالثاني الرايات

---

(١) رواه عن الطبراني الكنجي في كفاية الطالب: ٤٠.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٩٣، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٠ مثل المصرية.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٩٤.

العباسية المقبلة من خراسان.

وفي (كامل المبرد): روى أنّ عبد الملك كان له صديق ـ وكان من أهل الكتاب يقال له: يوسف ـ فأسلم فقال له عبد الملك يوماً، وهو في عنفوان نسكه وقد مضت جيوش يزيد مع مسلم بن عقبة المرّي ـ من مرّة غطفان ـ يريد المدينة: ألا ترى خيل عدوّالله قاصدة لحرم رسوله. فقال له يوسف: جيشك والله إلى حرم الله أعظم من جيشه. فنفض عبد الملك ثوبه ثم قال: معاذ الله. فقال له يوسف: ما قلت شاكّاً، ولا مرتاباً وإنّي لأجدك بجميع أوصافك. قال له عبد الملك: ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ يتداولها رهطك. قال: إلى متى؟ قال: إلى أن تخرج الرايات السود من خراسان.

وفيه أيضاً: وتزعم الرواة أنّ رجلاً من أهل الكتاب ـ وكان موصوفاً بقراءة الكتب ـ وفد على معاوية فقال له معاوية: أتجد نعتي؟ قال: نعم ـ إلى أن قال ـ فقال الرجل لمعاوية: حتّى يفضي الأمر إلى رجل أعرف نعته ببيع الآخرة الدائمة بحظّ من الدنيا مخوس. فيجتمع عليه، وهو من آلك وليس منك، لا يزال لعدوّه قاهراً، وعلى من ناواه ظاهراً، ويكون له قرين لعين. قال: أفتعرفه إن رأيته؟ قال: لشدّ ما أعرفه. فأراه معاوية من بالشام من بني اُمّية. فقال؛ ما أراه هاهنا. فوجّه به إلى المدينة مع ثقات من رسله فإذا عبد الملك يسعى مؤتزراً في يده طائر. فقال للرسل: ها هو ذا...[1].

وهو أوّل من توعد أن يقال له اتّق الله. حجّ في سنة (٧٥) فدخل المدينة فقال «وإنّي لا أداوي هذه الاُمّة إلّا بالسيف حتّى تستقيم لي قناتكم، وإنكم تأمروننا بتقوى الله، وتنسون ذلك من أنفسكم، والله لا يأمرني بتقوى الله بعد

---

(١) كامل المبرد ٧: ١٦٩، ١٧٢. والنقل بتصرف يسير.

مقامي هذا أحد إلّا ضربت عنقه»[١].

وقال الجاحظ كان عبد الملك أوّل خليفة من بني أُمية منع الناس من الكلام عند الخلفاء وتقدّم فيه، وتوعّد عليه، وقال إنّ جامعة عمرو بن سعيد عندي، وإنّي والله لا يقول أحد هكذا إلاّ فعلت به هكذا. وقال: إنّه خطب: فقال: وإني والله ما أنا بالخليفة المستضعف ـ يعني عثمان ـ ولا أنا بالخليفة المداهن ـ يعني معاوية ـ ولا بالخليفة المأفون ـ يعني يزيد[٢].

وفي (الكامل): كان من أكثر الناس علماً، وأبرعهم أدباً، وأحسنهم في شبيبته ديانة. فقتل عمرو بن سعيد، وتسمى بالخلافة، فسلّم عليه بها أوّل تسليمة، والمصحف في حجره. فأطبقه، وقال: هذا فراق بيني وبينك[٣].

وروى (أنساب البلاذري) عن ابن عباس لمّا بلغه قتل عبد الملك عمراً الأشدق قال: أيّها الناس! إنّ عبد الملك قتل ابن عمّه، وابن عمته بعد أن آمنه. فلا تأمنوه، ولا تصدّقوه. وقالوا: كان ابن الحنفية قد شخص يريد عبد الملك. فلمّا بلغه قتله عمرا بعد الّذي أعطاه من المواثيق؛ استوحش فانصرف إلى الحجاز[٤].

وكان بخيلاً. فكان يُقال له رشح الحجارة لذلك. وكان أبخر فكان يُقال له أبو ذبّان لذلك. قال تيجان التيمي من جيش ابن الأشعث: «خلعت أبا ذبّان كخلعي قميصي».

«قد نعق» الأصل في النعق صوت الراعي.

«بالشام» في (المروج): كان عبد الملك سار من دمشق إلى زفر بن

---

(١) رواه ابن الأثير في الكامل ٤: ٣٩١، سنة ٧٥.

(٢) البيان والتبيين ٢: ٢٧٣.

(٣) كامل المبرد ٧: ١٧١.

(٤) انساب الأشراف ٤: ق٢ ١٤٤.

الحرث الكلابي بقرقيسا، وخلّف عمرو بن سعيد. فبلغه أنّ عمرا دعا إلى بيعته بدمشق. فكرّ راجعاً إليها، وقال له ارجع إلى بيعتك، فإنّي سأجعل لك العهد فرضى، ودخل عبد الملك وعمرو متحيّز منه في نحو خمسمئة يزولون حيث زال فقتله عبد الملك، واختلفوا في كيفية قتله. فقيل: إنّ عبد الملك قال لحاجبه: ويحك أتستطيع إذا دخل عمرو أن تغلق الباب؟ قال: نعم. قال: فافعل وكان عمرو رجلاً عظيم الكبر لا يلتفت وراءه إذا مشى إلى أحد. فلمّا فتح الحاجب الباب دخل عمرو. فأغلق الحاجب الباب دون أصحابه، ومضى عمرو، ولا يلتفت، وهو يظنّ أنّ أصحابه قد دخلوا معه. فعاتبه عبد الملك طويلاً، وقد كان وصّى صاحب حرسه أبا الزعيزعة أن يضرب عنقه. فضربه فقتله، وقال له عبد الملك: إرم برأسه إلى أصحابه. فلمّا رأوا رأسه تفرّقوا ثمّ خرج عبد الملك. فصعد المنبر، وذكر عمراً. فوقع فيه، وذكر خلافه وشقاقه. ونزل وهو يقول:

أدنيته منّي لتسكن نفره ... فأصول صولة حازم متمكن

غضباً ومحماة لديني إنّه ... ليس المسيء سبيله كالمحسن

وقيل: إنّ عمراً خرج من منزله يريد عبد الملك. فعثر بالبساط. فقالت له امرأته: أُنشدك الله ألّا تأتيه. فقال لها: دعيني عنك لو كنت نائماً ما أيقظني...[1].

وفي (تاريخ الطبري): دخل عمرو على عبد الملك. فأمر بالأبواب فغلّقت. فرحّب به وأجلسه معه على السرير، وجعل يحدّثه طويلاً ثمّ قال: يا غلام خذ السيف منه فقال عمرو: إنّا لله. فقال له عبد الملك: أوتطمع أن تجلس معي متقلّداً سيفك. فأخذ عنه، ثمّ تحدّثا ما شاء الله. ثمّ قال له عبدالملك: إنّك حيث خلعتني آليت بيمين إن أنا ملأت عيني منك أن أجمعك في جامعة. فأخرج من تحت فراشه جامعة. ثم قال يا غلام قم فاجمعه فيها. فقام فجمعه فيها. فقال عمرو:

(١) مروج الذهب ٣: ١٠٢، والنقل بتصرف يسير.

أُذكّرك الله أن تخرجني فيها على رؤوس الناس. فقال عبد الملك: أمكراً عند الموت ما كنّا لنخرجك في جامعة على رؤوس الناس. ثمّ اجتبذه اجتباذه أصاب فمه السرير. فكسر ثنيته فقال عمرو: أغدراً يا ابن الزرقاء ـ إلى أن قال ـ:

وأذّن المؤذّن العصر. فخرج عبد الملك. فصلّى بالناس، وأمر أخاه عبدالعزيز أن يقتله، وصلّى صلاة خفيفة، ورجع. فوجد عمراً حيّاً. فقال لعبد العزيز: ما منعك أن تقتله؟ قال: ناشدني الله والرحم فرققت له. فقال له عبد الملك: اخزى الله أُمّك البوّالة على عقبيها. فإنّك لم تشبه غيرها، وقال: يا غلام! إيتني بحربة. فأتاه بها. فهزّها ثمّ طعنه بها. فلم تجز. ثمّ ثنّى فلم تجز. فضرب بيده إلى عضد عمرو فوجد مسّ الدرع. فضحك، وقال: ودارع أيضاً إن كنت لمعدّاً. يا غلام إيتني بالصمصامة فأتاه بسيفه. ثمّ أمر بعمرو فصرع وجلس على صدره فذبحه وهو يقول:

يا عمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتي أضربك حيث تقول الهامة آسقوني[1]

وفي (المروج): كان عبد الملك سار في جيوش أهل الشام. فنزل بطنان ينتظر ما يكون من ابن زياد ـ وكان ذهب إلى حرب إبراهيم بن الأشتر ـ فأتاه خبر مقتله ومقتل من كان معه، وهزيمة الجيش، وأتاه في تلك الليلة مقتل حبيش بن دلجة ـ وكان على جيش أرسله إلى المدينة لحرب ابن الزبير ـ ثمّ جاءه خبر دخول بابل بن قيس فلسطين من قبل ابن الزبير، ومسير مصعب من المدينة إلى فلسطين ثمّ جاء مسير ملك الروم ـ لاوي بن فلقط ـ ونزوله المصيصة يريد الشام. ثمّ جاءه خبر دمشق، وأنّ عبيدها، وأوباشها، ودعّارها قد خرجوا على أهلها، ونزلوا الجبل. ثمّ أتاه أنّ من في السجن بدمشق فتحوا السجن، وخرجوا منه مكابرة، وانّ خيل الأعراب أغارت على

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٦٠ ـ ٥٩٨، سنة ٦٩، والنقل بتلخيص.

حمص وبعلبك، وغير ذلك ممّا نمى إليه من المقطعات في تلك الليلة. فلم ير عبد الملك في ليلة قبلها أشدّ ضحكاً، فترك اظهار الفشل، وبعث بأموال وهدايا إلى ملك الروم، فشغله وهادنه، وسار إلى فلسطين وبها بابل بن قيس على جيش ابن الزبير. فالتقوا بأجنادين. فقتل بابل وعامة أصحابه وانهزم الباقون، ونمى خبر جيشه إلى مصعب، وهو في الطريق. فولّى راجعاً، ورجع عبد الملك إلى دمشق فنزلها[1].

«وفحص» الأصل في الفحص بحث القطا في الأرض بما يستقر فيه.

«براياته في ضواحي» جمع الضاحية: الناحية البارزة.

«كوفان» في (الكامل) لمّا قتل عبد الملك عمرو بن سعيد وضع السيف. فقتل من خالفه. فصفا له الشام. فلمّا لم يبق له مخالف فيه أجمع المسير إلى مصعب ابن الزبير بالعراق. فاستشار اصحابه. فأشار عمّه يحيى بن الحكم أن يقنع بالشام ـ إلى أن قال ـ:

فلمّا عزم على المسير ودّع زوجته عاتكة بنت يزيد. فبكت وبكى جواريها لبكائها. فقال: قاتل الله كثير عزّه لكأنّه يشاهدنا حيث يقول:

إذا ما أراد الغزو لم يثن همّه حصان عليها عقد درّ يزينها
نهته فلمّا لم ترالنهي عاقه بكت وبكى ممّا عناها قطينها

ولمّا بلغ مصعباً ـ وكان بالبصرة ـ مسير عبد الملك سار إلى الكوفة، ومعه الأحنف بن قيس. فتوفّي بها، وسار عبد الملك. فنزل بمسكن قريباً من عسكر مصعب، وبين العسكرين ثلاثة فراسخ أو فرسخان، وكتب عبد الملك إلى أهل العراق من كاتبه ومن لم يكاتبه، وبذل لجميعهم اصبهان طعمة، وقيل: انّ كلّ من كاتبه طلب إمرة اصبهان. فقال: أيّ شيء اصبهان هذه حتّى

---

(١) مروج الذهب ٣: ٩٧، والنقل بتصرف يسير.

كلّهم يطلبها -إلى أن قال-:

فلمّا رأى عبد الملك رأس مصعب سجد فأمر بدفن مصعب، وابنه عيسى، وقال: كانت الحرمة بيننا قديمة، ولكن الملك عقيم، وكانا يتحدّثان إلى حبّي وهما بالمدينة. فقيل لها: قتل مصعب. فقالت: تعس قاتله. فقيل: قتله عبد الملك. قالت: وا بأبي القاتل والمقتول. ثمّ دعا عبد الملك جند العراق إلى بيعته. فبايعوه، وسار حتّى دخل الكوفة. فأقام بالنخيلة أربعين يوماً وخطب الناس بالكوفة. فوعد المحسن وتوعّد المسيء -إلى أن قال-:

ثمّ ولّى قطن بن عبدالله الحارثي الكوفة ثمّ عزله فاستعمل أخاه بشراً ثمّ استعمل محمّد بن عمير على همدان، ويزيد بن رويم على الري، ولم يف لأحد شرط له اصبهان، وصنع عمرو بن حريث له طعاماً كثيراً، وأمر به إلى الخورنق، وأذن إذناً عاماً. فدخل الناس وأخذوا مجالسهم. فدخل عمرو بن حريث. فأجلسه معه على سريره. ثمّ جاءت الموائد فأكلوا. فقال عبدالملك: ما ألذ عيشنا لو دام ملكنا كما قال الأوّل:

وكلّ جديد يا أُميم إلى بلى   وكلّ امرئٍ يوماً يصير إلى كان[1]

«فإذا فغرت فاغرته» أي: فتح فاه. قال:

فغرت لدى النعمان لمّا لقيته   كما فغرت للحيض شمطاء عارك[2]

«اشتدّت شكيمته» الحديدة المعترضة في فم الفرس الّتي فيها الفاس.

«وثقلت في الأرض وطأته» وضع القدم ضغطة.

«غضّت الفتنة أبناءها بأنيابها» جمع الناب، الأسنان المحدّدة.

«وما جت الحرب بأمواجها وبدا من الأيام كلوحها» تكشّر في عبوس.

---

(١) هذا مختصر كلام ابن الاثير في الكامل ٤: ٣٢٣ـ ٣٣٢، سنة ٧١.

(٢) أورده لسان العرب ٥: ٦٠، مادة (فغر).

«ومن الليالي كدوحها» أي: خدوشها وقيل: الكدح اكثر من الخدش.

في (الأغاني) لمّا قتل عبدالملك مصعباً خطب الناس بالنخيلة. فقال: أيّها الناس دعوا الأهواء المضلّة، والآراء المتشتّتة، ولا تكلّفونا أعمال المهاجرين، وأنتم لا تعلمون بها. فقد جاريتمونا إلى السيف. فرأيتم كيف صنع الله بكم، ولا أعرفنّكم بعد الموعظة تزدادون جرأة. فإني لا أزداد بعدها إلّا عقوبة، وما مثلي ومثلكم إلّا كما قال أبو قيس بن الأسلت:

من يَصْلَ ناري بلا ذنب ولا ترة ... يصلى بنار كريم غير غدّار
أنا النذير لكم منّي مجاهرة ... كيلا ألام على نهيٍ وأعذار
فإن عصيتم مقالي اليوم فاعترفوا ... أن سوف تلقون خزياً ظاهر العار
لتتركنّ أحاديثاً وملعبة ... عند المقيم وعند المدلج الساري
وصاحب الوتر ليس الدهر مدركه ... عندي وإنّي لطلّاب لأوتار
أقيم عوجته إن كان ذا عوج ... كما يقوّم قدح النبعة الباري

وفي (الكامل): لمّا قتل عبدالملك مصعباً، وأتى الكوفة وجّه منها الحجّاج في ألفين من أهل الشام لقتال عبدالله بن الزبير -وكان الحجّاج قال لعبد الملك: قد رأيت في المنام أنّي أخذت ابن الزبير وسلخته. فولّني قتاله- فسار في جمادى الأُولى سنة (٧٢) ونزل الطائف، وكان يبعث الخيل إلى عرفة، ويبعث ابن الزبير. فينهزم خيل ابن الزبير، ويعود خيل الحجّاج بالظفر فكتب إلى عبدالملك يستأذنه في دخول الحرم، وحصر ابن الزبير. فكتب عبدالملك إلى طارق بن عمرو الّذي كان بعثه إلى وادي القرى ليمنع عمال ابن الزبير من الانتشار، ويأمره باللحاق بالحجاج فقدم المدينة، وأخرج عامل ابن الزبير عنها، وجعل عليها رجلاً من أهل الشام. فكان ذاك الرجل يخرج المخّ وهو على منبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يأكله، ويأكل عليه التمر ليغيظ أهل المدينة، وقدم طارق بمكّة على الحجّاج في ذي الحجّة في خمسة آلاف. فحصر الحجّاج ابن

الزبير ونصب المنجنيق على أبي قبيس، ورمى به الكعبة ـ وكان عبدالملك ينكر ذلك أيام يزيد ـ وقال ابن عمر للحجاج: إمنع من الرمى حتّى يقضي الناس ما يجب عليهم بمكّة.

فلمّا فرغ الناس من طواف الزيارة نادى منادي الحجّاج: إنصرفوا إلى بلادكم فانا نعود بالحجارة على ابن الزبير الملحد، وأوّل ما رمي بالمنجنيق إلى الكعبة أرعدت السماء وأبرقت، وعلا صوت الرعد على الحجارة. فأعظم ذلك أهل الشام وامسكوا، فأخذ الحجّاج بيده حجارة المنجنيق. فوضعها فيه، ورمى بها معهم. فلمّا أصبحوا جاءت الصواعق. فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلاً.

فقال الحجّاج: يا أهل الشام لا تنكروا هذا فإنّي ابن تهامة، وهذه صواعقها، وهذا الفتح قد حضر. فلمّا كان الغد جاءت الصاعقة. فأصابت من أصحاب ابن الزبير عدّة.

فقال الحجّاج لأهل الشام: ألا ترون أنّهم يصابون وأنتم على الطاعة وهم على خلافها، ولم يزل القتال بينهم فغلت الأسعار عند ابن الزبير، وأصاب الناس مجاعة شديدة حتّى ذبح فرسه وقسّم لحمها في أصحابه، وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم، والمدّ من الذرة بعشرين درهما، وإنّ بيوت ابن الزبير لمملوّة قمحاً وشعيراً وذرّة وتمراً، ولا ينفق منه إلّا ما يمسك الرمق، ويقول: أنفس أصحابي قوية ما لم تفن ـ إلى أن قال ـ

فقتلوه في جمادى الثانية، وحمل رأسه إلى الحجّاج فسجد، وكان قبل قتله يستعمل الصبر والمسك لئلاينتن. فلمّا صلب ظهرت منه رائحة المسك. فقيل إنّ الحجّاج صلب معه كلباً ميتاً فغلب على ريح المسك، وقيل بل صلب معه سنورا. فلمّا فرغ الحجّاج من أمره دخل مكّة فبايعه أهلها لعبدالملك، وأمر بكنس المسجد من الحجارة والدم وسار إلى المدينة، وكان عبدالملك قد

استعمله على مكّة والمدينة. فلمّا قدم المدينة أقام بها شهرا أو شهرين. فأساء إلى أهلها وآستخفّ بهم وقال: أنتم قتلة عثمان، وضمّ أيدي جماعة من الصحابة بالرصاص آستخفافاًبهم كما يفعل بأهل الذمّة، منهم جابر بن عبدالله، وأنس بن مالك، وسعد بن سعد، ثمّ عاد إلى مكّة فقال حين خرج: الحمد لله الّذي أخرجني من اُمّ نتن أخبث بلد، واغشّه للخليفة، والله لو لا ما كانت تأتيني كتبه فيهم لجعلتها مثل جوف الحمار أعواداً يعوذون بها، ورمّة قد بليت يقولون منبر الرسول وقبر الرسول[1].

وفيه: ولّى عبدالملك في سنة (٧٥) الحجّاج على العراق. فسار في اثني عشر راكباً على النجائب من المدينة حتّى دخل الكوفة فجأة. فبدأ بالمسجد. فصعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء، وكان محمّد بن عمير تناول حصباء ليحصبه بها. فلمّا تكلّم جعلت الحصباء تنتثر من يده، وهو لا يعقل ثمّ كشف الحجّاج عن وجهه، وقال:

أنا آبن جلا وطلّاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني

وقال: وإنّي لأرى رؤوساً قد أينعت، وقد حان قطافها. إنّي لأنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى. إنّ الخليفة عبدالملك نثر كنانته فعجم عيدانها. فوجدني أمرّها عوداً، وأصلبها مكسراً. فوجّهني إليكم، ورمى بى في نحوركم، فو الله لأذيقنّكم الهوان، والله لتستقيمُنّ أو لأضربنّكم بالسيف ضرباً يدع النساء أيامى والولدان يتامى، وقد بلغني رفضكم المهلّب، وإنّي اُقسم بالله لا أجد أحداً من عسكره بعد ثلاثة إلّا ضربت عنقه، ونهبت داره. ثمّ أمر بكتاب عبدالملك فقرئ. فلمّا قال القارئ «أما بعد سلام عليكم» قال: يا عبيد العصا يسلّم عليكم الخليفة. فلا يردّ منكم رادّ، ثمّ قال: إقرأ فلمّا قرأ «سلام

---

(١) هذا مختصر كلام ابن الأثير في الكامل ٤: ٣٤٩ ـ ٣٥٩، سنة ٧٣.

عليكم» قالوا بأجمعهم «سلام على الخليفه ورحمة الله وبركاته».

وفيه: قال الشعبي: كان الرجل إذا أخلّ بوجهه الّذي يكتب إليه زمن عمر وعثمان وعليّ عليه السلام نزعت عمامته، ويقام للناس، ويشهر أمره. فلمّا ولي مصعب قال: ما هذا بشيء، وأضاف إليه حلق الرؤوس واللحى. فلمّا ولي بشر بن مروان صار يرفع الرجل عن الأرض ويسمر في يده مسماراً في حائط. فربما مات وربما خرق المسمار كفه فسلم. فقال شاعر:

لولا مخافة بشر أو عقوبته   وإن ينوّط في كفيَّ مسمار

إذن لعطّلت ثغري ثم زرتكُمُ   إنّ المحب لمن يهواه زوّار

فلمّا كان الحجّاج قال: هذا لعب، اضرب عنق من تخلى مكانه من الثغر، وأتاه عمير بن ضابي. فقال: أنا شيخ كبير عليل، وهذا ابني بدلي. فقتله وأمرأن ينادى أنّ عميرا أتى بعد ثلاثة. فأمرنا بقتله فازدحموا على الجسر للخروج إلى المهلب. فقال المهلب: قدم اليوم العراق ذكر. وخرج في تلك السنة من الكوفة إلى البصرة. فخطبهم وتوعّد من رآه بعد ثلاثة، ولم يلحق بالمهلّب فأتاه شريك اليشكري الأعور الّذي يضع على عينه كرسفة. فقال: إنّ بي فتقاً، وقد عذرني بشر، وهذا عطائي مردود. فأمر به فضربت عنقه فلم يبق أحد إلّا لحق بالمهلب[١].

وفيه: كتب الحجّاج في سنة (٨١) الى عبدالرحمن بن محمّد بن الأشعث يلحّ عليه بالتوغّل في بلاد رتبيل. فقام عبدالرحمن، وقال: أتاني كتاب الحجّاج يأمرني بتعجيل الولوغ بكم في أرض العدوّ، وهي البلاد الّتي هلك فيها إخوانكم بالأمس، وإنّما أنا رجل منكم أمضي إن مضيتم، وآبى إن أبيتم. فقالوا: بل نأبى على عدوّ الله ـ وكان أوّل من تكلّم أبو الطفيل ـ فقال: إنّ الحجّاج

---

(١) هذا مختصر كلام ابن الأثير في الكامل ٤: ٣٧٤ ـ ٣٧٩، سنة ٧٥.

يرى بكم ما رأى القائل الأوّل «إحمل عبدك على الفرس فإن هلك فلك وإن نجا فلك. إنّ الحجّاج ما يبالي أن يخاطر بكم. فيقحمكم بلايا كثيرة فإن ظفرتم أكل البلاد، وحاز المال، وكان ذلك زيادة في سلطانه، وإن ظفر عدوّكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الّذين لا يبالي عنتهم، ولا يبقي عليهم». فخلعوه وأقبل عبدالرحمن حتى دخل البصرة. فبايعه جميع أهلها قرّاؤها، وكهولها، وكان السبب في سرعة اجابتهم أنّ عمّال الحجّاج كتبوا إليه أنّ الخراج قد انكسر، وأنّ أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار. فكتب إلى البصرة وغيرها «إنّ من كان له أصل من قرية فليخرج إليها» فأخرج الناس لتؤخذ منهم الجزية. فجعلوا يبكون، وينادون «يا محمّداه يا محمّداه» ولا يدرون أين يذهبون، وجعل قرّاء البصرة يبكون لما يروى -إلى أن قال- بعد ذكر هزيمتهم بدير الجماجم، وكانت مدّة حربهم مئة يوم وثلاثة أيّام - فإن قالوا: كفرنا بايعهم، وإلّا قتلهم. فأتاه رجل من خثعم كان معتزلاً للناس جميعاً فسأله عن حاله. فأخبره باعتزاله، ولم يشهد بالكفر. فقتله فلم يبق أحد من أهل العراق والشام إلّا رحمه(١).

وفيه: انّه ذكر عند عمر بن عبدالعزيز ظلم الحجّاج وغيره من الولاة أيام الوليد فقال عمر: الحجّاج بالعراق، والوليد بالشام، وقرّة بمصر، وعثمان بالمدينة، وخالد بمكّة: اللّهمّ قد امتلأت الدنيا ظلماً وجوراً(٢).

وفيه ولّى خالد القسري مكّة سنة (٨٩) فخطب وقال: والله لم تعلموا فضل الخليفة -يعني الوليد وكان حفر بئراً بثنيه طوى فكانت عذباً- إلّا أنّ ابراهيم خليل الرحمن استسقاه فسقاه ملحاً اجاجاً -يعني زمزم- واستسقى

---

(١) هذا مختصر كلام ابن الأثير في الكامل ٤: ٤٦١ - ٤٨١، سنة ٨١ - ٨٣.

(٢) الكامل ٤: ٥٨٣، سنة ٩٥.

الخليفة فسقاه عذبا فراتاً ـ يعني تلك البئر ـ وكان ينقل ماءها ويضعه في حوض إلى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم. فغارت فلا يدري أين هو اليوم(١).

«فإذا أينع» أي: نضج.

«زرعه، وقام على ينعه، وهدرت» من هدر البعير ردّد صوته في حنجرته.

«شقاشقه» جمع الشقشقة: شيء كالرئة يخرجه الفحل العربي عند الهياج، وجعل (ابن ميثم) له بمعنى البرق وصفة السحاب؛ وهمٌ.

«وبرقت بوارقه، عقدت رايات الفتن المعضلة» أي: الشديدة.

«وأقبلن كالليل المظلم، والبحر الملتطم» إشارة إلى أنّه لمّا قدّر من الله انقضاء أمرهم، وصاروا كزرع آن حصاده عقدت رايات معضلة لهلاكهم من خراسان من دعاة العباسيّين.

وفي (المروج): قال ابن بنت ذي الكلاع، وكان مؤانساً لسليمان بن هشام بن عبدالملك، وكان أمر المسودة بخراسان والمشرق قدبان، ونطق العدوّ بما احب في بني أُمّية قال كنت مع سليمان، وكان يشرب حذاء رصافة أبيه في آخر أيّام يزيد الناقص، وعنده حكم الوادي يغّنيه بشعر العرجي:

إنّ الحبيب تروّحت إحماله ... أصلاً فدمعك دائم إسباله

اقن الحياة فقد بكيت بعولة ... لو كان ينفع باكياً أعواله

فشرب وشربنا حتّى توسّدنا أيدينا فلم انتبه إلّا بتحريك سليمان إيّاي. فقمت إليه مسرعاً، فقلت: ما شأن الأمير؟ فقال: على رسلك رأيت كأنّي في مسجد دمشق، وكأنّ رجلاً في يده خنجر، وعليه تاج أرى بصيص ما فيه، من جوهر وهو رافع صوته بهذه الأبيات:

---

(١) الكامل ٤: ٥٣٦، سنة ٨٩، والنقل بتلخيص.

أبني أُميّة قددنا تشتيتكم وذهاب ملككم وأن لا يرجع
وينال صفوته عدوّ ظالم للمحسنين إليه ثمة يفجع
بعد الممات بكلّ ذكر صالح ياويله من قبح ما قد يصنع

فقلت: بل لا يكون ذلك فوجم ساعة ثمّ قال: بعيد ما يأتي به الزمان قريب فما اجتمعنا بعد ذلك على شراب[1].

وفيه ـ في عنوان السبب في العصبية بين النزارية واليمانية ـ قال عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب للكميت: إنّي رأيت أن تقول شيئاً تغضب به بين الناس لعل فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما نحب. فقال الكميت قصيدته الّتي يذكر فيها مناقب مضر، وربيعة، واياد، وأنمار بني نزار، وأنّهم أفضل من قحطان ونمي قوله وافتخرت نزار على اليمن وافتخرت اليمن على نزار، وأدلى كلّ فريق بما له من المناقب، وتحزّبت الناس، وثارت العصبية في البدو والحضر. فنتج بذلك أمر مروان بن محمّد، وتعصبّه لقوله من نزار على اليمن، وانحرف اليمن عنه إلى الدعوة العبّاسية، وتغلغل الأمر إلى انتقال الدولة عن بني أُميّة إلى بني هاشم. ثمّ ماتلا ذلك من قصّة معن بن زائدة باليمن، وقتله أهلها تعصبًا لقومه من ربيعة، وغيرها من نزار، وقطعه الحلف الّذي كان بين اليمن وربيعة في القدم، وفعل عقبة بن سالم بعمان والبحرين وقتله عبدالقيس وغيرهم من ربيعة ـ إلى أن قال ـ

إنّ نصر بن سيّار ضعف أمره بخراسان فخرج فمات بساوة كمداً، ولما كان بين الري وخراسان كتب إلى مروان بن محمّد:

انّا وما نَكْتُمُ من أمرنا كالثور إذ قرّب للناخع
أو كالّتي يحسبها أهلها عذراء بكرا وهي في التاسع

---
(١) مروج الذهب ٤: ٢٢٧.

كـنّا نـرفيها فـقد مـزّقت ... واتّسع الخرق على الراقع
كالثوب إذ أنـهج فـيه البلى ... أعيا على ذي الحيلة الصانع

وكان كتب أيضاً قبل ذلك إليه:

أرى بين الرماد وميض جمر ... ويـوشك أن يكـون له ضـرام
فـإنّ النـار بـالعودين تـذكى ... وإنّ الحـرب أوّله الكـلام
أقول من التعجّب ليت شعري ... أأيـقاظ أمـيّةُ أم نـيام

فأجابه: «الشاهد يرى مالا يرى الغائب» فقال نصر لأصحابه: أعلمكم صاحبكم ألّا نصر عنده ـ إلى أن قال ـ

وسار مروان حتّى نزل على الزاب الصغير وعقد عليه الجسر، وأتاه عبدالله بن عليّ في عساكر أهل خراسان. فالتقيا فانهزم مروان، وقتل وغرق من أصحابه خلق عظيم، وغرق ثلاثمائة من بني أُميّة ذاك اليوم غير باقي الناس، ونزل عبدالله على باب حرّان. فهدم قصر مروان واحتوى على خزائن أمواله، ونزل عبدالله على نهر أبي فطرس. فقتل من بني أُميّة هناك بضعاً وثمانين رجلاً ورحل صالح بن عليّ في طلب مروان فلحقه بمصر فقتله. وذكر المدائني أنّ مروان حين نزل على الزاب؛ جرّد من رجاله من اختاره من سائر جيشه من أهل الشام والجزيرة وغيرهم مئة ألف فارس. فلمّا أشرف عبدالله بن عليّ في المسودة وفي أوائلهم البنود السود يحملها الرجال على الجمال البخت، وقد جعلت أقتابها من خشب الصفصاف والغرب قال مروان لمن قرب منه: أما ترون رماحهم كأنّها النخل غلظاً؟ أماترون إلى أعلامهم فوق هذه الإبل كأنّها قطع من الغمام سود؟ فبينا هو كذلك إذ طار من اترجة هنالك قطعة من الغرابيب السود. فاجتمعت على أوّل رايات عبدالله بن عليّ واتّصل سوادها بسواد تلك الرايات والبنود، ومروان ينظر. فتطيّر من ذلك.

فقال: أما ترون السواد قد اتّصل بالسواد وكان الغرابيب كالسحب

سودا ثمّ نظر إلى أصحابه المحاربين وقد استشعروا الجزع والفشل. فقال: إنّها لعدّة وما تنفع العدّة إذا انقضت المدّة[١].

وفي (العقد): لما سمّ أبو هاشم بن محمّد بن الحنفية. نزل بمحمّد بن عليّ بن عبدالله بن العباس، وقال: يا ابن عم إنّي ميّت وقد صرت إليك وأنت صاحب هذا الأمر وولدك القائم ثمّ أخوه بعده، والله ليتمنّ الله هذا الأمر حتّى تخرج الرايات السود من قعر خراسان ثمّ ليغلبنّ ما بين حضرموت، وأقصى إفريقية، وما بين غابة، وأقصى فرغانة. فعليك بهؤلاء الشيعة ...

وعن بكير مولى مسلم قال: لم نزل نسمع بخروج الرايات السود من خراسان، وزوال ملك بني أُميّة حتّى صار ذلك[٢].

«هذا وكم يخرق الكوفة من قاصف» يقال: ريح قاصف ورعد قاصف أي: شديد.

«ويمرّ عليها من عاصف» يقال: ريح عاصف أي: شديدة. ومن ذلك ولاية زياد عليها الّذي قتل الشيعة وكان يعرفهم تحت كلّ حجر ومدر، ويقطع أيديهم وأرجلهم، ويسمل أعينهم، ويصلبهم على جذوع النخل خمس سنين، وولاية الحجّاج عليها عشرين سنة وقد أكل خضرتهم، وأذاب شحمتهم ومن ذلك حالهم في أيّام خلافة المنصور فكان إذا اتّهم أحداً من أهل الكوفة بالميل إلى إبراهيم بن عبدالله بن الحسن المثنى أمر سلما مولى قحطبة بطلبه. فكان يمهله حتّى إذا غسق الليل وهدأ الناس نصب سلّما على منزل الرجل فطرقه في بيته حتّى يخرجه فيقتله، ويأخذ خاتمه. فقيل لابنه لو لم يورثك أبوك إلّا خواتيم من قتل من أهل الكوفة كنت أيسر الأبناء. وكان المنصور يشير إلى

---

(١) مروج الذهب ٣: ٢٣٠ و٢٣١ و٢٣٢ و٢٤٠ و٢٤٣ و٢٤٥ و٢٥٠، والنقل بتقطيع كثير.

(٢) العقد الفريد ٥: ٢٠٤، والنقل بتلخيص.

الكوفة ويقول: هذه المدرة السوء ما هي بحرب فأُحاربها ولا هي بسلم فأُسالمها.

ولمّا انهزم جند الخليفة من أبي طاهر القرمطي في سنة (٣١٢) دخل الكوفة وأقام ستة أيّام بظاهرها يدخل البلد نهاراً، ويخرج يبيت في عسكره، وحمل منه ما قدر من الأموال والثياب، وغير ذلك واستولى عليها أيضاً سنة (٣١٥).

«وعن قليل تلتفّ القرون بالقرون» قال تعالى: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحسّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا﴾[١].

«ويحصد القائم ويحطم المحصود» قال تعالى: ﴿مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح﴾[٢].

هذا وقال ابن أبي الحديد: «إنّ قوله عليه السلام «وعن قليل...» كناية عن الدولة العباسية الّتي ظهرت على الدولة الأُموية[٣]. وهو كما ترى. فإنّ الظاهر أنّ مراده عليه السلام جميع دول الدنيا الأُموية والعباسية ومن بعدهم إلى القيامة.

---

(١) مريم: ٩٨.

(٢) الكهف: ٤٥.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٩٤.

فهرس المطالب

العنوان رقم الصفحة

شابک ۱-۲۶۳-۰۰-۰-۹٦٤